













( المفقور له محمود فهمى مؤلف هذا الكتاب )



# الجزء الاول

من البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الاوائل والاواخر

تأليف

الهامم البارع والعالم النافع المرحوم محمود فهمي المهندس  
المتوفى بجزيرة سيلان في شهر رذی الحجة سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها  
أفضل الصلاة والسلام

(حقوق الطبع محفوظة لاصحاب الامتياز)

الطبعة الاولى

بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٢

هجريه





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي قص أحسن القصص المبين على رسوله النبي الهادي الأمين الذي لا أول  
لوجوده ولا آخر لوجوده القادر الذي لا تدرك العقول كنه ذاته المقدس في ذاته وصفاته المنزه عن  
التغيير والتبديل الذي لا ينجو سواه من التحويل المتصرف في خلقه بالرفع والخفض والمنفرد  
بالبسط والقبض والنقض والابرار والاعطاء والاحرام والامانة والاحياء والايجاد والافناء  
رفع المسالك للسالك وأقام الدول والممالك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء  
بيده الثواب والعقاب واليه المرجع والمآب مبيد القرون السالفة والامم الخالفة ألاله الخلق  
والامر تبارك الله رب العالمين وأصلي وأسلم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين المبعوث  
الى كافة الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله الهادين الراشدين وصحباؤه ومن حذا حذوهم من  
التابعين صلاة وسلاما متلازمين الى يوم الدين (وبعد) فيقول المفسر الى رحمة ربه المنان  
محمود فهمي المهندس القاطن بجزيرة سيلان اني لم أزل مواجعا بحجب مطالعة التاريخ الحديث والقديم  
ومكافاة على مطالعة ومعرفة الحوادث والوقائع التي حصلت في العصر القديم والحالي والعصر المتوسط  
والعصر الكريم الحالي وما حصل في ممالك العالم من النهوض والقيام ثم الاضمحلال والخفاء تحت  
شوايح الآكام ومعرفة الديانات المختلفة والعقائد العديدة فجمعت هذا الكتاب الذي جاء كالدرة  
الفريدة جماعا على وجه الاختصار وصغته من اللغات الاجنبية في قوالب لغة أهل الابرار وهو  
يشمل جميع نواحي ممالك الكرة الارضية كبيرة كانت أو صغيرة السعة النسبية ذاكر في كل مملكة  
من الممالك مواقعها الجغرافية وحدودها ومساحاتها الارضية ومبدأ منشأها وعقائدها الدينية  
وما حصل فيها من الوقائع الحربية والارتباك والقتال والثورية وكيف بذلت كل مملكة أو أمة  
نفسها في عتق رقابهم حتى انتصروا أو هلكوا في مدة أحقابهم فجمع كتابا جامعاً في باب نافع للطلاب  
ومهمته (البحر الآخر في تاريخ العالم وأخبار الاوائل والاواخر) وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتم  
المقصود ويرحمنا من فضله حسبما وعدنا بوعده الموعد انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير  
وأشرع الآن في المقصود فأقول مستعيناً بنسبنا بالمعبود



## ( مقدمة الكتاب )

ينقسم التاريخ إلى قسمين أصليين الأول منهما تاريخ أثري وهو ما جاءت به الكتب المقدسة السماوية كالثوراة والإنجيل والفرقان والثاني تاريخ بشري وهو ما ألفه الناس في حكاياتهم ومنشأ الأمم والممالك وقيامها وتقدمها واضمحلالها وسقوطها وحكوماتها واجتماعها وتفرقها ودمارها وخرابها اذ من المعلوم أن كل شئ موجود تحت الاشعة الشمسية والاجرام الفلكية السماوية عرضة لتغيرات لانتهائية وأن نهاية كل أمة أو مملكة وعاقبتها هي مثل نهاية الجنس الانساني وعاقبته لان كل أمة لها سعادة في حالة شبابها مادامت قواها متباعدة ومتى طعنت في السن قليلا وبلغت مبلغ الكهولة قل عنها عظمها وسعادتها وما كانت عليه من النور والتوفيق الداخلي ومتى وصلت إلى سن العجز والشيوخه اضمحلت قواها وعجزت نواياها وحصل فيها شيئا أن أصلها وانقراضها بالكلية أو اذعان الأمة أقوى منها في الجسمية والسلطة والسيادة الانسانية في المدة الاولى تكون هيئة الاعمال التاريخية والوقائع الحربية هي المقصد الاصل من التسجيلات والتدوينات التاريخية وفي المدة الثانية تنحصر المملكة في تشريع القوانين والاختراعات والادراكات العقلية في الفنون والآداب وفي المدة الثالثة تقع المشاحنات والمخاصمات المختصة بالهيئة الاجتماعية والالفة البشرية المحتاجة إليها الطوائف الانسانية وبذا يقع الارتباك والاختلال بثأن حضارة الأمة الواحدة والنظر في نظام هيئتها وتشيد وانتهاب حكومتها وفي هذه الحالة يعرف الانسان أن أساس سعادة المملكة والأمة وعظمها وتقدمها محصور في صداقة حب الوطن وصداقة تبعته له وبساطته في المعيشة الدنيوية وأن أساس الدمار والخراب هو التمتع بحب النفس ووقوع النزاع والشقاق وحب الترفه في المعيشة والاعتكاف على الشهوات وملازمة الذات

ولما كان أصل منشأ الممالك والأمم وانتهابها في حالة الوجود هو قبل اختراع فن الكتابة والقراءة واستعمال هذين الفنين وأنه لا بد وأن يكون النوع الانساني أجرى حروب ومبارزات ومناضلات ورتب نظامات داخلية في وطنه ومحل مسكنه من غير أن يدقنم في سجلات محفوظه داخل وطنه فتكون نتيجة معرفة التاريخ الاكثر دما في الأعصر الحالية مأخوذة من أعمال ليست مرتبطة كل الارتباط مع بعضها بدرجة كمال يعول عليها وأن أخبار الأمة الواحدة القديمة مأخوذة اما من أشعار أو من مغبان وطنية واما مما ينقله أهل الأمة من رواياتهم الشفهية ويضيفون اليها روايات خرافية وأقوال حشوية وتصورات غير عقلية واما أن توجد هذه الاعمال منقوشة على أضرحة وأحجار منحوتة أو تراكييب قبور وشواهد تدرب أو على آثار مبان قديمة أو تكون منقوشة على نقود أو عدد أو آلات حربية أو غير ذلك

وعلى هذا فيجب مراعاة التسجيلات التاريخية القديمة جدا المطرزة بتخييلات وهمية ومزينة بخارف عظيمة بأنهم أعمال وهمية وتخييلات خرافية مهما كان علو مدارها في السجعات الشعرية التي ظهر وجودها في أيام عصر الشجاعة والحساسة اليونانية والفصاحة والبلاغة العربية وانما الاشئ في جانب التاريخ الوصفى لأعمال بني الانسان وأنه لا تعويل على التاريخ الا اذا كان المؤلفون له امام معاصرين



للقائع التي حصلت به والحوادث التي جرت فيه واما أن لا يكونوا بعيدين عنها بعدا زائدا حتى يمكننا التعويل على نتائج أبحاثهم وأعمال تجاربهم التي دونوها ومن تقدم الحضارة والمدنية عرفت الحوادث والوقائع التاريخية الخالية عن الخرافات بواسطة وجود التسجيلات السنوية المدونة بواسطة الكتابة وصار التعويل عليها سهلا وبها عرفت الاختلافات الحاصلة في العالم مع الدقة والضبط الكافي ويطلق على ترتيب وتنظيم الحوادث التاريخية والوقائع الحربية حسب تواريخ حصولها من غير اتصالها بشئ باطنى اسم (تاريخ) وأما معرفة الممالك والأراضي والامم اللازم معرفتها بسهولة فهم مطالعة التاريخ فإنه يمكن تيسر الحصول على معرفتها بطريق دراسة علم الجغرافيا وأما البلدان والمدائن والمجالات الصغيرة فإنه يمكن تيسر الحصول على معرفة مجلاتها بطريق دراسة علم الطبوغرافيه وأما تواريخ مدة الوجود والحصول فإنه محصور في علم تاريخ المدة والقرون ومع هذا فإن حساب الأعصر والقرون مختلف باختلاف الامم وذلك أن تاريخ الامم المسيحية جاز من ابتداء مولد المسيح عيسى عليه السلام وتاريخ اليهود من ابتداء خلق الدنيا وتاريخ الوثنيين من ابتداء موت جوتما بודהا والتاريخ الاسلامى من ابتداء هجرة محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان وقوع هذه الحادثة وهي الهجرة في سنة ٦٢٢ من التاريخ المسيحى وأما طريقة حساب الجريق أو اليونانيين فإنهم مختلفون باختلاف الاجناس والحكومات

ثم ان تاريخ العالم ينقسم الى ثلاثة أقسام أصلية هي (أولا) - الأعصر الخالية والدهور القديمة البالية وتختصر في هذه المدة هيآت الحكومة الجمهورية المطلقة وتسلطن العبادة الوثنية (ثانيا) - الأعصر المتوسطة وتختصر فيها أحوال السيادة الالتزامية وشدة تسلط الثلاث طوائف الملوك والوجوه والعوام وقسمة الملة الواحدة الى مدافعين أو محافظين ومعلمين وممهدين داخلين في ذلك الوجهاء والاشراف والقسس والرهبان والتبعة من أهل المدائن والقرى والفلاحين والسلطة الباباوية النافذة والبدع الدينية وقد تدمرت هذه السلطة الباباوية وكسرت شوكتها النافذة بواسطة الإصلاح الانجيلي الذي حصل في سنة ١٥١٧ من بعد كشف أمر يقه في سنة ١٤٩٢ ومن انتشار العلوم والفنون حصلت الزيادة في توسعة حدود ساسة الادراك العقلية في الأعصر المتوسطة (ثالثا) - الأعصر الاخيرة وهي التي حصل فيها ارتفاع الطوائف المدنية وشوكة الملوك والسلطان مع قاعدة أسست وأحكمت على وجود جيوش وعسا كرتابة الى أن قامت الحروب على قدم مخصوص الغناء هذه الشوكة المطلقة المستبدة وبذلك تأسس وجود الحرية الشخصية وعرفت حقوق الوراثة البشرية وأقيمت منازعات ومجادلات قانونية على هيئة الحكومة الجاضرة حتى وصلت الى درجة عالية اشبهت فيها الثورة الفرنسية التي وقعت سنة ١٧٨٩ من التاريخ المسيحى وبذلك انحصرت جميع الاعمال الموجودة في هذا العصر الاخير في أربعة أشياء وهي تساوى طوائف أجناس سكان المملكة الواحدة في المدنية والحقوق التبعة واشتراك الامة في الاعمال العمومية لها ومعلومات الصفات الوطنية وحصرها في قانون أو نظام تجرى الحكومة العمل بمقتضاه واقامة طرق الموازنة العدلية بين طوائف الامة الواحدة وصارت هذه الاربعة الاشياء هي الاساس الاصلى في المملكة الواحدة ويقال ان الأعصر الخالية هي من ابتداء خلق الدنيا الى حد منتصف القرن الخامس من التاريخ المسيحى والعصور والقرون المتوسطة هي من ابتداء منتصف القرن الخامس



تقريباً الى نحو مبادئ القرن السادس عشر من التاريخ المسيحي وأما القرون الاخيرة أى العصور  
الحديثة فهي من ابتداء مبادئ القرن السادس عشر الى الايام الحاضرة وما هوأت

ومن مقارنة الاختلاف الواقع بين سكان الارض تيسر الحصول على امتياز ثلاثة أجناس أو فروع  
بشرية تختلف عن بعضهم فى الصفات العقلية والشوكة والقريحة الحضارية والصورة الجسمية وفى  
هيئة الرأس والوجه ولون الجلد ولتذكر هذه الثلاثة الاجناس الاصلية ثم نعقبهم بجنسين آخرين  
ثانويين تابعين لها فى الصفات الانسانية

(أولاً) - الجنس القوقاسى المشهور بالحريية والسيادة والى هذا الجنس تنسب الامم التى لغاتها  
ولهجتها اللسان الهندى الجرمانى وهم سكان أوروبا (ماعدا الامة اللاتينية والقيطون) وسكان آسيا  
الغربية والهنود وسكان أفريقيا الشمالية والامم الذين هاجروا من أوروبا الى امريقتيه فهؤلاء على  
حسب قريحتهم الحضارية أو المدنية يشكون المقصد الاصلى من التاريخ ويمتازون عن غيرهم بمسائل  
الاعضاء وهيئة الجسم وجمال الوجه الا أنه يوجد فيهم اختلاف كبير فى لون وبياض أجسامهم بالنسبة  
لسكان أوروبا الشمالية وهذا الاختلاف هو وجود اللون الاسمر ولون الجلد الاسود وسواد الشعر  
الحالك عند سكان الجنوب والهنود

(ثانياً) - الجنس الاسود الافريقى المنقول بطريق تجارة الرقيق الى امريقتيه والى نواحي جهات  
الهند الغربى وفيه اسوداد كثير أقليل فى الجسم وتجد فى شعوره المصوفة وعالوفى القفا والناسية  
(ثالثاً) - الجنس المغولى أو المنغولى فى آسيا الشرقية وفى الاقاليم الشمالية القطبية للعالم القديم  
والجديد وهم المغوليون والهوانيون والهنود القاصية والصينيون واليابانيون والقلبون والقيطون  
والاسكيمو كسيون وغيرهم ولهؤلاء شعور ناعمة سودا وأنوف فطس ضيقة وعيون واسعة  
الانفصال وناصية مسطوحة وجلود يخلتف لونها من الاصفر الى الاسود والخييف ويوجد غير  
هذه الاجناس الثلاثة المختصة بالتقسيمات القديمة للأرض جنسان آخران ثانويان متوسطان  
فى الهيئة وهما

(أولاً) - الجنس الملقى (أوسترايا) ولهم شعور ناعمة سود خفيفة التجميع ودواجب عيون  
سود ولون أجسامهم كثير الغبوشة أو قليلها أشبه بكونهم منقولين من الجنس القوقاسى الى الجنس  
الجبشى أو جنس السودانين والى هذا الاختلاف ينسب سكان هولنده الجديده وسكان جزائر البحر  
المحيط الجنوبي

(ثانياً) - الجنس الامريقانى ولون جلود أجسام هذا الجنس نحاسى أغمر ولهم شعور مسبوقة  
خشنة ولم تزل هذه الصفة موجودة لحد الآن فى سكان امريقتيه الاصليين وكذا فى المكسيكيين  
والبيرويين ويرى على هيئتهم أن أصلهم محمول من الجنس القوقاسى الى الجنس المغولى  
ومن أجل أن الامم المختلفة الموجودة على سطح الارض منقسمة الى خمسة أجناس ثلاثة منها أصليان  
واثنان ثانويان صار الفحص مع الاجتهاد الزائد عن طريقة معرفة عدد اللغات والاسنة المختلفة  
الموجودة على سطح هذه الارض وظهر من بعد الفحص التام أن عدد اللغات والالسن نحو من ألفى  
لغة أو لسان وكذا علمت طريقة أصل انفصال جموع هذه الاجناس من بعضهم واستكشف حالة



المشابهة المتسلطنة فيها وكيف كانت هذه الاجناس من أصل واحد وكذا علمت حالة أصل الاتحاد والاتصال الموجود الآن بين الاجناس المذكورة

فينسب الى الجنس القوقاسي مجموع ثلاث لغات هي (أولا) - اللسان الهندي الجرمانى وينحصر فى هذا اللسان الهندو والفرس ولغات أوروبا ماء - اللغة الهندكارية والباسكيشية والفلمنكية والاسطونية (ثانيا) - مجموع اللغات الساميطيقية أى المنسوبة الى سام بن نوح عليه السلام وتلهمج بهم الام الساميطيقية والحبشية وسكان فينيقية القديمة وسكان قرطاجنة (ثالثا) - لغات شمال أفريقيا وتنحصر فيها اللغة قدماء المصريين والقبط وغالب لغات قدماء سكان أفريقيا الشمالية ومجموع اللغات الاصلية المنتشرة فى آسيا الشرقية الشمالية وفى أوروبا والمنسوبة للقوقاسيين وقبائل المغول هي مجموع اللسان الفنى التتارى والطورانيات ويتكلمهم هذه اللغات القبائل الفلمنكية التى لاحصر لعددها ويدخل فى عددها هذه القبائل المغيارى فى نواحى هنكارييا وسكان اسطونيا وايفونيا وكذا التتار ويدخل فى عددها قبائلها الاثرالى العثمانية وسكان قرقيسيا والباشكيريين وكثير من الام المغولية كالطوبجوزيين وسكان قسنتقا وغيرهم من الاجناس

ويوجد فى آسيا الجنوبية الشرقية مجموع اللغات الصينية الهندية المنسوبة لادم المغولية المتسلطن وجودها فى نواحى الصين واقصى الهند والتبت وجهات أخرى وأما فى يابونيا وجزائر الارخبيل الشرقى فانه يوجد فيها مجموع اللغات اليابونية وأما اللغات الجارى التكلم بها فى جزائر البحر المحيط الجنوبى فمن المعلوم أنهم منسوبة الى مجموع اللغات الملقية البوليزيانية وأما لغات الجنس النحاسى اللون التى صارت تقدير عددها الى نحو خمسمائة لسان فهى وان وجدت فيها اختلافات كثيرة غير أنه يوجد فيها مشابهة فى أصلها وبهذا يمكن وضعها فى قالب مجموع لسان مشترك عام تحت اسم اللغة أو اللسان الأمريقى

وعلى هذا المنوال صار معرفة لغات الاجناس المختلفة الافريقية التى ما أمكن حصرها بما أجزته فخاص أوروبا من الاجتمادات الكبيرة وتسجلات الأتة بالنسبة لعدم معلومية داخل هذه الاراضى التى لا يمكن جوبها وكان من اللازم علينا التعويل على ما ظهر من نتائج هذه الاستكشافات كثيرا أو قليلا حتى بها نعرف مقدار ما يوجد فيها من اللغات القديمة الى أن تيسر لنا الحصول على معرفة ما ظهر من دقة الملاحظات والفحوصات التى حصلت فى هذا الزمن الحديث العهد وعلمنا علمنا تاما من الاستكشافات التى أجراها متاخر وسياسح الاور وباوين فى شأن اللغة الوطنية الجارى التكلم بها فى هذه القطعة الارضية التى لم يزل اختلاف اللغات فيها مثل اختلاف تبليل اللسان فى لغة قدماء البابليونانيين واقد تيسر الحصول على كشف عدة لغات جارى التكلم بها الآن عند اجناس السودانيين القاطنين فى القسم الشرقى من هذه القارة ويطلق على هذه اللغات اسم اللغات الزنجبارية أو الرنزابارية وهى متسلطنة فى جميع أنحاء قطعة أفريقيا الجنوبية ونظرا لطرافة النطق بها والاختلاف فى لهجتها أمكن عدها فى سياق متعادل مع اللغات المدنية الحضارية الاور وباوية وأحسن هذه اللغات وأرقها فى المكالمات هو اللسان السواحلى وهذا اللسان منتشر فى طول سواحل البحر من ابتداء نجر عدن الى جزيرة مدغشقر ثم انه فى الوقت الذى وطن الناس فيه أنفسهم فى الجهات المختلفة



من الارض شرعوا سر يعاقى عمل الوسائل المختلفة الخاصة بمعيشتهم الدنيوية مع توطنهم في محال  
وجاهات دوامية فاما الذين سكنوا البوادي والصحارى الموجود فيها جهات المري والكلأ فانهم اختاروا  
لاتنفسهم في تلك البوادي العيشة الرعوية وأخذوا في الانتقال والظعن من جهة الى أخرى وصاروا  
قبائل وعشائر يجوبون الارض مع خيامهم وأنعامهم وما حوت أيديهم ويستبدلون محل راحتهم بمحل  
آخر حسب الفصول السنوية ووجود محلات المري والكلأ وأطلق على هؤلاء الاعم اسم (القبائل  
الرحالة النزلة) وانحصرت حالة أشغالهم الدوامية ومعيشتهم الدنيوية في قنينة الانعام والمناشية وأما  
الذين قطنوا السواحل البحرية تبعوا موافقتهم فانهم انتشروا فيها وكثر عددهم وتيسر لهم الحصول  
في الوقت على معرفة الفوائد التي يعود منها النفع على ما هم فيه من التوطن والعمارة ووجدوا في  
استعمال طرق الملاحة والتجارة وبالأولئك الفوز والنجاح والثروة والفلاح وبذلك شرعوا في  
تشديد مبانيهم ومساكنهم لانفسهم نظريفة وعمروا والمدائن وقطنوها وأما الذين سكنوا السواحل  
العقيمة فانهم عكفوا في عيشتهم الغامة المكثرة على صيد الاسماك وكذلك وجه سكان السهول  
والسواد التفتهم الى الزراعة والوسائل السلمية وأما المتوحشون أهل القطاعة والخشونة القاطنون في  
الجبال فانهم عكفوا أنفسهم على صيد الحيوانات الوحشية ورأوا أن سعادتهم محصورة في الحروب  
والمنازعات وشن الغارات نظر الماهم عليه من العتق والاطلاق وشدة البأس وبهذه الحالة صار حرفة  
التجارة إحدى القواعد المهمة القوية في ارتقاء الجنس الانساني الى أقصى درجات المعالي وانتشرت  
العلاقات التجارية والارتباطات الودية بين الامم المختلفة الجنس وكذا اتخذ سكان السهول المثمرة  
الذين قطنوها مع موافقة ما في نواحيها من الانهار والغدران وسائل سهلة في مد ونشر تجارة عامة داخل  
البلاد والاقليم وصدروا للجهات الاخرى فاقروا محصولاتهم وبالأولاد لامتياز الصنائع والحرف والاعمال  
التجارية الاجنبية

وتولد من الاجتماعات العديدة للتجارة البرية في آسيا وأفريقية بالنظر لتصددها للجهات بواسطة قوافل  
تجارية أهلية وشحن هذه التجارات والبضائع في أكياس وطرود ونقلها من جهات بعيدة الى جهات  
أبعد منها وجود الاسباب الموجبة لتشديد المدائن والمراكز التجارية وكذا تولد من مشاق هذه  
الاسفار وصعوبتها وما هو حاصل فيها من الاخطار بالنسبة لارسالها الى جهات بعيدة مقطعة في سكك  
سيرها بصحارى رملية مسكونة في الغالب بطوائف اصول همجية الزام كثير من الناس على الاتحاد  
واتفاق بعضهم مع بعض فيما هم عليه من المشروع العمومي

وكانت الحيوانات الجارية جل التجارات عليها في هذه الاسفار الشاقة هي الجمال على الاخص المسماة  
بسفن الصحارى وصار استخدام سكان البوادي والصحارى المعبورة بهذه القوافل التجارية في المحافظة  
عليها وفي ارشادها على سكك العبور ودروب السير ولما كان من الضروري راحة هذه القوافل  
التجارية في أثناء جوبها وقطعها مسافات الطرق في نواحي بعض جهات مأمونة مثل معابد وهيكل  
مشهورة جهاتهم رعية بأنهم مقدسة ومحترمة مع ما حولها من الجهات والبلاد المأمونة مراعاة لهذه  
المعابد الدينية فكان يوجد في يد كل قافلة في الزمن القديم أوامر مقدسة دينية رعية العمل تحت  
حماية ورعاية الهيئة الدينية وبما أنه يوجد في سواحل سكان الشواطئ البحرية خيول وأجوان  
ونخيلان داخل في الارض وكذا دخلات على هيئة مراسي وميناء فكان هؤلاء يصدرون تجارتهم



بطريق الميام بحيث يكون سير التجارات قريبا من السواحل على الغوم في العصر القديمة وكانوا يبيعون بضائعهم بطريق المبادلة واستمروا على ذلك مددا طويلة يتعاملون فيها بالمبادلات حتى ظهر تقدير قيمة المعادن النفيسة وحصل الاتفاق على ضرب نقود تتعامل بها الامم في أخذها واعطائها في التصديرات التجارية والمدخولات والمنقولات البضاعية وكذلك كان سكان السواد الاعظم من الارض المشحونة بالاهل والعمارية محتاجين لمساعدة أنفسهم في أشغالهم اليومية أخذوا في تأليف الحيوانات الوحشية وتربيتها واستعمالها في الاشغال الداخلية اليومية وجدوا في حفظ عقاراتهم ومساكنهم وغيطنان من ارضهم ومواشيهم وأغنامهم وجعلوا لذلك قوانين ونظامات وشرائع مختلفة حسب عوائدهم وطبائعهم وبهذا العمل صارت غراسة الاراضي وفلاحتها هي الباب الاعظم لعيشة الجنس الانساني وخيانة الدنيا وكذا وجه سكان المدن الثقاتهم الى التجارة واخترعوا الاختراعات المفيدة للحياة الدنيا وغرسوا بساكني الفنون ورياض العلوم وبها اكتسب عقل بني الانسان جميع خواص الاحساسات والافكار والاعمال التدبيرية التي يعود منها النفع على ترفه حياته ودوام لذاته

ومع سريان الوقت ودوران الفلك وتوالي العصور انقسم السكان الموجودون على سطح الارض الى طوائف وممل وقبائل وعشائر ممتدة وغير ممتدة حسب استعدادهم وطرق سير أحوالهم وبما هم مستحوزين عليه من القوى العقلية والادراكات الفهمية والعزلة الموقعية فأما الطوائف والامم غير الممتدة فهم شعائر وشعوب هجيرة مجموعون تحت ارشاد حاكم واحد قابض في يديه زمام حياة كل شخص من هذه العشائر أو قبائل رحالة تنزلة تحت قيادة وسلطة رئيس واحد يجري فيهم اجرائه بطريق الابوية وله عليهم حقوق الولاء والقضاء وله عند رعيته هو والمعبود حق الرعاية والاحترام لانه لا يوجد محل في التاريخ لهؤلاء الاجناس الرحالة التنزلة مع حكوماتهم الابوية الرئيسية ولا محل للعشائر الهجيرة القاطنين في الصحارى الرملية من افريقيه وكذا سكان الجهات الجبلية من آسيا ولا محل لسكان الاورمانات والغابات القديمة في امريقه بل يشمل التاريخ في نفسه الاجناس الممتدة وهؤلاء انقسموا حسب عوائدهم وطبائعهم وقوانينهم وشرائعهم الى ايلات وممالك كبيرة كانت أو صغيرة وامتزج كل قسم من هذه الاقسام ببعضه حتى صار أمة واحدة متميزة في نفسها

ثم انقسمت الممالك أيضا الى حكومات ملوكية وجمهورية تبعا لطرائقهم المختلفة في الاحكام والنظام فأما الحكومة الملوكية فهي ما كانت السلطة أو الشوكة في يد شخص واحد يطلق عليه بالنسبة اسم امتداد أرضه امبراطور أو ملك أو أمير أو سيد وأما الحكومة الجمهورية فهي نظام تنحصر به السلطة والسيادة في رجال ممتازين من الامة والشوكة المنقذة مقلد زمامها بأيدي حكومة منتخبة ومن ثم يوجد اختلاف كثير في تلك الهيئات وذلك انه اذا كانت الحكومة بتمامها مدبرة بقليل من الأشخاص الممتازين بعلاوة درجة المولد والثروة فيقال لهذه الحكومة حكومة الاعيان واذا كان الرأس المكافلة للحكومة منتخبين بواسطة عموم الامة أو بواسطة مجالس عمومية أو بواسطة طوائف ونفس الامة حائرة السلطة القانونية النيابية فيقال لمثل هذه الحكومة جمهورية وان حصل عند طوائف الامة نفوذ وسطوة رائدة انقلبت الجمهورية الى حكومة مجلسية

وتعد كل هيئة من تلك الهيئات قانونية عندما تكون المنافع العمومية وما ترغبه الامة في استتباب راختها من العدل والانصاف جاريا حسب قواعد أساسية متينة البنيان وتكون الشوكة الحاكمة



معترفة بسلطة القانون وعلو درجته مع معرفة عوائد الامة وطبائعها أيضا وقد أخذت هذه الشوكة في علو النفوذ شيئا فشيئا حتى محقت العدل والحق وحل محلها الظلم والابحاف بالحقوق المرعية وتأسست قوانين وشرائع غير موافقة لعوائد الامة الواحدة وطبائعها تقرر فيها منافع خصوصية لا تخير وصارت قوانين شرعية على كل واحد من التبعة وأهل المدن

ويقال لهيئة الحكومة الملوكة مطلقا التصرف عالميا بين الحاكم المتولى أمر الامة عماله ويضرب الضرائب والعوائد ويتنظم الحكومة ويسن القوانين والشرائع من دون أن يستشير في هذه الامور الامة ويقال لها محدودية عند ما يصير اجراء ما تقدم ذكره من الاعمال بمساعدة نواب من الامة فالسلطة المحدودة هي التي يكون فيها الملك غير مسؤول ويكون تحت يده وزراء مكلفون بالاعمال ومسؤولون عنها لديه ولدى الامة وهذه يحتمل أن تكون على نوعين وهي ما اذا كان جميع نواب الامة حاضرين كما في السلطة القانونية أو كان الحاضر بعض نواب من طوائف فقط فاذا غيرت أغراض وشهوات الحاكم القانون انقلبت الحكومة المطلقة الى حكومة استبدادية صرفا وكذا اذا كانت سلطة الامة مرعية النفوذ والاعتبار في الشوكة وعلو درجتها في الحكومة انقلبت الحكومة الى هيئة جمهورية

وأما ما يتعلق بالبيانات المختلفة والمذاهب والاعتقادات المختلفة فسنشرحه عند ذكرنا كل مملكة أو أمة من الأمم في أبوابها المشتملة على تاريخ وجودها ومنشأها وقد قسمت هذا الكتاب الى سبعة أجزاء تشمل أربعين كتابا وكل كتاب يشمل أبوابا متعددة أو بابا واحدا حسب اتساع تاريخ المملكة الواحدة وما حصل فيها من الحوادث والوقائع الحربية والقيام والسقوط بوجه الاقتصاد بخاتم مرتبة على هذا النسق





## الجزء الاول

من البحر الزاخر

### الكتاب الاول

في التاريخ المقدس

أوالانسرى

### الباب الاول

زمن النبوة

الخالقة - آدم وحواء - موت هايل - شيث - نوح - الطوفان - ذرية نوح - صرح بابل  
تلبل الاسن - هجرة ابراهيم عليه السلام - دخوله في فلسطين - نصرته على كدر  
أموه العهد والميثاق - مولد اسمعيل - خراب مدائن السهل - مولد اسحق - اخراج اسمعيل  
- اقامة دين ابراهيم - زواج اسحق - مولد يعقوب - صفاته - ما - بيع العيص حق  
البيكورية - نوال يعقوب البركة - هرب يعقوب - اقامة يعقوب عند لابان - زواجه  
وأولاده - عوده الى فلسطين - ارتباصه مع أولاده - يوسف واخوته - بيع يوسف - رقه  
في مصر - صيرورته نائب الملك - مدة القحط - نزول يعقوب وأهل بيته في مصر - موت  
يعقوب

يبدأ التاريخ المقدس بان الله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شئ خلق الدنيا والانسان بقدرته ولم  
يذكر في التوراة تاريخ هذه الحوادث حتى ما أمكن للعالم اثبات تاريخها بوجه الحقيقة وان الحوادث  
المختلفة التاريخية التي جرت في شأن التواريخ القديمة لحالة وجود الانسان هي اختيارية صرفا وليس  
لها حكم ثابت وأن التوراة لم تذكر تاريخا معول عليه مثل هذه الحادثة بل عرفنا من التوراة ومن  
الكتب المقدسة بأن الله هو القادر على كل شئ خلق الدنيا والانسان لقصد معلوم وهو عباده سبحانه  
وتعالى وان جنس بنى الانسان متناسل عن زوج أصلى وان أول رجل وأول امرأة خلقهما الله سبحانه  
وتعالى آدم وحواء

قيل ان المعتمد الصحيح المعول عليه ان مبدء خلق الجنس البشرى ومحل وجوده كان في قارة آسيا والاكثر  
احتمالا أنه كان في قطعة الاقليم الشاسع الواقع بين الجبال التي يأخذ منها كل من نهري آمو والسند  
منبعهما الكائنة في الناحية الشرقية من الاقليم والجبال التي يأخذ منها كل من نهري الدجلة والفرات  
منبعهما الكائنة في الجهة الغربية من الاقليم وفي هذه الارض اليهجرة الخصبية كان الانسان قائما في  
طاعته العظمى لله سبحانه وتعالى ثم كانت عاقبته أن سؤل له الشيطان فأخرج الله سبحانه وتعالى آدم



وحواء من الجنة وعاقبهما أي وحكم عليهما بالاجاع والالام ومشاق الاشغال في مدة حياتهم ما ثم اعتادا على الاشغال وتمتعوا في حياتهم بالدينيوبية بها

ولكن الصحيح الحق الذي شق به ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضهما من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فمنهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب فشكاه وصورة ركبته ثم نفخ فيه الروح وعلمه جميع الاسماء وأسكنه الجنة وخلق من نفس آدم حواء ليسكن اليها وقال الله لها يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا منك اذ جاء حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأتاهما الشيطان فوسوس لهما وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تـ ~~تكونا~~ وتكونا من الخالدين وقاسمهما في الكلام الناصحين فأكلتا منها فبذبت لهما مساواتهما وطفقا يخضعا ان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فأنزله هو وحواء والشيطان من الجنة وأسكن الله سبحانه وتعالى آدم وحواء أرض الهند يتكبدان فيها آلام الشغل عقايا لهما في حال حياتهم ما ثم غفر لهما بمجنه وكرمه

وكان لا آدم وحواء ولدان قين أو قابيل وهابيل وكان الاول منهما زراعا والاخر صاحب ماشية فظهر من ذلك أن هاتين الطريقتين المتخذتين في الحياة الدنيا موجودتان من القدم مع وجود الانسان ثم حسد قابيل أخاه هابيل على ما هو فيه من العيشة الدنيوية الطاهرة فقتله فكان قابيل أول قاتل وهابيل أول مقتول في الدنيا على وجه الارض ولما سمع قابيل من خالقه حكم عقابه وعذابه صار مطرودا بأهله على وجه الارض ورحل في جوبه الى الارض الموجودة في شرق عدن وبني فيها مدينة وسماها أنوخ أو حنوك باسم أول مولود له ثم صار لقابيل بنون وبنات واليه تنسب التوراة الفنون الصناعية والآلات الموسيقية وهذه أول واقعة حصلت على وجه الارض واختلف العلماء في سبب قتل قابيل هابيل اختلافا كثيرا لا روم لذكره هنا وهذه الاختلافات مذكورة في كتب التواريخ العربية المطولة وما قصه الله سبحانه وتعالى في القرآن الشريف حكاية عنهم ما قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لن بسطت الى يدي لئلا تقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لا تقتلك اني أخاف الله رب العالمين اني أريد أن تبوء يا بنى واثم فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فقيه القدر والكفاية والله الموفق للصواب

ثم ولد لا آدم وحواء ابن ثالث بعد موت هابيل فسماه آدم باسم شيث وكان نبيا واليه ينسب العبرانيون سلسلتهم وعمود نسبهم وصار لشيث بنون وبنات وعائلات عديدة وعاش حتى بلغ من العمر تسعمائة واثنى عشرة سنة وبواسطة هذه العائلات حفظت الاحاديث المروية والعقائد الدينية المروية عن أسلافهم الى زمن الطوفان

وقيل كانت ولادة شيث بعد مضي مائة وعشرين سنة لا آدم وبعد قتل قابيل هابيل بخمسة سنين وكان شيث وصي آدم وصارت اليه الرياسة بعده وأمره أبوه آدم أن يخفي علمه عن قابيل وولده لانه قتل هابيل حسدا منه له حين نحه آدم بالعلم ومات آدم في زمن شيث بعد أن عاش من العمر تسعمائة وثلاثين سنة ولما مرض شيث أوصى الى ابنه أنوش ومات بعد مضي مائة سنة وخمسة وثلاثين سنة من عمر آدم وقام أنوش بعد موت أبيه بتدبير الملك وسياسة قومه وكان جميع عمر أنوش سبعمائة سنة



وخمس سنين وكان مولده بعد ان مضى من عمر أبيه شيت ستمائة سنة وخمس سنين ثم ولد لأنوش قينان  
ومعه بنون وبنات بعد مضى تسعمائة سنة من عمر أنوش وصارت إليه الوصية وولد لقينان مهلائيل  
وبنون معه وصارت إليه الوصية وولد لمهلائيل يردأ وياردو وبنون وبنات معه وصارت إليه الوصية وولد  
لياردأخنوخ وهو أدريس وإليه كانت الوصية وولد لأخنوخ متوشلخ وبنون وبنات معه وإليه كانت  
الوصية وولد لمتوشلخ ملك وأولاد ملك وبنون وبنات معه وكانت إليه الوصية وولد لملك نوح النبي  
عليه السلام

وكان نوح النسل الثامن من ذرية شيت وتمسكت عائلته بعبادة الحق سبحانه وتعالى وأخذوا في  
زيادة العكوف على الموبقات والمعاصي والفجور ونسب الخور وأنواع الكبائر والعيوب وصارت حالة  
الذيما وعالمهما مفرقة مهولة فغضب الله سبحانه وتعالى غضبا شديدا وزعم أهل التوراة أنه ندم وتأسف  
على ما فعله من خلقه الإنسان (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) حيث رأى ما عليه الإنسان من فعل  
الكبائر وارتيكاب الفواحش الخبيثة وأراد تطهير الأرض من الإنسان ونجاسته ودمار وهلاك  
كل ما فيه روح من المخلوقات الموجودة على وجه الأرض ما عدا البعض من كل جنس لبقاء  
تناسل أجناسهم المختلفة ثانية وكان نوح رجلا عادلا كاملا في قومه منقادا للطاعة لله فاستثنى من  
الدمار العام هو وعائلته وأمر الله تعالى بتجهيز فلك أو بيت عوام من خشب الساج على هيئة أنزلت  
إليه من عند الله وأعلمه بمقصده وأنه سيرسل طوفانا عاما على وجه الأرض ولما تم عمل الفلك أمر الله  
نوحا أن يدخل فيه مع عائلته وأن يأخذ معه سبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة والنجسة من كل  
ذئب ووحش وطيور وأمر الله وأخذ نوح كور والانات وعائلته وما أمر الله به وأدخلهم معه  
جميعا في الفلك وأطبقها عليهم ثم بعد ذلك ابتدأ الطوفان فأنفجرت العيون الغزيرة من الأرض وفتحت  
السماء أبوابها بعماء منهنم واستمر سقوط المطر على وجه الأرض أربعة عشر يوما وازدادت المياه وامت  
وارتفعت السفينة على وجه الأرض وغطت المياه رؤس التلال والجبال الموجودة تحت السماء  
وجرت السفينة على وجه الماء وازدادت المياه حتى ارتفعت فوق رؤس الجبال الشامخة بمقدار خمس  
عشرة ذراعا فلكل جميع ما على وجه الأرض من كل ذئب ووحش كان يدب على سطح الأرض وكذا  
الطيور والانبعاث والحيوانات والحشرات والزحافات والهوام ومات كل ما كان يدب على وجه الأرض  
وكل ما كان يخرج من أنفه نفس حياة من الذي كان موجودا على الأرض الجافة ونجا نوح والذين  
معه في الفلك وامت المياه وجه الأرض ومكثت مائة وخمسين يوما

ومن بعد مضى خمس شهور هبطت المياه واستوت السفينة على جبال عرارة المسماة بجبال الجودي  
بنواحي أذربيجان ثم أخذت المياه في النقص على الاستمرار إلى الشهر العاشر وفي أوائل هذا الشهر  
ظهرت رؤس الجبال وقياتها ثم بعد مضى أربعين يوما فتح نوح طيقات السفينة التي كان صنعها فيها  
وبعث غرابا يكشف جفاف الأرض فذهب الغراب ولم يرجع إليه حتى غاضت المياه من على وجه  
الأرض فأرسل من عنده حمامة أو حمامة لينظر هل الأرض جفت من المياه أم لا فطارت الحمامة  
ولم تجد محلا في الأرض تقف برجليها عليه عادت إلى نوح في السفينة لأن المياه كانت موجودة على  
جميع سطح الأرض فانخرج يده وجذب الحمامة إلى داخل السفينة ومكثت سبعة أيام آخر وأرسل



الحمامة ثانية من السفينة فعادت اليه وفيها ورقة زيتون فعلم نوح أن المياه انكشفت عن وجه  
الارض فكث سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فطارت ولم تعد اليه مرة أخرى  
ثم لما جفت الارض ترك نوح والذين معه السفينة فكان أول عمل عمله نوح أن ابني لله مجرايا وقرب  
اليه قربانا وأخذ الله عليه وعلى ذريته العهد والميثاق ثم ان نوحا وامرأته وأولاده الثلاثة ساما وحمما  
ويافتا ثمر عوا في زراعة الارض وفلاحها وهكذا عاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة  
ومات بعد أن بلغ من العمر تسعمائة وخمسين سنة

والذي قاله المفسرون أن نوحا بعث وهو ابن أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش  
بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين سنة

ومن أولاد نوح الثلاثة تناسلت أجناس الامم الذين عمروا الارض وسكنوها بعد الطوفان والظاهر أن  
الاقليم الذي سكنه أولاد نوح بعد تركهم السفينة هو الجبل الجامع لبحارى الصغرى مع اقليم التبت  
الغربي الآخذة منه الانهار الكبيرة لاسيما منابها وهي نهر السند ونهر سيحون ونهر جيحون ثم من  
بعد مضي بضع من القرون رحل البعض من ذرية نوح بعد أن أخذوا في الزيادة والكثرة مع السرعة  
الى الجهات الغربية من مساكنهم الاصلية واتخذوا لهم مساكن في السهول الشاسعة التي يرونها كل  
من نهرى الدجلة والفرات في الارض المسماة أرض شينعار وفي هذه الارض ساقهم غرورهم  
وكبرياؤهم نظرا لما هم عليه من كثرة العدد والقوة الى أن اعتقدوا بان صارت لهم قوة وقدرة لا يعجزها  
شيء حتى اتوا سبحانه وتعالى فشرعوا في بناء مدينة وبرج قصدوا بارتفاعه عنان السماء حتى يمكنهم نجاة  
أنفسهم من كل حادثة طوفانية يحتمل حصول وقوعها على وجه الارض والى ذلك الوقت كانت لهجة  
جميع الناس في الاسن واحدة فعاقبهم الله بقبيح أفعالهم فلبس الالسنهم الى لغات شتى ولما كانوا  
لا يفهمون كلام بعضهم التزموا عدم الاستمرار في أشغالهم وتشتتوا شغري بغروحات كل عائلة أو عدة  
عائلات معهم لسانهم الجديد ومن ابتداء ذلك الوقت صار ذلك اللسان هو لسانهم الخاص بهم ومن  
هنا تكون اللغات والعلوم المتجددة للناس في تبويها وترتيبها مأخوذة من أصل تلك اللغات وأطاق على  
البرج الذي لم يتم شغله اسم صريح أو برج بابل أو صرح الببلية وهذا بسبب أن حصول تبلبل  
اللسن كان في هذه الجهة وبواسطة هذا الشتات والتفرقة انتشرت ذراري نوح على سطح البسيطة

وأما مدة أعمار من كان بين آدم ونوح وأسماؤهم فهو على حسب ما هوآت  
عاش آدم تسعمائة وستين سنة وعاش شيث تسعمائة واثنى عشرة سنة وعاش أنوش تسعمائة وخمسا  
وستين سنة وعاش قينان سبعمائة وعشرين سنة وعاش مهلائيل تسعمائة وخمسة وستين سنة وعاش يرد  
تسعمائة واثنين وستين سنة وعاش أخنوخ ثلاثمائة وخمسا وستين سنة وعاش متوشلح تسعمائة وتسعا  
وستين سنة وعاش لامك سبعمائة وسبعا وسبعين سنة

وقد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين كان فيهم نوح عليه السلام وأجمع البعض منهم على أنهم ما كانوا  
على ديانة آبائهم بل على غاية من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله  
والاصح ما نطق به القرآن المجيد من أنهم كانوا أهل أو ثان قال تعالى وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن  
ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فلما تآذوا على كفرهم وعصيانهم بعث الله فيهم  
نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله فلبث فيهم ألف



سنة الاخسين عاما فكانوا يبطشون به ويخنفونه حتى يغشى عليه حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت  
منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الحال واشتد عليه البلاء وانتظر الولد بعد الولد فلا يأتي قرن الا كان  
أخبت من الذي قبله ولم اطال عليه الا مدورأي الاولاد شرا من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي  
عبادك فان يكن لك فيهم مراد فاهدهم وان يك غير ذلك فصبر في الى أن تحكم فيهم فأوحى الله اليه  
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم كما قص الله عنهم في القرآن في قوله  
تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا  
كفارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فأقبل  
نوح على عمل الفلك فكان قومه يسخرون منه فيقول لهم ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون  
فسوف تعلمون ولما تم عمل الفلك أمر الله سبحانه وتعالى أن يدخل فيه من كل زوجين اثنين وأهله الا  
من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل فلما اطمان نوح في الفلك وأدخل فيه كل ما أمر  
به وجعل معه من حمل جاء الماء كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وجرفنا الارض عيونا فالتقى  
الماء على أمر قد قدر وكان بين أن أرسل الله الماء بين أن جعل الماء الفلك أربعون يوما وليله وكثر واشتد  
وطمى وغطى نوح عليه وعلى من معه طبقات السفينة وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ونادى  
نوح ابنه وكان في معزل منه لانه كان كافرا يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساقى الى جبل  
يعصمى من الماء فقال له نوح لا عصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين  
وعلا الماء على رؤس الجبال فكان ارتفاعه على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا فهلك ما على  
وجه الارض من حيوان ونبات ولم يبق الا نوح ومن معه وما زالت السفينة تجري بهم حتى انتهت الى  
جبل الجودي ولما استقرت قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء أى نشفته الارض وأقام  
نوح في الفلك الى أن غاض الماء فلما خرج منها اتخذ بناحية من نواحي قردي من عمل جزيرة العراق  
موضعاً وابتنى فيه قرية سماها قرية الثمانين وقيل ان نوحاً لم يولد له ولد الا من بعد الطوفان وكان أولاده  
ثلاثة سام وحام ويافث فجاء الخلق بعد الطوفان من نوح عليه السلام لقوله تعالى وجعلنا ذريته  
هم الباقين ولما حضرت نوحاً الوفاة أوصى الى ولده سام وكان أكبر ولده وفي نوح وقومه قال بعضهم

عاش نوح يدعوهم وألف عام \* غير خسين لم يجيبوا الدعاء

أهلك الظالمين ربى بماء \* أمر الارض أن تفيضه والسماء

ولما انتشرت ذرية نوح على سطح البسيطة كانت ذراري سام الفرس الذين كان جددهم عيلام  
والاشوريون الذين تناسلوا من آشور والعبريون والعرب الذين تفرعوا من أرفخشذ والليثيون وهم  
ذرية لود والاشوريون الذين تناسلوا من ارم وأما ذراري حام فهم الحبشة الذين تفرعوا من كوش  
والمصريون الذين تفرعوا من مصر ايم والليثانيون الذين تفرعوا من قوط والفينيقيون الذين تفرعوا  
من كنعان وأما ذرية يافث فتهم جامر ومنه تناسل الجرمانيون والسكندنيون وأهل الغلبة  
(فرانسا) في أوروبا والارمن في آسيا وما جوج ومنه تفرع الجنس الطوريناني الكبير وهو مقسوم  
الى الأعروقيش والفروع الدراويدية ومادى ومنه تفرع نسل الميديين وتوبال ومنه تفرع  
سكان الوديان القوقاسية وموشوح وهو جد سكان آسيا الصغرى وتراث وهو جد الترائثيون



وياوان وهو جديونان الجريق وهذا الاحصاء الذي عمل على حسب قول موسى عليه السلام مختص بالجنس ذي اللون الابيض فقط وأما الاجناس الاخر ذات اللون الاصفر والاحمر والاسود فان موسى عليه السلام لم يذكر عنها شي السبب معلوم عنده وكان قصده موسى بذلك هو بالبداهة ذكر نسب العبرانيين وأما ذكر الامم الاخر فهو عرضي البتة

وذكر في الكامل لابن الاثير عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين أنهم سام وجام ويافت فكان سام بن نوح أبا العرب وفارس والروم وحام أبا السودان ويافت أبا الترك ويا جوج وما جوج فولد لسام أرخشذ بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وستين وأشودولا ووزارم وبنون وبنات آخر وكان جميع عمر سام ستمائة سنة فن ولد لآشودولا فارس وجرجان وطسم وعليق ومن نسل عليق كانت الجبابرة بالشام وهم الكنعانيون وبعض الفراعنة بمصر وولد لآرم بن سام عوض وعابر وحويل وولد لعوض عابر وعادو وعييل وولد لعابر بن آرم عمود وجديس وولد لأرخشذ بن سام ابنه قينان بعد أن مضى من عمر أرخشذ خمس وثلاثون سنة وكان جميع عمر أرخشذ أربع مائة وثمانين وثلاثين سنة ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربع مائة وثلاثين سنة وولد لعابر فالغ وأخوه قحطان وكانت ولادة فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربع مائة وأربعين سنة وولد لقحطان يعرب وبيعة قحطان وولد لفالغ بن عابر أرغو بعد مضى ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان جميع عمره مائتين وتسعين سنة وولد لآرغو ساروغ بعد أن مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعين سنة وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره مائتين وثلاثين سنة وولد لناخور تارح وهو آزر بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانين سنة وولد لتارح ابراهيم عليه السلام

وأما يافت فن ولد لجامر وموع ومورك وبوانه وفوبا وماشع وتيرش فن ولد لجامر مارك فارس ومن ولد لتيرش الترك والخزر ومن ولد لماشع الاشبان ومن ولد لموع يا جوج وما جوج ومن ولد يافت الروم

وأما حام فولد له كوش ومصر ايم وفوط وكنعان فن ولد لكوش غروذ ومن ولد لمصر ايم القبط والبربر وكان بين الطوفان و ابراهيم عليه السلام ألف سنة ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاث مائة وسبع وثلاثين سنة وولد لقحطان بن عابر يعرب وولد ليعرب يشجب وولد ليشجب سبا وولد لسبا حير وكهلان وعمر والشعر وأنمار ومن ولد لعمر بن سبا عديا وولد عدي لنجا وبهذا ما

وكان ابراهيم عليه السلام هو العاشر من ذرية نوح من سلسلة سام لانه ابراهيم بن تارح بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وهو الجد الاكبر للعبرانيين وكان أبوه تارح يسكن أور الكلدانيين مع عائلته وقربائه واتفق البعض من المؤرخين على أن مدينة أور القديمة هي مدينة أورقة الموجودة في هضبة ميزوپوتاميه (آرم) الجامعة هضبة أرمينية بوادي الفرات ثم سماها جريق اليونان باسم إدسا في العصور الاخيرة وينما كان ابراهيم



قاطنا فيها اذ ناداه الله سبحانه وتعالى وأمره أن يترك وطنه ويتوجه الى أرض يريها له وعلى هذا الطلب تركت عائلة تارح مدينة أور وانتقلت الى حران أو حاران وهذا الاسم الأخير هو الاسم الحقيقي لها كما هو مذكور في الانجيل أي العهد الجديد وهذا الجهة موجودة في الناحية الشرقية من نهر الفرات وفيها هلك تارح بعد أن أقاموا فيها بضع سنين ولم أر أي ابنه ناجور من جودة الأرض ونحوها وما فيها من المراعي والكلا اتخذها مقرا له وموطنا نادوا بها

وفي غضون ذلك بمجرد ما دفن ابراهيم أباه اطاعة لما أمره الله به وناداه مرة ثانية ترك أخاه ناحور واستمر في سفره مع سارة زوجته وابن أخيه لوط وتوجه على ثقة تامة بما وعده الله به من أقامته في مستقبله في أرض يريها له وهي الأرض التي قال له أرض سنريك أيها فلما عبر الفرات وفصل نفسه من أرض مسقط رأسه سمع الكنعانيون الرجل العبري أو العبري أي الرجل الذي عبر نهر الفرات مهاجرا من ميزوبوتاميا وقطع في سفره صحرة سوريا وتراى له أن يلبث قليلا في دمشق فصارت مدينة من دالة الوقت وتقابل في هذه الجهة مع خادمه الامين العازر وجعله أمين بيته ثم سار من دمشق متوجها الى الجهة الجنوبية حتى عبر الاردن ودخل الأرض الموعودة فكان المقر الاول الذي اتخذته في وادي شكيم وفي هذا المكان تجلى له الله سبحانه وتعالى مرة أخرى وحدث له عهده وقال له ان هذه الأرض تكون وطنا لنديتك وما يخرج من صلبك فأقام ابراهيم لله تعالى أول محراب أو مذبح في أرض فلسطين

وكانت الأرض مسكونة في هذا الوقت بالكنعانيين وهم من نسل كنعان الابن الرابع لحام بن نوح عليه السلام فاتخذ ابراهيم محل مسكنه في الكورة الجبلية حتى يحفظ نفسه فيها من الكنعانيين وكانوا مستكبرين على السهول الخصبة الموجودة أسفل منه فأعطوه قطعة كالا صغيرة ترعى فيها أنعامه ومواشيه ثم ما زال يظعن وينتقل نحو الجهة الجنوبية حتى أحوجته ضرورة المعاش أن يدخل مصر ولما خشي ابراهيم من ملك مصر بما يطمع في جمال سارة ويقتله بقصد الاستحواذ عليها جعلها ابراهيم في صفة أخته وأنها امرأة لزوجها فأخذها ملك مصر وأدخلها في حريمه وأفاض على ابراهيم بالاموال والثروة والاكرام فأنذر الله سبحانه وتعالى الملك بما فعله من الذنب والخطا وأرسل عليه آفات أزيجته وأهل بيته فأعاد سارة الى زوجها في الوقت وأخرجته من مصر عانا له من الاموال فارتحل ابراهيم راجعا من وسط أرض فلسطين الى مسكنه الاول في بيت إيل وأقام العبادة لله سبحانه وتعالى وفي هذا المكان كان انفصالهما من بعضهم فابقى ابراهيم قاطنا في الجبال ونزل لوط السهل الخصب المجاور لسدوم ثم ارتحل ابراهيم الى الجهة الجنوبية الى بلوطات جرابا بالقرب من حبرون ومن هذا الوقت صار هذا المحل موطنه المعتاد

وبعد ذلك بقليل أغار كدراعومر ملك عيلام وكان رئيس مملكة كبيرة في آسيا الغربية وغزافلسطين الجنوبية وفتح مدائن سدوم الخمسة وهي عمورة وادمه وصوبويم وبالغ أي صوغرو ونفس سدوم وكان أهل هذه المدائن تعصبوا عليه وقاموا ضده وفي هذا الحرب تغلب المنصورون على لوط ومواشيه وجماله أسير معهم فلما سمع ابراهيم بهذه الواقعة جمع قوة من قومه قدرها ثلاثمائة وثمانية عشر نفسا وقوة من العوريين المتخالفين معه وتبع في سيره قوى كدراعومر فانتصر عليهم قريبا من دمشق وهزمهم شر هزيمة وخلص لوطا وأعاد جميع الاسلاب والغنائم التي كانوا أخذوها من الخمس مدائن ومن بعد مضي زمن قليل من هذه الحادثة أراد الله سبحانه وتعالى أن يأخذ ميثاقا عظيما على ابراهيم



فتجلى باسم ياهو لعبدده ووجدته وعده بأن يجعل ابراهيم أباً أمة عظيمة فقال ابراهيم الهى وسيدى ومولاى ما ترغب أن تعطينى اياه فان ليس لى ولد وليس لى أحد من يتى يرثى من بعدى فأجابه الله سبق فى علمى أن سيكون ذلك الوعد قريباً وانظرا الآن الى السماء وأحصرا لى ما فيها من الكواكب والنجوم ان كان لك طاقة على عددها واحصائهم افهكذا ستكون بذرتك وذريتك فآمن ابراهيم بوعده وبه وعده لنفسه من البر والاصلاح

وبما أن هذا الوعد العظيم لا بد من ايفائه دخل فيه (أولاً) رق العبرانيين فى أرض عزية لمدة أربع مائة سنة (وثانياً) يكون خلاصهم مستخوذين على أموال جمة مع أحكام تتوقع على ظالمهم (وثالثاً) عودهم الى الأرض الموعودة فى الجيل الرابع من ذريتهم عندما تسلطن الجرائم والخطايا فى هذه الأرض الموعودة وكذا من بعد مضى قليل من الزمن جدد الله الميثاق مع ابراهيم وأمره بالاختتان وجعل ذلك سنة فى عقبه

وذكر فى الكامل لابن الاثير أن ابراهيم ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل ببابل وكان مولده فى عهد غروذين كوش فلما أراد الله أن يبعث ابراهيم الى عبادته أتى المنجمون من الكلدانيين الى غروذ وقالوا له اننا نجد غلاماً ما يولد فى قريتك يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم فى شهر كذا من سنة كذا فخبس غروذ الحبلى عنده لا أم ابراهيم فانه لم يأخذ خبراً بجبلها وذبح كل غلام ولد فى هذه السنة ولما وجدت أم ابراهيم الطلق انطلقت الى كهف بالقرب منها وولدت ابراهيم فيه وأخبرت أباه تارح وهو آزر فكم ذلك حتى نسي غروذ ذلك ولما شب ابراهيم فى المغارة أخرج به أبوه آزر منها فلما نظر الى الدواب والخلق ولم يكن رأى شيئاً منها قبل سأل أباه عما يراه فكان أبوه يقول له هذا كذا فقال ابراهيم ما الهؤلاء الخلق بدمى أن يكون لهم رب وكان خروجه وقت المساء فلما غربت الشمس رأى كوكباً فقال هذا ربى فلم يلبث أن غاب فقال لا أحب الا فلين ولم أر أى القمر بازغا قال هذا ربى فلما غاب قال لن لم يمدنى ربى لا كون من القوم الضالين ولم أر أى الشمس وعظم نورها قال هذا ربى هذا كبر فلما أفلت قال يا قوم انى برى مما تشركون وكان أبوه آزر يصنع الاصنام التى يعبدونها ويعطيهم ابراهيم ليبيعهها فكان ابراهيم يقول من يشتري ما لا يتفقه ولا يضره ولما بدا لابراهيم أن يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا له من تعبد أنت قال رب العالمين قالوا غروذا قال بل أعبد الذى خلقنى فظهر أمره وبلغ غروذا أن ابراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الاصنام وصار يتوقع فرصة ليفعل باصنامهم فعلة يقيم بهم عليهم حجة ضعف أصنامهم فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم يعنى مطعون ليهربوا منه اذا سمعوا به حتى يبلغ من أصنامهم ما يريد ولما خرجوا الى عيد لهم تركوه وساروا الى أصنامهم وهو يقول تالله لا كميدين أصنامكم فسمعه بعض من ضعفاء القوم وكأبرهم ولما دخل فى معبد الاصنام وجد بين أيديهم طعاماً وكان القوم وضعوه بين أيديهم لياً كما احتجى يرجع القوم من عيدهم فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم ألا تأكلون فلم يجبه أحد قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرب باليمين وكسر الاصنام بفأس كانت فى يده وأبقى صنماً من الاصنام قريب الفاس فى يده وتركها فلما رجع القوم من عيدهم ورأوا ما حل باصنامهم راعهم ذلك وأعظموا ذلك الامر وقالوا من فعل هذا يا لهتنا انه من الظالمين فقال الذين سمعوا ابراهيم يذكر الاصنام قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم أى



يسمها ويعيها ولم تسمع ذلك من غيره وبلغ ذلك غمروذا وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعالمهم يشهدون فلما أتى به واجتمع قومه عند غمروذا قالوا أنت فعلت هذا يا لهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوههم ان كانوا ينطقون هو غضب من أن تعبدوا هذه الصغار وهو أكبرهمها فكسرها فقالوا له لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فيخبرون عن صنعها وما تبطش بالأيدي فنهض ذلك في قولك هذا ثم تكسوا على رؤسهم في الخفة عليهم لابراهيم فأجابهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون أفتعبدون من دون الله مالا يتفعلكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ثم قال غمروذا لابراهيم أرأيت الهك الذي تعبده وتدعو الى عبادته ما هو قال ربى الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال أقتل هذا وأعفو عن هذا فقال ابراهيم ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأتت بها من المغرب فبهت غمروذا ولم يرجع اليه شيئا ثم ان غمروذا وأصحابه أجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم فأمرهم غمروذا بجمع الحطب وأضرموا فيه النار ولما رفعوه في منجنيق ليرموه فيها رفع رأسه الى السماء وقال اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الارض حسبي الله ونعم الوكيل وقد فوه فى النار فناداه الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فأخرج منها حيا يمشى من دون أن يضره شئ منها فناداه غمروذا يا ابراهيم ان الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين ما أرى لك كبير وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارح وهو بتويل وبتويل أبولابان وأبو ربقا امرأة هقي بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبوليا وراخيل زوجتى يعقوب وكذا آمنت له سارة وهى ابنة عمه وابنة هاران الا كبر عم ابراهيم وأمره الله سبحانه وتعالى بالهجرة من ديار قومه وكان منه ما ذكر سابقا وقامته فى أرض كنعان

ومن بعد مضى عشر سنوات من اقامته فى أرض كنعان أخذت سارة فى قطع اليأس من أن تكون أم ولد ليرث ابراهيم فأشارت عليه أن يأخذ خادمتها هاجر وهى امرأة مصرية أهداها الى سارة ملك مصر لتكون زوجة له فدخل ابراهيم بها فولدت له اسمعيل وقبل ولادة اسمعيل وهى حامل به سمع أنف هاجر على سيدتها وصارت فى غاية من الوقاحة عليها حتى ان سارة عاقبتها على فعلها الوقح فهربت هاجر الى بركة قادش وكانت هذه البركة موجودة فى الجهة الجنوبية الشرقية من مسكن ابراهيم فظهر لها فى البركة ملك من ملائكة السماء من عند الله سبحانه وتعالى وأمرها أن تعود الى سيدتها وشد قلبها وعضدها بانهم يستكون أم الامة كبيرة وأوصاها بأن تسمى ابنها بعدد اسمه اسمعيل ومعناه (سمع الله) وأخذ يذكر لها سبحانه المولد ووصفاته فى الدنيا بالانناط والوصاف الموصوف بها عرب البوادي والصحارى الآن التى صار جددهم الا كبير هو هذا الطقل بقوله لها انه سيكون رجلا هجيا وحشيا يده فوق يد كل انسان كما أن يد كل انسان تكون قاعة عليه وضده وانه يستوطن فى مواجهة جميع انعوانه ومعناه أن أرض ذرية اسمعيل تكون فى شرق الارض المقيمة فيها العشائر والقبائل المتناسلة من الوارث الحقيقى لابراهيم فرجعت هاجر الى سيدتها ووضع اسمعيل فى الوقت المحدود وكان عمر ابراهيم لما ولد اسمعيل ستا وثمانين سنة فنظر ابراهيم الى الولد بكونه هو الوارث له الذى وعده الله اياه وشغف بحبه وألقى عليه حب الوالد لولده

ومن بعد مضى ثلاث عشرة سنة من مولد اسمعيل وكان ابراهيم بلغ من العمر تسعا وتسعين سنة



تجلى الله له باسم الشد أى ومعناه القادر على كل شئ ووجدده معه ووعدده بأنه سيكون أبالأم  
عديدة ومخلوقات كثيرة وقال الله له انه رب واله ورب والذريته من بعده ومن علامات تجديد  
هذا العهد إقامة شعائر الختان وأن يقام هذا الشعار من الآن فصاعدا على جميع الذكور من ملة  
ابراهيم وان الذين لا يختتمون لم يكن لهم حظ في الميثاق واذا أراد الاغتراب الاختتان يسلم لهم  
ذلك ومن الوجوب على رئيس كل عائلة أو قبيلة أن يجرى هذا الشعار على خدمه كما يجريه على  
أولاده وأن يجريه على الاطفال في اليوم السابع من ولادتهم وعلى العبيد مباشرة بعد شرائهم  
وأن تلقب سارة بالسيدة علو في درجة مقدارها الكونها صارت جدة ملة كبيرة وقد أخبر الله ابراهيم  
بأن زوجه سارة ستحمل في وقت معين من السنة التالية بولده يكون هو الوارث الحقيقي له وأوصاه بأن  
يسمى الطفل اسحق وأخبره أيضا بأن مواعيد الميثاق ستكون في اسحق وذريته من بعده أبدا  
الآبدين فلبى ابراهيم في دعائه لاسماعيل حتى ان الله أكد له بأنه سيمطر على اسمعيل الخير والبركة  
الوقتية ويجعله أبالملة كبيرة وان البركة الالهية ومواعيد الميثاق محصورة في اسحق وذريته وفي  
الوقت تخت ابراهيم نفسه وأجرى هذا الشعار على اسمعيل وكان بلغ من العمر في هذا الوقت ثلاث  
عشرة سنة وكذا على جميع الذكور من آل بيته

وروى أن ابراهيم والذين اتبعوه لما أجمعوا على فراق قومهم خرج مهاجرا حتى قدم مصر فكان بينه  
وبين ملك مصر ما أسلفنا ذكره وأعطى ملك مصر هاجر خادمة لسارة وكانت هاجر ذات هيئة وجمال  
فوهبها لسارة لابراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك ولدانها وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت  
فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقتحم مصر  
فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورجاء يعنى ولادة هاجر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل  
السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالموتفة مكة وهي من السبع مسيرة يوم وليلة ولما ولد اسمعيل  
حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحق فاخصمتا وغيبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها  
ثم غارت منها وقالت لا تساككنى في بلاد فأوحى الله الى ابراهيم أن يأتى مكة وليس به يومئذ بنت  
جاء ابراهيم باسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من  
أمر لك أن تتركنا بارض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس قال ربى أمرنى قالت  
اذا انه لن يضييعنا فلما ولى قال ربنا انك تعلم ما نخشى وما نعلن دعنى من الحزن ثم قال رب انى  
أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس  
تهوى اليهم الى آخر الآية فلما ظمئ اسمعيل جعل يفحص فى الارض برجله فانطلقت هاجر حتى  
صعدت جبل الصفا لتنظر هل ترى شيا فلم تر شيئا فالتحدرت الى الوادى فسعت حتى أتت جبل المروة  
فلم تر شيئا وفعلت ذلك سبع مرات ثم أتت اسمعيل وهو يفحص الارض برجله وقد ذهبت عين  
زمزم ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء وكانت قبائل مستوطنة بوادى القرب من مكة فانتقلت  
جرهم الى مكة من أجل الماء وأقاموا مع هاجر واسماعيل وشب وترعرع اسمعيل بينهم وتزوج اسمعيل  
من جرهم ثم أمر الله سبحانه وتعالى ابراهيم أن يأتى مكة لبناء البيت فبناه مع اسمعيل وشيدها ثم أمره  
الله سبحانه وتعالى بذبح ابنه ليمتحنه في دينه كما سنذكره

ومن بعده مضى مدة من هذه الحوادث كان ابراهيم جالسا فى مساء يوم من الايام على باب خيمته فرأى



على بعد ثلاثة أشخاص آتين فقام اليهم ورحب بهم على عادته الشرقية وحشهم على أن يقيموا عنده  
هذه الليلة وكان قد وسع الله عليه الرزق فقبلوا ضيافته فخرج إلى أهله فبأمره جعل سبعين قد حنطه أي  
أنضجه فقر به اليهم فأمسكوا أيديهم عنه وكان أحدهم جبريل ومكان معه فلما رأى أيديهم لا تصل  
اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وقومه يسدوم وكان  
القوم عاكفين على الخبائث والكبائر وفعل القبائح وكان لوط ينهأهم ويعظهم فلم يقدفهم فائدة  
وكانت سارة في داخل الخيمة عند قول الملائكة إنا أرسلنا إلى قوم لوط فضحكت لما عرفت من أمر الله  
ولمات لم من قوم لوط فبشرنا هابا بحق ومن وراءه الحق يعقوب فقالت وصكت وجهها ألدو أنا  
بحوز إلى قوله تعالى جسد مجيد فسمعه الملائكة فغضبها جبريل وقال لها أتعجبين من أمر الله  
وجددوا لإبراهيم وعد الله سبحانه وتعالى وأن سارة لا بد أن تحمل منه بولد في ظرف سنة وقالوا لإبراهيم  
تيقن أن وعد الله حق وأنه لا يخلف الميعاد فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري سار معهم  
في طريقهم إلى سدوم مسافة من الطريق وعلى حسب ما خصه الله من الكرم وأنه سيكون أبالامة  
مختارة ذهب بجادل جبريل في قوم لوط وفيما يريد الله سبحانه وتعالى من هلاكهم ودمار سدوم وعمورة  
ومدائن السهل عقابا لهم على سوء أفعالهم وركوبهم الخبائث والمنكرات فقال إبراهيم لجبريل  
أرأيت أن كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعد ذنبهم الله قال  
وأربعون قالوا وأربعون حتى بلغ وان كان فيهم عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ان فيها لوطا قالوا  
نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الأمر أنه كانت من الغابرين ثم استمرت الملائكة في سيرهم إلى نحو  
سدوم وأخذ إبراهيم في الابتغال والدعاء متشفعا إلى الله تعالى في المدائن وأهلها فأوحى الله إليه ان  
كان فيهم عشرة فاني لأعذبهم وكان هذا القدر لم يوجد ولما وصلت الملائكة سدوم أنذروا لوطا  
وأهله وجاء قوم لوط يهرعون اليه فقال يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيقي أليس منكم رجل رشيد  
ونهاهم ورغبهم وقال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق  
وانك أنت تعلم ما نريد أولم ننهك عن العالمين فلما لم يقبلوا منه قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد  
فلما قال ذلك وجل عليه الرسل وقالوا ان ركنك أشد يد وقالوا لوط إنا نرسل ريك ان يصلوا اليك فاسر  
بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا ياتفت منكم أحد وما مضوا حيث تؤمرون ودمر الملائكة  
مدائن سدوم وأهلها وكلاهما واهراة لوط وكانوا خمس مدائن هي (سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة)  
ونجى الله لوطا وأهله وسكن لوط مدينة صعوة حيث صفح الله عنها وأهلها بدعا لوط لهم وأخر  
الأربع المدائن الأخر وكانت المدينة العظمى هي سدوم ولما خشى لوط على نفسه من الإقامة في  
صعوة هاجر إلى أرض الجليل وسكن في كهف شرقي البحر الميت وخلف لوط في هذا المكان ابنيه موآب  
وبن عمي اللذين تناسل منهما الموآبيون وبنو عمون وهم الذين وجدهم موسى ويوشع قاطنين في الأراضي  
السكانة في شرق نهر الأردن والبحر الميت

ومن بعد خراب مدائن السهل بقليل رحل إبراهيم إلى الجهة الجنوبية واستقر في إقليم جرار الموجود  
بين مصر وفلسطين وعقد محالفة مع ملك تلك البلاد وكان اسمه أبي مالك بجانب بئر تسمى بئر السبع  
ومعناه بئر الحلف أو القسم وحالما كان قاطنا في بئر السبع وضعت امرأته سارة الوارث الموعود به



ابراهيم من مدة طويلة فاختاره ابراهيم وسماه اسحق كما أوصاه الله بذلك وكان عمر ابراهيم لما ولد اسحق مائة سنة

ولما انفق اسحق احتفل ابراهيم في يوم فطامه بولادة عظيمة صنعها وفي أثناء الوليمة رأت سارة اسمعيل يسخر بابنها ويشينه فقام في وجهها الغضب من شدة ما نالها من الزعل والحنق فطلبت من زوجها طردها جبروا اسمعيل حتى لا يرى اسحق بعدا حدينازعه في مكانه في بيت أبيه وكان ابراهيم مائلا بكليته لحب اسمعيل فتردد في أمره فأوحى الله إليه أن يطيع ما قالته سارة ووعد أنه يبارك في اسمعيل ويجعله أبالامة عظيمة وأمره أن يأتي به وبأمه مكة فكان ما أسلفنا ذكره

والظاهر أن ابراهيم أقام سنين عديدة في نواحي بئر السبع وفي مدة مكثه فيها وطدا قامة شعائريته وأمره الله سبحانه وتعالى أن يأخذ ابنه اسحق ويقر به قريبا نا إلى الله تعالى فولوا أنه حصل لابراهيم كدر

قليل إلا أنه امتثل أمره به وأخذ اسحق وتوجه به إلى أرض المريا والصحيح أنه الجبل الذي بنى عليه معبد أورشليم فيما بعد وبني ابراهيم في هذا المحل مذبحا واستعد لتقريب اسحق قريبا نا فأعزاء الله من ذلك وأعلمه بأنه كان يريد امتحانه في دينه وصداقته له ورضى الله سبحانه وتعالى عن ابراهيم بما أراه من دلائل طاعته وفداه بذبح عظيم أي أن ابراهيم قبض على قرني خروف كان في شجر العوسج وقربه قريبا نا بدل ابنه وجدد الله لابراهيم وعده مكافأة على ما حصل من طاعته له واختلاف العلماء في مسألة الذبيح فن قائل أنه كان اسمعيل ومن قائل أنه كان اسحق لا لزوم لذكرها هنا

ومن بعد حصول هذه الحادثة بقليل عاد ابراهيم إلى مسكنه القديم في عمر بالقرب من حبرون وفي هذا المحل توفيت سارة بعد أن بلغت من العمر مائة وسبع وعشرين سنة فاشتري ابراهيم لها غارا المكفيلة من بني حث ودفنها فيه وجعل هذا الكهف مدفنا لعائلته وروى أن ابراهيم بعد دفن سارة عاد إلى أرض بئر السبع وكان في هذا الوقت طاعنا في السن وحادا وأنه ومن ثم عزم على أن يخطب لابنه اسحق زوجة ولكي تكون ذرية اسحق من نسل طاهر جمع عزمه على أن يزوجه ابنة عروسا من أقاربه فن ثم أرسل اليعازر أمين بيته إلى نواحي ميزوبوتامية وواتقه بقسم أكيد أن يختار لابنه اسحق زوجة بعرفته من عائلته ولما وصل اليعازر إلى حيران أو حاران وتقابل مع عائلة بتويل بن ناحور أنى ابراهيم وقع اختياره بالالهام الإلهي على ربقا مباشرة وكانت هذه الشابة أجمل بنت في البيت وأصغر من فيه فلما سمعت بما جاء اليعازر من أجله رغبت وسلمت في كونها تترك عائلتها وتصير زوجة لاسحق ابن عمها وصحبت اليعازر ورجع بها عائدا إلى أرض كنعان وقابلها اسحق وأبوه ابراهيم مع غاية الاحتفال والابتهاج وكان عمر اسحق يوم زواجه أربعين سنة

ومن بعد مضي مدة من اجتماعهما أقدرها عشرون سنة ولدت له عيص ويعقوب توأمين ومعنى عيص أدوم أي الأحمر بسبب احمرار جلده ويعقوب أي المتعقب ومن بعد زواج اسحق تزوج ابراهيم بامرأة أخرى مع أن عمره كان بلغ مائة وأربعين سنة وكان اسمها قطورة فولدت لابراهيم ستة أولاد وهم نغشان وزمران ومدين ومدان ونشق وسرح فكان جميع أولاد ابراهيم مع اسمعيل واسحق ثمانية وكان اسمعيل بكره ومدين هو أبو المديانيين وهم سكان الأراضى الموجودة بين البحر الميت وخليج عيلام (العقبة) من البحر الأحمر إلى الساحل النابتاني وأهدى ابراهيم لهؤلاء الأبناء الستة



هذا يا جليله وأخرجهم من أرض فلسطين حتى لا يكون لهم تداخل فيما يرثه اسحق ووصى ابراهيم بجميع أمواله الغزيرة الى اسحق ومات وكان موته على المشهور في بئر السبع بعد أن بلغ أحسن العمر وأجوده وكان عمره مائة وخمسا وسبعين سنة وكان موته بعد ولادة العيص ويعقوب بخمسة عشر سنة ودفنه ولده اسمعيل واسحق في غار المكفيلة

واستمر اسحق بعد موت ابراهيم مقبلا بجهة بئر لحي روثى من الطرف الجنوبي لأرض فلسطين وفيها شب ولده وترعرع حتى بلغ مبلغ الرجال فكان العيص همجيا وحشيا طائش العقل صاحب صيد مجبا لآبيه اسحق وكان خشن البدن كثير الشعر جالبا للقلق والارتباك على والديه ولما بلغ عمره أربعين سنة تزوج امرأتين من بني حث على غير رغبة من آبيه وبهذا أدخل الارتباطات الوثنية في العائلة المختارة المصطفوية وأما يعقوب فكان على سكينته ووقار رجلا ساهما هادئا في حركته وسكانه مدبرا في أموره مستحضرا لأن ينال بالدهاء ما يرغب أن يستحوذ عليه العيص بالقوة الجبرية وكان ناعما جلدا محبا لأمه مواظبا على الطريقة والسلوك الهادي في رعي الأغنام والمواشي مكنونا في الخيمة عند عدم وجود أشغال له

ثم إن العيص جاء يوما من الأيام تعبانا جهدا ن جوعا ن من الصيد فرأى يعقوب يحضر لنفسه أكلة لذينة من عدس أحمر فطلب عيص من يعقوب قليلا من هذا الأحمر فطلب يعقوب منه أن يبيعه حق بكوريته بهذه الأكلة ولما كان الصياد يرغب فقط في سد رمقه جوعته في الوقت رضى أن يبيع حق بكوريته ليعقوب مع الطيش وعدم التبصر وتراعى له أن حق بكوريته ثمن بخس في مثل هذه الأكلة فلهذا لقبه بعض الناس بالرجل الشهواني الذي باع حق بكوريته بقلعة من طعام العدس ومثله بالذين يفقدون نعمهم الدائمة بلذة وقتية وشهوة دنيوية والظاهر أن عدله في هذا الحكم أخذ من ملاحظته يبيع حق البكورية بثمن بخس مثل هذا وكان العيص بالنظر لحقوق البكورية رأس العائلة وأمامها وملئها ولا يمكن أحدا إبطال هذه الخصائص وهذه الامتيازات الا اذا أبطلتها أو أضر الهية تنزل من عند الله المعطى الوهاب فضلا عن أن يكون هذا الخير والبركة في بذرته وعقبه الموجود على وجه الأرض وأن يكون رأس العائلة المختارة وتنقل اليه بركة ابراهيم ومواعيد الله التي وعدها الله بها ولما استخف بحقوق بكوريته وازدرى بها أخرج نفسه من العائلة الطاهرة وصار رجلا شهوانيا دنيويا وتولد مما أجزاه يعقوب من الحيلة والدهاء منفعة عادت عليه وحصل معها تغييرات كبيرة كما سنذكره في سرد تاريخه

وأخيرا فانه لما اقترب عمر اسحق من مائة سنة وأتذره طول حياته وكف بصره بان انقضاء أجله قد حان ولا بد له من أن ينقل دعوة ابراهيم وبركته وهي الحكم والنبوة وهي هبة لا تلغى أوصى بها الى العيص وما اعترف العيص لآبيه وقال له انه باع حق بكوريته وما كان ليعقوب جراءة أيضا على أن ينال بحيلته التي أجزاها فائدة لنفسه وكان أبوهما غير عالم بما أجزاه يعقوب من شرائع حق البكورية وان له البركة والسعادة فأخبر اسحق ابنه العيص بما يريد من أمره وقال له لما كبر وعي يا بني أطمعني لحم صيد واقترب مني لأدعوك ببركة ابراهيم وأنقل الوصاية اليك وكان أبوه كثير المحبة له فخرج العيص الى الصيد لطلب اللحوم اللازمة لآبيه وكان كثير المحبة لها وفي مدة غيابه قصت ربة على يعقوب قصدا زوجها وقالت له يا بني اذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل



ذلك يعقوب فلما جاء قال يا ابتاه كل قال من أنت قال أنا ابنك عيص فسه اسحق فقال المس مس عيص  
والريح ريح يعقوب فقالت أمه انه عيص فكل فأكل ودعاه أن يجعل الله في ذريته النبوة والملك  
وقام يعقوب ولما جاء العيص الى البيت كشف خبر الفعلة التي فعلها أخوه التي يستحق عليها المؤاخذه  
فتوجه الى أبيه وقال له قد جئت يا أبي بالصيد الذي طلبت فقال يا بني قد سبقك أخوك خلف عيص  
ليقتلن يعقوب فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فدعاه أن تكون ذريته عدد التراب وأن لا يملكهم غيرهم  
وأن يكون عيص على طاعة أخيه ولا يتعرض له بسوءهما أن الدعوة سبقت له ولا يمكن رجوعها  
لغيره

وعزم عيص على قتل أخيه يعقوب من هذا الوقت لأنه لما كان لا يرغب أن يفجع فيه أباه أخرجه من  
به حتى يموت اسحق ولما استيقظت ربة ذلك حرضت زوجها على أن يرسل يعقوب الى أهلها لحفظها  
على سلامته وكان اسحق على رغبة زائدة في هذا الامر اذ يتيسر الحصول ليعقوب على زوجة من الدم  
الطاهر فأخذ وارث العهد عصاه في يده وخرج مسافرا الى ميزو بوتاميه سالكا في رحيله الطريق التي  
دخل منها ابراهيم أرض كنعان ولما وصل الموطن القديم الذي كان ابراهيم قاطنا فيه وهو بيت إيل  
قضى ليلته فيه وأخذ حجرا ووضع تحت رأسه كوسادة له ومن المحتمل أن هذا الحجر كان أحدا للحجارة  
التي ابنتي بها ابراهيم المذبح فرأى في منامه رؤيا أن الله سبحانه وتعالى زاره ورأى سماء منيرة صاعدا  
واصل من الأرض الى أبواب السماء صاعدة عليه الملائكة ونازلة يفعلون ما يؤمرون كأنهم مأمورين  
روحانيين في الأرض ذوى شدة وبأس ولهم صور جميلة وهيأت ظريفة عجيبه مجرين المحافظة على  
عياله وأن الله تجلى له في المنام وحدث معه الميثاق الذي واثقه مع ابراهيم وأعطاه موعدا خاصا به من  
المحافظة على حياته فاستيقظ يعقوب من منامه وأقام في هذه البقعة مذبحا وسماه بيت إيل ومعناه  
بيت الله اعترافا بوجود الله سبحانه وتعالى وتنسك في نفسه مع غاية الخشوع والخضوع أن جميع  
ما سيعطيه الله له هو بخصوص خدمة خالقه وهذه الحادثة العظيمة التي تولد منها توجه يعقوب الى  
الحالة الدينية حصلت عندما يبلغ عمره سبعاً وسبعين سنة

ثم استمر يعقوب راحلا في سيره حتى وصل الى موطن خاله لابان أخى أمه في نواحي فدان ارم فقابلوه مع  
الرحب والسعة وشغف في الوقت بحب راحيل الجميلة بنت خاله وكانت أصغر بنت في بيت خاله فأخذ  
يخدم خاله في رعي الأغنام بالاجرة وطلب من خاله زواجه براحيل وأن تكون خدمته له من أجلها مدة  
سبع سنوات فقبل لابان هذا الشرط وكان أكثر دهاء من يعقوب وانتهز الفرصة وجعل حالة  
الزواج على حسب عادة البلاد فزوجه ابنته الكبيرة اياها وكانت مصابة بمرض في عينيها فشق ذلك  
على يعقوب وغضب وأخذ هذه الحق من فعل خاله هذه الخيانة لكنه كظم غيظه وأخفى أمره والتزم  
الانقياد لطاعة خاله واتفق أن يخدم لابان سبع سنين أخرى من أجل محبوبته راحيل وفي هذه السبع  
سنين ولد ليعقوب أحد عشر ولدا وبنت واحدة فكان أولاد ليا رويين وشمعون ولاوي ويهوذا  
ويساكر وزبولون وولدت راحيل ولد اسماء يوسف وولدت ليا بنتا سماها دينة وكان ليعقوب غير هؤلاء  
أربعة أولاد آخر من سريتين له وهن بلهة جارية راحيل ولدت له دان ونفتالي وكذا زلفة جارية اياها  
ولدت له جاد وأشير

ومن بعد ولادة يوسف وكان هو أصغر هؤلاء الإبناء اشتاق يعقوب الى العود والرجوع الى بلده فأخبره



لابان بأن يخدمه مدة ما بأجرة تقدر له من قطيع الاغنام فقال له يعقوب ان نصيب من الاغنام ينبغي أن يكون فيه اشارات مخصوصة فشرع لابان في بطلان هذا الرأي بطرائق غير محدودة ومن ثم احتال له يعقوب وكان ماهر في تربية الاغنام ومواليدها ووقيتها فجعل لنفسه القسم الاكبر من نتاج الاغنام وصار يعقوب بهذه الحالة في ثروة عظيمة من المواشي والخدم والجمال والحجر

وبعد أن أقام يعقوب عشرين سنة مع لابان أمره الله سبحانه وتعالى أن يرجع الى أرض كنعان فخشي أن لابان ربما يمنعهم فرحل على خفية من لابان ولما عبر نهر الفرات مر من وسط الصحراء من طريق عين بليرا وهي مدينة تدمر ثم رحل عبر القسم الشرقي من سهل دمشق وهضبة جبل باشان ودخل في اقليم جلعاد الكائن شرقي نهر الاردن وهو الحد الفاصل بين فلسطين وصحراء سوريا فلحقه في هذا المكان لابان مع قوة كبيرة من قومه وكانت راحيل حملت معها آلهة بيت أبيها وأخفيتها بتدبير منها وأنذر الله سبحانه وتعالى لابان أنه لا يضر يعقوب ولا يؤذيه ولما ضل سعيه وخاب أمسه وفتش على أصنامهم فلم يجد ما على معاهدة مع يعقوب وكوم كوما من الحجارة شاهدة عليه بهذه المعاهدة ثم فتح يعقوب عينيه فرأى جسامن الملائكة جنود الله أرسلت للمحافظة عليه ومعسكرين بالقرب من محل اقامته ولما رأى نفسه قريبا من جبل سعيرو وكان أخوه عيص فيه رئيسا وصاحب قوة وشوكة أوجس يعقوب في نفسه خيفة من أن عيص ربما يبحث على الاخذ بثأر ضياع حق البكورية ويبطش به ويقتله ويقبض على أهله ومواشيه فأرسل له يعقوب رسولا آمينا بالسلم والصدقة فجاء عيص لمقابلته في رأس أربعمائة محارب فارتاع يعقوب من ذلك واستعد للملاقاة فاطار المهدد له وقسم أهله ومواشيه الى قسمين وقصده بذلك نجاة الثاني ان وقعت الغارة على الاول ثم توجه بالدعاء والابتغال الى الله تعالى وبعد ذلك أرسل هدايا الى أخيه وقضى ليله وقام قبل طلوع النهار من صباح اليوم التالي وأرسل أزواجه وأولاده الى يوق وبقى هو وخلفهم يجهز نفسه بفكره على حدثه لما يلاقيه في النهار وبينما هم مقيم في مكانه مشغول بأفكاره اذ ظهر له انسان وقصارع معه حتى لاح الفجر ولما رأى الرجل من يعقوب القوة وأنه غير متيسر له الغلبة عليه قبض على حق نخذه وخلعه وقت مصارعتة اياه وقال له دعني أتوجه لان الفجر انفاق فقال له يعقوب لا أدعك تذهب مالم تدع لي بالخير والبركة فقال له ما اسمك قال يعقوب قال لا نسسم نفسك بعد اليوم باسم يعقوب بل اسراييل لانك حزن الامة والقوة عند الله وعند الناس فسأله يعقوب أرجو أن تخبرني عن اسمك فقال له ما هي الاسباب التي دعيتك أن تسألني عن اسمي ودعاه بالبركة في هذا المكان وسمى يعقوب هذا المكان باسم (فَيْثِيل) ومعناه رأيت الله مواجهة وصارت حيايتي محفوظة

ولم يشف يعقوب من العرج الذي أصابه في نخذه من قبض الملك عليه وصارت بنو اسراييل لا يأكلون أعصاب الانخاف في غالب السنين تذكرا لهذه الحادثة

ولما نزل يعقوب وادي يوق تقابل مع أخيه عيص فرحب به مع الاشتياق الزائد والمحبة القلبية وصفح العسكري الخشن عما كان في قلبه من مدة طويلة عن أخيه نظير ما فعله معه من الدهاء بخصوص النعمة الالهية التي لا يعادل قيمتها شيء واكتفى بالفوز والنجاح الدنيوي وكان ذلك من قسمته ونصيبه

ومن بعد أن اجتمعوا مع بعضهم ماوتهم اخبار جمع عيص الى جبل سعيرو واستمر يعقوب في سيره حتى وصل نهر الاردن فعبه من ناحية سكوت ولما دخل أرض كنعان توجه الى وادي شكيم وكان فيه مدينة



كبيره من الجورين واشترى منهم قطعة أرض كانت هي الملك الاول للعائلة المختارة في الارض  
الموعودة وبني فيها مذبحا سماه مذبح ايل أي اله اسرائيل

ومن هذا الوقت ابتدأ يعقوب في مقاساة الاهوال والشدائد في مدة حياته وذلك لحصول شيء لا يليق  
ذكره بينه وبين شكيم بن جور أمير الشكيمين والسبب المذكر انهم زاولا ديفعوب فرصة طرد  
غفراء الشكيمين حتى سقطوا عليهم غيلة وذبحوا جميع ذكورهم وسلبوا مدينتهم وساقوا نسوانهم  
وأطفالهم ومواشيهم وأنعامهم وأغنماهم فغضب يعقوب غضبا شديدا من هذا الفعل القبيح وخشى  
من الكنعانيين رجبا يأخذون بثأر ذبح اخوانهم ويبطشون به فارتحل بأهله وأمتعته الى بيت  
لايل ومنه سار الى الجهة الجنوبية نحو جرا وكان أبوه اسحق في هذا المكان على قيد الحياة وماتت  
زوجته الودودة راحيل في نواحي بيت لحم وقت ولادتها بنيامين ودفنها يعقوب هناك وقبرها موجود  
لحد الآن ثم سار يعقوب الى جرا واتصل به وعاش اسحق بعد ذلك عدة سنين ومات وعمره مائة  
وثمانون سنة فدفنه أبناء عيسر ويعقوب في غار المكفيلة وكان موته بعد بيع اخوة يوسف أخاهم  
يوسف بثلاث عشرة سنة تقريبا

وكان يوسف الابن البكرى لراحيل محبوب أبيه وله أظهر يعقوب محبته واقباله عليه ولما رأى اخوة  
يوسف ذلك حسدوه وعظم عندهم ذلك وزاد على يوسف هذا الحسد كونه كان رقيقا عليهم من طرف  
أبيهم ينقل اليه ما يفعله ومع كونه كان غلاما معمرنا ثمانية عشرة سنة كان يرى منامات عظيمة من جملتها  
أنه رأى في منامه كأن أحد عشر كوبا والشمس والقمر تسجد له فقصها على أبيه فقال له أبوه يا بني  
لا تقص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدها ان الشيطان للانسان عدو مبین ثم عبر له رؤياه فقال  
وكذلك يجتيدك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وقيل ان يوسف قص هذه الرؤيا على اخوته  
أو أن امرأته يعقوب سمعت ما قال يوسف ليعقوب من الرؤيا وما قاله يعقوب من التعبير فلما جاء أولاد  
يعقوب من الرعي أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكرهة له وقالوا له ما أراد بالشمس غير أبينا وما أراد  
بالقمر غيرك وما أراد بالكواكب غيرنا ثم تأمر واينهم أن يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا ليوسف وأخوه  
أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا في ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه  
أبيكم وتكونوا من بعده قوماصالحين قال قائل منهم وهو روبيل وكان أفضلهم وأعقلهم  
لا تقتلوا يوسف فان قتل أخيكم عظيم وألقوه في غيابة الحب بل تقطع بعض السيارة وأخذ عيهم عهدا  
بذلك واجتمعوا سويا ودخلوا على أبيهم فلما رأاهم قال ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف  
واناله لنا همون أي حافظون أرسلنا معنا غدا الى الصحراء يرفع ويلعب واناله لحافظون فقال لهم يعقوب  
انه ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون فقال له بنوه لنأكله الذئب  
ونحن عصبة انا اذا الخاسرون فلما سمع ذلك يعقوب اطمان اليهم وقال يوسف يا أبت أرسلني معهم قال  
أو تحب ذلك قال نعم فأذن له فلبس ثيابا وخرج معهم وهم له مكرمون فلما برزوا في البرية أظهر واه  
العداوة وصاروا يضربونه حتى كادوا يقتلوه وهو يصيح فقال لهم روبيل أو ليس قد أعطيتوني  
عهدا وموتنا أن لا تقتلوه فأنطلقوا به الى الحب فأوثقوه كئفا فأنزعوا قيصه وألقوه فيه ثم عادوا  
الى أبيهم عشاء فيكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا سبق وتركنا يوسف عند بئنا عناقا كاله الذئب فقال لهم



أبوهم بل سؤلت لكم أنفسكم أمرافصبر جليل وأقام يوسف في الحب ثلاثة أيام ثم جاءت سيارة  
فأرسلوا واردهم وهو الذي يتقدم إلى الماء فأدلى دلوه في البئر فعلق به يوسف فأخرجه من الحب  
وقال يا بشرى هذا غلام وأمره بضاعة ثم جاء رويل بطعام ليوسف فلم يره في الحب فنظر فرآه عند  
ماله في المنزل فأخبر أخوته بذلك فأثام الكاوكا وكان رئيس السيارة وقالوا هذا عبد أبق منا وخافهم يوسف  
فلم يذكر حاله وشروهم من أخوته بثمن بخس وذهبوا به إلى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه  
فوطيفار أوفيطقره وهو من ضباط جنده ملك مصر المنوّه عنه في الكتب المقدسة بقلب فرعون فلما  
اشترى هذا الضابط يوسف أتى به إلى منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه عني أن يتقنا وأوتخذه ولدا  
وكانت امرأته حسناء فاعمة في ملك وديار فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة أتاه الله العلم  
والحكمة قبل النبوة وراودته المرأة عن نفسه وغلفت الأبواب عليه وعليها ودعته إلى نفسها فاقال معاذ  
الله انه ربي يعني ان زوجك أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان حياته ظلم فلم تزل به حتى همت  
به وهمّ بهم فإذا هو بصورة يعقوب فدعّض على أصبعه يقول يا يوسف أتواقعهما فلما رأى برهان ربه قام  
هاربا يريد الباب فادرّكه قبل خروجه من الباب فذبته من قيصره من قبل ظهره فقتله وألفيا سيدها  
لدى الباب وابن عمها معه فقاتلت ما جزاء من أراد بأهلك سوا الأنا يسجن أو عذاب أليم قال يوسف بل  
هي راودتني عن نفسي فهربت منها فادرّكتني فقتلت قيصرى قال ابن عمها بيان ذلك في القميص فان  
كان قد من قبل فصدقت وان كان قد من دبر فكذبت فلما رأى قيصره قد من دبر قال انه من كيد كن  
ان كيدك كن عظيم وقال زوجها ليوسف أعرض عن هذا أي لا تذكره لاحد وقال لزوجه  
استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر سيده وبلغ ذلك سيده  
فأرسلت اليهن وأعدت لهن منكاية تكثر عليه أي وسائد خضرن وقدمت لهن أترجا وأعطت كل  
واحدة منهن سكيناً لقطع الاترج وكانت أحلست يوسف في مجلس غير المجلس الذي هن فيه وقالت له  
اخرج عليهن فخرج فلما رأى منه أكبره وأعظمه وقطعن أيديهن بالسكاكين ولا يشعرون وقلن  
حاش لله ما هذا بشران هذا الاملك كريم قالت فذا كن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه  
فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين فاختر يوسف السجن على معصية  
الله تعالى فقال رب السجن أحب إلي مما يدعونني اليه والآنصرف عني كيدهن أصب اليهن فاستجاب  
له ربه فصرف عنه كيدهن ثم بدا للضابط من بعدما رأى الآيات من القميص وغيره أن يضعه في السجن  
سبع سنين ولما حبس يوسف كان في السجن قتيان من خدم فرعون اتهموا بشوكة كانت حصلت  
في سراية فرعون أحدهما كبير ثمراه والاخر كبير طعامه ولما دخل يوسف السجن حبب الله  
عليه قلوب جميع من كان في السجن والسجانين وحكام السجن وقال اني أعبر الاحلام فقال أحد  
القتين للآخر هل فلنجر به فقال كبير الطعام اني أراي أجمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه وقال  
الاخر اني أراي أعصر خمر فقال لهما يوسف أما أحدكما هو الذي رأى أنه يعصر الخمر فيسقي ربه خمر  
وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر لهما قال لا مارأينا شيأ قال قضى الامر الذي فيه  
تستقيان ثم قال له رئيس الشراب وهو الذي ظن أنه ناج منهم ما ذكركم عند ربك المالك وأخبره أني  
محبوس ظمأ نفسي ذلك وتحقق تعبير رؤياهما وصار الصبح والعقود عن كبير السقااة وأعيد إلى  
وظيفة وقتل كبير الطباخين واستقر كبير السقااة على نسيانه حتى مضى على ذلك سنتان ولما رأى



الملك رؤياها آتية أزجيته وهي أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات جمع السهرة والسكرانة وغيرهم من أرباب المعارف وقص عليهم رؤياه فقالوا أضغات أحلام وما نحن بتأويل الاحلام به سائلين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي حين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون فأرسلوه إلى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله لاقليم لا يمأأ كاون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كلن ما قد تم لهم الا قليلا يحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فان البقرات السمان سنين خصبة والبقرات العجاف سنين قحطة وكذا السنبلات الخضر واليابسات فعدا إلى الملك فأخبره فعلم أن قول يوسف حق فقال اتوني به فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك قال له ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فلما رجع الرسول من عنده يوسف سأل الملك أولئك النسوة فقالن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز آخذ برتنانها راودته عن نفسه ففعلت امرأة العزيز بنا راودته عن نفسه ذلك أي انما اوددت الرسل اعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب في زوجته فلما ظهر للملك براءة يوسف وأما ته قال اتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول خرج معه واغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك فلما وصل اليه وكله قال انك اليوم لدينا مكيين أمين فقال له يوسف ان رؤيا الملك من الانبيات الغيبية وانها من عند الله تذر به محصول ما سيقع من سني الخصب وسني القحط واني أحث الملك على أن يستعد سني القحط بعمل أشوان لحصولات الغلال في مدة سني الخصب في نقط وفي مجلات معينة من مملكته للاقاة سني القحط

وكانت مملكة مصر في ذلك الوقت مقسومة إلى مملكتين وهما مصر العليا المعروفة بالصعيد كانت محكومة بمملوك من الوطنيين المصريين ومصر السفلى وكانت محكومة من قرون مضت بفاتحي الكنعانيين المعروفين بالرعاة أو الهكصوص وكان هؤلاء يستحسنوا العوائد المصرية ولغتهم وكان الملك الذي أرسل ليوسف أحد العائلة الهكصوصية واسمه أبوفيس أو أيبي وحصل له من تعب يوسف رؤياه خوف شديد وارتباك فقال ليوسف ماذا يكون الامر في ذلك فقال له يوسف اجعاني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فولاه عمل مصر وسلمه ختمه وقضيه وجعل الامر والنهي بيده وأصدر الملك أوامره بانقياد الاهالي وطاعتهم له وشرع في بناء الاشوان والمخازن في كل جهة من جهات المملكة واقبه المصريون باسم ظفئات ففتح أي مغذي مصر وتزوج بزوجته اسمها سنان بنت فوطيفار ع كبير قسس هليو پوليس المسماة بالمطرية أو عين شمس وولدت له ولدين منشا وإفرايم فلما ولي يوسف خزائن أرضه ومضت السنوات السبع المخصبات وكان جمع في مدتها الطعام في سنبله ودخات السنون الجديدة وقط الناس كان عنده في أشوانه من الغلال والذخائر ما يقوم باحتياج أهل مصر وما يبيع منه للبلاد المجاورة مصر التي ربما يصيبها القحط فكان يبيع لأهل مصر بالاعنان الباهظة بشروط قوية صعبة ويطلب منهم أن يسلموا الرواتب المضروبة على الارض اللازمة لوقاية حياتهم وضرب عليهم خمس محصول الزراعة أجرة الفلاحة والارض زيادة عن الخراج الملوكي المرتب عليهم من قبل وما كان هذا القانون جارياً على القسس لانهم كانوا مستحوزين على طلباتهم واحتياجاتهم من الاشوان العمومية

وانتشر هذا القحط حتى وصل قسم فلسطين وكان يعقوب مقيماً فيه فبعث بنيه إلى مصر وأمسك



بنيامين أخ يوسف لأمه فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وكان انكارهم له لبعده عنهم  
 عنهم وتغير ملابسهم الموصية فلما نظر اليهم قال ماشاءكم قالوا نحن من أرض فلسطين جئنا بختار  
 الطعام وأخذنا من ألبانهم وأخيهم الأصغر بنيامين ثم قال لهم انتم توني به أنظر اليه فان لم تأتوني  
 به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سرادعنه أباه وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم أي عن الطعام  
 في رحالهم لعلهم يرجعون وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم فكان لا يحمل  
 للرجل الا بعيرا واحدا فلما رجعوا الى أبيهم بأجلهم قالوا يا أبانا ان عزيز مصر قدأكرامنا كرامة  
 لو أن بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته وقال أتوني بأخيكم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي  
 ولا تقربون قال هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل فلما فتحو امتاعهم وجدوا  
 بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير  
 قال يعقوب ذلك كيل يسير فقال يعقوب ان أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتني به الا أن  
 يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ثم أوصاهم أبوهم وقال يا بني لا تدخلوا من  
 باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة ولم يدخلوا على يوسف أباه وعرفوه وأنزلهم منزلا وقدم  
 لهم الطعام وأجلس بجانبه بنيامين أخاه ولما أكلوا قضوا اليهم في منزله ولما جل يوسف ابل اخوته  
 من الميرة جعل الاء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه فلما ارتحلوا أذن مؤذن أيتها العير انكم  
 لسارقون قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لفسد في الأرض وما كنا سارقين لا تاردنا عن الطعام الى يوسف  
 فلما قالوا ذلك قال فباي رآؤهم ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤهم من وجد في رحله فهو جزاؤهم تأخذونه انكم  
 فبدأ بأوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من  
 قبل يعنون يوسف ولما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال اخوته يا بني راحيل لا يزال لنا منك  
 بلاه فقال بنيامين بل بنو راحيل ما يزال لهم منك بلاه وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم  
 في رحالكم فأخذ يوسف أخاه بحكم اخوته وقالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا أخذ أحدنا مكانه فقال  
 معاذ الله ان تأخذنا من وجدنا متاعنا عنده فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم  
 فقال كبيرهم وهوشمعون وأوروبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله أن تأتيه بأخيना الا  
 أن يحاط بنا ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي بالخروج وقيل  
 بالحرب فارجعوا الى أبيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى أبيهم وأخبروه بخبر بنيامين وتختلف  
 روبييل قال بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن ياتيني بهم جميعا يوسف وبنيامين  
 وروبييل ثم أعرض عنهم وقال واحزنه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم أي ملي من  
 الحزن والقيظ فقال له بنوه تالله لا تزال تذكرك يوسف حتى تكون حرضا وتكون من الهالكين فاجابهم  
 يعقوب انما أشكو بشي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ثم ان يعقوب أمر بنيه الذين قدموا  
 عليه من مصر بالرجوع اليها وتجسس الاخبار عن يوسف وأخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف  
 وقالوا يا أيها العزيز منسنا وأهلنا الضرو جئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا  
 بردأخيना فلما سمع كلامهم غلبته نفسه وسكت عبراته وعرفهم بنفسه بعد قوله لهم هل علمتم ما فعلتم  
 بن يوسف اذ أنتم جاهلون قالوا انك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد قدم من الله علينا بان جمع  
 بيننا فاعتذروا وقالوا تالله لقد آثر الله علينا وان كنا خاطئين قال لا تريب عليكم أي لا أذكركم



ذنبتكم يغفر الله لكم ثم سأله عن أبيهم فقالوا لما فانه بنيامين عمنى من الحزن فقال اذهبوا بقيصى هذا  
فألقوه على وجهه أبى يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجعين فقال روبيل أنا أذهب به لاني ذهبت اليه  
بالقيص ملطخا بالدم وأخبرته أن يوسف أكله الذئب فانا أخبره انه حي فافترحه كما أحرته وكان هو البشير  
ولما فصلت العير عن مصر قال يعقوب انى لا جدرج يوسف لولا أن تفندون فقال له من حضره من  
أولاده تالله انك من ذكري يوسف انى ضللك القديم فلما أن جاء البشير بقيص يوسف ألقاه على وجهه  
يعقوب فعاد بصيرا وقال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون وقال يعقوب للبشير كيف تركت  
يوسف قال تركته ملكا مصر قال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام فقال الا نمت  
النعمة فقال له من حضره من أولاده يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا قال سوف أستغفر لكم ربى ثم ارتحل يعقوب  
وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يلقاه ومعه أهل مصر ولما دخلوا مصر رفع أبويه يعنى أباه  
وحالته على العرش أى الكرسي وخر له يعقوب وخاتمه واخوته سجدوا وقال يا أبتي هذا أنا ويل رؤياي من  
قبل قد جعلها ربى حقا وعند نزول العائلة المختارة فى مصر تم وعده من المواعيد التى وعدها الله  
سبحانه وتعالى ابراهيم ومنحههم ملك مصر الاراضى الكائنة فى اقليم غسان أو حسان من مديرية  
الشرقية فى أرض مصر فاقاموا فيها

ومن بعد مضى سبع عشرة سنة توفى يعقوب فى مصر بعد أن بلغ من العمر مائة وسبعاً وأربعين سنة  
واستغفر لاولاده ودعاهم بالبركة والخير وهو على فراش موته وأخبرهم بأن أولادهم وذريتهم المواعيد  
الالهية التى أعطيت لابراهيم وأن يكونوا رأس العائلة المختارة وأن روبيل وشعمون ولاوى أولاد يعقوب  
الكل فصلوا أنفسهم من الورثة بسبب ما حصل منهم من الجرائم والذنوب وبعد أن مات يعقوب صبرت  
جثته مثل عادة المصريين وحمل فى محفل عظيم مع يوسف واخوته وقوة عظيمة من خضر العساكر  
المصرية الى فلسطين ودفن فى قبر ابراهيم فى حبرون ثم بعد ذلك عاش يوسف خمسين سنة متمتعا  
بالسرور والرفعة والاحلال محافطاً على عائلته حتى مات بعد أن بلغ من العمر مائة سنة وعشرين  
بعد أن عقد محالفة مع اخوته وهو على فراش موته بحمل جثته الى أرض كنعان عند خروج  
الاسرائيليين من مصر

قيل ان اسم شعيب يثرون أو يثرووان الله تعالى أرسله الى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة ومعناها الشجر  
الكثيف الملتف وكانوا أهل كفر بالله وبجنس الناس فى المكاييل والموازين وافساد أموالهم وكان الله  
وسع عليهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا  
تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط فلما طال تماديهم فى غيهم  
وضلالهم ولم يزد هم تذكير شعيب ونحوذيره اياهم عذاب الله الاتعديا ولما أراد هلاكهم سلط  
عليهم يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وذلك أن الله بعث عليهم وقدة وحرا شديدا فاختبأ بعضهم  
تحت جوام من البيوت هاربين الى البرية فبعث الله عليهم نجابة فأظلمت من الشمس فوجدوا الهابدا  
ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فأرسل الله عليهم نارا فأهلكهم فهذا عذاب يوم الظلة





## ( الباب الثاني )

خروج الاسرائيليين من مصر واضلالهم في وادى التيه

شيوخ الامة الاسرائيلية في مصر - احوالها في وادى غسان - طرد الهكصوص من مصر - قيام العائلة التاسعة عشرة - الظلم والجور الشديد الذى حصل للبرانيين - مولد موسى عليه السلام - تربيته وتهذيبه كاميرو مصرى - هجرته من مصر - حياته أو معيشته في جبل سيناء - التهاب العوسجة - دعوة موسى لان يكون قائداً لقومه - توجهه الى سراية فرعون - عدم قبول طلبه - آيات مصر وآفاتهما - ترتيب ونظام عيد الفصح - الخروج - عبور البحر الاحمر - السير أو التوجه الى سيناء - تشريع الشريعة - ترتيب الامة - الشروع في السير - رجوع الجواسيس - عصيان الاسرائيليين - هزيمتهم بواسطة الكنعانيين - ضلالهم وجولانهم في الصحراء - موت هارون - التقدم الى الارض الموعودة - التغلب على الاراضى الموجودة في شرق الاردن - هزيمة الموآبيين - موت موسى عليه السلام

لم يبتدىئ التاريخ الحقيقى للاسرائيليين بأنهم كانوا أمة الامن بعد رحيلهم من مصر وأما ابراهيم وذريته فكانوا حالة نزالة على الارض الموعودة لا يملكون فيها شيئا

ومكث الاسرائيليون في الارض الخصبه من وادى غسان مدة مقدارها مائتان وخمس عشرة سنة وفي هذه الجهة حصل لهم النجاح والفوز حتى بلغوا الى درجة عظيمة وذلك أن العائلة التى كانت مركبة من سبعين شخصا ودخلت مصر مع يعقوب عليه السلام نمت وشتت وصارت أمة كثيرة العدد تبلغ احصاؤها نحو من ثلاثة ملايين نسمة وجعلوا أنفسهم أمة قائمة بنفسها على حدة من المصريين مع اغتنامهم وعوا ثديهم وعبادتهم الدينية وحكومة نبوية بينهم ومن المحقق أنهم لم يعبدوا الله حق عبادته بل كانوا على بقايا من عبادة اله ابراهيم واسحق ويعقوب الا أنهم لم يقبلوا الدخول في الشعائر الوثنية التى كانت جارية في عبادة المصريين وكانوا يحكمونهم بامر ائمة من أنفسهم وتأمين مباشرة لدى الحكومة المصرية في جمع الضرائب والعوائد المقررة على المستعمرة العبرانية

وفي أثناء هذه المدة نجح الملوك القبلية الموجودون في الصعيد وطردها عائلة الرعاة ومدوا حكمهم على مصر السفلى حتى صارت مملكة مصر واحدة وكانت هذه العائلة الوطنية على غاية من المجد والافتخار لم تحكم مصر عائلة مثلها قبلها وكان ملوكها يكرمون المستعمرة العبرانية ويحترمونها وجوهها وأجلها

ثم تغير هذا الموضوع وانقلب الحال عندما حكمت العائلة التاسعة عشرة من العائلات المصرية واستلمت زمام الشوكة والسلطنة وذلك أن هؤلاء الملوك رأوا أنه يتولد من العبرانيين الضرر والاكبر والخطر الاعظم بسبب ما هم عليه من كثرة العدد والتبوء فأبلاوهم بالظلم القاسى والجور الشديد وقصدتهم بذلك نقص شوكتهم وهلاك أنفسهم وكان الملك الذى شرع في هذا الامر اسمه رع عيس وكان رجلا حريصا مستبدا في حكمه ذا شدة وعنف فحمل الاسرائيليين أثقل الاعمال من الاشغال الصعبة وألزمهم أن يكونوا في أشغالهم تحت ملاحظتين ومرقبين ذوى بأس شديد وكلفهم بالاشغال في بناء المداين والهياكل ولم أرأى الملك أن ما أجراه من الاعمال على الاسرائيليين بغير فائدة من تحملهم المشاق



والمتعاب وأنهم لا يزالون مستقرين في النمو وكثرة العدد غضب غضبه أشد وأمر بقتل الذكور من  
أطفال العبرانيين وقت ولادتهم وأحياء الإناث ليكن زوجات للمصريين وبذا عشم الملك في انقراض  
كامل هذه الأمة

وكان عمران وهو رجل من سبط لاوي متزوجا بوحنا امرأة من عين السبط فخلف منهما طفلين سمي  
أحدهما هارون وبنتا سمها مريم وبعد ولادتهما باقيل انتشر الأمر القاسي من الملك وهو فرعون  
فولدت يوحنا ابنة آخر أخفته مدة ثلاثة أشهر من أمر موري الملك وقيل أجمع فرعون وبكار قومه على  
أن يبعث رجالا يقتلون كل مولود في بني إسرائيل وأمر القبط أن يخرجوا عما اليكهم من الأشغال  
ويجعلوا بني إسرائيل بدالهم في الأشغال فذلك قول الله عز وجل إن فرعون علا في الأرض وجعل  
أهلها شيعة واستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود الا ذبح ولما ضاقت  
أم موسى ذرعها وخافت عليه بعد أن أرضعته ثلاثة شهور ألهمها الله فإذا خفت عليه فألقيه في اليم  
وهو نهر النيل ولا تخافي ولا تحزني أنا رأتوه اليك وجعلوه من المرسلين فوضعت في تابوت وطلته بالقار  
وألقته في اليم وقالت لاخته مريم قصي أثره فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون فأقبل الموج  
بالتابوت حتى أدخله بين أشجار وولقاء عند مساكن فرعون فخرجت بنت فرعون مع جوارها  
يغتسلن في النيل فوجدن التابوت فأخذنه وأدخلته على امرأة فرعون فلما فتحته ونظرت إلى الطفل  
الموجود فيه وقعت عليها رحته وأحبته وأخبرت به فرعون فقال لها إنى أخاف أن يكون هذا من بني  
إسرائيل وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا كما أخبرني بذلك المنجمون فذلك قوله عز وجل  
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وأرادوا له المراضعات فلم يأخذن أحد من النساء فذلك قوله  
تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخته مريم وكانت حاضرة في الوقت هل أدلكم على أهل  
بيت يكلفونه لكم وهم له ناصحون وانطأقت إلى أمها وأخبرتها الخبر فجاءت إليه فلما أعطته ثديها  
رضع منها وسموه موسى لأنه وجد بين الماء والشجر فذلك قوله تعالى فرددناه إلى أمه لكي  
تقر عينها ولا تحزن وأمرت امرأة فرعون أن تلتصق إلى تربيته أشبه بكونه ابن فرعون ولما شب  
موسى وترعرع أخذته أمه إلى امرأة فرعون فأمرت بتهذيبه وتعليمه كواحد من العائلة الملوكة  
وبهذا صار عالما ماهرا في علوم الحكمة المصرية والعلوم العسكرية وكان يركب مركب فرعون  
ويلبس ما يلبس ويدعى موسى بن فرعون وروى أن موسى عندما بلغ مبلغ الرجال تقلد وظيفة عالية  
في الجند المصري في غزوة كانت حصلت بين المصريين والحشيين ومع ما كان فيه موسى من الكرم  
والسداد في سريانه ففرعون كان عبرانيا في الحقيقة وامتنع به بنو إسرائيل ولم يبق قبطي يظلم  
إسرائيليا خوفا منه لأنه كان لا يرغب الذل والاهانة لأهل قومه ولا يريد بهم الجور والاعتساف وعدم  
الانصاف ومروا في المدينة وهي مدينة عين شمس فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته أي  
إسرائيل وهاذا من عدوه أي من القبط فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فغضب موسى  
ووك القبطي فقصى عليه قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي  
فاغفر لي فغفر له أنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح  
في المدينة خائفا يترقب أي أن يؤخذ فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك اغوى  
مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر إلى موسى وقد أقبل نحوه ليبتطش بالرجل الذي يقابل الإسرائيلي



خاف أن يقتله من أجل أنه أغاظ له في الكلام قال أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالامس ان تريد الآن تكون جبارا في الارض وماتريد أن تكون من المصلحين وبلغ الخبر مسامع فرعون فطلبه وأراد قتله فجاء رجل فاخبره وقال له ان الملايأتأمرون بك ايقتلوه فخرج اتي لك من الناصحين فخرج من المدينة خائفا يترقب قال رب انجني من القوم الظالمين فهام على وجهه في الطريق وقال عسى ربى أن يهدينى سوا السبيل فسار به ملك حتى انتهى به الى أرض مدين فابلى مدين حتى سقط خفا قدمه وكان يتغذى من نبات الارض فلما ورد ماعدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراأتين تزدوان أى تحبسان غنهما وهما بنتا شعيب فلما رآهما موسى سألهما اما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعام أو يونا شيخ كبير فسقى موسى لهما ثم قصد شجرة هناك يستظل بها فقال رب انى لما أنزلت الى من خبير فقير فلما رجع البنتان سرىعا الى أبيهما سألهما فآخبرتا به الخبر فأعاد احدهما الى موسى تستدعيه فأتته وقالت له ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيتانا فقام معها فمشى بين يديه فضربت الرمح ثوبها فظهرت عجيزتها فقال لها امشى خلفى ودلىنى على الطريق فلما أتى شعيب ما وقص عليه القصص قال لا تحف نجوت من القوم الظالمين قالت احدهما وهى التى أحضرته يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وقصت عليه ما وقع بينه وبينها فى الطريق فقال له أبوها انى أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرنى نفسك ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك فقال له موسى ذلك بينى وبينك أيا الاجلين قضيت فلاعده وان على والله على ما نقول وكيل فأقامه عنده يومه فلما أمسى أحضر شعيب العشاء فأكل معه موسى وازدادت رغبة شعيب فى موسى وزوجه ابنته صفورا وأمرها أن تأتية بعصافأخذها موسى ليرعى بها وكانت من عوئج لها شعبان وفى رأسها حجن ولبث موسى عند شعيب عشرين سنين فتم بها العمر موسى أربعون سنة وفى أثناء هذه المدة طغى فرعون وحمل العبرانيين أثقل الأجل زيادة عما كان جاريا فى مدة سلفه فشكى العبرانيون بث أحوالهم وما هو حاصل من آلامهم وظلمهم الى الله الههم لاجل مساعدتهم على خلاصهم مما هم فيه فسمع الله سبحانه وتعالى دعاءهم

وبعد أن أقام موسى المدة المذكورة عند شعيب سار به الى فى زمن شتاء وبرد فلما كانت الليلة التى أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتهدأه فيها بنبؤته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلاق فخرج زنده ليقدح لاهل نارا ليصطلوا ويبتوا حتى يصبح ويعرف وجهه طريقه فأصلد زنده وقدح حتى أعيا فرفعت له نارا فلما رآها قال لاهل امكثوا الى آتت نارا على آتيكم منها بخير فان لم أجرد آتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون فحين قصدها رآها نورا عتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوئج فتجبر موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهى تلتهب فى شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا منها نودى منها فلما سمع النداء استأنس فعاد فلما أتاه نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن بورل من فى النار ومن حولها يا موسى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع النداء ورأى تلك الهيئة علم أنه ربه تعالى تخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته فشد الله قلبه فلما رجع اليه عقله نودى اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ثم قال له تسكيننا لقلبك وما تلك بيميدك يا موسى قال هى عصاى أتوقأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها ما أرب أخرى أى أحمل عليها المزود والسقاء قال له ألقها يا موسى فألقها موسى فاذا هى حية



تسبح عظمة الخشبة خفيفة الحركة فلما رآها موسى ولي مدبر اولم يعقب فتودى يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون أقبل ولا تخف سنعيد لها سيرتها الاولى (عصا) فلما أقبل قال خذها ولا تخف وأدخل يدك في جيبك وأخرج بيضاء من غير سوء (برص) فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور ثم ردها فعادت كما كانت فقبل له هذان برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطانا فلا يصلون اليك بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون وأخبره الله سبحانه وتعالى بما يشاء من خلاص الاسرائيليين مما هم فيه من رق العبودية عند المصريين وسوقهم الى الارض التى كان وعدها ابراهيم بانهم تكون أرضا لذريته وأن يكون موسى هو القائد الاكبر والسفير الالهى المسخر فى هذه الحركة العظيمة وقال الله له ان هارون هو المتكلم عنه عند ملك المصريين وعند العبرانيين وعرف موسى جميع ما يريد به القادر جل جلاله وأمره أن يقصه على شيوخ بني اسرائيل وأمره أيضا بالعود الى مصر وليجمع شيوخ العبرانيين ويقص عليهم ما جاء به لهم فاذا تحقق من طاعتهم يذهب الى فرعون ويطلب منه الاذن فى خروج بني اسرائيل من مصر وقال الله له ان لم يسمح فرعون بذلك فاني أريه قدرتي وقوتي على مصر

ثم ان موسى رحل فى الحال عائدا الى مصر وفى طريق سفره قابل أخاه هارون وكان الله أوحى اليه بالخروج من مصر لمقابله أخيه فقال موسى يا هارون ان الله قد أرسلنا الى فرعون فرجع الاخوان الى مصر وطالبوا شيوخ بني اسرائيل ووضعوا أمامهم بلاغ الحق جل جلاله واتفق القوم على الخضوع والتسليم لما أمر الله به ووعدوا أن يؤدوا مع الذمة والصدقة جميع وصايا الرب الههم ولما أحكم موسى وهارون ارتباط قومهما عزما على التوجه الى فرعون ليطلبامنه الاذن والرخصة باسم الرب سبحانه وتعالى الى اسرائيل لقومهم ما يعملوا عيدا لهم فى البرية فلما دخل عليه قال له موسى انى رسول من رب العالمين فعرفه فرعون فقال له ألم نربك فينا اوليدا ولبثت فيمنام من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين فقررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما يعنى نبوة وجعلنى من المرسلين فقال له فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين قد فتح فاه فوضع الفك الاسفل فى الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه فخافه فرعون وثب فرعا وناشده فرعون بربه تعالى أن يردها فعاذ به موسى فعاد عصاه ثم أدخل يده فى جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور ثم ردها فعادت كما كانت عليه وأوحى الله الى موسى وهارون أن قولاه قولنا له بتذكر أو يخشى ولما غضب فرعون من موسى أراد قتله فقال مؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه أن يقتلوه رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات وقال الملا من قوم فرعون أرجعه وأخاه وابعث فى المداين حاشرين يا بولك بكل سحر عليهم ففعل وجع السحرة فوعدهم فرعون واتعدوا يوم عيده كان فرعون فصفهم فرعون وجع الناس وجاء موسى ومعه أخوه هارون ويده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون فى محاسنه مع أشرف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تقفروا على الله كذبا فيسحطكم بعذاب فقالوا



له لنا أن نبتلك بسحر مثله وقالوا بعزة فرعون أنا نحن الغالبون وقال له السحرة يا موسى أما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين قال بل ألقوا فالقوا حبالهم وعصيهم فاذا هي في رأى العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضهم باعضاء أو جس موسى في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فألقى عصاه من يده فصارت ثعباناً عظيماً واستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم يبق منها شيئاً ثم أخذ موسى عصاه فاذا هي في يده كما كانت نخر رئيس السحرة ساجداً وقال ما هذا يجروا تبعه السحرة أجمعون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم له قبل أن آذن لكم أنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلا قطع من أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا يلبسكم فى جذوع النخل فقطعهم وقتلهم وهم يقولون ربنا أفرغ علينا صبراً وثقتنا مسلمين

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف أن يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه وقال لوزيره هامان يا هامان ابن لي صرحاً على أطلع الى الله موسى وانى لا ظنه كاذباً فأمر هامان بعمل الآجر وشرع فى البناء وارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنى ان فشق ذلك على موسى واستعظمه فأوحى الله اليه أن دعه وما يريد فانى مسدد رجه ومبطل ما عمله فى ساعة واحدة فلما تم بناؤه أرسل الله سبحانه وتعالى جبريل نخر به وأهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل فلما رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدّة على بنى اسرائيل وعلى موسى وصاروا لا يقبل كل امرئ يحبى فيه موسى اليه وكلفوا بنى اسرائيل من العمل ما لا يطيقونه وصار الرجال والنساء فى شدة وكانوا يعودون من أشغالهم بأسوأ الحالات فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون

وجد موسى وهارون الطلاب عند ملك المصريين فرعون فلم يقبل منهم شيئاً وأهانهم ما وضاعف فرعون الانقال على بنى اسرائيل فلاموا موسى وعنفوه بسبب ما حصل لهم من الذل والإهانة وكثرة المضاعف والآلام التى تراكت عليهم فاشتكى موسى الى الله أن سعيه لم يجلب على بنى اسرائيل الا الهموم والغوم فعضده الله سبحانه وتعالى وشدّ عزمه بما أوحاه اليه من حيث ان فرعون لم يقبل طلبكم مع عناده وضاعف الاشغال مع العناد أيضاً على العبرانيين فانى سأهشم كبر عناده وألزمه الرضارغم أنه بسفر الاسرائيليين وخروجهم من مصر وكان بالضرورة وقوع هذا الاختلاف بين فرعون وبين الحق جل جلاله ليس لاجل معاقبة الملائكة من أجل تعذيبه العبرانيين فقط بل كان أيضاً ليعلا كافيًا للعبرانيين على أن الله قادر على وفاء وعده لهم وانه أقوى شوكة وأعظم عزّة من جميع آلهة مصر الكاذبين وكذا بما أن العبرانيين هم فى مجاورة من مدة طويلة لبلدانية المصريين فكان مشروع الحق سبحانه وتعالى ضرورياً حتى تتحقق بنو اسرائيل من أن لاهقيقة ولا شوكة لاصنام بلاد النيل

وكرر موسى وهارون طلباً من مامن الملك وأبى فرعون وقومه الا اثبات على ما هم فيه من العناد فعاقبهم الله من عدم قبول الملك بأن أرسل على أرض مصر عدة آيات هائلة وآفات منيحة وكان الملك وقومه يطلبون موسى وهارون عند حصول كل آية ليطلبا من ربهما كشف البلية عنهم وهذه الآيات هي



الاولى - صيرورة مياه النيل وهو النهر المقدس عند المصريين ورئيس منبع مياههم المحتاجين لها جراً مثل الدم عفنة مضرّة مكرّوهة عند المصريين حتى التزموا أن يحفروا آباراً بطول شاطئ النهر لاخذهم منها مياه الشرب واستمر ذلك سبعة أيام حتى كشفها عنهم موسى بطلب من فرعون وقومه على أنهم يؤمنون له ويرسلون معه بنى اسرائيل

الثانية - الضفادع وكان لا يحصى عددها أفلقت أهل مصر وكدرت عيشتهم وانتشرت على الارض وحصل منها الضرر المهلل للمصريين

الثالثة - ضروب القمل وهذه غطت الارض وتسبب منها مزار مؤلمة للناس والحيوانات وكانت من ضمن التجاسات الدينيّة والدينيّة

الرابعة - سحائب الذباب والجعارين وكانت أكبر من الجعارين الموجودة من الاصل في مصر غطت الارض ودخلت أسراباً في البيوت وأكلت الزروع والاشجار وكان الجعران أحدم المعبودات المصرية فكانت هذه الجعارين عليهم أشدّ بلية وأشدّ ضرراً ولو أنها كانت آلهة لهم

الخامسة - داء الاسكربوط وهذا تسلط على الحيوانات وأهلك ما يوجد من الحيوانات في مصر

السادسة - علة الحرب والجذام وظهر هذا على أبدان أهل مصر وحيواناتهم وقال بعض الحكماء انما هو أن هذه الآيّة كانت هي البرص الاسود وهو داء مهول مخيف من أنواع داء الفيلة وبقى ظهوره لهذا لأن في مصر وكان هذا أيضاً من ضمن التجاسات الدينيّة المصرية

السابعة - عواصف ولواقيح مشحونة بالبرد مصحوبة بالعدو والبرق كنست الارض وأهلكت الزرع والناس والحيوانات

الثامنة - أسراب الجراد وهذه انتشرت على الاراضي وأكلت كل ما تركه البرد

التاسعة - انتشار طاعون مدمر في غايّة من القتل والكنافة ثلاثة أيام حتى صار لا طاقة للناس أن يشاهد بعضهم بعضاً ويؤدوا شيئاً من أشغالهم ولم يحصل شيء من هذه الآفات والمصائب في أرض غسان المقيم فيها العبرانيون لأنهم كانت مستثناة من وقوع هذه الآيات فيها لكي يرى بنو اسرائيل مع الخوف وفناء الموائع الدينية بعذاب المصريين وكثيراً ما كان فرعون يرتعد ويخضع ويرسل لموسى وهرون ويتضرع اليهما أن يظلبا من الله كشف هذه الآيات عنه وعن قومه الا انه بمجرد كشف المصيبة الواحدة عنهم يرجع الى كبره وعناده ويتنعم من أن يأذن للعبرانيين في الخروج من مصر

ولما لبس موسى من فرعون وقومه دعا موسى عليهم وأمن هرون فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا امضوا عن سيدك ربنا طمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله لهم وأوحى الله الى موسى اني منزل على أرض مصر آية الدمار والخراب وأمر موسى أن يسكن عيد الفصح وأن يكون هذا العيد دلالة على ابتداء التاريخ المخصوص بالملة العبرانية كما أنه يكون أول سنتهم وأمره بعمل احتفالات لهذا العيد لا يجوز وقوع أدنى ضرر فيها ولا أذى وأن تجري هذه الاحتفالات سنوياً بعيد الفصح وتذكراً وامتيازاً على خلاص الملة العبرانية من رق العبودية المصرية وقد أخبر الله موسى وهرون بما يريد من هلاك وموت كل مولود بكرى من أهل مصر وأن يأمر العبرانيين أن يضعوا على منازلهم علامات وهو أنهم يرشوا أو يظلموا



حلق أبواب بيوتهم بدم الحيوانات التي تذبح لعشاء عيد الفصح لأن جميع البيوت المعلقة به هذه العلامة لا تقربهم املائكة الهلاك وأن يأمر العبرانيين بالاستعداد للرحيل بوجه السرعة وأن يكون رحيلهم بمجرد الامر بالرحيل وكانت جميع هذه الاجراءات حاصلة في النور في أرض غسان اذ كان لا يوجد بها ظلام

وعند غروب الشمس من اليوم الثالث من أيام الظلام في مصر ابتدأ العبرانيون في تحضير عشاء عيد الفصح ولما تم العشاء انتظروا أمر الله مترددين فيه مع الوجع الشديد وفي منتصف الليل أمات الله كل مولود بكرى في كل بيت من بيوت مصر من ابتداء سراي الملك الى آخر عتبة حقيرة وكل بكرى من جميع حيوانات مصر فكان لا يوجد بيت الا وفيه ميت فالتزم فرعون قهرا عنده بما حصل له من هذه الرزية العظيمة أن يرسل في الحال في طلب موسى وهرون ولما حضرا عنده حثما بعجلة على أن يأخذ قومهما ويخرجهما من أرض مصر من دون حصول أدنى عائق وأمر موسى العبرانيين أن يستعيروا من المصريين حليا من الجواهر والفضة والذهب ولبثوا على طلبهم فأسرع المصريون في اجابة طلبهم وأعطوهم ما يلزم لهم اذ كانوا على تلهف زائد في خروج العبرانيين من البلاد لانهم كانوا على وجل شديد من أن يحصل منهم أدنى تأخير فيعود عليهم بالضرر والاذى

ولما أمر موسى العبرانيين بالشروع في رحيلهم أخذوا معهم جثة يوسف المصبرة وكان عددهم ٦٠٠٠٠٠ ستمائة ألف رجل غير النساء والاطفال وبلغ هذا العدد مع اللحم الغفير المختلط الذي تبعهم وكانوا من دون ريب ذرية من أهل آسيانز لوا مصر في طعنهم واقامتهم وكانوا على غاية من السرو في كونهم انتهزوا فرصة نجاتهم الى أن صار عدد العشرة العبرانية نحو ما من ثلاثة ملايين وكان رحيلهم جميعا تحت قيادة موسى إلا أن انتخاب طريقهم في أثناء سيرهم كان باذن الله سبحانه وتعالى وذلك أنه سخر لهم فيم اسعابة بيضاء كانت تسري أمامهم بالنهار وعمودا وسحابة من نور يدلهم على الطريق بالليل

ومن الضروري أن رحله عالم جسيم مثل هذا تكون بحركة بطيئة فاستمروا في سيرهم نحو ما من ثلاثة أيام حتى وصلوا رأس البحر الأحمر أو خليج السويس وكان تمتد كثير الى الجهة الشمالية زيادة عما هو عليه الآن وفي غضون ذلك رجعت أفرعون قوته وشجاعته وندم على تفريطه في أمره للاسرائيليين بالرحيل والسفر من أرض مصر وعزم على اتباعهم وقهرهم على الرجوع ثانيا الى أرض مصر فراحل في رأس جيش كثيف ووجد في سيره حتى أدركهم وهم معسكرين بالقرب من البحر الأحمر وكان موقع الاسرائيليين على حسب الذوق العسكري على غاية من الخطر لان البحر كان أمامهم وعلى يمينهم سلسلة جبل عتاقة الصعبة وعلى يسارهم وخلفهم ملك مصر من تبا جنده وقاطعا عليهم طريق نجاتهم وانهم من دون مساعدة الهية صاروا مستعدين لهلاك أنفسهم فقال أصحاب موسى اننا لندركون يا موسى أو ذينام من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا أما الاول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى كلا ان معي ربي سيدين فأمر الله موسى أن اضرب بعصا البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وفتح الله طريقا ليه اسرائيل يعبرون منها البحر الى ساحل بلاد العرب ولما رأى جيش المصريين بين حركة عبورهم تبعهم في الحال فعادت مياه البحر باذن الله في الوقت وأهلك جيش المصريين وقال فرعون حين أدركه الغرق آمنت أنه



لا اله الا الذي آمنتم به بنو اسرائيل فقال له آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وأما التوراة فانه لم يذكروها كان الملك غرق مع عسكره أم لا ولا تحقق منهم ما يستدل به على الحقيقة وعلم لنا من التاريخ المصري القديم أن الذي غرق هو قسم الجيش الذي ساق خلف العبرانيين وأن الملك لم يغرق وأن منقطة وهو الذي كان خرج مع فرعون عاش سنين عديدة بعد هذه الواقعة ومات من مرض حصل له لكن الحق ما قاله الله تعالى في القرآن العظيم فأغرقناه ومن معه جميعا وعلمنا من الحوادث التاريخية أن سنة ١٤٩١ قبل ميلاد المسيح كانت هي تاريخ الخروج

وبعبرد وصول العبرانيين الى الساحل المقابل للبحر الاحمر ارتحلوا الى داخل بحيث (جزيرة سيناء) نحو جبل سيناء فلما أراد القادر سبحانه وتعالى سوقهم من مصر الى الارض الموعودة على الفور لاساقهم اليها من الطريق المستقيم الواقع في طول ساحل البحر المتوسط المارة بالعريش وغزة وهم ذايكونون عرضة لخطر مهاالت يقع عليهم من جيش المصريين المنعودة على استعمال هذه الطريق في محارباته في آسيا حتى لو نخلصوا من هذا الخطر لوقعوا في حروب مستديرة مع قبائل الكنعانيين القاطنين على ساحل البحر الابيض المتوسط فلاجل وقايتهم وحمايتهم من هذه الاخطار والمهاالت اختار لهم طريق البحر الاحمر وقد يوجد دليل أقوى من ذلك على اختيار الله سبحانه وتعالى لهم هذه الطريق وذلك أن الاسرائيليين ما كان فيهم قابلية للدخول على الارض الموروثة لهم لانهم كانوا محتاجين لطرائق تعليم وتدريب ونظام حتى يكونوا ملة حقيقية أصلية قبل دخولهم الارض الموعودة فانهم كانوا على غاية من الجهالة بالشرائع الدينية والنظامات المدنية الداخلية والخارجية المنحصرة فيها شوكة المسلة الواحدة وسلطتها ويعرفون بواسطتها حقوق سلامة أنفسهم وملتهم وانه يلزمهم أن يخرجوا ما هم مكنون في قلوبهم وما كانوا عليه من مجاورتهم المصريين وتطبعهم بعواثدهم وطبائعهم ويجمعوا أنفسهم أمة قائمة بنفسها متميزة عن باقي الامم الذين يلزم أن يكونوا في مجاورتهم ومحيطين بهم وأن يكونوا متمسكين بهذه الاعمال حتى يكون لهم طاقة بما يتيسر الحصول لهم على حفظ خصائص ملتهم في المستقبل الى الابد وأن لا يوحط طريق يمكن اختيارها لهم الا هذه الطريق التي سلكوها ولا يوجد لهم جهة التحصين أنفسهم واقامة ملتهم فيها بالنسبة للسلامة والنظام أحسن من بركة سيناء لهذا اختارها الله لهم وتوجهوا اليها

وأعد الله سبحانه وتعالى لهم ما يلزم من الاحتياجات الوقية وأعذب لهم المياه المرة التي كانت موجودة في الوادي الذي سلكوه وأنبع لهم المياه من الصخور وذلك انه أمر موسى فضرب بعصا الحجر فانتجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى كان طعاما لهم فكان الطعام في الابتداء على صورة السلوى أي السمان ثم على هيئة المن وكان هذا المن ينزل مع الندى في وقت الصباح في محل معسكرهم وكان لا يرحص لهم في جمعه الا ما يلزم لقوت يوم واحد فقط ما عدا اليوم السادس فانهم كانوا يجمعون فيه طعام ما يلزم ليومين مراعين في ذلك عدم الشغل في اليوم المقدس واستمر نزول هذا الطعام من السماء كل يوم مدة أربعين سنة أو جميع المدة التي أقامها الاسرائيليون في بركة سيناء

ولما وصلوا في رحيلهم رفيديم والصحيح أنه وادي فيران الموجود الآن هجم العماليق على الاسرائيليين ليصدوهم عن تقدمهم في داخل البحيث (جزيرة) وكان جيش العبرانيين تحت قيادة يوشع بن نون



الذي فتح فيما بعد فلسطين فكان منصوراً  
ثم رحل بنو إسرائيل من وادي رفيديم إلى جبل سيناء وعسكروا في السهل على غدران ومجاري سيول  
في ضواحي الجبل المقدس

ثم إن الله سبحانه وتعالى أمر موسى أن يصوم ثلاثين يوماً ويتطهر ويظهر ثيابه ويأتي إلى الجبل جبل  
طو رسيناً ليكلّمه ويعطيه أوامره ففعل موسى ما أمره الله وسار إلى الجبل واستخلف أخاه هارون على  
بنو إسرائيل ثم أوحى الله إليه أن يصوم عشرة أيام آخر فتم ميثقات ربه أربعين ليلة ففي تلك الليالي  
العشر افتتن بنو إسرائيل وذلك أن السامري صاغ لهم عجلاً من حلي جمعها منهم في ثلاثة أيام  
وجعل له جوقاً فكان الهوايد دخل فيه فيخور فلما رأوه قال لهم هذا الهكم والله موسى نسيه موسى  
وتركه ههنا وذهب يطلبه فمكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هارون يا قوم انما اتنتم به وإن ربكم الرحمن  
فاتبعوني وأطيعوا أمرى فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله  
تعالى موسى قال له ما أجعلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك  
يا موسى وأضلهم السامري فقال موسى يا رب هذا السامري قد أمرهم أن يتخذوا العجل فمن نفخ فيه  
الروح قال أنا قال فأنت اذا أضللتهم ثم إن موسى لما كلمه الله تعالى أحب أن ينظر إليه قال رب أرني  
أنظر إليك قال إن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله للجبل فجعله كما  
وخر موسى ضعفاً فلما أفاق قال سبحانه تبت إليك وأنا أول المؤمنين وأعطاه الألواح فيها الحلال والحرام  
والمواظ وهي العشر وصايا المذكورة في التوراة وعاد موسى فلما وصل إلى قومه ورأى عبادتهم للعجل  
ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه وخطيته يجره إليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن  
تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي فترك هارون وأقبل على السامري وقال ما خطبك  
يا سامري قال بصرت بما لم يصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال  
فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد وأحرقه وطلب بنو إسرائيل  
التوبة فأبى الله أن يقبل توبتهم وقال لهم موسى انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم  
فاقتلوا أنفسكم وأمر موسى سبط لاوي الذين لم يعبدوا العجل فقتلوا منهم جماعاً فقام موسى  
وهارون يدعوان الله فغفرا عنهم وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم ثم إن موسى اختار من قومه  
سبعين رجلاً من أخصيارهم وقال لهم انطلقوا معي إلى الله فتوبوا مما صنعتكم وصوموا وتطهروا وخرج بهم  
إلى الجبل للبيقات الذي وقفه الله له فقالوا اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل  
وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام  
فوقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى وبأمرهم وبينهم أنزل عليه الأوامر التي تدون فيما بعد في  
شريعة موسى واشتملت على الأحكام الدينية والمدنية الخاصة بالملة العبرانية ولم يفرغ انكشاف عن  
موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم بسم الصاعقة وماتوا جميعاً  
فتضرع موسى حتى رد الله إليهم أرواحهم ولم يرجع موسى مع أخصيار قومه ومعه التوراة أبوا أن  
يقبلوها ويعملوا بما فيها من اللاتقال والشدة التي جاء بها فأمر الله جبريل فقلع جبلاً من فلسطين على قدر  
عسكرهم ورفع فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم الخوف  
من خلفهم ثم فقبال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلة قومه وفعلا ثم بأمرهم



والارض تحتكم بهذا الجبل وأغرقتمكم في هذا البحر وأحرقتمكم بهذه النار فلما رأوا ذلك قبلوها وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدون وقالوا سمعنا وأطعنا

ثم ان رجلا من بني اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحله وألقاه في موضع آخر ثم أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني اسرائيل فجدوا فسأل موسى ربه فأمرهم أن يذبحوا بقرة فقالوا اتخذنا هزا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فقالوا له ماهي قال انها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك أي نصف بين السنين قالوا ادع لناربك بين لنا ما لو نهبنا قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها بسر الناظرين قالوا ادع لناربك بين لنا ماهي ان البقرة تشابه علينا قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تنسق الحرت مسلمة لاشية فيها أي لا يماض فيها قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها فلم يجدوا الا بقرة رجل بار بآمه فاشتروها فاعلى بها حتى أخذ من مجلد هاذها فذهب بها فوجدوها وضربوا القميل بلسانها وقيل بغيره مخفي وقام وقال قتلني فلان ثم مات

ولبت الاسرا يليمون في سيناء احدى عشر شهرا وعشرين يوما وفي أثناء هذه المدة عملوا الاحتفال الثاني اعيد الفصح وترتبت فيها الاشغال الجارية والنظامات المفيدة لحياة الامة وذلك أنهم كانوا أمة أو باشا عوام لا نظام لهم ولا شرائع عندهم ولا ديانة بل كانوا يجهلون الههم ولا يعرفون طريقة دينية يعبدونه بها فصار هؤلاء الأوباش مدة قامتهم في سيناء على غاية من الاتحادية بعضهم حتى صاروا أمة واحدة لهم قانون من الشرائع تداول بين قرون وسلاسل بني الانسان واستمر العمل جاريا عليه الى انقراض الامة العبرانية وكذا أقيمت في خلال هذه المدة المظلة أو الخيمة المقدسة على صورة أنزلت من عند الله وترتبت فيها جميع تفاصيل الشعائر الدينية مع الاحكام ورتبت الاحكام ورتبت نظام الترتيبات في توارث الوظائف المقدسة

وكانت القاعدة الاساسية لجميع طرق السياسة والديانة محصورة في السلطة العالية المعجدة لله سبحانه وتعالى على الامة العبرانية وكان الله في كل معنى سيدهم ومالكهم وأما الاحكام الخاصة بكل من السياسة والنظام فكان الحال مفوضا فيها الى الله تعالى وأما الاحكام الاخر التي شرعت وسنت من قبل الله لادارة الاعمال على حسب شريعته فليست من خصائص احكام القسس من ذرية هارون ولا من سبط لاوي فانه صار ترتيبها في وظائف مختلفة تختص بالديانة العمومية وترتب لكل سبط حكمه الادارية وان حصل اختلاف رجعوا الى المحكمة العالية المركزة بالحقوق لها حقوق أعمالها في كافة الاسباب وأن اتفاق مجلس الملة فوق الجميع وهذا المجلس مؤسس بخصصوص الديانة والعبادة والاحتفالات التي تجري سنويا بشأن المواسم وهي عيد الفصح أو عيد الظهيرة تذكار الخروج من مصر وعيد العنصرة أو عيد الخمسين تذكار الاظهار اقامة الشريعة وعيد المظلة أو الخيمة المقدسة تذكار الإقامة في البرية وكانت الخيمة المقدسة معدة لتقريب القربان موضوعا فيها التابوت وصورة العهد الذي عمل بين الله سبحانه وتعالى والامة وهي أيضا مركز الاعمال السياسية والديانية

ولما تم ترتيب جميع هذه النظامات وتنظمت الامة العبرانية شرع موسى بأمر من الله سبحانه وتعالى في مقدار واحصاء نفوس الذكور من الامة من سن عشرين سنة فصاعدا القاباين لجل السلاح وكان ابتداء هذا التعداد في أول يوم من الشهر الثاني من تاريخ الخروج وهو أيار - مايو سنة ١٤٩٠ من



قبل ميلاد عيسى فباع مقدار نفوس المحاربين ٦٠٣٥٥٠ نفس وقسم موسى هذا الجيش الى أربعة معسكرات وضع كل معسكر منهم في جهة من الجهات الأربع من الخيمة المقدسة وبهذا صارت الخيمة في وسط معسكر الاسرائيليين

ولما رتب موسى الامة والجيش بهذه المثابة فك الاسرائيليون معسكرهم في اليوم العشرين من سنتهم الثانية أي في ٢٠ مايو سنة ١٤٩٠ قبل الميلاد وشرعوا في سيرهم يدا لهم عمود من نور وكان هذا العمود يدا لهم من عهد ليله الخروج حتى أوصلهم الى حدود الارض الموعودة وبهذا الدليل الالهى توجه بنو اسرائيل الى بركة فاران

وبعد أن استراح الاسرائيليون عدة استراحات في سيرهم وصلوا الى قادش برنيع بالقرب من حدود فلسطين وأرسل موسى من هذا المحل اثني عشر نقيباً من كل سبط واحد الى فلسطين ليكشفوا له أرض فلسطين ويأتوه بأخبار أهل البلاد وأوصافهم وطرق مدافعاتهم وصلابة مدائنهم وقوتها وعدد نفوسهم وعلى حسب الشروط التي عهدت الى هؤلاء الجواسيس غابوا أربعين يوماً وفي هذه المدة كشفوا الاراضى من ابتداء البحر الميت الى منحدرات جبل حرمون ولما عادوا الى قادش برنيع أخبروا موسى وقواد الاسرائيليين بان الارض كثيرة الخصوبة الا أن فتحها بالاسرائيليين غير ممكن لأن أهلها ناس جبارون هائلو الخلقة ساكنون في مدائن مستحكمة قوية فحصل من هذا القول المكدر تأثير كبير في القوم وهالههم ذلك وامتنعوا عن السير الى أرض فلسطين فقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على أدباركم فتنة قلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قومما جبارين واننا لن ندخلها حتى يخرج جوامئها فان يخرج جوامئها فانا ندخلون قال رجلان وهما يوشع بن نون وكالب وكانا من ضمن الجواسيس الاثنى عشر وكانا من الذين يخافون أنعم الله عليهم ما دخلوا عليهم الباب فاذا دخلوه فأنكم غالبون قالوا يا موسى اننا لن ندخلها أبداً ما دما وافياها فاذهب أنت وربك فقاتلانا ههنا فاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب انى لأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

وفي صباح اليوم الثانى انفجرت فيهم ثورة وأعلنوا عزمهم على انتخاب رئيس لهم منهم يوصلهم بالثانى الى مصر فسقط موسى وهارون على وجوههما على الارض أمام القوم وكان ما فعله لا ثمرة فيه وصار يوشع وكالب يكرران لهم القول بالنجاح والظفر ويحثانهم على عدم عصيانهم الههم فازداد القوم عتوا وأخذوا الاجار وأرادوا أن يرضخوا بيهاموسى وهارون ويوشع وكالب وصاروا على هياج وثورة من قتلهم قطهر مجد الله سبحانه وتعالى من الخيمة المقدسة بعد أن تمكنت القسوة في القوم وقال الله تعالى لموسى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض وأنه يحرمهم من وراثة الارض المقدسة ويختار أمة من ذرية موسى فتوسل موسى عند الله فى الشفاعة لقومه ولم يرل يتضرع حتى نال الشفاعة لهم الا أنه عند الصبح عنهم قال الله لموسى انه سيجزى هذه الامة العاصية بعصيانها وأنه لا يمكن احداً من رجالها من عمره عشرون سنة فصاعداً ما عدا يوشع وكالب أن يدخل الارض الموعودة وأن يموتوا جميعاً فى البرية ومن بعد أربعين سنة تدخل أولادهم فى الارض الموعودة وراثتها لهم

ومن ههنا اليوم والتعنيف اشتاق الاسرائيليون لسوقهم الى أرض كنعان وأخذهم الخلق



والانقباض لأنه قضى الأمر الإلهي الذي لا غالب له وأصر القوم على عزه بهم واجتهدوا في أن يغتصبوا طريق سيرهم من معبر جبل كان محفوظاً بكل من جيوش الكنعانيين والعمالة فأنذرهم موسى بعدم التوجه ووعظهم ودخلت الحمية في رؤسهم فلم يلتفتوا لقوله فتعاذتهم ولم يحسبهم فصسد الكنعانيون والعمالة الاسرائيليين ووقعت بينهم واقعة دموية انهزم فيها الاسرائيليون مع تلفيات جسيمة وارتدوا على أدبارهم الى البرية

ولبث بنو اسرائيل مدة ثمان وثلاثين سنة رحالين نزالين هائمين على وجوههم ضالين في الصحراء الواقعة في شمال بحيت جزيرة سيناء المسماة باسم وادي التيه أوتيه بنى اسرائيل وكان ضلالهم في البرية الممتدة من قادش برنيع في الجهة الشمالية الى رأس خليج عيلان أو خليج العقبة في الجهة الجنوبية بحيت لا يحصل لهم أدنى تشويش ولا تكدير من أي القبائل المجاورة لهم وفي خلال هذه المدة مات رجال القوم من عشرين سنة فصاعداً وصارت الذرية التي تسلمت منهم على غاية من التريبة والتعود على الاتعاب والمشاق والحروب وصاروا أرباب شجاعة وعسكروا في أنفسهم بحرية النفس وصاروا نسلاً أعلی وأعظم من النسل الذي أراد العود والرجوع الى رق العبودية المصرية مع أنه كان تجرع أنواع العصب والالام من هذه العبودية

وفي مبادئ السنة الأربعين من سني الخروج مات هارون أخو موسى ورئيس أحبار الملة وكان موته في ناحية مصيرة في جبل حور بعد أن بلغ من العمر مائة وثلاثاً وعشرين سنة ودفن هناك وكان جبل حور هو الحد الفاصل بين أرض الادوميين ذرية عيص فطلب موسى من الادوميين طريقاً سالكا من وسط أراضيهم لعبور العشائر الاسرائيلية على شرط أن لا يقربوا من أملاك الاهالي وأن يدفع قيمة المياه اللازمة لاحتياجات قومه فلم يقبل الادوميون هذا الطلب وأمر الله سبحانه وتعالى موسى والebraيين بعدم الغارة على أقاربهم فشرعوا في الرحيل الى الجهة الجنوبية حتى وصلوا الى رأس خليج عيلان أي خليج العقبة ولفوا حول سلسلة الجبال ودخلوا بالناس الى الجهة الشمالية شرق أرض أدوم فأخذ كنعاني عراد في سبيل الطريق على بنى اسرائيل فهزمهم الاسرائيليون وسمح الادوميون بالعبور من وسط أرضهم من دون أن يقع لهم منهم أدنى ضرر وأمرهم الله سبحانه وتعالى بعدم الغارة على الموآبيين وبنى عميون الذين هم من ذرية لوط

ووصل العبرانيون في رحيلهم الى نهر أرنون وهو نهر صغير يصب في البحر الميت من جهة الشرقية وهو الحد الجنوبي لمملكة جديدة كان يحون وهو رجب بل فارس مخاطر بنى عميون تغلب عليهم بنى عميون والموآبيين ويوق هو الحد الشمالي لهذه المملكة وأقام يحون عاصمة مملكته في حشبنون فأرسل موسى رسولا الى يحون يطلب منه طريقاً خالصاً من وسط أرضه لعبور بنى اسرائيل ووعده أن يحفظ قومه حال مرورهم في الطريق العمومي ويدفع له قيمة كل ما يحتاجونه فلم يقبل يحون منهم هذا الطلب وسار مع العظمة والكبراء في رأس جيشه ليغير على الاسرائيليين فهزمه الاسرائيليون شر هزيمة وتغلبوا على عاصمته بالقوة والاقتدار واستحوذ العبرانيون على مملكته ثمان عو ج الجبار ملك باشن وكانت أرضه ممتدة من جبل يوق الى جبل حرمون وكان هو أيضاً من شجعان بنى عميون فنجح في تغلبه على هذه المملكة خرج الى ميدان الحرب ليأخذ بثأر يحون فهزمه الاسرائيليون وقتلوه وتغلبوا على مملكته وبهم هذه النصرات صار الاسرائيليون أساتذة جميع البلاد الموجودة في الجهة



الشرقية من نهر الاردن من ابتداء جبل حرمون الى البحر الميت وعسكر جيش الاسرائيليين في السهل الخصب تجاه مدينة أريحا فتكدر عيش بالاق ملك موآب من وجود ملّة ذات شوكة معسكرة على حدود أرضه فعقد معاهدة ضدهم مع المديانيين ولما رأى بالاق من نفسه أن لا طاقة له على الهجوم على القادسين في نواحي أرضه اجتهد في كونه يحث بالعاما وهو رجل مشهور مجاب الدعوة في بلاد بني عميون بالدعاء على الاسرائيليين ولعنهم ووقوع الفناء بهم فقلب القادس سبحانه وتعالى لسان بلعام بالدعاء ابني اسرائيل وحصول البركة فيهم وأن ياتي بالاق بما يحصل له من الغلبة في المستقبل ولما خاب بالاق في مشروعه هذا أخذ يفسد على الاسرائيليين دينهم ويحرضهم على أن يشتركوا مع قومه في عبادة بعل وفيما هم عليه من الفجور والفساد فاستمروا في فعلهم هذا حتى ان موسى التزم باعادة الاجرات والاوامر الشاقة الواجب بها منع هذا الفعل الشنيع وقتل جميع العبرانيين الذين ارتكبوا هذه الموبقات ووقع في المعسكر طاعون هلك فيه نحو من ٢٤٠٠٠ نفس وشرع موسى في الغارة الثانية على المديانيين فهزم جيوشهم وأخذ أرضهم وغنم منهم غنائم جمة

وشرع موسى بعد ذلك كله في عمل احصاء جديد فوجد أن عدد الرجال المحاربين في العشيرة العبرانية نحو من ٦٠١٧٣٠ نفس

وبما أن الاراضي التي فتحت شرق نهر الاردن خصبة جدا وصالحة لا يجتناء الثمرات المقصودة منها وحصل لكل من سبط روبيين وسبط جاد ونصف سبط منشا الرغبة فيها سألوا الرخصة من موسى في أن يعطيهم هذه الاراضي تطير ما يرثونه حيث انهم أكثر انعاما ومواشي فعنفهم موسى على هذا الطلب وقال لهم لم تتسببون في بذور بذور الامة وانفصالها من بعضها ومن حصول مكالمات سلم لهم في هذه الاراضي على شرط أن يوطنوا في هذا الوطن الجديد عائلاتهم ومواشيهم وأن تعبر محاربو رجالهم نهر الاردن مع الاسباط الاخرى ساعدوهم على فتح الارض الموعودة فأعطى سبط روبيين القسم الجنوبي من الارض الكائنة شرق الاردن من ابيته دامنر آرثون الى حد جبل جلعاد وأعطى سبط جاد الاراضي الكائنة في شمال هذا القسم الداخل فيها جبل جلعاد الى نهاية الجهة الجنوبية من بحر شيتروث أو بحر غليلي وأعطى نصف سبط منشا الاراضي الكائنة في شمال جاد الى حد جبل حرون وتعاهد السبطان ونصف مع اخوانهم وعقدوا معاهدة دثمية بينهم على كونهم يؤدون معهم خدمات عظيمة بشأن فتح الاراضي الواقعة في الجهة الغربية من نهر الاردن

ومن ابتداء هذا الوقت تم عمل موسى حيث جلب بني اسرائيل الى حدود الارض الموعودة في محل يمكنهم الدخول فيها منه بسهولة وأنذرهم الله تعالى باقتراب أجله فجمع موسى قومه على مسمع منهم وأسمعهم الشريعة التي أنزلت عليه ودعاهم بالبركة والخير وأنبأهم بعجدهم متقبلاهم واستخلف عليهم يوشع بن نون من بعده ونصح القوم على أن يكونوا على وثوق تام مع الله سبحانه وتعالى فان ذلك من أهم الامور في سعادة الامة العبرانية فقابلوه القوم على ذلك بمساواة وأهلهم من الشناء والاحلال ثم توجه بأمر الله تعالى الى جبل دبترو وعلى هذا الجبل أراه الله تعالى جميع الارض التي ستكون وطن للعبرانيين ومات عبد الله موسى في أرض موآب حسبما وعد الله بذلك ودفن في وادي أرض موآب تجاه بيت قعود ولم يعرف أحد من الناس قبره الى يومنا هذا وعاش موسى مائة وعشرين سنة لم يكل بصره ولم تنقص قوته ولبث بنو اسرائيل ينعون موت قائدهم الا كبر مدة ثلاثين يوما



### الباب الثالث فتح كنعان والقضاة

استخلاف يوشع بموسى - عبور نهر الاردن - احتلال الارض الموعودة في زمن الفتح - وصف فلسطين - التغلب على مدينة أريحا وتمام وشكيم - هزيمة الخمس ملوك الكنعانيين - تقسيم أرض كنعان بين الاسباط - موت يوشع - المضار التي وقعت عقب موته - مدة الحكم الفوضى القضاة - وصف وظيفة القضاة - مشروعات - هزيمة باراق سيسرا - نصرة جددعون - على الخبر الاعظم - خبائث أولاده - مولد شمشون - مشروعاته وموته - مولد صاموئيل - دعوته لوظيفة النبوة - هزيمة بني اسرائيل بواسطة الفلسطينيين - التغلب على التابوت - موت على - صيرورة صموئيل قاضى بني اسرائيل - سلطنته - طلب بني اسرائيل ملكا لانفسهم - اندارات صموئيل - انتخاب طالوت ملكا على بني اسرائيل

وكان ختام الثلاثين يوما نعيًا على موت موسى عليه السلام هو بوجه الدقة تمام الأربعين سنة من ابتداء خروج وسفر بني اسرائيل من مصر ثم ان الاسرائيليين فكوا نعيم معسكرهم من سهول موآب وساروا الى ناحية الاردن تحت قيادة يوشع بن نون وكان الاحبار في رأس القول حاملين لتابوت العهد وكان نهر الاردن في أعلى زيادة مياهه وغير يمكن لجيش بني اسرائيل دخوله ولما نزل الاحبار في النهر حاملين للتابوت المقدس انقسمت المياه بقدره الهية كما انقسمت في البحر الاحمر وانفتحت لهم طريق واسعة فعبروا بالجيش منها الى الجهة الغربية من النهر ودخل الجيش فلسطين في ابريل سنة ١٤٥١ قبل الميلاد وعسكر بنو اسرائيل في تلك الليلة في الجبل على سهل مدينة أريحا وهذا انقطع نزول المن عليهم ومن هذا الوقت صارت معيشة القوم من محصولات الاراضى التي جاؤا لفتحها ووراثتها ومن الموافق الآن أن تذكر نبذة فيما يختص بوصف الامة التي توجهت اليهم بجيوش العبرانيين وذلك أنه في زمن النبوة كانت الارض الموعودة مسكونة بعدة قبائل من أصول الكنعانيين وهم ذرية كنعان الابن الرابع لحام بن نوح وان لفظة كنعاني معناها في الحقيقة الخفض أو السفلى وكانت تستعمل أحيانًا بمعنى خاص بقبيلة ساكنة في قطعة مآمن أرض فلسطين لكنهم أطلقوا معناها العام على جميع سكان الارض المقدسة ويدخل في هؤلاء السكان سبعة أمم مختلفة هي أولا - الكنعانيون وهم سكان الاراضى المنخفضة القاطنون على السهول الكائنة على الاردن الاسفل وهذه السهول أخصب الاراضى وأجلها ثانيا - هؤلاء يظهر أنهم من بعد الكنعانيين في عظم العشيرة ومحلهم في القسم الجنوبي من الارض الموعودة

ثالثا - الحيتيون أولاد حيث وهم قبيلة صغيرة في حبرون ومنهم أش - ترى ابراهيم عليه السلام غار المكفيلة

رابعا - الاموديون وهم عشيرة أصلية احتلت في الابتداء التحوم العالية الغربية من البحار الميت وفي هذا المحل أطلق على هذه العشيرة اسم غنجدى ثم اتت لولا الى الجهة الغربية من ناحية حبرون



وفي زمن الفتح عبروا الاردن وسكنوا القسم الخصب المحدود من جهة الشمال بنهر يَبُوق ومن جهة الجنوب بنهر أرنون ومن جهة الغرب بنهر الاردن ومن جهة الشرق بالبرية

خامسا - الحَوِّيُّون وكانوا قاطنين في زمن رجوع يعقوب الى الارض الموعودة في نواحي شكيم وفي زمن الفتح استوطنتوا الحدود الشمالية لفلسطين الجنوبية

سادسا - اليموسيون وهم قبيلة صغيرة كانوا متوطنين في نواحي يَبُوأى أو اورشليم واستمروا قاطنين مع اولادهم وذاو بنيامين مدة طويلة من الزمن

سابعا - الجرجاشيون وهم الذين مساكنهم اندثرت وانقرضوا بالكلية حتى صارت مواطنهم غير معروفة أبدا

وفي أثناء ألبث الاسرائيليين بمصر حصل عدة تغيرات خطيرة في طبائع وعوائد سكان أهل فلسطين وفي محلات مساكنهم وتبوءهم أيضا وذلك أن الامة الساحلية في فينيقية الواقعة مباشرة في شمال فلسطين شبت وغت بسرعة زائدة مع الهدوء والسكون وصارت أمة ذات خبرة وبصارة وثروة في عالم الدنيا القديم وما كانت فينيقية تبلغ ذروة أوج فلاحها ونجاحها وشوكتها في زمن فتح الاسرائيليين فلسطين وما كانت وصلت لهذه الدرجة الحديثة ١٠٥٠ قبل الميلاد وفي زمن دخول بني اسرائيل فلسطين أحكم الفينيقيون أراضيهم الواقعة في طول الساحل الشمالى من البحر الابيض المتوسط بقوة قوية إذ كانت أراضيهم داخلية في حدود الارض الموروثة للاسباط وحقن طوقها بطرق تحفظية جيدة من الذين جاؤا اليها وكان ساحل البحر الابيض المتوسط من الارض الموعودة الاصلية الموجود في الجهة الجنوبية من فلسطين مسكونا بالفلسطينيين وهم قوم ذوو شوكة ومهارة في الحرب مختلفون في الاحكام والقوانين وبعض الناس نسبهم فقال انه من ذرية حام والبعض الآخر قال انه من ذرية سام والاصح انهم من ذرية حام وقال الذين نسبوهم الى ذرية حام انهم جاؤا فلسطين من مصر وقال الذين نسبوهم الى ذرية سام انهم جاؤا فلسطين من جزيرة كريد والمثل عليه انهم دخلوا كنعان قبل أيام ابراهيم عليه السلام وفي مدة اقامته في أرض كنعان كانوا قبيلة رعاة في ضواحي حرار وفي زمن النبوة وزمن اقامة بني اسرائيل في مصر ترك الفلسطينيون عادة معيشتهم الرعوية الرحالة النزلة وأقاموا أنفسهم مقام أمة ذات شوكة قوية واستوطنتوا السهل الخصب المحدود بساحل البحر وسموه باسم فلسطين فكانت المحصولات العظيمة المستخرجة من هذا السهل الخصب هي سرثوتهم وفلاحهم وفي مدة الفاقة والقحط كانت ترجع اليهم جميع الامم المجاورة لهم في طلب الغذاء والطعام ويأخذون منهم ما كان يلزمهم وكانت الاراضى الواطية التي استوطنوها صالحة لتقديمهم في الشوكة العسكرية والحركات الجريية اذ بواسطة هذه الاراضى وسهولتها كان لهم قدرة كافية على تحريك عساكرهم بسهولة وحركة سريعة وكانت هذه الاراضى أيضا صالحة لحركات وسير عربات الحرب أى الطوبجية القديمة وكانوا على قوة تحفظية عظيمة على الدوام ومن المعتمد أيضا انهم كانوا مستعوزين على عمارة بحرية لان مؤرخى التاريخ البشرى يذكرونهم في تواريخهم دائما في الوقائع البحرية والغزوات الساحلية وكانت مدينتا غزة وعسقلان هما المينتان البحر يتان لهذه الامة وشيد الفلسطينيون في السهول مدائن عديدة جيدة الاستحكام وكذا شيدوا حسب ما هتف بنحو اطهرهم محطات ومراكز



## تجارية ومعاقل حربية

وبهذه المثابة كانت حالة الامتين الشاحتين القاطنتين في فلسطين في زمن الفتح بالاسرائيليين فكان  
 الفينيقيون في الجهة الشمالية والفلسطينيون في الجهة الجنوبية ومن الموافق أن ذكرهنا أن  
 الارض الموعودة ممتدة من صحراء العرب الى البحر الابيض المتوسط ومن صحراء سيناء الى مدخل حياة  
 وأن القسم الشمالي منها أوفينيقي لم تستوطنه الاسرائيليون مطلقاً وكان سهل فلسطين ميداناً  
 للنزاع والشقاق والحروب المستمرة وما كان استحوذاً للاسرائيليين عليه بحالة تحفظية سلمية بل كانت  
 الارض التي استحوذوا عليها ممتدة من ذين فقط في الجهة الشمالية الى أرض السبع في الجهة الجنوبية  
 - وأما بالنظر الى الارض نفسها فكانت مقسومة الى عدة أراض مشمورة غير متناسبة السعة  
 بالنسبة لأهميتها في التاريخ فأما أرض فلسطين فكانت أقل الاراضي في السعة ونهاية طولها من  
 الشمال الى الجنوب ١٨٠ ميلاً وعرضها نحواً من خمسة وأربعين ميلاً فتكون مساحة أرضها  
 نحواً من ثمانية آلاف ميل وهي واقعة بين ٤٠° ٣٠' ٤٢' ٣٠' من العرض الشمالي وبين  
 ٤٥° ٣٣' ٤٨' ٣٥' من الطول الشرقي ومحدودة من جهة الشمال بسوريا ومن جهة الشرق  
 بنهر الاردن والارض المعروفة بأرض حوران ومن جهة الجنوب بصحراء التيه ومن جهة الغرب  
 بالبحر الابيض المتوسط وهي واقعة في آسيا الغربية وفي شمال مصر وفي جهة الشرق وجهة الشمال  
 من صحاري بلاد العرب - وهي في الحقيقة عبارة عن أراضي جبلية لا يوجد بها سلاسل جبال أصلية  
 بل تتألف من الاراضي الاخرى بعلاؤها وعظمتها ويوجد في كل جهة من الاراضي العالية قممات  
 كثيرة أو قليلة فالكور الجبلية تشغل وسط الارض وهي محدودة على كل من جهتيها الشرقية والغربية  
 بأراض منخفضة ممتدة من ذيل الارض العالية الى حدود فلسطين ففي الجهة الغربية تنبسط هذه  
 الاراضي المنخفضة ويحدث عنها ملامح عظيمة من سهل فلسطين وسهل شارونه يمتدان من ذيل  
 الجبال الى ساحل البحر وأما من الجهة الشرقية فان الجبال محدودة بالمهايط والانخفاضات الوعرة  
 لوادي نهر الاردن وهذه متصلة أيضاً بالمهايط العميقة للبحر الميت وأرض الغور وان هذه المهايط  
 المشكل عنها حواجز قوية وخيران وأخاديد عميقة تجري فيها تيارات مائية منحدرة من هذه الجبال  
 تستعمل وصاله أيضاً بين موازنة الارض العالية والارض المنخفضة وهذه الثلاث هيأت وهي الجبال  
 والسهول ومجاري المياه هي الهيئة الأصلية الطبيعية الموصوفة بها الارض المقدسة

وينقطع السهل على مسافة أقل من نصف المسافة الى البحر انقطاعاً فجائياً يفرع سلسلة جبلية يخرج  
 من الجبال الوسطية ويسير الى الجهة الشمالية الغربية للبحر وينتهي بالرأس الكبير المسمى برأس جبل  
 الكرمل ويطلق على هذا الفرع اسم جبل الكرمل ثم يتدنى السهل في الجهة الشمالية من جبل  
 الكرمل مرة ثانية ويفصل الجبال عن بعضها ويسير عابراً من فلسطين حتى يصل وادي الاردن وهذا  
 هو سهل إسديزلون أو صديزلون أو سهل يزرييل أو الميدان الاكبر لما حصل من الوقائع في فلسطين ثم  
 تتقابل الجبال في شمال هذا السهل مرة أخرى أولاً في التلال الواطئة لوادي غليل ثم تأخذ في العلو حتى  
 تصل الى كل من جبال حرمون ولبنان ثم توجه الى البحر وتنتهي بالرأس الابيض أو رأس نخوره وفي  
 شمال هذا الرأس توجد فينيقية القديمة



ويوجد للوادي الجليل هيئة معلومة منتظمة في طول سيره والمقدار المتوسط لهذا العلوي يختلف من ١٥٠٠ قدم الى ١٨٠٠ قدم فوق موازنة سطح البحر الأبيض المتوسط وعلى حسب هيئة هذا العلوي يشكل هضبة صعبة جدا لا يمكن أحدا من الناس وصفها حتى ان الاراضي السهلة الموجودة بين التلال وكثرة وجود التلال الجبلية الموجودة خلف بعضها وبين بعضها تظهر للناظر من ساحل البحر أو من السهل الساحلي الغربي كأنهم سور تام ومع هذا فان المنظر الذي لا تتغير حالته موزق على مسافات بارتفاعات عظيمة تشكل هياكل عالية على امتداد البصر وان منابع مياه هذه الاراضي واقعة بين هذه النقط المرتفعة. وان مجاري تيارات المياه الكثيرة العدد تجري في الجهة الشرقية الى وادي الاردن وفي الجهة الغربية الى البحر الأبيض المتوسط وأن الواديان الشرقيين هي مهابط وعرة جدا وعلى الخصوص الواديان الموجودان في الجهة الجنوبية وفي النواحي المتوسطة من الاراضي غير أن الواديان الموجودان على السفوح الغربية آخذة في الانحدار على التدرج وذلك ناشئ من أن موازنة السهل الساحلي أعلى من موازنة وادي الاردن وقل الهبوط والانحطاط بسبب طول بعد المسافة الواقعة بين الجبال والبحر زيادة عما بين الجبال والاردن وكلما وجد في الجهة الشرقية كذلك يوجد في الجهة الغربية فان الواديان في كل من الجهتين تشكل طرق المواصلات بين الجبال والسهول وأن جميع المسالك والمعابر من ابتداء التحوم الى داخل الارض واقعة في طول هذه الواديان وهذه المعابر والمسالك الجبلية على ما هي عليه الآن جعله فلسطين هيئة خاصة بها فانه في الازمان القديمة كانت لها أهمية عظيمة في كونها كانت صعبة المرور والعبور وكان يتشكك كل منها موانع وعوائق لقوة جيش ماساثر بجملة له وعربانه فان المعابر الغربية ولو كانت أسهل من معابر الحدود الشرقية لانهم لم تزل صعبة ولا يسهل اعدو اجراء الانفعال اللازمة التي يتيسر له الحصول منها على الدخول في أرض الاسرائيليين ولما أحكم الاسرائيليون منعة جبالهم وحصونهم صاروا في أحسن راحة وأجودها لا يكدرهم ارتباك أمة أخرى ولا يزعجهم هجوم أحد وقت ما كانت مدائن السهل الكائنة أسفل منهم جاريا التغلب عليها أو استردادها بالقوى المتخاربة من مصر وآسيا ولما كان سهل اسدرلون أو عصدرلون ميدانا عظيما لحروب ووقائع جارية في فلسطين كانت الجبال خالية بالكلية من هذه الحروب ويشكل نهر الاردن الحد الشرقي للارض الموعودة وهو أحد الانهار المشهورة في عالم الدنيا وأخذ من منبعه من سفوح ومهابط جبل حرمون ويجري في مهبط كبير يعرف بوادي الاردن ويمر من بحيرة حوليج ومن بركة طبرية أو بحر غليلي ويصب في البحر الميت وعلم منبعه عن سطح البحر الأبيض المتوسط نصف قدم وفيه منحنى عن سطح هذا البحر بقدر ١٣١٧ قدما فيكون الانحدار الكلي للنهر ٣٠١٧ قدما وطوله ٢٠٠ ميل وإذا كانت مسافة القياس على خط مستقيم كان طوله ٦٠ ميلا وهو نهر غير قابل للملاحة وكان يجري عبوره في الازمان القديمة بواسطة مخاضات كائنة فيه ولم تنشأ عليه قناطر للعبور الا في زمن الفتوحات الرومانية وما كان يوجد على شاطئيه مدائن ولا قرى وأما مدينة أريحا والمدائن الاخرف كانت على مسافة بعيدة من شاطئيه الى جهة الداخل في الاراضي وكان أول شغل واقع على كتاف بني اسرائيل بعد دخولهم أرض فلسطين هو فتح مدينة أريحا الحصينة والتغلب عليهم او كانت هذه المدينة واقعة مباشرة تجاه مخرج عبورهم من النهر ومطل على وادي الاردن وبما أن الاسرائيليين ما كان لهم دراية ولا خبرة بطرق وضع الحصار على المدينة نجلى الله







لاورشلیم (بيت المقدس) فصارت اورشلیم داخلة في أرض بنيامين والحد الشرقي نهر الاردن والحد الغربي البحر الابيض المتوسط ودخل في هذا القسم جزء شاسع من سهل فلسطين وأخذ أولاد يوسف القطعة الكائنة في وسط الأرض من نهر الاردن الى البحر الابيض المتوسط فأخذ افرايم من هذه الناحية الجزء الجنوبي وكان حده الجنوبي مرسوما من الاردن في طول الجهة الشمالية لسهل أريحا الى حديت ليل ودخل فيه حزام متجه جنوبيا الى بيت حورون ومن هذه النقطة سار الخط ثانيا الى أن وصل الى البحر بالقرب من يافا ومر الحد الشمالي مغربا من الاردن تجاه مصب فم نهر يبول وما رايا المكفيلة الى فم نهر قانه ويشتل على وادي شكيم المقدس والسهل الساحلي لشارونة وأخذ نصف سبط منشا الكورة الواقعة في شمال افرايم لحد سلسلة جبل الكرمل وسهل يزرعيل من الاردن الى البحر وأخذ بنيامين الكورة الجبلية الكائنة في شمال يهوذا وفي جنوب افرايم من الاردن الى غربي اورشلیم وأخذ دان الكورة الكائنة بين افرايم من جهة الشمال ويهوذا من جهة الجنوب وبنيامين من جهة الشرق والبحر الابيض المتوسط من جهة الغرب وهذه الكورة كانت مسكونة وحدها بالفلسطينيين فمن أجل هذا السبب وكذا من كون أراضيهم كانت قليلة جدا عليهم رحيل قسم من سبط دان الى الجهة الشمالية وتغلب على مدينة نشم في نواحي منابع الاردن وسموها مدينة دان واستحوذوا على أراض شاسعة مجاورة لها وصارت هي الحد الاكبر الشمالي للأرض الموعودة وبما أن أرض بئر السبع كانت هي الحد الجنوبي لها صارت جهة الأرض من دان الى بئر السبع هي القطعة المستعملة في العادة لوصف جميع امتداد الأرض الموعودة من الشمال الى الجنوب وأخذ سبط شمعون أرضا موروثه خارج أرض يهوذا ولكن هذا السبط القسم الجنوبي الغربي من ساحل البحر المحدد بالبحر من بئر السبع الى غزة ويمتد ساحله البحري الى شمال عسقلان وأخذ يساكر وادي يزرعيل الكبير الجبلية الحصينة ويسمونها أحيانا وادي عسقلان وأخذ زبولون السلسلة الجبلية المحدودة لسهل عسقلان من الجهة الشمالية وشكلت في الايام الاخيرة القسم العلوي من غليل الواطية وأخذ أيضا حزام ضيق على ساحل البحر في شمال جبل الكرمل داخل في حده الشرقي بحر غليلي وأخذ أشير السهل الموجود في طول ساحل البحر الابيض المتوسط في شمال جبل الكرمل الى نحو الجهة الشمالية داخل فيه قسم كبير من فينيقية ولم يحصل من بني اسرائيل عزم ولا اجتهد أبدا في التغلب على القسم الفينيقي ضمن الأرض الموروثه لهم فكان الحد الشمالي لأشير في الحقيقة الحد الفينيقي من جنوب مدينة صور وكانت أرض أشير ممتدة نحو الشرق قاطعة أرض فلسطين على نصف مسافة منها وأخذ نفتالي الأرض الكائنة في شمال زبولون الى جبل حرمون بين الاردن وملك أشير

وأما السبطان ونصف الموجودة أراضيهم في الجهة الشرقية من نهر الاردن فانهم تنازلوا عما يخصهم من هذه الغنائم وعادوا مع الشكر والثناء الى أرضهم خلف الاردن

ولما أحس يوشع باقتراب أجله جمع عموما نواب الامة العبرانية وبارها في مدينة شكيم ومن بعد أن أسمعهم ما أسبغ الله سبحانه ونعم الى عليهم من النعم التي أفاضها عليهم من رحمته وحرصهم على أن يكونوا متمسكين على الدوام بطاعة الله ومحافظين على عبادته وعلى شريعة موسى عليه السلام وأن يستمروا في انجاء الخروب على الكنعانيين حتى يطردوهم من كل الأرض الموعودة لانه تولد من ارتكاب



الكنعانيين الجرائم واعتكافهم على الفواحش والآثام أن القادر سبحانه وتعالى دمرهم بذنوبهم وجعل لهذا الأمر بني إسرائيل على الخصوص فذكرهم يوشع بهذا الذكروا بأهم أفعالهم السيئة من المصائب لقومه لوتركوادينهم أنسوا ما يلزم أجراؤه ضد الكنعانيين أو خالطوهم فعهد القوم إلى يوشع بالثبات والطاعة والتمسك بعبادة ربهم ووجدوا ميثاقهم وعهدهم معه سبحانه وتعالى وبعد هذا قام يوشع من محل الجمعية وعمل آثارا من الأحجار وجعله شاهدا على ما نذر القوم من عهد مستقبلهم ومات يوشع بعد ذلك بقليل بعد أن بلغ من العمر مائة وسبع وعشرين سنة وحكم في بني إسرائيل خمس وعشرين سنة ونعت الأمة موته وحرثوا عليه حراثيدا

وهو سوء حظ بني إسرائيل أن يوشع لم يجعل خليفة من بعده عليهم وترك القوم بغير رئيس في المدة التي كان فيها الشيوخ المعاصرون أي يوشع على قيد الحياة تملك القوم وقاراهم بالقوانين الشرعية المنزلة عليهم وعبادوا الله حق عبادته ولما انقضى هؤلاء الشيوخ ابتداء الانفصال والشقاق برحفت بين الأسباب ويعددهم عن بعضهم ولم يحصل منهم أدنى سعي ولا التفات فيما يخص بفتح المداين الباقية في أيدي الكنعانيين وابتداء الأسباب الموجودة في الجهات الشمالية أن يظهر والمحالفة الجنسية وعقدوا معاهدات بشروط قوية على قدر ما أمكنهم مع الكنعانيين القاطنين بينهم وكذا ضعف مساعي الأسرائيليين عن فتح أراضي الفلسطينيين واستمرت المداين الساحلية باقية في حوزة الملة الفلسطينية الحربية وصار هذا الاستحواذ عند الأسرائيليين والفلسطينيين حكما قانونيا ونشأ من تدخل الأسرائيليين مع الكنعانيين نتائج تولد منها الفساد والضرر على العبرانيين وكان المركز الأكبر السابق للعبرانيين في مدينة شيلوه ومنصور بها الخيمة المقدسة وبها التابوت وأخذ بنو إسرائيل في ترك تقرب القربان لله سبحانه وتعالى وتركوا عبادته وفشت في القوم العبادة الوثنية الكنعانية ودخل بين الأسباب البغضاء والعداوة أدى ذلك إلى حروب وقعت بينهم حتى صار سبط بنيامين على شرف الدمار والهلاك مما حصل له من الأسباب الأخر وصارت حالة بني إسرائيل موصوفة بهذه الألفاظ \* لا يوجد الآن ملك في بني إسرائيل \* وكل يفعل ما يراه صوابا ويختاره لنفسه \* وبهذا صار لا يوجد حكومة سياسية ولا إدارة داخلية تنفذ أحكامها على هؤلاء الأسباب ومع كون الله سبحانه وتعالى هو المالك لهم حسب القاعدة الأساسية لطريقة شرع بني إسرائيل الآن الديانة الوثنية أخذت حدها في الانتشار وعلا مجدها في الأقطار حتى إن العهد الذي عهدوا له العبرانيون لما حكمهم صارت نسبيا منسيا وتذكرت في زوايا الإهمال بالكلية وتولد من ذلك الشقاق والضعف بين العبرانيين فلما رأى الكنعانيون والفلسطينيون هذا اهتمامهم العجلة في أن يأخذوا بنارهم وبنتهم وامن الأسرائيليين تطير ما جلبوه عليهم من الدمار والخراب ويلزمهم بالطاعة والانقياد لهم وسلط الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل شوكة أعدائهم فظلموهم وعذبوهم وبهذا قضى عليهم العدل الإلهي لأنهم صاروا خاطئين ولما وقع العذاب الأكبر والجور الأجر على بني إسرائيل استيقظوا وأحسوا بما هم عليه من الجرائم والآثام تابوا من ذنوبهم وتضرعوا بالبكاء والتجيب إلى ربهم وطلبوا منه مساعدتهم فسمع دعاءهم وجعل خلاصهم على يد أشخاص ذوي قوة منهم فتكوا بنظامهم وأقاموهم في حالة استقلالية ثانيا وبمجرد كشف العذاب والأحوال عن بني إسرائيل رجعوا إلى غيهم وطفعت انهم وعكفوا على العبادة الوثنية التي نجوا منها بواسطة تضرعات وخضوع جديد إلى الله تعالى



وكان يطلق على الأشخاص الذين خلصوا بني اسرائيل من أعدائهم بأمر الله تعالى اسم القضاة وبعد ما يخلصون الامة من أعدائهم أو يقيمون بنيانهم يصيرون حكاما عليها ويجسرون طرائق أحكامهم بواسطة الهام أو وحي من عند الله سبحانه وتعالى حسبما يشاء ويختار فقادوا الجيوش الى المحاربات والوفائع وأدوا واجبات الأعمال العمومية مع الأمن واسم متباب الراحة وما كان موقع القاضي أو مركزه كوقع ملك من الملوك ولا شوكته كشوكته بل كان منصبه سامي القدر قليل الاعمال وعموم الامة ولا كانت وظيفته ورئاسة بل كان يجري تعيين القاضي الواحد بوحى أو الهام من الله سبحانه وتعالى أما لنفسه أو لآخرين وكانت اجراءات أحكامه متعلقة برضا الامة وما كانت سلطته عامة على سائر بني اسرائيل وإذا حصل تعيين القاضي مرة أقام في وظيفته مدة حياته وكان لا يختار ولا ينتخب خليفة له مباشرة من بعده موته بل كانت تضى مدته طويلة أو قصيرة حتى يتعين من عند الله وتكون الامة في هذه المدة بغير حاكم أو تكون رعية خاضعة لواحد من المتغلبين عليها والذين تولوا حكم بني اسرائيل خمسة عشر قاضيا استقر فيهم حكم القضاء عدة قرون غير أن أحوالهم التاريخية وأحكامهم السياسية غير محقة ولا معلومة والحوادث التاريخية والوقائع الداخلية التي حصلت في تلك الاحقاب لا يمكن الحصول عليها ولا الاعتماد على ما هو مذكور في شأنها

وفي زمن حياة النسل الذي جاء عقب الفتح مدملك من ملوك ميزوبوتاميه الغربية اسمه (كوشان اشعتايم) مملكته من ابتداء نهر الفرات الى حدود أرض كنعان وأخضع بني اسرائيل حتى صاروا رعية له ودفعوا له الخراج عن يدهم صاغرون وامتد حكمه عليهم مدة ثمان سنوات وكلفهم في هذه المدة ما لا يطيقون من الاعمال وأذاقهم وبال البور وعسف فيهم وعذبهم حتى أرسل الله فيهم عتثل ابن أخي كالب الذي كان في عصر موسى ويوشع فهزم عتثل المتغلبين وأخرجهم من ديار قومهم وأعاد استقلالية أهل بلاده ومكثوا على ذلك أربعين سنة لا يشوبهم فيها كدر ولا عسر فيها تنغيص

وفي آخر هذه المدة عقد (عجلون) ملك موآب معاهدة مع بني عمون والعماقة وعبر الاردن وهزم بني اسرائيل وأقام سلطنة نفسه بالقرب من مركز مدينة أريحا القديمة واستعبد الاسرائيليين مدة ثمان وعشرين سنة وفي آخر هذه المدة نجح (أهوذا) من سبط بينامين في قتله عجلون وقت ما كان يتقدم له الخراج المطلوب من سببطه ومن بعد أن قتله هرب ونجا بنفسه وجعل بني اسرائيل وهزم الموآبيين وطردهم خلف نهر الاردن بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة نحو ما من ١٠٠٠٠ نفس ومن هذه النصره حصل لإحزاب فلسطين فترة في الحروب مقدارها أربع وعشرون سنة غير أن هذه الفترة ما كانت عامة في جميع بلاد بني اسرائيل

وان (شجر بن عناة) وهو ثالث قضاة بني اسرائيل سار في رأس شردمة من الشغالة متسلحين بالآلات من آلات الزراعة وهزم قوة من الفلسطينيين وقتل منهم يده نحو ما من ٦٠٠ نفس بهما مزيقا لهما مها مزال بقر

ومن بعد موت أهوذا عكف بنو اسرائيل على المعاصي فسلط الله عليهم (يايين) الكنعاني ملك حاصور وهو من نسل الملك الذي هزمه يوشع وكان مثل جده رأس اتحاد كبير في فلسطين الشمالية وكان في جيشه ٩٠٠٠ عربية حربية من الحديد والمناجل تحت قيادة واحد من شجعانه اسمه (سيسرا) فتغلب على شمال فلسطين وأخضع هذه الجهة وأدخلها في رق العبودية واستمر بنو اسرائيل في الرق



والعبودية نحو من عشرين سنة

ولما فُجرت (دبوره) من ظلم قومها وكانت امرأتهم مهمة تدبر أمور بني إسرائيل في هذا الوقت بالعدل والانصاف وكان محالها تحت أيكة فخل بين الرامة وبينت إيل في جبل افرام دعت (باراق) بن أبي نوعم من لواحى قاذش في نفتالى يكون رأسا في خلاص الامّة من رق العبودية وبشرته بنصر الله له على الاعداء فأجاب باراق دعوتهم بعد أن عقد معهم موثقا أن تصحبه في حربه وأخبرته أنه لا ينال نفرا ولا شرفا في هذه الواقعة لان الله سبحانه وتعالى سيسر اليه على يدا امرأته تقتله فجمع باراق القوي من نفتالى وزبولون ويساكر مع رجال قليلين من افرام ومنشاي وبنيامين وكان جميع ما جمعه نحو من ١٠.٠٠٠ نفس واتخذ موقعا في جبل طابور وسار في الحال سيسر الملاقاة في جيش يابن فهجم باراق على شواطئ نهر قيشون وساعده الله بآية من عنده وذلك أن النهر فاض وأهل قسم من جيش الكنعانيين وشدت شملهم بنحسارات جسيمة وهرب سيسر ما شيا على أقدامه والتجأ الى خيمة (حابر) القيني من فلسطين الشمالية فقتلته (يا عيل) امرأة حابر وهو نائم عندها ووفت دبوره بما أنبأت به ثم تغلب باراق على مدينة الحاروشيين بالديسيرا ثم على حاصور عاصمة يابن وقتل الملك ولما أتته الامداد والتجدة من الاسباط انخرست في الحرب حتى خلاص جميع البلاد وحررها وتولد من هذه النصرات استتباب راحة مدة أربعة عشرين سنة لم يحصل فيها حروب ولا وقائع

ثم ان العذاب التالى لما ذكر الذى أنزله الله على بني إسرائيل كان عقابا عظيما وعذابا أليما وذلك أنهم لما عكفوا على عبادة الاوثان وتركوا عبادة الله ساءط الله عليهم (المديانيين) وهؤلاء تعاهدوا مع العماليقة وقبائل عرب البوادي القاطنين في الجهة الشرقية فاجحوا فلسطين وكرروا عليها الغارات وأنواع الهجومات ونهبوا البلاد وسبوا النسوان والاولاد وأنزلوا على العبرانيين عذابا ماله من راد وحملوا جميع الاشياء التي قدر واءلى حملها ودمروا مالا طاقة لهم على حمله فالتزم الاسراييليون أن يخفوا أنفسهم مع مواشيهم وغلالهم في كهوف تحت الارض ويستوطنوا في مذائق مستحكة واستمرت عليهم هذه الاحوال القاسية والشدائد الصعبة مدة سبع سنوات وفي آخر هذه المدة خضع القوم وتابوا الى الله وتضرعوا اليه بالبكاء وابتهلوا اليه بالدعاء وسألوه خلاصهم مما هم فيه من المصائب والاهوال فسمع الله سبحانه وتعالى دعاءهم وأرسل فيهم (جدعون) بن يواش من سبط منشا ليكون رأس حركة خلاصهم ووعدهم بالنصر وحصول الظفر فهدم جدعون محراب بعيل وجمع قوته مقدارها ٣٢.٠٠٠ نفس من بني إسرائيل وكان المديانيون ومحالقوهم تحت قيادة الوجوه من رؤسائهم المشهورين بتدبير الامور فساروا في الحال الى ميدان الحرب لتمييز هذه الثورة وأخذ (جدعون) موقعه في مرتفعات جبل جلبوعة وأمسك قبائل الاعراب وادي يزرعيل الاسفل ولما كان جدعون واثقا بالنصر من عند الله أذن لجميع رجاله بأن كل من رغب الرجوع فليرجع فرجع ٢٢.٠٠٠ نفس وبقي معه ١٠.٠٠٠ نفس لاجل مقابلة العدو ولما أراد القادر سبحانه وتعالى أن يرى بني إسرائيل أن خلاصهم كان بيده لم يأذن لهذا القدر في مقابلة العدو وأمر (جدعون) أن ينتخب ٣٠٠ محارب من العشرة آلاف من المجترين في الحروب ويجعل الباقي من قوته مددا لهم ويقسم جدعون الثلاثة لمحارب الذين انتخبهم الى ثلاثة كراديس أو ثلاث فرق ويمجمهم على عسكر المديانيين ليسلا وكانت رجال جدعون حاملة أبواقا ومشاغل من نار مخبوءة في قدود ومن نثار ولما أعطى جدعون رجاله اشارة الهجوم نفخ كل



رجل منهم في بوقه وكسر قدره وأخرج شعلته وصاح بقوله سيف الله (وبعد دعون) فقامت الاعداء من نومها امر عوبة ووقع فيهم الفزع والارتباك وأوقعوا السيوف في بعضهم وتركوهم عسكرهم وهربوا نحو الاردن فتبعهم الباقي من جيش جددعون وأخذوهم بالسيف وفوبدوا شملهم عن آخرهم ولم ينج أحد من نهر الاردن الا قليلا منهم وهذه النصر ~~كسرت~~ شوكة المديانيين بتمامها وحررت الاسرائيليين وخلصتهم من المديانيين فعزم كبار بني اسرائيل على أن يجعلوا جددعون ملكا عليهم الا انه رفض قبول لبس التاج وحكمهم عدة سنين يدبر أمورهم كقاض وما كان حكمه خيرا على جميع بني اسرائيل لان عبادة الاصنام فشت عيانا فيهم بواسطة وهو الذي قوى شعائرهم ومن بعد موته جعل أحد أولاده المسمى (أبيالخ) نفسه ملكا شكيم والبلاد المجاورة لها وبعد أن ملك ثلاث سنوات قتله امرأة بينما كان يحاصر مدينة لم يقبل أهلها طاعة حكمه

ثم دبرهم من بعده (طولع) أو (قولع) ثلاثا وعشرين سنة وخلفه (ياسير) الجلعاذي دبر أمرهم اثنتين وعشرين سنة وكانت مدة سلطنتهم ما خالية الوقائع والحوادث ومع هذا فالملوك لنا أن عبادة الاصنام والوثان فشت في بني اسرائيل في هذه المدة حتى ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم أعداءهم ثانيا وذلك أن بني عمون أخضعوا الاسباط الموجودين في شرق الاردن اطاعتهم واستعبدوهم ثمان عشرة سنة وفي هذه المدة عبروا الاردن عدة مرار وخرّبوا أرض يهوذا وبنيامين واقرايم فانتخب القوم الموجودون في شرق الاردن قائدا لهم اسمه (يفتح) رئيس طائفة ليست على شريعة قاطنة في جبل (جلعاد) فهزم بني عمون شرهزيمة في واقعة كبيرة حصلت بينه وبينهم وخلص منهم البلاد وأنقذ من ظلمهم العباد وفي مبادى حربه نذر أنه اذا نصره الله على الاعداء يقرب له أول مخلوق يقابله على باب داره عند عوده من حربه الى بيته فلما عاد الى بيته كان أول من قابله بنته فافتكر (يفتح) نذره وأنه لا بد من أن يوفيه بكونه يقرب بنته قربا لله سبحانه وتعالى فلم تعارضه بنته في مشروعه وسأله تأجيل نفسها المدة شهرين فقط فسمح لها بذلك وفي آخر هذه المدة وفي يفتح بنذره وقرب بنته فكان هذا القربان مخالفا بالكلية لشريعة موسى ومنه يظهر أن الاسرائيليين الذين كانوا في الجهة الشرقية من نهر الاردن كانوا على عوائد وبائع مخالفة لشريعة موسى عليه السلام ودبر (يفتح) أمور بني اسرائيل كقاض لهم سب سنين بعد نصرته على الاعداء ومات ودفن في جبل (جلعاد) ثم دبر بني اسرائيل من بعده (أبسان) من نسل (زبولون) فتعالى هذا القاضي الى درجة كبيرة بواسطة تدخله مع الامم المجاورة له بكونه زوج أولاده رجال ونساء منهم وحكم بني اسرائيل سبع سنين ثم خلفه في القضاء (علوان) وكان من نسل (زبولون) أيضا وكانت مدة حكمه عشر سنين خالية من الوقائع والحوادث ثم خلفه في القضاء (عبدون بن هليل القرعطوني) فدبر أمر بني اسرائيل ثمان سنين كانت خالية

الوقائع والحوادث وقال بعض المؤرخين انه هو (قدن) الذي عدّه (شمويل) من ضمن القضاة ومن المحتمل أن نوال القضاة وفوزهم كسر شوكة الكنعانيين لانها عدا ناسم مع اهلهم خبرا ولا حياية أثر ثم لما عكف بنو اسرائيل على المعاصي وارتكبوا الجرائم والقوا حش سلطان الله عليهم عدوا جديدا أشد قسوة وأكثر ظلما وهي الامة الفلسطينية الحربية وهم سكان ساحل البحر الابيض المتوسط من فلسطين الجنوبية قدوا شوكتهم على فلسطين الجنوبية وأخضعوا بلاد (شمعون ويهوذا وبنيامين ودان) الى طاعتهم وكان هذا الاستعباد في غاية من الشدة والقسوة واستمر بنو اسرائيل فيه نحو من أربعين سنة



وكان في هذا الوقت قاضي بني اسرائيل (عالى) من بيت (عظمار) وهو الابن الاصغر (لهارون) ولم نعرف متى انتقلت رئاسة القسوسية من بيت (علطار) الى بيت (عظمار) أو ما هو السبب في التغيير والظاهر أن هذا كان منحة الهبة عقابا لبيت (عالى) بسبب وقوع هذا البيت في ارتكاب الجرائم والآثام وأمانفس (عالى) فكان رجلا صديقا وقودا في الورع والزهد وكان مقررا في (شيلوه) مع الخيمة المقدسة وكان حكمه مقررًا بواسطة جميع الاسرائيليين وكان أولاده على غاية من الفجور وارتكاب الفواحش وكانت أفعالهم غير محمودة عند الاحبار الآن (عالى) بالنسبة لضعفه ووهنه رخص لأولاده في بقائهم في وظائفهم المقدسة فأرسل الله تعالى له نبيا أنذره بأن الله سيحاسبه على ضعفه ووهنه ويقتل أولاده وتخسر عائلته الوظيفة المقدسة التي لا يعرفون مقدار قيمتها ومع هذا فان (عالى) لم ينصح أولاده ولم يرشدهم لما فيه الخير وطريق الصواب بل جعلهم مستقرين على ما هم فيه من الخطايا وفعل المنكرات

وفي مدة (عالى) رفع الله سبحانه وتعالى منار حايه بني اسرائيل وجعلها في نفس (شمسون وشمويل) وذلك أن (شمسون) كان من نسل سبط دان القاطن في الناحية الغربية من يهوذا وكان مولده نبيا من ملائكة عند الله لوالديه وأوصاهما بأن يرربا الطفل منذ ورا لله ويحفظاه من الاطعمة الخبسة والاشربة المسكرة ويحذرا من وضع الموسيقى على رأسه لأجل حلق شعره وأنه عند ما يبلغ هذا الطفل مبلغ الرجال يفعل أفعالا عظيمة يعود منها النفع على قومه ضد الفلسطينيين وبلغ (شمسون) مبلغ الرجال في الوقت الذي اشتد فيه جور الفلسطينيين وظلمهم على بني اسرائيل وكان بين بعضهم حروب مستمرة وكان شجعان المحاربين من سبط (دان) معسكرين في معسكر حصين بالقرب من قرى (يريم) وأخذ (شمسون) في الحركة وأعطاه الله قوة في الجسم وطاقة على الاتعاب والمصاعب وعدم الخوف من وقوعه في الأهوال والخواف ولما كان واثقا ومعتدا على ما أعطاه الله تعالى من القوة والحيل عزم على فتح باب المنازعة مع الفلسطينيين ولهذا طلب أن يتزوج بامرأة من (بثنة) وعند توجهه لرؤيتهما قتل في طريقه أسدا بأن قبض عليه من فمه ومزق شديقه من رأسه ورمى رمة الاسد في ناحية من الطريق ولم يقل لاحد على ما فعله وعند عودته بعد قليل من هذه الطريق رأى سربا من النحل اتخذ خلية في الرمة فأصكل العسل الذي وجدته فيها ولم يقل لاحد عليه وفي وليمة زواجه جعل ذلك الغزا لثلاثين شخصادعاهم في الويمة وقال لهم على هذا الغزو شرط ان حلوه في ظرف اسبوع فلهم ثلاثون قميصا وثلاثون حلة من الثياب ولما قرب انقضاء المدة تودع هؤلاء الشبان زوجة (شمسون) وأهلها بالحرق ان كانت لا تسأل زوجها عن جواب هذا الغزو وتخبرهم به وبما أن (شمسون) كان مطيعا لما تطالبه منه زوجته مالت بكليتها اليه وطلبت منه جواب الغزو فأخبرها مع ميله لها بالجواب وهي قائلة لا قاربها وفي اليوم الموعد حل الشبان الغزو ولما ظهر (شمسون) الخديعة قال الذي حث على عجلتي فك حذورتني وجعل خديعة الفلسطينيين ومكرهم في أسنانتهم وترك لهم المدينة وتوجه ناحية عسقلان وقتل ثلاثين رجلا من أهلها وأرسل ثيابهم الى أولاد بلدهم الذين حلوا الغزو ورجع عائدا الى بيته فتزوجت امرأته رجلا من أخص أصدقائه واباعاد اليها وسمع بخبرها لم يقبل أن ينظر اليها وأخذ نارهم من القوم بكونه حرق أجران المحصولات الموجهة عند الفلسطينيين فانتقموا منه بكونهم



أحرقوا امرأته وأباها فانتقم منهم أيضاً بكونه هجم عليهم وقتل منهم مئة كبرى جدا ثم هرب منهم إلى أرضهم وذا من هذا الوقت استمرت الحروب بين (شمسون) والفلسطينيين فأظهر (شمسون) ما عنده من الشجاعة وما أعطاه الله من القوة والعزم وقتل منهم في واقعة ألف نفس من رجالهم وما كان معه سلاح بل كان في يده فلك حجار وفي مدة بقائه على عهد نذره كان يخلص من كل شرك يقع فيه لكنه سلم أخيراً نفسه لاشياء أضعفت قوته الإلهية وبولده منها دماره وذلك أنه تزوج بامرأة اسمها دليلة كانت قاطنة في وادي (سورق) فجعل الفلسطينيون لها جعلاً على أن تغدر به فتوسلت إليه بكليتها وتدللت عليه بمحبته ليخبرها عن سر قوته فأنحبرها بأنهم موجودون في شعرة فاذا قطع شعرة زالت منه قوته وبينما كان نائماً بين يديهم ساد سقط عليه بعض أعدائه وقطعوا شعره وأسروه وغلوا عينيه وجدعوا أنفه وأوثقوه في الأغلال وساقوه إلى غزّة وألزموه الشغل في مهنة حقيرة وهي أن يطحن في طاحون الحبس وعاقبوه بالأم العذاب لكن الله تعالى لم يدعه فأنه بعجز دما طال شعره عادت إليه قوته وبعد ذلك اجتمع أمراء الفلسطينيين وقوادهم في محفل كبير في هيكل داجون في غزّة وكان ذلك يوم عيد الههم وأخرجوا (شمسون) من الحبس وألزموه أن يضربهم بما يتعلمه من قوته في لعبه وأمروه أن يقف بين عمودين حاملي سقف الهيكل وكان الهيكل غاصاً بازدهام الناس وكان فيه نحو من ٣٠٠ نفس فتضرع (شمسون) إلى الله سبحانه وتعالى في أن يقويه ليهلك نفسه مع أعدائه وقبض هذا الشجاع الأعمى على العمودين بذراعيه وضغط عليهم أوجذبهم ما مرة واحدة فسقط الهيكل على ما فيه وقتل (شمسون) وسائر الحاضرين في الهيكل ومات مع موته هذا عالم كثير أريد من كان يقتلهم في حياته وأخذ قومه جثته ودفنه مع آباءه وكان (شمسون) معلوماً أنه الثالث عشر من قضاة بني إسرائيل الآن حكمه لم يظهر أنه امتد على غير سبطه

وكان (شمويل) وهو الخامس عشر من القضاة وآخرهم مثل (شمسون) طفلاً منذوز الله سبحانه وتعالى وكان أبوه ألقاه من ذرية مورة وأحد رؤساء سبط لاوى قاطناً في (رمثايم) صوفيم وله زوجتان في أعظم ما يكون من الطبايع والصفات الحميدة في ذلك الوقت فأما أحدهما فتتبه فكانت أم أولاد وأما الأخرى حنة وهي زوجته المحظية فكانت عاقراً ثم إن (ألقاه) توجه بعائلته إلى (شيلوه) حسب العادة الجارية عندهم لأقامة شعائر دينهم في أثناء جلوسهم جميعاً على أكل الوليمة القريانية مال (ألقاه) بكليته على حنة وأظهر لها علامات المحبة فغارت منها فتنه وعابتها وذهمت بسبب كونها عاقراً وقالت لها ألقاه ما موجهة حتى إن حنة تركت الأكل وقامت تجرى ودموعها على خدودها وبما حصل لها من الغضب والزلزل ذهبت وقعدت على باب الخيمة المقدسة وصارت تدعو في قلبها أن يرزقها الله ولداً يجعله نذراً له سبحانه وتعالى فتنظر إليها إلى الخبر الأعظم ورأى شفائهم بالعب فظن أنها سكرانة من الأكل فأوجعها بالكلام المؤلم فأطلعت على أمرها وأكدت له حقيقة خبرها وأنهم امرأة حزينه القلب مكسورة القواد وأنهن تشكوا بثناؤهن إلى الله فلا ظفها على الكلام مع الشفقة والرأفة ودعاها بالبركة وابتلى بالدعاء إلى الله أن يهبها نساء فاعادت إلى منزلها مغرورة بالسعادة وولدت شمویل في الوقت الموعود فأخذت في تربيته حتى بلغ العمر ~~السن~~ في لافضاله منها وأخذته إلى شيلوه وقدمته مع الوقار والاحلال إلى خدمة الله سبحانه وتعالى وتركتها عند الخانم الأكبر ثم ولدت لزوجها ثلاثة أولاد وبنين وشب شمویل وترعرع في خدمة الخيمة المقدسة ونال كرم الله وكرم خلقه ومن دلائل



كرم الله عليه أن نعم الله عليه في حال شؤيته بان قال له في الليل انه سيهلك بيت عالي وبأخذ الخاخامية  
منه عابا على ما يفعله أولاده من الخطايا والجرائم وعجزه عن تنفيذ حكمه عليهم ومن هذا الوقت صار  
شمويل نبيا وما نقص شي مما أنبأ به وازدادت شهرته ونفوذ كلمته على الامة كلها كان يتقدم في السن  
ومن جملة وصايا الله لشمويل انه يقوى بني اسرائيل ويشجعهم في اعتقادهم ان الله يساعدهم على  
عتقهم من الفلسطينيين ومن ثم جازوا السلاح لكن حصلت لهم الهزيمة في جبال بنيامين القريبة من  
شمال اورشليم فلب حفي وفنحاص ولدى عالي التابوت من شيلوا الى معسكر بني اسرائيل معتقدين  
انه بواسطة انتها الحربة التابوت ينالون النصر من عند الله فعاقبهم الله على انتها هذه الحرمه بان  
أذن للفلسطينيين بهزيمة الاسرائيليين فسقطوا عليهم وقتلوا منهم نحو ٣٠٠٠٠  
نفس وقتل حفي وفنحاص وتغلب الفلسطينيون على التابوت ووصلت أخبار هذه المصيبة الى عالي  
وهو جالس على مقعد أمام باب الخيمة المقدسة فلما سمع بفقد التابوت وقتل أولاده سقط من فوق متعده  
فانكسرت رقبته وخرجت روحه من جثمانه

وجعل الفلسطينيون التابوت الى بلادهم مع النصر والظفر فأرسل الله سبحانه وتعالى عليهم آية عذاب  
شديد فأرسلوه الى بيت شمس فحصل لناس من أهالي بيت شمس غيرة وفتحوا التابوت ونظروا ما فيه  
فأرسل الله عليهم طاعونا يشاء أن انتها حكم هذه الحرمه فأهلك منهم ٧٠٠٠٠ نفس ولما خاف الموجودون  
على قيد الحياة من أهل بيت شمس من مثل هذه المصائب أرسلوا التابوت الى قريات يعازيم فأخذ أهل  
قريات يعازيم الى مدينتهم وبقي في بيت أبي ناداب من سبط لاوي الى أن جله داود الى اورشليم وخلف  
شمويل عالي في وظيفة القضاء وكان حكمه عاما على بني اسرائيل وفي ظرف عشرين سنة من بعد فقد  
التابوت اضطلع بنو اسرائيل وخدت قواهم مما وقع عليهم من أثقال الفلسطينيين وفي آخر هذه المدة  
دعا شمويل الامة وبذل جهده في خلاصهم وعتقهم من الفلسطينيين ولاجل استعدادهم لهذه الحركة  
عقد جمعية عظيمة في مذبح وأمر بني اسرائيل بالصوم والطهارة والتوبة مما هم فيه من المعاصي ووجد  
عهدهم وميثاقهم مع الله سبحانه وتعالى فلما بلغ الفلسطينيون خبر عتقهم هذه الجمعية أرسلوا جيشا  
عظيما لاجل اخادها وخطمها فشجع شمويل الامة على الاغارة على هذه القوة والهجوم عليها وساعد  
الله بني اسرائيل بان أرسل على جيش الفلسطينيين زعازع شديدة من السماء هلك فيها قسم عظيم من  
جيش الاعداء فهرب الفلسطينيون وأعقبهم الاسرائيليون بالذبح والقتل فتولد من هذه النصرات  
كسر شوكة الفلسطينيين على بني اسرائيل وأقيمت حكومة شمويل مع الثبات ونشر العدل في ادارة  
البلاد بين الامة العبرانية وعين ولديه يوئيل وأبياب لمساعدته وتمتع بنو اسرائيل تحت حكم شمويل  
بأعظم مدة سلمية لم يروها قبل الآن

ومع ذلك كانوا على غير رضا عنهم واعتقدوا في أنفسهم ان احتياجهم لحكومة مركزية وهي هذه الحكومة  
الجزارية منبغ لما حصل لهم من المصائب والبلايا الماضية وخافوا أن يصيروا فيما بعد عرضة لمثل هذه  
المصائب والبلايا ونسوا أن السبب الاصل في حصول لهم من الاوجاع والا كذا هو كفرانهم بعبادة  
الحق سبحانه وتعالى فلجوا في طلبهم ملكا عليهم وقالوا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم  
ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا  
فيما وعظهم به شمويل وذكرهم اياه أن الله هو ملكهم وأنه هو الحافظ لهم وانهم ان أصروا على انتخاب



ملك وقعر في أشد العذاب جماعهوا الله وعدم قبول أوامرهم فلما رأوا يتضرعون ويبتلون إلى الله حتى  
سمع دعاءهم ومنحهم سؤالهم وأمر الله سبحانه وتعالى شمويل أن يتم طلب القوم فعلى حسب الأوامر  
الالهية والتعليمات الربانية دهن شمويل طالوت بن قيش من سبط بنيامين ليكون ملكاً على بني إسرائيل  
وكان ذلك في سنة ١٠٩٥ قبل الميلاد

### الباب الرابع

#### في المملكة الواحدة

وصف طالوت - عدم رضا الأسباط - خلاص جلعاد - اقرار الامة العبرانية على طالوت -  
اغتيصاب طالوت حكم الناحيات - مشاحنته مع شمويل - الحروب مع الفلسطينيين والامم  
الآخر - تدمير العمالة وانقراضهم - قتل شمويل اجاج - دهن داود ليكون ملكاً -  
ميل طالوت لداود - موت جالوت - بحث طالوت على قتل داود - هرب داود - مخاطرته وجرأته  
- ذبح طالوت الناحيات - واقعة جبل جلبوع - موت طالوت ويوناثان - صيرورة داود ملك  
يهوذا - حرب داخلي - صيرورة داود ملكاً على كافة بني إسرائيل - فتح أورشليم - فتوحات  
داود - امتداد مملكته - أحكامه الداخلية - خطيئته - عصيان أولاده - موت داود -  
جلوس سليمان - مجد سرايته وزخرفتها - تجارة العبرانيين - الصفات الشخصية للملك -  
طريقته - المعبد - اضمحلال شوكة سليمان - خطيئته - موته - ربعام خليفته - ثورة  
الأسباط الشمالية ونعصهم

ومن المحتمل ان طالوت الملك الجديد كان عمره نحو أربعين سنة وقت جلوسه على أريكة سلطنة بني  
إسرائيل وكان موصوفاً بشرف النفس وعلو الهمة وحسن السجاي والطباع وكان أطول انسان في بني  
إسرائيل وكان ذاهبية ووقار حتى ان شمويل عندما قدمه للامة أهلاً وأورحاً وباه وصرخوا بصوت  
واحد مع الابتهاج والسرور وعلو الصوت قائلين حفظ الله الملك حيما الله الملك وكان مستحواً على  
شجاعة أبنائه جنسه وبسماتهم ومهارتهم

وتولد من كون انتخاب الملك من الأسباط الدنية أن قالوا لشمويل بعد أن قال لهم ان الله قد بعث لكم  
طالوت ملكاً ما كنت قط أ كذب منك الساعة ونحن من سبط الامة لم يوث طالوت سعة من المال  
فتنبه فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ولما رأى شمويل ما هو  
حاصل عند الأسباط من الكراهة والبغضاء دبر بحزمه أن يؤخر الجلوس العام لطالوت على الكرسي  
حتى تنقش هذه الاختلافات وفي هذا الوقت أغارنا حاش ملك العمونيين على أراضي جلعاد وهي  
الأراضي الموجودة في شرق نهر الأردن فأسرع طالوت وجمع قوة من بني إسرائيل وهزم العمونيين  
وبندد شملهم وخلص جلعاد اقتولهم ما ناله من الشجاعة والمهارة التي حازها في الحرب تسكين المخالفات  
التي كانت حاصلة ضده وتقررت حكومته وسلطنته مع الحمية والحماس على كافة الامة العبرانية واستمر  
(شمويل) في تنفيذ سلطته الكبيرة على أعمال القوم واعتبر الملك مجرد قائد حربي فقط من دون أن

يكون له شوكة يتداخل بها في التنظيمات والشرائع القديمة وكان ذلك مغايراً لما عليه حالة الملوك الأمم  
 المجاورة للامة العبرانية - تقرضى (طالوت) مدة من الزمن بهذا الانقياد واستمر خاضعاً لأوامر (النبي)  
 وأحكامه إلا أنه بسبب عنفوانه وشدة قوته لم يمكث مدة طويلة على هذه الحالة فابتدأ في أن يبطل  
 ما هو واقع عليه من الحجر والصد الذي وضعه عليه شمويل وبذل جهده في أن يكون ملكاً بالفعل والاسم  
 وذلك أنه من بعد تقليده مع الاحتفال الرائد في نواحي الجليل بعد رجوعه من حرب العمونيين  
 صرف عساكر بني اسرائيل الى بلادهم وأبقى معه قوة مقدارها ٣٠٠٠ نفس في ميدان المحاربة فحجز  
 منهم ٢٠٠٠ نفس تحت خاصة أوامره وجعل الالف الباقى تحت امرته ابنة (يوناثان) وكان شاباً  
 حسن الخلق واصفاً فهاجم يوناثانهم على مدينة (جبعة) الحصينة من مدائن الفلسطينيين  
 الواقعة في أرض بنيامين وخلص هذا السبط من الارتباك والاضطراب الدائمة التي كانت واقعة  
 عليه من الفلسطينيين وشرع الفلسطينيون في الحال في ترتيب جيش كثيف وأبرزوه في ميدان  
 المحاربات فطلب طالوت قوى بني اسرائيل واجتمعوا في الجليل ويلحق به شمويل في هذا المحل لأجل  
 تقديم القربان الى الله سبحانه وتعالى افتتحا في انتشاب الحرب فاجتمع القوم في الوقت المعين إلا أن  
 شمويل لم يحضرفا تنظره طالوت سبعة أيام ولما قلقت القوم وعيّل صبرهم عزم طالوت على أن ينهر  
 الفرصة في مدة غياب شمويل ويقضى ما كان مصمماً عليه من مدة طويلة وهو أن يخلع حكم شمويل  
 ويأخذ لنفسه سلطة الخاخامية ف قرب القربان بنفسه وأعلن لنفسه سلطة القسوسية والملك وبعد  
 ذلك بقليل وصل شمويل وعرف في هذا الوقت من دلائل الاعمال التي أجراها طالوت أن مقصده الأصلي  
 هو وضع العبرانيين تحت سلطته على قواعد وقوانين الأمم المجاورة وأن تكون له الشوكة السامية  
 والسيادة العالية على الاحكام الروحية والاحكام المدنية الداخلية للامة العبرانية فخرج شمويل  
 طالوت وعنفه على ما فعله وقال له باسم الله ان الاعتبار والوقار الالهى زال عنه من هذا اليوم وأنه  
 عند موته لابد من انتقال السمو للملوك الى عائلته أخرى غير عائلته

وفي هذا الوقت زادت أثقال الاستعباد والرق الحاصل من الفلسطينيين على الاسباط الموجودين في  
 الجهات الجنوبية ومنعوا صناعات المعادن والحديد من الشغل في تجارتهم فن ثقل وجود الدروع  
 الحربية حتى ان طالوت لم يجد الا ٦٠٠ درع درع بها ستمائة نفس من هذه الجمعية الكبيرة التي  
 وردت عليه في الجليل من بني اسرائيل ومع هذا فإنه سار بهم الى الجهة الشمالية من نواحي (محاس)  
 الملاقاة العدو وعند ما وصل اليها هجم (يوناثان) ابنه بما كان معه من العساكر على معسكر  
 الفلسطينيين وأوقع فيهم الفشل والارتباك فأداروا سلاحهم في بعضهم وفروا هاربين وتبعهم طالوت  
 في الحال ولحقه كل اسرائيل أمكنه أن يجد لنفسه سلاحاً وسار مع السرعة في رأس ١٠٠٠٠ مقاتل  
 وسار مع قبالة العدو الى (بيت أون) وأوقع في عساكر العدو والتلفيات المهولة وبهذا انسحب  
 الفلسطينيون الى بلادهم واستمر واعدت سنين لا يحصل منهم أدنى سعي ضد بني اسرائيل وفي هذا الوقت  
 صد (طالوت) غارات العمونيين والموابيين والادمونيين وسوريي صوبه وكانت غاراتهم وهجماتهم  
 متوالية الاجراء على ممالكهم وفي نفس هذه المدة تغلب الاسباط الموجودون في الجهة الشرقية من نهر  
 الاردن على قبيلة العرب الرحالة من أرض هجر ومدوا أرضهم الى نحو دمشق ولما تبين طالوت  
 ان حفظ مملكته متعلق بعهارة مدافعه الاعداء عنها بذل جهده في ترتيب جيش ثابت ومع أنه كان



قليل العدد إلا أنه كان من متدربي الرجال المتعودين على الحروب والمتاعب وجعله في أعظم درجة من درجات الكمال وعهد قيادته إلى ابن عمه (أبي نير بن نير)

ولمباشرة (شمويل) وقرب انتهاء أجله جاءه عدو طالوت في يوم من الأيام وأمره أن يشعل حرباً فنية على العماليق المتأصلة عداوتهم من قديم الزمان للهبرانيين فسار طالوت في الحال اليهم وهزمهم وكان مأموراً من طرف شمويل أن يخرب ويدمر كل ما تغلب عليه فلم يفعل طالوت ما أمر به شمويل وجلب معه غنائم عديدة وصفح عن أجاج ملك العماليق وساقه معه أسيراً حتى يتيسر له الحصول على فداء نفسه من الأسر والقتل

ولما تقابل شمويل مع طالوت في الجبل عند عودته من الحرب لأمه على ذلك وفي هذا الوقت ذبح شمويل الملك أجاج بيده

ثم إن شمويل انفصل من طالوت وانسد الخرق الذي كان مفتوحاً بينهما من أجل الاختلافات الواقعة من كل منهما وأمر شمويل بالتوجه إلى بيت لحم وأن يدهن داود ليكون ملكاً على بني إسرائيل فأطاع شمويل الأمر وما زال مسافراً حتى دخل بيت (لأشئ) وكان رئيس المدينة ودهن داود مع الاحتفال العظيم بالزيت المقدس وكان داود أصغر أولاد لأشئ وهو هدية من الله سبحانه وتعالى وملك جديده من نسل نحشون الذي كان رئيساً وأميراً على سبط يهوذا في البرية ويعتد من ضمن أجداد داود رجاء وروت الجميلة وكان داود بلغ سن الرجولة وظهرت عليه دلائل الشهادة بكونه حفظ المزارع العديدة مواشي أبيه وأنعامه من الأصوص والحوانات الكاسرة الموجودة في جهة الأقليم القاطن به أبوه ومال طالوت إلى داود بكل محبة وولع به وأغدق عليه بالانعام والاکرام وجعله حامل سلاحه

وفي هذا الوقت انتشبت حرب مع الفلسطينيين والتقى الجيشان جيش الفلسطينيين وجيش الاسرائيليين في جنوب فلسطين وجلب الفلسطينيون معهم رجلاً شجاعاً اسمه جالوت من أهل مدينة (جث) فلم يتجاسر أحد من الاسرائيليين على ملاقاته حتى إن داود هم لمبارزته وكان مصطحباً مع جيش طالوت فاجتهد طالوت في إبعاد داود عن عزمه هذا إلا أنه لما وجد عليه دلائل الطفر والتجاح في إزالة هذا الخطر الشديد رضی بخروج داود للملاقاة الجبار جالوت وكان داود متسلحاً بقلاعته الذي كان يستعمله لغمه فاستعمله أيضاً في هلاك هذا الجبار وقتله وقطع رأسه بسيفه فوقع الرعب والارتباك في جيش الفلسطينيين عند قتيل شجاعهم فهرب الجيش بهامة وتبعهم قوى (طالوت) يقتلون ويأسرون إلى أبواب مدينة (جث وعكرون) ففرح طالوت وتهلل وجهه من شجاعة داود وزوجه بانيته (ميكال) ووقع حب داود في قلب يونانان وبعد ذلك بقايل حصل لطالوت الحسد والغيرة من داود وزوجه ابنته على ما سمعه من الثناء والشكر في حقه من عموم الأمة من أجل قواله الطفر والنصر على جالوت ومن هذا الوقت شرع طالوت في التدبير على دماره وفقده حياته

ولمّا علم داود بذلك انجبر على الهرب من سراي طالوت والتجأ عند ملك (جث) ظاهراً عليه الخوف والرعب لينجو من بطش الفلسطينيين ثم بعد قليل صار عند الملك قائد شرفمة من ناس لاشريعة لهم ولا نظام وقطن مدة من الزمن في (موآب) ثم وطن نفسه في الأقليم الصعب الوصول إليه الموجود في بركة

يهودا الواقع في أرض يهوذا وفي هذا الوقت مات شمويل في (الرامة) بعد أن تقدم جدا في السن وانهت الامة الاسرائيلية وحرنت عليه حزنا شديدا

ومن بعد موت شمويل قبض طالوت على زمام حريته وانبع غي شمواته النفسية وأوقع بجميع معصدي الشريعة الموسوية وعسف فيهم وقتل الخاخام الأكبر (أبيلخ) وخمسة وعشرين حبرا معه وجميع أهالي مدينة (نوب) التي كان يسكنها الخاخام الأكبر وهرب أحد أولاد (أبيلخ) المسمى (أبي عشار) وكان ولي عهد الخاخامية اليكبري ونجا من دمار أهل جنسه وسار الى داود مع السلامة

ثم إن طالوت وجه جيشه على داود وطارده في فلسطين الجنوبية واستحوذ داود مرتين على حياة الملك وهو في داخل شوكة وجيشه إلا أنه لم يقتله كرامته وفضلا وذلك أنه كان يدخل عليه خفية وهو نائم ويضع سهمين عند رأسه ويرجله ثم يتركه فلما استيقظ طالوت من منامه ويرى السهم يحصل عنده أشد الغضب واضطر أخيرا داود للاجتماع عند أخيش ملك جت فأعطاه مدينة صفقغ فأقام فيها داود بضع سنين وهو يشن الغارات وأنواع الهجوم على العمالة الذين هم العدو المشترك لبني اسرائيل والفلسطينيين ثم انتشبت الحرب بين الفلسطينيين وبني اسرائيل مرة أخرى فأمر الملك أخيش داود أن يلتحق بجيش الفلسطينيين ويسير نحو طالوت فالتزم طاعة الأمر إلا أنه من سعادته ارتأى أن يقاتل الفلسطينيين منه وأقنعوا الملك في كونه يأمره بالعود الى صفقغ وتقابل جيش الفلسطينيين مع جيش بني اسرائيل في نواحي جبل جلبوعه فانهم زعموا اسرائيل وقتل يونانان وجرح طالوت جرحا مهلكا فقتل نفسه بنفسه خشيعة من أسرا أعدائه له وكان ذلك في سنة ١٠٥٥ قبل الميلاد بعد أن استمرت سلطنته على بني اسرائيل أربعين سنة.

وبعجرا أخذ داود خبر موت طالوت ويونانان عاد الى بلاده وأقام نفسه في حبرون واعترف له سبطه بالملك وهو سبط يهوذا إلا أن الاضطرابات الاخرى اضطرتهم نحو ايشبوشث وهو الابن الاصغر من أولاد طالوت وأمر أبي نير بتوجيهه في تخميم فأعقب ذلك جرحا دمويا داودا خلت سبع سنوات وكانت نتيجة هذا الحرب أن مال أبي نير الى داود وأما ايشبوشث فإنه ذهبه اثنان من خاتني خدمه ومن ثم أقروا غوم الاسرائيليين لداود وسلطنته وصار ملكا مع الاحتفال في حبرون

وكان عمر داود ثمانيا وثلاثين سنة عندما ابتدأ سلطنته على كافة المملكة الاسرائيلية فكان أول مشروع شرعه هو فتح اورشليم والتغلب عليها من البيوسنيين وجعل داود هذه المدينة عاصمة مملكته ومركز الديانة الاسرائيلية وجلب اليها التابوت واستوطنها ورتب فيها جيشا ثابتا وأنشأ في عاصمته الجديدة هذه سرايا المفتخرة لنفسه ولحريمه وأدخل فيها الالهة الملوكة التي كانت غير معروفة عند بني اسرائيل لهذا الوقت وعكف نفسه مع الصداقة النائمة على عبادة الله سبحانه وتعالى وجعل الله نبيا وملكاً وأنزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع وألان له الحديد وأمر الجبال والطير يسبحن معه ولم يخط الله أحدا مثل صوته في الاطمان وكان كثير الاجتهاد في العبادة

وكان داود أعظم ملك وأقوى شوكة ملك الامم العبرانية وكان سعيدا مظفرا بالنصرات في حروبه فكسرت شوكة الفلسطينيين ودمر مملكتهم وتغلب عليهم الى حد جنوب غزة وأخضع موآب ولم يترك



من سكانها من الدمار والخراب سوى الثلث فقط وألزمهم بدفع الخراج وكذا تغلب على العمونيين والممالك السورية المختلفة الكائنة بين الاردن ونهر الفرات وصار نهر الفرات حداً للمملكة داود ونخضت له أيضاً أدوم وامتدت أراضي العبرانيين الى البحر الاحمر والى الحدود المصرية وعقد داود معاهداً مع حيرام الملك الفينيقي في مدينة صور فكانت هذه المعاهدة من أجل الاشياء لانهم اعادت على المملكة بالمنافع الجمة وأرسل حيرام خشب الصنوبر وأحجار لبنان والانفار الشغاليين والصناع الماهرين لشغل السراى المزخرفة التى ابتناها داود في اورشليم

واشتهر داود في ملكته بين الامم المجاورين له بالمهارة والحكمة وجودة العقل وجلب الى ملكته ما يعود منه النفع عليهم ووظف جيش الاسرائيليين في كافة احتياجاته وجعل أحكام الادارة الداخلية والاحكام المدنية تحت نظارته ومباشرة ورتب المصالح والوظائف لادارة الاشغال العمومية ونظر في القوانين الديانية وشعائر العبادة الاسرائيلية وجعلها على قواعد أساسية سارت على موجبها بعد ولما كان داود نادراً لوجود في ضرب آلات الموسيقى والاقوال الشعرية أسس الاحتفالات المفخرة والشعائر الطريفة لعبادة العبرانيين وقرأ عليهم المزامير العجيبة الجارية الترنيم بها الحدالان وكان جل قصده ورغبته أن يشيده معبد افاخر فى اورشليم لله فامر الله سبحانه وتعالى أن لا يفعل ذلك بما أن يدوم ملطخة بالدماء

ثم بعد ذلك قضى الله رغبته وأمره سبحانه وتعالى أن ابنه وخليفته يكون سالماً من الدماء وأنه هو الذى يبني المعبد فمن ثم بذل داود جهده في مشتري الارض اللازم ببناء المعبد فيها وجمع الادوات اللازمة لبنائه ثم ان داود وان كان في درجة عالية من عبادة الحق سبحانه وتعالى الا أنه امتحن بحب الجميلة بشبع زوجة أوريا لحتى أحداً امرائه وصمم على الاستحواذ عليها وكانت هذه محنة من الله سبحانه وتعالى وكان أوريا في نغر من الثغور فبعث داود الى صاحب الثغر أن يقدم أوريا في الحرب فقدمه فقتل فلما قتل تزوج داود امرأته فولدت له ولداً مات ثم ولدت له ولداً ثانياً كان خليفته داود وهو سليمان عليه السلام

وبينما كان داود في المحراب مشغولاً بعبادته وقد أغلق على نفسه الباب اذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله اليه من غير الباب فراءه ذلك فقال لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تخط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب أى قهرني وأخذ نجحتي فقال داود لا تخزما تقول قال صدق اني أردت أن أكمل نعايج مائة فأخذت نجمة فقال داود اذا لا تدعك وذلك فقال الملك ما أنت بقادر عليه قال داود فان لم ترد عليه ما له ضربناه من هذا وهذا وأما الى أنفه وجهته قال يا داود أنت أحق بذلك حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا الا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته ثم غابا فعرف داود ما ابتلى به وما وقع فيه ففررا كما كما قال تعالى فاستغفر ربه ونحرا كما وأواب فغفرنا له ذلك ومن بعد ذلك تكدرت أمة ساطنة داود بشورتين كان سيهما كثرة تعدد الزوجات التى أدخلهن داود سرايته وفي ملكته وذلك أن أولاده المولودين له من أمهات مختلفة أضربوا بسنى آخر عمره بغيرتهم من بعضهم وما وقعوا فيه من الجرائم والخطايا ومنهم اثنان ابشالوم وأدونيا قاما في وجه أبيهما بالسلاح وتعصبا عليه وبسبب هذه العصاة ذهب داود من اورشليم والتجأ الى الاراضى الشرقية من نهر الاردن ودعا ابنه

لنفسه الناس فكثرت أتباعه من أهل الزرع من بني إسرائيل ولما تاب الله على داود انتهت الحالة بهمزيمة بالشوم وموته وكان استلم زمام الابهة المملوكية بواسطة خاله يواب قائد جيش داود وتاب أدونيا من جريته في حال حياته وبسبب عصيانه جعل داود الخلافة في سليمان وأشركت معه أدونيا مدة حياته ومن بعد أن حكم داود أربعين سنة منها ثلاث وثلاثون سنة أقامها في أورشليم مات في سنة ١٠١٥ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر ثمانيا وسبعين سنة تار كلقومه الذكرا الجليل والثناء الجليل في تاريخهم

وابتدأت ساطعة سليمان مع الوفاء والاحترام وجلس على أريكة بني إسرائيل وآتاه الله مع الملك النبوة وسأل الله أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وكان أبوه يستشير في حياته ويرجع إلى قوله فمن ذلك ما قصه الله في كتابه العزيز في قوله وداود وسليمان أذبحا في الحرت اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين وذلك أن غنما دخلت كرمافا كلت غنا قيده وأفسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان أرى غير ذلك أن يسلم الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها إلى أن يعود كرمه إلى حاله ثم يأخذ كرمه ويدفع الغنم إلى صاحبها فأمرضى داود قوله وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وانتشر الأمن واستتبأب الراحة في جميع أنحاء مملكته الشاسعة وكانت أحكامه وأوامر مطاعة يعمل بموجبها في كل جهة وعقد محالفة مع مصر لكونه تزوج بابنة رجل من القراعنة من العائلة الحادية والعشرين وعقد محالفات تجارية ذوات فوائدجة مع حيرام ملك صور صديق داود ورضى سليمان في هذه المعاهدات أن يكون له حصص في أرباح التجارة الفينيقية وأخذت ثروة الملك وغنائه في الزيادة حتى صارت لا تحصر بواسطة ما ورد من المعادن النفيسة ومواد الزخرفة إلى فلسطين

وشيد عمارة بحرية في البحر الأحمر وجعل بحريته من الصوريين واشتغل الاسراييليون بالتجارات وبيع البضائع وشرائعهم مع البلاد الكائنة في طول سواحل هذا البحر وبهذا صار لسليمان طاقة على أن يتمتع حياته بزيادة زخرفة سرايته فبنى لنفسه سراية أكبر زخرفة وأعظم سعة وزينة من السراية التي بناها داود حتى صار لا يعادلها سراية أخرى في تاريخ ملوك الشرق ووضع فيها كرسى سلطنته مرصعا بأنواع الاجار النفيسة ونشر العدل في رعيته ونال منهم الاحترام والوفاء ووردت عليه سفراء الدول المجاورة ونوابهم فأعزق عليهم بالاجلال والاکرام وكانت صفاته الشخصية منحصرة في هذه الابهة العالية وأما شرفه وجودة أخلاقه ونصرته في أمور الاحكام فكان نادرا لوجود في أيامه وكان مستحوذا على جميع علوم عصره وأعطاه الله الحكيم والعلم فعزل في قومه وامتناز الحديث من الطيب وأخذت كتابته وتدويناته بمجامع العقول وصارت متداولة من سنين عديدة وأحقاب عديدة

وكان أجل عمل مشهور عمله في مدة سلطنته هو بناؤه معبد داوينا لله على جبل موريا في أورشليم وتولد من معاهدته مع حيرام ملك صور طرق مهولة لأجراء هذا العمل الخطير وجلب له البحريه من الفينيقيين أخشاب السدر والصنوبر والخور من لبنان إلى يافا ومنها نقلوه إلى أورشليم لأجل تشغيل الأخشاب اللازمة لعمارة البيت ورسم معماريو الفينيقيين وبنائهم صورة المعبد وكوا أساساته كما محكوا وأقاموا عليها بنيان بيت المقدس ونفس المعبد فكان هذا المعبد أبداع بناء وأعظم عمارة في عصره وتوجهت إليه سائر الصنائع وأرباب الفنون ومن أهم خبرة ودراية تفن جرا الاثقال وبذلوا جهدهم في تشييده وكان



البدء في بنائه في السنة الرابعة من سلطنة سليمان أي سنة ١٠١٢ قبل الميلاد واستمر العمل جاريا فيه نحو ما من سبع سنين ونصف وكل بناؤه في الشهر الثامن من السنة الحادية عشرة من سلطنة سليمان أي سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد ووضع فيه التابوت وخصص البيت المقدس لله سبحانه وتعالى ورتب العبادة فيه باحتفالات جليلة فقبل الله ذلك بحضور جميع الامة البرانية بكونه أنزل نارا من السماء أكلت ما قرب به سليمان من قربان الله تعالى وسطغ النور الالهى في البيت المقدس حتى ان الاحبار والناس ستروا وجوههم من شدة ضياء النور الالهى وكذا وسع سليمان في اورشليم وأنتقمها وأحكمها بأسوار مستحكمة وبني أيضا عدة مباني عمومية نافعة في الاشغال العامة للامة في محال ومراكز مختلفة من مملكته وشيد في وسط الصحراء العظيمة السورية في منتصف الطريق بين دمشق والفرات مدينة تدعى المقتخرة التي اشتهرت فيما بعد باسم بالميرا

وجاءت اليه (بليقيس) ملكة شبر وأسلمت به وسبب مجيئها على ما قص في القرآن الشريف أن سليمان طلب الهدى فلم يره فقال لا عذبه عذابا شديدا أولاد يحنه أولاد أتني بساطان مبين ولما عاد الهدى الى سليمان قال له أين كنت فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم أي سرير أو تحت مرصع بالجواهر وجدت قومها يسجدون للشمس من دون الله فقال له اذهب بكاني هذا فألقه اليهم فأخذ الهدى وطار حتى وصل الى سبأ وألقى كتاب سليمان في حجر بليقيس فأخذته وقرأته وأحضرت رؤساء قومها وقوادها وقالت لهم اني ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعبدوا على ولا توفى مسلمين ثم قالت لهم يا أيها الملأ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا أمرين قالت اني مرسل اليهم بهدية فان قبلها فهو ملك فحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبي من عند الله فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسول أقدمون مني بما آتاني الله خير مما آتاناكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها وانخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ولما رجع الرسول اليها سارت اليه وأخذت معها قوادها وأمرأ قومها وقدمت عليه فلما قاربه قال سليمان لأصحابه أيكم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتوني سليمان قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك يعني الوقت الذي تتوجه فيه الى بيتك للغداء قال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك وقال له انظر الى السماء وأدم النظر فلا تزد طرفك حتى أحضره اليك فلما أتى به قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكره أن آتاني به قبل أن يرتد الى طرفي أم أ كفر أ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على احضاره فلما جاءت بليقيس قيل لها هكذا عرضك قالت كأنه هو ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى هنا فقال سليمان للجن اني اوصيكم ببلقيس فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير خضر في مثل الماء وجعلوا تحت الطوابق مثل دواب البحر وقعد سليمان فيه على كرسي ثم أمرهم فأدخلت بليقيس عليه فلما أرادت أن تدخله ورأت صور التمسك ودواب البحر حسيته بلعة ماء وكشفت عن ساقها لدخل فلما رآها سليمان صرف نظره عنها وقال انه صرح عمر من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأحبها سليمان حباً شديدا وردها الى مملكتها باليمن

وفي هذه المدة كانت مملكة بني اسرائيل في أعلى درجة من المجد والسعادة الا أنهم مع ما كانت عليه من عظيم الشوكة حل الدمار والخراب في مملكة العبرانيين بما حصل فيها من نجاح ثورة (رزون) ملك دمشق بما انه كان عزم على تجديد اقامة استقلالية (أروم) الا انه من بعد نجاحه انهم في أعماله وهرب الى مصر وصار كل من سبطي افرايم ومنشأ على شرف العصيان ولما انكشفت الاخبار والاغراض عن ذلك التزم (يربعام) قائد الثورة بالهرب والاتجاء الى مصر ولما مات سليمان عليه السلام حصل في المملكة ارتباك واضطرابات حتى أشرفت على الفناء والدمار ومات في سنة ٩٧٥ قبل الميلاد بعد أن تسلط أربعة عشر سنة على بني اسرائيل

ونخلف سليمان ابنه (رجبعام) وما كان له ولد غيره وكان عمره أربعين سنة عندما جلس على أريكة السلطنة وفي مبادئ سلطنته طلب الاسباط الشماليون وكانوا على شرف ثورة من الملك الجديد تغيير بعض أشياء كانت في عهد والده فلم يقبل رجبعام هذا الطلب وتوعدهم بأنه سيزيد في أثقال أحمالهم زيادة عما كانوا عليه قبل فتولد من ذلك أن خلع الاسباط الشماليون بيعة طاعتهم لبيت داود وجعلوا السلاح وأسسوا مملكة جديدة وجعلوا عاصمتها في شكيم وجعلوا (يربعام) قائدهم ملكاً عليهم فشرع الملك رجبعام في اتحاد هذه الثورة بالقوة والحرب فقع هذا الحرب الداخلي بأمر من الله سبحانه وتعالى وأمرهم بعدم الغارة على بعضهم وبهذا تم انفصال الاسباط من بعضهم واستبدلت مملكة داود وسليمان ذات الشوكة القوية والابهة والمجد والسلطة الداودية بمملكة في فلسطين ليس في واحدة منهما ما كانت عليه حالة المملكة الاولى من الروق والمجد وأطلق على المملكة الشمالية اسم اسرائيل وعلى المملكة الجنوبية اسم يهوذا وبما أن مدة المملكة الشمالية أقل بكثير من مدة مملكة يهوذا رأينا أن الاجود سرد تاريخ المملكة الشمالية قبل تاريخ المملكة الجنوبية أي مملكة يهوذا

## الباب الخامس

### تاريخ المملكة الشمالية

وصف مملكة اسرائيل - سلطنة يربعام - تمام الانفصال - سلطنة بعشة - الحرب مع دمشق - صيرورة جري ملكا - بناء مدينة سامرا - أحاب ويزبل - سلطنة أخازيه ويحورم أو يهورام - موت ييزبل - سلطنة يهو - خضوع مملكة اسرائيل لأشور - يربعام الثاني - الملك الأكبر لاسرائيل - الملك شالوم - غارات الاشوريين - فتح مملكة اسرائيل وجعلها خراجية - مملكة الاشوريين - فتح ماوراء نهر الاردن من الاراضي بواسطة الاشوريين - سانسار الرابع وغزوة اسرائيل - التغلب على مدينتي سمارية - نقل الاسرائيليين الى آشور - نهاية مملكة اسرائيل - استيطان المملكة واستعمارها بواسطة ملك الاشوريين

أقام الاسباط الشماليون مملكة اسرائيل تحت حكم (يربعام) وكانت واصيلة من الحد الشمالي لاراضي بنيامين الى حدود دمشق داخلها جميع اراضي ماوراء نهر الاردن بما فيها اراضي موباب



وما كانت هذه المملكة على غاية من السعة فقط بل كانت أيضا زاهية عامرة كثيرة الخسوبة عن  
مملكة يهوذا وكانت هذه المنافع والفوائد معادلة للانحطاط والنجول الذي وقع في عاصمة  
الاسرائيليين في مدينة (أورشليم) وانقلب الملك يربعام والامة على رضائهم الى التمسك بالعبادة  
الوثنية والاعتكاف عليهم وتركوها عبادة الحق سبحانه وتعالى وذكري التاريخ العبري أن الله سبحانه  
وتعالى أرسل منهم رسلا وأنبياء عديدة ينذرونهم وعد الله وشدة عقابه واجتهدوا في وعظهم وتذكيرهم  
مأسوخ الله تعالى عليهم من نعمته وأرادوا أن ينالوا عنهم هذه الشوائب وما هم عليه من عبادة الاوثان  
ورجوعهم الى عبادة الله فلم يزدادوا الاتسكاي هذه العبادات الباطلة وكنتم منهم العبادة الوثنية  
وصاروا كأنهم كانوا أمة أصلية من أممها وما أمكن الانبياء والرسل أن يردوا الامة لعبادة الله سبحانه  
وتعالى وفشت فيهم الافعال الخبيثة الشيطانية وازدادت مع تقدم الايام والزمن فكانت تأثيراتها  
وتأثيراتها على اصلاح السبيل مضرّة كبيرة ووخامة جسيمة وتولد منها أن المملكة صارت صيدا  
سهلا للغاصين من الاشوريين من بعد مضي قرنين

وكان يربعام أول ملك من ملوك اسرائيل توظف بأمر الله سبحانه وتعالى فانقرض تحت حكمه الثوران  
والعصيان وتأسست سلطنة المملكة واجتهد في حصول الانفصال النهائي بين المملكةتين ولا جعل  
المساعدة على ذلك أقام معبدين للامة أحدهما في دان والاخر في بيت ايل وشحنهما بتمثال من  
الاصنام والاوثان ورتب طائفة جديدة من القسس والاحبار لاضارة أحبار اللاويين ومعاكستهم  
فغضب اللاويون من هذا الفعل القبيح وكدر عليهم وعلى المنتمين اليهم عيشتهم في جميع الجهات المختلفة  
من المملكة الشمالية حتى التزموا بالرحيل منها الى مملكة يهوذا واستمرت سلطنة يربعام عشرين سنة  
مضت في حروب مستمرة مع مملكة يهوذا ومات يربعام سنة ٩٥٤ قبل الميلاد وخلفه ابنه  
ناداب وبه انقرضت عائلته حكم سنتين وقتله بعشة قائد جيشه وقتل أيضا جميع بيت يربعام  
وجعل نفسه ملكا على بني اسرائيل في سنة ٩٥٣ قبل الميلاد ونقل بعشة عاصمة المملكة الى طرسة  
وعكف على عبادة الاوثان وأما الذين بقوا متمسكين على عبادة الله في بني اسرائيل فانهم تركوها ورحلوا  
الى مملكة يهوذا في نحو السنة الثالثة عشرة من سلطنته وكان الذي جذبهم الى مملكة يهوذا رفق  
الملوك أسا ورجته فأوقد بعشة حربا على يهوذا لاجل منع هذه المهاجرة وارتداد الذين هاجروا الى مملكته  
واجتهد في محاصرة الحد الجنوبي للمملكة يهوذا ثم التزم العود الى الجهة الشمالية بواسطة ما وقع من  
غارة السوريين على مملكته وكان السوريون تحت قيادة بنحداد ملك دمشق وكان الملك أسا  
حالقه واشترى منه هذه المحالفة لاجل ابتعاد بعشة عن مملكته ومن بعد موت بعشة خلفه ابنه عبلة  
في سنة ٩٣٠ قبل الميلاد فذبحه زمرى وهو في حالة سكر سنة ٩٢٩ قبل الميلاد وجعل زمرى  
نفسه ملكا الا أن الجيش لم يقرر ملوكيته على المملكة وأقام الجيش عمري قائده ملكا فأعقب ذلك  
حربا داخليا استمرت سبعة أيام ولما انهزم زمرى دخل في سرايته وأغلقها عليه وعلى عائلته وحرقها على  
رأس نفسه وهلك في لهيب نارها وابتدأت سلطنة عمري في سنة ٩٢٩ قبل الميلاد وكان له خصم اسمه  
تبني معضد في دعواه بنصف الامة فانتصر في حركته وتسلطن الى حد سنة ٩١٨ قبل الميلاد وبني  
مدينة سامرا الحصينة وجعلها مقر عاصمة مملكته وأنشأ حربا على الدمشقيين لكنه انجبر أخيرا على

## عقد صلح مهين

ثم خلفه ابنه اخاب وهذا قوى نفسه بزواجه عزرايل بنت أثبعل ملك صور ورئيس قسس أسطارطه  
فتولد من ذلك الارتباط ادخال الفينيقيين الوثنيين في مملكة اسرائيل وفي نحو تمام القرن أرسل الله سبحانه  
وتعالى الياس نبيا الى بني اسرائيل لينذر الملك والامة عقاب الله لهم من أجل اعتكافهم على المعاصي  
وارتكابهم الجرائم فلما لم يسمعوا ما وعظهم به أرسل الله عليهم ثلاث سنين حقا وكشفه الله عنهم بعد أن  
تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من المعاصي والجرائم الى انقيادهم لطاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته وقرب  
الياس القربان لله على جبل الكرمل وذبح قسيسين بعل وأنشأ اخاب في السنة الاخيرة من سلطنته  
حربا مظفرامع الدمشقيين فكان هذا الحرب سببا في عودا مستقلة لامة مملكة اسرائيل وأعقب ذلك  
صلحا استمر ثلاث سنوات وفي نحو سنة ٨٩٧ قبل الميلاد جدد اخاب الحرب مع سوريا واجتهد في الاتصال  
مع يهوشفاط ملك يهوذا بشأن ضبط القلعة الثغرية المسماة (راموث جلعاد) ومات اخاب في هذه  
الواقعة التي حصلت وتشتت الجيش المتحد

وخلف اخاب ابنه أحرزيا وفي مدة سلطنته القصيرة التي كانت أقل من نصف سنة عصت موآب ثم  
خلف أحرزيا أخاه يهورام فاستمر يهورام في المعاهدة مع يهوذا وكان أحسن من اخاب  
وأحرزيا لانه أبطل عبادة بعل ولوائه عكف على العبادة الوثنية اختراع يربعام وأنشأ حربا على موآب بما  
كانت عصت على أخيه وانضم بواسطة هذه الغزوة الى يهوشفاط وملك أدوم عبدا ملك يهوذا وأرسل  
الله سبحانه وتعالى المياه اللازمة لاستعمال الجيش بآية من عنده كما حصل انهزام الموابين هزيمة  
فاصلة بقدره الله وأعقب يهورام هذه النصره بخراب أرض موآب بالنار والسيوف وأشهر نصرته بما  
أجراه من الشدائد والفظائع فمن ثم غضب ملك يهوذا وعاد الى بلاده ومن المحتمل أنه عاد في السنة  
الاخيرة من سلطنته عن عبادة بعل وجدد الحرب مع سوريا على راموث جلعاد فأنجح في حربه مع  
السوريين وتوجه الى اسرائيل لمداداة نفسه وعاده فيها صديقه أحرزيا ملك يهوذا وفي مدة غيابه عن  
الجيش أقام العسكر (ياهو) ملكا وسار الى اسرائيل وقتل (ياهو يهورام وأحرزيا) وأمر برمي  
العاهرة ارملة أخاب من فوق أسوار المدينة وأهلك جميع بيت اخاب

وابتدأت سلطنة ياهو في سنة ٨٨٤ قبل الميلاد وكان أول عمل عمله أن أبطل عبادة بعل بيد قوية  
الأنه أبقى العبادة الوثنية التي اخترعها يربعام ثم ان (حزرايل) الدمشقي اغتصب منه أقاليمه الموجودة  
فيما وراء نهر الاردن وآل أمره الى أن دفع الخراج الى سلطنة الاشوريين وكانت زهت وشبت على  
الأفق الشمالي وصارت ذات شوكة قوية في آسيا ثم خلفه ابنه (يهواحاز) في سنة ٨٥٦ قبل  
الميلاد وضعفت تحت حكم هذا الملك شوكة المملكة نوعا بواسطة ما حصل من غلبة الاشوريين حتى  
ان ملك الاشوريين ألزم يهورام وأحاز بأن يعين نهاية ثابتة لقوة جيشه الثابت ثم خلفه ابنه (يهواش) في  
سنة ٨٣٩ قبل الميلاد وكان ملكا جبارا شجاعا هزم في حروبه بتجداد ملك دمشق ثلاث  
دفعات متواليه ابن حزرايل واستحوذ على قطع الاراضي التي كانت فقدتها اسرائيل وهزم  
(أمصيا) ملك يهوذا ودخل اورشليم أشبه بكونه فاتحها لها ثم خلفه ابنه (يربعام) الثاني في سنة ٨٢٥



قبل الميلاد وفي مدة سلطنته وصل الاسرائيليون الى أقصى درجة من درجات السمو والافتخار والشوكة وانه لم يترك جميع الاراضي التي فقدتها اسرائيل الكائنة في شرق نهر الاردن فقط وفتح موآب وعميون بل وهجم على دمشق نفسها وكانت اضمحلت شوكتها ونفوذها بسبب ما حصل فيها من الغلبة والنجاح للاشوريين وأضاف (يربعام الثاني) قسما عظيما من اراضي سورية الى مملكة اسرائيل

ثم خلف (يربعام الثاني) امامباشرة وامام من بعده ابنه (زكريا) في نحو سنة ٧٧٢ قبل الميلاد وذبح (شالوم زكريا) من بعده مضي ستة أشهر وبعثه انقرض بيت (ياهو) وتسلطن (شالوم) أقل من شهر وذبح في نوبته واستخلف بدله قاتله (مئحيم) فشرع مئحيم في الغارة على الاراضي الاشورية الكائنة في الجهة الشرقية من نهر الفرات وتغلب على (تقصح) وتولد من هذه الغارة أن انتقم منه ملك الاشوريين وهزمه وجعل مملكته خراجية للاشوريين وفي سنة ٧٦٢ قبل الميلاد خلف مئحيم ابنه (فقحيا) فذبحه (فقح) أحد قواده وجلس على كرسي ديبخته في سنة ٧٦٠ قبل الميلاد وتسلطن ثلاثين سنة مشهورة بالمصائب والاهوال وعمل مخالفة مع (رصين) ملك دمشق مؤملا في ذلك حفظ مملكته من غوائل الاشوريين وغاراتهم والتغلب على يهوذا وغارت القوى المخالفة على مملكته يهوذا وأبلى بالمصائب والدمار ثم ان تغلبا لاسرائيل الثاني ملك الاشوريين سار لمساعدة يهوذا وأرغم فقح بعهده الصلح وأغار الاشوريون غارة ثانية على اسرائيل وخربوا الاراضي الكائنة فيما وراء نهر الاردن وساقوا أهلها أسرى الى آشور وكان ذلك مبادى انقراض مملكة اسرائيل ثم ان هوشع ذبح فقح واستخلف بدله امامباشرة أو من بعده مدة في سنة ٧٣٠ قبل الميلاد وكان هوشع آخر ملوك مملكة اسرائيل التي صارت في هذا الوقت على عجلة من شرف دمارها وانقراضها وكان أعظم ملوك اسرائيل والظاهر أنه كان من رغبته صيانة نفسه ومملكته عن الفساد الحاصل من التمسك بالعبادة الوثنية الا أن الوقت فات وقضى الله ما كان وما يكون وابتدأ انحطاط مملكته بأن صارت خراجية للاشوريين لكنه رفض في الحال الانقياد لطاعتهم واجتهد في عودا استتقلال بلاده ولهذا الغرض عقد مخالفة مع مصر فغار شلمنسر الرابع على اسرائيل وتغلب على البلاد ووضع الحصار على مدينة سمارية فقاومت سنتين ثم حصل التغلب عليها في السنة الاولى من حكم سرغون وبسقوطها زالت مملكة اسرائيل بعد مدة مقدارها ٢٥٥ سنة فعلى حسب عوائد العصر خلت كافة الاراضي التي حصل التغلب عليها من السكان ورحلت سكانها الى الجهات البعيدة من مملكة الاشوريين

واستمرت الاراضي الاسرائيلية متروكة خالية عن السكان الى حد سلطنة أصرحدون ملك آشور في القرن السابع قبل الميلاد ثم ان هذا الملك أمر باستعمار هذه الاراضي انحصبة لاجل الانتفاع بها وكثرة الفوائد منها وجلب اليها القبائل والعائلات من بابل وارحاي والسوس وعلماي والفرس ومن الامم الاخرى المجاورة لها وجعل هؤلاء السكان المستجدون أصنامهم وعباداتهم الوثنية الى أرض الله المقدسة فغضب الله سبحانه وتعالى غيرة على أرضه ووسط على سكانها الاسد الكاسرة والحيوانات

المنترسة التي نمت وكثرت مدة خرابها نصف قرن فاشتكى السكان الى حكمهم ووصفوا لهم ما حل  
ببلادهم وعرضوا الملكهم احوال المصائب والآفات الخالية ببلادهم وقالوا ان هذه ارض الله فأرسل  
ملك آشور لهم رجلا من أسرى الاحبار فأقام نفسه في بيت ايل وعلمهم طرائق الخوف والخشوع الى  
الله تعالى وهو وان كانت تعليماته مزوجة بقليل من الخطا وعدم الصواب الا انها كانت خالية بالكلية  
من عقائد وشعائر الديانة الوثنية التي كانت جارية على اجراءات يربعم ثم ان السكان المستجدين رأوا  
في أنفسهم ان لهم الحرية التامة من أجل خدمة وعبادة آلهتهم القديمة فأجروها وأقاموا شعائر دياناتهم  
القديمة فصاروا محتلي الديانات بين الحق والباطل وكانوا يخافون الله ويعبدون آلهتهم وصارت ذرية  
هؤلاء العشائر معروفة في التاريخ العبري باسم السماريين وكانوا ألد الأعداء للجنس العبراني

### الباب السادس

#### تاريخ مملكة يهوذا

فضائل المملكة الجنوبية - على خصيمتها الشمالية - سلطنة كل من رجب عام وايتا - سلطنة أسا  
الطيبة - هزيمة المصريين - انضمام اللاويين الى يهوذا - محالفة مع دمشق - حروب مع  
اسرائيل - سلطنة يهو شفاط - معاهدة مع اسرائيل - عثالية - اعلان يواش ملك - سلطنته  
صيرورة امصيا ملكا - التغلب على أدوم - خطيئة أوحيا - سلطنة احاز - صيرورة مملكة يهوذا  
خارجية لمملكة الاشوريين - صيرورة حزقيا ملكا - تبدد جيش سنجاريب - سلطنة منشا  
الذمية - أسره وقبضته - سلطنة آمنون - صيرورة مملكة يهوذا خارجية لبابل - الثورات - تغلب  
بختنصر على اورشليم - الاسر البابلي

كانت مملكة يهوذا ممتدة كثيرا الى الجهة الجنوبية وأقل خصوبة في الارض المقدسة ومع أن سبط  
بنيامين كان محتل صا شمالي أرض المملكة الا أنه تنازل ليهوذا عن قرعته وصار خطه الشمالي حدا  
للمملكة ومع أن مملكة يهوذا كانت صغيرة وقليلة المنافع الا انها كانت في الحقيقة أقوى وأجل من  
المملكة الثانية وكانت معتدلة الموقع سهلة المحافظة والمدافعة واقعة على مسافة من الطريق المسلول  
بكل من الجيوش المتحاربة من آسيا ومصر الذين يتبعون في سيرهم الاراضي السهلة الواقعة في طول  
ساحل البحر ويحيدون عن سلاسل الجبال الصعبة المتوطن فيها يهوذا وكان سكانها أهل غيرة وحية  
في عقائدهم الدينية حتى صاروا هم الامم الحقيقية لله سبحانه وتعالى وصار لهم حق موارد العهود  
التي كانت عهدت لآبائهم من قبل وكان لهم شهرة عظيمة في اين سيرهم وعودا أنفسهم من الهزيمة  
الى التغلب وكانت المملكة فوق كل ذلك متمتع برعاية الحق سبحانه وتعالى في المحافظة والمدافعة  
ومن فضائلها انها كانت خالية من الخطايا والجرائم التي كانت عاكفة عليها المملكة الشمالية  
وحفظت ملوكها هيئة الوراثة المتتالية من دون أن يحصل فيها خدش حتى صيرتها شوكتها التي كانت  
لا تنزع عرضة لغارات ملوك الاشوريين والمصريين حتى وجهت اليها المملكة البابلية بجميع  
قواها وحطمتها ودمرتها بعد أن استمرت مشيدة البنيان مدة قرن واحد من بعد انقراض ودمار  
المملكة الثانية



وقد ذكرنا أن رجبعام بن سليمان خلف أباه على تخت مملكة يهوذا فتمسك بالثروة كورثانية عشرة سنة وكانت مدة سلطنته إحدى الرزايا والمصائب على مملكة يهوذا وذلك أنه في مدة سلطنته أي في سنة ٩٧٠ قبل الميلاد غار شيشق أو شيشاق الأول ملك مصر على يهوذا وتغلب على مدائن الحصينة واحتل مدينة اورشليم ونهب المعبد والسراي الملكية وقفل راجعا بعد أن جعل يهوذا خراجية لمملكته وفي مدة هذه السلطنة أيضا دخل الجحش الغفير من الأهالي في الديانة الوثنية واستمرت الحروب بين المملكة الشمالية ومملكة يهوذا لأنها كانت على درجة غير منتظمة

وخلف أفياب بن رجبعام أباه في سنة ٩٥٨ قبل الميلاد فأوقد نار الحرب على إسرائيل بشدة عنيفة وهزم يربعام في نواحي زماريم من جبل افرايم وكانت نتيجة هذه النصر وقوع بيت ايل ويشنة وافرايم في يدي أفياب ولما رأى يربعام أن لاطاقة له على استمرار الحرب ومداومته مال إلى عمل معاهدة صلحية لمدة عشر سنوات

ثم خلف أسا أباه أفياس سنة ٩٥٥ قبل الميلاد وما كان أسا مثل أبيه بل كان ملكا متواضعا خاشعا لله سبحانه وتعالى فأبطل الديانة الوثنية ببدقوية ووضع بدل ذنائب المعبد التي استنهبها شيشاق تحائف أخرى قيمة من الفضة والذهب وانتهز الفرصة في مدة السلم مع مملكة إسرائيل وقوى حصانة مدائنه وزاد في قوة جيشه وفي نحو سنة ٩٤١ قبل الميلاد غزا طيراح الحبشي مملكة يهوذا بجيش قوى تحت قيادته والصحيح أنه إصّرحدون الثاني ملك مصر فهزمه أسا شرهزيمة وشتت شمله في نواحي مريشة وساق خلفه لحد جرار وقفل راجعا إلى اورشليم مثقلا بالغنائم التي اغتنيها من أعدائه ومن المدائن المجاورة إلى جرار وحرص النبي عزرا على الملك أسا وحشده على أن يجمع جميعه من الأمة في اورشليم في السنة الخامسة عشرة من سلطنته أي في سنة ٩٤٥ قبل الميلاد واتفق الأمة في هذا الجمع اتفاقا جليلا على أن تكون على حق من التمسك بعبادة الحق سبحانه وتعالى وأن تكون على صداقة ووثاق عام لله وكان يوجد كثير من الناس المتسكين بعبادة الله والخاضعين له سبحانه وتعالى في المملكة الشمالية منتظرين عقد هذه الجمعية والعود فيها إلى عبادة الله فهاجر كثير من عباد الله من مملكة إسرائيل إلى مملكة يهوذا متكاثرينهم فارتاع لذلك بعشة ملك إسرائيل حتى أنه حصن الرامة الموجودة على الطريق السلطاني الموصل بين إسرائيل ويهوذا لاجل صدومنع مثل هذه الهجرة وأنشأ حربا على أسا فخاف أسا وانزعج من وقوع الخطر ومن أن يكتسب في حياته أثمانا في مثل ذلك فاشترى مخالفته مع بحداد الأول ملك دمشق وجعل لهذه المعاهدة خزائن الهيكل وكنوزها فأغار في الحال ملك سوريا على مملكة إسرائيل وترك الجيش الشمالي حدود يهوذا وتوجه للاقاة هذا الكرب ومضى الباقي من سلطنة أسا في حرب مستمرة ومات في سنة ٩١٦ قبل الميلاد وخلفه ابنه يهوشفاط فقبض القسم الأعظم من سلطنته في إزالة الديانة الوثنية وحطمها التي أبطلها أبوه أسا وفي تحصين مدائن مملكته وكذا تحصين ما تغلب عليه أبوه من المدائن الموجودة في جبل افرايم

وكانت سلطنة يهوشفاط في مملكة يهوذا خمسًا وعشرين سنة أخضع فيها الموآبيين والفلسطينيين إلى دفع الخراج وعقد معاهدة مع أخاب ملك إسرائيل بكونه زوج ابنة الأكبر يهورام عزرا بنت أخاب وعزرايل فتولد من هذا الزواج ارتباك وقلقة مزعجة في مملكة يهوذا وساعد أخاب في حروبه مع

السوريانيين وكان موجودا معه في راموث جلعاد التي مات فيها أخاب وتولد من هذه الواقعة المشؤمة تقوية الأعداء القديمة لمملكة يهوذا وهم الموآبيون والادمونيون والعمونيون وغزو المملكة في قوة كبيرة فهزمهم الله سبحانه وتعالى بآيات من عنده أجابه دعاء يهوشفاط وأوقع هذا الخلاص الرعب والخوف في قلوب جميع الأمم المجاورة لمملكة يهوذا وعقدوا معاهدات سلمية لمدة السنين الباقية من سلطنة يهوشفاط وعقد يهوشفاط معاهدة مع حزيا بن أخاب لأجل تجديد المشروعات البحرية التي كانت جارية في مدة سلطنة سليمان بن داود في البحر الأحمر فترقت العمارة البحرية ليهوشفاط في نواحي عزريون غيرة عقابا له على ما فعل من معاهدته مع حزيا فترك الملك هذا العزم ومات في سنة ٨٨٩ قبل الميلاد واستخلف بدله ابنه يهورام وكان اشترى مع أبيه في الحكم ثلاث سنوات وكانت مدة سلطنة يهورام قليلة مشحونة بالمصائب والارتباكات وتولد من زواجه بعزليا بنت أخاب تلف وفساد الحالة التي كان عليها يهورام حتى أقام عبادة أشطوريت في مملكة يهوذا بجميع ما كانت عليه من شعائرها القبيحة وقتل جميع إخوته حتى لم يبق له فيما بعد منازعا في كرسي سلطنته فعاقبه الله سبحانه وتعالى على آثام أفعاله الخاطئة بأن أرسل على مملكته رزايابولايasha سديدة وذلك أن أروم عصت وكسرت شوكة الملك وخلعت طاعته وصرته مملكة مستقلة تحت حكم وشوكة ملوك من أصلها ومع أن يهوذا أوقدت نار الحرب عليها بعد ذلك إلا أنهم لم تعد خراجية لها مرة أخرى وأغار الفلسطينيون والعرب الذين كانوا يدفعون الجزية إلى يهوشفاط على المملكة وتغلبوا على أورشليم ونهبوها وحملوا جميع نساء الملك ماعدا عزليا وكذا جميع أولاده ما خلا حزيا ابنه الأصغر

ثم جلس حزيا على الكرسي في سنة ٨٨٥ قبل الميلاد وعقد معاهدة مع خاله يهورام ملك إسرائيل وأخواته عزايا وكان حاضرا معه في الواقعة التي حصلت بالقرب من راموث جلعاد وجرح فيها يهورام ثم قتله ياهو على الفور في الثورة التي تولد منها لهذا الرجل الحربي لبس التاج الاسرائيلي في سنة ٨٨٤ قبل الميلاد ثم خلفته أمه عزليا وقات جميع البيت الملوكي لمملكة يهوذا ماعدا يواش لأنه كان طفلا في المهد وكان أصغرا وأولاد حزيا وبعثت نفسها لمملكة يهوذا ثم إن عمه يواش أنخفته في الهيكل وكانت زوجة يهوياح الحبر الأعظم وتسلطت عزيا ست سنوات كان يواش مخنفة فيها في الهيكل

وفي السنة السابعة من سلطنتها قام يهوياح في رأس ثورة معضدة بالجيش والامة وأعلن سلطنة يواش وقتل عزليا في سنة ٨٧٨ قبل الميلاد وصر يهوياح نائب المملكة والوصي على الملك وفي مدة الثلاث وعشرين سنة الأولى من سلطنته وهي المدة التي كان فيها يهوياح على قيد الحياة ورئيس مجلس الملك كان حكم يواش على غاية عظيمة من جودة السير وأخذت المملكة في الفوز والنجاح ومحا أثر الديانة الوثنية وعاقب أهلها بأشد العقاب وسار بنفسه إلى المعبد وأبطل الإبرآآت التي كانت جارية من اللاويين في اسراف وتبذير النقود المقدسة ومن بعد موت يهوياح غرق يواش في الديانة الوثنية فهجم حزاييل ملك دمشق على مملكته وأرغمه على مشري الصلح بشرط أن يسلم له جميع ذخائر السراي الملوكية والمعبد بما فيها من الاواني المقدسة ثم من بعد مضي قليل من الزمن قتله اثانان من خدمه في سنة ٩٣٩ قبل الميلاد وخلفه ابنه أمصيا وابتدأت سلطنته في السنة التي ذبح فيها أبوه



فهمزم على استرداد أدوم التي سكنت عصت في مدته هورام وهزم جيش الادمونيين وتغلب على بطرة وقتل فيها من الادمونيين ١٠٠٠٠ نفس الآن نصرته هذه كانت وقته ثم تعالى واقتخر بنصرته هذه وأنشأ حربا على يهواش ملك اسرائيل فهزمه يهواش شرهزيمة وأخذته أسيرا في بيت شمس وساقه الى اورشليم مع الطنطنة والفخفخة ونهب يهواش الهيكل والسراى الملكية وهدم السور الشمالى من المدينة ولما أخذ الرهائن اللازمة لاستتباب حصول السلم في المستقبل من تخويهم وذاقفل عائد الى مدينة سمارية وكانت السنون الاخيرة من سلطنة أمصيا مشحونة بالجور والظلم والفساد حتى ان قومه بغضوه وكرهوه وتنازوا لملكه وكانت نتيجة ذلك أن قتلوه لخيش ثم خلفه أيسيا ابنه عزارية في سنة ٨٠٩ قبل الميلاد وكان ملكا مهيبا شجاعا فابتدأت سلطنته باسترداد مدينة علاث القديمة الواقعة في رأس الجناح الشرقى للبحر الاحمر (أى خليج العقبة) وبني هذه المدينة واستمرت سلطنة عزارية اثنتين وستين سنة كانت على غاية من الفلاح والنجاح وتغلب على معظم فلسطين وحبى الخراج من عمون وتعالى بنصره واقتخر بنظفه واعتمدى بكبره ووظائفه على تغلبه على وظيفة الاحبار فابتهلاه الله سبحانه وتعالى بالبرص وقت عقده الجور في البيت المقدس فالتزم على فصل نفسه من الملك وفي مدة الست سنوات أو السبعة التي كانت باقية من سلطنته سلم زمام المملكة لابنه يوثام فتولى يوثام الملك من بعده وابتدأت سلطنة يوثام بعد موت أبيه في سنة ٧٥٧ قبل الميلاد وكان ملكا ورعا زاهدا ناجحا موفقا في المملكة الا أنه ترايد في مدة سلطنته فساد وتعتن أمة مملكة يهوذا وعقائدها الدينية وحصن اورشليم وأرغم العمونيين على دفع الجزية وفي السنين الاخيرة من سلطنته ابتدأ فقع ملك اسرائيل ورصين ملك دمشق في حرب كانت هائلة وبليّة على المملكة واستمرت الى السلطنة التالية ثم ان اخذ خلف أباه يوثام في سنة ٧٤٢ قبل الميلاد فأعاد عبادة بعل مرة ثانية وأفسد في الأمة فسادا كبيرا واشتد الحرب الذي كان ابتدأ في سلطنة أبيه مع اسرائيل وسوريا وصار في حالة هائلة فالتزم احادهم أنفه أن يتوسل في المساعدة بملك الاشوريين وهو تغلا ثغلاسر الثاني وكان ذا شوكة قوية وجعل نظير مساعدته له أن يكون خراجا تحت حكمه فأغار ملك الاشوريين على سوريا وتغلب على دمشق وانقضت مملكة سوريا وعاقب اسرائيل أشد العقاب وألزمهم عقد الصلح ثم خلف اخذ ابنه حزقيا في سنة ٧٢٦ قبل الميلاد وابتدأ حزقيا في سلطنته بخلاص عبادة الله سبحانه وتعالى وكسر جميع الاصنام والاوثان وكان ملكا فاضلا حادقا فعل ما فيه الصواب عند الله وهزم الفلسطينيين حتى انه تجاسر على خلع طاعة الاشوريين فبهذا هجم سنجار يرب ملك الاشوريين عليه وأرغمه بعود مملكته خراجا له كما كانت ولم تقص بعد ذلك مدة حتى عاد الى العصيان وعقد محالفة مع مصر

وفي سنة ٦٩٩ قبل الميلاد دخل سنجار يرب مرة أخرى يهوذا غازما على هشتم وحطم هذه المملكة الصغيرة قبل أن يتوجه لغزو مصر لاجل توقيع العقاب الشديد على عبادة ملك مصر نظير مساعدته عصيان خادمه عليه فسار سنجار يرب في طول الساحل الى النهاية الجنوبية لسهل فلسطين وكانت مدائن الاراضى الواطية كثيرة أمامه ولما أخذ أخيرا لخيش وضع الحصار على لبنة وفي أثناء اشتغاله بالحصار ومن بعد غلاق الحصار أرسل رسولا الى حزقيا يطلب منه الطاعة التامة والخضوع الكامل

فاعلمن حرقيا بكفره وأن الله أشد منه قوة في خلاصه من بطشه ودور حرقيا وجهه الله تعالى وتوسل اليه بالدعاء فاستجاب الحق سبحانه وتعالى دعائه وعاقب السفية الكافر سنجار يربا ية من عنده قتل بواسطتهم من جيشه ١٨٥٠٠٠ نفس في ليلة واحدة فارتاع سنجار يرب من هذه الحادثة وضعف عزمه من هذه المصيبة وقفل راجعا الى بلاده

وأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الشريف قصة هذه الحادثة في قوله تعالى (وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهم ابهتنا عليكم عبادنا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدنا فمولا) فهذه المرة الاولى من دخول سنجار يرب وأمدخوله في المرة الاخرى فهو قوله تعالى (ثم ردنا لكم المكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ن وأأسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوزوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

ثم استخلف بعده حرقيا ابنه منشأ في سنة ٦٩٧ قبل الميلاد فتسلطن حسا وخسين سنة وكان أنجبث ملكت من ملوك يهوذا لم يهد قبله مثله جلس على كرسي مملكة يهوذا وذلك أنه أعاد كل هيئة من هيئات العبادة الوثنية التي لم يعهد مثلها قبل أبدا في مملكة يهوذا واسرائيل وتولد من فعل هذه الشعائر الرجسة واقامتها قفل الهيكل وترك الاممة شريعة موسى وفضلا عن إقامة هذه الديانة وشعائرها ارتدت الامة عن عبادة الله في نفس اورشليم وقام الانبياء يعظون الامة ويعدونهم عن هذا الارتداد ويخوفونهم عقاب الله وكثرت الاحداث فيهم وعامل الملك الانبياء باقطع المعاملات وأشدّها والصحيح أن يصحي أول نبي ذبحه منشأ من أجل ذلك

وفي سنة ٦٧٧ قبل الميلاد ارتاب ملك الاشوريين في صداقة منشأ وبلغه أنه سيقوم في ثورة ضده فخلعه وساقه الى بابل أسيرا فاضجر منشأ من سوء ما حصل له من عذاب الاسر فتاب الى الله وتوسل اليه بالدعاء فقبل الله توبته واستجاب دعائه وأعاده ملك الاشوريين الى تخته ومقر مملكته وتسلطن بعد ذلك مدة بذل فيها جهده في محق الديانة الوثنية وأعاد ديانة آبائه وحصن مدينة اورشليم واستحكمها وفي هذا الوقت أمر ملك الاشوريين باستعمار اراضي مملكة اسرائيل

ثم خلف منشأ على تخت مملكة يهوذا ابنه آمون في سنة ٦٤٣ قبل الميلاد فاجتهد في عود عبادة الاوثان الا أنه قبل أن يشرع في اجراء مقاصده قتل في سنة ٦٤٠ قبل الميلاد واستخلف بدله يوشيا وكان طفلا عمره ثمان سنوات وكان أول الاعمال التي أجراها هذا الملك الشاب أن دمر العبادة الوثنية وأعاد هيكل العبادة الربانية وتسلطن احدى وثلاثين سنة وكان أحسن ملوك اليهود وفي مدة سلطنته سقطت مملكة الاشوريين وفي سنة ٦٠٨ قبل الميلاد أعلن بنحو فرعون مصر حربا على بابل غزافا فلسطين وتغلب على المداين الفلسطينية وسار في طول الساحل حتى وصل جبل الكرمل ومن هناك عبر سهل صدر لون أو عزير عيل الكبير وكان متجهافي سيره الى جهة الفرات فجمع يوشيا قواه وأسرع في الهجوم عليه وفاء بكونه تحت سلطة بابل وانه خرابي لها فأندره بنحو بالكف عن هذا الهجوم لانه عازم على عدم التعرض له بأي حالة كانت بل غزوه قاصرا على بابل فأصر ملك اليهود على ما عزم عليه فقتل في واقعة مجيدة وكان حصول هذه الواقعة في البقعة التي حصلت فيها الواقعة الكبرى لبور



وباراق وخلقه ابنه الثاني وهو آخاز وكانت أمه هي السبب في أن جعلته ملكا وتسلطن يهوآحاز ثلاثة  
شهور وخلفه يئحزوسلم تاجه اليه ويقيم وهو الابن الاكبر ليوشيا في سنة ٦٠٩ قبل الميلاد وتسلطن  
يهوياقيم أربع سنوات خراجا لمصر ولما هزم بختنصر ملك بابل يئحزوسلمك مصر هزيمة فاصلة في  
قرسميش وامتدت ممالك البابليين الى حدود مصر انجبرت مملكة يهوذا على الخضوع وأرسل يهوياقيم  
بطاعته الى بابل سنة ٦٠٥ قبل الميلاد وسنة ٦٠٤ قبل الميلاد وحل بختنصر كثيرا من شبان  
العبرانيين وكان من ضمن هؤلاء النبي دانيال الى بابل وتهذبوا في علو الكلدانيين وفي سنة ٦٠٢ قبل  
الميلاد خلع يهوياقيم طاعته الملك بابل وأقام راية العصيان وأخبر النبي أرميا بما يحصل في سلطنة  
يوشيا في نحو سنة ٦٢٩ قبل الميلاد وكانت نبوته في سلطنة ابنه وانطاهر أن عصيان يهوياقيم كان  
مشروعا في وقت مناسب وكان موعودا بالمساءلة من مصر وفينيقية وكانت على ثورة ضد بابل تحت  
قيادة قواد من صور وفي سنة ٥٩٨ قبل الميلاد أي في السنة السابعة من سلطنة بختنصر سار  
بختنصر ملك بابل لاجل اخضاع أقاليمه العاصية ودخولهم تحت طاعته ولما دخل في فينيقية وضع  
الحصار على مدينة صور الا أنه لما رأى نفسه أن لا طاقة له على التغلب على هذه المدينة بسرعة ترك قطعة  
من جيشه في الاستمرار على محاصرتها وتحرك بباقي من الجيش على اورشليم ففضت له بمجرد قربها منها  
فقتل يهوياقيم وفعل في جيشه الافعال الغير الموافقة للعوائد الشرقية مع شدة الغضب والاحتقار  
واستوفى بذلك ما أنبأ به النبي أرميا فيما يختص بشأن هذا الملك  
وأجلس بختنصر يهوياقين بن يهوياقيم على كرسى مملكة يهوذا وكان شابا صغيرا فاستمر في الملك نحو  
من ثلاثة شهور ثم ارتاب بختنصر منه فعزله وأرسله أسيرا الى بابل واستبدله بعمه صدقيما أخى يهوياقيم  
وابن يوشيا واستمر صدقيما في صداقة طاعته لبابل ثمان سنوات ثم عقد محالفة مع عوفريم ملك مصر  
واتفق على مساعدته بجيش قوى فخاض طاعته وأقام راية عصيانه في سنة ٥٨٩ قبل الميلاد  
وكان حصار مدينة مورو الهجوم عليها أخذ في درجة التقدم فسار بختنصر على اورشليم بنفسه في  
جيش جرار وهزم ملك المصريين ثم حالفه بعد أن هزمه وأخذ اورشليم بالهجوم عليه أعنوة وهرب  
صدقيما مع ما بقى من جيشه الا أن بختنصر تغلب عليهم في سهل أريحا وقطع العساكر قطعاعا وأسرى  
الملك ونزل عينيه وأرسله أسيرا الى بابل ودمر بختنصر اورشليم والمعبد وأحرقها بالنار وقتل جميع  
أهلها ما عدا قايلا منهم أرسلهم الى كلدان وكانت هذه الواقعة هي مبدأ الاسر البابلي الكبير ووقوع  
العقاب على الامة الاسرائيلية نظير ما كتسبوه من الاثم والعدوان وكان ذلك في سنة ٥٨٦ قبل  
الميلاد ومع هذا فان بختنصر لم يترك مملكة يهوذا في حكومة فوضوية بل وضع فيها نائبا من بابل أقام  
نفسه في مذبح وبذل جهده في تحريض اليهود على غراسة الارض وزراعتها وأن يقيموا على حالة سلمية  
وبعد ذلك بقليل قتل هذا الحاكم في ثورة ساعدتهم عليها النبي أرميا ثم هرب الثائرون الى مصر وأخذوا  
معهم النبي أرميا وآل أهرهم الى ما آلت اليه عاقبة مصر وأرسل بختنصر الباقيين في مملكة يهوذا  
أسرى الى بابل وفي نفس هذا الوقت صارت مملكة يهوذا خرابا بلقعا لا أنيس بها ولا ساكن فيها وتم  
خرابها ودمارها وما تقدم معنى قوله تعالى (ثم بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديدا فحاسبوا ذل الدير  
وكان وعدا مفعولا)

## الباب السابع

من ابتداء الاسر البابلي الى الوقت الحالى

وجود اليهود في بابل - سقوط مملكة بابل - كيرش أو كيخسرو - انعطافه وميله الى اليهود - منحه في الترخيص لهم في العود الى فلسطين - العود - اعادة بناء الهيكل - منح دار الاول لليهود في بناء اورشليم - عززه - تقلبات اسكندر الاكبر - صيرورة مملكة يهودا اقليما مصريا - السبعينية - انتقال طاعة يهودا الى سوريا - ثورة مقابوس - مشروعات يوراسم قابوس - الحرب مع سوريا - مملكة الاسمنيين - وجود الرومانيين في الشرق - تدخلهم في أعمال يهوذا - نهب قراصوص الهيكل - انقراض مملكة الاسمنيين - هيرودس الاكبر - مولد عيسى المسيح - صيرورة يهوذا اقليما رومانيا - حرب الاستقلال - تغلب طيطوس على اورشليم - تغلب العرب على فلسطين - حروب الصليب - تابع تاريخ فلسطين

أمر بختنصر اليهود الذين نقلهم من أرضهم وبلادهم أن يسكنوا كلدة وفيما أجبر الله قلوبهم في حالة أسرتهم عو اعيد وعدهم الله اياها على لسان أنبيائهم وذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يرد هلاكهم مثل الامم الاخرى بل أراد عودهم الى أرضهم بعد استيقانهم العقاب والعذاب الذي ابتلاههم به وقضاء حاجتهم

وفي مدة أسرى اليهود انقلبت مملكة بابل بواسطة ما حصل من تغلبات كيرش أو كيخسرو وألحق بمالك بابل بمملكة الميديين والفرس الكبيرة فألهم الله كيرش بوسائط عود اليهود الى بلادهم وأوطانهم وذلك انه في سنة ٥٣٨ تغلب كيرش على بابل ووجد فيها جنس اليهود المجرى عليه المظالم ووجد في ديارهم مشابهة كبيرة لديارهم فقال بكلية الى طالع سعادتهم وانتفع بكثير من معارفهم وعرف أن كثيرا منهم يرغبون العود الى بلادهم فسمح لهم بذلك وبناء على هذه الرخصة رجعت مستعمرة من العبرانيين تعداد نفوسها ٤٢٣٦٠ نفس خلاف خدمهم من بابل الى اورشليم في سنة ٥٣٥ قبل الميلاد تحت امره زير وبابل من ذرية سلسلة الملوك القديمة فاستوطن معظمهم في الابتداء محل المدينة المقدسة والضواحي القرية منها واستمر القسم الاعظم من أمة اليهود مستوطنين في كلدة

وكان أول سعي حصل من اليهود الذين عادوا تحت إمرة زير وبابل هو اعادة بناء الهيكل وعدد الخدمة القديمة فيه وابتدوا بالشغل في السنة التي عادوا فيها الا أن السماريين عاقوهم عن أشغالهم وعطلوهم وكان السماريون كما ذكرنا جنسا مختلطا مستوطنين في الاراضي القديمة لافرايم ومنشا وهم من نسل القبائل والعشائر التي كانت استوطنت تلك الاراضي بأمر إصراحدون ملك الاشوريين فتم عرض هؤلاء القوم لليهود عند حضورهم بكونهم يتحدون مع بعضهم في بناء المعبد وكانوا يرغبون في الاستحصال على تصديق عام من كل من الجنسين وادعوا أنهم من ذرية الاسباط القديمة في اسرائيل فوجد اليهود دعوى السماريين ولم يقبلوا دعواهم في كونهم من ذرية الاسرائيليين وكذا لم يقبلوا أن يكون لهم أدنى نصيب أو حصة في الشغل الجاري بعرفتهم وبناء على هذا صار السماريون ألد الأعداء لليهود ورأوا بأي حالة كانت حجزهم وصدهم عن بناء الهيكل والمدينة ونجحوا في تأخير الشغل وعطله مدة من



الزمن وكان ذلك في سنة ٥٢٢ قبل الميلاد ثم عاد والة ثانية بأمر من داراهستاسب ملك الفرس في سنة ٥١٩ قبل الميلاد وفي سنة ٥١٥ تم بناء المعبد وخرقته

ثم إن ما أسداه دارا الاول ملك الفرس لليهود من المعروف والاحسان جعل لهم طاقة في توطيد أنفسهم مع المكنة والثبات في موطنهم القديم ونجما على عليه الامم المجاورة لهم من الحسد والغيرة والعداوة

ثم إن خليفة دارا وهو كزرسيس أي أردشير مع أنه كان مائلا بكرمه ومعرفة لليهود إلا أنه وصل الى أن أشرف على الامر بهلاكهم بواسطة ما قبله من وزيره الاول هامان من مكيدة أجراها الوزير المذكور في حق اليهود فكشف مردخ هذه المكيدة وكان مردخ يهوديا وعم اسطيرزوجة أردشير المخفية عنده وبذل هذان الاثنان جهدهما في ازالة هذه المكيدة حتى إن الملك أمر اليهود بالحفاضة على أنفسهم ورخص لهم في المدافعة والحماية من أعدائهم ثم آلت نتيجة هذه المكيدة بقتل هامان ونجاح حياة اليهود في سائر أقاليم المملكة وانتهز اليهود الفرصة واستحصلوا على رخصة من الملك في تدمير وفناء أعدائهم وكان حصول هذه الواقعة في سنة ٤٧٣ قبل الميلاد ولها الحد الآن احتفال في عيد يسمونه سنويا اسمه عيد يوريم

وفي سنة ٤٥٨ قبل الميلاد وصلت مستعمرة ثانية من اليهود الى أورشليم من بابل تحت قيادة حبر اسمه عذرة وكان مشهولا بالكرم الملوحي فجاء في وقت أبطل فيه عقد الزواج بين قومه والامم المجاورين لها وكانوا في حالة مشتركة بينهم يريدون بها اطفاء الجنس اليهودي فاشتغل عذرة بعمل نظامات كان اجراؤها ضروريا في الكنيسة ونظامات تخص بحالة المملكة وفي مدة امرته حصل تهذيب وتنقيح كتب العهد القديم (التوراة) الى أعلى درجة من درجات التنقيح

وفي سنة ٤٥٤ قبل الميلاد وصل الى أورشليم نعيمة اليهودي نديم أرتسكيزير كس أي أردشير ديرا زدشت وكان نعيمة المذكور صاحب شراب الملك ومعه رخصة من الملك باعادة الاسوار المستحكمة للدينة ومع ما كان فيه من أمر الملك اجتهدت الامم المجاورة في توقيف الشغل وتعطيله فصد نعيمة ما هو حاصل من الامم بهمة عالية منه وأمر قومه بالاستمرار في أشغالهم وهم موجودون تحت السلاح على شرط أن يكونوا مستعدين لصد أي هجوم يقع عليهم في أي وقت ولما صار اعادة الاستحكامات كما كانت انقسم الناس بين المدينة المقدسة والاقاليم الريفية ومن هذا الوقت صارت يهودا محكومة في العادة بخاتم أكبر وفي الاوقات التي يكون فيها رفع الخراج جازيا على وجه الانتظام كان لا تدخل للولاء الفرس في الاشغال الداخلية لليهود وكانوا في حريتهم يجرون أشغالهم الداخلية على موجب عوائدهم المالية

وكانت نتيجة الاسر وشدة تأثيره علاجا شافيا لليهود في بغضهم وكرهتهم للديانة الوثنية وسترى في سرد جميع تاريخهم أنهم مع ما حصل عندهم من الخطا وعدم الصواب وارتكاب المعاصي كانوا لا يتركون عبادة الله سبحانه وتعالى واجتهدوا في سوريابذلوا جهدهم في القرن الثاني قبل ميلاد المسيح باقامة العبادة الوثنية بين اليهود بالقوة والافتقار فقاومهم اليهود مقاومة شديدة عنيفة كانت هيئتهم احدى الوقائع المشهورة في تاريخ اليهود وظهر في هذا الوقت الشهامة الكبرى والشوكة العظيمة من اليهود في تقديمهم ونجاحهم في دينهم

ومن بعد هذا جاء اليهود الذين كانوا في بابل الى فلسطين على التسريح الا أنه بقي منهم قسم عظيم في تلك الاراضي والبلاد وصار بين هؤلاء واخوانهم في يهوذا معاملات ودية وصداقات قلبية تامة واستمرت هذه العلاقات والارتباطات جارية بينهم مددا طويلا

ولبثت يهوذا تحت سلطنة ملوك فارس حتى سقطت مملكة فارس أمام جيوش اسكندر الاكبر المقدوني وفتحاته وروى انه لما كان اسكندر مشغلا بحصار مدينة صور أرسل رسولا الى اورشليم يطلب من الخبير الاعظم والحاخام الاكبر يدوع تسليمها له فلم يقبل الخاخام هذا الطلب وقال للرسول ان اليهود تحت بيعة صادقة وطاعة تامة لدار ملوك الفرس ومن بعد سقوط صور والتغلب على غزة شرع اسكندر في التقدم على اورشليم ليبتش بالمدينة وأهلها فأمر الله سبحانه وتعالى الخاخام الاكبر يدوع في رؤية منامية رآها في منامه بأن يزين المدينة باكليل الازهار ويلبس ملابس المقتخرة ويخرج للملاقات الفاتح في رأس احتفال جليل مركب من الاحبار والامة وأما اسكندر فانه تقدم في سيره مع جيشه وقواده حتى وقف على كتيب مرتفع يشرف منه على المدينة والهيكل ويجرد مارأي الخاخام الاكبر قادم عليه في موكب خرسا جدار أسه الى الارض فاستغرب أصدقاؤه وقواده من هذا الفعل وعارضه يارمينو وقال له كيف تسجد لرجل مع أن عالم الدنيا تسجد لك فأجابه قائلا بأنه لم يسجد للخبير الاعظم بل سجد تعظيما للاسم الاعظم المنقوش على صدر درعه وانه عرف فيه خواص كانت ظهرت له في رؤيا رآها في مقدونيا تقويه على الشروع في فتح فارس

والمعول عاياه ان اسكندر لم يعرف عن اورشليم فقط بل أفاض على اليهود امتيازات جليلة وحث كثير منهم على الإقامة والسكنى في مدينته الجديدة التي شيدها بمصر فكانوا فيها قسما عظيما من السكان

ومن بعد موت اسكندر صارت فلسطين غنية تارة لمصر وتارة لسوريا وفي التقسيم الاخير الذي حصل في مملكة اسكندر الذي وقع عقب واقعة افسوس صارت فلسطين وفينيقية وسوريا الجنوبية من قسم مصر وكان ذلك في سنة ٣٠١ قبل الميلاد

وفي مدة حكم الثلاث بطالسة الاول كان مخرج اليهود أن تجرى أشغالها بنفسها حسب عواندها مادامت على حالة منتظمة من دفع الخراج وكان من النادر تدخل الملوك المصرية مع اليهود في موادهم الدينية أو أحكامهم الداخلية وكان الخاخام الاكبر رأس الامة وكبير ديانة الملة وكانت مدة جميع سلطنة الثلاثة بطالسة الاول محصورة في سلم يهوذا ونجاحها

ثم ان بطليموس الرابع الملقب فيلواطور وهو أضعف وأخبث ملك سخط على اليهود وغضب عليهم من أجل كونه اجتمعت في نجاسة طهارة قداس القداسة في هيكل اورشليم حيث دخل فيه وانتكح حرمة الديانة وسعى سعيه في ذلك سنة ٢١٧ قبل الميلاد ولما خاب سعيه وضاع أمله إلى اليهود القاطنين في الاسكندرية بمصر باهوال قبيحة وأفعال ذميمة مع أن هؤلاء لم يحصل منهم أدنى أدنى في حقهم فغضبت يهوذا وارتفعت من الافعال الغضبية الجارية من الملك وطلبوا حياية انطاقيوس الاكبر صاحب سوريا وتقلوا اليه بيعة طاعتهم مع اختيارهم ورغبتهم لهذا الملك الكبير

وفي سلطنة بطليموس الثاني الملقب فيلاداف حصلت حادثة من أجل الحوادث وأعظمها في تاريخ



اليهود في تاريخ الدنيا أيضا وكانت هذه الحادثة الكبيرة هي ترجمة الكتب المقدسة العبرانية من اللسان العبري إلى اللسان الجريقي اليوناني وأطلق على هذه الترجمة اسم الترجمة السبعينية بسبب أن المترجمين في الترجمة كانوا سبعين أو اثنين وسبعين شخصا وروى أن الحامل على هذه الترجمة هو رغبة الملاك في قراءة الكتب المقدسة ومطالعتها بلسان قومه وكان ذلك لأنه من المحتمل أيضا أن ظهور مثل هذه الكتب المقدسة ونشرها في لسان تكون به سهولة المطالعة والقراءة في جميع عوم الدنيا المتدنة كان له تأثير زائد على اليهود وعلى العصور أن هذه الحادثة العظيمة صارت الكتب المقدسة العبرية معلومة ومعروفة عند الدنيا القديمة وكانت واسطة لنشر الديانة المسيحية والديانة الإسلامية وصارت لهما طريقة مهيأة مقسمة

ثم تولد من واقعة بايناس التي حصلت في سنة ١٩٨ قبل الميلاد إقامة شوكة سوريا على يهودا فحصل عند اليهود الحزن الشديد والكدر المديد بشأن ما حصل من تغيير ملوكهم واستمرار انطاقيوس في مبادئ أمره على ما كان عليه المصريون من السياسة والإدارة التي كانت جارية بمعرفة فتنهم في يهودا ولم يتدخل في أعمالهم ولم يتطرب لشغالهم لكنه في نحو غلاق سلطنته احتاج إلى نقود كانت ضرورية له فعزم على سلب ونهب خزائن الهيكل وذخائره فامتنع عن ذلك أما بواسطة الهام الهي وأما بواسطة ذكاه الخاخام الأكبر ومهارته وكان انطاقيوس الرابع الملقب أيفانيس غشوما ظالم الماعلى اليهود فباع الخاخامية العظمى بثمن غالى القيمة وتسبب في إيقاع المشاحنة والمخاصمة بين الطالبين لها وادعى بذلك أنهم عاصون عليه وسار إلى يهودا وتغلب على أورشليم بالقوة والافتدأروا من نهب المدينة وذبح أهلها وهدم حرمة الهيكل بأشنع ما يكون من أفعاله وجرده مما كان فيه من خزائنه وذخائره وكانت تبلغ قيمتها نحو ٣٦٠.٠٠٠ من ١٨٠٠ وزنة وثمان كل وزنة عبارة عن ٢٠٠ جنيته ذهبيا كان مقدار المبلغ ٣٦٠.٠٠٠ جنيته واجتهد بكل طاقته ووسع شوكرته في أن يرغم اليهود الهلانيين ويحبرهم بكل عزمه وسطوته على الدخول في الديانة اليونانية وكان هذا الاعتساف والجور من أشد المنظالم المعروفة في تاريخ العالم

وتولد من هذه المنظالم اشتعال نار خلاص الأمة على يد شخص منهم اسمه القسيس متاتياس وهو المؤسس للعائلة الاسمونية وذلك أنه أقام راية العصيان لأنه لما كان طاعنا في السن وليس كفوا للقيادة هذا المشروع سلم أمر توجيه الثورة إلى قيادة ابنه البطل الهيمام يوداس الملقب مقابوس فتججت الحركة تحت أمرته مع غاية السرعة وذلك أن يوداس هزم فرق الجيش السورياني مرارا عديدة واسترد أورشليم ما عدا قلعتها الموجودة على جبل زيون وكانت في قبضة قوة سوريانية وظهر الهيكل وأعاد له خدماته وهزم خمسة جيوش سوريانية عدد كل واحد منها أكبر من عدد قوته بست مرات أو عشرة وثلاثين مثل هذه النصرات بناء مستديما مفتخرا له ولأبناء جنسه وفي سنة ١٦٤ قبل الميلاد حاصره انطاقيوس الخامس في أورشليم بقوة تنوف عن ١٢٠.٠٠٠ نفس فعقد معاهدة صلحية مع سوريا إلا أن هذه المعاهدة كانت على غش ودخل انطاقيوس أورشليم ونقض عهده في الحال وهدم أسوار المدينة ثم قفل عائدا إلى سوريا وكان توجهه إليها وجوده فيها ضروريا وفي سنة ١٦٢ قبل الميلاد رفع يوداس مرة أخرى راية العصيان وهزم العساكر السوريانية في كفر سلامة وانتصر في السنة التالية نصره عظيمة في نواحي عداسة بالقرب من بيت حورون على جيش كثيف من السوريين ثم أرسل رسالا إلى رومة بقصد عقد محالفة مع جمهوريتها وكانت هذه الأمور على غاية من الفلاح لأنه قبل عود الرسل إليه انقفل

مجد ميدانه ونفر عساكره وشجعانه ومات ميتة حربية في فواحي علبسافي ميدان خربة وذلك أنه مع ٨٠٠  
نفس من رجاله التقى بقوة من السوريين مقدارها ٢٢,٠٠٠ نفس مشاة وفرسانا وبواسطة شرمته  
القائلة كسر الجناح الايمن من السوريين وطرده من ميدان المحاربة الا أن الجناح الايسر السورياني  
أحاط به وقت نصره وذبحوه وشقتوا أتباعه في سنة ١٦٠ قبل الميلاد ووقعت اورشليم محبة العزيز  
وحامي حوزتها وجاهها وهرب أتباع يوداس مع يونان أخيه الى قلعة طلوة في بركة يهوذا واستمر وافيها  
حزبا حربيامدة أربعين سنة

ثم تولد من انتشاب الحرب الداخلي في سوريا بين اسكندر بلاس وديتريوس أن صارت مخالفة اليهود  
مادة مهمة بين الحزبين المتحاربين وآت النتيجة أن صار يونان مقابوس ملك يهوذا واطامها الاكبر  
وعاد الى اورشليم في سنة ١٥٣ قبل الميلاد فقتله طريدون في سنة ١٤٣ قبل الميلاد واستخلف بدله  
أخوه سيمون وزال عن يهوذا تحت حكمه بعض آلام الحرب التي كانت ابتليت بهم او تمتعت البلاد  
بأسية قلايتها ونوعا وفي سنة ١٣٥ قبل الميلاد قتله زوج ابنته وهو بطليموس وقتل أيضا اثنين من أولاد  
يونان وهرب الابن الاخر يوحنا هركانوس ونجا بنفسه ثم خلفه أبوه فأغار عليه انطاقيوس سيد بطيس  
وحاصر اورشليم حصارا استمر سنتين فالتجبر هركانوس على الاقرار والاعتراف بطاعة ملك سوريا وهدم  
ملك السوريين أسوار اورشليم وضرب عليها خراجا سنويا

ومن بعد موت انطاقيوس سيد بطيس في حرب الفرس انقطع تأدية هذا الخراج ولما آلت سوريا  
الى ملكة صغيرة بواسطة تقلبات الفرس انتهز هركانوس الفرصة في أن يجعل يهوذا معادلة لها  
في الشوكة فأخضع سمارية وهدم معبد السماريين الذي كان على جبل جرزيم وتغلب على أدوميا  
ثم خلف هركانوس ابنه الاكبر ارسطوبولوس الاول في سنة ١٠٦ قبل الميلاد وتلقب ارسطوبولوس  
بالقب ملك يهوذا وأسس ملكة الاسمونيين فاستمرت مدة سبعين سنة ثم مات بعد أن تسلط سنة واحدة  
واستخلف بدله أخوه اسكندر باينوس في سنة ١٠٥ قبل الميلاد

وامتدت سلطنة اسكندر باينوس الى سنة ٧٨ قبل الميلاد وكان صدوق المذهب وارتبكت سلطنته  
بواسطة عصيان الامة وثورائهم تحت مضادة مذهب الجوس ومع انه انهزم في الابتداء الا أنه حطم هذه  
الثورة وبطش بأعدائه وانقم منهم بنفسه ومات في سنة ٧٨ قبل الميلاد ونصح زوجته اسكندرية  
في تدميرها هذه القلعة والاضطرابات باطاعتها وتحالفها مع الجوس فسارت على هذه النصيحة  
وتسلطت ثمان سنووات في أمن وسلم وبعد موتها في سنة ٦٩ قبل الميلاد انتشبت حرب داخلية بين  
ولديها هركانوس وارسطوبولوس واستمر هذا الحرب مدة سبع سنووات وكان غلاقه بدخول  
الرومانيين في فلسطين تحت قيادة يومي الاكبر وتغلب يومي المذكور على اورشليم وأجلس  
هركانوس على التخت وجعل ارسطوبولوس أسيرا الى رومة في سنة ٦٣ قبل الميلاد ومن بعد مضي  
ست سنووات هرب ارسطوبولوس من رومة وأعاد الحرب فهزمه الرومانيون وأسروه وأجلسوا  
هركانوس في وظيفة الخاخامية وجعلوا يحميهم وذا تحت حكم مجلس سموه باسم ستمدريم

ولم يقرب يومي من ذخائر الهيكل ولم يأخذ منها شيئا بل حفظ الهيكل وقت تغلبه على المدينة المقدسة  
لكنه أساء اليهود اساءة قبيحة ~~بكونه~~ دخل في قداس القداسة وانتهك حرمة بوجوده فيه وتعاضد  
اليهود بحزب القيصر في الحرب الكبير بين أعدائهم وفي سنة ٥٤ قبل الميلاد وصل قراصوص





الرومانين أسسها من عمله هذه الأعمال وبني مدينة قيصرية المفتخرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وشيد عدة مباني متخيزة عمومية في محلات مختلفة من مملكته وما كان فيه راحة من روائع اليهود ولأنه كان يدعى أنه هو الواحد في عبيدة دينه ودخل في العوائد الرومانية والاعتقادات الدينية وبذل جميع العقائد الدينية في سائر أنحاء ممالكه ومات من علة شديدة أصابته في جسمه في وسط آقاب قومه في الأكار والالام الحاصلة منه وكان موته في سنة ٤٤ قبل الميلاد وانقسمت ممالكه بين أولاده الثلاث وذلك أن أركاوس أخذ يهودا وسمارية وأخذ غليلي أنطياس وأخذ فيليب الجهة الشرقية من نهر الأردن المسماة طراكونيطيس

وفي السنة الأخيرة من ساطنته ولد (عيسى المسيح عليه السلام) وكانت ولادته في بيت لحم وهي مدينة من مدن يهودا ومسقط رأس مولد داود عليه السلام أيضا ومن الخطأ البين أن وضعت الحوادث التاريخية هذه الحادثة المشهورة في سنة ٤٤ قبل الميلاد

وما كانت اليهود راضية بأجمعها مطلقا على حكم هيرودس ما عدا حزبا قليلا منهم لأن هؤلاء الملوك كانوا في كراهة شديدة وحقد ضغين على اليهود بسبب أن أصلهم من ذرية الادوميين وكانوا كالآت للأغراب الذين يستولون على البلاد وكانوا يقدحون على الدوام في أمة اليهود ويظهرون لهم ما هم عليه من الضعف والحقارة والاهانة وما كان اليهود ينفذون مثل هذه التعريضات مع الرغبة والشوق لأنهم كانوا ينتظرون أنه في مثل هذا الوقت يأتي اليهم المسيح وكانوا يعتقدون فيه أنه ملاك الهى دنيوى يرسل لخلاصهم مما هم فيه ومن أعماله وإرشاداته تعود الشوك القديمة والابمية الجليلة لاسرائيل ولما بلغ هيرودس ولادة عيسى عليه السلام في بيت لحم أمر بقتل جميع أطفال هذه المدينة من عمر سنتين فما دون ذلك لأنه رأى أنه يبحث على خلاص نفسه من أمر يرقبه من العدو والالاهل يتبعه وفي الحقيقة ما كانت العائلة الهيرودية المبعوضة عند الأمة اليهودية على سلامة الأبواطة جارية أسانذتهم الرومانين وذبحوا كل يهودى متمتع بكرم هذه الدولة وجودها

ومع هذا فلم يند هذا الذبح والقتل فائدة وأخذت المملكة الهيرودية مع السرعة في الضعف وضياع الشوك وأخذت تعديات الرومانين وسلبهم البلاد في الزيادة وكان أركاوس جبارا غشوما ظالما في حكم ممالكه حتى أن الرومانين خلعوه في سنة ٨٨ بعد الميلاد وألقوا يهودا وسمارية بأقليم سوريا وكان رومانيا لا أنه ترخص لكل من هاتين المملكتين إجراء حكومة إدارية داخلية تحت حاكم أو نائب من الرومانين

وفي غضون هذه المدة تعرض عيسى عليه السلام وشب وبلغ مبالغ الرجال وابتدأ في مشروع الأشغال العظيمة التي أرسل من أجلها وكان بعثه وصعده إلى السماء أى رفعه في مدة الحكومة الإدارية تحت ولاية يونطيسوس بلاطى النائب الرومانى الخامس في يهودا

واستمرت يهودا محكومة بهذه الحالة إلى حد سنة ٣٨ بعد الميلاد وفي أثناء ذلك تسلط هيرودس أنطياس ملكا في غليلي وكان فيليب حاكم بلاد طراكونيطيس ولما خلا هذا الأقليمان من ملوكهما بعد موتهم أنعم بهما الامبراطور كاليجولا على نديمه هيرودس أعزيبا الأول حفيد هيرودس ووريان وفي سنة ٤١ بعد الميلاد أعطى أيضا لأعزيبا يهودا وسمارية فاستمرت ثلاث سنوات حاكما على



جميع مملكة بعده وما كانت أشغال كاليجولا الاموانع وقتية في الاجراآت الرومانية لانه كان يقصدها ابتلاع مملكة اليهود ويدخلها في المملكة الرومانية وفي سنة ٤٤ بعد الميلاد شرع أعزيبا في الظلم القاسي والبحور الفظيع في حق المسيحيين وتولدهم هذه الافعال الاسباب المحتاج اليها الرومانيون فأخذوا منهم يهودا وجعلوها تحت ادارة حكومة نيابية

ثم صارت الحكام الرومانية على غاية من الشدة والقساوة وازدادوا في جورهم وتعديهم حتى بلغوا النهاية وصار لاطاقة لليهود على تحمل أحكامهم والصبر عليها وشرع غيسوس فلوروس وهو السادس من العائلة الجديدة في سلب ونهب اقليمه من دون رحمة ولاشفقة فقطع اليهود اليأس من أنفسهم وفي سنة ٦٦ بعد الميلاد جعل أمة اليهود باجمعها السلاح لاجل طرد الرومانيين من بلادهم وعود استقلاليتهم وصار فلوروس هو المسؤول عن اشتعال هذه الثورة الا أن القانون الروماني لا يجوز ادخال الجبار وعلى الخصوص حاكم الاقليم في مسؤولية أي ثورة كانت ونسبوا لليهود العصيان في السابق واللاحق وصار لم يكن عند غيسوس فلوروس سوى أن أسرع للقتال وأظهر فيه الطباع الوحشية والاجراآت الفظيعة الدنيوية التي ما حصلت قبل من أحد غيره وكانت يهودا خضعت للحكام الاجانب قبل مجي الرومانيين الا أن سياسة هؤلاء الحكام كانت مغايرة لسياسة رومة والصحيح أنهم اما كانت مخالفة لها بكثير حيث كان القصد هو التغلب على البلاد والمساواة بين الامم ومع ما كانت عليه نتائج الاحوال فاليهود ما سمحوا بدمار أنفسهم الا من بعد حصول حرب يحصل لهم فيها اما النصر واما الفناء والدمار

وحيث كان انعقاد حرب الاستقلال والثوران على شروط دينية صار الشروع فيه في سنة ٦٦ بعد الميلاد ودبر الرومانيون الحرب مع الشدة والعنف وأخضعوا اقليمي غليل وسمارية وعاقبوا هذين الاقليمين بالسيف والنار وتغلبوا على يهودا وكان غلاق هذه الحروب التغلب على أورشليم وخرابها بواسطة طيطوس في سنة ٧٠ بعد الميلاد وفي هذا الوقت تدبر الرومانيون بفكرهم وما عندهم من الاجراآت الشديدة فيما يجب اجراؤه في ملة اليهود فورا وأن خراب وهدم المدينة المقدسة ومنع اليهود من تعصيم وارتباطهم في نقطة حصينة مثل هذه في المستعقل عقاب لهم في مقاومتهم الملة لمملكة الرومانية ودخل طيطوس في أورشليم وهي مدينة ذات سرايات وأما كن منفتحة وثر كها كومان الرماد الاسود وحرق الهيكل الجميل وكل بناء موجود ما عدا بعض أبراج في أسوار الاستحكامات أبقاها لتكون مرصد لمخافتين من الرومانيين وتذكارا باقيا يستدل منه على قدرة الرومانيين وسوى جميع الابنية بالارض ولم يفعل بختنصر في تخريبه المدينة المقدسة زيادة عما فعله طيطوس الروماني وكان الحصار على أورشليم خمسة أشهر وصارت من بعد ما حدى المرتجات التاريخية وكان قطع يأس المحاربين الموجودين فيها وتخريب المدينة وفقد الانفس وهول المصائب والشدائد التي حلت بالمحصرين أبوابا مكثرة محزنة في تاريخ الوقائع الحربية السنوية وقد ذكر أنه هلك في أثناء هذا الحصار من الانفس نحو ١١٠٠٠٠ نفس وان كان من المحتمل أن هذا العدد كثير الا أنه لا يخلو من أن يكون بعيدا عن الخطأ بكثير وأما الذين بقوا على قيد الحياة من بعد الحصار فانهم صاروا أرقاء وصار يوزعهم على المتغلبين وارتحل الكثير منهم الى داخل جرمانيا وايطاليا وأخذوا لهم مستعمرات في داخل تلك الاراضي والبلاد

ومن بعد غلاق الحرب صار الخاقيم وذا باقليم سوريا ومن بعد مضى قليل صارت سوريا و فلسطين  
محكومتين بحاكم واحد من طرف الحكومة الرومانية جعل مقره في أنطاكية واستمرت هذه الحالة  
العمومية للأعمال مدة وجود المملكة الرومانية وفي هذا الوقت أخذت الديانة المسيحية في التقدم  
بسرعة في كل من ناحيتي سوريا و فلسطين وتوطد لها قدم راسخ في هذين الاقليمين قبل تشييدها بعدة  
طويلة في سائر أنحاء المملكة الرومانية بواسطة قسطنطين

ثم ان اليهود لم يشفقوا ولم ينفيةوا من الضربة التي أصابتهم من خراب أورشليم وبها انقضت الحياة  
السياسية للأمة اليهودية حتى صارت لا تعد مرة أخرى مملكة من ممالك العالم أو أمة من الأمم وانتشروا  
على وجه الأرض أغرابا راحلين في عوم الاراضي وكفرا ولادابراهم عن خطايا آبائهم الذين نبذوا  
المسيح ومملكته وراءهم ظهريا

وكانت خرابات أورشليم وأطلالها مسكونة بحفاظين من الرومانيين في مدة ساطنة وسياسيان والذين  
خلفوه مباشرة من بعده ثم ان الامبراطور هادريان عزم على أن يعيد المدينة ويشغلها بقوة من  
الحفاظين الاقوياء لاجل أن تحرم أورشليم من أن تكون مأوى للجنس الاسرائيلي النافر المردوم  
الوثاق والعهد فتولد من هذا الفعل حصول ثورة مهولة في فلسطين من اليهود تحت رياسة بعرة قوشير  
وادعى أنه هو المسيح واشتعلت نار الحرب مع الشدة والغضب مدة ثلاث سنوات وأخيرا آلت نتيجة  
الحرب بنصر الرومانيين وتغلبهم وقتل بعرة قوشير وقتل من اليهود في هذا الحرب ما ينيف عن نصف  
مليون من النفوس ثم ان هادريان أمر بمحق خرائب أورشليم وأثارها وأن يبنى على محل العاصمة  
القديمة مدينة جديدة سماها عاصمة إيليا في سنة ١٣٦ بعد الميلاد وصرح للمسيحيين والوثنيين دون  
غيرهم بالاقامة فيها وأخرجوا اليهود منها قاطبة ثم منح لهم في القرن الرابع بأن يدخلوها مرة واحدة  
في السنة الواحدة فصاروا يدخلونها كل سنة مرة يندبون وينوحون على التغلب عليهم وخرابها ومع  
أنه صار معاملتهم اليهود بالقسوة وشدة المعاملات الا انه ترخص لهم بالتوطن في جهات أخرى من  
فلسطين وكان رئيسهم يعرف باسم بطريق طبرية اسم محل اقامته وكانت طاعة جميع اليهود  
الموجودين في الممالك الرومانية موجهة اليه وتحت قيادته

ولما صار يوليان امبراطور عادت الديانة الوثنية كأنها هي ديانة المملكة ولاجل تكذيب ما جاء به المسيح  
دعا يوليان اليهود لبناء هيكلهم ومعبدهم في أورشليم فجاءوا الى المدينة المقدسة أفواجا من جميع أطراف  
وأكثاف المملكة رجالا ونساء وأطفالا واشتغلوا بتنظيف الخرائب والاطلال ثم انقطع شغلهم على حين  
غفلة بارشبت من أساسات المعبد بحالة تجهولة واشتعلت مدة النهار جميعه وطردت الشغالين وحرقت  
عدد هم والآت هم فالتزموا أن يتركوا العمل وكذا حصل موت يوليان بعد ذلك بقليل ووقف هذا  
العزم الذي أصله على غير دين ومنتهك للحرمة الدينية

ولما بدأ الفرس في تهديد وازعاج الممالك الشرقية للمملكة الرومانية قواهم يهود فلسطين في السر  
وأهلوا مع الشوق والابتهاج بتقديم خسر والثاني ومجيئه الى بلادهم فغزاهم وفسططين في سنة ٦١٠  
بعد الميلاد وقام اليهود بأجمعهم وانضموا الى الفرس وساءلوههم على فتح أورشليم وكانت أورشليم في هذا  
الوقت مدينة مسيحية وبمجرد تمكنهم من المدينة وتغلبهم عليها اذبحوا سكانها المسيحيين وأفتوهم عن  
آخرهم الا أن الامبراطور هرقل المنصور عاقبهم أشد العقاب بعد ذلك بقليل وأوقع بهم ولم يرد ملك



الفرس على أعقابهم إلى بلاده فقط بل استرد منه اقليم سوريا ومصر وأعاد قانون هادريان القاضي بعدم قرب اليهود من أورشليم على مسافة ثلاثة أميال

وبينما كانت هذه المبارزات والحروب جارية بين كل من ملك الرومانيين وملك الفرس اذ شبت شوكة جديدة وقوة من عجة شديدة على حين غفلة في صحراء بلاد العرب وذلك أن (محمد صلى الله عليه وسلم) ابن عبد الله بن عبد المطلب من أهل مكة مدينة من مدائن بلاد العرب أعلن بأنه نبي ورسول من عند الله سبحانه وتعالى ونشر دينه الحق القاضي بقتال الكفار وقتلهم إن لم يدخلوا فيه أو يضعوا الجزية عن يدهم صاغرون وكان اليهود في ابتداء الامر من جملة الذين كذبوه واجتهدوا في صدده ولم يصدقوا شيئاً من انذاره اياهم وجه جيوشه عليهم وتغلب على مدائن اليهود الموجودة في بلاد العرب وكانوا فيها كثيرى العدد والشوكة ثم عزم صلى الله عليه وسلم على أن يضيف فلسطين إلى ما فتحه من المدائن والجهات العربية فات قبل أن يتم هذا العمل وابتدأ أخيه فته أبو بكر رضى الله عنه في غزو سوريا سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وتغلبت جيوشه على الاراضي الكائنة في شرق نهر الاردن وهزم قواده الجيش الروماني الذي أرسل لمساعدة سوريا وتغلبوا على دمشق في سنة ٦٣٤ بعد الميلاد وخضعت سوريا بأكملها لابي بكر ثم بعد ذلك غزا فلسطين وانهمزم الجيش الذي كان تجمع لمساعدتهم واجابتهم في وقعة حصلت في نواحي نهر اليرموك في شهر نوفمبر سنة ٦٣٦ بعد الميلاد ثم صارت محاصرة أورشليم وسلمت للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة ٦٣٦ بعد الميلاد وجعلت المدينة الثانية المقدسة للمسلمين وبني عمر فيها جامعاً مفخراً محل الهيكل ومن ثم انتقلت فلسطين تحت سلطنة المسلمين وشوكتهم

وكان حكام المسلمين من أعظم المصائب والزبائير على فلسطين وفي سنة ٦٤٩ بعد الميلاد صارت دمشق عاصمة المملكة الاسلامية ومن هذا الوقت أخذت فلسطين في الاضمحلال والهبوط بعد أن كانت من ابتداء تغلب الرومانيين عليها إلى أن غزاها المسلمون من أجل التبعية الرومانية وأفلحها وذلك أن حكامها من المسلمين جعلوا أهلها اما لاطافة لهم به من الاحمال وأقلعهم بالمصاعب والالام حتى آل أمر مدائنهم إلى الهرم والدمار واضمحت أشغال الامل والسكان وأما أورشليم فانها صارت مدينة لا معنى لها في ذاتها وكذا صارت قيصريه آكام تراب وعمد مكسرة تتطاير فوقها الرمال

وصارت هيئة الاراضي والمدائن من مميزات الازمان وبما انتقلت دار خلافة الاسلام من دمشق إلى بغداد صارت فلسطين اية لا معنى لها في ذاتها واقليم سوريا وازدادت خراباً على خرابها

وفي منتصف القرن العاشر تغلب الخلفاء الفاطميون على فلسطين وكانوا احتلوا اريكة مصرية من عهد جديد فاستمرت فلسطين خاضعة لهم إلى حد المدة الاخيرة من القرن الحادي عشر ثم انتقلت تحت حوزة السلطنة التركية وكانوا تغلبوا على آسيا الصغرى واعتصبوا سوريا وفلسطين من نواب الخلفاء الفاطميين حكام مصر في ذلك العصر

وعامل الترك نصارى فلسطين المسيحيين بأسوء المعاملات الشديدة حتى ان دول أوروبا الغربية قاموا بأسلحتهم لحمايتهم والمدافعة عنهم وغزوا أوروبا وبايون فلسطين وانتشبت فيها عدة حروب مهولة من عجة تعرف بالحروب الصليبية وسندرج تاريخ هذه الحروب في محل آخر من هذا الكتاب وكانت نتيجة الحرب الاوّل الصليبي التغلب على أورشليم وتأسيس واقامة ملكة لاتينية في فلسطين سنة ١٠٩٩

بعد الميلاد وتزوج غودفري بويلن ملك أورشليم وكانت مملكته محصورة في المدينة المقدسة ويافا ونحو من عشرين قصبة وقرية في الاراضى المجاورة لأورشليم

ولم تلبث مدة المملكة اللاتينية زمنا طويلا وذلك أن النصرات والتغلبات التي نالها يوسف صلاح الدين في القرن الحادى عشر لاصيرته سلطان مصر وسوريا وبلاذ العرب بذل جهده وسعيه في طرد المسيحيين من فلسطين ولما تراءى له غزوا الارض المقدسة دخل فلسطين في رأس جيش مقداره ٨٠٠٠٠ نفس متدربين في الحروب وهزم غودفري لوسجنان ملك أورشليم في نواحي جبل حطين في يوم ٣ يولييه سنة ١١٧٨ بعد الميلاد وأوقع في جيشه خسارة قدرها ٣٠٠٠٠ نفس وأسره ومن بعد دمهضى ثلاثة شهور تغلب يوسف صلاح الدين على أورشليم وأشهر نصرتيه وظفره برأفة وحلم عامل بهم المسيحيين سكان أورشليم وأعقب هذا النصر بطرده جميع اللاتينيين من كامل مدائن فلسطين ما عدا بضعة مدن قليلة في طول ساحل البحر

وفي سنة ١٢٢٨ استحصل الامبراطور فريدريك الثانى على عودة أورشليم للمسيحيين بعقد معاهدة مع السلطان يوسف صلاح الدين وكذا أعاد لهم أيضا بيت لحم ونصارى وصور وصيدا وفي سنة ١٢٤٣ غاب التتار المغول على سوريا وفلسطين وأخذوا أورشليم عنوة وذبحوا سكانها المسيحيين وهتكوا حرمة القبر الشريف

ومن بعد ضياع أورشليم صارت عكا المواجهة على ساحل البحر الأبيض المتوسط العاصمة المسيحية في أرض فلسطين وتحت إيمان وعمارات قوية بحليمة وبحار مياه وميناء صناعية وسورى استحکامات خلف بعضهم وكان لسكانها نواب من طرف كل أمة أروباوية حتى قال بعض المؤرخين ان المدينة موجود فيها عدة ملوك من دون حكومة ثم تسلطن فيها فساد وحكومة فوضوية لا يوازيهم شئ في التاريخ فقتلوا ما حصل من الفطائع والتبائع التي ظهرت من سكانها على سكان جهة من المسلمين القاطنين في القرى المجاورة لكك اغضب شديد من السلطان خليل الأشرف سلطان مصر في ذلك العصر فسار الى عكا مع جيش جرار يبلغ مقداره ٢٠٠٠٠٠ نفس وتغلب عليهم ابان هجوم عنوة في يوم ١٨ مايو سنة ١٢٩١ بعد الميلاد بعد أن حاصرها واشتد عليها واستمر في حصارها ثلاثة وثلاثين يوما وفن ثم انتقل آخر ملك للمسيحيين في فلسطين الى أيدي المسلمين

وفي سنة ١٤٠٠ بعد الميلاد تغلب تيمور التتارى أو تيمورتنك على سوريا وحرق دمشق الا انه لم يظهر من سيره في وسط الاراضى أنه تعرض بسوء الى أورشليم بل كانت باقية في حوزة ملوكها المسلمين

وفي سنة ١٥١٧ بعد الميلاد خضعت فلسطين لجيوش السلطان سليم الاول العثمانى ومن ذلك الوقت صارت قسما من المملكة العثمانية التركية

وفي سنة ١٨٣١ بعد الميلاد أرسل محمد علي باشا صاحب مصر ابنه ابراهيم باشا الى سوريا بجيش مقداره ٣٨٠٠٠ نفس بحملة تأديب عبد الله باش عكا نظيرا لاحتقار له واهانتها اياه ولكن مراده في الحقيقة ونفس الامر هو التغلب على تلك الولاية وجعلها تحت ادارة الحكم المصرى فتغلب ابراهيم باشا على سوريا مع السرعة والعجلة وقاسمتها فلسطين في عاقبة أمرها ثم ان حاكم مصر سؤلت له نفسه أن يمد حكمة وغلبته على جميع الممالك التركية العثمانية في آسيا الصغرى فدخات الدول الاورباوية في هذه



المسئلة في شهر ماوس سنة ١٨٣٣ وأرغموا محمد علي باشا على قبول معاهدة أدخلوا له فيها الحكم على جميع سوريا وإيالة أدنه في آسيا الصغرى وجزيرة كريد في البحر الأبيض المتوسط فاستمر هذا الفصل تحت المجادلة والمناقضة الى سنة ١٨٣٩ بعد الميلاد حتى جدد السلطان محمود الثاني العثماني الحرب وأمر بتسفير اسطول البحرى بقصد ضرب الاسكندرية وغزاسوريا بجيش مقداره ٨٠٠٠٠ مقاتل فهزم ابراهيم باشا الجيش التركى العثمانى في واقعة حصلت في نواحي نديب هزيمة فاصلة في يوم ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ بعد الميلاد وسلم الاسطول البحرى نفسه بطريق الخيانة الى المصريين من دون أن يقع حرب وصارت المملكة العثمانية على شفا جرف من الخراب والدمار بواسطة القوى المصرية لولا أن تداركها الدول الاوروباية وتدخلوا ثانيا في أمرها وأرغموا محمد علي باشا بعهده معاهدة صلحية ضيعت منه سوريا وفلسطين وجزيرة كريد وأثبتت له مصر فقط ومن هذا العهد استمرت فلسطين قسما من أقسام المملكة التركية العثمانية لحد يومنا هذا وهو ٢٠ يونيه سنة ١٨٩١ بعد الميلاد وهو يوم اتمام تهذيب التاريخ المقدس وتنقيحه على يد مؤلفه الفقير محمود فهمى المهندس القاطن في جزيرة سيلان

## الكتاب الثانى

### تاريخ مصر

﴿ من ابتداء الازمان القديمة الى الاوقات الحاضرة ﴾

## الباب الاول

﴿ من ابتداء تأسيس الحكومة الى العائلة الثانية والعشرين ﴾

وصف مصر - وادى النيل - الدلطة - مصبات النيل - سكان مصر القديمة - عوائد قدماء المصريين - ديانة قدماء المصريين - آلهة المصريين - اعتقاد المصريين في الحالة المسببة - تصبير الاموات - طوائف المصريين - الملوك - القسس - طريقة الكتابة - شرائع المصريين وقوانينهم - تأسيس المملكة بواسطة مينس - عصر العائلات الملوكية - العائلة الرابعة - دلائل سموها وعظمتها - الاهرام - تقدم المدنية والحضارة في عصر هذه العائلة - الفتوحات - توسياد طيويه - غارة الرعاة والهيكل صوص - تغلبهم على مصر السفلى والوسطى - العائلة الثانية عشرة الطيوية - سموها ورفعها - تغلب الهيكل صوص على مصر العليا - تدمير المباني والآثار - اخراج الهيكل صوص وطردهم من مصر - العائلة الثامنة عشرة الملوكية - رفعة مصر تحت ساطنة العائلة التاسعة عشرة - رمسيس الثالث - عجز الساطنة وهرمها - الملوك القسس

قارة افريقية واقعة بأكملها في المنطقة الحارة وهى أحد الاقسام العظيمة من الدنيا الاشدها وقولة ولما كان القسم الاعظم من سطح هذه القارة غير صالح لسكنى بنى الانسان كانت غير موافقة لنمو الامم العظيمة وترعرعها أولحياتها ثم ان مصر وقرطاجه - المملكتان الافريقييتان اللتان بلغتا

حد الكمال والاهمية في تاريخ العالم وكل من هاتين المملكتين واقع في الجهة الشمالية من القارة وفي داخل حدود المنطقة الشمالية المعتدلة

ومصر هي القسم الاسفل من النيل وتمتد من ساحل البحر الابيض المتوسط الى الشمال الاول من شلالات النيل وطول هذا الامتداد نحو مائتين ٥٠٠ ميل و ٦٠٠ ميل انكليزي وشاغلة الطرف الشرقي من القارة وهي وان كانت قليلة السعة الا انها كانت مشتملة على مدائن عديدة جدا وعالم من الانفس لا يحصى عددا وروى أنه كان يوجد في عصر سلطنة أمقرسيس أحد فرعون مصر نحو مائة وعشرين ألف مدينة معمورة بأهلها غاصة بسكانها

ومصر محدودة من الجهة الشرقية بالبحر الاحمر وبرزخ السويس (الآن قناة السويس) ومن جهة الشمال بالبحر الابيض المتوسط ومن جهة الجنوب بالاقليم السودانية الحبشية ومن جهة الغرب بصحر ليبيا وبرقة ومساحة الارض الشاسعة المحصورة في داخل هذا الحدود نحو مائة و٣٩٤,٢٤٠ ميلا مسطحا وتعداد سكانها الآن على حسب تعداد سنة ١٨٨٢ بعد الميلاد نحو مائة و٦٨٠,٠٠٠ نفس ومناخها حار جاف وفيه الاربعة الفصول الصيف والشتاء والخريف والرياح ويندر سقوط الامطار على سطح أرض مصر وفي مدة فصل الشتاء تكثر فيها البرودة وكذا يكثر سقوط المطر بجهة سواحل البحر الابيض المتوسط ومن وسط أرضها يجري نهر النيل وهو نهرها الوحيد من الجنوب الى الشمال في مسافة طولها نحو مائة مائتين فرسخا فرنساوي وهذه الارض مفعولة من كل من جهتيها بواسطة جبال سائرة بالتوازي للنيل لا تترك مجراها الا في النادر ويوجد بين ذبول هذه الجبال ونهر النيل حزام من الارض لا يزيد عرضه عن اربعة وعشرين فرسخا فرنساويا او ثلاثة وثلاثين ميلا وربع ميل وأحيانا اقل من ذلك ويزداد هذا الحزام سعة في الجهة الغربية في بعض جهات حتى يصل الى خمسة وعشرين او ثلاثين فرسخا فرنساويا وأما العرض الاكبر لمصر من مدينة الاسكندرية الى مدينة دمياط على ساحل البحر الابيض فهو نحو مائة وخمسين فرسخا

وكانت مصر في الزمن القديم مقسومة الى ثلاثة اقسام أصلية هي مصر العليا أو طيبة وهي القسم الاكثر وقوعا في الجهة الجنوبية ومصر الوسطى أو هب طافومييد ومعناها ذات السبعة أخطاط ومصر السفلى ويدخل في هذا القسم ما يقال له الدلتا وجميع الاراضي الى البحر الاحمر وطول ساحل البحر الابيض الى جبل كاسيوس وكانت مصر جميعها تحت سلطة الفرعون سيزوستريس منقسمة الى ست وثلاثين كورة عشرة منها في طيبة وعشرة في الدلتا وستة عشر فيما بينهما

وكل من مدينة اصوان ومدينة جزيرة الفيلة بفصلان مصر من الاقليم النوبية السودانية وكانت هاتان المدينتان في عصر الامبراطور أغسطس حد للمملكة الرومانية

وكانت مدينة طيبة التي صار اسمها عليا على اقليم مصر العليا أجل مدن العالم وأغنىها في الزمن القديم وهي مشهورة بأبوابها المائة التي ذكرها عمير في أشعاره وكان سكانها مائة مائة نسمة وقيل انه كان يخرج من كل باب من أبوابها مائة امرأة من عربات الحرب وعشرة آلاف فارس دفعة واحدة وقد ذكر الجريقيون والرومان مجد هذه المدينة وعظمتها ولأنهم لم يروا الاطلالها وانوارها التي بقيت من تلك العصور القديمة الدالة على ما كانت عليه هذه المدينة من المجد والعظمة ولقد استكشف في نواحي طيبة وهي صعيد مصر الآن هياكل ومبان وسرايات لم تزل باقية على ما كانت عليه من



أصلها من العمد والتمثيل والزخرفة والنقوش والالوان التي لم يقدر من اعانها وصفاء لونها شيء وكانت مدينة طيوه عاصمة القسم الطيوى

وأما مدينة منف أو منفيس فكانت عاصمة القسم الهبطا نوميدي أو مصر الوسطى وكان تشمل هذه المدينة على معابد وهياكل كثيرة العدد ومن ضمن هذه المعابد معبد أبليس وهو الاله الاكبر معبود المصريين وكانوا يعلمون له شعائر واحتفالات خاصة به

وكان نخر مصر ومجدها محصورا في بناء هياكلها ومعابدها ومدائنها وقصورها والمسلات والاهرام والبرابي التي صبرت على حر الزمان وبرده ولم تتأثر من الحوادث الجوية ولا الآفات السماوية وأثبتت للمصريين نخر المكنة والطاقة ورفاهية الاحوال ولذة المعيشة في تلك العصور القديمة فأما المسلة فهي شكل رباعي مسجوب الطرف من كوزة عمودية على سطح الارض ومنتهية من أعلاها بسن مدبب فكان المصريون يضعون هذه المسلات في الميادين المربعة الموجودة في داخل المدن لأجل الزينة ويسترون سطوحها الاربعه بإشارات أو كتابة القلم الهيروغليفي ومعناه القلم المقدس وقد أقام سيزوستريس في مدينة عين شمس مسلتين من حجر الصوان الصلب أمر بقطعهما وجلبهما من محاجر مدينة أصوان من حدود مصر كان ارتفاع كل واحدة منهما مائة وعشرين ذراعا أي ثلاثين قامة أو مائة وثمانين قدما ولما تغلب الامبراطور أغسطس على مصر وجعلها إيالة من المملكة الرومانية أمر بنقل هاتين المسلتين الى رومة فانكسرت احدهما قطعا وصار لاجراءه على أن يخاطر به زمعه على نقل مسلة ثالثة كانت أعظم وأكبر من الاولين عملت في عصر سلطنة رعمسيس الملك وقيل إن عدد الشغالة الذين كانوا يشتغلون بقطع هذه المسلة الثالثة ونصبها نحو من عشرين ألف نفس وكان يوجد في مدائن كل قسم من الاقاليم المصرية كثير من هذه المسلات وكانت جميعها مقلدة من المحاجر الصعيدية بجهة اصوان وقنا وأسيوط ولم تزل آثار محاجر القطع موجودة لحد الآن

وأما الهرم فهو جسم ذو قاعدة مربعة الشكل بسعة كبيرة ينتهي من أعلاه بسن مدبب والموجود في مصر ثلاثة أهرام أشهر من الازهرام الباقية أحدها وهو الاكبر مدود من ضمن عجائب الدنيا السبعة وهو موزع على مسافة بعيدة من منف وهذا الهرم مبني مثل باقي الازهرام على صخرة حجرية مربعة الشكل ومستطيف على سطوحه البرانية تشطيفات على هيئة درج السلم تعين على الصعود الى رأس الهرم على التدرج وهو مبني من أحجار ضخمة محكمة الوضع والبناء مصنعة بعسبة مستورة بكتابة القلم المقدس وقال قدماء المؤرخين إن طول كل جهة من جهات الهرم الاكبر ثمانمائة قدم ومثلها في الارشاع وان رأس الهرم أوقته التي تظهر للرأي من بعد أنها نقطة هي سطح ظريف مركب من عشرة أحجار أو اثني عشر حجرا وطول كل جهة من جهات هذا السطح ستة عشر قدما أو ثمانية عشر قدما

وطول ضلع مربع القاعدة ١١٠ قامة ووجهه مثلث متساوي الاضلاع فإذا تكون مساحة القاعدة ١٢١٠٠ قامة مربعة وبما أن ارتفاع الهرم  $\frac{3}{4}$  ٧٧ قامة فإذا تكون مساحة جسم الهرم ٣١٣٥٩٠ قامة مكعبة وكان عدد الشغالين فيه نحو من مائة ألف نفر يتغيرون بمثلهم كل ثلاثة شهور وامتدت مدة تجهيز الاحجار وقطعها عشر سنوات من بلاد العرب أو من جهات النوبة ثم أرسلت الى مصر ثم امتدت مدة بناء هذا الهرم المهول الغريب عشرين سنة وعمل في داخله قاعات ومجالس ووجد مكتوبا على الهرم بحروف الهجاء المصرية القديمة مبلغ النقود التي صرفت على

ما أكله الشغالة من أصناف الثوم والكراث والبصل والفجل وغيره من مثل هذه الاصناف يبلغ ألف وستمائة وزنة من الفضة وهذا عبارة عن ٢٠٠٠٠ استرلينه أو ٤٥٠٠٠٠٠ فرنك وكان أصل بناء هذه الأهرام قبورا للملوك المصريين

وكذا يوجد في مصر البرابي وهي مبان شيدت وأقيمت مثل الأهرام وبنائها يدعش العقول ويحير الأفكار زيادة عن بناء الأهرام وقد بنيت هذه البرابي في الطرف الجنوبي من بحيرة مورييس بأقليم الفيوم وكذا بالقرب من مدينة التماسح وما كانت بركة العرباة مركبة من سراية واحدة فقط بل مركبة من اثنتي عشرة سراية محكمة التنظيم جيدة الترتيب بدسالي وطرق توصل لبعضها أو مركبة من طبقتين فالطبقة العلوية تشتمل على ألف وخمسمائة قاعدة مسقفة جميعها بسقف واحد وذلك القاعات منظومة في دائرتين اثنتي عشرة مجالا ومثل ذلك الطبقة التي هي أسفل منها وهذه الطبقة السفلى كانت معدودة لدفن الملوك والمحافظ على التماسيح المقدسة معبودات الأمة المصرية

وكانت بركة مورييس (هي بركة بأقليم الفيوم) من أجل العارات وأغرب الأشغال التي اشتغلها ملوك مصر في العصور القديمة وقال قدماء المؤرخين إن شغلها أجود بكثير من شغل الأهرام والبرابي بالنظر إلى كثرة أوقلة اجتناء الثروات من زيادة النيل وفيضانه فلما كان الضرر لا كبر والموت لا جرحا صلا من زيادة علو مياه النيل أو من نقصها وبواسطة ذلك كان يؤل أمر البلاد والارض إلى الفرق أو الشرق وكلاهما مضر بأرض مصر وأهلها ثم ع الملك مورييس فرعون مصر في عمل طريقة لا جمل عدم حصول ضرر إحدى هاتين الحالتين وأن يصلح حالة الفيضان بطريقة يعود منها النفع على البلاد وراحة العباد فأمر بحفر بحيرة أو بركة أطلق عليها اسمه وبذل في تشغيلها جهده وكل ما في طاقته وشوكته في إقليم الفيوم وكان دائره هذه البحيرة ثلاثة آلاف وستمائة استا دية أو مائة وثمانين فرسخا فرنساويا وعمقها اثلاثمائة قدم وأقام في وسط هذه البركة هرمين من البناء ركب على رأس كل منهما اثنا لخمسة من الحجر جالس على كرسي رأسه مرتفعة في الهواء بمقدار ثلاثمائة قدم ومثلها تحت الماء ووصل هذه البحيرة مع النيل بواسطة ترعة كبيرة أو خليج ينفذ طوله عن أربعة فراسخ فرنساوية وعرضه خمسون قدما وعمل في رأس الخليج من جهة النيل وفي نهايته من جهة البحيرة براج وخوختات تفق وتغلق حسب الحاجة وبلغت مصارف هذه البرابي نحو من خمسين وزنة أي خمسين ألف فرنك وكان يجتني الملك من ثمرات هذه البحيرة ثمان الأسماك التي كانت تخرج منها وتباع وترسل أثمانها إلى الخزينة الملكية كما هو جارح لحد يومنا هذا الآن المنفعة التي كانت خاصة بها في الزمن القديم هي من أجل النيل وجر يانه وذلك أنه عندما كان يحصل الارتفاع في مياه النيل وتظهر عاقبة ضررها كان يجري فتح الخوختات والبرابي وتجري المياه إلى أن تصب في البركة وبهذه الطريقة صارت مياه النيل لا تغمر أرض مصر الأعلى حسب الحاجة وال لزوم ولا تمكث فوقها إلا مدة رسيان الطمي المحلوب معها الممتد لا صلاح الزراعة وبعبكس ذلك أن كانت مياه النيل منخطة جدا ويخشى القحط على مصر فكانت ترسل المياه اللازمة لتمام ري الأراضي من البركة بواسطة ترع ونخلجان مدبرة لذلك وبما أجراه مورييس حصل الاصلاح في عدم انتظام حالة النيل وقت علو مياهه وكانت أرض مصر يتم ريها عندما تبلغ مياه النيل في العلاتين عشر ذراعا وإن بلغت ثمانية أذرع جهد الناس وتيقنوا القحط وحصل الشك في كون مياه البحيرة يحصل منها ارتفاع مياه النيل وقت جريانها في الترع والنخلجان أم لا



والنيل هو الآلة الكبرى والعجيبة العظمى لحياة أرض مصر وأهلها لأنه يندرسقوط الأمطار فيها  
فبواسطة هذا النيل تسقى أرض مصر لكونه يجلب لها ولاهاها ما هو مرتب عليه سنويا من الجزية  
والخراج بواسطة زيادته المنتظمة (أى عن مياه أمطار الأقاليم الأخرى) المشكونة بالرواسب والمواد الطينية  
المصلحة لأرض الزراعة وبذلك صارت أرض مصر قطعة بترع ونخلجان وأبحر عديدة تختلف في  
الطول والعرض بنسبة اختلاف المواقع واحتياجات الأراضي وهذا النهر هو الجالب لخصوبة الأرض  
وجامع للدائن بعضهم ببعض والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وطريق التجارة في الداخل والخارج  
وحافظ للملكة من عدوها ولولا ما كانت مصر ولا أهلها فهو المغذى لها والحافظ لحالتها ويأتى  
للمصريين عند الحاجة ويمضى عند الاستغناء عنه كما قال بعضهم.

كان النيل ذو فم ولب \* لما يبدوا عين الناس منه

فيأتى حين حاجتهم اليه \* ويمضى حين يستغنون عنه

وقد أكثر الأوائل والأواخر المدح فيه ولما كان هو أصل الحياة مصر وأهلها أتقنوا أشغاله وأحكموا  
جسوره وأقاموا مقاييسه وعرفوا أوقات زيادته وفيضانه وحفروا الترع والنخلجان وأنشؤا القناطر  
والبراج لأجل التحفظ على مياه النيل مدة الري ومدة التحريق حتى يتيسر الحصول على اجتناء ثمرات  
المحصولات وعود الثروة على البلاد والعباد وعند حضور النيل إلى أرض مصر تسلم اليه في الحال أرض  
الزراعة فتفيض مياهها وتظهر المداين والقرى الموجودة على مرتفعات من الأرض للرائى كأنها  
في بحر حتى تحيط بها مياه الفيضان من كل جهة كأنها جزائر صغيرة فيها وتسمر المياه فوق الأرض  
مع الاعتناء من السكك في التحفظ عليها حتى تتم أوقات الري ثم يجرى صرفها من على الأرض  
والشروع في بذر حبوب الزراعة وقد أحكم المصريون سنتهم القبطية ورتبوا شهورها على قواعده  
ومواعيد زيادة النيل وزراعة الحبوب في أوان زراعتها ومواعيدها الجارية لهذا الآن ونهر النيل  
قابل للملاحة في طول مجراه بالمرأى كالبشرعية أو البخارية الصغيرة

وقد جعل القدماء منابع النيل في جبال القفر في الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي الآن متأخرى  
السياحين كشفوا هذه المنابع كشفا حقيقيا وأثبتوا وجودها في الدرجة الثانية عشرة من العرض  
الشمالى وأن النيل يخرج من ذيل جبل في ملكة جويام من أرض السودان من منبعين أصليين أو  
عينين مسافة ما بينهما ٣٠ خطوة وسعة كل عين مثل سعة عين البئر المعتادة وأما زيادته  
فهى حاصله من جداول وغدران تصب فيه ومن بعد جريانه في الأقاليم السودانية والحبشية يجرى  
من وسط أرض مصر ثم يفرغ مياهه في البحر الأبيض المتوسط ويوجد فيه سبع شلالات أى مهابط  
مياه يسمع صوت خري المياه النازلة منها على مسافة ثلاثة فراسخ ويوجد به أيضا موانع طبيعية في  
الجهات العالية من مجراه

وأما زيادته وعلوم مياهه فأنما ناشئة من مياه الأمطار التي تسقط سنويا في الجهات السودانية والحبشية  
ثم تعلم مياهه في الجهات السودانية ابتداء ثم في مصر أخيرا وتبدى الزيادة في مصر في أواخر شهر يونيه  
وتستمر في الزيادة إلى آخر شهر سبتمبر ثم يأخذ في النقص شيئا فشيئا مدة شهرى أقطوبر ونوامبر ثم يعود  
إلى مجراه الأصلي

وأما اللطمة المسماة الآن بالروضة أو مصر السفلى فهى إحدى الأقاليم الأكثر خصوبة وأكثر غنية

من أقاليم الدنيا وكانت في قديم الزمان مرصعة بالمداخن الزاهرة المتفخرة مثل مدينة بلوزة وتنبس وبسطة وصالحجر ومدينة صان وغير ذلك

والمعروف أن أهل مصر القديمة وسكانها كانوا بالاقلة خمسة ملايين أو يزيد من ذلك وأن أصل عمار هذه الأرض من جهة آسيا والذين عمروها هم فرع من نسل مصريين وكانت طبائعهم وعواثدهم على العوم في غابة من الرقة واللين والخضوع والتمسك بالدين وكانوا نظيفي المأكل والملبس ومن ثم كانوا في صحة وعافية

وكانت ديانة قدماء المصريين محصورة في عقائد ومذاهب شتى ومهمها كانوا عليه من كثرة المذاهب الديانية فانهم كانوا أهل تعصب في الديانة وبهذا التعصب صاروا متمسكين بدين قوى فكانوا متمسكين بوحداية الله سبحانه وتعالى وأنه غير مكيف ولا مشاهد وكانت هذه العقيدة أساس ديانتهم وعقيدتهم الأنهم كانوا متمسكين أيضا بأن الإله يحل في هياكل وصورة مكيف في كل منها صفاته وخواصه وله في كل صورة مجموعة فيها هذه الصفات والخواص اسم دال عليه وهذه الأسماء مجموعة عند القس وأرباب المعارف في اسم واحد هو الله وأما الإلهام والعوام فكان لهم عدة عقائد خاصة بهم على حدتها وكان القسس يخفون ديانتهم عن عوام الأمة لاعتقادهم أنهم في غيبة من الجهل وعدم الطاقة على ادراكها وفهمها وكان القسس يتضررون ويتألمون من كثرة تعدد الآلهة زاعمين أنه ربما يأتي وقت يراعى فيه أنها كانت ديانة الأمة وعلى الخصوص عند الأعراب

وكانت الأمة المصرية تعترف بثمانية آلهة من الطبقة الأولى واثنى عشر من الطبقة الثانية وسبعة من الطبقة الثالثة وأن الشمس والقمر معبودان ويتصورون أن بعضا من روح الإله حال في الحيوانات فن تم تأسست عقيدة عبادة الحيوانات فظهر أن هذه العقيدة كانت غريبة عند البحريين والرومانين وكذا كانوا يعتقدون أن الإله يحل في هيئة حيوان أو وهو الغالب المعهود عند المصريين أنهم كانوا يعتقدون كون الإله يحل في اتصال عجيب وهو رأس حيوان متصل بيدن إنسان فعلى هذا كان كل من الثور والبقرة والخروف والقط والفرد والتمساح والكركي والجعران والخنفساء جميعها معبودات مصرية وكانوا يضعون كل واحد من هذه الحيوانات المقدسة في هيكل الإله الذين يقدسونه مع غاية الاعتناء والالتفات إلى خدمته مدة حياته وبمجرد موته يصبرون جسمه ويحفظونه ولا يلزمنا أن نتصور أن كل حيوان من كل جنس كان مقدسا عند المصريين بل كانوا يقرزون البعض من الحيوانات ويجعلونها على حدتها والمصاريف التي تصرف عليها كانت من طرف المملكة وخدمة تلك الحيوانات من أرباب المناصب العالية أو من أرباب الطوائف العالية ومن اعتقاد كبار الأمة المصرية أن آلهتهم حالة في هذه الحيوانات وأما عوام الأمة فكانوا يرون أنها هي الآلهة أنفسهم أو ما كانت نفس هذه الحيوانات مقدسة جميعها في جميع أقسام المملكة لأن فرس البحر كان معبودا في جهة من جهات الأقاليم وكان سكان طيوة يعبدون التمساح بخلاف الأقاليم الأخر فانهم كانوا يصطادونه ويقتلونه ويقولون أنه حيوان مضر مؤذ

وكان الإله الأكبر عند مصر هو آمين رآ ومعنى آمين الشمس ومشتراك مع هذا الإله موت أي الام الإلهة وكذا شون وهو ابن آمين ويعتقدون أن آمين هو أب لجميع الآلهة وأن آمين راهو الخالق لأعضاء نفسه وهم الام والابن وهذان صارا الهين اشتراكا معه في الألوهية وقال بعض أرباب



الاستكشافات انه مع ما كان عليه المصريون من عقيدة التثليث وهي الاب والام والابن فالالهة المعبودة عند المصريين الاكثر سموا ورفعة ومشابهة بالكلية في الهيئة الخارجية للنوع البشري ثلاثة وهي أوزيريس وإيزيس وهوروس فكان هؤلاء الثلاثة مصدر العبادة العمومية في جميع أنحاء إقليم الديار المصرية وكانوا على ما قيل من نسل الاله بسيط الذي هيئته الشخصية هي الارض ومن الالهة أى المعبودة فوط ومعناها قبة السماء وقالوا في بعض روايات أخرى ان أوزيريس حل في هيئة شخصية بشرية وتسلطن في مصر ويعتقدون أن أوزيريس المذكور كان ذبح في مجادله مع بسيط ثم أحيا نفسه أخيرا بنفسه أى بقدرته وقوته وبما ضده بانه هوروس فطرس بسيط وغلبه وانه من ابتداء هذا الوقت صار أوزيريس حاكم الدنيا القابلة وهو المجازى على الطيب والمعاقب على القبيح والنجس

وكان المصريون يعتقدون في الدنيا الآخرة بان الاجر والعقاب فيها نتائج أعمال الشخص في الحياة الدنيا وان أرواح الاشرا رتعاقب بعودها ورجوعها من السماء الى الارض ومن بعد أن تتشكل بكل صورة تعاقب بها التزم بان تسكن في حيوانات دنيئة الرتبة مدة من الزمن ثم تتلاشى بالكلية وان الموت هو المفنى كل شئ متمتع بالحياة في هذه الدنيا فالملك والعبد تحت قانون واحد وقبل دفن الانسان مع آبائه يعرض سجل حياته على محكمة مركبة من اثنين وأربعين قاضيا فان وجدوا حياته طيبة تستحق الدفن عبر واجتنته من فوق البحيرة المقدسة في جمعية أو محفل من المشيعين لجنازته ويدفنونه مع آبائه وان وجدوا حياته قبيحة رجعوها به وسلموا اجنته الى أصدقائه المحزونين عليه فيدفنونه مثل العادة الجارية في حق دفن الاشرا في الجهة المقابلة للبركة التي هي مدفن الطيبين وعندما يصير دفن الجسم تسرى الروح في مسارات طويلة وأعمال غريبة تشغل فيها بالدعاء والاعتراف بما كانت عليه قبل ثم يسوقها هذا السريان الطويل الى محكمة جارية مركبة من الالهة جالس فيها أوزيريس مع اثنين وأربعين من الالهة الاخرى وتوضع الروح في كفة ميزان قابض عليه هوروس وأنويس ويزنون معها الحق أو الباطل ثم تراجع نتيجة الميزان بمعرفة الاله طوط

وبعد هذا يجري الحكم في فصل ما تؤول اليه عاقبة الروح من غير بحث ولا مناقضة فان وجدت مجترحة بما جنته من الذنوب والآثام قضى عليها بالعقاب والعذاب والتلاشى وان وجدت في حالة الكمال وكانت في حياتها على الحق صارمرورها على عدة خصوصيات لاجل تكفير الخطايا والآثام التي تسببت من طبيعة حياتها في الدنيا ويساعدها في هذه الخصوصيات أوزيريس وبواسطته وقدرته تقوم الروح الى البعث والنشور العام في الآخرة

ومن حالة الاعتقاد في الحالة المستقبلية تولد فعل تصبير الاموات وتحنيطها فكان يجري التحفظ على المومياء مع الاعتناء التام من أى شئ يضر بها معتقدين أن الروح عند عودها للجسم بعد فناء كل شئ يمكنها أن تجد مسكنها الاول صالحا لقبولها

وكان قدماء المصريين منقسمين الى طوائف ومراتب ممتاز بعضها عن بعض بالحرف والصنائع والمعروف عند متأخري المؤرخين ثلاث طوائف هي طائفة القسس وطائفة الحريية وطائفة المزارعين ومن ضمن طائفة المزارعين المشتغلون في البساتين والجنائن والملاحون وأرباب الصنائع من كل جنس ورعاة المواشى والاعنام وكان الملك ويلقب فرعون أى الشمس رأس المذهب الديانية

والسياسة الداخلية وكان نائب الاله أو وكيل عن شخصه مقدسا ومن وظيفة الصدارة لتقريب  
القربان وسكب ما يسكب على الالهة من الزيت العطرية والروائح الذكية وكان مقيدا في أعماله  
حتى في أفكاره تحت قواعد وقوانين الكتب المقدسة المتضمنة للأجرائات والأعمال الدقيقة التي  
بواسطة تجريه على موجبها يكون على الدوام في سمو الموقع ورفاهية الحياة وعند موته يوضع جسمه  
بعد نصيره على ملاو مشهم من الامة المطلقة الحرية لأجل أن تقيم عليه دلائل ما كان يجريه من الخير  
أو الشر فان ثبت عليه بواسطة الامة أشراره وخبايا حرم جسمه من الدفن

وكانت مرتبة طائفة القسس هي الدرجة الثانية بعد الملك وكانوا تحت قوانين شديدة تقودهم الى  
دمائة الانحلاق وعفة النفس وكانوا في السيادة والتعليم أصلا لجميع المعارف والعلوم المضرية وكانوا  
منوطين بالتهديدات الدنيوية والعقائد الدينية للولاء وكانوا مطلقا الشوكة على الاهالي وفي رفعة  
زائدة من تدريسمهم ومطالعتهم العلوم الطبيعية حتى صار لهم بها طاقة على تأسيس الخرافات المزججة  
لجميع الخلق وكانوا يدبرون هيئات مهولة بمنظرة عجيبة يسحرون بها عقول الامة لأجل اضلال أهلها  
وكانوا يدعون أن لهم السلطة التامة على قبول بئى الانسان في آخر حياته أو عدم قبوله وكان قدماء  
المصريين طبيعيا الذين آمنوا قديم الزمان وتولد من طريقة تصبير الاموات وتحنيطها أن صار لهم  
دراسة تامة بمعرفة العلل والأمراض المختلفة النوع التي تقع على الجنس البشري وكانت معارفهم  
وكيفية الاتهم كانوا فائقين على أمم عصرهم وكان وادى النيل يحضر لهم طلباتهم من غير حد ولا صدق  
وكانت طائفة الحربية معدودة بعد طائفة القسس وكانوا مستحوزين على جملة امتيازات منها  
استثناءهم من الضرائب والعوائد المضروبة على الاهل والسكان وحينما لا يكون لهم أشغال في  
العسكرية يترخص لهم في البقاء في بلادهم لأجل زراعة أراضيهم

وكانت طريقة الكتابة الجارية عند المصريين محصورة في عدة علامات أو اشارات مخصوصة مماها  
الجريق باسم الهير وغيليف ومعناه النقش المقدس ولم يتيسر للجريقيين ولا الرومانيين الحصول على  
حل هذه الاشارات مطلقا حتى اجتهد المتأخرون من علماء بمرمانيا وفرنسا وانكثروا وحضوا الفحص  
الكلى حتى تبسّر لهم الحصول على وجود مفتاح لحل هذه الاشارات وصارت سهلة المطالعة وفتحوا  
مدرسة في دار العجائب بمصر القاهرة لأجل تعليم هذه اللغة المصرية القديمة

وأما شرائع المصريين فكانت مشهورة ومن هيئتها ومطالعها يستدل دلالة قطعية على علو درجته تمدن  
هذه الامة القديمة وتمتعها تحت شرائعها وقوانينها وقال بعض علماء الافرنج ان مضر كانت منبع كل  
حكومة طيبة وذلك أن نكت العهد وحسن الايمان كان من أعظم الكبرياء مبعوضا عند الالهة وعند  
الناس وكان يعاقب على فعله بالموت واذا رأى انسان آخر يدافع عن نفسه قاتله لخلاص حياته ولم يساعده  
الرائي له على قاتله كان ذلك أيضا من أكبر الجرائم فلو كان الشاهد غير قادر على معاضدة المغلوب لزمه  
أن يقيم الدعوى على القاتل في المحاكم العدلية الادارية واذا قذف شخص في حق آخر بالكذب  
والبهتان صار عقابه كعقاب الواشى النمام وكان كل واحد من الامة مكلفا بأن يضع تحت يده الحكومة  
الحلمية وثيقة كافية تامة الشروط تشمل على طرائق تكسبه ومعايشه وكل من أخير بأخبار كاذبة أو سار  
في طرائق غير شرعية حكم عليه بالقتل والقاتل عمدا يقاص بالقتل ولا تقتل المرأة الحامل الا من  
بعد أن تضع جنينها ويقتل القاضى الذى يحكم على بئى بالموت والعسكري الذى يفر من وظيفة نفسه



أولا يسمع أوامر حكماءه كان يعاقب بأشد العقاب لابلوت الا انه مع ما يحصل منه فيما بعد من حسن السير لا يتيسر له الحصول على عود ما كان فيه من الشرف قبل وكانوا يقطعون أيدي الذين يغشون النقود أو ينفقون الموازين أو المكاييل أو يكذبون في أحوال البيع والشراء وكل رجل هتك حرمة امرأة حرة يعاقب بتشويه صورته وأما الزنا فكان يعاقب عليه الرجل بضربه ألف نموت وجدع أنف المرأة وكانت تضبط أملاك الشخص على دينه لا الشخص نفسه ويدرا الذين عن المدين اذا حلف أنه لم يكن طرفه شيء للدائن اذا لم يوجد صدك أو كتابة وكان لا يسمع بزيادة أرباحه عن أصل رأسه واستدل من قدماء مؤرخي مصر أن أول من حكم مصر الآلهة ثم أنصاف الآلهة أي الشجعان مدة تنيف عن عشرين ألف سنة ثم ان الآلهة وأنصاف الآلهة والناس خلف بعضهم بعضا ملوكا وحكاما في مصر ولم يتركوا انما هم القسيس مانيطون الا ثلاثين عائلة وكان مانيطون المذكور قسيسا كبيرا ورئيس دار الكتب والسجلات المقدسة في مصر كتب تاريخا على مصر زعم أنه استخرج من كتاب قدماء المؤرخين المصريين وكان تأليفه هذا التاريخ في عصر بطليموس فيلادلفوس وبوصاية منه ثم ان تاريخ مصر المعروف بتمتدته قهر الى ما بعد التاريخ المسيحي بـ ٤٠٠ سنة جدا واختلف متأخرو المؤرخين في مدة قدم هذا التاريخ فقال علماء فرنسا ورواسهم ماريت بك الذي كان ناظر دار الحجاب بمصر وأثبتوا على أن تشييد الحكومة الملكية في مصر كان في سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وقال آخرون مثل بوسن ان هذه الحادثة كانت في سنة ٣٩٠٦ قبل الميلاد وأما علماء الانكليز فيقولون ان تشييد الحكومة الملكية في مصر كان في سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد وهذا الرأي الاخير هو الذي اعتمدنا عليه في هذا الكتاب وجعلناه أساسا للحوادث المصرية ووقائعها التاريخية وكانت مصر في العصور القديمة منقسمة الى عدة كورا وحكومات صغيرة مفصولة عن بعضها فابتلع القوى منها الضعيف على التدريج حتى آلت نتيجة هذا الخيال الى تشييد ما يعرف في التاريخ بالملكة السلطانية وذلك انه قام مينس أي مصر ايم بن حام في سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد وشييد المملكة الاولى في طينيس من أعمال صعيد مصر وأسس العائلة الاولى على حسب ما ذكره القسيس مانيطون وتغلب على مصر السفلى وأصلح شأنها وبنى مدينة منف أو منفيس وكان عدده هذه العائلة ستة ملوك

وتتخصر مدة التاريخ القديم لمصر في ٢١٥٨ سنة وتنقسم الى ثلاث مدد أو عصور أصلية فأما العصر الاول فانه يتدئ من تشييد السلطنة المصرية بواسطة مينس أو مصر ايم بن حام بن نوح في سنة ١٨١٦ من تاريخ الخليفة أي من سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد وينتهي بانقراض هذه السلطنة بواسطة قبيل زاي كي لهراسب ملك فارس في سنة ٣٤٧٩ من تاريخ الخليفة ومدة هذا العصر ١٦٦٣ سنة والعصر الثاني يشتمل على تاريخ مصر تحت سلطنة الفرس والجريق ويمتد الى موت اسکندر الاكبر الذي كان في سنة ٣٦٨١ من تاريخ الخليفة وهذا العصر عبارة عن مدة قدرها ٢٠٢ سنة والعصر الثالث هو تشييد سلطنة جديدة في مصر بواسطة بطليموس لاغوس الى حتموت كايوبطره آخر ملوك من الملوك المصرية في سنة ٣٩٧٤ من تاريخ الخليفة ومدة هذا العصر ٢٩٣ سنة واتفق المؤرخون عموما على أن مينس كان أول الملوك المصرية وهو الذي شييد المملكة في سنة ١٨١٦ من تاريخ الخليفة الموافقة لسنة ٢٧٠٠ قبل ميلاد المسيح وأنه هو مصر ايم بن حام بن نوح

وذلك أن عائلة نوح بعد أن أجهدوا أنفسهم وسعوا سعيًا خارقًا للعادة في بناء صرح بابل ولم يتيسر  
الحصول لهم على طائر ولا نباح وتبلدت ألسنتهم تشتتوا على وجه الأرض فذهب حام إلى إفريقية  
ولاريب أنه صار إلهًا معبودًا باسم آمون المشتري وكان له أربعة أولاد كوش ومصر ايم وفوط وكنعان  
فأما كوش فإنه استوطن الحبشة واستوطن مصر ايم مصر وسميت باسمه وسكن فوط قسم إفريقية  
الواقع في الناحية الغربية من مصر واستوطن كنعان أرض كنعان المسماة باسمه في نواحي فلسطين  
وكان مصر ايم أول ملك في مصر أسس عبادة الآلهة وقرب لها القربانات وكان هو المؤسس للعائلة  
الملوكية الأولى حسبما ذكره مانيطون وفتح مصر السفلى كما ذكرنا سابقًا  
وكانت العائلة الثالثة من سلطنة في منف وكان ملوكها التسعة معاصرين للملوك العائلة الأولى في مدينة  
الطينة بعد موت مينس أو مصر ايم وكان أول هؤلاء الملوك ينخرويس فعلى ما قيل أنه تغلب على نواحي  
ليبيا وكان آخر ملوك هذه العائلة سيفوريس وقيل وهو الصحيح أنه أخضع قبائل بجيت جزيرة  
طورسينا

وكانت سلطنة العائلة الثانية والرابعة والخامسة في وقت واحد فالعائلة الثانية في مدينة الطينة  
في مصر الوسطى والرابعة في منف في مصر السفلى والخامسة في جزيرة الفيلة فوق الشلال الأول من  
صعيد مصر ومن هذه العائلات كانت العائلة المنفية أقوى شوكة وكان من عدم الامكان اتحاد ملوك  
العائلة الثانية مع ملوك العائلة الخامسة بسبب ما كان بينهم من الدماء وكان ملوك هذه العائلات  
متقدمين زمام سلطنتهم برخصة من ملوك منف  
وكان تشييد العائلة الرابعة في منف في نحو سنة ٢٤٤٠ قبل الميلاد وملوك هذه العائلة ثمانية ترا  
براهينهم ودلائل عظمهم وقدرتهم في أبنية عديدة مصنوعة من الخجر مشحونة بهم مصر الوسطى  
بين جبال ليبيا والنيبل وأعظم هذه المباني وأجلها الأهرام وكان المؤسس لهذه العائلة سوريس  
وهو الذي بنى الهرم البحري في قرية أبوصير على صحور وجهه مكنو باعلينا وكان الملك الثاني  
صوفيس الأول أو خوفو وهو الذي لقبه هيرودوت بلقب خيونس وبني هذا الملك الهرم الأكبر  
وساعده في بنائه صوفيس الثاني أو تحوfo وكان تسلطن بالاشتراك معه في الحكومة وأحياد وانه مدة  
ثلاث سنوات وأوقع هذان الملكان الجور والظلم القاسي على الأمة وهتكوا حرمة الآلهة وأرغما الأمة  
على أشغال شاقة تختص بأشغالهما العمومية وقفلا الهياكل وعطلا عبادة الآلهة وقال هيرودوت  
ان المادة التي لبث فيها بناء الهرم الأكبر ثلاثون سنة وكان عدد الشغالين فيه ١٠٠٠٠٠ نفس يجري  
تغيرهم عملهم كل ثلاثة شهور مرة وكان عزم الملك أن يجعله قبراله وكذا ينسب بعض المؤرخين  
أبا الهول الكبير الموجود في الجزيرة إلى عمل هذه السلطنة ومن المحتمل أن منخريس الملك الرابع كان  
ابن صوفيس الأول وهذا الملك هو الذي بنى الهرم الثالث بسبب وجود تابوته فيه وكان الملك الخامس  
راطوريس والسادس ينخوريس والسابع خيرخيريس والثامن طمفطيس وامتد حكمهم هذه  
العائلة ٢٢١ سنة

وفي مدة وجود العائلة الرابعة بلغت مصر الدرجة القصوى في الحضارة والمدنية والتقدم في الصنائع  
والاعمال وذلك أن قطع وحل ونقل ورفع ووضع وتحكيم كتل الاحجار الضخمة في محلاتها التي بنى بها



الاهرام تثبت الدرجة العالية لدراية الامة المصرية بالعلوم الميكانيكية وعلوم جبر الاثقال ومن وضع كل هرم موجهة سطوحه على حسب جهات الاربع نقط الاصلية لبيت الابرة يستدل على انه كان لهم دراية تامة بالعلوم الرياضية ويتوهم من النقوش والكتابة الموجودة على الآثار أن الكتابة كانت أخذت عندهم حد الكمال وأنها كانت مستعملة عندهم من عصور قديمة وكذا كان قلم الغراب وحرر المداد مستعملين في الكتابة المقدسة أي الهير وغليفية وكانوا يستعملون في النقش على القبور الفرشة ذات اليد المصنوعة من الكتان أو من الخلفاء وأما رسم صور الانسان والحيوانات فكانت تعادل ما هي عليه الآن بل كانت أتقن من رسومات العصور الاخيرة وكان توجيه البضائع والتجارة بطرق كما هي عليه الآن كما صار وجود ذلك تحت سلطنة الملوك الرعيسية ومع كل هذا فالظاهر أن المصريين في مدة بنائهم الاهرام ما كانوا يخرجوا من حالة الهمجية والبربرية الا أنهم كانوا أمة أجهلوا أنفسهم في تقدمات كبيرة وأشغال في الصنائع مفيدة كان عليها مدار حياتهم ومعيشتهم الدنيوية وكانت المملكة مقسومة الى كور أو أقسام كل واحد منها يحكم بحاكم خاص به وكان كل من طائفتي القسس والحربية ممتازين ومنوطين باجراآت وأعمال مثل البخارية في هذه الازمنة الاخيرة وان سوريس أول ملوك هذه العائلة تغلب على بحيث جزيرة طورسينا وأسكنها من المصريين بقصد تغلبهم في استخراج معدني النحاس والفيروز الموجودين في تلك الناحية

وبعد الملم بالملوك الانكيزي وكان مشتغلا بفتح بحيث جزيرة طورسينا في سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٦٩ بعد الميلاد وفي وادي المغارة وفي سمرابيط الخادم نقوش كتابات على حجارة كثيرة من العائلة الثالثة الى العائلة الثامنة عشرة والعائلة العشرين ظهر له منها أن معادن هذه الجهة كانت من عهد طويل منبج محصول مصر على الدوام

وتسلطت العائلة السادسة في منف بعد العائلة الرابعة في نحو سنة ٢٢٢٠ قبل الميلاد واستمرت العائلة الثانية متسلطنة في الطينة أو في العرابية والعائلة الخامسة في جزيرة الفيلة وفي هذا العهد قام عائلتان جديدتان وهما العائلة التاسعة والعائلة الحادية عشرة في مدينة هيرا كليو بوليس أي في اهناس المدينة من اقليم بنى سويف وفي طيوة وصارت مصر منقسمة الى خمسة عمالك وفقدت منف رفعتها وسيادتها وأخذت طيوة على التدريج في زيادة الشوكة وعلو الدرجة فتولد من الضعف والتجزئة أن صارت البلاد صيد القبائل والعشائر الزحالة من نواحي سوريا وبلاد العرب فأغاروا على مصر من طريق برزخ السويس في نحو سنة ٢٠٨٠ قبل الميلاد ويحتمل أن يكون أقل من ذلك وكان هؤلاء القبائل هم قبائل الهيكصوص أو ملوك الرعاة فتججروا في تغلبهم على مصر من ابتداء البحر الأبيض المتوسط الى درجة عرض ٢٩°٣٠ من الجهة الشمالية وجعلوا في تغلبهم كل طريقة منهولة وحرقة فظيعة وذلك أنهم حرقوا المدائن وهدموا المعابد والهيماكل ودمروا الاراضي وقتلوا الذكور واسترقوا النساء والاطفال ومن ثم أقاموا شوكتهم ونشروا سلطتهم على جميع مصر السفلى وعلى قسم من مصر الوسطى وأنشأوا عائلتين فكان هذا هو السبب في تعاضدهما وكانت احدهما وهي الاولى أي العائلة الخامسة عشرة الهيكصوصية متسلطنة في منف والاخرى وهي العائلة السادسة عشرة متسلطنة في صايبص أو صا الحجر من أعمال الدلتا واستمر الباقي من أرض مصر تحت يد العائلات الوطنية فكانت العائلة التاسعة متسلطنة في اهناس المدينة ومعها الفيوم ووادي النيل

من الجهة الجنوبية لدهرمو يوايس أو الاشموين واستمرت العائلة الخامسة قابضة على زمام الصعيد الاعلى وامتسلطنة في جزيرة الفيلة ثم نبغت ملكة جديدة من مدينة سخا من أعمال الدلطة في وسط التقلبات الشديدة التي كانت حاصلة من الهيكصوص تحت قيادة العائلة الرابعة عشرة واستمرت مستقلة في جميع مدة سلطنة ملوك الرعاة

وأخذت طيبة في زيادة الشوكة والتجاح بسرعة تحت الحكم الشديد الذي كان جاريًا من العائلة الثامنة عشرة وكان ملوك هذه العائلة ستة وملكة واحدة كانت آخر سلسلتها واستمرت سلطنتها المتحدة مدة ١٦٠ سنة وفي مدة حكم ملوكها صارت عائلتها تناس المدينة وجزيرة الفيلة تابعتين لملوك طيبة ولو أنهما كانتا مستمرتين في الاحكام وامتدت شوكتهم أيضا على عين شمس (المطرية) من تحت مدينة منف وتغلبوا على بحيث جزيرة طور سيناء وحاربوا العرب والحبش وبنى أمويين وهو مريس أو موريث الثالث بركة في الفيوم وكان هذا البناء المزخرف المتين يشمل ثلاثة آلاف قاعة منها ١٥٠٠ قاعة فوق الارض معدة لدفن جنث الملوك ورم التماسيح المقدسة وذ كرهير ودوط أن السقف كان من أوله الى آخره مصنوعا من حجر مثل الحوائط والاسوار وكانت جميع الحوائط منقوشة بالتصاوير والاشارات وكان كل مجلس محيط بمدينة من الحجر الابيض مجموعة مع بعضها بغاية الدقة والاحكام وحفره هذا الملك أيضا البركة المسماة باسمه في الفيوم كما ذكرناها آنفا وشيد صيورا من الاول عدة هياكل وأقام عدة مسلات وكان فن العمارات والصنائع يانعا من هرا وحدر والخجان والترع لاجل رى الاراضى وأخذ يصعد مصر في زيادة الشوكة والتجاح تبعًا للظلم والجور والعسف الحاصل من ملوك الهيكصوص في مصر السفلى

ثم ان العائلة الثالثة عشرة الطيوية ضيعت جميع ما كانت العائلة الثانية عشرة استحوذت عليه وذلك أن ملوك الرعاة أغاروا عليهم وطردهم من مملكتهم وأرغموهم على الهرب والاتجاه في نواحي الحبش ومن ثم تبوأ الهيكصوص صعيد مصر ودمروا ما بنى وآثار العائلة الثانية عشرة وامتدت شوكتهم على جميع مصر في نحو سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد واستمرت سلطنتهم الى سنة ١٥٢٥ قبل الميلاد حتى رغب ملوك طيبة في العود الى بلادهم وعادت لهم سلطنتهم وصاروا ملوكا خارجة لملوك الهيكصوص والظاهر أن ملوك العائلات الوطنية الاخرى كانوا في مثل هذه الحالة وأن المدة التي كان موجودا فيها العائلتان السابعة والثامنة المنفية والعائلة العاشرة الاهناسية والعائلة السابعة عشرة الرعاة كانت على غاية من القتامة والظلام في تاريخ المصريين ودمر الهيكصوص آثار أسلافهم من هذه العائلات ولم يتركوا شيئا يختص بهم فن لم نجد شيئا من التسميات الخاصة بذكر تواريخهم لانه في ظرف الثلاثمائة سنة التي لبسها ملوك الهيكصوص في مصر صارت أسماء ملوكهم معدومة بالكلية ومن المعتمد والمحقق أن يوسف وعائلة يعقوب عليهم السلام جاؤا مصر في عصر سلطنة أحد ملوك العائلة السابعة عشرة الهيكصوصية كما ذكرنا ذلك في التاريخ المقدس

ثم ابتدأت سلطنة العائلة الثامنة عشرة في طيبة في نحو سنة ١٥٢٥ قبل الميلاد وكان مؤسس هذه العائلة آمريس أو أمص أو عهمص وعادت الى طيبة شوكتهم مرة ثانية وطردهم من ملوك الرعاة من



مصر وساق خلفهم حتى عبروا برزخ السويس الى داخل آسيا ومن ثم خلعت المملكة من ظالمها  
الاغراب وصارت مصر مملكة ملوكية واحدة عاصمتها مدينة طيبة ودخلت مصر في أحسن دور يانع  
من تاريخها واستمرت على هذه الحالة مدة سلطنة هذه العائلة والعائلة التاسعة عشرة والعائلة  
العشرين وفي غضون هذه المدة بلغت الصنائع المصرية الى أقصى درجات الكمال وكذا وصلت طيبوه الى  
أقصى درجات الفخر والابهة وكان تشييدها كلها وسراياتها الملوكية المفتخرة ومسلاتها الشاهقة  
منسوبة لهذه المدة وأشعل ملوك هذه العائلة ثيران حروب عدوانية اعتدائية وجلت الجيوش  
المظفرة المصرية على بلاد الحبش والعرب وسوريا حتى وصلوا الى ما وراء الفرات وكان أول ملوك  
العائلة الثامنة عشرة أموزيس قتلن ستا وعشرين سنة وروى أنه هو الذي أوقع الجور والظلم  
في الابتداء على بني اسرائيل واسترقهم واستعبدهم وجلهم مالا طاقة لهم به من الاشتغال بضرب  
الطوب لازم لعمارة المباني وصناعة المون واستخدمهم في الغيطان والمزارع وكانت جميع الاشغال  
المضروبة عليهم جارية بغاية العنف والشدة

ومن بعد موت أموزيس خلفه ابنه البكري أمونوفيس وقيل أنه في مدة سلطنته كان خروج بني  
اسرائيل من مصر وغرق وقت عبوره خلفهم في البحر الأحمر وكان يلقب أمونوفيس الاول وتسلطن  
احدى وعشرين سنة وتزوج برنيسة من مدينة طيبة حبشية الدم كانت تلقب بالمرأة الشريفة  
الغنيمة النفس وكان طوطمويس الاول الملك الثالث ونال هذا الملك نصرات عظيمة على الحبش  
وأدخل كنعان فلسطين تحت طاعته وحكمه والغالب أنهم كانوا سكان السهل الكبير الواقع بجانب  
شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومد فتوحاته الى أن عبر الفرات ودخل ميزوپوتامية (العراق) وتسلطن  
احدى وعشرين سنة ومن بعد موته صارت ابنته آمن سيط أو أميسيس وصية على أولاده الصغار  
ونائبه عنهم في الحكم فحكمت سبع عشرة سنة وينسب لمدة سلطنتها المستلطان الكبيرتان اللتان لم تزل  
احداهما من كوزة الحدالان في وسط خرابات الكرنك وأطلاله وكانت سلطنتها ازاهرة ناجحة وانتهت  
بموتها وخلفها أخوها طوطمويس الثالث وكان عمره بضع سنين وأما طوطمويس الثاني فإنه مات وهو  
صغير وتسلطن طوطمويس الثالث مدة تنيف عن أربعين سنة وأنشأ حروباً على بلاد الحبش والعرب  
وسوريا وفي ميزوپوتامية الغربية (العراق) وشيد سرايات نظريفة وهما كل عجيبة في طيبوه والكرنك  
والمطرية أي عين شمس وقفت وفي محلات أخرى وأشر له معه ابنه أمونوفيس الثاني في الحكم وكان هو  
الملك السادس مدة قليلة قبل موته ثم جلس على كرسي السلطنة من بعد وفاة أبيه

وكانت سلطنة أمونوفيس قصيرة خالية من الوقائع والحوادث وخلفه أخوه طوطمويس الرابع وقال  
بعض المؤرخين أنه هو الذي أمر بتشييد أبو الهول الكبير الموجد بالقرب من الاهرام ثم جلس بعده  
أمونوفيس الثالث ابنه وخليفته على التخت في نحو سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد وكان أعظم ملوك هذه  
العائلة وذلك أنه ساق حروباً مظفرة على الليبيين والحبشيين وكان منهم كافي تشييد العمارات  
واقامة الابنية والتماثيل وقيل ان التماثيل الكبيرين المعروف أحدهما باسم فوكال ممتون منسوبان  
لسلطنته وأمر أيضاً بحفر برك وخرانات في جميع أنحاء المملكة لاجل خزن المياه الكافية لري الاراضي  
الزراعية واستمرت سلطنته نحو من ست وثلاثين سنة وكانت مدة سلطنته مشحونة بارتباكات

وقلاقل داخلية حصلت من سعيه الخائب في تغيير ديانة الامة ثم خلفه ابنه هوروس الوارث له شرعا الا  
أن مدته كانت في شقاق ظاهر بين زعماء قاموا عليه والغالب أنهم كانوا اخوانه واخوته واستمر هذا  
الشقاق والخلاف جاريًا نحو من ثلاثين سنة حتى زادت الارتباك واشتد هولها وأخيرا انتصر  
هوروس وتسلطن سبع سنين آخر ثم هلك وخلفه ريزيسطوط وكانت قرابته له غير حقيقية وبه  
انقرضت العائلة في نحو سنة ١٣٢٤ قبل الميلاد

وفي نفس هذه السنة أسس رعمسيس الاول العائلة التاسعة عشرة الطيوية وكان من نسل وذرية  
الملكين الاولين من العائلة الثامنة عشرة الطيوية أيضا فحكم أقل من سنتين وخلفه ابنه سيطي  
الملقب عند الجريق باسم سيزوستريس وما كان ملكا مهيبا شجاعا وأقوى الملوك المصرية شوكة فقط  
بل كان أيضا أعظم الفاتحين في الدنيا القديمة وعلى حسب ما ذكره مؤرخو قدماء المصريين أن أباه  
ألهم يوحى أن يهذب ابنه ويربيه تربية الرجل الفاتح وأن يتبع في طريق تربيته الشرف والسيادة  
والهمة العالية الملوكية وذكروا أن أباه أمونوفيس بعد ولادة ابنه سيزوستريس أمر بجمع جميع  
الاطفال الذين ولدوا في يوم واحد مع ابنه وأن يرسلوا الى سرايته ومقر حكومته وأمر الملك بتربية هؤلاء  
الاطفال وتهذيبهم والاعتماد عليهم والاعتناء بهم كأنهم جميعا من صلبه من غير امتياز أحد منهم عن  
الآخر مع ابنه وهو كواحد منهم وقال الملك في نفسه انه لا يمكنه أن يحصل لابنه على وزراء صادقين له في  
خدمته ولا على ضباط في جيشه أشد غيرة وأكثرا من هؤلاء الذين يتربون ويتهذبون معه من الصغر  
ورتب لهم المربين ووظف لهم المعلمين حتى ترعرعوا جميعا وشبوا ووصلوا بالغ الرجال وعودوهم على  
المشاق والمتاعب واقتناص الصيد وركوب الخيل والفروسية وكل ما يلزم من الادارات الداخلية  
والاجراآت الحربية

ولما تقدم سيزوستريس في تهذيبه وتعليمه أرسله أبوه في غزوة في بلاد العرب لاجل نواله وتحصيله  
على معرفة طرائق قيادة الجيوش وسوقها والصبر على تحمل المشاق الحربية وآلام الجوع وشدة الظما  
والتعود على مثل هذه الاحوال فتغلب سيزوستريس على أمة لم يتغلب عليها أحد قبله وكان معه في  
هذه الغزوة الشبان الذين تهذبوا معه وكانوا ملازمين له في جميع حركاته ولما تعود في هذه الغزوة  
على التعب والسكد أرسله أبوه ثانية الى جهة الغرب لاجل تجربته فأغار على ليبيا وأخضع القسم الأكبر  
من تلك الاراضي الشاسعة ومات أبوه في أثناء هذه الغزوة وتركه على حاله من الصلاح والوفاء لاجل أي  
مشروع من المشروعات كبيرا كان أو صغيرا فلما جلس سيزوستريس على تخت المملكة ورأى ما هو  
عليه من الشوكة والقوة عزم على فتح الدنيا والتغلب عليها لأنه قبل أن يترك مملكته ظن أنه ربما يحصل  
فيها حاصل وقت غيبته فوطد داخلية بلاده وجلب لنفسه محبة رعيته وأغدق عليهم بكرمه وعدله  
وأفاض عليهم آلاؤه ونعمه فامتزجت محبته بقلوبهم وأبدانهم وصار له عند ضباطه وعساكره محبة زائدة  
قلبية امتزجت بدمائهم وكان معهم كأنه واحد منهم مقاسم لكل واحد منهم في آخر قطرة دم تقطر  
منه في خدمته واستقر على هذه الحالة مفكرا في نفسه أنه لا يمكنه أن يتم أي مشروع بشرعه الا اذا  
كان ضباطه وجيوشه ملاصقين له وقرابين منه ومرتبطين كل الارتباط معه بمحبة قلبية خالصة من  
الغش والتناق معزوجة بالغيرة والحماس خالصة عن الشقاق وعدم الوفاق وقسم المملكة الى ست  
وثلاثين كورة وعهدا الى أشخاص وأمر من الذين يعتمد عليهم في شئته ومحنته ويتحقق صداقتهم



وخلص طويتهم ونيتهم

وفي غضون ذلك جهز قواه العسكرية وقادهم بأشجع الضباط وأشهرها سمعة وشهرة وكان معظمهم من الذين تربوا معه وكان عندهم من هؤلاء الضباط ألف وسبعمائة ضابط كانوا على دراية تامة في أداء إدارة حركة عساكرهم مع النظام الحربي القلبي والغيرة والحس في خدمة مليكهم وركب جيشه وشكله ونظمه فكان مقدار المشاة ٦٠٠٠٠٠ مقاتل والفرسان الخيالة ٢٤٠٠٠ فارس غير ٢٧٠٠٠ عربية من عربات الحرب وابتدأ سيزوستريس في غزواته بالغارة على بلاد الحبش الواقعة في الجهة الجنوبية من مصر وجعلها مملكة خراجية له وألزم الامة الحبشية أن ترسل له سنويا مقدار ما تحدد من البنوس والعاج والذهب

وكان سيزوستريس شرع في عمل اسطول مؤلف من ٤٠٠ شراع ولما تم أمره بالسير والتقدم في البحر الاخر وتغلب على المدائن والجزائر الواقعة في طول سواحل هذا البحر وسار الملك بنفسه في رأس جيشه البري الى آسيا فاضع آسيا الغربية بسرعة عجيبة وسار الى الجهات الهندية حتى وصل الى جهات لم يصلها قبله هرقل ولا بنحوس ولا اسكندر الا كبر من بعده وذلك أن سيزوستريس اخضع البلاد والاراضي الموجودة في شرق نهر الكنج وسار حتى وصل البحر المحيط ثم ارتد على أعقابيه بجيشه وتغلب على السيطيين وهم من ذرية يأجوج حتى وصل الى نهر طاميس وكذا تغلب على أرمينية وقيدوسية وترك في مملكة كوكوكوسية القديمة السكائية في الجهة الشرقية من البحر الاسود مستعمرة مصرية استمرت على عوائد وطبائعها المصرية مدة طويلة من العصور وشاهد هيرودوط من بحر الى بحر ومن أرض الى أرض آثار منظراته واتصاراته وقرأ في ممالك عديدة كتابة منقوشة بالحقير على عمد من البناء ماصورته (سيزوستريس ملك الملوك وسيد السادات) فتح هذه البلاد وأخضع العباد ودمر أهل الشقاق والعناد وأشفق على النساء والاولاد بقوة جيشه ومكنة سلطانه ووجد مثل هذه العمد في نواحي ثراسية من الممالك الشرقية لاوروبا (مقدونيا) وامتدت مملكته من نهر الكنج الى نهر الدانوب أو الطونة وفي غزواته هذه قاومه بعض الامم مقاومة شديدة خشية من ضياع حريتهم والبعض خضعوا له من غير ضرب ولا كفاح وجميع هذه الاحوال أمر سيزوستريس بكتابتها بالقلم الهير وعلبني أي المقدس على أعمدة وأبنية شيدتها في الممالك التي تغلب عليها تذكرا بنصراته وعلمها ظاهرا على بحايل اجرا آتة وما حواه المصريون من المكنة والسطان والله المعز لمن يشاء والمذل لمن يشاء وهو القادر على كل شيء

ثم بعد ذلك عاد سيزوستريس الى مصر مثقلا بالغنائم التي ظفر بها من الامم التي تغلب عليها جارا خلفه عددا لا يحصى من الاسرى لابساحل المجند والفخر متوجا بتاج الظفر والنصر مشكورا في أعماله بالاسنة والاقلام محبوبا عند الخاص والعام وكافا ضباطه وعساكره بما يستحقونه من المكافآت الجزيلة والانعامات والمواهب الجميلة التي أفاضها عليهم كل بحسب درجته وورفعته وما استحق عليه في وظيفته من أجل خدمته ثم عزم على أن يتم ما بقي من حياته في الاعمال الواجبة عليه العائد منها النفع على رعاياه والتمتع بالحياة الطيبة بعد التعب والنصب واستتب في مملكته العدل والراحة وكان ملوك الامم الذين تغلب على بلادهم يأتون لزيارته سنويا ويقدمون له ما يجب عليهم من الخضوع والطاعة فن شرخص له السلم العام بأن يشيد أشغالا ويقوم أعمالا تعود منها الثروة والغنية على مصر

خاصة لانها اصل مسقط رأسه ومركز حواسه وتكون هذه الثروة زيادة على ما فعله من تخليد ذكر اسمه في الدنيا فشرع في عدة أشغال صرف عليها الجهم الغفير من مبالغ النقود التي دمت فيها الحرف والصنائع واكتسب أربابهم اما أزال فقرهم وأسعد مجدهم وذلك أنه أنشأها كل ومعا بدلا لله في كل مدينة ومثل التماثيل وأقام المسلات وأسبغ على رعاياه ما جعل لاسمه مستحق المذكر عندهم أبدا الأبدين وكان أعظم عمل صار تشييده في مدة سلطنته هو أنه بنى في كل جهة من جهات مصر وعلى شواطئ نهر النيل عددا كثيرا من الارصفة العالية شيدها عليها مدائن جديدة مرتفعة بكثير عن أرض المزارع حتى تبقى الناس والحيوانات من زيادة ماء النيل وعلو الفيضان وأمر بحفر خيطان كبيرة من ابتداء مدينة منف الى حد ساحل البحر الأبيض في كل من جهتي شواطئ فروع النيل لاجل سهولة طرق سيرة التجارة وارسال البضائع والمحصولات ولأجل سهولة المواصلات بين المدن وبعضها وعاد على مصر من هذه الخيطان والترع خلاف منافع التجارة والمواصلات ورى الاراضي أن صارت موانع صناعية وروافع حرية لتوقيف وتعطيل فرسان الاعداء الذين يغيرون على مصر وحصن جميع الساحل الشرقي من ابتداء بلوزة (الفرما) الى عين شمس (المطرية) باستحكامات وموانع صناعية لاجل حفظ مصر من غارات الامم المجاورة لها من العرب والسوريين وبنى المجلس الأكبر من مدينة الكرنك وبنى لنفسه أعظم مدفن بين المدافن الملكية ولما كبر سنه وكف بصره مات بعد أن تسلمت ثلاثا وثلاثين سنة وترك مملكته على غاية من الغنية والثروة وكان قبل موته أشركه معه في السلطنة ابنه رعمسيس الثاني الملقب بالأكبر ومن بعده موت أبيه صار ملكا في نحو سنة ١٣١١ قبل الميلاد

وتسلمت رعمسيس الثاني ستا وثلاثين سنة وفي مدة سلطنته عصت الامم والممالك التي كان أبوه تغلب عليها فصار بالجيوش والعساكر وأخضع لبيدوا بلاد العرب وأخضع الحبشة وساق جيوشه بالحجارة المنصورة الى آسيا وسار حتى وصل الى نهر الكنج وقمع البلاد والامم التي عصت على سلطنته ولم يصف أراضى زيادة على الاراضي التي كان أبوه تغلب عليها وعاد الى مصر مظفرا بتاج النصر ولم تزل آثاره موجودة على صخور في نواحي عدلان بالقرب من صور وفي نواحي نهر الكلب بالقرب من بيروت من أعمال سوريا وحفر خيطان النيل من فوق مدينة بسطة حتى أوصلا الى البحر الأحمر وأوقف في مصب هذا الخياط من جهة البحر الأحمر الاسطول الذي كان أبوه أنشأه ومقداره ٤٠٠ شراع وبنى الآثار الرعميسية في طيوة وفي مدة سلطنته وصلت الحرف والصنائع الى أقصى الدرجات ومن بعده موته خلفه ابنه أمنتفطس أو منقطه وعلى حسب الروايات التاريخية أن منقطه هذا كان فرعون خروج بن اسرائيل ومدة سلطنته غير محقة ثم خلفه ابنه صسيطوس الثاني أو صيطي وبه انقرضت العائلة في نحو سنة ١٢١٩ قبل الميلاد

ثم قامت العائلة العشرون الطيوية أيضا بواسطة رعمسيس الثالث وكان منهم مكافى العمارات وفنائها وشجاعة عظيمين شيد سراية في مدينة آتوفي طيوة يستدل من كل عمود منها ومن كل باب ومن كل قاعة ومجلس على استعداد وذكاه هذا الملك وكسر غارة من الليبيين كانوا معاضدين فيها بالطوخابين وهم قوم من الجزائر أو من السواحل الشمالية للبحر الأبيض وأشعل واقعة بحرية مع أسطول هؤلاء القوم وساق حربا مظفرا في آسيا وسار بجيشه حتى وصل ميزوپوتاميه (العراق) الغربية وكان له أربعة أولاد كل منهم اسمه رعمسيس توارثوا الملك بعده على التعاقب ثم جالس على التخت من بعدهم رعمسيس



الثامن فغير الحالة العمومية التي كانت ثابتة في التاريخ المصري في المدة السابقة بأعماله نيران حروب منظرة ثم جلس على الكرسي من بعده ستة ملوك أو سبعة كل منهم اسمه رعمسيس ابتداء في السلطنة مدة قليلة من الزمن كانت خالية الحروب والوقائع ومن المحتمل أن انقرضت هذه العائلة كان في نحو سنة ١٠٨٥ قبل ميلاد المسيح

وكانت بلغت درجة ارتقاء المصريين في الشوك في عصر سلطنة العائلة التاسعة عشرة إلى أقصى درجات الكمال إلا أنه تحت حكم العائلة العشرين ضعفت الشوك الحربية والمتانة أو الرصانة الداخلية وأخذ هبوط المملكة وسرعة اضمحلالها في الزيادة وخرجت من تحت طاعة الحكومة المصرية فتوحاتها إلى أسيا وية واحدة بعد أخرى وكذا الأراضي والبلاد الموجودة في جنوب حدودها الطبيعية وفقدت مصر الاتحاد والارتباط الذي مكث مددا من العصور بينها وبين آسيا وكان هذا الاتحاد لازما لشوكتها وقوة منيعة لدولتها ووصولها ودخل في لسانهم بعض ألفاظ من لسان الأمم المتولدة من ذرية سام بن نوح ودخل في الهياكل والمعابد آلهة أخرى أجنبية وكان لا يمكن الوصول إليها ولا القرب منها في المدة السابقة وفي مدة وجود هذا الاضمحلال العام ظهر سبب آخر تولد منه الضعف الشديد وذلك أن كبار قسيس أمن في طيبة كانت لهم هذه المرتبة أو الوظيفة ورئاسة من والد إلى ولده فاجتهدوا وسعوا وبذلوا جهدهم في أن يستولوا لأنفسهم على ما استولى عليه في الأزمان المتأخرة ولادة السراي في مدة الملوك المروانية ملوك فرانسوا واستحوذ قسيس أمن في طيبة على جميع الوظائف العالية ديانية كانت أو سياسية أو عسكرية على التدريج وضيقة واعي الحكومة المالوكية وطمعوا في خلع الملك الموظف عليهم بحسب شرعهم المقدس ومن ثم عاد على مصر قصاص وعقاب ما طمح فيه فاتحوا العائلة الثامنة عشرة والعائلة التاسعة عشرة وصار يتساقط ظل وندي الاضمحلال والهبوط الداخلي على صلاح الأمة وفوزها مدة وجود العائلة العشرين وقامت شوك القسس وسلطة سيادتهم وصار لهم الكلمة النافذة على كل طائفة من طوائف المملكة من القاصي إلى الداني وكانت هذه حالة منحوسة وعاقبة مشؤمة على تشتم الافكار وتسلط البلبال وهبوط التقدم وعود الأمة بالشدة والعنف إلى الهيئات القديمة الديانية وانطفاء رونق العمارات وتجرع الأمة غصص الآفات وزالت بهجة المملكة واندثر تشييد العمايز وتركزت دراسة الطبيعيات وصارت المملكة في حالة رق وعبودية مثل الأزمان القديمة وكان قصص حرب القسس في ذلك استمرار جميع الأشياء في حدود ثابت لا يحصل فيه تغيير ولا يقع فيه تبديل ومن هنا صار تحديد حدود التقدم إلى درجة أو نقطة معلومة آل أمر المملكة إلى العجز والشيوخوخة وضعف حالها وصارت الملوك الأخيرة من العائلة العشرين ألعبوبة في أيدي القسس

وفي سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد وقت انقراض هذه العائلة قامت سلطنة العائلة الحادية والعشرين التنيسية في مدينة صان من أعمال الدلتا ولقب ملوكها أنفسهم برؤساء أو كبار قسس أمن وتزويوا برى القسس واستقر سلطانهم في صعيد مصر ومصر الوسطى والسفلى إلا أنهم ما أقاموا سلطانهم من غير حرب ولا ضرب وكانت سلطنة هذه العائلة الحادية والعشرين محصورة في سبع ملوك وكانت مدة سلطنتهم لا معنى لها في الباطن والظاهر وفيها عصت الحبشة واستقلت بنفسها من مصر وضاع من مصر جميع فتوحاتها في آسيا وقامت السلطنة العاتية لبني إسرائيل تحت ملوكية داود وشكل داود

سلطنته من البلاد التي كانت خاضعة لحكم مصر وزوج أحدهم لولده تينيس والمحتمل أنه منقطة أو  
أوصو خور بنته سليمان بن داود عليهم السلام فكان هذا دليلا قطعيًا على أن هذه العائلة كانت  
تركزت كل ما كانت ترجوه من عود شوكتها القديمة في آسيا وفي نفس هذا الوقت أخذت آشور والد  
الأعداء لمصر في الشوكة والتقدم بسرعة حتى صارت مملكة قوية خلف نهر الفرات

## الباب الثاني

من ابتداء العائلة الثانية والعشرين إلى انقراض حكومة الفرس بمصر  
العائلة الثانية والعشرون - أحياء السلطنة - وجود عاصمة المملكة في مدينة بسطة  
- العائلة الثالثة والعشرون - نقل هذه العائلة عاصمة المملكة إلى صايس (أي صالجر) - مصر  
وأشور يا عند الحرب - واقعة رافية - غلبة سرغون على الدلتا - نكت مصر طاعة الاشوريين  
ونخضوعها ثانية - تضعع شوكة الأمة واضمحلالها - عود استقلال مصر بواسطة  
بصاميطيقوس الأول - اختلال طائفة الحرية - اشغال نخو الحرب على بابل وهزيمة بواسطة  
بختنصر - تقدم التجارة المصرية - تغلب بابل على مصر - عود استقلال المملكة ثانية بواسطة  
أموريس - فتوحاته - تغلب قبزأوكي لهراسب على مصر - جوره وتهديه - صيرورة مصر إقليمًا  
فارسيا - عصيان مصر على فارس - عقاب أونخوص ملك فارس بمصر بسبب عصيانها ومقاصاة  
زعماء الثورة

كان بصوصينيس الثاني أي شام الثاني هو آخر ملوك العائلة الحادية والعشرين في سنة ٩٩٣ قبل  
الميلاد ثم جاء من بعد هذه العائلة العائلة الثانية والعشرون وكان شيشاق الأول أوشيشق زوج بنت  
شام هو المؤسس لهذه العائلة وقال بعض المؤرخين إن هذا الملك كان حفيد شام الثاني واختاره  
ليكون وراثته ومع أنه كان في وظيفة القس الأكبر لا من غير أنه ما كان في هذا الملك رائحة القسوسية  
فأقام عاصمة مملكته في مدينة بسطة من أعمال الدلتا وهرب إليه يربعام فأمنه على نفسه وكان يربعام  
المدكور هرب من سليمان ملك إسرائيل بسبب ما ظهر عليه من الخيانة والدسائس التي كانت حاصلة  
منه وسعيه في تجرئة العبرانيين إلى عدة ملوك وحكومات وقطن يربعام مصر ولم يعد إلى أورشليم  
الامن بعد موت سليمان وعند عودته جعل نفسه قائدا لثورة من العصاة وأخذ من رجبعام بن سليمان  
عشرة أسباط وجعل نفسه ملكا عليهم

وفي السنة الخامسة من سلطنة شيشاق سار شيشاق بجيشه على أورشليم بسبب اكتساب اليهود الخطايا  
وارتكابهم الموبقات عند الههم وكان جيشه من ١٢٠٠٠٠ عربية حربية و ٦٠٠٠٠ فارس  
وجلب معهم من العالم ما لا يحصى عددا وكان جميعهم من الليبانيين والطور وغلريطين والحبشيين  
وتغلب على جميع المدائن الحصينة من مملكة يهوذا وسار حتى قرب من مدينة أورشليم فضع ملك  
إسرائيل وأمرأوه وجوه قومه لله سبحانه وتعالى وتضرعوا بالدعاء في حدة ظهم وسلامتهم من شيشاق  
فوعدهم الله على إسمائه نبي من أنبيائهم بسبب توبتهم ورجوعهم عما هم فيه من الآثام أنه لا يهزمهم  
ولا يبيدهم حسب ما يتحققون إلا أنه يلزم أن يجعلهم عبيدا لشيشاق حتى يعرفوا الفرق بين طاعتهم له



وطاعتهم لواحد من عبيده وعاد شيشاق من أورشليم بعد أن نهب خزان بيت المقدس وخزان بيت الملك وجعل كل شيء معه حتى أنه أخذ ٣٠٠ طارقة حربية مصنوعة من الذهب كان صنعها سليمان عليه السلام في مدة حياته

وبلغت السلطنة المصرية في مدة سلطنة شيشاق إلى حياة جديدة وعادت لها صفتها الحربية وهيئتها العسكرية وجعلها شيشاق مملكة قوية الشوكة سامية السيادة ولما أقام بربعام مملكة إسرائيل الجديدة دخل شيشاق معه في معاهدة ومن بعد أن جعل يهوذا خراجية له مات في سنة ٩٧٢ قبل الميلاد ثم خلفه ابنه أوصور خون الأول وكانت مدة سلطنته خمس عشرة سنة خالية من الوقائع والحوادث ثم خلفه ابنه يهور في سنة ٩٥٧ قبل الميلاد وما بقي من ملوك هذه العائلة كانوا ملوكا لا معنى لهم في ذاتهم وانقرضت سلطنة هذه العائلة الثانية والعشرين في سنة ٨٤٧ قبل الميلاد وخلفها العائلة الثالثة والعشرون وكان ملوكها أربعة وكانت مدة سلطنتهم خالية من الوقائع والحوادث ومقر هذه العائلة كان مدينة تنيس من أعمال الدلتا

وانقضت مدة العائلة الثالثة والعشرين في مصر في منازعات وثوران وتجزأت المملكة بين عدة عائلات مختلفة وازدادت الارتباك والقلق ولم يحصل الفصل في حالة هذه الأعمال الخطرة حتى حصلت العائلة الرابعة والعشرون الصاوية وكان مقرها في صا الحجر في سنة ٧٥٨ قبل الميلاد وكانت هذه العائلة عبارة عن ملك واحد يقبضه كل من مانيطون وهيرودوط باسم بخوريس فنقل العاصمة من مدينة تنيس إلى صا الحجر وفي مدة السلطنة المتقدمة دخل ذراح ملك الحبش في يهوذا وأشعل حربا على أسام ملك يهوذا وكان جيشه متركبا من مليون نفس وثلاثمائة عربية فسار أسام للملاقاة ونظم جيشه صفقا للحرب على بركة الله معبوده فقال الله له لا احتياج للمساعدة ولا خوف من كثرة العدد إذ لا قوة ولا حول لهذا العدد فدعا أسام وقال اللهم المساعدة يا الله يا الهنا أنت الهنا وآبائنا عايمك وكلنا وبك نستعين على هلاك هذا العدو المبين فانصرنا يا خير الناصرين يا الله أنت الهنا لا تدعنا لنحلق في غصنك ولا لعدو يكرهك وصار أسام يدعو ويتضرع إلى الله بنحشوع من قلب حزين ولسان مهين فأنزل الله سبحانه وتعالى في قلوب الحبشيين الروح والروع والخوف وأوقع فيهم الهول والفرع وفروا هاربين ومن خلفهم بنو إسرائيل معقبين وهزمهم الله شرهزيمة بما ارتكبوا من هذه الجريمة وفي سنة ٧٣٠ قبل الميلاد دخل صباخو ملك الحبش مصر في رأس جيش كثيف ودمر سلطنة بخوريس وقتله وتغلب على مصر وأسس العائلة الخامسة والعشرين السودانية وصباخو الأول هذا هو المعروف في التوراة باسم صواو وصوبح ودخل في معاهدة مع هوشيا ملك إسرائيل وكان هوشيا معصيا على آشور يافتولد من هذه المعاهدة عداوة ملوك آسياه وهزمه سرغون في واقعة رافية في سنة ٧٢٨ قبل الميلاد وقامت سيادة الآشوريين في الدلتا وتقهقر الحبشيون في داخل حدود صعيد مصر ثم نجس صباخو الثاني على التخت في نحو سنة ٧٠٤ قبل الميلاد والظاهر أن الآشوريين كانوا قسموا الدلتا إلى أقسام صغيرة ووظفوا في كل قسم منها ملكا وجعلوها خراجية لهم وما كان القصد من أعمالهم هذه الأوقوع والضعف والعجز في الشوكة المصرية على الدوام بتجزئة جهاتهم بما بذلوا فيه جهدهم

وامتدت سلطنة صباخو الثاني إلى سنة ٦٩٠ قبل الميلاد حتى خلفه أكبر ملوك الحبش في مصر وهو

طهراق ويسميه أهل التوراة طراقة وأما الجريق فيسمونه طرخون وفي سنة ٦٦٩ قبل الميلاد أغار  
 اصمردون ملك الاشوريين على المملكة المصرية وتغلب عليها حتى وصل الشلال الاول وقسم مصر  
 الى عشرين مملكة صغيرة خراجية لمملكة آشوريا وفي السنة التي جاءت بعدها انتهز طراقة الفرصة  
 وقت ما حصل لاصمردون المرض القاتل وتغلب على جميع وادي النيل مرة ثانية وساعده قس  
 الالهة في كل ناحية من نواحي المملكة لانه كان السبب في عود ديانة الامة على ما كانت عليه وأخرج  
 ملوك الدلتا من مدائنهم وشيد سلطنته في هذا الاقليم وفي غضون ذلك دخل آشور بانيبال وكان  
 خلف أباه على ملك آشور يافى مصر في راس جيش جرار كثيف لاجل استرداد شوكتة فقاومه طراقة  
 مقاومة شديدة مدة سنتين وأخير انهزم هزيمة فاصلة وانجبر على الهزيمة خلف الشلالات وترك كامل  
 مصر في حوزة الاشوريين مرة ثانية فقسوا المملكة الى ممالك صغيرة خراجية اهم واستمرت المملكة  
 في مصائب وأهوال من ابتداء الوقت الذي جاست فيه العائلة الثانية والعشرون وأدخلوا الاغراب  
 معهم في خدمتهم بالاجرة في الجيوش المصرية وصار لاهمة للعساكر في حركاتهم واختل نظامهم  
 وتكاسلوا عما يستخدمهم فيه ملوكهم وخلت من الجند حاسة التيقظ حب الوطن ومن ثم صار  
 العساكر والجنود غير صالحين لمقاومة الاشوريين وانضاف الى هذا ضعف شوكة الامة ضعفا زائدا لما  
 تسلطت عليها شوكة الاغراب من سنين مضت وبهذا السبب صار من السهل للاشوريين توطيد  
 سلطنتهم واستمرار سيادتهم في مصر

ومن ضمن العمال الذين أقامهم الاشوريون على الممالك الصغيرة المصرية رجل اسمه نختو ثم خافه ابنه  
 بعد موته وكان ابنه هذا مشتركا معه في الاحكام حال توطئه بواسطة آشور بانيبال وكان ابنه هذا  
 هو بصاميطيقوس الاول فكث عدة سنين وهو أحد العمال الصغيرة في مصر وأخير انتهز الفرصة عند  
 تضعف المملكة الاشورية ونكث ببيعة طاعته لهذه المملكة في نحو سنة ٦٣٢ قبل الميلاد ومن  
 بعد أن أخذ نار مقاومة معانديه ومضاديه من العمال الاخر جعل نفسه ملكا على جميع المملكة  
 المصرية وجلس على الكرسي وكان أول ملوك العائلة السادسة والعشرين الصاوية وكان مقرها في  
 صا الحجر ومن هذا الوقت انتقلت مصر تحت سلطنة الملوك الوطنية المصرية مرة ثانية بعد أن مضى  
 عليها قرن تحت نافي المملكة الاشورية

وقيل ان عساكر بصاميطيقوس كانت مركبة من اليونانيين وغيرهم بالاجرة وبهم استحوذ على ملكة  
 مصر فأغدى على هؤلاء العساكر باعامانته وأقبل عليهم بكلماته وكان يجلس كبارهم عن عيونه فتولد  
 من ذلك بغضه عند الطائفة الحربية المصرية حتى ان كثير منهم ترك الديار وتوجه الى بلاد الحبش وقيل  
 ان عددا من الذين تركوا الديار ٢٠٠٠٠٠ نفس فهددهم بصاميطيقوس وتوعدهم ان لم  
 يرجعوا لوطنهم وديارهم فاستحسنوا لانفسهم الإقامة في الجهات الحبشية وكان بصاميطيقوس ملكا  
 ماهرا فاضلا أحيا العلوم والفنون في مدته وشهد أشغالا عديدة في المملكة وشرع في فتح فلسطين  
 وسوريا والتغلب عليهما الا أنه تعطل في سيره بواسطة مقاومة مدينة أشدود الفلسطينية له فقاومه هذه  
 المدينة أشد المقاومة فحاصرها وشدد عليها وكادت مشاق حصاره واستمر بصاميطيقوس محاصرها  
 تسع وعشرين سنة حتى فتحها وأبلى سوريا وفلسطين بحروب شديدة استمرت عليها حتى انهم أمارأت  
 مثلها من عهد تغلب الاشوريين عليها وكانت مدينة أشدود إحدى المداين الحصينة الفلسطينية



القديمة جدا وكان المصريون لما تغلب عليها في العهد القديم حصنوها تحصينا زائدا حتى صارت معقلا  
رصيدا لهم في تلك الجهة وما قدر الاشوريون على الدخول في مصر قبل ذلك حتى تغلبوا على هذه المدينة  
بكل مشقة وصارت تحت حوزة الاشوريين حتى أعادها بصاميطيقوس منهم

وفي أثناء هذه المدة ترك السيطيون سواحل بالوس ميوطيس وأغاروا على ميديا وهزموا ملك تلك  
المملكة وهو كيكائوس الملك وأخذوا منه جميع أسيا العليا واستمرت في حوزتهم ثمانيا وعشرين  
سنة ثم تجولوا في غلبتهم الى داخل سوريا حتى وصلوا الحدود المصرية وسار بصاميطيقوس لمقابلتهم  
فارتاعوا ووقع الرعب في قلوبهم وما اجتروا على التقدم الى مصر وبهذه الوسيلة خلص مملكته من  
هؤلاء الأعداء المتبربرين

وقال هيرودوط انه لحدا سلطنته كان المصريون يتوهمون في أنفسهم أنهم أقدم أمة على وجه الارض  
فرغب بصاميطيقوس أن يثبت لنفسه هذا البرهان فأمر بأخذ طفلين من المواليد الجديدة من  
أولاد العائلات الفقيرة في المملكة وأن يوضع في خص يقفل عليهما على الدوام وعهدت بيتهما الى راع  
من رعاة الاغنام وأن تكون تربيتهما على ابن المعز وأمر بعدم دخول أحد في هذا الخص حتى هو نفسه  
لا يتكلم بأدى كلمة مع هذين الطفلين وقيل انه عهد رضاعهما الى امرأتين قطع لسانهما فصارا  
لا يتكلمان ومن بعد مضي سنتين دخل الراعي يوما من الايام حسب عادته لاجل أن يعطى الغذاء اللازم  
للطفلين في الخص فصرخ الطفلان بصوت عال ومدايديهما متخوأيهما الموضع لهما وقالا بيكوس  
بيكوس فاستغرب الراعي من كونه سمع لغة جديدة ولسانا ما سمعه قط ولم يسمعه منهم مارة  
أرسل مخبرا بهذه الحالة الى الملك فأمر الملك بحلب الطفلين عنده حتى يرى صحة ما أخبر به ولما ابتدأ  
الطفلان بالتلفظ بلغة قتي بيكوس تحقق أن الأمة في قديم الزمان كانت تستعمل هذه اللفظة ومعناها  
خبراً وعيش ومن ابتداء هذا الوقت رخص في الاحترام والاكرام للأشياء القديمة جدا وكان المصريون  
يرغبون من قديم الزمان في تقديمها واحترامها وكان المصريون على رغبة وجيزة من قديم الزمان في  
استحواذهم على هذا الفخر الذي تركوه رغم أنفسهم من مدة طويلة وكان بصاميطيقوس محبا للتجارة  
أيضا وبذل جل سعيه في ربط علاقات ومعاملات بين المصريين والأثم الغريبة الاجنبية ونشر  
اللسان الجريقي في مملكته وحث على تعلمه وكانت عساكره وحكامه غالبا من الجريقي ومن بعد  
موته خلفه ابنه ينخو في نحو سنة ٦١٠ قبل الميلاد

وفي نفس هذا الوقت سقطت مملكة الاشوريين وقامت مملكة بابل وكانت قويت شوكتها وعظمت  
سلطنتها تحت رئاسة بختنصر وظهر أن وقوع الاختلاف بين سلطنة بابل ومصر لابد من حصوله  
وما أسرع وقوعه وذلك أن ينخو استمر في الحرب الذي كان أبوه شرع فيه من أجل التغلب على فلسطين  
فهزم يوشيا ملك يهوذا في نواحي مجدو وجعل نفسه ملك سوريا الى حدود نهر الفرات وجعل مملكة  
يهوذا خراجية له ولما تقدم الى قرشيمش على شطوط الفرات تقابل مع الجيش البابلي تحت  
قيادة (بختنصر) فهزمه بختنصر شرهزيمة والتزم العود الى مصر في سنة ٦٠٤ قبل الميلاد

وقال هيرودوط ان البابليين والميديين لما دمروا مملكة نينوى وهبطت مملكة الاشوريين وتفتت

مملكة بابل على ما جاورها من الامم فارتاع يخوف من هذا الخطر وتقدم الى نهر الفرات في رأس جيش جرار بقصد صدقة تقدمت هذه المملكة وكان يوشيا ملك يهوذا رقيق القلب مشهورا بالصالح فلما رأى أن يخوف لا بد له من أن يعرف طريقه من وسط مملكة يهوذا صمم على مقاومة سروره وعدم سيره ولهذا جمع جميع قوى مملكته وعسكر في وادي مجدو وهي مدينة على نهر الاردن من أعمال سبط منشا فأرسل له يخوف رسولا سلبا يتخبره ويخبره أنه لم يكن قاصدا بمشروعه هذا ضررا له بل له عدو آخر يريد مقابلاته وأن شره في هذا الحرب بأمر من عند الله تعالى وهو معه وبهذا نصيح يخوف يوشيا في أن لا يدخل نفسه في هذا الحرب خشية من أنه ربما يعود عليه بالضرر وعدم الفائدة ومع ذلك لم يتحرك يوشيا من مكانه وأحسن بأن سير مثل هذا الجيش الجرار من أرض يهوذا ربما يخربها ويدهرها وخشي أيضا من أن هذا المنصور ربما يهزمه البابليين يسقط عليه ويأخذ منه مملكته فسار يوشيا ودخل مع يخوف في حرب شديدة فانهم زمت عساكر يوشيا وجرح هو جرحا بليغا مات منه بعد أن أوصلوه الى اورشليم

ولما تهلل وجه يخوف بهذه النصر استمر في سيره وتقدم الى الفرات وأوقع هزيمة على البابليين وتغلب على قرشميش وهي مدينة واسعة في تلك المملكة ووطد يخوف هذه المدينة لنفسه بأن وضع فيها قوة من المحافظين وعاد الى مملكته بعد أن غاب عنها ثلاثة شهور ولما علم يهوذا بأسفاره الى مملكته أعلن لنفسه بأنه ملك اورشليم من غير أن يستشير مع يخوف في مثل هذا الامر فأرسل له يخوف رسولا يأمره بمقابلاته في قرية ربلاخ من أعمال سوريا ويجرد ما وصل هذا الملك الشقي الى هذه الجهة خالعه يخوف من ملوكيته وأرسله أسيرا الى مصر وأقام فيها حتى هلك ومن هذه الجهة سار يخوف حتى وصل اورشليم وأجلس يهوياقيم ابنا آخر يوشيا على التخت في قاعة أخيه وضرب عليه خراجا يدفعه له سنويا ومقداره مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب ولما تم ليخوف ذلك عاد مظفرا الى مصر

ولما رأى ملك بابل أنه من وقت غلبة يخوف على قرشميش خرجت من تحت يده طاعة سوريا وفلسطين وأن شيخوخته وضعفه بالنسبة لكبر سنه لا يجوز له السير بنفسه ضد هؤلاء العصاة أثرك ابنه بختنصر معه في المملكة وأرسله في رأس جيش قوى الى تلك الاراضي والبلاد فغلب هذا الأمير الشاب على جيش يخوف بالقرب من نهر الفرات واسترد قرشميش وأخضع الاقاليم العاصية الى طاعته كما أنبأ بذلك النبي أرميا عليه السلام وبهذا جرد المصريين من كل ما كانوا يملكونه من ابتداء حدود مصر من فلسطين الى نهر الفرات وذلك هو سوريا وفلسطين

وفي مدة سلطنة يخوف تقدمت التجارة المصرية تقدما زائدا وكثرت الاغراب في مصر ونسغ في المملكة طائفة جديدة سموها طائفة المترجين وبواسطة هذه الطائفة صارت المعاملة بين المصريين والامم الغربية سهلة جدا وشرع يخوف أن يعيد فتح الخليج القديم من نهر النيل الى البحر الاحمر الذي كان حفره رمسيس الثاني كما تقدم الكلام عليه سابقا وكانت المسافة بينهما ١٠٠٠ استادية وبما أن كل استادية ٢٢٥ قدم (أو ١٢٥ خطوة جغرافية) فيكون طول الخليج ١١٨ ميلا وثلاث ميل انكليزي وبعد أن هلك في حفر هذا الخليج ١٢٠ ألف نفس من الشغالة انجبر يخوف على تركه بعد أن أخبره الوحي الذي استشاره يخوف بقوله له ان هذا الخليج الجديد يكون فتحه طريقا للتبريرين الذين يغيرون على مصر وكانت كل أمة عند المصريين في الزمن القديم متبررة أو وهمجية ثم شرع



في مشروع آخر وذلك أنه أمر بإنشاء مركب وجعل ملاحيه من الذين لهم دراية تامة بعلم الملاحة من الفينيقيين وأمرهم بكشف ساحل قارة افر بقية من طريق البحر فساهموا من رأس البحر الأحمر وعادوا من ناحية عمود هرقل (بوغاز جبل طارق) في البحر الأبيض المتوسط ولبثوا في سياحتهم ثلاث سنوات وجاؤا معهم بفوائد تجارية وكانت هذه السفرة من الاسفار الخارقة للعادة في عصر ما كان فيه بوصله الابرة أو بيت الابرة معلوما وكان قبل واسكود وجه البورت كيزي الذي كشف رأس عشم الخبير في سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد بنحو واحد وعشرين قرنا وكان واسكود وجه تابعه في سيره الطريق التي جاء منها الفينيقيون الى البحر الأبيض حال سفره الى النواحي الهندية

ومات بنحو بعد أن تسلطن ست عشرة سنة وخلفه ابنه بصاميس أو بصامطيق الثاني في سنة ٥٨٨ قبل الميلاد وكانت مدة سلطنته ست سنوات لم يترك لنا التاريخ تذكرا يختص بأحوال هذا الملك سوى أنه أجرى غزوة واحدة على الحبش وخلفه ابنه عوفريس ويسميه هيرودوط عفرنس أو الفرعون حفرة فامتدت سلطنته تسع عشرة سنة وقال آخرون خمساً وعشرين سنة وكان في مدة الخمس سنوات الاولى من سلطنته سعيدا موفقا في كل مشروع شرع فيه ووجه جيوشه على جزيرة قبرص وتغلب عليها وحاصر مدينة صيدا برا وبحرا وتغلب عليها وجعل نفسه ملكا على كل من فينيقية وفلسطين

ومن بعد جلوس (حفرة) على التخت بقليل أرسل له صدقيا ملك يهودا سفيرا من طرفه وعقد معه معاهدة وفي السنة التي جاءت بعد ذلك صدقيا عهد بيعة الملك بابل وعصى عليه مجاهرة واعتز صدقيا بهاهبته مع فرعون مصر ولم يلتفت لما وعظه به النبي أشعيا عليه السلام من عدم تدخله مع الامة المصرية بأي حالة كانت وسار بجنته من يميموشه فاصدا مصر وردا أمامه (حفرة) على أعقابها حتى دخل بلاده ونال من مصر مظفرات قليلة وكان ذلك في سنة ٥٨١ ثم أغار بجنته على المملكة ثانية في سنة ٥٧٠ قبل الميلاد وأخضعها لطاغته وخلق (حفرة) ووضع على التخت ملكا جديدا اسمه أموزيس خراجا لملكه بابل في سنة ٥٦٩ قبل الميلاد وتسلطن أموزيس أربعاً وعشرين سنة قابضاً زمام مملكته في الاول تابعاً للمملكة بابل ثم زاده وذه وعلا سلالته وسلطانه بواسطة تزوجه نيطوخريس أنحت سلالته ولما أخذت مظفرات بجنته في الضعف والاضمحلال فكث بيعة طاعته لهابيل وجعل نفسه مستقلاً وحلى عاهته صاير أوصا البحر بانية عظيمة فاخرة وشوهدت آثار سلطنته في جميع أقسام المملكة وزرع العلاقات الودية مع قبرص ومع الاقاليم اليونانية الاخرى وقوى تجار البحر بق على الإقامة بمصر والتوطن فيها ثم تغلب على قبرص وجعلها خراجية له ولما ارتاع وخشى من تقدم دولة الفرس وكان الفرس تغلبوا على ميديا وبابل عقد محالفته مع قرصوص ملك ليديا ومع بوليقراط صاحب ساموس مؤملا في ذلك مقاومة تقدم هذه الامة الفاتحة وكان أموزيس يميل بكميلته الى الجريق ومنحهم امتيازات عريضة وصرح لكثير منهم بحسب رغبتهم بالاقامة في مدينة نواقرطيس المشهورة بمينائها البحرية وعقد محالفته مع الصيرنيقيين وتزوج بوجة منهم وفي مدة سلطنة أموزيس دخل فيثاغورس الفيا سوف اليوناني مصر وكان حضوره في مصر بوصاية من طرف الطاغى بوليقراط صاحب ساموس وكان أموزيس عقد معه صدق المحبة وحسين العشرة وما أجراه أموزيس من المعاهدات والتحفظات لم يفده فائدة يعود منها النفع على الامة

المصرية ومات في سنة ٥٢٥ قبل الميلاد وخلفه ابنه بصامطيق الثالث وجعل مدينة منف عاصمته  
وفي نفس هذه السنة أغار ملك الفرس قبيزاً على لهراسب بن كيرش أي كينسر وعلى مصر في رأس  
جيش قوى جمعته من جميع جهات ممالكه فاجتمع بصامطيق في رده على أعقابيه في واقعة شديدة  
حصلت بينهم - ما بالقرب من مدينة بلوزه (الفرما) فانهم بمصامطيق والتزم أن يحافظ على نفسه في  
منف فهجم على لهراسب على المدينة وتغلب عليه وأخذ الملك أسيراً بعد أن تسلطن سنة أشهر  
فقط ثم أمر قبيزاً على لهراسب بقتله في هذه السنة بسبب رغبة حصلت له من كونه سيد بل جده  
في خلاص وعود سلطانه مرة أخرى وبه انقرض الملك المصري بعد مدة قدرها ألف سنة

وما تقدم جميعه هو العصر الاول من العصور الثلاثة ومقداره ١٦٦٣ سنة

وابتدأ لهراسب في مصر أقل من ثلاث سنوات يجري فيها أعماله القبيحة وأوامره الفظيعة حتى  
دمرها وصارت الامة المصرية لا تنسى غارانه وقطائع حروبانه وصار المصريون من ابتداء هذه الوقت  
في كراهة ونفور ودسائس وثورات على الفرس ملوكهم وصارت مصر على الدوام متوشة بالبال  
حاملة للقلق والاهوال من بين الاقاليم الفارسية وقطعت امال مساعيم امن عودها الى استقلاليتها  
مرة أخرى

وفي مدة القرن الخامس جميعه تقر بما قبل الميلاد استمرت مصر اقليماً من المملكة الفارسية العجمية  
وتتعت مصر في مدة قليلة قدرها خمس سنوات أي من سنة ٤٦٠ الى سنة ٤٥٥ قبل الميلاد بدرجة  
استقلاليتها انوعاً تحت حكم وسلطنة العائلة الثامنة والعشرين الصاوية أي التي مقرها كان في صالحجر  
وكانت هذه العائلة محصورة في ملك واحد ثم أخذ الفرس هذه الثورة واستمرت حكومة الفرس قائمة  
الى حد سنة ٤٠٥ قبل الميلاد حتى طرحت العائلة التاسعة والعشرون ساطة الاغراب تحت قيادة  
نفرطيس وهذا أقام عاصمته في مدينة منديس (اشمون الرومان جريس) واستمرت هذه العائلة قابضة  
على زمام التخت الى سنة ٣٨٤ قبل الميلاد

وفي آخر هذه السنة دخلت العائلة الثلاثون في السلطنة تحت رياسة نقطانب الاول وكانت  
عاصمته سمبود وهذه العائلة تسمى بالعائلة السمنودية فتسلطن نقطانب الى سنة ٣٦٦ قبل الميلاد  
وخلفه بطيوس أو طاخوس وفي مدة سلطنته القصيرة التي هي عبارة عن سنتين دخل في تحريض  
وحض على ثوران ونفور عام في جميع الاقاليم الغربية من المملكة الفارسية فأخذ أردشير بكان هذه  
الاختلالات ليكن ملك مصر عزم في الحال على فتح سوريا وبعد أن سار رجع عائداً على أعقابيه الى  
بلادهم من أجل ثورة قامت فيها ومن هذه الثورة ضاع ملكه ونجح زعيم الثورة في أن جلس على الكرسي  
باسم نقطانب الثاني وفي سنة ٣٥١ قبل الميلاد اجتهد أوخوص ملك الفرس وسعي سعياناً بحافى  
التغلب على مصر ثم في سنة ٣٤١ قبل الميلاد جدد أوخوص عزمه وأغار في رأس جيش مقداره  
٣٤٤٠٠٠ نفس منه ١٤٠٠٠ نفس من مستأجرى الجريق المتدربين في الحروب تحت قيادة قواد  
جربين في الحروب أيضاً واستعدت نقطانب الاقائه في رأس جيش مقداره ١٠٠٠٠٠ نفس منه  
٢٠٠٠٠ نفس من مستأجرى الجريق فغلب قواد الجريق الموجودون في جيش أوخوص ملك مصر  
وهزموا جيشه وتغلبوا من وقتهم على مصر وهرب نقطانب الى الجيش قاطع الرجاء نائب الامل من  
عوده الى مملكته ونخضت مصر جميعها الى أوخوص فهدم أسوار مدائنها ونهبها كلها ومعاييدها



وأفانس على الجريق الموجددين معه الانعامات الرائدة وعاد الى فارس محملاً بأثقال الغنائم التي لا تحصى

### الباب الثالث

#### المملكة الجريقية

تغلب اسكندر الاكبر على مصر - تأسيس الاسكندرية وجعلها العاصمة - الحضارة الجريقية في مصر - موت اسكندر - تلك بطليموس لاغوس مصر - سلطنة بطليموس الاول - وصف مملكته - بطليموس فيلادلفوس - الادراكات العظيمة لمصر - دار الكتب في الاسكندرية - الترجمة السبعينية - حوادث هذه السلطنة - نجاح التجارة المصرية - عيوب الملك - بطليموس الثالث - فتوحاته - علاقته وارتباطاته مع رومة - عنف بطليموس الرابع وشدة - اضمحلال السلطنة تحت حكم بطليموس الخامس - وجود الرومانيين في مصر - تنازل السلطنة في الهبوط - استعداد الرومانيين في مصر وحكمهم فيها - سلطنة البطالسة الاخر - سرعة سقوط مصر - صيرورة كليوباترة ملكة - وجود القيصر يوليوس في مصر - مارك انطوني - تغلب الرومانيين على مصر - صيرورتها اقليما من الاقاليم أو المملكة الرومية

استمرت مصر اقليما من اقاليم المملكة الفارسية الى ما بعد واقعة عصوص أو عصوص حتى فتحها اسكندر الاكبر وأضافها الى مملكته وذلك أنه بمجرد ما ظفر اسكندر الاكبر على دار ملك الفرس وهزمه وجموشه في أول واقعة حصلت بينهما في نواحي عصوص وكان اسكندر في هذه الواقعة قائدا اقوى الجريسية فأرسل عساكره تحت قيادة قائده من طرفه خلف دارا وعساكره وسار هو بنفسه حتى دخل سوريا مصحوبا معه ٤٠٠٠٠ نفس ووصل الى طرابلس واستحوذ منها على ما يلزم له من المراكب وحرق ما بقي من المراكب الاخرى ونزل هو وعساكره وأقلع في البحر مباشرة الى نحو جزيرة قبرص ومنها أقبل الى مدينة يالوزة من الاعمال المصرية وهي محل بورت سعيد الآن ودخل عنوة في هذه المدينة مدعيانه مرسل من طرف دارا بوظيفة حاكم على مصر بدل سياسيس حاكمها السابق بما أنه هلك في واقعة عصوص ولما استحوذ على هذه المدينة باليلة المهمة رفع البرقع عن وجهه ونشر اعلانا عاما للحكومة ذكر فيه أن سبب مجيئه في مصر هو من أجل طرد الفرس منها فولد من هذا الاعلان أن الجرم الغفير من المصريين الذين كانوا لا يرغبون سوى تحرير أنفسهم من المظالم التي كانوا تحت أثقالها من جهة الفرس هرعوا لمقابلته ومن ثم سار مباشرة على منف عاصمة المملكة فقابلته قوة من الفرس اصدده ومنع تقدمه في داخل البلاد فهزم اسكندر هذه القوة حتى ألقاها داخل المدينة وقفوا أبوابها عليهم وبعد أن اكتسب اسكندر هذه النصره تفرقت عساكره خلف الفرس قتلا ونهباً فسقط ما بقي من جيش الفرس على عساكر اسكندر غيلة وقطعوا هم مع قائدهم

ومع هذا فان ما حصل من الفرس لم يزد هم الا كراهة عند المصريين زيادة عما قبل ولما ظهر اسكندر في ما معه للامنة المصرية هرعوا اليه أفواجا لتقديم طاعتهم اليه وخضوعهم له وكان وصوله عندهم في رأس جيش قوى ولما رأى ما زوس حاكم منف من طرف الفرس أن لا طاقة له على مقاومة هذا الجيش الكثير وأن دارا في حالة لا يمكنه بمساعدته على حفظ المملكة ووقايتها من أعدائه فتح

أبواب المدينة في الحال وسلم مفايحها للفتح وقدم له ٨٠٠ وزنة من الذهب عبارة عن ١٢٠٠٠٠  
استرلينه وكذا كافة أمتعة الملك وأثاثاته الموجودة بمصر وبهم هذه الحالة تغلب اسكندر على مصر من  
غير حرب ولا ضرب

ولما دخل اسكندر منف ووطد نفسه وعساكره في الديار المصرية تعزم على زيارة هيكل جوبتير أمون  
الواقع في وسط الصحراء الرملية من ليبيا (أي برقة) وعلى مسافة اثني عشر يوما سترامن مدينة منف  
وأصل وجود هذا الهيكل وإنشائه في هذه الجهة هو أن حام بن فوح عليه السلام أول من سكن مصر  
وليبيسا من بعد الطوفان ولما ابتدأت العبادة الوثنية في الدنيا بعده يضع زمن كان هو أول الهوا أكبر  
معبود في هاتين المملكتين واستمرت ذريته على عبادته وبنوا له معبدا أو هيكلًا في وسط هذه الصحاري  
على بقعة جيلة من أرض خصبة ظريفة عرضها فرسخان تشبه جزيرة في بحر رملي وهذه البقعة  
اسمها الواحات الآن وكان البحر يقبض يسمونها جوبتير والمصريون يسمونها أمون ومن مرور الزمان  
اتحد الاسمان وصارا اسمًا واحدًا هو جوبتير أمون وكان السبب في سفر اسكندر هذه السفرة غريبا  
وذلك أنه قرأ في خرافات عمير الشاعر الجريقي وفي الخرافات الانحرال القديمة أن كثيرا من شعبانهم  
قدموا أنفسهم أولاد لبعض الآلهة فنجحوا في أعمالهم وفازوا بمرغوبهم ولما كان اسكندر عنده  
من الرغبة الزائدة في أن يكون فارسا أكبر من المتقدمين رغب أن يقدم نفسه ليكون ابنا ل أحد الآلهة  
ومن ثم صمم في نفسه على أن يكون أباه هو جوبتير أمون وشرع في أن يغير القسس بالاموال ويفيض  
عليهم بالانعام حتى يوافقوه على مرغوبه

ثم سافر اسكندر من منف من طريق النيل حتى وصل إلى البحر الأبيض المتوسط وسار في طول ساحله  
حتى عبر مدينة كانوب (وهي أبو قير الآن) فظهر له أمامه جزيرة الفارأو والفنار فوجد بها محلا صالحا  
وقطعة تامة في ترتيبها وشكلها موافقة لانبي فيهما مدينة فصمم على بناء مدينة فيها ونحطط مسطحها  
بنفسه وعلم على المحل اللازم بناء المعبد فيه وكذا المحلات الميادين الواجب تشييدها فيها وعهد عمارتها  
وبناها إلى دينوقراطيس المعماري المشهور عنده وسمى هذه المدينة باسم الاسكندرية وفيما بعد صارت  
عاصمة المملكة وجعل لها ميناء بحرية حسنة الوضع غربية الشكل حتى صارت هذه المدينة مركزا  
لتجارات البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والنيل الواردة اليها من المشرق والمغرب وفي ظرف مدة  
قليلة صارت إحدى المدن البانعة الزاهرة الموجودة على سطح الأرض

ومن بعد أن قرر اسكندر ما يجب اجراؤه في شأن مدينته الجديدة ارتحل مسافرا بعساكره لزيارة هيكل  
جوبتير - أمون وكانت مسافة الطريق ١٦٠٠ استارية أو ثمانين فرسخا فرسا ويا وطريق السير  
اليه مارة من وسط صحار رملية فكان العساكر في اليومين الأولين من السفر على تشوف عظيم ورغبة  
كبيرة وذلك قبل دخولهم في داخل الاراضي القفرة الرملية المهولة ولما دخلوا فيها وجدوا أنفسهم  
أنهم صاروا في داخل سهل رملية شاسعة مغطاة برمال عميقة وقع في قلوبهم هم الرعب وجزعوا من شدة  
الخوف ورأوا أن هذه السهول المقفرة كأنهم في وسط بحر يلحى من المياه فصاروا يتظرون في جميع  
جهاتهم على قدر امتداد بصيرهم لعلهم يكتشفون محلا مسكونا أو شجرة أو يرون أثر قدم انسان أو  
حيوان يستدل منه على سيرا دمي أو مشي حيوان فكانوا لا يرون من هذا شيئا والذي أدهش بالهم وأقلق  
بالبالهم وزاد في جزعهم وارتباعهم أن المياه التي كانوا جلبوها معهم في قرب محمولة على جمال انتهت



أمرها وفرغت منهم حتى ما بقي عندهم قطرة ماء في وسط هذه الصحارى القحولة المعدومة المياه فأسندوا  
وندموا على حالتهم هذه وملوا أنفسهم للموت من كثرة ما حاق بهم من العطش والظما وما حل بهم من  
وجود الرمال المتطايرة عليهم من كثرة الرياح حتى كادت تدفنهم تحتها وازداد الخطر واشتد الكرب  
والظما حتى ما صار لأحد منهم طاقة على التنفس وقعدوا جميعا على الرمل مسلين أنفسهم للموت فاتحين  
أفواههم للهواء والسما ويبتسأهم في هذه الحالة الشديدة إذ ظلم الجحور وكثرت السحب وتكاثفت  
في بعضها حتى حجب عنهم الشمس وهطلت عليهم الأمطار وكان ذلك سببا من عند الله سبحانه وتعالى  
في نجاة هذه الجيوش وخلصه مما كان فيه من اشرافه على الموت والهلاك فأخذوا من مياه  
الأمطار احتياجا لهم وصار البعض منهم يتلقى الماء في فمه لينجي من كربه ونعمه وملوا قلوبهم ثم استمروا عدة  
أيام في قطعهم هذه الصحارى ولما قربوا من المحل الموجود فيه الهيكل رأوا عددا لا يحصى من الغربان  
طائرة أمامهم لم القدما فيحتمل أن هذه الغربان إنما طارت إلى الأرض حال سير الجيوش فيها  
بحركة بطيئة وأما أنها سارت في طيرانها إلى قدام أثر شدا الجيوش أشبه بدليل له على الطريق اللازم اتباعه  
والسير فيه حتى يصلوا إلى الهيكل الإلهي وقال بعض المؤرخين إن من عجائب الأمور أن هذه الهيكل  
وإن كان في وسط قفر لا حده ولا نهاية لكنه محاط بغيزة كثيرة الظل كثيفة الأشجار لا ترم منها إلا شجرة  
الشمسية وهذه الغيزة تسقى من عدة منابع أو عيون من مياه عذبة تحفظ لها لون خضر ثم على الدوام  
وروي أنه يوجد بالقرب من هذه الغيزة غيزة أخرى في وسطها عين ماء تسمى بعين الشمس وإن مياه  
هذه العين تكون فاترة وقت الفجر وباردة وقت الظهر وأخذ في السخونة من بعد العصر على التدريج  
حتى تصل إلى درجة الغليان في منتصف الليل ومن بعد ذلك تقل درجة حرارتها كلما قرب طلوع النهار  
ولم تزل مستمرة على هذه الحالة

ثم إن الإله المعبود الموجود في هذا الهيكل ليس له شكل ولا صورة مجرية منقوشة مثل صور وأشكال  
الآلهة الأخرى الجارية نقشها وصورها في تصوير الآلهة بل هو مصنوع من الزمرّد والأحجار الكريمة  
وهيئة من ابتداء رأسه إلى سرقته على شكل خروف ولما وصل الملك إلى داخل الهيكل أمره رئيس  
القسس بأن يقدم نفسه أبنا إلى جوبتير وقال له إن الإله نفسه هو الذي منحه هذا الاسم فقبله إسكندر  
مقاتله مع غاية السرور والابتهاج واعترف بأن جوبتير أبوه ثم أنه سأل القسيس هلا أبوه جوبتير أفاض  
عليه ملك الدنيا عموما فأجابه القسيس قائلا مع التملق وزيادة الفخفة نعم يلزم أن تلك الدنيا بأسرها  
ثم سأله أسئلة أخرى يطول شرحها فيما يختص بعلم مقداره وما تؤول إليه حاله فأجابه أن سيكون له  
مقعد بين الآلهة فقرب إسكندر الأقربان وذبح الذبائح وأهدى للإله هدايا نفيسة بجهة وكذا أفاض على  
القسيس الذي أجابه بمرغوبة هدايا واحسانات عظيمة

ولما تزين إسكندر بلقب ابن جوبتير وحاز لنفسه علواً في درجة فوق بني الإنسان كما قال له القسيس رجع  
قافلا من سفره منصورا مظفرا ومن ابتداء هذا الوقت صار إسكندر يوقع على مكاتيبه وأوامره بهذا  
التوقيع وهو إسكندر ابن جوبتير آمون وبمجرد عودته من الهيكل ووصوله إلى بالوس قرى بوطيس وكانت  
قرية من جزيرة الفنار خض مسرعاً لزيارة مدينة بنته الجديدة ورؤيتها وكانت عمارتها أخذت في التقدم  
فبذل جهده في إجراء الطرق الممكنة له في توطينها وإسكانها فدعا إليها الناس من كل فج عميق ومنحهم

بشروط مفيدة لهم وجلب اليها من اورشليم جماعة من اليهود ومنحهم بامتيازات جليلة ولم يتركهم معنوقى الحرية في دينهم وشريعهم فقط بل جعلهم على منوال واحد وقدم ثابت من الاحترام مع المقدونيين الذين سكنوها من طرف اسكندر ثم رحل منها الى منف وفيها قضى فصل الشتاء وذكروا و أن الوقت الذي شيد فيه اسكندر مدينة الاسكندرية تظهر فيه استعمال الورق المعد للكتابة في مصر

وأصلح اسكندر في المدينة التي لبثها في منف جميع أحوال الاعمال والادارة الداخلية وتنظيم العساكر في الديار المصرية وقسم المملكة الى كور وعين في كل كورة نائباً يجرى اجرا آتة حسب الاوامر الصادرة له من نفس اسكندر واطمان على سلامة عساكره في هذه المملكة المعروفة وجعل قيادة العسكر لحاكم واحد وأما الحكومة المدنية الداخلية فانه عهد بها الى واحد من امراء المصريين وسلمه زمام الشوكة والحكومة فاصداً بذلك أن مصر يلزم أن تكون محكومة بقوانينها وعوائدها القديمة وكان على رأى أن الوطنى المصرى الذى تعهد اليه الحكومة هو الذى يكون صالحاً وأهلاً لزيادة عن كل غريبهما كانت درجته وعين لاجل سرعة بناء المدينة الجديدة واحداً اسمه كليومنس ناظر عليها ومن وظيفته أيضاً جمع الخراج اللازم دفعه من طرف البلاد العربية فكان كليومنس هذا أخطأ الخاطئين وأقبح المذبحين في ادارته وظلمه وأضر بأحوال الامة والتعدى عليها

ولما فرغ اسكندر من توطيده الاعمال وتنظيمه الاحوال في مصر سافر منها في فصل الربيع متوجهاً الى الشرق ضد دارامات الفرس وسند كرتاريخه في تاريخ الجريس ان شاء الله تعالى

وفي المدة القليلة التي لبثها اسكندر في مصر غير جميع هيئة تاريخها حتى عوائد الامة المصرية ورمى اساسات سعادة المصريين في الحال ومجدهم في الاستقبال وجعل الاسكندرية عاصمة الديار المصرية وأسبل عليهم اسنافع وفوائد الحضارة الجريفة والتمدنات الغربية فانتشرت هذه الحضارة والتمدن بسرعة بين الامة المصرية وبواسطة هذا التغيير دخلت مصر في دور جديد وأمرأ كيد في المعاملة مع الباقي من عالم الكون وصارت طرق اجرا آتة او وسائلها التجارية مقبولة عند القسم الاعظم من الامم والتزم المجلس المقدونى الجريقى التوطن والاقامة في داخل الاسكندرية وفيما جاورها من الضواحي واستمر سكان داخل المملكة على ما كانوا عليه من لسانهم وديانهم وعوائدهم متمعين بالاحتلال في مواطنهم ومساكنهم لا يعمهم فيها نصب ولا يقوم فيما بينهم شغب وصار لهم حواس غريبة وادراكات ليست بعيدة بل قريفة ومالوا كل الميل الى عالم الدنيا الغربية بسبب اشتراكهم مع الجريقى وصاروا تبعاً برغبة أنفسهم لا برغم أنفسهم لاسكندر والبطالسة من بعده واشتعلت في قلوبهم نار الغيرة والحمية في أشغال التجارة ونبتت فيهم مغارس الآداب حتى صيرت الاسكندرية إحدى المدائن الكبيرة الباهرة بعلومها وفنونها على وجه الارض

وبعجدهموت اسكندر في سنة ٣٢٣ قبل الميلاد تخصصت الأقاليم الافرقية بطليموس لاغوس وقت تقسيم مملكة اسكندر بواسطة مجلس عقد من قواده فاستلم بطليموس لاغوس في الحال حكمه وكان يمتنى من قبل أن تكون مصر من قسمه ونصيبه فعكف نفسه على سير الادارة فيها وتنظيم أحوالها وحدد حدودها وكذا حدد فتوحاته الى أقاليم كذا بحيث يتيسر له الحصول على التغلب عليها من غير أن يقع في مخاطرات بحسمة وبواسطة ما أجراه بطليموس في مصر من الاشغال والاعمال جعلها جزاً من ميعاد حصنا



حصينا وأزال عنها شبهة الطمع والاعراض حتى أبعد عنها مغبضيه ورد كيدهم في نحرهم من جهة ما كانوا فيه وكان جل مسعاه وما يتناهى أن يجعل مصر دولة بحرية وسلطنة قوية وفي هذا الغرض استحصل على ما كان يرجو وزيادته وحصل له الظفر والنجاح والسعادة ورأى أنه لاجل توطيده هذا الأمر من الضروري التغلب على فلسطين وفينيقية لأن أهلها فضلا عما يحتاج لهم في شغل المراكب والاساطيل أمة أشد قوة وأعظم مراسا في الملاحة من غيرهم ثم من بعد مدة حصل فيها النجاح تارة والخيبة أخرى صار عقد صلح في سنة ٣٠١ قبل الميلاد عقب واقعة حصلت في أفسوس فتقرر لبطليموس في هذا العقد الاستحواذ على فلسطين وفينيقية وأما ما كان جاريا فيه من السعي والاجتهاد في استحصاله على جزيرة قبرص فإنه لم يحصل فيه فصل ومن بعد أن صرف منصاريف جثة من الدماء والاموال تغلب على جزيرة قبرص وجعلها تابعة للمملكة المصرية

وكانت المملكة التي أسسها بطليموس سلطنة مطلقة مستبدة وذلك أنه لم يغير فيها شيئا من قوانينها القديمة ولا شرائعها التي جرت الاحكام عليها من زمن قديم ولا الطريقة الادارية للمملكة وكانت السلطنة جميعها محصورة في يد المقدونيين وضباط الجريق وكان الجيش الثابت أيضا من باجيجهم من المقدونيين والجريقيين

وكان نفس بطليموس محبا صادقا وأخا موافقا غير منافق للعلوم والمعارف فأسس دار الكتب التي كانت مشهورة في الاسكندرية وحض علماء الدنيا على الحضور عنده والجلوس في سرايته ونشر العلوم والمعارف وحث على تعلمها والمواظبة على مطالعتها وتدريسها وصارت الاسكندرية تحت ارشاداته العظيمة واجرا أنه المفيدة الكريمة العبد والساطع والبرق المضي الالامع لا تئنة في الآداب والفنون والعلوم وحلى بطليموس عاتمة بعدة مبان جليلة فكان أجملها وأعظمها السراى الملوكة ودار المجائب والفنار الشاهق البنيان المصنوع من المرمر الأبيض وجعله لدخول المينة وكذا القبر الذي دفن فيه جثته اسكندرا لا كبر المشهور الآن في مدينة الاسكندرية بالنهى دانيال وهيكل سرايس والايديروم وامتدت سلطنة بطليموس لاغوس الى القرن الثالث قبل المسيح ومات في سنة ٢٨٣ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة وتسعين سنة

وصار بطليموس الثانى الملقب فيلادلفوس ملكا وحيدا في مصر بعد موت أبيه في سنة ٢٨٣ قبل الميلاد وكان عمره ستا وعشرين سنة وكان على جوده من التهذيب والتربية بواسطة العلماء الذين جمعهم أبوه عنده في سرايته ومن ثم صار محبا فاضلا للعلوم والآداب وفي مدة سلطنته في السنة الاولى مناهت عمارة برج الفنار المشهور في جزيرة الفنار بالاسكندرية لحد الآن وكان هذا البرج من ضمن عجائب الدنيا السبعة وذلك أنه كان بناء جسيما من ربع الشكل من حجر المرمر الأبيض وفوق قمته تشعل النار على الدوام لا لاجل استدلال المراكب على خط سيرها ودخولها في داخل المينة وكانت تكاليف عمارته ٨٠٠ وزنة من الذهب أى ٢٠٠٠٠٠ جنيه استرلينة وكانت جزيرة الفنار مفصولة في الاصل من أرض القارة بمسافة قدرها نحو من ميل انكليزى فصار توصيلها بالبر الاصيل بواسطة جسر وأثار هذا الفنار موجودا لحد الآن في نفس الجزيرة واستمرت حتى جعلها الاساطان قايتباى قلعة عظيمة وأحاطها بالاستحكامات والاسوار وأصلح جسر ها ثم تخربت واندرت واستمرت الى زمن محمد علي باشا صاحب مصر فصار ترميم استحكاماتها وأصلح الجسر الموصل لها وركب في داخلها المدافع

والهوانات ولم يتطرق الى الثمار بل أمر بإنشاء آخر في جزيرة رأس التين المجمعول الآن دليلاً للبراك في دخولها الى المينة لحد الآن أي سنة ١٨٩١ بعد الميلاد

وفي نحو هذه المدة صار جاب تمال سرايس من مملكة بونطوس على سواحل البحر الاسود الى الاسكندرية وكان بطليموس رأى رؤيا منامية حدث فيها على طلبه فأرسل رسولا من طرفه الى ملك سينوب من أعمال بونطوس يطلبه منه وكان هذا التمثال محفوظا عنده فلم يقبل ملك بونطوس تسليم التمثال للرسول واستمر الرسول منتظرا تسامحه التمثال اليه مدة سنتين حتى قحط أهل سينوب وأذربهم الجوع وجهدوا جهدا شديدا من القحط فرضوا بالتنازل عن هذا التمثال لبطليموس وأخذوا بدله أصنافا من الحبوب والغلال يصرفونها في مأكلهم أرسلها اليهم بطليموس وعند حضوره هذا التمثال الى الاسكندرية وضعه بطليموس في محل من خرف كان اسمه راكوطيس ثم أطلقوا عليه اسم سرايس وشيد له بطايموس في هذا المحل هيكلًا من خرقا من أنخر اليها كل وأعظمها وأطلق على هذا الهيكل اسم سرايوم وقالوا ان هذا الهيكل كان أجلها كل الدنيا على الاطلاق ما عدا كاييتول رومه وشيد في هذا الهيكل دار كتب صار لها شهرة وسعة مع توالي العصور وتبادل الأزمان بالنسبة لما كانت محتوية عليه من الكتب العديدة ذات المقدار والقيمة

وكان بطليموس لا غرض في مدة حياته على نباهة وتيقظ تام من أن يحيي نفسه حياة طيبة ويشهر نفسه بالأدب والعلوم كشهرة اسكندرا لا كبر في الفروسية والحروب الآن وقته فات وكبر سنه وشاخ لكنه لا يحل غرس شجرة الأدب والعلوم في مملكته المحبوبة لاديه أمر بتأسيس دار العلوم في الاسكندرية وجعلها مقر الجمعية من علماء الرجال عكفوا أنفسهم على مطالعة علم الفلسفة وتدريسها ومطالعة وتدريس جميع العلوم الاخر مثل الحالة الجارية الآن في مدينة باريس ومدينة لوندون ورتب لهم من أجل ذلك دار كتب جليلة جمعها من الاتفاق وزاد فيها خلفاؤه من بعده حتى بلغت الكتب مبلغا جسيما نحو ما من ٧٠٠٠٠٠ مجلد

وكان بطليموس أمر بتشييد دار المعارف بالقرب من سرايته الملكية وفيها دار الكتب وكان العالم ديمتريوس فاليريوس أول من قصد بطليموس فلبث عنده في غاية الجلالة والاحترام وقيل انه هو الذي حرضه على فعل ذلك وذكر سطرابو أن ديمتريوس المذکور كان رئيس جمعية الاعلام وناظر الكتبخانة وأنه هو الذي عرض الى بطليموس في انشائها وكان عرضه له أن قال للملك انه من الاجود لذاتكم البهية تشييد دار كتب تشتمل على آداب ومعارف تختص بالادارات السياسية الداخلية والخارجية ومعارف الحكومة والادارة المقلد بسيا دتكم زمامها وتشتمل على حكم ونصائح ورفائق تعود منها المنفعة على الملك وتكون هذه الكتب للملك أشبه بمجلس معه تعرض له ما لا يعرضه أحد قاوره وأجابوه اليه وتكون هي المجاهدة الوحيدة في ادخال الحق على الملوك وتريهم تحت أسماء مائة مائة ما يجب عليهم اجراؤه من الواجبات الحققة وتبعدهم عن الاعمال الباطلة المذمومة فالتفت الملك الى هذه النصيحة الجليلة وامتلأ قلبه بالسروور منها ومن عذوبة ما عرضه عليه ديمتريوس وشرع في الحال في جمع هذه الكتب وشيدها دارا مخصوصة في دار العلوم وكان ديمتريوس المذکور من أكبر علماء وقته ومن أكبر رجال السياسة ومن أجل المقربين عند بطليموس وكان بطليموس على ثقة تامة منه حتى كان يستشير في كل أموره فاستشاره يوما في منح الوراثة والجلوس من بعده على تخت وكان بطليموس لا غرض



قبل ذلك بعد أن تساطن عشرين سنة في مصر ملكا وذلك من بعد موت اسکندر الاكبر بتسع وثلاثين سنة تقريرا فرغب أن ينقل رياسة ملكه الى بطليموس فيلادلفوس (محب أبيه) أحداً أولاده من رئيس وكان عنده أيضاً عدة أولاد من زوجات أخرى منهم بطليموس الملقب سيرونوس أي الصاعقة كان ابن زوجته اسمها عوريديس بنت انطيطا طيرملا مقدونيا بعد اسکندر وكان الصاعقة هذا بكري أولاد بطليموس فيلادلفوس وهو المستحق للتاج والملوك كية من بعد موت أبيه الا أن رئيس أم فيلادلفوس وكانت هذه جاءت مصر مجرد صحبة مع عوريديس وقت زواجها بطليموس لا غوث فلما رأى ما هي عليه من جمال الذات سلبت عقله وأضعفت جسمه فتزوج بها و مال بكليته اليها ورفع من تبتهاوزين حليتها وصارت تحت أمرها وطاعتها فولدت له بطليموس فيلادلفوس وأمرته أن ينظر اليه ويفدق بالاحسان عليه زيادة عن أولاد الزوجات الاخر فتأمل في نفسه ونظر واختار لنفسه ما يكون بعد موته أجل وأشهر ويمنع المشاحنات والحروب التي ربما تقع بعد موته بين أولاده حيث أن حصول ذلك قريب ليس بعيد لانه كبر في السن وبلغ من العمر الثمانين و كان أوانه وطار المنون أمام أجهنانه وعزم على أن ينزل عن التخت الى ابنه فيلادلفوس ويتوجه في حياته حتى لا يكون له منازع بعد

ولما استشار ديمتريوس فاليريوس في تنازله عن تخته لابنه فيلادلفوس نصحه بعدم تنازله وقال له انه لا يمكنه أن يتمتع بحياة طيبة بعده هذا التنازل ووعظه موا عظيمة كانت على غير طائل ولما رأى ديمتريوس ما المالك عليه من العزم وأنه صمم على التنازل مطلقاً نصحه وأرشده بأن يجري في انتخابه من أولاده ما يكون أهلاً للخلافة من بعده وأن يكون الابن الاكبر هو المستحق للخلافة حسب الجاري عند جميع الامم بالقوانين الشرعية وبهذا تكون هذه الوظيفة والانتخاب محصوراً في ابن عوريديس زوجته الاولى الا أنه لما كانت رئيس متغلبة على المالك بكليتها آل أمر هذه النصيحة بعدم مدة قليلة بالويل والنبور وعظام الامور على ديمتريوس فاليريوس ومات بطليموس لاغوس من بعد مضي سنتين من تنازله عن ملكته لابنه فيلادلفوس وخاف من بعده الشقاء الجليل والفضل الجليل والحزم والعدل والرأفة أمثلة قلدها من جاؤا بعده وعمل لابنه موكباً في وقت تنويعه في مدينة الاسكندرية بهم عقول المتفرجين واستغرب من هيئته اجرائه الواردون وكان يوماً مشهوداً ما رأت الامم المصرية ولا أمة من الامم الاجنبية مثل هذا الموكب وان شئت بوصفه كتب التواريخ ولا روم لذكروها

وترك بطليموس عنده موته في دار الكتب نحو من ١٠٠٠٠٠ مجلد وكانت هذه الدار بحرى ترتيبها على هذا الوجه المشروح وذلك أنه صار القبض على جميع الكتب التي وردت الى مصر وجلبت الى دار الكتب من أربابها ثم نسخت هذه الكتب بواسطة نساخين مستعدين في دار العلوم لهذا الصدد وسلمت النسخ الجديدة الى أرباب الكتب وحفظ في دار الكتب النسخ الاصلية القديمة ثم استعار بطليموس أورغيطيس كتباً ونسخاً كانت عند سقوكليس وعوطر بيبديس وعسقلانوس وغيرهم من أهل أثينة ومن بعد أن أمر بنسخ هذه الكتب والنسخ بأجود خط على قدر الامكان أعاد لهم النسخ الجديدة وحفظ في دار الكتب النسخ القديمة وأعطى لهم في نظير ذلك ١٥٠٠٠ كرون ولما بلغ مقدار عدد الكتب الموجودة في دار الكتب بدار العلوم نحو من ٤٠٠٠٠٠ مجلد وصارت هذه

الدار غير كافية لوضع كتب أخرى جديدة بتدوينا في أن يضعوا الكتب الزائدة في هيكل سرايوم في دار  
كتب أخرى شيدت من أجل ذلك وكانت هذه الدار الأخيرة تسكنة للدار الأولى وبهذا أطلق عليها اسم  
بنتها أي أن الدار الثمانية بنت الدار الأولى وبمرور الزمان عليها وورد الكتب إليها الواجب فيها نحو من  
٣٠٠٠٠٠ مجلد ثم تولد من حرب القيصير مع أهل الاسكندرية مدة كليبوطره وسند كره بعد أن  
سقطت نيران المتحاربين على دار العلوم ودار كتبها بما أنها كانت مجاورة للسراية الملوكية ففرقت دار  
العلوم ودار الكتب جميعا بما فيها من الأربعمائة ألف مجلد ولم ينج منها شيء وأما دار كتب سرايوم فإنه  
لم يصيبها شيء واستمرت على ما هي عليه حتى وضعت فيها كليبوطره ٢٠٠٠٠٠ مجلد من دار كتب  
مدينة بروجاموس كان أهـداها إليها انطوني وبواسطة أهـذا الكتب مع ما ورد إليها قبل صيرت دار  
الكتب الجديدة في الاسكندرية أكثر عددا وجلالة من الأولى ثم وقع النهب والسلب فيها والخطف  
منها في أثناء الفتن والحزن والثورات التي حصلت في مدة غلبة الرومانيين على مصر إلا أنها ما زالت  
باقية على رونقها مدة عصور نالت عليها إلى القرن السابع بعد الميلاد فذاقت وبال أمرها مع أهل  
عصرها وحرقها العرب عند ما تغلبوا على مدينة الاسكندرية في سنة ٦٤٢ بعد الميلاد وكان السبب  
الاصلي في حرقها أن العالم حننا الملقب بالنحوي اتفق أنه كان موجودا في الاسكندرية وقت تغلب  
العرب على المدينة وكان حننا هذا معتبرا موقرا عند عمرو بن العاص قائد الجيوش الاسلامية بمصر  
فتلطف له حننا في الكلام وعرض له أن يفتح دار الكتب بالاسكندرية اذ لا لزوم لها عندهم فأجابهم عمرو  
بأنه لم يكن له طاقة ولا في يده قدرة على أن يفتح أهـذا الكتب بالاسكندرية الا أنه لا بد من كونه يكتب للخليفة  
ليأمره بما يجب اجراؤه في شأنه وأنه لا يمكنه أن يجري فيها شيئا مضادا لأمره وعلى أهـذا كتب عمرو بن  
العاص إلى الخليفة عمرو بن الخطاب ما الذي يجب في شأن أهـذا الكتب فأجابهم عمرو رضي الله عنه بأنه  
إذا كان ما في أهـذا الكتب عين ما في القرآن من الاحكام والعقيدة فلا لزوم لها والقرآن فيه الكفاية  
لنا وإن كان ما فيها مخالفا لما في القرآن فنلزم دمارها وتلاشيها وبناء على أهـذا الامر أمر عمرو بن  
العاص بحرقها في لهب النار من دون أن يتطرق اليه أو يجري البحث والفحص فيما كانت تحتوي عليه  
هذه الكتب من المنافع وأمر لاجل سرعة حرقها وتلاشيها بأن يجري توزيعها على الحمامات العمومية  
الاهلية فكثوا ستة أشهر يوقدون بها الحمامات بدل الانخشاب وأصناف القمامات

ولما جلس بطليموس فيلادلفوس على كرسي الأريكة المصرية وصار سيدا على جميع الايالات التي  
كانت تابعة لها وهي على ما قيل فينيقية وسوريا الجنوبية وبلاد العرب وليبيا أي برقة والحبشة وجزيرة  
قبرص ونيقية وصيدا وصيدا وكاريه ومجموع جزائر السكلادة وصات الاسكندرية في مدة سلطنته  
إلى أقصى درجات الكمال في الادراك العقلية والنقلية و زاد زيادة جمة في دار كتب الاسكندرية ونظم  
وأصلح دار الكتب الصغيرة التي كانت موجودة في سرايوم ودعا علماء الرجال إلى سرايته من جميع  
بقاع العالم وشرع في عمل أشغال جليلة المقدر على حسب رغبته وتحت محبته وكان أجل هذه  
الأشغال وأهمها هو ترجمة الكتب المقدسة العبرانية من اللسان العبري إلى اللسان الحريق وبواسطة  
ترجمة أهـذا الكتاب المقدس اكتسب البطالسة درجة علو المقدر في العالم الانساني وكان الشروع  
في ترجمة هذه الكتب المقدسة في مدة سلطنة بطليموس فيلادلفوس واستمر هذا الشغل جاري في خلال  
سلطنته عديدة من خلفائه وهذه الترجمة تعرف بالترجمة السبعينية إما بسبب أن مترجميها كانوا





خفر قوى الى قلعة بعيدة وأمر بسجنه فيها حتى يتم رأيه في أمره فانتهت هذه الحالة بموت هذا الفيلسوف الذي كان يستحق الجود والكرم ولا يؤاخذ بما نصح به الملك من الذنب في حال الهرم وكذا أمر بقتل اثنين من اخوته وكان فيلادلفوس متزوجا أرسينوى بنت ايمصيمافوس ملك ثرائة فولع بعشق أخته أرسينوى وكانت زوجة أخيه غير شقيقه سيروفوس (الصاعقة) فطلق زوجته الاولى ونقاهها الى قفط من أعمال صعيد مصر وتزوج بأخته واستمر ملازما على محبتها اياما مشغوقا بعشقه اياها مع أنها ما ولدت منه ولدا الا أنه لم يعيش بعد ذلك مدة طويلة بل مات بمرض حصل له في سنة ٢٤٧ قبل الميلاد بعد أن تسلط ثمانيا وثلاثين سنة ملكا وحيدا في مصر لا ينازعه أحد في ملكه

ثم ان بطليموس الثالث الملقب اغورطيس أى المحسن خلف أباه وكان ابن الزوجة الاولى لبطليموس الثانى وكان فيه اقدام وشجاعة زيادة عن أبائ جنسه من الملوك وترك السياسة الدفاعية التي كان جاريها عليها أبوه وجده ودخل في عدة فتوحات أحياها بالمظاهر القديمة والافتخارات التي كانت مصر فيها مستديرة فأضاف كثيرا من الاراضي والبلاد الى مملكته وبواسطة زواجه بريس بنت ماجاس ملك صربقية وكانت ولاية عهدا بينهما من بعده صار ملكا على صربقية في ظرف سنة أو سنتين من بعد جلوسه على التخت وأشعل حربا على سوريا التي نتج من أخته بريس وكانت خرجت من عصمة انطيوخوس ثم قتلها كيوديبي وفي سنة ٢٤٥ قبل الميلاد سار اغورطيس الى سوريا وتغلب على أنطاكية وبعدها عبر بجيوشه الفرات وأخضع ميزوپوتاميا (العراق) وبابل والسوسة وميديا وفارس وانقادت له الاقاليم الشرقية الى حدود بلخ أى باقطريانه وبينما كان هو مشغولا بهذه الحروب أخرج اسطوله البحرى سواحل آسيا الصغرى وثرائه ثم رجع اغورطيس قافلا الى مصر على غاية من العجلة بسبب ما حصل فيه من القلاقل والاضطرابات الشديدة وضاع منه في الحال جميع فتوحاته الشرقية وذلك ان ملك سوريا استردها ثانية لنفسه ولم يبق مع أغورطيس الا السواحل البحرية لان الشوكة البحرية لبطليموس كانت قوية جدا وبالاستطول البحرى صار له طاقة على ضبطها والحفاظة عليها وكانت جميع مملكته في هذه الحالة متمسدة في طول البحر الابيض المتوسط من ابتداء صيرنةيا الى بوغاز الهلسبون أى الدردانيل وهو جنا قلعة الآن داخل فيها قسم من ثرائة وعدة من جزائر البحر الابيض المتوسط وفي نحو غلاق سلطنته صار ملكا على قسم من الساحل الغربى من البحر الاحمر وقطعة من بلاد الحبش واشترك في الحروب التي كانت جارية في الجريس معصدا في مبادئ أمره التحالف الاخوانى الى أن دخل في شروط مع انطجنوس وقت مساعدته كليمونس صاحب اسبرطة على الاتحاد وفي مدة هذا الحرب هزم الاسطول المصرى اسطول انطجنوس بالقرب من أندروس واستمر اغورطيس في علاقات ودية مع رومة لكنه لم يقبل من جمهورية رومة المساعدة التي عرضتها عليه الجمهورية المذكورة بخصوص حرب سوريا والظاهر انه كان متراعا وخائفا من طمع الرومانيين فيه وكان اغورطيس محبا أيضا للعلوم والفنون ومات في سنة ٢٢٢ قبل الميلاد بعد أن تسلطت سلطنة سامية استمرت خمسة وعشرين سنة وكان آخر كابر الملوك المقدونية وعظمائهم في مصر وبلغت هذه المملكة تحت سلطنته ذروة سنام الشوكة والنجاح وأعاد عليها الثروة والفلاح وكان الذين خلفوه من بعده على غاية من الضعف والرزية وعدم الاهلية وسوء التدبير بالكلية

وخلف بطليموس الرابع أباه وبجائه كان متهما في قتله لقب نفسه بقلب قيلاو باطير أى محب أبيه لاجل



ازالة هذه الشهادة عنه ومع ذلك فانه ابتداء في سلطنته بقتل أمه وأخيه وعمه وتزوج أخته أرسينوى ثم قتلها من بعد مضي بضع سنين بعد أن ولدت له ولدا وارث تخته وكان ملكا عساية فاجرا قليل الادب من تكب الفساد شهواني الطباع وكان تدبير المملكة جاريًا بواسطة وزيره سوسينيوس وكان أخبث وأضل من أسناده في المكر والاعمال الادارية ومن سير الاعمال على هذا المنوال قويت شوكة انطيوخوس الثالث صاحب سوريا وعزم على ارجاع ممالكه واغتصاب فلسطين وفينيقية من تحت يد مصر وأمر بالاستعداد برا وبحرا بقصد انتشاب الحرب بينه وبين المصريين وعهد قيادة اسطوله الى ديوغنطيس أميراله وجعل نفسه قائدا لجيشه البري ولما رأى ذلك بطليموس استعد هو أيضا وعهد الرئاسة الكبرى لجيشه الى قائد اسمه نقولوس مدرب في الحروب والوقائع وأظهر دلائل عديدة في حروب شديدة على استعداداته وأهليته لهذه الرئاسة وأصدر له أمرا بأن يجري الاجراءات الواجبة على الملك في حفظ الاقاليم الجارية فيها الحرب وعهد قيادة اسطوله الى بريفيس وأمره أن يجري أعماله على العدو وحسب ما يجب عليه في حفظ وطنه فعين نقولوس مدينة غزة لجمع جميع الجيوش المصرية ونقطة حربية لارسال الذخائر والمؤنات المصرية ولما وصل نقولوس الى غزة واجتمع عليه عساكره سار منها الى جبل لبنان وأبلان وأمسك جميع المضائق والممرات والبوغازات والدروب المحصورة بين هذه السلسلة الجبلية وبين البحر الأبيض المتوسط اللازم مرور انطيوخوس منها وصمم نقولوس مع الثبات والشدة على انتظار انطيوخوس في هذه المواقع وتوقيف سيره وتقدمه واستمر على ضبط هذه المواقع المستحكمة وأما الاسطولان المصري والسرياني فكان كلاهما تابعا في سيره حركة جيشه البري في جهات الساحل وبهذا تقابل الاسطولان والقوى البرية عند المواقع التي كانت مضبوطة بواسطة نقولوس وبينما شرع انطيوخوس في الهجوم على نقولوس من البر اذا اشتغلت نار الحرب بين الاسطولين في البحر وبهذا كان الحرب جاريًا برا وبحرا في آن واحد فأما في البحر فان كلا من الاسطولين لم يحصل منه غلبة على الاخر وأما في البر فان انطيوخوس اكتسب الظفر على نقولوس وألزمه القهقرة الى صيدا بعد أن أتلّف من عساكره نحو ٤٠٠٠٠ نفس قتلوا وأسرا فتبعه بريفيس بالاسطول الى صيدا وسار خلفهم انطيوخوس الى تلك المدينة عازما على ضربهم فيها ومحاصرتهم ولما رأى انطيوخوس أن التغلب على هذه المدينة غير متيسر له وتولد منه مصاعب ومتاعب وتلفيات جسيمة لكثرة ما فيها من العساكر والذخائر صرف النظر عن محاصرتها وأرسل اسطوله الى صور وسار هو ونحو غاملي ومن بعد أن تغلب على هذه الجهة عنوة بالهجوم على مدائنها برنهر الاردن الى جلعاد وتغلب على تلك الاراضي والبلاد وأنخن في أهلها ولم تأخذ شفقة في ناسها وسكانها وكانت هذه الاراضي كما ذكرنا سابقا وراثية لاسبطى روين وجاد ونصف سبط منشا الامجاد

ولما رأى انطيوخوس أن الوقت غير صالح للتحروبه والاطالة فيها عادم من طريق نهر الاردن وعهد حكومة سمارية الى هيولوخوس وكرياس وكانا فرما من خدمة بطليموس والتجأ اليه وأعطاهما ٥٠٠٠ نفس لاجل حفظ واستمرار هذه الاراضي تحت طاعته وسار بما بقي معه من القوى عابدا الى بطليموسية (عكا الآن) فقتل فيها معسكره فصل الشتاء وفي فصل الربيع ابتداء الحرب ثانية فأمر بطليموس بجمع ٧٠٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٥٠٠٠ فارس و ٧٣ فيل في نواحي مدينة بلوزة (الفرما) وجعل نفسه قائدا لهذه القوى وسار بهم من وسط الصحراء الفاصلة لمصر من فلسطين وعسكر في رافية

بين العريش وغزة وبين هاتين المدينتين تقابل الجيشان وكان جيش انطيوخوس في العدد قليلا  
عن جيش بطليموس وكانت قوى انطيوخوس مركبة من ٧٢.٠٠٠ نفس من المشاة و ٦.٠٠٠  
فارس و ١٠٢ فيل وعسكر في مبادى أمره على مسافة عشرة فراسخ من جيش بطليموس ثم تقدم حتى  
صار على مسافة خمسة فراسخ منه واتفق انه كلما تقارب الجيشان من بعضهما كانت المناوشات  
وازدادت الملاطعات والمنازلات خصوصا بين الذين يتوجهون بليل المياه والذين يذهبون لجمع حطب  
الحريق وكذا بين الذين يرغبون أن يشهروا نفوسهم في الكروا والقر والضرب في مثل هذا الحرب  
ثم اتفق أن شخصا اسمه طيودوطوس العبطولياني كان مستخدما سابقا في الحكومة المصرية بجهة  
من السنين فدخل طيودوطوس في معسكر المصريين في ليلة حالكة ومعه شخصان فقط ولم ينتظره أحد  
من المصريين وسار حتى وصل الى خيمة بطليموس فاصدا قتله وراحته العالم منه وانفضاض الحرب بقوة  
جسارته فن سعادة الملك انما كان موجودا في الخيمة في تلك الليلة فقتل حكيماشى الملك طانا انه  
بطليموس وجرح شخصين آخرين ونجا بنفسه هاربا في ظلام الليل لما رأى من كثرة الانزعاج والغاغة  
فلما عزم الملك ان على فصل حربه او انه نضاض وقائعهما وصفا جيوشهما في ميدان الحرب وركب  
كل منهما واطاف في جيوشه يقويها ويوقع الغيرة والحماسة فيها وكانت أرسينوى أخت بطليموس وزوجته  
غير منشحة الصدر من قلة العساكر الموجودة أمامها في ميدان الحرب لكنها ما تركزت زوجها طرفة  
عين حتى في أثناء اشتعال الهيب نار القتال ونزيع غراب البين وكانت نتيجة هذه الواقعة أن هجم  
انطيوخوس وكان قائد الجناح الايمن لعسكره على الجناح الايمن لعسكر بطليموس فهزم هذا الجناح  
وكسره وسار خلفه بحركة هجوم شديدة وغيره وحماسة عديدة وكذا هجم بطليموس على الجناح الايسر  
من عسكر انطيوخوس فبعد دشملة وهزيمته شريفة وأمر قلب جيشه وكان فيه اوطحجنوس القائد  
بحركة الهجوم على قاب عسكر انطيوخوس فانكسر أيضا قلب جيش انطيوخوس وصار لا طاقة للالك  
على خلاصه أو ارسال مدد له فرأى واحدا من الضباط القديمة وكان مع انطيوخوس علوا الغبار والقمام  
فقال لانطيوخوس ان القاب انكسر فصار ينظر الى عساكره ولم يمكنه مداواة ما حصل منه من الغلط  
وقت اجراء حركته ورأى أن الباقي من جيشه شرعوا في الهرب والفرار انجبر هو أيضا على أن يصلح  
خطر رجعتة ثم تقهقرا الى رافيه ومنها الى غزة بعد أن فقد من جيشه ١٠.٠٠٠ نفس قليل و ٤٠٠٠  
نفس أسير ولما وجد نفسه انه لا طاقة له على البقاء في تلك الاراضى أمام بطليموس ترك جميع فتوحاته  
وتقهقرا الى نواحي أنطاكية بمابقي معه من عساكره وتغلب على مينة أنطاكية في سنة ٢١٧  
قبل الميلاد

ومن بعد تقهقرا انطيوخوس وهزيمته خضعت جميع سوريا الجنوبية و فلسطين مع الحجة والمعزة  
لبطليموس وانضموا اليه زيادة عن انطيوخوس بسبب أن هاتين الايتين كانتا من مدد مديدة تحت  
الاحكام المصرية وامتلات خيمة النسخ بازدهام نواب عموم مدائن تلك البلاد ليدقروا طاعتهم اليه  
وخضوعهم لديه ويقدموا له أيضا ما معهم من الهدايا الجميلة فقابلهم بالكرامات الجلية وشرح  
صدورهم وأزال عنهم سوء فكرهم

ورغب بطليموس في حصول درجة التقدم في الاقاليم التي فتحها فزار مدائنها ومن جانتها زار مدينته  
أورشليم وزار المعبد الموجد فيها وأمر بتقريب القربان الى اله بنى اسراييل وأهدى للمعبد هدايا



نفيسة جنة ومع كونه دخل في محال كثيرة من المعبد تفرج فيها لم يدخلها قبلة انسان رغب الدخول في المعبد الا كبر حتى في معبد قداس القداسة نفسه وكان لا يجوز لاحد الدخول فيها ما عدا الخاطام الا كبر ويكون دخوله فيها كل سنة مرة واحدة في يوم عيد التكفير الا كبر فتولد من انتشار هذه الحادثة هيجان عظيم في الامة اليهودية وعرض له الخاطام الا كبر علو مقدار تقديس هذا المكان وأن الاوامر الالهية تحرم دخوله فيه ووقف القسس واللاذيون مصادر ين له في جمع كبير منهم لم يمنعه من دخول المعبد الا كبر فصرخ على الدخول وتولد من ذلك اضطراب وولولة ونوح في كافة محال المدينة بسبب ما سيحصل من نجاسة معبدهم وانتهال الحرم التي صار هو في هذا الوقت عرضة لها ورفع يهود المدينة أيديهم الى السماء وتضرعوا الى الله سبحانه وتعالى وابتلوا اليه في ازالة هذه المحنة الشديدة وكسر هذه الرأس العتيدة ومع ذلك كانت هذه المقاومات والمنازعات والنوح لم تزد في رأس بطليموس الاعنادا حتى توجه رغم أنفهم وأراد الدخول في المعبد وبينما هو داخل في معبد القداس اذ صرع بآية من عند الله أزبحته وأفقدت حواسه وخر على الارض صعقا فمعه أشبه بالميت وأخرجوه من المعبد وأوصلوه الى داراستقباله فترك هذه المدينة وقلبه مشتعلا بالنيران من جهة أمة اليهود بسبب ما ناله وما حصل له وتوعدهم بالانتقام وانه لا بد من أن يأخذ ثأره منهم وفي السنة التالية أوقع الظلم الشديد والبحور الفظيع على اليهود وبالأخص على اليهود المقيمين في الاسكندرية وشرع في أن يلزم هؤلاء ويجبرهم على الدخول في عبادة آلهة أخرى كاذبة وترك عبادة الههم

ولما عاد بطليموس الى مصر عكف على شرب الخمر وأدمر على الفجور وارتكاب الفواحش من الامور وترك المملكة لوزيره ومحاطيه حتى تولد من ذلك انتشار ثورة عامة بين المصريين رعاياه استمرت مشتملة النيران مدة عظيمة من سني هذه السلطنة وصرف بطليموس مصاريف جنة من الدماء والاموال في اخاد هذه الثورة ومع ما كان عليه قياو باطير من قبح الصفات كان محبا للعلوم والفنون وعمره يكلد باسم عمير الشاعر الحريقي ثم مات بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة في سنة ٢٠٥ قبل الميلاد أضحية لما أفرطه من لذاته في حياته ومن بعد أن تسلطن سبع عشرة سنة

وقال بعض الرواة ان الرومانيين كانوا يرسلون أحيانا رسلا فوابا عنهم الى بطليموس وكيلا بطرطه ولا شك أن كيلا بطرطه هذه هي الملقبة ارسينوى وذلك لاجل تجديدهم وصادقهم القديعة لمصر ومحبتهم وارتباطهم معها وكانوا يرسلون مع هؤلاء الرسل هدايا للملك والملكة فهدية الملك مقصورة على قيصر وجبة من الارجواني وعلى كرسى من خرف مصنوع من سن القمل وأما هدية الملكة فهي قيصر مزركش بالذهب وشاح من الارجواني ويمكن أن نعبر بلفظ بطليموس لكل ملك حاكم في مصر ولفظ كيلا بطرطه على كل ملكة حاكمة في مصر في دور السلطنة الباطيموسية

وكان لبطليموس قياو باطير من زوجته وأخته ارسينوى ولدا اسمه بطليموس أبي فانيس جالس على التخت من بعد موته وكان عمره خمس سنوات وقبل موت الملك قياو باطير استعفى الداهية سوسيميوس وزير سلطنته من وظيفة منه وخلفه فيها طيولينوس وكان شابا حاوي الصناعات الجميلة والاخلق اللطيفة واشتهر في الجديش بحسن ادارته وعاقب مرتبته وتوجهت اليه الاصوات في المجلس الذي عقد من أجل انتخاب الوزير الاول وتنازل له سوسيميوس عن ختم الملك وسلمه الختم في يده وذلك علامة قطعية على دخوله في الوظيفة فعكف طيولينوس نفسه على تأدية جميع الوظائف الواجبة عليه ودبر أعمال المملكة

وأشغالها في مدة خياة قيلول باطير ومن بعد مدة قليلة رأى هذا الوزير أن لاطاقة له ولا استعداد على تحمل  
أعباء هذه الخدمة الكبيرة الساسية وكذا رأى في نفسه أنه ليس فيه مهارة ولا نباهة أسلافه من الوزراء  
الأنه لما كان مباشر إدارة الماليات المصرية وحائزاً فوق رأسه شرف المملكة وعزتها وكان صرف  
المرتبات وغيرها جارياً به عرفته صار أرباب الوظائف العالية والسافلة يجلسون معه ويؤدون ما يجب  
عليهم من احترام خدمته ويرشدونه لما فيه الصواب العائد عليه وعائهم كما أنه كان على غاية من السخاء  
والكرم للشركين معه في ما يرغبه من الأعمال

فن كثرة ما كانوا يؤدونه اليه من التملقات الخارقة للعادة غاظت آذانه وكبرت نفسه وتشاخى بأنفسه على  
الباقين من أهل المملكة ودخل في لذاته وسار مع شهواته حتى صار لا منفعة فيه لاحد من رعايا  
المملكة

ولما تجرّع بطليموس قيلول باطير كاس الموت وخزجت روحه كان حاضر اوقت موته أغاسوكليس صهره  
وأخته زوجة الملك المسماة أغاسوكليه وخدمهما فأخفياموت الملك مدة ما قدر امكانها بقصد أنهما  
يجدان زماناً لجل جميع النقود والمجوهرات والاشياء الاخر النفيسة الموجودة في السراى واخفائها  
وصمما تصميماً ثابتاً في قلوبهما على استمرار ردو امها على الحالة التي كانا متعمين بها في مدة حياة الملك  
بكونهما يغتصبان الوصاية على الملك الصغير وينوبان عنه في المملكة وظناً أن هذه الحالة ممكنة  
الحصول والاجراء ان أمكنهما اخراج طبولينوس من وظيفته وطرده من وزارة المملكة ثم قرر افيما بينهما  
ما يجب اجراؤه في عزله من وظيفته وأشهراموت الملك للعموم فاجتمع في الحال مجلس من المقدونيين كان  
حاضراً فيه أغاسوكليس وأغاسوكليه أخته ومن بعد أن سكب أغاسوكليس عبرات دموعه على خدوده  
عرض متوسلاً الى المجلس حماية الملك الصغير الموجود على ذراعيه والحفاظة عليه وقال ان الملك أباه  
حال الغرغرة عهدا اليه الوصاية على أغاسوكليه هذه الموجودة في المجلس وأن يكون على صداقة تامة  
ووثيقة أكيدة للمقدونيين ثم عرض متوسلاً لارباب المجلس في مساعدته على طبولينوس الوزير لانه بلغه  
أنه باذل جهده وصار في همته في اغتصابه التاج والحكومة من هذا الملك الشاب الصغير وان عنده  
شهود يشهدون له بذلك يمكنه جلبهم أمام أرباب المجلس يشهدون ويثبتون ما هو عليه من الحياة  
والتدليس وأخذ في حض أرباب المجلس على عزل الوزير ونفيه من البلاد وظن في نفسه أنه بهذه الحيلة  
القبيحة الضعيفة يمكنه خلع طبولينوس في الحال ومن بعده يستحصل بسهولة على وظيفة النيابة الا  
أن هذه الحيلة كانت من الغلطات ومن أنواع الافتراء فاقسم الامة في الحال على هلاك أغاسوكليس  
وأخته وكنل عائلتهما حتى خدمهم ما ونشأ من هذه الفتنة تذكاراً ما كانا عليه من الجرائم القديمة  
فقام أهل الاسكندرية بجيها عليهما وأخذوا الملك الصغير من أيديهما وأجلسوه على أريكة المملكة في  
الايديوم ولقب بطليموس الخامس ثم جلبوا أمامه أغاسوكليس وأخته وعوثنتي أمه فأمر بقتلهم  
الثلاثة وأخذ الالهالى أجسامهم وفعلا فيها كل كريهة وجروهم في الشوارع والحارات وطافوا بهم  
العطف والازقات حتى من قوهم قطعوا وكذا جميع أقاربهم وخدمهم آلت عاقبة أمرهم الى هذه  
المصيبة ولم ينبج منهم أحد دخل في هذه الجريمة وصاروا عبرة لامثالهم ومن يحذو حذوهم ونوالهم

وكان بطليموس أيفانيس بن أرسينوى المقتولة فعهدت محافظته شخصه الى سوسينيوس بن  
سوسينيوس الداهية الذي كان وزيراً لمدة السلاطين الثلاث السابقة ولم يذكر لنا التاريخ هل كان أبوه



على قيد الحياة الى هذه المدة أم لا إلا أن المعول عليه أنه عاش عرا طويلا لأنه بلغ ما ينوف عن الستين سنة في خدمة المملكة وما وجد داهية في المكر واللداع وارتكاب الجرائم والبدع وأشد فظعا في الاعمال الادارية والسياسية أكبر منه ونسب اليه أشد الجرائم والذنوب والاهوال والكروب لكونه كان السبب في قتل ليصمياخوس بن بطليموس وأرسينوي بنت ليصمياخوس وماجاس بن بطليموس وبرنيس بنت ماجاس وبرنيس أم بطليموس قيلوباثير وكايومنس ملك أسبرطه وكان وصل مصر متجئا اليها وأخيرا كان سببا في قتل أرسينوي بنت برنيس ومن العجب أنه مع ما كان عليه من هذه الاحوال الفظيعة فإنه استمر متقدما زمام الحكومة مدة طويلة من الزمن وخرج أخيرا منها في سلم وسلام محفوقا بالاجلال والاکرام

وفي مدة حياة بطليموس قيلوباثير كان أنطيوخوس ملك سوريا وفيليب ملك مقدونيا على رغبة شديدة في الغارة على ممالك بطليموس إلا أنهما كانا يمتنعين عن ذلك من شدة قيلوباثير وقوته وكانا مساعدين له اتفاقا على أعماله وأشغاله ثم لم يرض قليل حتى مات قيلوباثير وترك ابنه طفلا صغيرا لا تجوز الطباع البشرية ولا الاحوال الدنيوية وقوع الارتباك في ممالك أيهما أسرع ككونهما دخلا في معاهدة جنائية مع بعضهم وحرص كل منهما الآخر على قلب هذا الوارث الشرعي والاستحواذ على ممالكه وتقسيمها بينهما وكان القائم بتدبير المملكة وأعمالها طيبوليوس ومع أنه كان غير لائق كما رأى في نفسه لتحمل أعباء هذه الإدارة إلا أنه كان صادقا أميناً وتولد من الهجوم المتعدد الحاصل من سوريا ومقدونيا تجريد مصر من جميع إيلاتها البرانية ما عدا قبرص وصيرنقية ولما أرادوا الهجوم على مصر وأحس طيبوليوس بعدم طاقته على محافظة مصر طلب من الرومانيين المساعدة فأرسلوا له في سنة ٢٠١ قبل الميلاد ليدوس متقدما زمام الأعمال في مصر وبواسطة مايندوس من الهمة حفظت مصر من التغلب عليه أو كان ليدوس على غير رغبة من رجوع الاملاك البرانية التي فقدتها مصر أو كان لاطاقته على رجوعها وهو الاصح

وبلغ بطليموس الخامس رشده تحت حماية ووقاية أصدقائه الرومانيين من أنطيوخوس وغيره المتلطفين على الغلبة على ممالكه في سنة ١٩٦ قبل الميلاد عند ما وصل سنة الى أربع عشرة سنة ولما رأت الحكومة المصرية والإدارة الاسكندرية ما عليه رومة من سرعة التقدم وزيادة الشوكة والغلبة على الممالك الاخر ونحشيت وزارة مصر جردا من الخطر والضرر الذي يقع على المملكة من اتحاد فيليب ملك مقدونيا وأنطيوخوس ملك سوريا اللذين اتحدا اتحادا زائدا مع بعضهم ما في الغارة على المملكة المصرية وأعمالها والتغلب عليهم ما عرضت تلك الوزارة للرومانيين في أن تكون المملكة تحت حمايتهم فعلا وقد تمت لهم الوزارة الوصاية على الملك والنيابة في الحكم عنه حتى يبلغ سن الرشدا الكافي وقالوا في عرضهم ان الملك المتوفى أوصاهم عند موته بان يجروا هذا الفعل مع الرومانيين وكان من المنفعة العائدة على الرومانيين عدم وقوع الارتباك في دولتي فيليب وأنطيوخوس وأن لا ينعما بهما من أن يضيقا لهما الكه ما أقاليم غنية من ضمن مملكة مصر وقتئذ ورأوا أن لا يصعب عليهم دخولهم في حرب مع هذين المملكتين إذ أنه يوجد بين أحدهما وبينهما اختلافات شديدة وهو فيليب ملك مقدونيا وبواسطة هذه الأسباب ما حصل عند الرومانيين أدنى تردد ولا ريب في قبولهم الوصاية والنيابة المعروضة من طرف الوزارة المصرية وعينوا في الحال من طرفهم ثلاثة نواب أرسلوا واحدا منهم

الى فيليب والآخر الى انطيوخوس يعلمانهم بما هما عليه من العزم من طرف الرومانيين ويقدمان  
لهم النصيحة التامة بعدم التعدي ووقوع الارتباك في ممالك بطليموس الخامس اذ ان هذه الممالك  
تحت محافظه الرومانيين مع الملك الشاب وان حصل شئ خلاف هذا بهما تول النتيجة الى اشتعال  
حرب بينهم وبذل الرومانيون جهدهم في كل ما يجب اجراؤه في الحماية على هذا الملك

وأما الرسول الثالث واسمه فيليموس فانه توجه الى مصر ولما وصل الى الاسكندرية تقاد زممام الوصاية  
والنيابة لبطليموس الخامس باسم الرومانيين وسار في الاعمال أحسن سيرة حسب التعليمات التي أخذها  
من مجلس أعيان رومة بخصوص وظيفته ورتب الاشياء والاعمال وجعلها على منوال ثابت يعود  
منها النفع والفلاح على المملكة وعين أريسطومنس الاخارنياني الملاحظة تم سذيب الملك الشاب  
وتربته وجعله وزيرا أول للمملكة وكان أريسطومنس هذا نشأ قديما في الحكومة المصرية وترقى في  
أعمالها وعرف أشغالها والادارة التي تعود على المملكة بالنجاح والفوز وكان أدى أشغاله بالامنية  
والصداقة في الوظائف والادارات التي كان مستخدما فيها سابقا

وفي مدة وزارة أريسطومنس هذا عزم أنطيوخوس على التوجه بنفسه الى سوريا الجنوبية لاجل  
استرداد ما تغلبت عليه مصر وأخذ منه وذلك أن الرومانيين لم اعهدهم ولا أريسطومنس تدبير وادارة  
الاعمال المصرية كان أول شغل اشتغله هذا الوزير هو التحفظ على نفسه من غارة المكيين فيليب  
صاحب مقدونيا وأنطيوخوس صاحب سوريا ولهذا الغرض جمع أجود ما يكون من العساكر على  
قدر امكانه وأرسل من طرفه شخصا اسمه سكوباس الى نواحي عيطوليا من بلاد الجريدق بمالغجة من  
النقد لجمع ما يقدر على جمعه من العساكر من تلك الجهة وكان عساكر عيطوليا في هذا الزمان أقوى  
عسكرا واحدا منهم تدرى في الحروب وكان سكوباس هذا في الاصل متمعنا على الوظائف وأرقاها  
في بلاده ومنظور فيه أنه أمهر وأشجع واحد في عصره ولما حان أوان وقت سقوطه من علودرجته  
وطرده من بلاده أعجب بنفسه وشمع على أبناء جنسه مؤملا أن تدوم له هذه الرتبة الجليلة والدرجات  
العالية الجليلة غير أنه خاب أمه وضاع عمله وتساقطت عليه العيوب فازدادت عليه الكروب  
حتى التزم أن يترك عيطوليا ويدخل في خدمة مليك مصر ولما توجه سكوباس هذا لجمع العساكر  
نجم نجاحا تاما في أن جلب معه نحو من ٦٠٠٠ عسكري من العساكر العيطولية وهي تقوية  
عظيمة للجيش المصري

فلما رأت حكومة الاسكندرية ان أنطيوخوس مشغول بالحرب في آسيا الصغرى مع أطالوث ملك  
برجاموس نذبت سكوباس وأرسلته الى فلسطين وسوريا الجنوبية لاجل خلاص هاتين الايتين من  
يد أنطيوخوس واعادتهما الى الحكومة المصرية فأشعل سكوباس الحرب في هاتين الايتين مع غاية  
النصر والظفر ورد كثيرا من المدائن واسترجع يهوذا وطردها فظن الذين كانوا في اورشليم وقلعتها  
ولما قرب عليه فصل الشتاء ارتد قافلا الى الاسكندرية مثقلا بالغنائم الثينة التي استحوذ عليها في تغلبه  
على تلك البلاد وكان سبب هذا النجاح والظفر هو غياب أنطيوخوس وعدم مقاومة أهل البلاد  
وعساكره المستحسنين الموجودين فيها وبمجرد ما وصل أنطيوخوس من غيبته الى هذه البلاد تغيرت  
جميع الاحوال في الحال وردت الى نفسه فعاد اليه سكوباس من مصر في رأس جيش كثيف فهزمه  
أنطيوخوس شرهزيمة في واقعة حصل فيها سفك دماء كثيرة وكانت الواقعة فيها غزيرة وكانت بالقرب



من منبع نهر الاردن ولما فقد الكثير من عسكر سكوباس التزم الهرب الى صيدا فدخلها وأغلق عليه أبوابهم مع العساكر الذين كان تركهم فيها ومقدارهم ١٠٠٠٠ نفس فسار انطيوخوس خلفه وحاصر المدينة وشد عليها وضيق على حصارها حتى فرغت منها الذخائر والمؤن وانجبر سكوباس على تسليم المدينة بموافيقها واستغنى بخلاص نفسه ونجاتهم من الهلاك ومع هذا فان حكومة الاسكندرية كانت بذلت ما في طاقتها وقوتها من أجل خلاصه وخلاص المدينة وأرسلت ثلاثة من القوادذوى اقدام وشجاعة ومهارة مع أجود عساكر صار انتخبهم من المملكة لأجل رفع الحصار عن المدينة وخلاص المحصورين فيها الآن انطيوخوس بذل ما في قوته في كسر هذه الارسالية وهزيمة وانجبر سكوباس على تسليم المدينة والتجاة بنفسه وعاد راجعا الى الاسكندرية عارى الرأس حافى القدم مجردا عن السلاح وصيح فيه قول القائل

سافرت سفره يادندون \* بآئك تكيد الرجاله طقيتك أخذها التيارات \* ورجعت راسك عريانه ثم لم يضر قليل من الزمن حتى شاع الخبر بموت بطليموس أبيقانيس فظن انطيوخوس في الحال واعتقد في نفسه أنه صار ملك مصر وسيد هاو نزل في اسطوله فاصدا التوجه اليها والتغلب عليها ونزل في مبادى أمره في افسوس وفيها أصدر أمره بجمع جميع المراكب الموجودة وضمها الى أسطوله والاسراع في السير على قدر الامكان نحو مصر الا أنه عند وصوله الى بطره وردت اليه الاخبار الحقيقية بأن ما أشيع من موت بطليموس لا صحة له وأنه موجود على قيد الحياة فن ثم عدل عن رأيه وغير فكره وخط سيره وتوجه نحو جزيرة قبرص بعزم التغلب عليها وفي أثناء سيره سقطت على مركبه التلاقيح والرياح واشتدت عليها الريح وتناثرت النواتى أغرقت الكثير منها وهلك الجمل الغفير من عساكره ورجاله وخابت جميع اجرائه وأعماله وعتد نفسه من السعداء وقت عودته ودخله في مينة سالوة بمابقى معه من اسطوله ومنه توجه الى أنطاكية ليقضى فيها فصل الشتاء .

وكان أساس اشاعة موت بطليموس ناشئ من ثورة رتبت نظامها وسؤات الاحوال لزعمائهم افقد حياة بطليموس وكان أصل هذه الدسيسة وترتيب الثورة سكوباس وذلك أن هذا القائد لما رأى نفسه (مثل عرابي) في رأس جميع العساكر الاجنبية وكان الجمل الكثير من هذه العساكر هم العساكر العيطوليينين وهؤلاء أيضا كانوا يتصورون في أنفسهم أنهم أقوى عساكره وأمهرة وأظمه في المحاربات وأنه بواسطتهم يمكن لرئيسهم سكوباس اغتصاب السلطنة في حال صغر الملك فلما عزم سكوباس على هذا الامر أخذ يترك أبواب عترة ولأخوانه وأصدقائه وصار لا يهدأ في نومه ولا يلتذ من أكله وشربه حتى يجد له فرصة في قيام ثورته فصار يحرض اخوانه ويدس الدسائس ويشعل الوسوس ويوقد النيران ويظهر العصيان حتى اكتشف اريسطومنس الوزير الاول على اجرائه وتحقق من غبه وثوراته وأنه على شرف القيام والوقوف في الارتبال العام فأمر بالقبض على سكوباس ومن معه من الناس وأحالهم على المحاكمة أمام مجلس عقده لفصل في ثورتهم وتوقيع الاحكام عليهم عند اثبات جنائيتهم ولما ظهرت على سكوباس ومن معه الجرعة صار قتله ومن معه في حالة مهينة ولم تنتطح في ذلك عزازان ولم يقيم فيها رجلا من ومن هذه الدسيسة والفتنه الخبيثة ضاع اعتماد الحكومة ووثوقها من العساكر العيطوليينين وكاتوا في هذا الوقت على درجة عظيمة من الثقة عند الحكومة فطردتهم ومن محل خدمتهم أبعدهم وأرسلتهم الى بلادهم فمقتعوا بالفقر والمهنة بعد أن كانوا في أرغد عيش ونعمة

حسنة ووجد في مصلحة سكوباس من بعد موته كثير من النقود والكنوز والاعجار الثمينة والفيروز  
ومن المحقق أنه كان نهبها وسلبها من الاقاليم التي كان حاكفها وبما أن سكوباس المذكور في مدة  
نصراته في فلسطين أخضعهم وذاو أورشليم للمملكة المصرية فكان ولا يرب أنه جمع هذه الكنوز من  
تلك الجهات ثم تركها ومات ولم يغن عنه جمعه شيئا في الحياة وبعد الممات

وفي السنة الاولى التي تقلد فيها بطليموس الخامس أيفانيس زمام السلطنة حكم بطريق العدل والسعد  
حتى نال رضا العموم والثناء عليه والخضوع لديه وذلك أنه كان سائرا في أحكامه تحت ارشادات  
ارسطو منس الفحل السيماني وكان له بصفة أب آخر الا أن تعلق الحواشي وأرباب الدولة (السم  
اليومى للول) تغلب على الارشادات الزكية والنصائح النضلية الصادرة من هذا الوزير النبيل وأعرض  
الملك الشاب عنه حتى صار لا يسمع له كلاما ولا يجلب له مقاما ولا يقوم له بأدنى اكرام فكبس الوزير  
عليه بالنصائح والارشادات التي يعود منها النفع على علو سلطنته وزيادة شوكته فحمله طابعه الخبيثة  
وما هو عليه من عدم طاعته لكلام هذا الوزير الناصح أن دس له السم القاتل ومات هذا الرجل الجليل  
ونحلا الجول هذا الملك الرذيل من تصديق نصائح الوزير الامين الصادق وترك نفسه بالكلية لأغراضه  
الشهوية وعيوبه وفجوره ومفاسده الوقتية وغرق في لهوه ولذاته ودخل في جميع أصناف البكائر  
والعيوب وصار لا يحسب حساب محسوب ولا دليل له في الادارة والاعمال الا ما يشتهي ويريد من  
الاوامر والاقوال وعامل رعيته بالجور الشديد والعذاب والظلم المديد حتى صار للصرير بين عدم  
الطاقة ونكثوا العلاقة وصار الظلم والجور يتراكم عليهم يوما فيوما فابتدوا في المؤامرة بينهم خفية سوية  
وعقدوا جمعيات ضد الملك سرية وعات درجة الظلم والجور الى أعلى نهاية فدخل بعض كبار الدولة  
في هذه الثورة وصمموا على عزل الملك ولما صاروا على شرف العمل خاب منهم الامل وانتخب الملك له  
وزير أول اسمه بوليقرط لاجل اخراج نفسه من هذه المتاعب والمصاعب التي أوقع نفسه فيها وارتبكت  
الامة في نواحيها وكان بوليقرط هذا رجلا مقداما ماهر اشجيا عاذاذ كاه في الادارات الحربية  
والسلمية مجربا في الحروب ارتقى في العسكرية الى أعلى رتبة في الجيش الذي كان تحت قيادة والده  
وظهرت عليه الحجة والهمة العالية في واقعة رافية المتقدمة المذكور فكان معظم افتخار النصر فيها له ثم  
من بعد ما توطف حاكما في جزيرة قبرص ونال طالع السعد في الاسكندرية عند الكشف على ثورة  
سكوباس وبمساعدة هذا الوزير البطل أخذ بطليموس الثورة وألزم زعماءها وكانوا من أكابر أعيان  
المملكة بالتسليم والانقياد بشروط جبرت خاطرهم غير أنه لما نيسر له الحصول على القبض على هؤلاء  
الزعماء قتلهم أجمعين فتولد من هذا الفعل القبيح ارتباك جديدة قامت نانية عليه خلاصه منها أيضا  
بوليقرط

ثم ان بطليموس بعد أن أخذ العصاة في بلاده عزم على الغارة على سلقوس ملك سوريا ولما شرع في  
تجهيز الاستعدادات الحربية لهذا الحرب سأل بعض كبار الدولة واحدا من ضباطه من أى جهة  
يمكنه أن يجمع نقود هذا الحرب فأجابهم أن أحبابه عندهم خزانة فاستخرج أرباب الدولة من هذا  
الجواب أنه ما دام معتمدا على أيكاسهم فانها هي المبالغ الكافية لهذا الحرب ولما رأى أرباب الدولة أنهم  
على شرف الخراب والدمار من هذا الحرب وأن منعه من هذه الحادثة أجود من طاعتهم له دسوا له  
السم في مأكوله ومات هذا الملك المشؤم في السنة التاسعة والعشرين من عمره بعد أن تسلطن أربع



وعشرين سنة وكان ذلك في سنة ١٨١ قبل الميلاد وكان متزوجا كايو بطرمة بنت انطيوخوس وخلفت منه ولدا اسمه بطليموس فيلومي طور وهو بطليموس السادس وكان عمره ست سنين وأوسبعة عند موت أبيه

وخلف بطليموس السادس أباه بطليموس أيفانيس وتقلدت كايو بطرمة أرملة له وأخت انطيوخوس أيفانيس زمام الوصاية والنيابة في أحكام السلطنة نيابة عن ابنها الطفل الصغير بطليموس فيلومي طور وأطلقت عنان محافطتها وشبهامتها في حفظ مملكتها وأساسات الإدارة والأعمال مع الجودة والاتقان وكانت سدأمنية وحصنا حصينا من وقوع ارتباكات وقلقل بين سوريا ومصر بما أنها كانت أم ملك مصر وأخت ملك سوريا فخكت ثمان سنوات ثم أفلت شمس سلطنتها وماتت في سنة ١٧٣ قبل الميلاد ومن بعد موتها انتقلت الدولة إلى أيدي اثنين من الوزراء كانوا غير أهل لها مع ما كان عليه من الفساد وفتح السيرة وهما اليونوس رجل ممتاز بالشرف من بين أهل البلاد ونحصى من الحصيان اسمه عولوس تعيين للاحظة تربية الملك وتهذيبه فما كان من هذين الوزيرين إلا أنهما أوقعامضرب في حروب مع انطيوخوس صاحب سوريا استمرت مدة من الزمان وذلك أنهما أرسلوا فدا من طرفهما إلى انطيوخوس يطلب منه سوريا الجنوبية وفلسطين فتولد من هذا الطلب وقوع المملكتين في الحرب وكانت كايو بطرمة في حياتها تخشى من حصول مثل هذه القلاقل والارتباكات لكن هذان الوزيران لم يتظرا بعين الاعتبار إلى انطيوخوس ولا ارتباطا في طلب ما يعتقدان أنه حق ملكهما إذ من المحقق أن الملوك المصرية البطلموسية كانوا مستحوزين على هذين الاقليمين من عهد بطليموس الاول لاغوس إلى أن اغتصبهما انطيوخوس الاكبر من بطليموس أيفانيس ثم تركهما إلى صلقوس ابنه وليس له حق آخر فيهما إلا الغلبة عليهما وورثهما انطيوخوس هذا من أخيه صلقوس

وادعى المصريون لأجل تقوية طلبهم أنه في عصر التقسيم الأخير لملكه اسكندر بين الاربعة قواد الذين خلفوا اسكندر من بعدهم وصرار واملوك كل شئ من بعد واقعة عيصوص وقع هذان الاقليمان من حصنة بطليموس لاغوس حتى انه هو وخلفاءه الذين توارثوا التاج من بعده كان تحت حوزتهم هذان الاقليمان من ابتداء ذلك الوقت لحد واقعة بانياس وفي هذه الواقعة ظفر انطيوخوس الاكبر وتغلب على هذين الاقليمين واغتصبهما من مصر وان هذا الملك عهد به بغير ذواج ابنته إلى ملك مصر عود هذين الاقليمين له تطهير مهر وصادق بنته وكانت هذه المادة هي المادة الأساسية التي عقد عليها الزواج ودخلا في حوزة الحكومة المصرية

وأما انطيوخوس فانه بجدهذين الطالين بالكلية وادعى خلاف ما تدعيه الحكومة المصرية وقال انه في القسمة العمومية التي كانت حصلت في ممالك اسكندر وقعت جميع سوريا بما فيها سورية الجنوبية وفلسطين في حصنة صلقوس نيكاتور (الفتاح) وبهذا صار هذان الاقليمان من تبع هذا الملك ومن ضمن أملاكه في مملكة سوريا وأما من خصوص عقد الزواج الذي من أجله طلب المصريون هذين الاقليمين فانه وهم مطابق وتصور لا أصل له ولما وجد المصريون أنه غير متيسر لهم الحصول على ما يرغبونه بأي دليل من هذين الدالين رأوا أنه من الضروري تسير الحصول على رد حقوقهم بواسطة القوة والسلاح

ولما بلغ بطليموس السادس فيلومي طور خمس عشرة سنة من عمره صار اعلان بلوغ رشده وعمل في

الاسكندرية تجهيزات عظيمة واستعدادات كبيرة من أجل تنويعه وحلوسه على الاريكة المصرية حسب العوائد الجارية المحلية فأرسل انطيوخوس أحد كبار دولته واسمه أبولينوس سفيراً من طرفه يحضر تنويع الملك ويمنحه باسم انطيوخوس على جلوسه على التخت وكانت هذه الحالة في الظاهر وأما في الباطن فهو من أجل كشف ومعلومية الاشغال الجارية عند المصريين فيما يختص بمسئلتى سوريا الجنوبية وفلسطين وماهى مقاصدهم وتصميمات اجراءاتهم ولما عاد أبولينوس من مصر الى انطيوخوس عرض له أن المصريين شارعوا في استعدادات كبيرة من أجل الحرب اللازم لخلاص الاقليم المذكورين وقال له انهم في شغل زائد وهممة كبيرة ولما سمع انطيوخوس من سفيره ما عرضه عليه توجه في الحال من طريق البحر الى يافا وكشف ثغور مملكته وحدودها وأمر بإنشاء المدافعات والتحصينات وعمل التحفظات اللازمة لصد نوع أى هجوم يقع من المصريين على حدود مملكته ثم تفقد أورشليم وكذا جميع المدائن الموجودة في سوريا الجنوبية وفلسطين فقابلها أهلها بالاخترام ثم عاد قافلاً الى أنطاكية

ولما وجد انطيوخوس في نفسه أن له قدرة كافية على اشغال الحرب من وقت رجوع أبولينوس من مصر عزم على الشروع في الحرب من غير أن ينتظر وقوعه في بلاده وممالكه واستصوب أن يجرى حركاته العسكرية في نفس بلاده وتصور في عقله أنه من حيث ان عمر بطليموس ست عشرة سنة وأنه محكوم مع رعيته بوزراء ليسوا أهلاً للادارة والسياسة يكون له قدرة على التغلب عليه وجعله تحت يده بشروط وعهود حسب رغبته ومن الاتفاق العجيب في سعادته الملك العجيب أن الرومانيين في هذا الحين وهم حماة المملكة المصرية كانوا مشغولين بحروب شديدة لا يمكنهم معها مساعدة مصر ومدافعهم انطيوخوس عنها وبذا وجد انطيوخوس نفسه في فصل صالح له يمكنه فيه فصل الخلاف الواقع بينه وبين المصريين في شأن هذين الاقليمين ومن ثم جعل نفسه في رأس جيشه وسار متوجهاً نحو الثغور المصرية حتى وصل الى جبل كاسيوس بالقرب من بلوزة فالتقى بجيش بطليموس ف وقعت هنالك الواقعة واشتبك القتال واشتعلت نيران الحرب فكان النصر فيها لانطيوخوس وانهمزمت الجيوش المصرية ونشبت تمرداً داخل بلادهم وعكف انطيوخوس في الحدود وشرع في تحصينها زيادة عما كانت عليه اصعد كل غارة تحصل من المصريين بخصوص تغلبهم على اقليمي فلسطين وسوريا الجنوبية وكانت هذه أول غزوة له في مصر ومن بعد أن انتظر مدة في الحدود ولم يلق كيداً من المصريين سار بجيشه الى صور ليقضى فيها فصل الشتاء وفي المدائن الاخرى المجاورة لها مع جيشه وقضى انطيوخوس فصل الشتاء في استعدادات تجهيزات حربية جديدة لاجل الغارة على مصر مرة ثانية ورأى نفسه أن له قدرة وطاقة بالنسبة لحالة الوقت على الغارة على مصر برا وبحرا وجمع بطليموس لذلك جيشاً عظيماً وأهبط الاقادة انطيوخوس الا انه ما كان فيه قوة على دفع انطيوخوس ولما التقى الجيشان تغلب انطيوخوس مرة أخرى على بلوزة وشتت جيش بطليموس في واقعة حصنات في الحدود وسار بجيشه في قلب المملكة المصرية ومن بعد هزيمة هذا الجيش صار لا يلقى كيداً من المصريين وأظهر في غارته هذه أنه لم يقصد مجر به ضرراً أحد من الناس الا ابن أخته فقط ومنع عساكره من القتل والسلب واستمر سائر اربعه اسابيع من دون أن يتعرض لأحد من أهل المملكة بسوء فحذبت هذه الرأفة والشفقة قلوب المصريين اليه ولما تقدم في داخل المملكة وفد اليه الاهالى أفواجا



يقدمون له طاعتهم وبهذا تغلب على منف بسرعة وعلى جميع ما بقي من المملكة المصرية الاممية الاسكندرية فانها استقرت على مقاومتها له وقبض انطيوقوس على بطليموس السادس وجعله آله تحت يده لخضوع الامة المصرية له وغضب أهل الاسكندرية لذلك غضبا شديدا وأقاموا أخاه الاصغر بطليموس فيسكون بدلا عنه ملكا على مصر وتدخل الرومانيون في هذه المسئلة وأرغم انطيوقوس على تسليم فتوحاته وانسحابه وعسكره من المملكة واتفق الاخوان على أن يتسلطنا سويا مع بعضهم وتزوج بطليموس السادس أخته كليوباتره وما كان له أخت غيرها ووجد الاثنان الحرب مع ملك سوريا فتقدم انطيوقوس على قبرص وتغلب عليها وسار نحو مصر في سنة ١٦٨ قبل الميلاد ولما صار على شرف التغلب على الاسكندرية أرغمه الرومانيون أيضا بالقهقرة والعودا إلى بلاده ومن بعد مضي أربع سنوات وقع بين الاخوين شقاق فذهب بطليموس السادس إلى رومة وفيها عقد مجلس الاعيان أمره ولما لم يقبل فيسكون ما قرره مجلس الاعيان برومة اشتعل حرب داخل كان غلاقه تغلب بطليموس السادس على فيسكون في سنة ١٥٥ قبل الميلاد وقبض عليه ثم بعده اعتق بطليموس أخاه ونجى له حياته وأعاد له ممالكه ومن بعد مضي بضعة سنين قوى بطليموس السادس عصيان اسكندر بلاس في سوريا على انطيوقوس قاصدا بذلك أخذ ثار من البلاد ومساعدة اسكندر على بدو حربه على تحت سوريا ثم حصل من اسكندر بلاس خيانة في حق بطليموس فوجه رغبته وميله إلى ديتريوس وساعده على اخراج عدوه من المملكة وسقط من فوق حصانه وقتل في الواقعة الاخيرة مع اسكندر بالقرب من أنطاكية في سنة ١٤٦ قبل الميلاد

وخلف بطليموس السابع الملقب عوبا طيرا بأباه لأنه من بعد مضي أيام قته له عمه فيسكون وبمساعدة الرومانيين صار فيسكون ملك مصر وصربيةقية وتلقب بلقب بطليموس الثامن ومعنى فيسكون المحسن أي فاعل الخير وهذه اللفظة معنى آخر وهو أبوفرت أي ذوال بطن الضخمة وقيل ان كليوباترة ملكت مصر بعد أن مات زوجها وهو أخوها أيضا واجتهدت في أن تجعل التاج على رأس ابنها الذي خلفته منه وكان طفلا صغيرا وكان بعض أكابر الدولة له رغبة في فيسكون أخى الملك المتوفى وكان في هذا الوقت ملك صربيةقية فأرسلوا له بالخطبة إلى الاسكندرية فأخذت كليوباترة الاحتراسات اللازمة في المدافعة عن نفسها وأرسلت إلى قواد جيوش اليهود في سوريا لمساعدتها ومعاضدتها وكان موجودا في هذا الوقت سفير من رومة اسمه ثيرموس في الاسكندرية فتدخل في هذه المسئلة ومهد هيئتها وحصل الاتفاق بأن بطليموس فيسكون يتزوج كليوباترة ويربى ابنها وأن يكون هو الوارث للتخت وأن فيسكون يقبض الآن على زمام التخت مدة حياته ثم من بعد مضي قليل من هذا الاتفاق تزوج فيسكون الملكة كليوباترة واستحوذ لنفسه على التاج وعند زواجه بها قتل ابنها وهو على ذراعيها وتسلط فيسكون في مصر سبع سنوات ولم يقص لنا التاريخ شيئا من أخباره وحوادثه في هذه المدة الا انه كان قبيح الطبع قبيح العمل والعيوب مكرها ومقوتا في حركاته وسكنانه وما وجد ملك قبله كان منهم كافي الفجور والفساد والعنف وسفك الدماء مثله وجميع أوصافه كانت على غاية من الاحتقار والنقص وكان في أقواله وأفعاله كطفل لا يعقل ما يقول ولا يدري ما يفعل فن تم جلب على نفسه نقصه وردائه عند رعيته اشتمت أزارهم منه ولولم يكن وزيره الاقل المسمى هيرا كس موجودا لخلعته الامة من السلطنة وكان هيرا كس هندا من أهل انطاكية وكان فيها من ضمن رجال الدولة في حكومة

سلطنة اسكندر بلاس وورده مصر بعد وقوع ثورة كانت حصلت في سوريا ودخل في خدمة بطليموس فيسكون وصار قائد جيوشه ووزيره الاول وبما انه كان مجربا في الحروب وحسن كنهه التجارب ومدبرا ماهر في السياسة أجرى ادارة الحكومة المصرية على ميزان العدل وصار يصرف العساكر وأرباب الخدمات من ثباتهم شهر ياء عند أوقات صرفها اليهم وكان يدارى عيوب وقبايح أستاذة ويحافظ عليه وعلى نخته واجتهدا اجتهدا تاما في استتباب الراحة وحصول الامن في المملكة

ومن بعد موت هذا الوزير دخل هذا الملك المجنون في الاعمال والادارة المصرية في السنين التي جاءت بعد وسيرها على أقبح محور وأرذل طريق وذلك أن الملك فيسكون أمر بقتل معظم الناس الذين سعوا واجتهدوا في لبسه التساج من بعد موت أخيه ووضعوه على رأسه فوذكر بعض المؤرخين أن هيراكس الوزير كان من ضمن هؤلاء المقتولين الا انهم لم يذكروا من قتله وكذا أمر بقتل ونفى كل من كان منتبها الى أخيه بطليموس فيلومي طور والذين كانوا متقلدين وظائف في مدة سلطنته وأمر عساكره الاغراب بالقتل والسلب في مدينة الاسكندرية حتى أزعج أهلها ونحو فهم وبدد شملهم وهناك عرضهم فأنجز غالب سكان المدينة خشية من عنفه وقبحه على التباعده عنه والارتحال من الاسكندرية الى الممالك الأخرى الأجنبية وخلت المدينة من سكانها وانما ما وصارت بلاءه خرابا ولما رأى فيسكون مساكن المدينة خالية من سكانها قام على أرجائها ناس من عنده منشورا الى البلاد المجاورة لها بأن كل من جاء وسكن الاسكندرية مهما كانت بلاده ودرجته فانه ينال منحة القوائد فقبل كثير من الناس هذا الاعلان بما أنهم هم رؤساء المنافعهم وتوجهوا الى الاسكندرية وأعطيت لهم المساكن والبيوت التي تركها أهلها وهاجروا منها ومنحهم فيسكون حقوق المدينة وامتيازاتها وتحريرها التي كان متمتع بها السكان القديمة وهذه الوسيلة عادت عمارة الاسكندرية كما كانت في الاصل

وكان من ضمن الذين هاجروا من الاسكندرية عدد عظيم من النحويين والفلاسفة والرياضيين والطبيين والذين لهم دراية بالفنون الموسيقية والآلات والمغاني وآخرين من الذين لهم دراية كاملة بالفنون الطريفة ومن هنا ابتدأ احياء العلوم والفنون اللطيفة في الجرس وآسيا الصغرى وفي جزائر البحور وبالجملة في جميع النحلات والجهات التي أوى اليها هؤلاء الافاضل وكان تولد من الحروب المستمرة بين خلفاء اسكندر الا كبراطفاء هذه العلوم ومحو آثار الفنون في جميع تلك الممالك وكان من الممكن ضياعها بالكلية في تلك الازمان التي كانت مشحونة بالارتباك وقليل الحروب المستمرة لو لم تكن وجدت لها ملجأ وماوى تحت حماية السلطنة البطلموسية في مدينة الاسكندرية فان أول هؤلاء الملوك أسس دار المعارف وحشد فيها العلماء من الرجال وشيخدار الكتب الطريفة وجلب اليها رجال علماء الجريس من الفلاسفة ورتب لهم المرتبات وسار الثاني والثالث على قدم ومناول الاول حتى صارت الاسكندرية أجمل مدينة وأعظمها على وجه الارض وغرست فيها الفنون والعلوم التي كانت متروكة في زوايا الاهمال والنسيان في الممالك والمدائن الأخرى غيرها وكان معظم سكان هذه المدينة الكبيرة مارسوا ودرسوا هذه العلوم والفنون في مدة شبابهم حتى انه عندما تساقط عليهم سقف ظلم هذا الطاغية فيسكون انجبروا على أن يجدوا سلامتهم في البعد عنه في الممالك الأجنبية الأخرى وبذلوا جهدهم وطاقاتهم في جلب ما يسر لهم الحصول عليه مما يقوم بعيشتهم وعكفوا أنفسهم على الاشتغال بتعليم غيرهم ما يعرفونه من العلوم والفنون وفتحوا مكاتب ومدارس لتعليمهم تلك العلوم وبما أن



احتياج المعيشة ضاغط عليهم من كل جهة أرخصوا أجرة التعليم لزيادة عدد الطلبة عندهم وبهذه الوسائل ابتدأ أحياء العلوم والفنون في جميع الجهات التي توجه اليها هؤلاء الاعلام ومعنى هـ ذافي الجهة الشرقية من الدنيا وكانت جارية على مثال الطريقة التي أجريت في نبع هـ هذه العلوم والفنون في الجهة الغربية من بعد أن تغلب الأتراك على القسطنطينية

وفي نفس هـ هذا الوقت ورد الجلم الغفير من الاغراب لاجل عمارة الاسكندرية ثانية وورد اليها سكيو الا فريقي ابن سكيو وميوس ومعه مطيوس سفيران من طرف رومة وكان من القواعد عند الرومانيين أن يرسلوا سفراء أو رسلا لهما فيهم من الامم بقصد تنظيم أحوالهم وملاءمة الاختلافات الواقعة بينهم واتفق في هذا الوقت أن أرسلت رومة ثلاثة من كبار الدولة الى مصر بسبب ما هو حاصل فيها من الخلاف والشقاق فأمرهم بالتوجه الى مصر وسوريا وآسيا والجريس لينظروا في الاحوال التي عليها هذه الممالك ويفحصوا عن الطريقة المريعة عندهم في المعاهدات ويصلحوا كل ما يجدونه من الخطا فإطلاقا زمام سياستهم ومهارتهم في هذه الارسالية مع العدل والانصاف وجودة التدبير وأدوا خدمات جارية للذين أرسلوهم وأعادوا النظام وأصلحو الاختلافات الواقعة بين الممالك الذين توجهوا اليها وبين رومة ومن بعد أن عاد السفراء الى رومة من هذه الجهات قدم لهم مجلس الاعيان شكره وثنائه على ما استحقوه من جليل خدمتهم المقبولة لدى ملكهم

وكان أول الجهات التي توجه اليها هؤلاء السفراء حسب التعليمات التي أعطيت لهم من مجلس الاعيان في رومة هو الاسكندرية فقابلهم الملك فيها مع غاية التجليل والاحترام وأحسن ضيافتهم وأنزلهم منزلا جليلا وكان يأكل معهم في مدة لبسهم في الاسكندرية ومن بعد أن نظروا في أحوالها وأصلحو أعمالها ومهدوا الأعمال التي جاؤا من أجلها أسافروا من طريق النيل الى مدينة منف لاجل زيارتها وزيارة المحلات الاخرى من المملكة المصرية فقرأوا بأعينهم طبق ما تناولوه من الروايات الملقية عليهم في شأن هذه الجهات عددا لانهاية له من المداثر العاصرة الغاصة بالاهالي والعمران المحتوية عليهم هذه المملكة ورصانة موقعها الطبيعي وخصوبة أرضها ومنافع أخرى متمتع بها أهلها ورأوا أنها لا تحتاج لشيء سوى زيادة قوتها واصلاح شوكتها بواسطة ملك ذي حزم وتدبير وعقل وقبصير وعمارة لا تدمر لان فيسكون المنسلطن عليها والحالة هذه لم يستحق أن يكون ملكا على مثل هذه المملكة لانه ليس عنده فكر في عمارها أو خرابها فهم اعنده على حد سواء ولم يقصد بسطنته سوى احترامه وتعظيماته التي يقدمها له الاهالي والامة المصرية

ومع ما كان عليه فيسكون من العنف والجور والفظاظة والفجور والانهمال في اللذات والتوحش والقبائح الاخرى كانت العيوب التي في جسمه معادلة للعيوب الموجودة في عقله ومخه وبالجمله فما كان فيه شيء ينتفع به من عقل أو ذكاء وكان قصير القامة منتفخ البطن مثل البوحتى لا يمكن أي انسان أن يحضنه بذراعيه ومن كبر بطنه وجسامته القبوه بلقب أبو فرت واستمر بطليموس فيسكون على ما هو عليه من الجور والاعتداء ولم تغير أحواله بل يزداد فظاظة وقبحا كلما طال في العمر وقد ذكرنا أنه عند زواجه أخته كليوباتره وكانت أرملة أخيه أيضا قتل ابنها على ذراعيها وكان ابنها هذا ابن أخيه فيلوميطور ثم غضب على أمه غضبا شديدا ووقع في غرام وعشق إحدى بناتها من أولاد بطليموس فيلوميطور وكان اسمها أيضا كليوباتره فتزوج بها ومن ثم بعد قليل غابه وذمه أهل الاسكندرية

المستجدون الذين كان جلهم لمعارتهم ومنهم محلات وسكان الذين هربوا من أفعاله القبيحة وأحواله الشنيعة وتركوا بلادهم والتجؤوا إلى عمالكت أخرى ونحرفه من هيجان هؤلاء السكان وازعاجهم وكونهم في حالة يتوقع له حصول الضرر منها عزم على قطع رقاب جميع الشباب الموجودين في المدينة ومن كانت قوة المدينة وشوكتها وعزها وشرفها محصورا فيهم وأمر باحاطتهم بعساكره الأجنبية في يوم من الأيام في محل كانت فيه ملاعب واجتمع فيه جميع الناس فأمر بالقبض عليهم وقتلهم فهرع جميع الأمة مع الغضب والحنق لحرق سرايته وهو في داخلها وأسرع أهل الاسكندرية بالجرى نحو السراية ولما وصلت إليه الأخبار بذلك ترك السراية قبل وصولهم إليها وهرب في مركب إلى قبرص مع زوجته كليوباتره وابنتها منفطيس في سنة ١٣٠ قبل الميلاد وبمجرد وصوله إلى قبرص أخبروه بأن أهل الاسكندرية قلدوا كليوباتره زمام الحكومة المصرية وكان طلقها قبل ذلك فجمع في الحال عسكرا ليقم حربا على هذه المملكة الجديدة ومساعدتها

ولما احتش في مبادئ أمره من أن أهل الاسكندرية يفرحون بما يجلبون إليه ملكا وكان فيسكون عهدا إلى ابنه هذا الحكومة صيرنيقية أمره بالحضور إليه وبمجرد وصوله عنده أمر بقتله في الحال متصورا في ذهنه منع خطر يقع من مدع عليه يقوم بعده فتولد من هذه الفعلة الوحشية والاحوال البهيمة امتلاء كل انسان بالغضب والحنق عليه وكسر واتحاشيه الموجود في الاسكندرية قطعا وداسوها في الأرض فاعتقد أن كليوباتره وزوجته التي طلقها هي التي حرقت الأهل على مثل هذا الفعل فلاجل أخذ ثأره منها والانتقام من بدنها أمر بقطع رقبة منفطيس البرنس الشاب الذي كان خلفه منها وكان على غاية من الجمال ومنظور فيه الذكاء والكمال وأمر بتقطيع جسمه قطعا ووضع في صندوق مع رأسه حتى تعرفه أمه إذا رآته وأرسلته إلى الاسكندرية مع واحد من خفره وأمره أن ينتظر إلى يوم عيد ولادتها وكان قريب المدة ثم يقدم الصندوق إليها في يوم مواسم العيد فأطاع الرجل أمره وسلمها الصندوق في يوم سرورها وفرحها فأنقبت الأفراح بالأتراح وأخذوا في العويل والنواح وكان يوما لا يمكن وصفه من شدة الحزن والأسف والاندخال مما حصل من التاف ونظر الناس إلى هذا الطاغية بعين العداوة والبغضاء ومما تولد من ارتكابه هذه الجرائم المهولة الوحشية جل السلاح أهل الاسكندرية وما كان عندهم أدنى فيكرسوى صدهم هذا الجبار الطاغى من أن يجاس على التخت مرة أخرى وجندت الملكة كليوباتره جيشا قويا وعهدت قيادته إلى واحد اسمه ماريان وشرعت في أخذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن المملكة

وبخسند بطليموس فيسكون أيضا جيشا وعهد قيادته إلى هغلو كوس ووقعت الواقعة فكان النصر فيها إلى هغلو كوس قائد جيش بطليموس وأخذ ماريان أسيرا وأرسله مغلولا بسلاسل الحديد إلى فيسكون واعتقد الناس كلهم أن هذا السفاح لابد من كونه يقتل ماريان بمجرد وصوله إليه من بعد أن يذيقه أليم العذاب وشدة العقاب الآن ما حصل من بطليموس كان بخلاف ما ظننت النفوس وذلك أنه عفا عنه وخلي سبيله وأعتقه لأنه رأى من التجارب التي خمنته أن جميع المصائب والزيال التي حصلت له كان منشؤها من أفعاله النطعية وأعماله الشنيعة فابتدأ في إخضاع نفسه حتى يحل محل ريسه وأن يجعل نفسه موقرا مجللا بواء طاعة ما يجريه من اللين والرفق فارتاعت كليوباتره عند ما رأت هزيمة جيشها وتشتت حاله وخافت خوفا شديدا فأرسلت في الحال في سنة ١٢٧ إلى ديمتريوس



ملك سوريا لمساعدتهم او جعلت له مكافأة على ذلك زواج بنتها و جلوسه على تخت مصر فأجاب ديتريوس طلبها في الحال من غير تردد ولا تبصر في المال وسافر بجميع عساكره وحاصر مدينة بلوزه وشدد عايم في الحصار

وكان هذا الملك مكرها مبعوضا مقوتا عند أهل سوريا بالنظر لشماعة أنفه وجبروته وظلمه وانهم ما كه في الفجور مثل بطليموس فيسكون المقهور ولما رأى السوريانيون أنه صار على مسافة بعيدة منهم وأنه مشغول بحصار بلوزه عنهم حملوا السلاح وقاموا ضده وكان أول من قام أهل انطاكياء ومن بعدهم أهل افاميه ثم قام على منوالهم مدائن عديدة من سوريا وانضمت هذه المدن اثني عشر إلى بعض فأنجبر ديتريوس على العود إلى سوريا لأجل خضوع رعيته وللانقياد إليه ولما قطعت كليوباترة اليأس من مساعدة ديتريوس اياها نزلت في مركب حاملة لجميع كنوزها وخزائنها وهربت عند بنتها كليوباترة ملكة سوريا وبجرد ما رأى فيسكون ترك كليوباترة الاسكندرية عاد إليها ودخل فيها وتقلد زمام الحكومة لانه من بعد هزيمة مارثياري وهروب كليوباترة ما وجد له نفسه معارضا ولا مة ما ومن بعد أن لبث مدة يصلح نفسه ويقوى ملكه شرع في أن ينتقم من ديتريوس نظير مساعدته كليوباترة فسطا عايمه رجلا كذابا اسمه اسكندر ظنناس ابن رجل كان سمى ارا في الاسكندرية وتلقب هذا الشخص باقب الاسكندر بن اسكندر بلاس وادعى انفسه تاج الملوكة السورية عن أبيه وأعاره فيسكون جيشا تحت قيادته وطلباته ولما وصل اسكندر هذا سوريا رأى أهلها أن من العدل والانصاف عوده إلى ملك أبيه انضموا إليه أفواجا وكانوا كما ذكرنا على كراهة من ديتريوس وأخيرا وقع بينه وبين ديتريوس واقعة في سوريا الجنوبية بالقرب من دمشق وكانت واقعة فاصلة انهزم فيها ديتريوس وهرب إلى بطليموسية (عكا الآن) وكانت زوجته كليوباترة فاطنة فيها فقفلت في وجهه أبواب المدينة لانها كانت على كراهة منه بسبب زواجه أخرى من العجم فالتزم ديتريوس الهرب والاتجاء في صور فقطل فيها ومن بعد موت ديتريوس أخذت كليوباترة قسما من المملكة لنفسها وما بقي من المملكة ضار تحت يد اسكندر المدعى أنه ابن اسكندر بلاس

وفي سنة ١١٧ قبل الميلاد مات بطليموس فيسكون ملك مصر من بعد أن تسلطن تسعة وعشرين سنة من ابتداء موت أخيه فيلوميطور وكان موته في الاسكندرية وما رأت الامة المصرية أقبح سلطنة من سلطنته ولا أخبت سيرا من سيره وأراح الله منه البلاد والعباد وترك فيسكون ثلاثة أولاد بعد موته الأول منهم اسمه أبيون من سيرة كانت له وآخران شرعيان من كليوباترة بنت أخته التي تزوجها بعد طلاق أمها وكان أكبرهما اسمه لا ثروس والاصغر اسمه اسكندر وكان فيسكون عهد في حياته ملكة صيريقية باختياره إلى ولده أبيون ومصر إلى أرملة كليوباترة وولدها وهي تولى واحدا منهم الملك حسبما تختمار الآن الامة ما كانت ترغب ضرر الولد الاكبر في كونه يفقد حقوق بكوريته فن ثم ألزموا الملكة بطليموس من قبرص وكانت أمرت أباه بطرده فيها ونفيه من الديار المصرية بحيث تشركه معها على التخت في حكم المملكة ولما حضر في قبل جلوسه وتوحيجه في منف كاهن العادة الجارية في المملكة ألزمته بطلاق أخته الكبرى وكان مغرما بجها وعشقهها وأخذ بدلها من أخته الصغرى سلمي وكان لا يميل إليها ولا يشتهي أن يشم لها رائحة لكنه أجرى هذه الاعمال على غير رغبة ومرام منه

وخلف بطليموس التاسع الملقب لاثروس أباه في سنة ١١٧ قبل الميلاد ولما رأت كليوباترة مطالقة لاثروس قهر أعنه زمام أمرها بسدها تزوجت قيزية قوميان وكان اسمه انطيوخوس الملقب قيزية قوميان وهو اسم مدينة قيزية يقوم من أعمال ميسيا الصغرى كان تربى فيها وتم ذبح على أهلها وهذا أخوان انطيوخوس غريبوس ملك سوريا وكان بطليموس فيسكون ساعده على التغلب عليهم وأوزوجه ابنته طريفانة وفي أثناء زواج كليوباترة مطلقه لاثروس بانطيوخوس قيزية قوميان كان هو وأخوه غريبوس محجرين الحرب سووية من أجل المملكة فأعطته كليوباترة جيشا في مهربا يساعده على أخيه خصمه زوج أختها طريفانة ولما صارت قوى الاخوين متعادلة على وجه التقريب التحمى في القتال فكانت المصيبة على قيزية قوميان انطيوخوس فانه لم يبق له قهر الى انطاكياء وترك زوجته كليوباترة فيها ولما رأى أن زوجته صارت في حرج حصين توجه ليجمع جيشا جديدا لاجل تقوية جيشه واعاد القتال مع أخيه فسار غريبوس انطيوخوس وحاصر المدينة وضيق عليهم واشدد على أهلها حتى تغلب عليها قهرا وكانت زوجته طريفانة متاهقة جدا على القبض على أختها وقتلها ولو أنهم كانتا شقيقتين لأنهما كانتا على كراهة وحق شديد منها بسبب زواجهما عدوها وكونها أعطت له جيشا يساعده عليهم ما وأمرت زوجها غريبوس أن يسلمها اليها كي تفعل فيها ما تشاء فمن ثم هربت كليوباترة في معبد من معابد انطاكياء واستمر الحرب بين الاخوين ولم تملك طريفانة من أختها ما كانت تؤمل وتبغيه

وأما كليوباترة أم هاتين البنيتين فانهما كان عندها أدنى فكري ولا تبلبل بال من خصوص أولادها بل كانت مشغولة على الدوام بمساوئ لها نفسها من الطمع والشهوة في قبض على زمام السلطنة المصرية وجعلها تحت يدها في حكومة مطلقة مدة حياتها ولاجل تقوية نفسها على ما ترغبه عهدت مملكة قبرص الى اسكندرا بنها الا صغر حتى تحررته من الاتحاد مع أخيه لاثروس ولربما يحصل من اجتماعهم مساوية ضرر يعود عليها في المستقبل فكانت باذلة جهدها في عدم وقوع ما يماثل هذا الخطر وبينما كان الاخوان غريبوس وقيزية قوميان مشغولين بالحروب الشديدة والمبارزات الطويلة اذ تقوت شوكة يوحنا هرقلانوس ملك اليهود وصار لا يخاف من هذين الاخوين ولا يخشاهما وشرع في التغلب على مدينة سمارية وانحاضها لاطاعته وأرسل ولديه ارسطبولوس وانطجنوس لاجل محاصرة تلك المدينة فطلب السماريون من قيزية قوميان انطيوخوس بعد أن صار ملكا دمشق نجدة لمساعدتهم فسار اليهم في رأس جيش فترك الاخوان أولادهم قانوس حصار المدينة وتقابل مع قيزية قوميان ووقعت بينهم واقعة شديدة انهزم فيها قيزية قوميان ومن بعد هذا النصر رجع الاخوان الى حصار مدينة سمارية وشددوا عليها في الحصار وضيقوا على أهلها حتى انجبر أهلها مرة أخرى على أن يرسلوا الى قيزية قوميان ربط العلاقة والمعاهدة وبأى لمساعدة المدينة وخلاصهم من أيدي الاعداء ولما لم يجدوا عندهم العساكر الكافية لرفع حصار المدينة طلبوا المساعدة من لاثروس ملك مصر فأعانهم بتحو ٦٠٠٠ نفس في سنة ١٠٧ قبل الميلاد على غير رغبة من كليوباترة أمه فمن ثم غضبت عليه وعزمت على نخله من أجل تدخله في هذا الحرب من غير أن يأخذ رضاها ورغبتها ولما وصل العساكر المصرية المساعدة الى ميدان الواقعة في سوريا ضمهم قيزية قوميان الى عساكره ومع هذا خشى من الهجوم على الجيش المحاصر مدينة سمارية فاكتمى بتخريب البلاد وسلب العباد



ولما كان ارسال هذه العساكر على غير رغبة من كليوباترة ضمت هذه المسئلة مع مسائل أخرى حصلت من لاثروس في سلطنتها أغضبتهما وأخذت من لاثروس زوجته صالني بعد أن خلف منها ولدين وألزمته الخروج من مصر وكانت الطريقة التي أجرتها في ذلك هي أنها أمرت بعض الطواشية المقبولين لديهم أن يجرحوا أنفسهم بجراح بالغة وجلبتهم في جمعية من أهل الاسكندرية وأمرتهم أن يقولوا أنه حصل لهم هذا الفعل الفظيع الوحشي من ابنها لاثروس وقت ما حصل منهم الاجتماع في المدافعة عنها وقت ما أرادوا حفظها من بطشه وغوائلها وأشعلوا قلوب الأمة الاسكندرية بهذه الأقوال الكاذبة وأثبتوا هذه الجمعية أنه كان يريد قتلها فقاموا جميعاً على لاثروس وأرادوا قتله وتقطيع جسمه لولا أنه هرب من المينة في مركب وأقلعت به في الحال هارباً من مصر ولما خرج لاثروس من مصر أرسلت كليوباترة في الحال وطلبت ابنها اسكندرا الأصغر من قبرص وجهلته مائة مصر بعد أخيه وألزمت أخاه لاثروس بقبوله مملكة قبرص بعد أن تنازل عنها أخوه اسكندر

ثم إن اسكندر في سوريا حاصر بطليموسية (عكا) في أشغال تخص نفسه حصاراً شديداً وضيق عاها فأرسلوا يطلبون مساعدة بطليموس لاثروس فتوجه اليهم بنفسه وكانوا وعدوه بأن يجملوه مائة كاهنهم فلما تغيرت نياتهم تركهم ودخل في مخبرات مع اسكندر ولما صار على شرف عقد المعاهدة معه حصلت المخابرة بين كليوباترة في مصر واسكندر بانها سته وافيه بقواها ليضمها إلى قواها ويطرد لاثروس من فلسطين وصار اسكندر العادل دالاً للاثروس فعزم لاثروس على ضرره ونزول البلاد عليه بقدر ما يمكنه وفي السنة التالية ماخاب لاثروس من وضع ما عزم عليه موضع العمل وقسم جيشه قسمين جعل الأول تحت قيادة واحد من قواده لاجل حصار بطليموسية وكان على حلق منها وسار هو في القسم الآخر بنفسه فاصد اسكندر ومدة أهل غزة لاثروس بقوة كبيرة من العساكر ووقعت بينه وبين اسكندر واقعة دموية على شواطئ نهر الاردن قتل فيها نحو من ٣٠٠٠٠ نفس من عساكر اسكندر خلافاً للجرحين والمأسورين وفي هذه الواقعة حصل النصر والظفر العظيم لللاثروس

وروي أنه حصل من لاثروس بعد نصرته هذه ما تنجبه الاسماع وتقتصر منه الابدان من أفعال همجية وأعمال قبيحة بربرية ما جرت قبله ولا بعده ولا سمع في التواريخ بمثله. وذلك أنه في مساء اليوم الذي نال فيه النصر على اسكندر توجه به عساكره إلى عسكرهم في القرى المجاورة لمحل الواقعة فوجدوا مشحونة بالنساء والأطفال فأمر بأخراجهم وقتلهم جميعاً كبيراً وصغيراً وتقطيع أجسامهم قطعاً ووضع اللحوم في قزانات وطنابج وجعلها عشاءاً لعساكره وكان قصده بذلك نشر الاخبار وإذاعة الجوادث في جميع الجهات بأن عساكره يأكلون لحوم الأدميين حتى يقع الرعب في قلوب الناس ويخشوا منه البأس ومن بعد أن هزم لاثروس اسكندر وعساكره وشتت شملهم وصار لا يوجد أمامه في الميدان عدو سار في جميع أرض السهل وخربها ودمرها أهلها ونهبها وصار اسكندر مملوكها لا يمكنه فعل شيء من غير مساعدة كليوباترة وحصل له الضعف والخذلان مما لاقاه من الويل والخسران وسار لا يرفع له راية أمام عدوه ولا يظهر من مقر سموة

ولما رأت المملكة كليوباترة ملكة مصر أم لاثروس أنه لو صار لاثروس المذموم كورمات يهودا لم يعقه شيء عن الدخول في مصر وسلب ملكها وداخلها عن تحتها فدفرت في نفسها ورأت أنه من الضروري توقيف تقدماته وهبوط حركاته وجندت لهذا الغرض جنوداً كبيراً وعهدت قيادته لاثنين من اليهود

وهما شلسباس وأنانياس وجهزت في البحر اسطولا لنقل عساكرها ونزلت بنفسها في هذا الاسطول مع عساكرها وسارت باسطولها حتى نزلت في فينيقية بعد أن حلت معها جميع خزانها وكنوزها وجواهرها فاصدة بذلك حقتها الوحصل لها حاصل من مصيبة أو خطر واختارت لوضع هذه الخزان وحفظها جزيرة كوس وأرسلت في هذا الوقت حفيدها الاسكندر بن اسكندر المشتهر ترك معها في ساطنة مصر ولما جعل ميثريداطيس نفسه سيد تلك الجزيرة كانت هذه السكندر موجودا فيها فأخذ البرنس الشاب تحت حمايته ورباه وهدبه تربية الملوك ومن بعد مضي مدة تسلى اسكندر من ميثريداطيس والتجأ الى حمايته صيدا فقابل له صيدا بالتجميل والاحترام وأخذته تحت حمايته وأرسله رومة وأخيرا أجلسه على الأريكة المصرية كما سند كره بعد

وتولد من نزول كليوباترة في فينيقية أن رفع لاثروس الحصار عن بطليموسية وكان لم يزل مستمر الحين وصولها وتقهقرا لاثروس الى سوريا الجنوبية فأمرت شلسباس قسما من جيشها بتعقبه وبواسطة القسم الآخر تحت قيادة أنانياس حاصرت كليوباترة مدينة بطليموسية ولما مات شلسباس في حربه مع لاثروس وكان قائد الفرقة الاولى توقف كل شيء من بعدهم وأما لاثروس فإنه انتهر الفرصة في أثناء هذا الارتباك الذي حصل في جيش أمه وسار بجميع قواته الى مصر مؤملا أنه لا يوجد فيها محام ولا مدافع حال غياب أمه عنها لأنها أخذت جميع العساكر الشديدة وتوجهت بها الى فلسطين وكان فكره هذا غير صواب اذا العساكر الذين تركتهم كليوباترة في مصر دافعوا عن المملكة حتى أمدتهم كليوباترة بالعساكر من فينيقية وقتما بلغها خبر ما يريد من غزوه وانجبر على القهقرة الى فلسطين وعسكر بعسكره في غزة بعد أن حرم من هاتيك اللذة

وأما كليوباترة فإنها شددت في الحصار على بطليموسية وأنزلت عليها البليه وضيق عليها ووصلت بطريق الهجوم عنوة اليها حتى تغلبت عليها ودخلتها وبمجرد قرارها فيها زارها الاسكندر وحلب لها معه هدايا ثمينة قيمتها لا تنكر ولما رأى بطليموس لاثروس وهو في غزة أن ما هو حاصل منه من السعي والاجتهاد لا يفيد فأنه في فلسطين ما دامت أمه معاضدا لها ترك ما كان عازما عليه وتوجه الى قبرص وتوجهت كليوباترة أيضا الى مصر وخلصت من الاثنين البلاد وأراح الله منهما العباد

ولما وصلت كليوباترة الى الاسكندرية باغها أن لاثروس دخل في معاهدة في دمشق مع قيزريه قوميان أنطيوخوس فرأت أنه ربما يجد له استعداد في نفسه باستعدادات جديدة لاجل أن يرد نفسه التاج المصري ففعلت كليوباترة على ضده وزوجت بنتها صاني وكانت أخذتها من لاثروس الى غريوس أنطيوخوس وأرسلت له في ذلك الوقت عساكر كثيرة ومبالغ نفود وفيرة حتى يتيسر له الحصول بها على استعداد كاف للهجوم على أخيه أنطيوخوس قيزريه قوميان بغاية الشدة والعنف فتججت هذه الاشغال على حسب رغبتها وتجدد الحرب بين الاخوين وكثرت الاشغال والمتاعب على قيزريه قوميان في ملكه حتى صار لا يمكنه فيها مساعدة لاثروس فانجبر لاثروس على ما كان عزم عليه وتوجه الى سبيله مقلوع اليأس خائب الرجا

وأما بطليموس الاسكندر أخو لاثروس فعندما أجلسته أمه على التخت حصل له ارتجاج واضطراب من عنفها وشدة أعمالها الوحشية التي تعدت بها على أخيه لاسيما أخذها زوجه منه وتزويجها بعده فلم رأى في نفسه أن كل ما أجرا من الاشغال وان كان على رأيها ورغبتها لا يسلم من بطشها وغوائلها



حتى ولو من غير سبب كما فعلت بأخيه من قلة الادب عزم أن ينجلي عن التخت ويعتزل الى عيشة  
طيبة رغدا لا يخشى فيها طردا ولا نفيما من أم خبيثة وعدوة قبيحة ولما فعل هذه الفعلة تسلطن الغضب  
عند الامة وصمموا على عوده وقالوا لا يمكن الملكة السلطنة بمفردها وان كانوا يعلمون علم اليقين أنها  
جعلت لابنها لقب ملك فقط اسمها من غير فعل وانما من عهد موت فيسكون قابضة على زمام السلطنة  
ومن تداخل لا تروس في أعمال ضدر غيبتها حرمتها من تاجه وزوجته وطرده من البلاد

وفي سنة ٩٧ قبل الميلاد مات انطيوخوس غريبوس قتله أحد خدامه من بعد أن تسلطن سبعا  
وعشرين سنة وخلف خمسة أولاد جميعهم تسلطوا من بعده وفي سنة ٩٦ قبل الميلاد مات بطليموس  
أبيون بن فيسكون بطليموس وما كان له وارث من بعده فترك مملكته للرومانين على وصاية منه  
وفي نحو سنة ٨٩ قبل الميلاد قتل اسكندر الاول أمه وأعلن بالملك لنفسه ولقب بطليموس العاشر  
وذلك أن الاحوال اضطربت في مصر زيادة عن سوريا وصارت كايوبطره لا تطيق أحد غير نفسه في  
علو درجة سلطنتها ولا تقبل اسكندر ابنها معها في الاشتغال في شرف التخت وعزمت على خلاص  
نفسها منه حتى تكون هي الملكة الوحيدة في مصر دون غيرها في الحال والاستقبال ولما تحقق  
اسكندر من رغبة أمه أمر في الحال بقتلها وكانت امرأة خبيثة الطبع فطبعة الاعمال ما خلص من  
يديها أحدا لها ولا أولادها ولا بناتها ووقدت كل شيء في مطامع أغراضها في السلطنة حتى أتتها الموت  
الذي عمل بروحها الى النار وبئس القرار

وبعجرا ما شاع في الاسكندرية أن السبب في قتل الملكة هو اسكندر ابنها حصل النزاع واليهول وكثر  
الشغب والثوران وقام الاسكندر ابنون عليه وطرده من الاسكندرية وطلبوا أخاه من قبرص  
وأجلسوه على تخت المملكة وفي هذه المرة قوى لاثريوس نفسه وتقلد زمام السلطنة حتى مات  
ثم اجتهد اسكندر وسعى في الحصول على مراكب وعساكر وأراد أن يعيد نفسه التخت كما كان الا انه  
لم ينجح في مشروعه ومات حتف أنفه في غزوة جديدة كان شرع فيها

وفي سنة ٨٨ قبل الميلاد من بعد جلوس بطليموس لاثريوس على تخت مصر انفجرت ثورة كبيرة في  
ضعيد مصر كان منشؤها الغضب على ما حصل ضدا اسكندر فهزم العساكر السلطانية العصاة شرهزيمة  
في واقعة حصلت بينهم ومن بعد الهزيمة التجأ العصاة داخل مدينة طيوه وحصنوا أنفسهم فيها وادفعوا  
عن أنفسهم وعن المدينة بكل جهد وأخيرا تغلب العساكر على المدينة بعد أن حاصروها ثلاث سنوات  
وأخرجها بطليموس لاثريوس وقتل زعماء الثورة وصارت المدينة أطلالا وخرابا بعد أن كانت أغنى  
مدائن الديار المصرية وأحسنها بهجة ومنظرها وعمرانها ومن بعد هذه تسلطن بطليموس لاثريوس سلطنة  
سليمة هادئة لاحت فيها ولا نزاع وامتدت لحد سنة ٨١ قبل الميلاد ثم هلك في هذه السنة بعد أن  
تسلطن ستا وثلاثين سنة منها احدى عشرة سنة مع أمه بالاستئثار معها على التخت وثمان عشرة سنة  
في قبرص وسبع سنين بمفرده في مصر من بعد أمه

وخلفته كايوبطره بنته وكان لا وارث له غيرها وكان اسمها بريسي وهي بنت صاني الأبنها القيت بذلك  
على حسب الطريقة الجارية عندهم العائلة أن يقبوا جميع الذكور باسم بطليموس وجميع البنات  
باسم كايوبطره

وفي أثناء هذا الوقت كان صيلا هو الآخر الناهي أي مطلق التصرف في رومة فأرسل اسكندر يستحوذ

على تخت مصر من بعد موت ٤٤ لا ثريوس حيث انه هو الذي كرا الوارث الاقرب جدا للمتوفى وكان هو ابن  
اسكندر الذي قتل أمه الا أن أهل الاسكندرية كانوا جلسوا برئيس كايو بطريرك على تخت المملكة  
واستمرت متقلدة زمام السلطنة ستة أشهر حتى حضر اسكندر من رومة فلاح ملأمة هذا الخلاف  
وعدم وقوع الاضطراب والارتباك ومراعاة خاطر صيلا سيد رومة حصل الاتفاق حسب الجارى على  
ان كايو بطريرك تزوج باسكندر ويتسلطان على مصر سوية ولما كان اسكندر لا يرغب في رومة ولا يبغي  
الاستمرار معها في السلطنة أمر بقتلها من بعد مضي تسعة عشر يوما من عقد الزواج وتسلطن في  
مصر وحده مدة خمس عشرة سنة ولقب بطليموس الحادى عشر وفي هذه المدة حصلت حروب  
داخلية وثورات وقلاقل ارجح منها جميع المملكة المصرية وأخيرا قام الاسكندريون في سنة ٨٠  
قبل الميلاد على ملكهم حاملين السلاح في وجهه وطردوه من المملكة واستمرت المملكة بعده في خراب  
ودمار وثوران وعصيان ولم يكن فيها حكومة ساطانية مدة خمس عشرة سنة وفي أثناءها توجه  
اسكندر الى القائد الروماني بومبي وكان في البلاد المجاورة له وطلب منه مساعدته وعودتاجه اليه فما  
قبل بومبي التدخل في مثل هذه المسائل لانها خارجة عن مأموريته وحكومته ولما قطع اسكندر  
اليأس من بومبي توجه الى مدينة صور ينتظر لنفسه فيها فرجا من عند الله وأخيرا أتاه الفرج ومات  
بعد ذلك بقليل وقبل موته كتب وصية عن نفسه ما آلهما أن الامة الرومانية هي الوارثة له في أملاكه  
ومخلفاته من بعد موته

وفي سنة ٦٥ قبل الميلاد جلس بطليموس الثاني عشر الملقب أو طيس أى النايقي لانه كان مغرما  
بضرب الناي وهو ابن زنا من لا ثريوس وليس ابنا شرعيا له على تخت المملكة وأرخ ساطنته من ابتداء  
موت برنيس الا أنه ما كان ملك مصر في الحقيقة لمدة سنة ٦٥ قبل الميلاد وفي هذا الوقت انفصلت  
قبرص من مصر وصارت مملكة مستقلة في حد نفسها تحت حكم المملكة الرومانية ومحافظتها وبما أن  
سلف بطليموس هذا هو اسكندر تنازل بوصية عن ممالك ومخلفاته من بعده للامة الرومانية وجعلها  
هي الوارثة له لم يحصل من مجلس الشيوخ رومة حكم فاطع يقضى في هذا الوقت بالاستحواذ على  
الممالك التي تركها لهم اسكندر في وصيته الا أن المجلس رأى أنه لا يتنازل عن حقوق الورثة هذه وعزم  
على أخذ شئ من مخلفات اسكندر فأرسل نوابا من طرفه الى مدينة صور التي مات فيها اسكندر لطلب  
مبلغ من النقود كان تركه اسكندر فيها

وما كانت طمبات الامة الرومانية ورغباتها تحت حصر ولا حديل ولا كانت غير مأمونة العاقبة بالمملكة  
بالنسبة لادخال واقامة أى مملكة تحت حوزتهم بعتقدون أن لهم الحق في طلبها ما لم توجد وسائل  
بهم يمكن رفض هذا الطلب ومن عهد بطليموس الاول كانت ملوك مصر في وداد ومحالفة مع الرومانيين  
ومن بعد أن يعلن بطليموس محالفته مع رومة تتأكد له ساطنته وتعترف الرومانيون بملوكيته لكن  
والحالة هذه كان من أكبر المهمات وأصعب الاحوال وأشقها على بطليموس الثاني عشر هذا الحصول  
بسهولة على الحالة المؤدية لجلسه على تخت مصر بواسطة تصديق الرومانيين ومساعدتهم له ومع  
هذا فإنه لم ييأس من أن يحصل له نجاح في مشروع يجريه وذلك أنه شرع في اتخاذ الوسائل والاعمال  
المؤدية الى غاية مراده ومقصوده لانه احتاج لزم طويل وكان عليه من أشق الاعمال وأضيق  
الاحوال ولربما كان لا ينجح في هذا المشروع لو لم يكن في مصر قنصلا في رومة واعة قد بطليموس



النايات هذا صاحب الطمع الاشهي أن كل ما يجريه من الوسائل يمكنه به ما ييسر الحصول على أداء أغراضه فن ثم وقع في ديون كثيرة زيادة عن طاقته وقال ان الانسان يدرك أغراضه بالنقود وييسر له بها الحصول على ما لا يمكن الحصول عليه بالحق الشرعي وعلى هذا بيعت له معاهدة رومة بأثمان باهظة جدا تولد منها الضحلاله ووقوعه في الديون التي صرفها في مشتري هذه المعاهدة كما أنه أعطى مثل قيمة ثمنها الي يومي القائل لانه كان يعتقد أن يومي ظهره في هذه الجهة وأنه هو المول عليه في مثل هذه الحالة المهمة وفي رضا الاهالي وقبول سلطنته عليهم فكان مقدار الثمن الذي دفعه ٦٠٠٠ وزنة من الذهب عبارة عن ٦٠٠٠ استرلينه بحساب كل وزنة ١٥٠ جنيه استرلينه وبهذا الثمن صدق الامة الرومانية على معاهدته وصار صديقيهم وحليفهم

ومع ان مدخول وايراد هذا الملك سنويا كان ضعف هذا المقدار المتيقن لان ما كان له طاقة على تحصيل نقودا وجعها من دون أن يضرب ضرائب باهظة على رعيته فضلا عن كون رعيته كانوا على نفور زائد منه وكرهه له من أجل كونه لم يعلن بأن جزيرة قبرص تابعة من قديم الزمان لمصر واذا صار رفض هذا الطلب لزمه إعلان الحرب على الرومانيين وكان الرومانيون في هذا الوقت تغلبوا على سوريا وما جاور مصر من البلاد والممالك وصارت محيطة بأعدائها ولما وجد الامة المصرية ما هم فيه من المتاعب من كثرة الضرائب التي ضربه بطليموس عليهم أخذهم الغضب الاكبر والنفور الاعظم وقاموا عليه مع الصرامة والعنف حتى ألزموه الهرب ابقى سلامة نفسه وأخفى عنهم طريق وجوده حتى اعتقه يد المصريين أن بطليموس مات وهلك فأجلسوا بنته طريفانه وبرئيس على تخت فماتت طريفانه من بعد مضي سنة واحدة واسقرت الاخرى في السلطنة

ولما هرب بطليموس الثاني عشر من رعيته نزل في مركب وسافر متوجها الى رومة فنزل في جزيرة رودس وكانت على طريقه الى رومة فأخبروه فيها بأن كاطو وصل الى هنا قبله بيضع أيام وكان كاطو هذا من أجل أفاضل الرومانيين وعظمائهم فحصل لبطليموس السرور الشديد في انتهازه فرصة المخاطبة معه والمداولة في أشغاله وأعماله وأرسل له في الحال يعلمه بوصوله الى الجزيرة وانتظر حضوره لديه وقدومه عليه معتقدا في نفسه أن كاطو متى أخذ خبر ابقائه قدومه يسرع في مقابلة له ويحضر مباشرة لزيارته الا ان الكبر الروماني والشماعة المتلبسة به منعتة عن ذلك وأمر الرسول بأن يقول لبطليموس ان كاطو منتظر حضوره لديه ان كان يرى لنفسه في ذلك مناسبة وموافقة فن ثم توجه بطليموس عنده وما كان كاطو في الوقت على اعتنا من استقباله بطليموس حال قدومه اليه ودخوله في قاعته عليه بل سلم عليه سلام انسان معتاد وما حصل عنده أدنى خبطة في القيام له وأمره بالجلوس وقال له اقعدها فارتبك عقل الملك وتشتت ذهنه وفكره من حصول هذه المقابلة الباردة المزرية بجمامة وأخذ الانذهال من الكبر والعظمة الموجودين في رجل مثل هذا في أبسط ما يكون من العيش والمأكل وزاد استغرابه حال افتتاح الكلام بينهما فقد أخذ كاطو يذمه ويلومه ويعنفه بالقول وقال له كيف تركت أطرف مملكة في ممالك العالم وأحسنها وجعلت نفسك عرضة لفظاظة الذين لا يقنعون بشئ من كثرة ما هم عليه من البخل والشح والشماعة والكبرياء وتحملت أشق الآلام وأكبر المتاعب التي لاحد لها ولا نهاية فقال له بطليموس ولم يرتب من قوله لو أنني بعثت من أجلهم جميع ما في مصر وسلمتهم أثمانه لم يقنعوا ولم يستكفوا ولم يكن موفيا لشرهم وطالبهم ثم أشار عليه كاطو ونصحه بأن قال له يلزم أن تعود

في الحال الى مصر وترتبط علاقات محبة نفسك مع رعيتهك وتمتزج معهم ~~كل الامتزاج~~ حتى تأمن  
غائلتهم ويأمنوا غائلتك واني لا بد من أن أصبحك اليها وأدبر أحوالك وأعمالك فيها  
وبعجرك ما نعتهم كاطوكلامه استيقظ بطليموس من غفلة منامه وظن أن ذلك كانه منام وتعقل  
جميع ما قاله الفاضل الهمام وظهر له الخطأ من الصواب وندم وحرزن على تركه مملكته وكان له عقاب  
وعزم في الحال على العود اليها الا أن الاصدقاء الذين كانوا معه لما كانت مكاسيهم من جهة يومي  
محصورة في كونهم يتوجهون به الى رومة أشاروا عليه بالعسول عن نصيحة كاطو وأروهم ما يعود منها  
عليه من الضرر والاذى حتى أداروا عقله ووجد نفسه في المدينة المتكبرة الشاغرة الاتف وحضوه  
على ربط علاقاته مع نواب مجلس الاعيان حتى يكونوا معه عوناً على ما أصابه من حوادث الزمان  
فصار يدور على الابواب مثل رجل من الطلاب وما كان القيصر يوليوس في هذا الوقت موجوداً  
في رومة بل كان مشغولاً بحرب مشتعلة في الغلية وكان بطليموس رعي أساسات آماله وما ينبغي من  
أعماله على هذا البطل الهمام وبما أن يومي كان موجوداً في رومة أعطاه محلاً في بيته أنزله فيه  
وامتنع من أن يأكل معه أو يقدّم له طعاماً يقربه وكان بطليموس فضلاً عن النقود التي أعطاه  
ليومي بالاشترائه مع قيصر غرس صداقته ومحبة ليومي حينما كان فيهم وذا مجرياً الحرب فيها بكونه  
قدم له خدمات جليلة أثناء حربه مع ميثريداطيس وأخذ على حسابه ٨٠٠ فارس ولما قدم بطليموس  
شكواه لمجلس الاعيان في رومة ما هو حاصل من عصيان رعيته عليه وطلب من المجلس الزامهم بالرجوع  
والانقياد اليه حسب ما وعد المجلس الروماني من كونه يفعل ويؤدي هذا الطلب بمقتضى نص  
المعاهدة الممنوحة له من مجلس الاعيان نال من حزب يومي تمام الرضا والقبول في اجابة طلبه  
وتكفل القنصل لنطولس وكانت وقعت صليصيا من قرعته وهي مفصولة من مصر بساحل سوريا  
فقط بأن يعيد بطليموس ثانياً على كرمي مملكته ويخضع لرعيته الا أنه من قبل خلاص مدة فصلية  
لنطولس أخذ المصريون خبراً بأن ملكهم لم يمت كما كانوا يعتقدون بل انه توجه الى رومة فأرسلوا  
رسلاً خطيرة من أجل عظمائهم الى رومة لأجل تبرئة ثورتهم وعصيانهم أمام مجلس الاعيان وكان عدد  
هؤلاء الرسل مائة نفس وكان رأسهم أحد مشاهير الفلاسفة ويسمى ديون وكان من أعز المحبين  
للرومانيين في رومة فلما بلغ بطليموس هذا الخبر عزم على اجراء الوسائل اللازمة لهلاك هؤلاء المرسلين  
اما بالسهم أو بالسيف وبهذا وقع الرعب والخوف في قلوب الذين لا يمكنه التعدي عليهم أو قتلهم حتى  
خافوا من أن يبرؤا أنفسهم أو يطلبوا محاكمة من أجل الذين قتلوا ~~كن~~ بما أن هذه القسوة  
والاعتساف مع لومان في عوم الدنيا ثبت على بطليموس أنه أكبر شخص مشير للثورات ومهيج للهيجات  
كما انه عاجز الرأى ضعيف الحكم فن ثارت بكت أموره ونحير في أعماله وانتظر المدد الطويلة في رومة  
يقاسى مشاق الآلام وطول الكلام وعدم الفائدة من مجلس الاعيان حتى سمع له يومي في  
سنة ٥٥ قبل الميلاد وأعطاها مكاتيب من طرفه الى جانيوس حاكم سوريا ولمحقاتهم اليه ساعده على  
أعماله ويبلغه مأموله ونواله وكان جانيوس في هذا الوقت شارعاً في السير لمساعدة ميثريداطيس  
ملك فرسية وكان صار طرده بواسطة الملك أخيه من ميديا وكانت وقعت من قسمه ونصيبه وفي أثناء  
عبور جانيوس الفرات بجيشه وافاه بطليموس بجوابات يومي محب الطرفين وولي الاثنين وكان  
صار تعين يومي قنصلاً في هذه السنة وناشد يومي في هذه المكاتيب جانيوس ببذل همته ومافي



طاقته في خصوص ما يعرضه له الملك من أجل اعادته على كرسى مملكته ومع ما في ذلك من الاخطار والمتاعب الممكن وقوعها فجميع ما حصل من همة يومى في ذلك كان منتظرا فيه مكاسب عظيمة أو عزيم الى جانبىوس فابتدأ هذافى حياكة الاعمال اللازمة لجلب هذه المكاسب وكذا حصل من أنطونى أحد القواد الهمة التامة في تأييد شكوى بطليموس وحث جانبىوس على فعل ما يرغبه بطليموس لان أنطونى أراد أن يشهر نفسه وكان مائلا بكليته ما يرغبه بطليموس لان ما أجراه من المدح له والتعلق عنده ملائمة ما رأى أنطونى وأخذ بجميع قلوب وعقله زيادة لشهرة نفسه فأمره جانبىوس أن يصحبه الى سوريا وأن يكون قائدا عساكره الخيالة وكان أكبر مشروع وأعظم تدبير هو زيادة فكر جانبىوس في أن يكون له حق في أن يأخذ من بطليموس مبالغ جنسية نظيرا لثأره وعساكره في مسئلته ولما لم يجد بطليموس بد من ذلك صار لاصعوبة عنده في الاتفاق معه على أى شرط يشترطه عليه فقدم له بطليموس له وخيشه ١٠٠٠٠٠ وزنة من الذهب يعنى ١٥٠٠٠٠٠ ليرة استرلينية يدفع من هذا المبلغ الثلثين بمجلا لجانبىوس والثلث الباقي يدفعه عنه عند عود سلطنته له فقبل جانبىوس هذه التقدمة من غير ريب ولا تردد

وأما المملكة المصرية فانها كانت ما زالت مستمرة تحت حكم الملكة برنيس وكان بمجرد جلوسها على التخت أرسل المصريون تقديم التاج و برنيس لانطيوخوس اسياطيفوس في سوريا وكانت أمه في فرع صاخي في القرابة وكان أقرب ذكر وارث للتخت المصرى ولما توجه الرسل الى سوريا ووجدوه مات من مدة ووجدوا له أخا على قيد الحياة اسمه سلفوس ويلقب سيبسيوس ساقيطيس قدموا له هذه التقدمة فقبلها منهم وكان برنيس امر ذولا منهم كافي الشج والجل وما كان له فكر في الدنيا الا جمع النقود في خزينته وكان أول عمل أجراه بعد أن قدم مصر هو أمره بوضع بحثة اسكندر الاكبر في صندوق من بلور ملحوم بالذهب وكان لحدا لا تم يمسه أحد فتولد من هذا الفعل ومن أفعال أخرى هيجان الملكة زوجته مع رعيتها فقاموا عليه وتخنقوه وعجلوا بروحه الى النار وبئس القرار وكان هذا آخر ملوك الجانس الصليقي ثم تزوجت من بعده الملكة واحدا آخر اسمه أركيوس

ثم ان جانبىوس بعد أن عبر نهر الفرات عبر فلسطين وسار مباشرة الى مصر وكان لا يخشى من شئ في سفره هذا سوى الطريق اللازم عبوره منها حتى يصل الى مدينة بلوزه لان هذا الطريق واقع في أرض سهلة رملية لا نبات بها ولا مياه لشروب الناس والحيوانات فأرسل جانبىوس على مقدمته أنطونى بعساكر الخيالة فضبط جميع المعابر ودروب المرور وتغلب على مدينة بلوزه مفتاح مصر مع ما فيها من المحافظين وأمن الطريق اللازم لمرور باقي الجيش منها وجعل أنطونى لقائده آمالا كبيرة من الطفر والنجاح في هذا الحرب وساق جانبىوس مع أنطونى الجيوش والعساكر وتغلبا على مصر بعد أن دافع عنها عساكرها مدافعة قليلة لم تستمر زماما طويلا وأخضع الرومانيون البلاد والعباد والزمو الامة المصرية بقبول بطليموس النابقي ولما استحوذ بطليموس على مملكته وجلس على كرسى سلطنته ترك فيها جانبىوس جملة من العساكر الرومانية لأجل حفظ المملكة والحفاظة على شخص الملك ورجع قافلا الى سوريا بعد أن استلم الثلث الباقي من المبلغ الذي كان تعهد بطليموس بدفعه له وأمر بطليموس في الحال بقتل بنته برنيس لانها ليست تاجه في مدة تقيمه وطرده وبعد قتلها اخلص نفسه من جميع أغنياء الامة المصرية الذين كانوا في حزبه ضادا له لكونه أمر بقتلهم وضبط أملاكهم وعقاراتهم

وبيعها في نظير المبالغ الذي أعطاه لباينيوس وكونه دخل تحت الديون الكثيرة لاجل تأييدها لكنه  
وتوطيد سلطنته

ومات بطليموس أوامطس بعد ذلك في حالة مستتبة الراحة والامن والسلم في المملكة المصرية بعد أن  
حكم أربع سنوات تقريبا من بعد عود سلطنته اليه وكان موته في سنة ٥١ قبل الميلاد وأراح الله  
منه العباد

وترك ولدين وبنتين وأوصى بالتخت لابنه الاكبر وكان عمره ثلاث عشرة سنة وكان اسمه بطليموس أيضا  
ولابنته الكبرى وكان اسمها كليوباترة وعمرها سبع عشرة سنة وأوصى في وصية تركها من بعده أن  
الاثنين يتزوجان ببعضهما حسب العادة الجارية في هذا البيت ويتسلطان على التخت سوية وبما أن  
الاثنين كانا صغيري السن جعلهما تحت رعاية ووصاية مجلس الاعيان في رومة

وفي مبادى سلطنة كليوباترة وأخيها التي كان مبدؤها في سنة ٥١ قبل الميلاد كان أخوها بطليموس  
صغيرا تحت كفالة الخصى بوثنوس واشيلاس قائد جيشه ولا ريب أن هذين الوزيرين استويا  
لأنفسهما على جميع ادارة الاعمال العمومية والادارات السياسية ومنع كليوباترة من أن يكون لها  
تدخل في الاشغال وحرمها من اسم الملك الذي تركه لها أبوها أوامطس في وصيته فلما رأيت ما حل بها  
من الضرر والاذى ذهبت الى سوريا وفلسطين اتجمع عسكر من تلك البلاد فاصبده بذلك اثبات  
حقوقها بقوة السلاح

ومن الامر الغريب أنه في أثناء الحالة الجارية فيها الشقاق والتزاع بين الاخ والاخت أن يومي بعد أن  
انهمزم في واقعة فارس اليها هرب مستخفيا الى مصر في مركب حتى يجد لنفسه فيها ملجأ أمينا وماوى  
حصينا يقيه مما حل به من المصائب والاهوال وكان في السابق هو المدافع والمحمي عن أوامطس أبي الملك  
المتسلطن في مصر في الحال فكان هذا الملك وهو بطليموس مديونا لسيادة يومي وشوكته في عود التخت  
الى أبيه ومنه وصل اليه وكان في آمال يومي أن يجد الولد حامدا شاكر الفاضله معترفا بدمته وعدله وان  
يكون في سلطنة ودولة يتساعدهم على قضاء أغراضه فعند وصوله الى الساحل المصري كان بطليموس  
موجودا مع جيشه على الساحل فيما بين مدينة بلوزة وجبل كاسيوس من جهة العريش الآن وكانت  
كليوباترة في رأس جيشها على مسافة قليلة منه فتدأول الوزيران بوثنوس واشيلاس مع طيودوطوس  
محافظ جسم الملك الشاب ومع بعض آخرين وكان يومي منتظرا في هذا الوقت نتيجة أقوال هذا المجلس  
واختار لنفسه أن يكون عرضة لضربة ثلاثة أشخاص قباح حاكين الملك أحسن له من أن يؤتمن على  
سلامتها القيصر سبطيموس وهو صهره وأكبر الرومانيين في عصره فاختلص المجلس في الرأي فقال  
البعض باستقباله وقال الآخر بعدم استقباله ويذهب من هذه المملكة ويفتش له على مأوى في غيرها  
وأما طيودوطوس فكان رأيته مخالفا لهذين الرأيين وذلك أنه قال أنه يجب علينا خلاص أنفسنا من  
هذا الرجل بالكمية لا نالوقابلناه وقبلناه لم ينس القيصر مساعدتنا لعدوه ولربما يبطش بنا واننا لو طردناه  
بغير مساعدة ومعاضدة وعادت الاعمال اليه فلا بد من كونه يتقم منا تطير عدم قبولنا اياه ومن هذين  
الوجهين لم يكن لنا خلاص من ضيق الاقفاص ولا الاطمئنان على أنفسنا الا اذا قتلناه ومن ثم يتيسر  
لنا الحصول على صداقة القيصر وحرمان يومي من وصوله بالاذى اليه وقال انه على حسب المثل  
المشهور أموات الرجال لا يحصل منها ضرب الرجال



ولما وقعت هذه المشورة عند المجلس موقع القبول وكانت أعظم سلامة لأنفسهم تكفل أشيلاش  
وسبطميوس وهما قائدان رومانيان في خدمة ملك مصر وبعض ضباط آخرين بقتل يومي وتوجهوا  
في زورق صغير لأجل استقباله وجلبه إلى الساحل معتلين بأن المراكب الكبيرة لا يمكن قربه من البر  
من دون أن يحصل لها خطر واصطفت العساكر على ساحل البحر وفي رأسهم بطليموس يظهرهون اجراء  
الاحتفالات اللازمة عليهم إلى يومي ولما توجه الزورق بجانب المركب مد الخائن سبطميوس يده إلى  
يومي باسم الملك استأذنه وأمره بالحضور إلى ملك صديقه كان يظن فيه يومي أنه حارسه وابنه فخصن  
يومي زوجته كورينيليا وكانت في هذا الوقت تسكب عبرات دموعها على خدودها من أجل فقده ومن  
بعد أن كرر يومي سمجات سوفوكليس وهي كل رجل دخل في خدمة طاغ صارر قاله توجه إلى  
الزورق وعند ما صار الزورق بمافيته على مقربة من الساحل ضرب يومي بالخناجر أمام عيني الملك  
وقطعوا رأسه ورموا جسمه على البر وتركوه ملقى على الساحل حتى دفنه رجل اختار من الرومانيين كان  
له معلومية به ولا يخفى في هذه الحالة ما حصل لزوجته كورينيليا من ذبح زوجها أمام عينيها وكذا  
ما حصل بالبحريين الذين كانوا في المركب مع يومي وفي مر كمين آخرين كانتا باعنتين إلهما من البكاء  
والنوح والسعي في أخذ الثار وإزالة العار الآن التلاقح والرياح هبت على المراكب فخشوا التلف  
وساروا من حيث جاؤا .

وأما القيصر فإنه بذل جهده وسعيه وكده وأسرع في الحضور إلى مصر من تابا من أن يومي تقهر إليها  
وقصدها في هربه والاعتماد عليها وأمل في نفسه أنه يجده فيها على قيد الحياة وبهذا عزم لأجل أن  
يمكنه الوصول إليها بسرعة على أن يأخذ معه قليلا من عساكره مقدار ٨٠٠ فارس و ٣٢٠٠  
من المشاة وترك الباقي من جيشه في بلاد الجريس وآسيا الصغرى تحت أوامر وقيادة قواده ونوابه  
وأمرهم بأن يجروا ما يعود منه النفع على نصرته ويقموا حكمته وسلطنته في أنحاء هذه المملكة وأما  
من جهة نفسه فإنه اعتمد على شهرته وصيته ونجاح جيشه في فارس واليا ووطد جميع الجهات لنفسه ولم  
يحصل عنده أدنى شبهة ولا تردد في سيره ونزوله في الاسكندرية مع القليل من العساكر الذين جلبهم  
معه فكان في هذه المسئلة التي أجراها مع الخفة والطيش على وشك الهلاك بما حصل له من التلبك  
والارتباك وعجز نزول القيصر في الاسكندرية بلغه موت يومي ووجد المدينة في ارتباك وهيجان  
وقلقة كبيرة واعتقد طيمودوطوس محافظ جسم الملك الشاب أنه فعل فعلا جيلا جاء على حسب رغبة  
القيصر وقدم رأس الرجل الشهير والبطل الخطير يومي الملتجئ إليهم فلما رأها القيصر نوح وولول  
وبكى وأن واشتكى وأدار وجهه حتى لا يرى هيئة أ وقعت فيه الرعب والانهال وأمر بدفنها مع الوقار  
والاجلال وأن يجري في دفنها الرسوم الواجبة لمثله ولأجل شهرته لم يومي واحترامه لذلك كرامته  
في الحال والاستقبال استقبال مع الاحتفال التام والاحسان العام والكرم والشفقة كل من كان  
منتبها إلى يومي وكانوا موجودين في مصر وكتب إلى مجيئه في رومة أن كانوا حامدين له نصرته  
وشاكرين لفضله فليحافظوا على حياته من كان جل السلاح معه وأن يوفوهم بأجل الاحسانات  
ويعمواهم بأجل الخدمات ويمنوهم بالحياة ودوام المسرات

ولما رأى القيصر كثرة ما بالمدينة من الفتن والشغب وكثرة الموتى وأن ذلك أخذ في الزيادة يوما فيوما  
لأن المدينة كانت خالية من القانون والحكومة بسبب عدم وجودها كما فيها ورأى أنه من المعلوم أن

العدد القليل من العساكر الذين جلبهم معه غير كاف لارهاب أمة على غاية كبيرة من الوقاحة في الثورات والهيجان أرسل أوامره للفرق الموجودة في آسيا الصغرى بالحضور اليه على وجه العجلة حسب الامكان وأما هو فما كان في طاقته ولا قدرته ترك مصر في هذه الحالة لان الرياح الدورية مستمرة على الدوام ضاربة سواحل هذه المملكة وحاصل منها تلاقح ورياح شديدة وتوقيع جميع المراكب من خروجها من الاسكندرية وسفرها الى الجهات الرومية وكانت هذه الرياح شمالية فاشتغل لاجل عدم ضياع وقته بطلب دفع النقود المستحقة له من أولي طس وشرع في استقصاء الشقاق والنزاع الواقع بين بطليموس وأخته كليوباتره وكان أولي طس لما اشترى مما هدت له من الرومانيين بمبلغ ٦٠٠٠ وزنة دفع منه قسما كبيرا وأعطى بالباقي صكا عليه فن ثم طلب القيصرباقي المبلغ الذي ما كان جرى دفعه لحد الآن لاجل صرفه في لوازم واحتياجات عساكره وألح في طلبه مع العنف والشدة فاستعمل الوزير الاول بونثوس أنواع الخدائع المكرية ليزيد في حدة القيصربزيادة عما هو عليه وأخذ بونثوس في سلب الهيكل وتجريد ما من ذهبها وفضتها التي وجدها فيها ودرس عند الملك وأرباب الدولة الاغنياء بأن يأكلون في أواني الفخار وقصع الخشب وأشاع بان القيصراسمتهو ذعلى جميع الاواني الذهبية والفضية وقصده بذلك ثوران الاهالي عليه

الآن زيادة ثوران الاهالي على القيصرو جهلهم السلاح في وجهه كان من جهة أخرى وذلك أن العظمة والشماعة التي ظهرت منه في كونه جعل نفسه حكا قاضيا بين بطليموس وكليوباتره وأمر بحاكمتهما وحضورهما بين يديه ليحكم فيما هم فيه من الشقاق والنزاع وقال ان كلا منهما ما يلزم أن يلقى السلاح ويحضر أمامه لاجل المدافعة عن نفسه ويقبل ما يتوقع عليه من الحكم الذي يصدره في حقه فهذا هو السبب الذي هيج المصريين عليه وجعلوا السلاح وقصدوا لان هذا الامر أوقع عند المصريين أنهم في موقع الذل والانكسار ووجدوه خسة ونقصا وفضيحة في شرف السلطنة الملوكية خصوصا وان المملكة المصرية في حالة الاستقلالية ليس فوق ملكها ملك وليس لحكمة الحكم على ملكها بشئ فأجابهم القيصرفي أثناء هذه الزعزعة والاضطراب أن ما يجريه من العمل والفصل بين الاخ والاخت هو نص ما هو مدون في وصية اولي طس أبيهم لانه جعل أولاده تحت رعاية ووصاية مجلس الاعيان والامة الرومانية ومن حيث ان جميع سلطة المجلس وشوكة الامة منحصرة في شخصه في هذه الحالة بصفة كونه قنصلا فلوصى الحق في فصل المشاحنة بينهم وان جميع ما يمكن أن أجراؤه لا بد من تنفيذه حسب الوصية ويلزم أن يوطيد السلم بين الاخ والاخت ولما اقتنع المصريون من هذا الايضاح استتب فيهم الهدوء والراحة وجعلوا المسئلة وفصلها على يد القيصرو صار انتخاب المدافعين لاجل المدافعة في المحاكمة كل عن موكله

ولما كانت كليوباتره عارفة جيدا بركاكة القيصروضعفه رأت أن حضورها أمامه أنفع صلاحا وأرجح ميزانا لتوطيد أشغالها وزيادة عن محام توكله في مسائلها بدلا عنها عند قاضيا فأرسلت تقول له ان جميع هؤلاء الذين توكلهم في قضيتها عن أنفسهم لا بد من كونهم يغشونهم ويخونونهم وانها تطلب منه الاذن والرخصة في قدومها اليه وحضورها بين يديه وذكر بلوطارش أحد المؤرخين ان القيصرو هو الذي جبرها على الحضور أمامه لتدافع بنفسها عن أمرها ولما توجهت الملكة الى القيصرو لم تأخذ معها أحدا من أعبيائها وأصدقاؤها سوى ابولودوروس



الص - قلى ونزلت في زورق صغير وسارت به حتى وصلت الى تحت أسوار قلعة الاسكندرية ولما رأت في  
نفسها أنه لا توجد طريقه تدخل بها القلعة من غير أن تكون معروفة عند الناس دبرت أمر دخولها  
بجيلة صنعتها وذلك أنهم ربطت نفسها في داخل حزمة من القماش ثم لفها وأدبرجها أبولودوروس في  
كسائه وربط عليها وجلها على عاتقه ودخل بها من باب القلعة الى محل جلوس القيصريوليوس فتكدر  
القيصر من هذه الحيلة إلا أنه بمجرد وقوع بصره عليها بهر بجالها وأحرق كبده دلالها وشغف بمحبها في  
الحال ونالت ما كانت تبغيه من النوال

وفي اليوم الثاني أرسل القيصري بطليموس وشدد عليه في أخذها والاتحاد معها ورأى بطليموس بعين  
اليقين أن قاضيه صار خصمه وهو الخائف عليه فلما علم بهذه الحالة وتحقق أن أخته كانت في السراى  
وفي المحل المعد لجلوس القيصري ترك السراى في حالة شديدة من الخلق والجنون وصار يجرى في الشوارع  
الكبيرة من المدينة وقلع تاجه عن رأسه ومنزعه قطعاً وصار يجره على الأرض ويبكى وينوح ودموع  
عينيه منهمة على وجهه ويرى بصوت تقشعر منه الأبدان ويقول انفضيت انفضيت وأخذ يقص  
ما جرى له من الأحوال على الجمل الغفير من العالم الذين اجتمعوا حوله وداروا به وفي أثناء هذا كانت  
المدينة في شغب وهياج فجعل نفسه في رأس الأمة وساقهم في ثورة مهولة ليوقع بالقيصر تطير ما حصل  
منه من هذا الفعل الذي أجراه معه فقبض العساكر الرومانية الذين كانوا مع القيصري على نفس  
بطليموس وأخذوه وأما الذين لا يعرفون ما جرى من الفعل فانهم تشتتوا في الحارات والازقة في هذه  
المدينة الواسعة ولولا أن القيصري كان في محل لا يمكنهم الوصول اليه لكان الأهل سقطوا عليه وقطعوا  
جسمه ويديه ورجليه من شدة ما كانوا فيه من الخلق الشديد والخطر المبيد وكان القيصري حاضر  
العقل حتى أراهم نفسه من جهة عالية من السراى لا يخاف على نفسه من بشايا ومن هذا الوقت عرف  
أن الأهل في كدر عظيم وغيتظ من أجله أليم من الأفعال التي أجراها ولم يضعها في حقيقة مجراها  
فن ثم طلب في اليوم الثاني بطليموس وكايوبطره في مجلس عقده من الأهل ومن بعد أن أمر بقراءة  
الوصية التي تركها الملك المتوفى على أرباب المجلس حكم بصفة انه وصى مطلقاً بان بطليموس وكايوبطره  
يلزم أن يتسلطنا سوياً في مصر حسب نص الوصية وأن بطليموس الأصغر وأخته ارسينوى الصغرى يلزم  
أن يتسلطنا أيضاً في قبرص وأضاف هذه المادة الأخيرة من عنده لاجل تسكين الأهل واجاد ما هم فيه  
من الغيتظ والخلق الشديد لما أن الرومانيين كانوا استحوذوا من قبل على تلك الجزيرة لكنه خشي من  
تهمور الاسكندرانيين وغضبهم وخلّص نفسه من هذا الكرب الذي وقع فيه

وفي سنة ٤٧ قبل الميلاد رضى كل واحد من الأمة بهذا الحكم وقبله مع انشراح الصدر ما عدا  
بثوفوس الوزير لانه كان السبب الأصلي في اتساع الخرق بين كايوبطره وأخيها وتسبب في طرد تلك  
الملكية من تحت أيها ورأى أن ملاءمة الأحوال بهذه الحالة يعود عليه بالثلف والخسران فلاجل صده  
تنفيذ حكم القيصريوليوس دس بين الأهل دسائس جديدة وأشعل في صدورهم نيران الحمية والغضب  
وقال لهم ان القيصري من خوفه من وجود القوة أصدر حكمه هذا وانه لم يلبث مدة طويلة حتى بلغه  
والغرض الأصلي له هو وضع كايوبطره وحدها على التخت وكان ذلك هو الأمر الذي يخافه المصريون  
اذما كان لهم طاقة على تحمل امرأة تحكمهم وحدها ويكون لها السلطة والشوكة دون غيرها فلما  
رأى بثوفوس أن الأهل رجعوا الى قوله وصاروا معه على أمر جامع أمر اشسيلاس بالتقدم في رأس

الجيش من مدينة بلوزة لاجل طرد القيصروالذين معه من الاسكندرية ولما قرب الجيش من الاسكندرية وقع الهياج والارتباك لزيادة عما كان قبل وبما أنه كان يوجد مع اشيلاس القائد نحو ٢٠٠٠ مقاتل اذ دوى هذا القائد بالعدو قلعة ما عنده من العساكر واعتقد في نفسه أنه لا بد له من أن يتغلب على القيصرومعه من القوة بمجرد التحامه معه لكن القيصر رتب عساكره بطريقة جيدة في الشوارع ومخارج وفحات حارات وأزقة الثمن الذي كان مستحوذا عليه من المدينة حتى صار لا يصعب عليه بأي طريقة كانت تعضيد ومساعدة عساكره وقت حصول أي هجوم يقع من المصريين عليهم في أي جهة من جهات ثمنه ولما وجد اشيلاس وجيشه أن لا طاقة لهم على التغلب على القيصرو عساكره بدّل القائد حركته وسار نحو المدينة قاصدا في ذلك التغلب على الاسطول وقطع طريق وصول القيصر الى البحر وحرمانه من وصول أي مدد أو تقوية أو ذخائر تأتي اليه من هذه الجهة الآن ما أجراه القيصر من أعماله خيب سعيهم وأضعف كدهم وذلك انه أمر بحرق الاسطول المصري واستحوذ انفسه على برج الفئار واستحفظه وحفظ طريق مواصلته مع البحر ومن بعده هذا صار لا يخشى أدنى تأثير من أعمال المصريين وفي أثناء حريق الاسطول ارتقى بعض المراكب التي شبت النار فيها على زخيف المدينة فأمسكت النار الموجودة فيها بالبيوت والمساكن المجاورة للزخيف ومن هذه الجهة امتدت النيران الى جميع خط بروشيون الموجودة في دار الكتب المشهورة فأمسكت النار فيها وأحرقت هذه الدار بما فيها من الكتب النفيسة كما ذكرنا ذلك في سلطنة بطليموس في بلاد قوس وكانت هذه الكتب أشغال ملوك عدة وعددها نحو ٤٠٠٠٠ مجلد

ولما رأى القيصر نفسه في خطر شديد أرسل الى كافة الممالك المجاورة له في مساعدته وكتب لآخرين من ضمنهم دوميطيوس فالقنوس وكان القيصر تركه قائدا لعساكر في آسيا الصغرى وبين له ما هو فيه من الشدة والخطر وانه على شرف الهلاك ان لم يسعفه بالامداد والعساكر فقرر هذا القائد فرقتين من العسكرامر بتسفير احدهما من طريق البحر والاخرى من البر فأما الفرقة التي سافرت من البحر فانهم اوصلت الى القيصر في الوقت المحدد وأما التي سافرت من البر فانهم لم تصل اليه أبدا وكان أعظم معين في هذه المسئلة وأكبر مساعد للقيصر في هذا الحرب مشير يداطيس البرجامنياني وكان أرسله القيصر الى سوريا وصيد صيالياتيه بالعساكر الذين يجدونهم شدة هذا الخطر كما سنذكر بعد وفي أثناء انتظار القيصر المساعدات التي أرسل من أجلها وكذا لاجل عدم تدخله في محاربة جيش أكبر منه عددا وقوة حتى يأتي له الامداد والاسعاف أمر بتحصين ثمن المدينة الموجودة تحت يده تحصينا تاما وأحاطه بأسوار وجاه بأبراج واستحكامات أخرى فكان من داخل هذه الاسوار السراي المالوكية والملاعب أي التياترو الموجود بالقرب منها فقلب القيصر كل ذلك وعمله قلعة رصينة استعمالها في حربه مع المصريين وكذا حصن الطريق الموصل للمينة وكان في هذه المدة بطليموس تحت قبضة يده ومعه الوزير بتونوس مربيه ووزيره الاول فكان هذا الوزير في مخبرات مع القائد اشيلاس يخبره بكل ما يحصل من القيصر فكتب له يوما من الايام بالذي حصل فيه ويشجعه ويقويه على دفع الهجوم بقوة وعنيفة فضبط القيصر أحد جواباته وظهرت خيائته له وخباثته فأمر القيصر بقتله ومن بعد قتله ظهر خصي آخر أصله من طواشية السراي اسمه غايميديس (غانم) حصل بينه وبين القيصر أعمال ومبارزات كبيرة وأفسد عليه المياد الموجودة في داخل المدينة حتى صار لا يجد لنفسه ولا لعساكره



مياها للشرب بعد فراغ مياه الصهاريج فأنجبر القيصري على حفر آبار للشرب منها ولأن مياهاها انقست  
عذبة مثل مياه النيل ثم ورد الخبر للقيصري بأن الفرقة التي أرسلها غالفنوس من طريق البحر وصلت  
إلى ساحل ليبيا أي برقة فأخذ أسطولها وتوجه جليها فهاجم عليه غانم الطواشي بالأسطول المصري  
الأنه لم يحصل له في ذلك ثمرة وكان سعيه وكده على غير طائل وجلب القيصري فرقته إلى داخل  
المدينة واستمرت المبارزات والأعمال الحربية جارية مدة حتى إن أهل الإسكندرية كلوا وتعبوا وأخيرا  
لمأروا أن لا نجاح لهم في ذلك وأن القيصري أخذت قواه في الزيادة يوما فاجتمعوا أفكارهم إلى السلم  
وحصول الأمن أو إلى أي حالة كانت تحصل بينهم وبين القيصري في شأن استتباب راحتهم وأرسلوا  
من طرفهم فوابعهم إلى القيصري يطلبون منه ملكهم وأوعده بأنه متى كان بينهم وفي رأسهم ربحا  
تنتهي هذه الاختلافات وتنفصل هذه المبارزات ولما كان القيصري على دراية تامة من غشهم  
ومكرهم فما كان على خسارة لوم نخمهم طلبهم وتبصر في رده إليهم وقال في نفسه من نكث فأنما ينكث  
على نفسه وأحضر الملك ومنحه حرية التامة ونصح في كونه ينتهز هذه الفرصة ويحضر رعيته على السلم  
واستتباب الراحة ويحثهم على عدم اجراء ما يتولد منه الخراب والدمار على المملكة المصرية وأظهر  
القيصري بطليموس حبه وصدافته لآبيه المتوفى وما أداه له من الخدمة الجليلة في استرداد التخت إليه بعد  
أن كان فقدته وكان بطليموس هذا تعلم شيئا من المكر والخداع وصادريكي ويسيل عبرات دموعه على  
خدوده أمام القيصري كهانة منه ومكر حتى يبلغ مأمنه ويتقلد زمام سلطنته ولما انفلت بطليموس من  
بين يدي القيصري واجتمع برعيته فأسرع كونه صار في رأس جيشه وجدد المبارزات والمخاربات  
زيادة عن الأول واجتهد المصريون بواسطة أسطولهم في قطع الذخائر الواردة للقيصري بالبحرية حتى تولد  
من ذلك حرب جديدة في البحر في جهة مدينة كانوب (أبو قير) وعند حصول هذه الواقعة كان  
ميثريداطيس البرجانياني على شرف الوصول بالجيش الذي جلبه لمساعدة القيصري وبمجرد وصول  
ميثريداطيس وأنطيباطير بالجيش من جهة سوريا إلى مدينة بلوزة (الفرما) تغلب الاثنان على  
هذه المدينة بالهجوم عنوة وكان نصرهم فيها منسوبا إلى أنطيباطير لانه كان أول مخاطر بعساكره  
في الهجوم عليها من الشروم التي فتحت في أسوارها ومن التغلب على هذه المدينة تقدم الجيش في  
سيره حتى وصل الدلتا فحصل بطليموس من جيشه قسما من العسكر ليصعد بجيش ميثريداطيس من  
عبور النيل ومن هذا انتشبت محاربة شديدة جعل ميثريداطيس نفسه فيها قائدا قسم من جيشه  
والقسم الآخر جعله تحت قيادة أنطيباطير فأنكسرت في أثناء الواقعة الجناح الموجود فيه ميثريداطيس  
وانجبرت عساكره على الفرار وكان أنطيباطير هزم المصريي من جهة وسار لمساعدة وخلص  
ميثريداطيس وأبتدأ الاثنان في الحرب سووية ثانيا فهازما عدوهم أوسار ميثريداطيس وأنطيباطير  
خلف العدو يقتلون ويأسرون وحصل لهم بذلك النصر والتفوق تغلبوا على معسكر المصريين وجبروا  
مابقي من عساكر عدوهم على الفرار وعبورهم النيل

ثم من بعد هذا تقدم بطليموس بكافة جيشه قاصدا في ذلك قهر عدوه وسار قيصري أيضا لمساعدة قواده  
وبمجرد التحاقه وانضمامه معهم كانت هي الواقعة الفاصلة التي حصل فيها النصر الكبير وانظف  
الخطير للقيصري وعساكره واجتهد بطليموس في نجاة نفسه وأراد الهرب ونزل في قارب في النيل فغرق فيه  
ولم يظهر له خبر ولا جلية أثر وبهذا خضعت الإسكندرية وجميع المملكة المصرية للقيصري فاتح

ديارها والقامع لسكانها ثم عاد القيصر الى الاسكندرية ولما لم يجد له فيها مقاما ولا مضادا لاوامره  
ألبس تاج المملكة المصرية لكيوبطره وجعل أخاه بطليموس الاصغر مشتر كامعها

وكان عمر بطليموس الاصغر في هذا الوقت احدى عشرة سنة وفي مدة صغره كانت جميع السطة  
والشوكه في يد أخته كيوبطره ولما بلغ عمره خمس عشرة سنة وهو بلوغ رشده حسب شرائع المملكة  
المصرية صار كما بنفسه بنفسه وصار له نصيب في الملك فسمته أخته وقتلته وتقلدت زمام المملكة على  
حدها وكان ذلك في سنة ٤٣ قبل الميلاد وفي هذه المدة قتل القيصر يوليوس بواسطة ثورة قامت  
عليه كان رأسها بروطوس وكاسيوس فتشكل لاجل الاخذ بثأره من الذين كانوا سببا في قتله تحالف  
ثلاثي بين مارك انطوني وليدوس والقيصر وأوكطافيا فوس وأعلنت كيوبطره نفسها من غير تبصر ولا  
تردد بدخولها في هذا التحالف الثلاثي في سنة ٤٢ قبل الميلاد وأعطت اليانوس نائب القنصل  
دولا بالله أربع فرق عسكرية كانوا من بقايا جيوش بومبي وقراصون وجندت قسما من العساكر  
الذين كان تركهم القيصر عندها للحفاظ على مصر وكان عندها أيضا أسطول مستعد للسفر الا انه من  
كثرة وجود التلقيب والنوما كان للأسطول قدرة على السفر وجعلت كيوبطره كاسيوس القائد على  
الأربع فرق نائباعنها في المساعدة وعزمت على عدم التوجه بنفسها لکنها من بعد مضي مدة قليلة  
سافرت بأسطول كثير العدد من المراكب لاجل انضمامها مع أنطوني وأوكطافيا فوس فخرج عاينها  
النوفى البحر وأغرق الكثير من مراكبها وحصل لها مرض شديد أوجب عودها الى مملكتها

وفي سنة ٤١ قبل الميلاد بعد أن هزم أنطوني بروطوس وكاسيوس في واقعة فيليبى انتقل الى آسيا  
لاجل اقامة سطة التحالف الثلاثي فيها فلما وصل اليها وردت عليه ملوك الشرق وأمرأؤه وسنراؤه في  
زحام كبير يقدمون له احتراماتهم فبلغه في أثناء ذلك أن حكام فينيقية التابعة للمملكة المصرية  
أرسلوا كاسيوس مساعدة ضد القنصل دولا بالله فطالب أنطوني محاكمة كيوبطره ملكة مصر أمامه  
في مجلس مراكب من أهل المملكة لتجاوب عما أجراه حكامها في شأن هذه المساعدة وأرسل اليها أحد  
نوابه ليلزمها بالحضور في صيد صياف كان هذا الشغل مشغولا على أنطوني واستمر في المصائب والبلايا التي  
حلت به من عشقه كيوبطره وغرامه بها حتى هلك ومات من بعد أن أصابته الآفات وفارقه العقل  
ولذيذ الحياة

وذلك أن كيوبطره وطدت تعاويذها وأحرازها في دلال جلالها ونجحت في أشغالها وأعمالها كما  
كانت ألقت ملاحه قوامها وبهجته جلالها على القيصر يوليوس حتى سابت علة له وأذابت لبه ونات  
ما كانت تبغيه بسحر عيونها وجرعة خدودها وجمال وجهها فكانت في هذه الحالة أيضا على آمال  
كبيرة من أنها تأسر أنطوني كما أسرت القيصر يوليوس قبله وزيادة لان القيصر يوليوس كان عرفها  
وهي شابة صغيرة ما حنكتها التجارب الدنيوية وأما في الحالة هذه المتهوجة في الحضور أمام أنطوني  
فانها في عمر النساء مع ازدهار جمالها ورقه خصرها وياض وجهها وما هي مشتملة عليه من قوى  
الحداقة والمهارة ومن كثرة تدانها في الاشغال والاحكام والتدبير في حكم الامراء والعوام وكان عمر  
كيوبطره في هذا الوقت خمس وعشرين سنة فظهرت نفسها بديا فاخرة ومبالغ من النعوت ودافرة  
وملابس جانية وزخارف جميلة ومع ذلك فان جمالها ورقه عذوبة كلامها وما هي عليه من الدلال  
والكمال كان هو مبلغ آمالها زيادة عن ذهبها وملبوسها وشرعت في سفرها وفي حال سفرها تناولت



عدة مكاتب من أنطوني وكان في هذا الوقت في طرسوس وبعض أصدقائه يحضرونها ويبحثونها على السفر وسرعة وصولها اليه فضحككت على تشوقهم وتلهفهم ولم تأخذ لها أهـمية في سرعة طلبهم ولما عبرت بحر بقريليا ودخلت في نهر سيدنوس سارت مصعدة في هذا النهر حتى نزلت في طرسوس وما شوهدهم مطلقا في الايام السابقة تطعيم زورق مثل طقم زورقها لما كان عليه من الابهة والفخر والفخامة والاجلال فكان مؤخر هذا الزورق من الذهب الخالص وشرعاته من الارجواني ومجاديفه مرصعة بالفضة ومشرع في مؤخر الزورق مظلة مزركشة ومخيشة بالذهب جالسة تحتيها الملكة يضيء لونها مثل كوكب الزهرة محاطة بأجل العذارى من سرايتها وغالين من بنات الجريق وكانت آلات الطرب مثل النايات والمزامير والاعواد والقوانين تضرب بين يديها بدل الطبول وكانت أهوية هذه الآلات الموسيقية في الضرب موافقة لبحر المجاديف في البحر وكان أرباب المجاديف يرتاحون قليلا اسماعها وجارحرق البخور وعود النة في مباح من الذهب فوق سطح القارب وروائح هذه العطريات منتشرة على مسافة عظيمة من شاطئ النهر وعلى كل من شاطئ هذا النهر عالم لا يخصى وزحام لا يستغنى جذبهم اليها هذا المنظر العجيب والكوكب الزهري الغريب ولما أخذ أهل طرسوس خبر بحضورها هرعوا الملاقاة من كل فج جفجج واتفق وقت حضورها أن كان مجلس أنطوني أخذ في التجمع فخرج أرباب المجلس والمحكمة من عند أنطوني وتوجهوا للفرجة على كليوبطره وتركوا أنطوني وحده مع خدمه فقط وانتشرت الاشاعة في كل جهة أن المعبودة الزهراء وصلت الى هنا لاجل زيارة بخوس الاله ساكره على ما فعله من الطيبات في آسيا

وعند نزول كليوبطره من زورقها على البر أرسل لها أنطوني مسرعة بنشة بسلامتها ودعاها لضيافته في العشاء معه فأجابت نوابه بقولها انها في غاية السرور والخط الموفق وقت انشراح صدرها بحضورها بين يديه والتمتع بمشاهدة عينيه لكنهما منتظرة حضوره في الخيمة التي أعدها ونصبتها بساحل النهر فلم يجد أنطوني مانعا يمنعه من ذهابه اليها فتوجه عندها ولولا خوفه لقبل رجليها بعد أن لثم يديها لما وجدته عندها من الاستعدادات والابهة التي كل وصف أنطوني عن شرحها وانهر على الخصوص من جمالها ورقة خصرها وغذوبة انظفها وبقا طبع وجهها حتى شغف بغرامها وكاد يختل عقله من قوامها وهيئة نظامها وضوء وجهها الذي يجعل الليلة الشديدة الظلام منهمرا ساطعا خاليا من السحاب والغمام وفي اليوم الثاني دعاها أنطوني الى وليمة عظيمة أعدها لها وبذل جهده وطاقته في استعدادها الا أنه مهما كان من اجتهاداته ففاق عنها في تحضيراته واستمر أنطوني مع كليوبطره في ضيافات وكرامات وأكل وشرب ولذات وصار لا يسأل عما يكون حتى أحاطت عساكر الاعداء بالممالك الموجودة فيها وأرادوا التغلب عليها فتوجه اليهم وهزمهم ورجع سريعا الى كليوبطره وقدم لها كل ما ترجوه وتبغيه وأمر بقتل أنجتها ارسينوى عن رغبتها حتى لا يكون لها منازع بعددها واستمر في لذاتها وشرب مداوماتها وبهذا ضارا أنطوني عبد كليوبطره وصار على وجهه غيرة ترهقها فترة ولم أرأى أنطوني ماهي عليه كليوبطره من الترفه بالنعم الجميلة والمصاريف والاحوال الجميلة سألها بمجدة وحرارة وقال لها ما الذي تريد أن تضيقه على ما أنت فيه من هذا المجد والسعد والسود فأجابته كليوبطره بجواب بارد في امكاني ضرف ما ينوف عن مليون من الجنهات في عشوة واحدة لنفسى فقال هـذات افرح وعجب فقط والا فلا يمكن الحصول على ذلك أبدا فعدا لاثان رها ناعلى ذلك ولما جلسوا على المائدة في اليوم

الثاني وأكلوا كانت الإطعمة على غاية من الافتخار إلا أن أنطوني ما وجد فيها شيئا حاراً فالعادة  
 بحسب أنطوني مصروف المائدة وسأل الملكة عن أثمن أو أنيس أو قال لها مع الاستهزاء والسخرية كأنه  
 هو المنصور عليها أن ذلك أقل بكثير من مليون فقالت له الملكة انتظر هذا هو المبدأ وأنا سأجهد  
 هل يمكنني أن أصرف على نفسي فقط مليوناً من الجنيهات أولاً وأمرت بمائة ثمانية لم يكن عليها شيء  
 حسب العادة الجارية سوى كأس ملائحة بالخل فاستغرب أنطوني من مثل هذا الاستعداد ولم يتصور في  
 ذهنه ما الذي سيحصل وذلك أنه كان في حلق كليوباترة لؤلؤتان من أجسن وأظرف وأثغر اللآلئ  
 وكان قيمة كل واحدة منهما ٥٠٠٠٠٠ استرلينه ففكت واحدة من الاثنين ووضعتهما في الخل  
 وانتظرت حتى تحللت وأخذتها بيدها وبلغتها وأرادت أن تفعل بالآخرى كما فعلت بالأولى فذهعوها  
 وثبت لها الرهان وغلبت أنطوني

ومع ما كانت عليه كليوباترة من الانهماك في اللذات وكثرة المصاريف كان لها ذوق وملكة عظيمة  
 في الآداب والعلوم حتى أنها شهدت في المحل الذي كان فيه دار الكتب القديمة التي حرق دار كتب  
 أخرى جديدة وكان الفضل في زيادة كتب هذه الدار لأنطوني فإنه أهدى لكليوباترة جميع الكتب  
 التي كانت موجودة في دار الكتب بمدينة بروجاموس وكان عددها ينوف عن ٢٠٠٠٠٠ مجلد  
 وما كان جمعها الكتب من أجل الزينة والزخرفة بل كانت تستعملها في مطالعتها لأنه كان يوجد بعض  
 من الأمم المتبربرة وكانت مجبورة على المحادثة معهم بلغاتهم بغير ترجمان فكانت على دراية تامة من اللسان  
 الحبشي والطوغلوديطي والعبري والعربي والاشوري والفارسي وغير ذلك وكان لها دراية بمعرفة لغات  
 أخرى ما كان للولاء الذين تسلطوا قبلها في مصر دراية بها حتى كان البعض منهم لا يعرف اللسان  
 المصري وكانوا ناساً والغاتهم الأصلية المقدونية

وكانت كليوباترة تدعي أنها هي الزوجة الشرعية لأنطوني ولما رأته تزوج أو كطافيا عليها أخذها  
 الاضطراب والروع وتطرت اليها بعين العداوة فسكن أنطوني روعها والتزم أن يقدم لها هدايا فاخرة  
 فأهداها ممالك فينيقية وسوريا السفلى وجزيرة قبرص وقسم أعظمها من صليبيصا وأضاف إلى هذه  
 الجهات قسم من يهودا وبلاط العرب فتولد من هذه الهدية الكبيرة نقص كبير في المملكة الرومانية  
 وحصل الغضب من جهة الرومانيين على أنطوني بشأن المكارم العالية التي أجزاها مع مثل هذه  
 الملكة الأجنبية

وتولد من شغف أنطوني بحب كليوباترة خفض شرفه وتنازلت درجته مقامه وكان كلما توجه  
 إلى حرب أو زيارة في رومة أو إلى عمل أسرع في الرجوع إلى الاسكندرية لأجل التمتع والتلذذ  
 بمؤانسة كليوباترة ومشاهدتها ولم يبال بالاشغال الواجبة عليه تمت أول ثم وسند كرفيما سيأتي  
 ما وقع بين أنطوني وكليوباترة عند ذلك زماناً من رومة في الجزء الثاني من هذا الكتاب وما بقي علينا إلا  
 أن نقول أنه في سنة ٣٠ قبل الميلاد تغلب الرومانيون على عاصمة كليوباترة قتلت نفسها بنفسها  
 وصارت مصر اقليماً رومانياً وبها انقرضت العائلة البطلمية من بعد مدة مقاديرها ٢٩٣ سنة  
 والله يوتي ملكه من يشاء وهو القوي العزيز



## الباب الرابع

من ابتداء التغلب الرومانى الى الوقت الحالى

مصر ايلة رومانية - الابهة الآتية فى الاسكندرية - الديانة المسيحية فى مصر - ضعف واضمحلال مصر العليا - صيرورة زفوياملكة مصر - خراب مصر ودمارها - انقراض العنصر الجريقى - قيام القبط وتحزبهم - الجور والتعدي على مسيحي المصريين - تشييد الديانة المسيحية تحت سلطنة قسطنطين - الاختلافات الاربابية - محاسن نفيا - الظلم الذى وقع على الاربابيين - تدميرها كل الاوثان وخرابها - حوى الديانة الوثنية على الديانة المسيحية - كيريل - حباطيه - تدمير مصر العليا - تغلب الفرس على مصر - تشييد الكنيسة القبطية - قيام المسلمين - فتح عمرو بن العاص مصر - اخذ الاسكندرية - صيرورة مصر ايلة عربية - نشر الديانة الاسلامية - قيام الخلفاء الفاطميين - تغلبهم على مصر - تجزئة المذاهب الاسلامية - الحاكم بأمر الله الفاطمى - انقراض سلسلة الفاطميين من مصر - يوسف صلاح الدين - تغلب يوسف صلاح الدين على فلسطين وسوريا - تغلب المماليك على مصر - تغلب الاتراك العثمانية على مصر - صيرورتها ايلة تركية عثمانية - تغلب نابليون بونابارت على مصر - محمد على باشا - حيلته فى ذبح المماليك وانقراضهم - مساعيه فى استقلالية مصر - الثورة الجريقية - عصيان مصر على الدولة العثمانية - مظفرات ابراهيم باشا - تغلبه على سوريا - تداخل الدول الاوروبية - حصر مصر فى حدودها الاصلية - عباس باشا - مبادئ الاشغال فى السكة الحديدية - سعيد باشا - مبادئ الشروع فى فتح خليج السويس - اسماعيل باشا - سرعة التقدم فى مصر تحت حكمه - النظام والديون - خلعه وخروجه من الديار المصرية - محمد توفيق باشا - جلوسه على الاريكة المصرية - مبادئ الثورة الوطنية - تداخل انكثره وفرانس - خروج فرنساعن التداخل وبقاء انكثره على حداثها - وصول النائب العثمانى - ورود الدونمات الانكليزية والفرنساوية بمصر - اعلان الحرب من الاميرال الانكليزى - تقرير وجوب الحرب بمجلس عقة تحت رئاسة الخديوى والنائب العثمانى - ضرب الاسكندرية - عدم مقاومة العساكر المصرية وتقهقرهم تحت قيادة أحمد عرابى الى كفر الدوار - هزيمة أحمد عرابى فى التل الكبير - ضبطه مع المنتمين اليه وحبسهم ومحاكمتهم - نفيهم الى سيلان بعد الحكم عليهم بالاعدام - وصول المنتمين الى سيلان وتوطنهم فيها والحالة التى استروا فيها - الثورة السودانية - محمد أحمد الملقب بالمهدي - تدمير الجيش المصرى فى السودان - تنازل مصر عن السودان - تغلب محمد أحمد على الخرطوم وموت غوردون وكسر العساكر الانكليزية - هزيمة العساكر الانكليزية فى سواكن وجهاتها - هزم العساكر المصرية عثمان دجنه بجهة سواكن - هزم العساكر المصرية عساكر المهدي تحت قيادة ابن التيجوى بجهة وادى حافة - وفاة الخديوى توفيق باشا وجلوس سمو البرنس عباس باشا على الاريكة الخديوية

تمت مصر ايلة رومانية زيادة عما ينف عن ثلاثة قرون وكانت تحت حكم الامبراطورات القديمة ارفع جميع الايلات الرومانية وكانت على حالة جيدة النظام من المعاملات ولوائها كانت محكومة

بأحكام شديدة إلا أنهم كانت معتبرة في حد ذاتها أنهم إحدى الممالك الرفيعة الدرجة في المملكة  
الشاسعة الرومانية وكانت مصر منبعا أصليا تجر منها رومة ما يلزم لها من الحبوب والغلال ومحكومة  
بعمال من طرف الحكومة الرومانية وكان الملوك الرومانيون يزورونها في كثير من الاوقات  
وفي أثناء هذه المدة كانت الاسكندرية هي المقر الاصل والمركز الرئيسي لعلوم الدنيا القديمة وآدابها  
وصنائعها وفنونها وصيرتها كتجارتها الجميلة ودار معارفها الغربية وتجمع الحرف والصنائع  
النادرة الوجود في غيرها أرقى محل وأجل مقروا كبر ماوى للعلماء وأرباب الآداب يهرعون اليه أفواجا  
من كل فج عميق لاكتسابهم المزايا النافعة والتألفات المدنية اليانعة

ولما انتشرت الديانة المسيحية مع السرعة في عالم الدنيا كانت مدينة الاسكندرية هي مركزها الاصل  
ومن هذا الوقت شرع المصنفون من المسيحيين في أن يكون لهم امعان تام وتنبيه عام وتصنيفات عظيمة  
تعادل أعظم تصنيفات كبر الفلاسفة الوثنيين

وفي أثناء هذه المدة أخذ سكان مصر العليا في الضعف وسرعة الانحطاط حتى انه في سلطنة الامبراطور  
قومودوس التي كانت من سنة ١٨١ الى سنة ١٩٤ بعد الميلاد صرف سكان مصر العليا ما كانوا  
يملكونه من الثروة والغنية وتدمرت جمائل تجارتهم وقوافلهم من قفط الى البحر الاحمر وصار لا باقى  
لها كلها وما يذها أذى محصول من أوقاف البلاد المجاورة لها الادون الطفيف وعما أن بلاد النوبة  
عبارة عن صحار شاسعة صار القليل من العساكر في أسوان فيه الكفاية تخفر مصر العليا من غارة  
الحبشيين والنوبيين وصار لا لزوم لارسال مسدنين أو مجرمين في جهات واحات سيوهيل صار من  
الكفاية تفهم في الضواحي المجاورة لمدينة طيوه وحصل الضجر والكدر لمصر السفلى من عدم وجود  
النظامات واختلال الحالات التي أعقبت سلطنة اسكندر صفروش من سنة ٢٢٢ الى سنة ٢٢٥  
بعد الميلاد لانه حصل في أثناء هذه المدة ثورات وهيجان امتد من مناطق بلاد حصل منه تغيير واستبدال  
في الشوك الامبراطورية الرومانية فأما القحط الذي كان نادر الوجود في مصر فانه صار يزورها في  
الغالب وصار من أجل أصدقاؤها وأغزأ حبابها وأخذ الفقر مدمرة في الزيادة حتى بلغ أقصى النهاية

وفي السنة الاخيرة من سلطنة جالينوس نكثت زفوبيا ملكة بالميرا (تدمر) صداقتها للمملكة الرومانية  
وكانت حليفة من قبل لرومة وهزمت الجيوش التي أرسلها جالينوس لمحاربتها والغارة عليها ثم سارت  
قاصدة مصر لتأخذها وتضيفها الى ممالكها وكانت ممالكها محصورة في سوريا وآسيا الصغرى  
وأعلنت نفسها أنهم من نسل كليوباترة الملكة الاخيرة لمصر وانضم اليها قوة عظيمة من المصريين ومع  
هذا كان كدها وسعيها على غير طائل ثم جددت هذا السعي من بعد موت قلوديوس في سنة ٢٧٠ بعد  
الميلاد وفي هذه المرة نجحت في سعيها وملك زفوبيا جميع المملكة المصرية وصارت مصر ايلة  
سورية مدة تمام الزمن واعترف أورليان في الابتداء بان زفوبيا رفيعة قتله في المملكة ومن ثم كانت  
النقود الجارية ضربها في الاسكندرية يصمم عليها من جهة رأس أورليان وعلى الاخرى رأس ملكة  
بالميرا ومن بعد مضي قليل من الزمان سار أورليان مغيرا على زفوبيا وهزمها وأسرها وأضاف مملكته الى  
أراضي المملكة الرومانية فبهذا عادت مصر مرة أخرى ايلة رومانية

ثم حصل في مدة المملكة الرومانية عدة ثورات كانت على غير طائل واستمرأ كبر هذه الثورات لمدة تسع  
سنوات الى أن صار أخا هذه الثورة المهولة بغاية الشدة والصعوبة بواسطة الامبراطور دوقليطيان



نفسه وذلك أنه تغلب في خروبه على المدائن العديدة من مصر وخربها ودمرها وتغلب على مدينة الاسكندرية عنوة من بعد أن حاصرها ثمانية أشهر وأحرق قسما عظيما من هذه المدينة وقتل الكثير من أهلها بالسيف في سنة ٢٩٧ بعد الميلاد وقاتل مصر من هذه الثورات أشد المصائب والكروب وعلى الخصوص من الثورة الأخيرة فانه باقم الخراب وعم الدمار وتعطلت التجارات والمعاملات في عموم وادي النيل وطمت ترع الري والخلجان المعدة لري الاراضي وصارت حالة الزراعة فيها من أقبح الاحوال وعدم حصول المنافع واندرت التجارة وخربت معامل الاشغال الصناعية من كل صنف وأخير الما نحت مصر من هذه الثورة الكبرى وكانت المملكة في اختلاف وشقاق بين أضافها أغسطس وجعلها أحد أقسام مملكته وصار خلفاؤه من بعده يعتبرونها كأنها إحدى الجواهر الثمينة في تيجانهم وتولد من هذه الارتباكات الداخلية تغيير آخر وذلك أن همود الالفه المدنية ارتفع وأخذ عدد الجريقي في النقص والقله لأنه مازال ثقيلا في الوزن وما كان حصل من سقوط دولة البطالسة وغلبة الرومانيين تغيير كبير في المملكة وابتدأ ظهور الايام الساطعة لمصر حالما كانت مملكة جريقية في الزهو والضياء في الاسكندرية وانتهت بثورات ضد كل من جالينوس وأورليان ودوقليطيان وذلك أن وطني المصريين من قبط وعرب قاموا في ثورة على وجه الاعلان فقط بسبب ما حل بهم من الفرق في داخل الحضارة الجريقية وقامت الطوائف العالية من القبط وبطشوا بهم هذه العائلة ذات الاولاد الجالبة عليهم الارتباك في وقت وانقضوا عليهم ألوفا الوفا والجوهم الى المعابد والهيكل ومن ذلك انقرض العنصر الجريقي من مصر

ولقد انتشرت الديانة المسيحية بسرعة في مصر كما ذكرنا وسمح للسيحيين من عهد سلطنة جالينوس في بناء كنائس وعقد جمعيات عمومية وفي هذه المدة ظهر كثير من الأذكاء والاحباء من بين هذه الجمعيات وفي سنة ٣٠٤ بعد الميلاد شرع الامبراطور دوقليطيان في تدمير الدين المسيحي من كافة المملكة بكونه أوقع ظمنا وجورا واضطهاديا وما كان هذا الجور في مكان أشد مما هو عليه في مصر وهلك فيه الجلم الفقير من المسيحيين ومع هذا فإنه لم يمنع زيادة تقدم وغو هذا الدين الجديد بل أضاف ألوفا من الناس للدخول فيه ثم انتهت هذه الفظائع في سلطنة قسطنطين الأكبر بكونه جعل الديانة المسيحية هي ديانة مملكته وكان المسيحيون في اتحاد بينهم حال وقوع الجور عليهم ومن بعد تشييد دينهم بالظفر والغلبة ظهر فيما بينهم التجزئة والانقسام وساقهم الى مشاحنات ومخاصمات آلت الى سفك الدماء وقتل الانفس ومن بعد أن صارت القسطنطينية عاصمة المملكة في سنة ٣٣٠ بعد الميلاد صار تاريخ مصر في ظرف ثلاثة قرون تسجيل مشاحنات ومخاصمات فيما بين أرباب الأديان وكان يتولد من هذه المشاحنات في الغالب ثوران وهيجان تسفك فيه دماء كثيرة تجري كالانهار في شوارع وحارات الاسكندرية بين المسيحيين وبعضهم أوبن المسيحيين والوثنيين وبمجرد انفصال المشاحنات مع الوثنيين انقسم المسيحيون في مصر والاسكندرية الى حزبين في مسألة هل الابن من مادة واحدة مع الاب أو من مادة مشابهة لها فقط

وكان أول هذه المشاحنات هو مجادلة الاريايين ومخالفاتهم وكان ذلك قبل بناء القسطنطينية وذلك أن أريوس قسيس كنيسة الاسكندرية ذكر في مجلس تدرسه أن الاب والابن ليسا من مادة واحدة الا أن مادة الابن انفصلت من الاب وهي أدون عنها وأقل منها وأن روح القدس خالق بقدره الابن

لا بقدره الاب فرفض اسكندر اسقف الاسكندرية هذه العقيدة وقرر عقيدة التثليث المقدس فوقع بين الاثنين مشاحنات أدت الى تنافر شديد وخصام عتيق وانقسم عموم أهالي الاسكندرية الى حزبين فبلغ قسطنطين خبر هذه المسئلة فلام الحزبين ووجه الرئسين على ما حصل منهما من التنافر العداوى وفصل الحكم في عقائد الدين المسيحي بعقد مجلس مركب من أساقفة الكنيسة والبابا وكان اجتماع هذا المجلس في نيقيا من أعمال بثنيا في سنة ٣٢٥ بعد الميلاد وقرر هذا المجلس رفض عقائد أريوس وتقرير العقيدة النيقاينة المشتملة على بيان وتوضيح دين الكنيسة وأثبت المجلس ارتداد اريوس ومن تابعه وصار نقيسم جميعا بأمر الامبراطور ثم ان قسطنطين الثاني خالف ما كان جاريا عليه أبوه وعزل اثنيوس الارثوذكسي أسقف الاسكندرية وحل محله واحداً ريانى أى على مذهب أريوس فجاء عقب هذا الجور القطيع والظلم الشنيع على المسيحيين الارثوذكسين ولما صار يوليان المرتد امبراطورا كان اجتهاده في احياء العبادة القديمة لرومة فتسبب في حصول ثورة على حزب عوام الوثنيين من الاسكندرية وقتل في هذه الثورة المطران الاريانى وأعيد اثنيوس ثانية أسقفاً فنهض يوليان ثم عاد ثم نفاه الامبراطور فالنس وعين أسقفاً ريانياً بدله في قسوستيه فجدد النظام والجور العنيف على الارثوذكسين

وأخذت الديانة الوثنية نهاية قوتها وشوكتها في مصر مدة سلطنة يوليان المرتد لأنها كانت قصيرة مع قصر سلطنته وفي سنة ٣٧٩ بعد الميلاد بذل الامبراطور ثيودوسيوس الاول جهده في قلع هذه الديانة بالكلية وأصدر أمراً بأنه يلزم أن جميع جوع رعيتيه تقسك بالدين المسيحي على موجب ما تقرر بدستور العقائد النيقاينة وأمر بقفل جميع المعابد الوثنية قاطبة وكانت الاسكندرية في هذا الوقت مشحونة بالجلم الغفير من الوثنيين من جللتهم أعظم العلماء وأجل الناس في الآداب والعلوم والطب في مدارس الفانسة فسخط هؤلاء وحنقوا أشد الحنق على الأمر الصادر من الامبراطور ومن بعده هذا لم تمض مدة كبيرة حتى أصدر ثيودوسيوس أمراً بكسر الاوثان الموجودة في المعابد والهياكل الوثنية فتساعدا المسيحيون بالعساكر الامبراطورية وهدموا المعابد الوثنية ورموا الاوثان وكسروها وأتلفوا الابنية وأفسدوها وأما المعبد الاكبر الاكثرا فتخاروزينة وأبهة الموجود في سيرايس من مدة قرون مضت وكان أشهر من ارق في الديانة الوثنية فانه صار هدمه وسلب ما في دار كتبه من الكتب وكان لا يمكن حصر قيمة ما كان فيها من الكتب التي كان بلغ عدد نسخها نحو ٧٠٠٠٠٠ مجلد بواسطة المسيحيين فهرع الوثنيون الى السلاح للدفاع عن دينهم وحاربوا محاربات شديدة دموية في شوارع الاسكندرية وأخيرا نجح العساكر الامبراطورية تحت قيادة محافظ الاسكندرية في اخراج المقاومة والمدافعات الحاصلة بين المسيحيين والوثنيين وطردها الوثنيين من المدينة

وصار للديانة المسيحية السيادة والسلطنة في مصر وفي هذا الوقت كان ثيودوسيوس ثالوثيا خالف في اجراءاته طرق أسلافه وعزل جميع القسس الارياينة واستبدلهم بقسس ثالوثية وأوقع الظلم والجور على الاريايين وكان ذلك مقبولا بالخصوص عند المسيحيين من المصريين لان غالبهم كان ثالوثيا وساعدوا الامبراطور مساعدة اختيارية خضوعية وفي مدة هذه السلطنة كانت مصر معتبرة أنهم أسلم موقعا وأخضع إيالة في الايالات الامبراطورية

ومما يجب المذاكرة فيه هنا هو حيث ان الديانة المسيحية غالبة على الديانة الوثنية فكيف كان للديانة



الوثنية تأثر على الديانة المسيحية وعلى الخصوص في المملكة المصرية قيل رد على ذلك انه من المعلوم والمعقول أن المصريين بمجرد تمسكهم بالديانة المسيحية صرفوا النظر في الحال عن جميع شعائرهم الوثنية الا أنهم ما زالوا على عوائد أخرى وهي تصير أجسام الموتى واجتهدت أن تطوف في منع الذين دخلوا في الديانة المسيحية عن اجراء هذه العادة وليس ذلك بالنسبة لكون صناديق التحنيط مستورة بنقوشات وكتابات وثنية فقط بل أثبت لهم مع الجساسة أن أى كتابة صغيرة كانت أو كبيرة أو أى كيفية يعامل بها جسم الميت خلاف دفنه في الارض حرام في التوراة واثم كبير وأثبتت سنت أغسطس من جهة أخرى في عبارة يثهم منها جيد ان أزلية الروح خارج الجسم تشابه قليلا لما يعرفه الجهال وان أزلية الروح عند المصريين معروفة عندهم بكونها سترجع الى جسمها فهذا جرى تصير الاجسام حسب هذا الاعتقاد وقال ان المسيحيين ليس هم الذين يعتقدون حقيقة البعث والنشور فقط بعد الموت بل كان المصريون كذلك وان صور وهيات مريم العذراء الواقعة على القمر الحديد أشبه بكونها صاعدة الى السماء يظهر أن المسيحيين استعاروها من المعبودة اريس المشابهة هيئتها الى الشجرى اليمانية تشرق مكتسبة نورها من الشمس بكيفية واحدة حتى ان القتائل الجارى حرقها الآن أمام المحارب الرومانية الكاثوليكية هي أيضا كانت مستعملة من الازمان القديمة في تنوير المحارب المعظمة عند قدماء المصريين في هياكلهم المظلمة وكان يحرق في هذه المحارب مقادير وافرة من الشموع في العيد السنوى الذى يجرون شعاره كل عام وأما العادة الجارية التى كانت مستعملة في تفريق الكعك المسكر وأنواع الحلوى في اليوم الخامس والعشرين من شهر طوبة أو في اليوم العشرين من شهر يناير فانها تبدلت حتى صارت أربعة عشر يوما من القديم ولم نزل نرى عيد ايفانى أى عيد الاثنى عشر ليلة لحد الآن وأما قسمة الامة الى قسس وعوام فكانت هذه القسمة غير معروفة عند اليونانيين والرومانين وقد صار ادخالها في الديانة المسيحية في القرن الرابع بواسطة المصريين وحالما كان الباقي من الامة المسيحية يلبسون الملابس المصنوعة من الصوف والكان كان ذلك هو الملبوس المعتاد عند المصريين فاختار القسس عموما هذا الملبوس لانه أظهر لما هم فيه من الوظائف والخدمة وقال في الكتاب المنزل ان الكنائس الاولى والزهاد وفي نفس هذا الوقت قلد المسيحيون القسس المصرية في حلق مقدم الرأس وكان من قبل أن يدعى أسقف رومة بالنى سنة أنه قابض بيده على مفاتيح الجنة والنار ادعى من قبله قسيس مصرى وقال بصوت عال انه توظف بوظيفة محانظ على بابي السماء في مدينة طيود وبهذا يسهل عليه أن يبرهن أيضا بدلائل أخرى على أن أصل الديانة المسيحية مستخرج من الديانة المصرية وهى أصل منشأ ومنبعها وقد نبه غير الشاعر الجربى على أن طينة النيل مشحونة بالسموم القاتلة كما انه مشحون بالعلاجات الشافية وما ذكرناه هنا مختص بكيفية انتشار الديانة المسيحية في المملكة المصرية لكن ماذا يكون لو اتحدت الديانتان وصارتا ديناً واحداً نوعاً أو صار التوافق بين الحزبين ومن هذا شك أو لو العقل والذكا في أن هذه الاعمال هل كانت مساعدة لعيسى المسيح عليه السلام فيما يجب اجراؤه من أمر تعليم المواد الدينية أو أنها كانت خافية عليه

وفي مدة سلطنة ثيودوسيوس الثانى كان كيريل مطران الاسكندرية وكان متكبرا متعظرا متعصبا في الدين عنيف الاعمال قبيح السلوك والاحوال ولما توظف في هذه الوظيفة جعل نفسه في رأس أغنياء المسيحيين وطرد جميع اليهود من الاسكندرية بعد حرب عنيف دموى وقع بينهم في شوارع

الاسكندرية ترغما عما كانت عليه الحكومة المحلية في المحافظة عليهم وكان ذلك في سنة ١١٤ بعد الميلاد ومن بعده هذه الفعلة هجم المسيحيون على الوثنيين مرة ثانية وأضر وأباحوا لهم ومنافعهم وكان من ضمن الذين هم أكثر شهرة وأذكى عقلا من معلمي الوثنيين حباطيا الجميلة الشكل العاملة بالعلم وهي بنت طينون الرياضي الاصولي فكانت تعلم علم الفلسفة في مدرسة بلاطونيقي التي كان أسسها وشيدها أمونيوس ومن أدبها واحترامها وغزارة علمها وندرة فصاحتها وعذوبة كلامها والقائم بها انجذب الى درسها الكثير من طلبة العلم وبما أنها وثنية صارت عرضة للفضائح والقبائح الحاصلة من جهل وغباوة المسيحيين أتباع كيريل فقبضوا عليها يوم ما من الايام في شارع الاسكندرية وجروها من عربتها وأسرعوا بها الى الكنيسة المسماة بهيكل القيصر وسلبوها ثم قتلوها

ولما صار للمسيحيين سود في مصر ابتدوا بالخلاف فيما بينهم من أجل تحقيق بعض مواد دينية وكبر الخلاف حتى أشرف على سفك الدماء فقدم من أجل ذلك أخيرا مجلس في كائندون في سنة ٤٥١ بعد الميلاد ورفض هذا المجلس العقائد المتسلك بها غالب المسيحيين المصريين وقال انها جميعها مبتدعة الا أنه لم يفصل الحكم القاطع في اخاد هذه الاختلافات وتولد من ذلك زيادة الشغب والارتباك حتى انتشبت مبارزات ومناضلات بين أهل الاسكندرية وبين العساكر الامبراطورية المكلفين بتنفيذ الاوامر الصادرة وتقوية العمل والنظام على حسبها وأخير التزمت الملكة بطرد المصريين من القسطنطينية حتى انهم صاروا في حالة يعتبرون فيها أن المملكة عبارة عن ظالم وجائر

وفي أثناء هذه المدة ضعفت مصر العليا وازدادت خرابا على خرابها وتغلب الكثير من النوبيين وقبائل العرب المجاورة لها على مصر العليا وطردها الديانة المسيحية منها وأهملت أعمال الري وصار لا يزرع من الاراضي الا نصفها على قدر الامكان وأخذ الحرام الخصب الموجود في طول نهر النيل في الضيق سنويا واضمحلت حال المباني وآلت الى الخراب وصارت الصحارى تجور وتكبس على وادي النيل من غير توقف ولا اهمال منها ونسفت الرمال على الهياكل والمباني وردمتها ودفنت التماثيل والصور التي تكسرت أو رمت فسدت المسالك والمنافذ الموصلة الى القبور الملوكية والمدافن الفرعونية ومع ذلك فان هذا الخراب والدمار ما كان بغير فائدة حصلت فيه وذلك أنه تولد من سقي الرمال وردمها المباني القديمة حفظها من الذين تغلبوا بعد على هذا الاقليم وسلمتها من حصول ضرر أو أذى يحصل لها حتى بقيت الى هذا العصر الخالي ولما صار كشفها على التدريج بواسطة علماء الاستكشافات العصرية كانت شاهدة وقت كشفها على تاريخ أرضها ونجابتها وعلم منزلتها أهلها

وفي السنة العاشرة من سلطنة الامبراطور انسطاسيوس أي سنة ٥٠١ بعد الميلاد هزم الفرس الجيوش الرومانية وكانوا تغلبوا على سوريا وجهاتهم واهروا من مدينة بلوزه (الفرما) ودخلوا مصر وخرّبوا جميع بلاد الدلتا حتى وصلوا الى أبواب الاسكندرية ثم انجبروا على القهقرة بعد عدة وقائع غير فاصلة الا أن ما فعلوه من الخراب والدمار في بلاد الدلتا قاست منه المصريون مصائب الالهوال وتولد من هذه المصائب ثورات عديدة مهولة في الاسكندرية

وفي مدة سلطنة يوستانيان حصل تغيير واستبدال في حكومة المملكة وذلك أن يوستانيان وطف مطران ارثدوكسي أي بطريرك في الاسكندرية وقدمه زمام الاحكام السياسية والروحانية وجعله عاملا على الحكومة المصرية فقاوم الاسكندريون هذا الاستبدال وبذلوا جهدهم في عدم تنفيذه وهجموا



على البطريرك في كنيسة فأنار عليهم بعساكره وأوقع فيهم وأتلف منهم الجمل الغفير وأرغمهم على الطاعة والانقياد إليه وفي سنة ٦١٦ بعد الميلاد في مدة سلطنة الامبراطور هرقل دخل القرس أيضا في مصر تحت قيادة ملكهم خسرو الثاني وفي هذه المرة تغلبوا على البلاد وأخضعوا العباد ونالوا المراد وبعدت الامة المصرية جميعها من المملكة الجريقية الشرقية حتى انهم لم يجتهدوا في مقاومة القرس بل انقادت الامة المصرية لهم مع السرعة

وما تدخلت القرس في المشاحنات الدينية التي كانت جارية بين المصريين ومع هذا فان تغلبهم على البلاد أضعف شوكة الارثوذكس أو الكنيسة الجريقية ومن هذا العهد صارت الكنيسة القبطية لها السيادة والسلطة في البلاد المصرية وانتهى النزاع بين الامم المختلفة الديانة في مصر واستمر حكم القرس في مصر عشرين سنة وفي أثناء هذه المدة كان المصريون محكومين في الاعمال المدنية بحاكم من القرس وفي المواد الدينية بطران من الكنيسة القبطية حسبما يختارونه بانفسهم وكانت هذه المدة من أعظم المدد التي استتب فيها الهدوء والسكون في الديار المصرية من عدة قرون مضت وفي آخر هذه المدة أيضا هجم هرقل على القرس وطردهم من سوريا وأنار على بلادهم وممالكتهم واسترد مصر وعادت شوكة الكنيسة الارثوذكسية الجريقية كما كانت واستمرت الكنيسة القبطية ثابتة الحالة منقادا لطاعتها الامة المصرية وعلى نظام وسياق بعيد من الكنيسة الارثوذكسية

### (الدين الاسلامي)

وفي هذا الوقت ظهرت شوكة جديدة في الصحراء وهي صحراء بلاد العرب وتلك الشوكية هي العرب أو الدين الاسلامي وذلك انه في مدة القلاقل والاختلافات الدينية التي سبق ذكرها في هذا الباب ولد محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة الاسلامية وكان مولده في مدينة مكة من بلاد العرب في سنة ٥٧٠ بعد الميلاد ثم هاجر الى المدينة في ١٦ يولييه سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وابتدأ هذا الدين في التغلب على بلاد العرب تحت قيادة صاحبه محمد صلى الله عليه وسلم وتعين على خلقائه من بعده رضى الله عنهم في مد ملكته وانتشار دينه على معظم القسم الشرقي من الدنيا ومن بعده وفاته صلى الله عليه وسلم يبيع بالخلافة من بعده لابي بكر وهو عبد الله بن أبي قحافة فاستحوذ على بلاد العرب ونشر الدين الاسلامي فيها بعد أن كانت ارتدت بمجرد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أرسل جيوشه مغيرة على سوريا فتغلبوا عليها ومن بعده وصلت الخلافة ليد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستمر على الفتوحات والغزوات حتى تغلب على فارس وجهات سوريا وهزم الجيش العربي جيوش هرقل امبراطور الروم وفي مدة لا تتجاوز ثمان عشرة سنة تغلب الجيوش العربية على العراق وفارس وسوريا أي الشام وفلسطين

ولما رأى هرقل ما حصل به من المصائب والاهوال من تغلب الجيوش العربية على سوريا وجهاتهم من بلاد عنوة أوجس في نفسه خيفة على باقيها وعلى الخصوص مصر فقدمه هرقل بينه وبين الخليفة عمر معاهدة وحضه على عدم تغلب جيوشه على مصر ويدفع له في ذلك خراجا مستويا مقررا بينهما فاستمر هرقل على دفع الخراج مدة ثمان سنوات ولما قلت ممالكهم من تغلب الجيوش الاسلامية عليها صار لا طاقة له على دفع الخراج الذي قرره لعمر بن الخطاب ولما لم يصل الخراج من عند كسرى وانقطع أمره في عدم دفعه اعتبر الخليفة في نفسه أن هذه المعاهدة باطلة لا عمل لها عنده

وكان عمرو بن العاص قائد جيش يسوريا لا يفتقر عن حض الخليفة على فتح مصر والتغلب عليها لانه كان ذهب اليها في تجارة قبل دخوله في الاسلام ورأى الحالة التي مصر عليها من العظمة والمجد في أرضها وسكانها فأمره الخليفة عمرو بن الخطاب بعد جهدها أن يدب التوجه اليها والتغلب عليها وفي سنة ٦٤٠ بعد الميلاد دخل الجيش العربي تحت قيادة عمرو بن العاص قائد الخليفة مصر من جهة فلسطين وتغلب على مدينة بلوزه (الفرما) فقاتل الروم فيها قتالا شديدا ثم تغلب عمرو بن العاص على المدينة بعد حصار استمر ثلاثين يوما ثم تقدم بالجيش حتى أتى بلبس فتغلب أيضا عليها بعد أن حاصرها شهرا وكان الحاكم في مصر من قبل الروم في هذا الوقت المقوقس يوحنا بن قرقط اليوناني ثم سار عمرو وما زال سائرا حتى أشرف على مدينة منف فحاصرها وضيّق على أهلها ثم تغلب عليها بعد حصار استمر ثمانية شهور وفي هذا الحصار خربت مدينة منف بالكلية وكانت هذه المدينة على الشاطئ الغربي من نهر النيل فابتنى عمرو مدينة جديدة في موقع انتخبه واختاره على الشاطئ الشرقي من النهر وكان معسكرا بجيشه في هذا الموقع قبل حصاره مدينة منف وكان فسطاطه أي خيمته منصوبة فيه فسمى المدينة الجديدة التي أمر بإنشائها مدينة الفسطاط وكانت في تجاه مدينة منف وعلى مسافة ميل أو ميلين من الشاطئ وهي الآن تلال وخرابات معدودة من ضواحي القاهرة

ولما رأى المقوقس ما حصل من عمرو بن العاص وجيشه من التغلب على البلاد طالب مقابلة هذا القائد العربي مقابلة رسمية واتفقا على الصلح فيما بينهما على أمان يعطيه عمرو بن العاص للمقوقس والامة القبطية بشرط أن يدفعوا الخراج الذي يقررون عليهم سنويا بدون تأخير فرضى عمرو بذلك وحرر معاهدة قوية مع المقوقس والامة المصرية ما ألبها ان عمرأعطى أهل مصر الأمان على أنفسهم وموادمهم وأموالهم وكيملهم وصاعهم ومدهم لا يزيد شي في ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم أهل النوبة وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ومن دخل منهم في دينار فعت عنه الجزية ومن دخل في صلحهم من الروم وأهل النوبة فله مالهم وعليه ما عليهم ومن أتى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه وكانت الامة المصرية ألد الأعداء الى المملكة الجريقية بسبب ما حل بهم من المظالم والجور الذي أوقعوه عليهم بشأن ما كانوا عليه من اختلاف العقائد الدينية فصاروا يرحبون بالعرب في كل جهة من الجهات المصرية لانهم رأوهم في أعينهم أنهم هم السبب الأصلي في خلاص الكنيسة القبطية وانه اذا لامة المصرية من غوائل المملكة الجريقية والكنيسة الارثوذكسية وتأكد صدق المقوقس والامة القبطية لعمرو بن العاص واتفقوا على دفع جزية سنوية له وأقسموا بيبعتهم وطاعتهم له والخليفة ولما تم الصلح على ذلك كتب المقوقس الى هرقل ملك الروم يعلمه بالامر الذي حصل بينه وبين العرب فكتب اليه يوجّهه ويقبح رأيه وقال له في كتاب أرسل اليه ان من أتاك من العرب اثنا عشر ألفا وفي مصر من القبط ما لا يحصى عددا فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب فعندك من الروم في الاسكندرية وغيرها ما يزيد عن مائة ألف معهم العدة والقوة وانت تعرف وقد رأيت الآن ما العرب عليه من حالة ضعفهم وقلة عددهم وعددهم أفهجت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في الحالة التي صار فيها القبط أذلاء للعرب فقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموتوا أو تطفروا عليهم ولا يكون لكم رأي عندى غير ذلك فلما أتى المقوقس كتاب ملك الروم وقرأ ما أقبل الى عمرو بن العاص وقال له ان الملك قد كرم ما فعلت



وكتب الى أنى والروم الموجدين هنا لا ترضى بمصالحك وأمرنا بحربك ومقاتلتك حتى يظفر وابلك  
أو تظفر بهم لكنى أنا لا أخرج مما دخلت فيه معك وعاهدتك عليه وأمرى على نفسى ومن أطاعنى  
وقد تم الصلح بينك وبين القبط ولم يحصل منهم نقص ولا نقض وانى لم أزل مع القبط على ما تعاهدنا  
عليه من الصلح وأما من جهة الروم فانا والقبط برئثون منهم فأجابه الى ما طلب بشرط أن يضمنوا له بقاء  
الجسر بين المنصوين على النيل أمام منف وكان عمرو ومري بالجيش عليهم ما حتى حاصر منف وتغلب  
عليها كما سبق وقيموا للجيش الضيافات والاسواق فى طريقه الى الاسكندرية ففعلوا ذلك وصارت  
القبط أعوانا للعرب فى ذلك

ولما تم لعمر بن العاص جيع ذلك كتب كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما  
تم عليه الرأى بينه وبين المقوقس صاحب مصر من قبل الروم

ثم بعد هذا عبر عمرو بن العاص النيل الى الشاطئ الغربى وأخذ يتقدم الى الجهة البحرية شيئا فشيئا  
وقابل فى سيره بعض فئات من مهاجرى منف من الروم فى كوم شريك وفى جهات مريوط فهزمهم عمرو  
وتغلب بجيشه على كوم شريك وعلى مريوط وكان الروم على منعة قليلة فيهما ثم سار حتى وصل مدينة  
الاسكندرية وكان الروم بالاسكندرية لم يبلغهم سير عمرو بن العاص بجيشه اليهم أخذوا فى الاستعداد  
للدفاع وكانت الاسكندرية عاصمة القطر المصرى الى هذا العهد مشحونة بالسكان والعمران من  
الروم فحاصرها عمرو من طريق البر فقط وأما طريق البحر فكان مفتوحا بينا وبين القسطنطينية  
يأتيا منها كل ما يحتاجه من المؤن والذخائر فقاوم الروم فيها مقاومة شديدة ودافعوا عنها أشدا المدافعة  
واستمر عمرو ومحاصرا مدينة الاسكندرية نحو من أربعة عشر شهرا وأوقع الرومانيون فى الجيش العربى  
خسارة وتلفيات يبلغ مقدارها نحو من ٢٣٠٠٠ نفس وأخيرا تغلب العرب على المدينة فى سنة ٦٤١  
بعد الميلاد وعند هار كى البحرى المراكب فى عدد عظيم منهم وهربوا عابرين البحر الابيض المتوسط  
وفى مدة الأربع سنوات التى جاءت بعد اجتهد العساكر الامبراطورية عدة مرات فى استرداد  
الاسكندرية ثانيا الا أن عمرو بن العاص صدهم وردهم على أعقابهم وبذلك تم التغلب على الجهات  
المصرية وكان دخول عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية يوم الجمعة غرة محرم سنة ٢٠ هجرية  
أو ٢٢ ديسمبر سنة ٦٤٠ ميلادية وأقام فيها احتفالا عظيما لأتية من الفتح المين وكتب  
بهذا الفتح الى عمر بن الخطاب الخليفة

ومن بعد أن تقلد عمرو زمام الاحكام فى يده أخذ فى استجلاب قلوب الامة المصرية وسكان البلاد  
النيلية اليه ويحكم فى الناس بالعدل والقسط ويحجب طامعهم فى كل ما يلمسونه منه حتى أجمعوا الليل  
عليه والاذعان اليه

وقد شوه مؤرخو الافرنج أعمال هذا القائد المشهور وأعمال الخليفة عمر بانتساب جرق دار الكتب  
المشهورة التى كانت موجودة فى الاسكندرية فقالوا ان الخليفة عمر بن الخطاب لما كتب له عمرو  
ابن العاص يستأذنه فيما يجب اجراؤه بشأن دار الكتب أجابه بقوله انى أهنتك بالفوز العظيم الذى  
أوتيته وأنت أول من ولى مصر من المسلمين أما الكتب الموجودة فى دار الكتب بالاسكندرية فلا يخلو  
أن تكون كتبها صدقة لما فى القرآن الشريف فلا حاجة انابها أو مناقضة له فهى ربحى وضلال  
وابادتها وجرحها ليس من الحال

فلم يسع عمرو بن العاص الا كونه وزع كتبها النفيسة المنسوخة بخط اليد على ٤٠٠٠ حمام  
موجودة في الاسكندرية لاجل تسخين مياهها وكانت هذه الكتب كثيرة العدد حتى كان مدة  
حريقها ودمارها نحو امان ستة شهور

يقول مؤلف هذا الكتاب محمود فهمي المهندي ان كل ما قيل في شأن الخليفة عمر بن الخطاب من أنه  
أمر عمرو بن العاص بحرق كتب دار الكتب بالاسكندرية فعمد رضي الله عنه منزه عنه ومكذوب  
عليه ولا صحة لما قيل في ذلك والدليل القاطع على هذا أنه كان يوجد في مدينة الاسكندرية قبل  
التغلب الاسلامي عليها ثلاث كتبخانات الاولى شيدها بطليموس لاغوس أول ملوك البطالسة في دار  
المعارف التي أنشأها بجوار سرايته في خط بروشيون في مدينة الاسكندرية القديمة وجمع فيها كتب  
نفيسة وزاد فيها من بعده ابنه بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس من الكتب حتى بلغ عدد الكتب  
فيها نحو امان ٤٠٠٠٠٠ مجلد ولما أقام فيلادلفوس هيكلًا للاله سرايس الذي جالسه من مدينة  
سينوب وزخرفه ووضع هذا الاله فيه وأطلق على الهيكل اسم سرايوم شيدي فيه أيضا كتبخانة كانت  
هي الثانية من بعد الاولى ولما لم يجد في الاولى سعة لتخزين الكتب فيها نقل ما زاد عنها من الكتب الى  
الثانية في سرايوم وسماها تكملة أو بنتها أو كتبخانة سرايوم واجتمع في هذه الكتبخانة كتب جمعة  
حتى وصلت في مدة كليوباترة الملكة نحو امان ٧٠٠٠٠٠ مجلد فأما الكتبخانة الاولى الموجودة  
في دار المعارف بخط بروشيون فانها أحرقت وأبديت في مدة الحروب التي حصلت بين القيصريوليوس  
وبين الاسكندرانيين بشأن الخلاف والشقاق الذي كان حاصل بين كليوباترة وأخيها بطليموس  
فهذه انتهى نحبها وخلص الخليفة عمر من أمرها ومن بعد حرق هذه الكتبخانة شيديت كليوباترة من  
بعد أن تقلدت زمام السلطنة المصرية كتبخانة أخرى وشحنها بالكتب التي أرسلها أنطوني هدية لها  
من مدينة بروجاموس كما ذكره ولما أصدر الامبراطور ثيودوسيوس أمره في الاسكندرية بحرق  
وأبادة الديانة الوثنية وهدم هيكلها وكسر أصنامها سنة ٣٧٩ بعد الميلاد انقض عوام المسيحيين  
على هيكل سرايس وهدموه وكسروا الاله سرايس ونهبوا جميع الكتب التي كانت موجودة في  
الكتبخانة ولم يبقوا منها شيء أو هدموا محيطها وأساووها بالارض وهذه أيضا انقض أمرها وخلص  
الخليفة عمر من شرها وأما كتبخانة كليوباترة وهي الكتبخانة الثالثة فان كتبها هبت في عصر  
الثورات والفتن الدينية في مدة المملكة الرومانية ودليلا على ذلك ان أوروسيوس الروماني لما زار مدينة  
الاسكندرية في سنة ٤١٣ بعد الميلاد دخل في هذه الكتبخانة ظاناً انه يجد فيها شيءاً من الكتب  
فقال انه ما وجد فيها الا رقوقاً فارغة معشاة عليها العنكبوت وكان ذلك قبل مولد محمد صلى الله عليه  
وسلم بمائة وسبع وخمسين سنة وقبل دخول عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية بمائتين وست  
وثلاثين سنة فذلك دليل قاطع على كذب المؤرخين فيما ادعوه على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه في أمره بحرق دار الكتب بالاسكندرية وهو المعول عليه وان الاسكندرية كانت مجردة عن  
الكتب بالكلية في أثناء دخول الجيش الاسلامي بها والله أعلم بالصواب

وفي مدة القرنين اللذين أعقبهما التغلب الاسلامي على مصر صارت المملكة المصرية اقاليماً أو اية عربية  
محكومة بمال من طرف الخلفاء واستوطنها كثير من العرب ودخل الجمل الفقير من المصريين في الدين  
الاسلامي وضعف الدين القبطي واضمحل أمره وحل محله الاسلام ومن ثم انتقلت مصر على الندرج



من الديانة المسيحية وصارت مملكة اسلامية وكانت هذه المدة مشحونة بارتباكات وقلاقل مهولة شديدة وظهرت عدة تعصبات عمومية الا انه صار اخادها واطفاؤها وفي سنة ٨٦٨ بعد الميلاد خلع أحمد بن طولون بيعة الخليفة المعتمد بن المتوكل وكان أحمد بن طولون هـ ذاعا ملا على مصر من قبله وجعل مصر مملكة مستقلة استمرت سبعاً وثلاثين سنة ثم خضعت ثانية لخلفاء بغداد وأعقب هذا الخضوع حكومة فوضوية امتدت في مصر زمناً طويلاً

وفي غضون مدة الحكومة الفوضوية في مصر كانت جهات القيروان وسواحل بلاد المغرب تحت حكومة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية يطلق عليها اسم الدولة الفاطمية وكانوا من قبيلة كتامة بالغرب من مدينة فاس وكانوا يزعمون أنهم من سلالة اسمعيل الامام السادس العلوي أو من سلالة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا قد نشروا سلطتهم في الجهات الغربية من افريقية وخلقوا طاعة الخلفاء العباسيين في بغداد وخلقوا بني أمية في الاندلس وأخذ عبيد الله الفاطمي يسعى في تغلبه على مصر فن بعد أن تولى كرسى الخلافة بخمس سنين بعث الى مصر أربعين ألف مقاتل فلما علم بذلك الخليفة المقتدر بالله جهز جيشاً كافياً لصدومعه وحصل بين الفريقين حروب عديدة انتصر فيها جيش الخليفة على جيش الغرب

وفي سنة ٩٧٠ بعد الميلاد اجلس معاً أبو تميم الملقب بالمعز لدين الله بن القاسم بأمر الله على دست الخلافة المغربية وكانت قاعدتهم مدينة المهديّة وسلطنتهم امتدت على امارات الغرب ومالطه وسردينيا وصقلية وأكثر جزائر البحر الأبيض المتوسط شرع يتطرب به من التغلب على القطر المصري وعند نهاية حكم كافور الاخشيدي جند جيشاً وأرسله تحت قيادة جوهر المكنى بأبي الحسن من بعد أن انتخب الوقت الموافق له في تغلبه على مصر لان المملكة في هذا الوقت كانت في ارتباكات وقلاقل بين الامراء الذين يزعمون التغلب عليها وكانت الاهالي في حالة يرثى اليها مما هو حاصل عندهم من القحط الشديد المتساقط في البلاد وكان القائد جوهر رجل معه أشوانا كثيرة من الغلال والحبوب على الجمال لهذا القصد ولما احتل الديار أخذ في تفريق هذه الغلال وتوزيعها على الاهالي وجميع الامة المشرفة على الموت من الجوع والقحط فن ثمال منهم الطاعة وحسن الانقياد وقد موأيتهم وطاعتهم في الاحكام الدينية والدينية فخرية ووصل جوهر مدينة القسطنطين وعسكر بها كره في الموضع الكائن عليه مدينة القاهرة الآن وخطب في جامع عمرو بن العاص باسم المعز لدين الله وأزال الشعائر السود العباسية وألبس الخطباء الملابس البيض وأصبحت البلاد المصرية خاضعة للدولة الفاطمية وأمر جوهر أن يراد عقب خطبة الجمعة اللهم صل على محمد المصطفى وعلى آل المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم وصل على الأئمة الطاهرين آباء المؤمنين وأمر في الاذان بحمدي على خير العمل ومن المعلوم أن خلفاء هذه الدولة جميعهم كانوا شيعة علوية

وشرع جوهر القائد في بناء القاهرة في الموقع الذي عسكر فيه ووضع جوله عليه وابتنى فيها قصرين جعلهما الاقامة المعز عند قدومه الى مصر وتم بناء القاهرة في نحو ثلاث سنوات (آخر سنة ٣٦١ من الهجرة) ووفد المعز لدين الله الفاطمي الى مصر ودخل القصر الذي بناه له القائد جوهر بالقاهرة وعند دخوله خرساجداً لله ثم صلى ركعتين وصلى معه كل من دخل معه واستقر في قصره بأولاده وحشمه

ومن ثم صارت مصر مملكة مستقلة مرة أخرى ودار خلافة الدولة الفاطمية وصارت مدينة القاهرة عاصمة ممالك هذه الدولة وقويت شوكتها وامتدت سلطتها ورفض خليفة مصر دعوى خليفة بغداد وقال ان خليفة بغداد رجل كذاب لم يكن من نسل محمد صاحب الشريعة بل هو نفسه من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم وأنه هو الخليفة الشرعي على الأمة الإسلامية وخطب الناس بدعواه مع الجند والكذ في سائر أنحاء الدنيا الشرقية ومن هذا الوقت تولد التقسيم والتجزئة في المملكة الإسلامية وفي الحال تجولت الجيوش الفاطمية في فلسطين وسوريا وتغلبوا عليها وصارت فلسطين مرة أخرى ميداناً كبيراً للحروب والوقائع بين الجيوش المصرية والجيوش الشرقية وحكمت العائلة الفاطمية مصر نحو من قرنين

وكان أشهر هؤلاء الخلفاء الحاكم بأمر الله ابن العزيز قنصلطن من سنة ٩٩٦ إلى سنة ١٠٢١ بعد الميلاد وكانت مدة سلطنته خمساً وعشرين سنة نارت في أوائلها عصبية ادعى زعيمها أنه من سلالة الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان وانتشبت من أجل ذلك حروب وحصلت كروب كان النصر فيها متبادلاً بين الاثنين وأخيراً صار القبض على زعيم العصاة ووضع في السجن وهرب أتباعه وما زال هذا مسجوناً حتى مات

وكان الحاكم تازة مجنوناً مثل كاليجولا الامبراطور الروماني وتارة وحشياً عنيف الأعمال قبيح السلوك والخصال وأنشأ في القاهرة دار كتب حمل اليها نفائس الكتب من جميع الجهات وأجلس فيها الفقهاء والعلماء وكان الناس يأتون اليها أفواجا فيكتبون ويطلبون ما شاؤا وكان في مبادئ سلطنته غميراً على الدين الإسلامي وافتتح سلطنته بجهور شديد وظلم عتيد على الأمة المسيحية والملة اليهودية الموجودتين في مصر وأرغم المسلمين يحيين على أن يحملوا في رقابهم صلباناً ثقيلة من الخشب حال سيرهم ومشيمهم في الشوارع وأرغم اليهود أيضاً بأن يعلق كل منهم على صدره رأس عجل تذكاراً لما كانوا عليه من العبادة الوثنية في صغرا سيناء ثم أبدل رأس العجل بأجراس ثقيلة من الخشب ومنعهم من ركوب الخيل وأن يكون ركوبهم البغال أو الخيول بسروج الخشب وأن لا يستخدموا مسلماً ولا يشترعوا عبداً ولا أمة وهم الكنائس وأخذ جميع ما فيها وماله من الأوقاف وكتب بذلك إلى عماله وهدم كنيسة القيامة في أورشليم وألوفاً من الكنائس في سوريا ومصر

وفي سنة ١٠٢٠ ادعى الحاكم بأمر الله ان الله حل فيه وأمر رعيته بعبادته والسجود له باسم الإله المحي المميت وفي غضون ذلك ظهر رجل متهذب يقال له ضرار وتبعه جماعة عرفوا بالضرارية ثم لما هلك ضرار هذا خلفه أحد تلامذته جزة بن أحمد وكان يلقب بالهادي وآل أمر الحاكم بأمر الله أن صار تحت سلطة جزة ونفوذه واعتنق عقائده ودينه وتبعه في ذلك نحو من ١٦٠٠٠ نفس وسن هؤلاء شرايع كثيرة منها عظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعياد واستبدال الحج في مكة بزيارة مقام طالب في اليمن وأباحوا الزواج بين الاخ وأخته والاب وبناته والام وأبنائهم وأجاءوا بأمور تخالف ما في القرآن الشريف واقتن الحاكم بهذه الديانة الجديدة ونسى دين أبيه وجده وكان يصعد كل صباح إلى الجبل المقطم بدعوى أنه يناجي الله سبحانه وتعالى كما كان يفعل موسى ثم من بعد مدة قليلة رجع عن تعديده على النصارى ورخص لهم ببناء كنائسهم وبناء كنيسة القيامة مرة أخرى على مصاريف من عنده وكان في أحكامه المدنية جباراً ظالماً فمضى عن كل الملوخية والجرجير وذبح الأبقار السلمية من العاهات



ومنع الناس من الخروج به إلى المغرب في الطرقات وأمر بكسر أواني الخمر واشتد خوف الناس وقويت الشناعات وكثرت الارتباكات وأصدر أمر بالسب السلف وأن لا يخرج النساء في الطرق فصارت ترى امرأة في طريق البتة وإذا رويت عوقبت بأشد العقاب وأمر بغلق الحمامات دونهم فرأى ذات يوم من الأيام امرأة واقفة على قارعة الشارع المار به متزرة بمنزلة بيض فلما قرب اليها ودامها رآها صورة امرأة مصنوعة من ورق المقوى حامدة في يدها عريضة مكتوب فيها كتابة تختص بشأن سب أخته وما هي عليه من الفجور والعهر فغضب الحاكم غضبا شديدا وحنق على أهل مصر وأمر عساكره وحشمه بالانقاع في أهل القاهرة فأمر بحرق المدينة وقتل أهلها وذبح منهم جافيرا وأمر بالبحث سرا عما عليه أخته من الفجور فلما علمت أخت الحاكم وقائد جيشه أن الحاكم أمر بقتلها عمدا على اغتياله من قبل أن يغتالها وفي سنة ١٠٢١ بعد الميلاد قتله على الجبل المقطم

ومن بعد موت الحاكم هرب حمزة إلى سوريا وقرر في حصون جبل لبنان مذهب الدرزيين ولما كان هؤلاء يزعمون أن الحاكم هو مسيحيهم وانقرضت هذه السلسلة الفاطمية من مصر بخلافة العاضدين يوسف ومات هذا في سنة ١١٧١ بعد الميلاد وكان هو والذين جاؤا من بعده على غاية من ضعف الشوكة خلفاء بالاسم فقط وكانت السلطنة الحقيقية والاعمال الادارية في أيدي الوزراء وبكار الامراء فكان يسجن الخليفة في الجامع أو في سرايته حسب ما تيل اليه طبيعته ويحكم الوزير المملكة باسمه فتولد من هذا مشاحنات عديدة وارتباكات وقلاقل شديدة أضرت بالخلافة وكانت سببا في ضعف المملكة وفي مدة سلطنة الخليفة العاضد دعت اختلافات الاحوال وتباين الاعمال الخاصة في السلطنة أن توسلت الخلافة بالاستغاثة بمساعدة ملوك اللاتينيين في اورشليم وساطان دمشق على التوالي وكان كل من هذين الملكين خصما وعدوا للخليفة بمصر فأجاب كل منهم ما ما طلب منه من المساعدة مؤملا في عقله قلب هذه الخلافة وازداده مصر الى مما لكة فقام ملك اللاتينيين بجيشه بنفسه وكانت عساكر نور الدين سلطان دمشق تحت قيادة شيركوه بن شادي وهو كردي الاصل وكان شيركوه هذوا وأخوه نجم الدين أيوب في خدمة نور الدين في سوريا لمدة طويلة فاستصحب معه ابن أخيه وهو يوسف بن نجم الدين وفي أثناء ذلك قصد ملك اللاتينيين بعساكرهم مصر فخرج عليهم المصريون فغلبهم ملك اللاتينيين واحتل حصن بلبيس ثم عاد ملك اللاتينيين الى اورشليم على أعقابهم من بعد ما تراءى له عدم النجاح وضافت في وجهه البطاح

وسار مع شيركوه السلطان نور الدين نفسه مشيا بجيشه حتى وصل حدود مصر وقصده من ذلك ايهام الصليبيين الذين في طريقه أنه آت لمحاربتهم فانحصروا في مدنتهم وحدث منهم ومهر جيشه مع الامان والوثوق بالاطمئنان وتولد مما أخرج شيركوه من النصر والظفر في ثلاث وقائع حصلت بينه وبين ضرغام الوزير وكان متقدما زمام الحكومة المصرية وقتل ضرغام هذافي تلك الوقائع أن صار شيركوه سيد البلاد المصرية ومن ثم قلدا للخليفة العاضد هذا الرجل المعاضد وظيفة الوزارة العظمى في مصر وعاش بعده في مصر ثم رين فقط وهو وان كان قبل هذه الوظيفة الرفيعة التي منحها له الخليفة العاضد الا أنه ما زال كان يعد نفسه على الدوام أنه تحت رعاية نور الدين سلطان دمشق وأنه نائبه في مصر ولما مات أحب العاضد أن يبين ممنونيته وحببه له فيولى مكانه ابن أخيه يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين ولقبه الخليفة بالملك الناصر وكان شابا وفضل الخليفة الوزير الصغير السن ظنا منه أنهم لا يقدر

على اكتساب ثقة الجند بهم فلا يخاف ولا يخشى من استبدادهم وأمل العاصد في نفسه أنه بواسطة  
صغر سن صلاح الدين ربما يتيسر له الحصول على رد شوكتهم وسلطتهم التي فقدت منه ومن بعد مدة رأى  
أن لا قدرة له على ذلك فاستيقظ صلاح الدين من نومه وقام من غفلته وجعل نفسه في الحال سيداً  
على الخليفة ومن والاه من الرجال ونظر صلاح الدين في الأعمال المصرية وساسها حق السياسة وصار  
له نفوذ عظيم في مصر ولم يكن للخليفة العاصد إلا الاسم ولم يكن لديه إلا السلطة الدينية فقط فلاح  
لنور الدين أن الإسلام في غنى عن هذه فأرسل إلى صلاح الدين يطلب منه قلب الخلافة الفاطمية وإقامة  
الخطبة العباسية باسم المستضيء بأمر الله الخليفة الثالث والثلاثين من بني العباس في بغداد فتردد  
صلاح الدين في ذلك وخشى من أنه ربما يتولد من ذلك ثورة من الأمة تكون عاقبتها مشؤمة عابسه  
وأرسل صلاح الدين يعتذر عن عدم إمكانه إنفاذ هذا الأمر فوراً خشية انتساب حرب في مصر مع حزب  
العلويين الذين هم أكثر عدد فدعا صلاح الدين إليه أمراءه واستشارهم في هذا الأمر الذي أرسله إليه  
نور الدين فقال بعضهم أنه أمر الوقوع فيه على خطر وتنفيد وقاحة ووافق البعض الآخر على نفاذه  
إلا أنه لم يتجاسر أحد على مباشرة الأمر بنفسه فهت صلاح الدين برهة من الزمان فقام في أثناء ذلك أمير  
فارس يدعى أمير عالم وحض على وجوب تنفيذ الأمر نور الدين وأخذ على كتفه مباشرة العمل بنفسه  
وفي يوم الجمعة توجه أمير عالم المذكور إلى أكبر المساجد بالقاهرة ونحطب في الناس خطبة الجمعة وصلى  
باسم الخليفة المستضيء العباسي فلم يعارضه أحد من الفاطميين ولم يحصل من ذلك ثوران ولا انتطح  
كبشان ولما علم صلاح الدين بذلك أمر بإعادتها في الجمعة القادمة في جميع جوامع القاهرة فقبل الجميع  
ودخلت مصر في ضمن الخلافة العباسية الدينية في بغداد من بعد أن كانت خرجت من قبضتهم من مدة  
قرنين وأما الخليفة العاصد فإنه أصيب بمرض شديد أفقده الحياة ومات من دون أن يكون له معلومية بما  
حصل وما كان أحد من ذريته تجرأ على التفوه أمامه بهذه الحادثة

وبوفاته خلاص صلاح الدين من قلاقل كثيرة كان يخشى منها لبقى العاصد على قيد الحياة فقبض في  
الحال صلاح الدين على خزائن المتوفى وكنوزه وحبس أولاده وعائلته في السراي وباع ماله كره وعبيده  
وبموته انقرضت الخلافة الفاطمية من مصر وثبت فيها صلاح الدين بمساعدة سلطان دمشق نور الدين  
محمود وغير صلاح الدين الحرير الأخضر الذي كان على المنابر المصرية بالحرير الأسود في الخلافة  
العباسية وانتهى الشقاق الذي كان موجوداً من مدة مائتي سنة في الجوامع الإسلامية

وفي مدة حياة السلطان محمود نور الدين ملك دمشق كان صلاح الدين معترفاً بسيادته وحكمه ولما رأى  
نور الدين نفسه متسلطاً على سورية كلها وعلى قسم من جزيرة العرب وعلى آسيا الصغرى وجزيرة  
العراق وضع يده أيضاً على مصر وأما صلاح الدين فكان في نيته استئصال مصر ومن ثم شرع في  
تأليف الأحزاب واستعداد القوى حتى يتمكن الاستقلال بمصر ومقاومة نور الدين إذا عارضه في ذلك فلما  
علم بذلك نور الدين جند الجنود وحشد العساكر والبندود وشرع في السير إلى مصر لخراج صلاح الدين  
منها وبينما هو على ذلك إذ فجأه أنه المنية من مرض كان حصل له في الحلقوم ومات بعد أن بلغ من  
العمر ستين سنة

وبمجرد موت هذا الملك الخطير أعلن صلاح الدين لنفسه بملوكية سوريا ومصر وصدق على هذا  
الاعتصاب خليفة بغداد رأس الديانة الإسلامية حامداً أشاكر الموت خصمه خليفة مصر وذلك أنه من



بعد موت نور الدين انتقلت مملكته الى ابنه الملك الصالح اسمعيل وكان عمره احدى عشرة سنة فأقيم له  
وصى نائب وحاول عمال المملكة في استقلال كل واحد منهم بنفسه ومنهم من أراد خلع الملك وحلوه  
رسمه وبينما هم في هذه القلاقل اذورد لهؤلاء الامراء كتاب صلاح الدين يذكرهم الخضوع التام  
لخليفة نور الدين وقال لهم في مكتوبه لو علم نور الدين أن فيكم من هو أكثر أهلية وأمانة مني في ولاية مصر  
لكان نور الدين عهدا اليه وهي أحسن ولاياته وانه لو كان يعلم بوقت منيته لولاني وصيا على ابنه واعلموا  
اني سأذهب الى دمشق وأقدم عبودي الى هذا السلطان معترفيا بفضل العظيم الذي جليله أبوه واني  
سأعامل كل منكم بحسب ما في نيائكم فانكم قوم منيع كل ارتبال ووقت وقل في البلاد ثم توجه  
صلاح الدين عقب ذلك الى سوريا واغتصبها جميعا من أولاد نور الدين حتى خزانهم وأمتعتهم بعد حروب  
شديدة ووقائع عديدة

وأصبحت حياة المملكة المسيحية محصورة بين عدوين متقابلين وهما الترك والعرب ولما جمع صلاح  
الدين هذه الامم تحت جامعة واحدة متبصرة الحاد الطويل المكين الى فواحي فلسطين وظهر له من  
أجل حجة الحرب وعلته فسخ المعاهدة التي كانت علمت بين المسلمين والمسيحيين وكان عقدها أحد  
البارونات اللاتينية وأسرع صلاح الدين في جمع جيوشه وقواه وسار حتى عبر نهر الاردن وهزم  
المسيحيين في واقعة حطين سنة ١١٨٧ بعد الميلاد وكانت واقعة مشهورة وذلك أن صلاح الدين بعد  
أن عبر نهر الاردن حط رحاله عند بحيرة طبرية على سفح الجبل مؤملا أن المسيحيين اذا بلغهم نزوله  
يقدّمون اليه وكانوا معسكرين في مرج صفورية بأرض عكا ولما يتحركوا من معسكرهم سار بتجريدة  
من عسكره ونازل طبرية وتغلب عليها بعد ساعة من القتال وبقيت قلعة طبرية سليمة لم تغلب عليها ولما  
بلغ المسيحيين ما حصل بطبرية ساروا نحوها ولما علم صلاح الدين بمسيرهم ترك على قلعة طبرية من  
يحاصرها وعاد لملاقاة المسيحيين فالتقى بهم على سطح جبل طبرية ومن بعد حرب شديدة تشتت شمل  
جيوش المسيحيين الا فرقة تحصنت في تل يقال له تل حطين فضايقهم صلاح الدين بعساكره واشتد بهم  
العطش حتى ألبأهم الى القتال فأمرت مقدمتهم وقتل الباقون وكان فيهم أسير ملكهم جفري لوسنيان  
وأخوه البرنس أرباط ومشهور وقواده وأعقب هذه الظفرة التغلب على مدينة طبرية وعكا ويافا  
وفيسرية وحيفا وصفورية والناصرية ثم سار الى تبين وهي قلعة منيعة فحاصرها أسبوعا ونصب  
عليها المنجنيقات حتى فتحها عنوة وسار الى صيدا وتسلّمها وكذا تغلب على جميع المدائن المجاورة  
لاورشليم من كل جهة وناحية فلما تم له ذلك أجمع على التغلب على اورشليم وهي بيت المقدس فشرع  
ساعدا لحدو جمع عساكره وكانوا متفرقين في فواح عديدة وسار بهم حتى أتى اورشليم فنزل في الجانب  
الغربي منها وحاصرها حصارا شديدا ودافع أهلها عنها مدافعة عنيفة ولما رأى المسيحيون ما حل بهم  
من شدة الحصار والرحف والضرب عليهم بالمنجنيقات طلبوا المخابرة مع صلاح الدين فتمت بتسليم  
المدينة اليه

وتولد من نصرة المسلمين هذه قيام ممالك أوروبا وشرورها في الحرب الصليبي الثالث ونال صلاح الدين  
حماية القسم الأعظم من فتوحاته مدة الحرب الطويل الذي انتشب وأخير ارضى بعة دمعا هدية بيته  
وبين قائد الصليبيين من بعد مداولات ومخابرات ونشرت الاعلانات بان البلاد الاسلامية والمسيحية  
واحدة وعادت الصلوات والمعاملات الى مجاريها وكذا عادت التجارات وجعل الزائرون يقدون

الى اورشليم من كل فج وتوجه صلاح الدين الى اورشليم لتفقد احوالها ومنها توجه الى دمشق وكان فيها اولاده وكان يحب مدينة دمشق كثيرا ويؤثر الإقامة فيها دون غيرها وكان أكثر نجاحا في سلطانه وفي مدة سلطنته امتدت شوكته على بلاد العرب وعلى قسم عظيم من آسيا الغربية فن تم عند موته كانت مملكته ممتدة من طرابلس افرريقية الى نهر الدجلة ومن المحيط الهندي الى جبال أرمينية

ومات صلاح الدين في فلسطين سنة ١١٩٣ بعد الميلاد وانقسمت ممالك الكيبن أولاده الثلاث وكان سنه عند وفاته سبعا وخسين سنة وحكم أربعاء وعشرين سنة في مصر وتسع عشرة سنة في سوريا وترك صلاح الدين من الاولاد سبعة عشر ذكرا وبناتا واحدة واقتسم أولاده وأخوته وأولادهم مملكته فيما بينهم الا أن حصصهم ما كانت متساوية في القسمة وذلك أن ثلاثة من أولاده أخذوا أكبرها واقتنع الباقي بمقاطعات صغيرة فخص أولاد صلاح الدين وكان يسمى بنور الدين ولقب بالملك الأفضل بمملكة دمشق والشطوط البحرية وأورشليم والبصرة وبانياس وسورية الغربية وخص أبو الفتح ويلقب بالملك الظاهر غياث الدين بحلب وجميع سوريا الشرقية ومن ضمنهم حران وتل باشرو عيزار وخص الثالث وهو الملك العزيز بمصر ومن هؤلاء تشككت ثلاث دول مختلفة وانفصلت مصر من سوريا مرة أخرى وفي مدة القرن التالي ارتاعت مصر وانزعج أهلها من جيوش الممالك الأوروبية التي اشتريت مع بعضهم في الحروب الصليبية فصد خلفاء صلاح الدين الذين جلسوا على الأريكة المصرية هؤلاء الجوع وغلبوهم وظفروا بهم وكان آخر هذه الهجومات صارا جراؤهم بواسطة لويز التاسع ملك فرنسا في سنة ١٢٤٨ بعد الميلاد وذلك أن لويز التاسع ملك فرنسا جرد جيشا من الصليبيين وسار في رأس قوة عظيمة مقادارها ٥٠٠٠ مقاتل ووصل بهم ذاقوة الى دمياط وكان فيها جوع الصليبيين وعند وصول لويز التاسع المذبح كوردمياط بعث الى الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل كتابا يقول له فيه أما بعد فإنه لا يخفى عليك أني أمين الأمة المسيحية كما أنك أمين الأمة المحمدية وكذا لا يخفى عليك ان عندنا أهل الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ونسوقهم سوق الحيوانات ونقتل الرجال ونجعل النساء رامل ونسبي البنات والاطفال وانى أبذل لك نصيبي في أنك لو أقسمت لي بكل الايمان لكنت واصل اليك ومقاتلك في أعز البقاع عليك فاما أن تكون البلاد لي فهي أعظم هدية حصلت عندي واما أن تكون البلاد لك والغلبة على قيدك معدودة الى عنق وقد عرقتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسيا في القضاء

ولما قرئ هذا الكتاب على السلطان الملك الصالح اشتد به المرض وكان به مرض من قبل وبكى واسترجع فكتب القاضي بهاء الدين رد الكتاب وهو بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وأصحابه أجمعين أما بعد فإنه وصل كتابك وأنت تهتد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فنحن أرباب السيوف وما قتل منافرد الاجتدناه ولا نبي علينا باغ الادمرناه ولورأت عينك أيها المغرور وحدسيه موقنا وعظم حروبنا وقتحنا منكم الحصون والسواحل وتخربنا ديارنا والاخر منكم والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولا بد أن تزل بك القدم في يوم أوله لنا وآخره عليك فهناك تسيء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه على



أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة ص ولتعلمن نبأ بعد حين ونرجع  
إلى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين  
وقول الحكماء إن الباغى له مصرع وبغيتك بصرك وإلى البلاء يعلبك

وفي هذه الملاحم والوقائع التي حصلت بين الفريقين انهزم لوزي التاسع ملك فرنسا شرهزيمة وقتل من  
جيشه ٣٠٠٠٠ نفس وأخذ المصريون أسيرا

ولما جلس الملك الصالح هذا على الأريكة المصرية جاب عدة من الأسرى من جنكيز خان ورتبهم  
ونظمهم وجعلهم محافظين على جسمه ونفسه وأطلق عليهم اسم المماليك وصار يضيف اليهم من يوم  
إلى يوم أسرى آخر من نفس التتار حتى أصبحت مصر محيطية ببحر الخزر فكان هؤلاء المماليك زهرة  
الجيش المصرية ونفذت شوكتهم وتأبدت سلاطنتهم فخلعوا خليفة الملك الصالح وأجلسوا أيك  
الباشنكير فأنفذهم ساططاً في محله وكان في ظرف المائة والثلاثين سنة التي جاءت عقب ذلك في مصر  
قلاقل وارتباكات وصار المماليك في ظرف هذه المدة يولون سلاطناً ويقتلون آخرأ ويخلعون حسبما  
يرغبون ويشبهون وفي غلاق القرن الرابع عشر قام الإبراهيم الكنت وكان عددهم محصوراً في قوة  
المماليك فهزموا المماليك وخلعوا آخر سلطان تولى منهم وهو حاجي بن شعبان وأجلسوا قائدهم  
وهو الملقب بالملك الظاهر برقوق وأطلق على هذه الدولة اسم دولة الإبراهيم الكنت

وفي سنة ١٤٨٥ بعد الميلاد وجه الاتراك العثمانية جيوشهم على مصر بعد أن وطدوا أنفسهم  
في أور وباوجهوا القسطنطينية عاصمة ملكتهم فاستمر الحرب خمس سنوات كانت نتيجة هزيمة الاتراك  
العثمانية بواسطة الإبراهيم الكنت ثم جدد سليم الأول الحرب في سنة ١٥١٦ بعد الميلاد فلما بلغ  
طومان باي آخر سلاطين الإبراهيم الكنت بمصر ما عزم عليه سليم زاد في حصون دمياط وغيرها من الحدود  
السورية وجمع كل ما أمكنه جمعه من الرجال وسار إلى القاهرة فاستلم العثماني حتى وصل الصالحية وعسكر  
بجموعه فيها وأما سليم فإنه سار من الشام على سواحل البحر الأبيض المتوسط حتى وصل غزوة وتغلب  
عليها وكذا العريش ولما علم بمقدار الجيوش المصرية في الصالحية وما هم عليه من عزم النية عرج  
عن موقعهم بالكلية وترك طريق الصالحية وسار حتى وصل إلى الخانقاه وألحانكاه وهي قرية  
على مقربة من القاهرة بيض ساعات فلما بلغ طومان باي تقدم الاتراك العثمانية إلى هذا الموقع عاد  
بجيوشه لأجل الهجوم عليهم من الخلف فانتشبت القتال وتطارد الجيشان وهزم العثمانيون طومان باي  
وجيشه شرهزيمة وكان حصول هذه الواقعة في ٢٢ يناير سنة ١٥١٧ بعد الميلاد وقتل من  
المصريين نحو ٢٣٠٠٠ نفس وهرب طومان باي وانكسرت شوكة المماليك الإبراهيم الكنت بالكلية  
ومن بعد مضي سبعة أيام احتل سليم مدينة القاهرة من دون أدنى مقاومة وترك فيها المحافظين وسار  
سليم لأجل فتح الباقي من المملكة والتغلب عليه فجمع طومان باي عددا كبيرا من العربان وأرضاهم  
بالأموال ومن بعد مضي قليل انتض طومان باي عن معه من المماليك والعربان وقتلوا بمخافتهم الاتراك  
العثمانيين فأرسل سليم أجود عساكره وأتبع فرسانه للتغلب على القاهرة ثانية فزاد طومان باي في  
تحصينها واستحكم ما تم الحصن القلعة تحصينا جيدا وقفل الشوارع بتمارين وجعل السلاح كل من  
يستطيع حمله لأجل الخفاضة على الوطن واحتل المماليك المساكن وكرتوكوا البيوت ومن بعد مضي  
ثلاثة أيام تغلب سليم على المدينة ثانياً لأنه لما رأى من شدة المماليك وما هم عليه من الحصانة والرصانة

خذعهم ووعدهم العفو التام الذي تعود منه المنفعة عليهم وعلى الرعية ان خضعوا وسلموا ووصفوا  
النية فسلم له منهم نحو من ٨٠٠ نفس فقتلهم جميعا على الفور وأمر بالذبح في أهل المدينة من تبع  
المماليك فهلك على ما قيل في هذه المذبحة نحو من ٥٠٠٠ نفس أي نحو ألف نفس وصار  
القبض على السلطان طومان باي المملوك بعد هذه المذبحة بتليل وأمر السلطان سليم بشنقه فعلقوه  
تحت رواق باب زويلة بالقاهرة بكتلايب من حديد وفي شنقه قال بعضهم

شنقه قهرا فوق باب زويلة \* ولقد أذاقوه الوبال الأكبرا

يارب فاعفـر له عظام جرمه \* واجعل جنان الخلد فيه له قري

وبشنق طومان باي انقرضت دولة المماليك الجرا كسة من البلاد وأراح الله منهم الأرض والعباد بعد  
ان تسلطوا في مصر نحو من ١٣٩ سنة ومن هذا العهد أي من سنة ٩٢٣ هجرية الموافقة لسنة  
١٥١٧ بعد الميلاد صارت مصر تحت حوزة المملكة العثمانية وصارت اية تركية عثمانية

واستمرت بحنة طومان باي مصلوبة ثمانية أيام فأمر السلطان سليم بدفنها الا أنه مع ما كانت عليه دولة  
المماليك من الحكومة الفوضوية المطابقة التي كانت مستمرة الاجراء في المملكة المصرية ما كانت  
جميعها عارية عن الثقة وعدم الصلاح في مصر بل كان البعض من سلاطين الجرا كسة على عقل  
وحزم وتدبير وحكمة كاملة في الاحكام السياسية والمواد الدينية ولهذا لا يوجد في القاهرة دلائل  
مثل المساجد والقباب والابنية الفاخرة والمارستانات تشهدا لسلاطين ملوك الجرا كسة بعلو الهمة  
والاعتناء بالصنائع والعلوم الدينية التي كانت منزرعة في هذا الوقت وكانت حركات تحصيل العلوم  
والآداب زاهرة يانعة في عاصمة المملكة أيضا

ومبارح سليم من مصر حتى جعلها اية عثمانية خاضعة لدولته وقررة تسييم الادارة والحكومة على  
هذا الوجه وذلك أنه جعل عليها كما يلقب بالبشائر جمع اليه في حل الامور وعقدتها وكان خير بك  
الجركسي من ضمن الذين ساعدوا سليما في سوريا وفي التغلب على مصر وكان انجاز اليه لانه كان  
من كبار رجال قنصود الغوري فولاد كما على مصر ولقبه بلقب باشا وجعل في مصر ثلاث ادارات  
كل ادارة تراقب حركة الاخرى فالادارة الاولى ادارة الباشا وهي ابلاغ الاوامر السلطانية لارباب  
الحكومة والامة مع مراقبة تنفيذها واجراء العمل على موجبها والادارة الثانية الوجاقات وهي  
أنه ترك في مصر ٥٠٠٠ سباهي و ٥٠٠ ينكيچري وجعل هذه القوة ستة وجاقات أي فرق  
تحت قيادة خير الدين باشا وأمره أن يقيم في القلعة ولا يخرج منها الا في شغل كان ووظائف هذه  
الوجاقات حفظ النظام العام في القطر المصري والمدافعة عنه وجباية الخراج وكان ترتيب هذه  
الوجاقات حسبها هوات

(أولا) وجاق المتفرقة وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني (ثانيا) وجاق الجاويشية وهو مؤلف  
في الاصل من صف ضباط جيش السلطان سليم وعهد اليه بجباية الخراج (ثالثا) وجاق الهجانة  
(رابعا) وجاق التفكجية وهم ناقلو البنادق (خامسا) وجاق ينكيچرية وهم المستحفظون (سادسا)  
وجاق العزب

وكل من هذه الوجاقات مركب من أفراد يقال لهم وجاقلية وعلى كل وجاق ضابط يلقب بالاعامعه  
السيخيا والباش اختيار والدفتدار والخازندار والروزنامجي ويتألف مجلس شورى الباشا من ضباط



من هؤلاء الوجقات ولا يقضى الباشا أمرا الأمن بعد تصديقهم ولهم أن يوقفوه عن الأعمال ويخبروا ديوان القسطنطينية في ذلك ولهم أن يطلبوا عزله حالما يشتبهون في مقاصده السيئة وأما الإدارة الثالثة فهم المماليك وهم بقايا الدولتين السالفتين ووظيفتهم بقاء الموازنة بين الباشا والوجقات لانهم أعداء لكل من الحزبين ومن مقاصدهم الانتصار للحزب الاضعف ليمنعوا القوى منهم ما من الاستعداد وقسم سليم مصر الى أربع وعشرين سنجقية أو كشوفية وجعل على كل سنجق أو مديرية كاشفان المماليك الذين انضموا اليه في حروبه وجميع هؤلاء السنجاخو أو الكشاف تحت قيادة ورياسة الباشا أو الانغا العثماني المعين من طرف سلطان القسطنطينية وجعل الاحكام الشرعية ومعظم أحكام السياسة الادارية والقضائية في أيدي مشايخ من العرب فاستحوذ هؤلاء على السلطة والسيادة العالية على طوائف الامة المصرية وكانوا مثلهم من أصل النسل العربي وكان هؤلاء المشايخ بالطبع مرتبطين بواسطة ما هم عليه من الديانة الروحية ومائلين بكليتهم الى نواحي القسطنطينية زيادة عن ميلهم الى الكشاف

وسار سليم من القاهرة الى الاسكندرية وترتب محافظياتهم عادا الى القاهرة جاري في ترتيب الاعمال والادارات ناظرا في المصالح والمهمات ومن بعد أن أقام نحو من عشرين يوما رجع قافلا الى القسطنطينية وحمل معه أجمالا كثيرة من الذهب والفضة خلاف الاسلاب الاخرى التي سلبها وتقديمات وهدايا جمة قدمت له وأخذ معه الخليفة العباسي وهو اذ ذاك محمد المتوكل على الله وكان هو الخليفة الثامن عشر من الخلافة العباسية الثانية بمصر فاسكنه القسطنطينية ورتب له رواتب شهرية وانحصرت الخلافة الاسلامية في سلاطين آل عثمان وكان أول الخلفاء فيهم سليم هذا وما التفت سليم الى القبط الذين هم أصل سكان البلاد المصرية الا أن الكشاف والسنجاخ انتخبوا من هذه الطائفة ومن طائفة اليهود أيضا فاباعندهم في الكشوفيات الحاكمين فيها يجمعون لهم العوائد والفرض المنروضة على الامة المصرية ومن ثم صارت القرى محكومة بحكام من نفس القبط وفي طرف القرنين اللذين أعقب التغلب العثماني كانت مصر محكومة بباشوات وسنجاخ من طرف الدولة العثمانية التركية فأخذت هذه الممالك في الاضمحلال في الانفس والاموال وسار هؤلاء الباشوات والسنجاخ في طرائق السلب والنهب والطمع وانقاد الامة المصرية الى ما تجريه الدولة العثمانية في حقهم من الجور والظلم وما تفعله الكشاف من السلب والخطم وانتهاك الحرمات وارتكاب الجرائم والموبقات وانكسرت قوة شوكة قدماء المصريين وضاعت شوكة العرب القديمة بشوكة ظالمة قبيحة

وفي القرن الثامن عشر عصي السنجاخ والكشاف على الدولة العثمانية وكانت عادت اليهم شوكتهم وقاموا في عدة ثورات ضد الدولة التركية ونكثوا طاعتهم وأعلنوا استقلاليتهم تحت قيادة قائدهم علي بك في سنة ١٧٦٨ فتمكن علي بك المذكور من المملكة واستلم مشيخة القاهرة ثم ثارت عليه أحزابه وكانوا عدد نفسي علي بك على نفسه وهرب من القاهرة الى سوريا فالتجأ الى حاكم أورشليم أي بيت المقدس وكانت بينهما صداقة قديمة ولما علم أعداؤه من الكشاف بقمرة شكوه للسلطان مصطفى فأرسل فرمانا الى حاكم بيت المقدس بالقبض على علي بك وإرساله محافظا عليه الى الباب العالي ولما علم علي بك بذلك هرب الى عكا واكتسب فيها صداقة الشيخ ضاهر بن عمر أمير تلك المدينة فأكرم وفادته عليه وسعى

في تبرئته أمام الباب العالي وبمساعدة نصرائه تمكن من نوال العفو عنه من السلطان وأعيد إلى القاهرة في منصبه الأول وفي سنة ١٧٧٢ بعد الميلاد انغش على بك ومات مقتولا مسموما وعادت حكومة السلطنة التركية في مصر اسمها لاجسمها ولا رسمها وأعقب ذلك اختلالات وارتباك وحروب داخلية امتدت زيادة عن عشرين سنة بين هؤلاء الأحراب المختلفة وبعضهم آوّل الأمر أخيرا إلى أن تقلد زمام الأحكام مملوك اسمه إبراهيم بك وآخر اسمه مراد بك واقتسموا الأحكام فيما بينهم فاقسم بين إبراهيم بك للحج وتعيين مراد بك لشيخة البلاد وورقيا كثيرا من عماليكهم إلى رتبة البكوية وقلداهم وظائف مصالح البلاد وظلم العباد ومضى على إبراهيم بك ومراد بك ثلاث سنوات وهم في حالة ظلم واستبداد ومع بعضهم على سكينته ووافق يقتسمان إيراد البلاد فيما بينهما سوية لا يقدمان منها للدولة العثمانية حسابا ولا يردان جوابا فوشى بهم بما ولى مصر المعين اسمهم من طرف الدولة إلى السلطان عبد الحميد وبما هم فيه من الاستقلال بما لى البلاد والتس أن يرسل جيشا إلى مصر لا يقاها عند حدتها فسار الجيش في أسطول تحت قيادة قبودان باشا ولما وصل الجيش إلى الإسكندرية خاف البكوات خوفا شديدا وانتهروا فيما بينهم على الدفاع وجمع مراد بك عساكره وعماليكه وسار لمقابلة قبطان باشا فهزمه وبعيوشه وبدد شمله وما زال قبطان باشا سائر بعساكره ينهبون ويخربون في البلاد حتى دخل القاهرة ونزل في بيت إبراهيم بك وهو القصر العيني الآن فعرض جميع أمتعة البكوات المنهزمين للبيع مع حرّهم وأولادهم وعماليكهم وبعد ذلك عكف قبطان باشا على إصلاح الإدارة فاصلحها حسب ما يوافق إرادة السلطان عبد الحميد ثم عاد إلى القسطنطينية بعد أن أقام اسماعيل بك على شيخة البلاد وهذا عهد إمارة الحج إلى صديقه حسن بك الجداوى واتفق معه على اقتسام إيراد البلاد وعادت الأمة المصرية والايالة التركية العثمانية في كرب وهم وحرن وغم ومصاعب وأتعاب ولم تخلأ صهام من هذه الام الظالمة من باب إلى حد سنة ١٧٩٨ بعد الميلاد

وفي مبادئ هذه السنة رأى نابليون بونابارت أن يرأسه من أن يكون لها السلطة على مصر فرتب غزوة مركبة من ٤٠٠٠٠ مقاتل عليهم أربعون قائدا اختارهم بنفسه وفئة من رجال العلم بين مهندسين وجغرافيين وغير ذلك ينوف عددهم عن المائة نفس وسار من مينة طولون في أسطول بلغ عددهم راكبه نحو من خمسمائة مركب عليها نحو خمسين ألف نفس وفي ٩ يونيو سنة ١٧٩٨ وصلوا إلى مالطة ومنها ساروا قاصدين الإسكندرية فأوجست انكسرت خيفة من هذه الحملة فأنفذت نلسون أحد كبار أمراء الإيالة في أسطول ليتمتع خطوات الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض المتوسط ولما بلغ بونابارت ذلك أمر بتوجيه أسطوله غربا إلى الإسكندرية بوضع مراحله وأن يكون على حالة دفاعية على الدوام

وفي هذا الوقت كان إبراهيم بك ومراد بك متقلدين زمام الأحكام في مصر في حالة استبداد ورجور عاسف كما كانت عاداتهم من قبل ولما وصل الأسطول الفرنسي إلى نهر الإسكندرية أرسل أحد قواده لطلب القنصل فتوجه إلى بونابارت في الحال فسأله عن حال المدينة فأخبره بما كان من ورود الأسطول الانكليزي وأن الأهالي في بقطة واستعداد وكتب بذلك السيد محمد كريم قيم الإسكندرية إلى مراد بك يعلمه الخبر وكان هو وإبراهيم بك في القاهرة وقال له إن العمارة التي ظهرت أمامنا في البحر لا يعرف لها أول من آخر فلما قرأ مراد بك الجواب أخذته الغضب والحدة وقصد إبراهيم بك وأعلمه الخبر فأرسل إلى



سائر وجوه البلاد وكبار الدولة وعقدوا مجلسا جامعاً قرروا فيه  
أولاً - أن يسير مراد بك في فرقة من الفرسان على الشاطئ الغربي من فرع رشيد من النيل نحو  
الاسكندرية لتوقيف العساكر الفرنسية عن التقدم وثانياً أن إبراهيم بك يسير من بقي معه من  
الجند على الشاطئ الشرقي عند بولاق لحماية القاهرة وثالثاً أن يرسل بكير باشا إلى من طرف  
السلطان يستمد الباب العالي

وأما يونانار توفاه أنزل عساكره وسار وتغلب على الاسكندرية من بعد مدافعة خفيفة من أهلها ثم سار  
بعساكره متوجهاً إلى ناحية القاهرة من الجهة الغربية للنيل ولاقى في طريقه مراد بك بعساكر  
المماليك فهزمهم العساكر الفرنسية وارتدوا على أعقابهم خائبين وفي يوم ٢١ يولييه سنة ١٧٩٨  
هجم طوائف المماليك هجوماً باسلاً على العساكر الفرنسية في الواقعة المشهورة التي حصلت في  
نواحي الأهرام فهزمهم الفرنسيون شرهزيمة وأبادوا خيولهم المظنونة ومن بعد مضى ستة أيام دخل  
الفرنساوية مدينة القاهرة وفي ظرف سنة تغلب الفرنسيون على كافة أنحاء المملكة المصرية

وفي فصل صيف سنة ١٧٩٩ صار طلب نابليون إلى فرنسا بالنسبة لأهمية حالة الأعمال هنالك فترك  
القائد كبير خليفة عنه في ضبط وحفظ المملكة التي تغلب عليها وكان كبير على غاية من الثبات  
والإقدام في هذه الأمور إلا أن أحد الشوامذبجه في بيته الذي كان موجوداً بالازبكية خلفه القائد  
مينو فهاجم عليه الجيوش الانكليزية والتركية تحت قيادة القائد أيركرومي في نواحي مدينة كاتوب  
(أبو قير) وألزموه بعد بضع أيام قليلة من هزيمته بتسليم الاسكندرية إلى الانكليز فرضي بذلك وبالإجلاء  
عن مصر وعاد بجيشه إلى فرنسا في سنة ١٨٠١ بعد الميلاد ومن ثم أعيدت مصر إلى الدولة العثمانية  
بمساعدة الأمة الانكليزية وما أسرع وقوع اختلافات شديدة وحروب داخلية عتيدة بين بقايا المماليك  
مع بعضهم وبينهم وبين الدولة العثمانية كانت نتيجةها أخيراً تعيين محمد علي باشا في سنة ١٨٠٦ بعد  
الميلاد واليا من طرف السلطان العثماني على مصر وهو مقدوني المولد وخدم في الجيوش التركية  
وأظهر في خدمته هذه بسالته وشهرة اسمه حتى آل أمره إلى أن صار قائداً أحد الحروب المتعاقبة  
في مصر

### (محمد علي باشا)

نال محمد علي باشا المصاعب والمتاعب والعذاب الأليم من المماليك حتى استحوذ على فرمان من السلطان  
محمود العثماني بولايته على الديار المصرية وكان قبل هذا النمران مقلد الحركات على خطر من المصائب  
والآفات المتسلطنة في مصر من المماليك وحروبهم العدوانية فيما بينهم ولم يأسخ قدمه وقويت  
شوكتهم سعى بعض الناس في المصالحة بينه وبين المماليك وكان رجلاً ذا قريحة وإقدام تام وقدم نفسه  
لإشغال عود النظام في مملكته وما كان يرتاب ولا يتردد في أي طريقة من الطرق يستعملها في تمام  
مرغوبه ومقصده فكف في مساعيه الابتدائية على خلاص البلاد وخلاص نفسه من جور وفساد  
المماليك وعزم على إبادتهم ودمارهم وتم ذلك في سنة ١٨١١ بعد الميلاد بحيلة وخديعة أجراها  
عليهم وذلك أن السلطان كلف محمد علي بقهر الوهابي الذي كان يستفحل أمره في بلاد العرب وأمره  
بإخضاع الوهابيين وتخليص بلاد العرب من أيديهم فانتهم محمد علي فرصة ما كان يبغيه من دمار

المماليك حتى من بعدهم بالتمتت الى أشغاله وينظم أحواله فأجاب محمد علي باشا طائعا مختارا لاوامر السلطان محمود وصار يجمع القوى اللازمة لتلك الغزوة وخشى أنه لو سارت هذه الغزوة قبل اتمام مقصوده ربما لا تسكون البلاد في أمن من المماليك وبعده أن رتب الحملة بصورة وجعها تحت قيادة ابنه طوسون بك أمر بخروج الحملة وقوادها وعسكر بهم في الحصوة المسماة بالعباسية الآن ودعا جميع الاعيان والامراء والمماليك لوداع ابنه طوسون باشا والاحتفال بخروجه ورجاله الى الغزوة اللازمة اجراؤها حسب فرمان السلطان وفي أول مارث سنة ١٨١١ اجتمع الناس وورد المماليك الى القلعة أفواجا وصار محمد علي باشا يستقبل المماليك ويرحب بهم في سرايته ويأمر لهم بالقهوة ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة الموعودة أمر محمد علي باشا بمسير الموكب فصاروا كل في مكانه منه وكان المماليك في الخلف حولهم الفرسان والمشاة حتى اذا قربوا من باب العزب من أبواب قلعة القاهرة وساروا في طريق ضيق منحدري بين أسوار عالية أمر محمد علي باشا بغلق الابواب وأشار الى الارزود فجمعوا على المماليك بغتة فارتاعوا وحاولوا الفرار فلم يجدوا لهم ملجأ وسقط المشاة على المماليك من خلفهم ضربا برصاص البنادق فأرادوا الرجوع الى الخلف فلم يتمكنوا من كثرة الخيول وضيق الطريق وقتلوا جميعا عن آخرهم ولم ينج منهم أحد وبواسطة هذه المذبحة الشنيعة انقرضت طائفة المماليك وحصلت الراحة في البلاد وخلص من ظلمهم وفسادهم العباد

ومن بعده هذه صار محمد علي باشا خالصا حرا في كونه يجري مشروعه من دون انقطاع فوطد شوكرته في مصر مع الثبات التام وأرسل جيوشه تحت قيادة أولاده وتغلبوا على بلاد الوهابية من أعمال بلاد العرب وأخضعوا تلك البلاد حتى صيروها تحت سلطة أبيهم محمد علي باشا ولو أن تاريخي هذا على غاية من الاجازة لآته لا ضرر في أن أسرد هنا تاريخ الوهابي لاني رأيت لا يستفاد منه شيء في الكتب العربية فجمعت من اللغات الأجنبية فجمعت ما موفيا بالمراد واسع الامتداد مندرج فيه كافة ما حصل من الوهابيين وما جرى بينهم وبين العثمانيين

### (المذهب الوهابي)

من أعظم الثورات المشهورة وأكبر الفتن المذعورة التي شاهدتها بلاد العرب من عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الثورة التي حصلت من الوهابيين وذلك أنهم أثبتوا في جماعتهم العسكرية وشجاعتهم البدوية وشجاعة العرب القديمة وتعصبهم في الدين وسيرهم في أقوم طريق معين وكان مؤسس هذه الثورة وصار اسمه لقباعليها وعلى نفس ما شرعته من العقيدة الدينية هو شخص اسمه عبد الوهاب من نسل قبيلة بني تميم في نواحي نجد ومن عائلة اسمها الوهابية وأطلق على ما كان متمسكا به من العقيدة اسم المذهب الوهابي أو الدين الوهابي وكان أبوه شيخ هذه العائلة وكبيرها وكان مولد عبد الوهاب المذكور في سنة ١٦٩١ بعد الميلاد في قرية تسمى العينية من إقليم العارض بخاور في أثناء شبابه بمكة والمدينة ونزل بالبصرة وبغداد وخاور في مدارس المدن المشهورة في الشرق ولما رأى في أثناء سياحته العديدة أن الدين الحقيقي للاسلام دخله الفساد الكلي وتسلطت عليه الخزعبلات والمنكرات في القول والفعل وأن معظم الترك والعجم صاروا من الروافض وأهل البدع عزم وصمم في نفسه على اصلاح ما أفسده العجم المفسدون والترك المجرمون وكانت أعماله بنغاية التؤدة والزانة وتبديره وذكاؤه وما هو عليه من العلم والحكمة كان حافظا له احترام أهل بلاده فأدخل في مذهبه منهم جملة بكونه نشر



عقيدة هذا الدين في مؤلفات ومصنفات اشتهرت بين أيدي أهل بلاده بالفضل الكامل والقبول  
الشامل

وكانت ديانة هذا المذهب وسياسته على حد من الإيجاز أشبه بإصلاح إسلامي مثل الإصلاح الانجيلي  
عند المسيحيين وأضاف إلى هذا المذهب العقائد البدوية ذكر فيها أن قائد الأمة أو العشيرة الواحدة  
تكون له السلطة الدينية والبلدية في عشيرته أو أمته وكان الوهابيون في عقيدتهم ومذهبهم على  
طريق أهل السنة والجماعة والاساس الاصلى لدينهم هو توحيد الله سبحانه وتعالى لا يشركون به شيئاً  
ويعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم انسان بشر أتى ما يجب عليه من ابلاغ الرسالة الالهية  
ورفضوا جميع تفاسير القرآن الخرافية المكذوبة وقرروا أحاديث أهل السنة والجماعة وبما أنهم  
يراعون أن عموم الناس مستنون عند الله وأأن الاستمداد والاستغاثة بشفاعاة الذين توفوا من الاولياء  
والصلحاء والانبيا اثم وخطيئة ورأوا أن احترام وتعظيم رمعهم البالية وعظامهم الخالية زيادة عن احترام  
أى بشر من الامور المبتدعة والبدع المخترعة ومن أجل هذا رأوا أن الشواهد والقباب والابنية  
المصنوعة على مقابرهم هي رجس من عمل الشيطان وأمر مبتدعة من بنى الانسان فخرموا زيارتها  
والتوجه اليها والاستغاثة عندها وان الخلف أو القسم بمحمد صلى الله عليه وسلم لم جريمة كبرى  
وبلعنون الاثر الماعنماؤ بدوا لا يجعلون لمحمد صلى الله عليه وسلم لقب سيد في صلاتهم عليه ولا يخضعون  
اليه ولا يحترمونه مثل العبادة الوثنية ويقولون ان العمل بهذا هو عمل عبادة الاوثان  
وأما في الآداب فهم على نقاء وصفاء وصلابة فانهم يحرمون الموائع الطيارة وجميع المواد المخدرة  
ويحرمون كافة أنواع الفجور والفسق والعدول عن العدل والانصاف ومنع الصدقات والعمل  
بالحيل والخداع والاعتصاب ولعب الشطرنج والنرد والعيوب الاخر المتسلطنة في المدائن المقدسة  
وأما في شهامة التعصب الحقيقي للدين فانهم يغيرون على كل مادة صغيرة مخلة بالدين الحق ويجعلون مادة  
كبيرة في الشرع ومن بعد الحرب الذي وجهوه ضد الاولياء والقبور وجهوا أيضاً وغرصدورهم  
بالخصوص الى الملابس الحريرية والترفة في المعيشة وحرموها بالكلية لبس الحرير وشرب الدخان  
وعلق الرأس ماء مضافاً الشعر التي تركها لهم قدماء المسلمين ومن الاعمال التي لا يجوز فعلها  
عندهم الصلاة على النبي على السجدة والبكاء والتعجب على الميت وكانوا على اعتقاد الوضوء والحج الى  
مكة واثم الحجر الاسود ورمي الجمار

ولنسر الآن على وجه الإيجاز تاريخ هذا المذهب وما حصل من أجله من الوقائع في صحارى بلاد  
العرب وذلك أنه في نحو سنة ١٧٤٦ بعد الميلاد عندما صار الزام عبد الوهاب بأمر من حاكم الحسا  
أن يترك قريته ومسقط رأسه وكان فيها من نحو ثمان سنوات بصفة شيخ وبث فيها عقائد مذهبه  
وأدخل فيه كثيراً من الرؤساء المجاورين لقريته فعندما انجأ من سيف الذبح توجه الى الدرعية  
واستحوذ على صداقة مأمونه ومنزله من محمد بن سعود شيخ بني مقرن وهم فرع من ولد علي المنسوب الى  
قبيلة عنزة فاستقر في مأمنه هذا بيت عقائده ويلج على التمسك بها حتى استحوذ على قوة كافية لتوسيع  
نطاق ما هو مصمم على فعله من الإصلاح وأن يكون له طاقة في استعمال قوة يخضع بها الطوائف المضلين  
عن السبيل الحق للدين فقدم له بعض القبائل والعشائر المنتشرة في الصحارى الوسطى لبلاد العرب  
خضوعهم الاختياري وطاعتهم وانقيادهم لما يأمرهم به والابعض من القبائل الاخر اتحدوا ضده

وتجهموا على صده ورفضوا الاعتراف بحكمه دنيويا كان أوروجانيا ولاجل زيادة وقوع النشاط في المصلحين المستجدين عرفهم عبد الوهاب بحكمته وفصاحته وعدو به اسائه أن المقصود من حمل السلاح هو مجاهدة الملحدين وهلاك الكافرين وارباعا بفسدين الذين يفسدون في الدين والارض ولا يصلحون فأولئك هم الذين تجب المجاهدة في سبيل الله فيهم وردعهم حتى يسيروا على الطريق المستقيم ولا يخنسوا بدين الله العزيز الحكيم وأضاف لهم ما يجوز لهم على حسب الشريعة من سلب ونهب هؤلاء وانه تقسيم الغنائم التي يتيسر الحصول على اغنائمها من هؤلاء بين المحاربين على موجب مانص في القرآن الشريف والشرع المنيف وأشعل في صدورهم نار الحمية العربية والتعصب في الدين وحفظ قواعدهم على طريق متين

ومن المحتمل أن المؤسس الاكبر لهذا المذهب لم يتقلد أدنى وظيفة أخرى سوى أنه كان رسولهم المهدى أو حاكمهم الدياني وكان مقره الثابت في الدرعية بأرض نجد حتى مات في سنة ١٧٨٧ ميلادية من بعد أن تقدم في العمر حتى بلغ نحو تسعين سنة واستحوذ على الدرجة العالية من القناعة وأسر القلوب بفصاحة كلامه وعدو به منطقته وكان له قوام عجيب في السياسة والحروب وما يحصل من الوقائع والكروب واستمر إلى أن بلغ السيادة القصوى بسيفه في بلاد العرب وكان فيه طوع ولين مثل محمد صلى الله عليه وسلم وتزوج بعشرين من النساء وأولادهن ثمانية عشر طفلا

وكان المحامي الحربي للعقائد الجديدة والمؤسس السياسي للحكومة الوهابية والدولة الدرعية النجدية هو محمد بن سعود وكان متزوجا بابنة عبد الوهاب ولما ابتدأ في أعماله لقب بلقب الامير واستعجب معه ابنه الاكبر عبد العزيز وكانت قوته في الابتداء صغيرة حتى انه في مناوشته الاولى مع عدوه كان معه سبعة من الهجن وبينما كان حاضرة هذا الرسول المحترم مكلفا بادخال الناس في دينه في الدرعية تغلب محمد ابن سعود وابنه على نجد وأغلب العشائر الكبيرة من العرب الذين يأتون كل سنة الى هذه الاراضي في طلب المرعى وكان أقدم أعدائهم ما وأشد كراهتهم ما هو عرار شيخ الحسافة أرسل عليهم أول جيش في سنة ١٧٥٧ بعد الميلاد فهزم محمد بن سعود هذا الجيش وبندشمله فسار عرار بنفسه في رأس ٤٠٠٠ مقاتل وأربع مدافع برية وحاصر الدرعية فصار صده وطرده والتمز على القهقرة مع الفشل وعدم الانتظام وانما مات ابن سعود في سنة ١٧٦٥ بعد الميلاد صار ابنه عبد العزيز قائدا بفرده على الجيش الوهابي وبواسطة شجاعته ومساعدته وأعماله التي لا يكل ولا يتعب منها امتدت مظفرات الوهابيين ونصرتهم الى أقصى أقاليم بلاد العرب وكان مكرامى شيخ نجران عدواً ألد لهم من قبل فصارت ابدانهم خاضعة لهم وكذا انقاد الشريف أبو عريش الى الطاعة والخضوع وبواسطة ما أجراه الوهابيون من مثل هذه الاعمال انتشرت العقائد الجديدة من سواحل البحرين الى تخوم مخاوعدن وبما أن مواشي وأنعام القاطنين في تلك النواحي سلمها الوهابيون دخل الكثير منهم في الدين الوهابي لاجل خلاص أملاكهم ومواسيهم وأثبتوا للوهابيين صيداقتهم لهم ودخولهم في دينهم بكونهم أعاروا على جيرانهم وسلبوا أموالهم وأملاكهم

ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة ووقائع عديدة دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية أي العقائد الاصلاحية للديانة الاسلامية وصارت نجد أيضا في حالة سياسة مدنية جديدة وبدا أن كانت جهاتهم منقسمة الى عدة عشائر وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضهم واستمرت في حروب وكروب



بين بعضها صارت مقر دولة قوية وسلطنة سياسية مثل سلطنة الخلفاء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة في الاعمال الدينية والدنيوية ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهما وهما حكومة بغداد والحجاز وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط اراضيهم من غير أن يحصل لاي قافلة ضرر أو انزعاج وكانوا في احوال أخوية ودية مع الشريف سرور الشريف مكة وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة فتولد من زيادة قوتهم ونفوذ شوكتهم اشتعال نار غيرة الحسد في قلب الشريف غالب وفي ظرف بضعة سنين من تقلده الحكومة وتوطئه الشريف مكة بعد الشريف سرور أعلن حربا على الوهابية وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعة باندات صغيرة قصيرة المدة ولما انتظمت مخبرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه اجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساکرها في بلاد العرب لاجل الوقوع بالوهابيين الاوأجراها وأثبت أنهم من الملحدين الكافرين وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أقبح الاعمال الفاسدة المضرة بالدين وبمثل هذه الاقوال عرض للدولة العثمانية ولاية بغداد من الباشوات الحكام عما أنهم كانوا يشاهدون في كل سنة غارة وهجوم على الاراضي المجاورة لبغداد من هؤلاء الشائرين وكونهم ضربوا سنويا ضرائب وعوائد يجمعونها من قوافل الاعجم الذين يتوجهون للحج تطير مرورهم من ارضهم وخفارتهم في الصحاري.

ولما رأى أنه لا توجد جهة في الحد الشرقي أعظم قبولا لتوجيه الحرب في داخل أرض العدو أحسن من فواحي بغداد تجهز سليمان باشا والي بغداد في سنة ١٧٩٧ بجريدة مؤلفة من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ عسكري من العساكر التركية للحملة على الدرعية والهجوم عليها وزاد عليهم ضعفهم من البدو الملحفين للدولة العثمانية وجعل الجميع تحت قيادة وكيله وساروا لكيلهم هذه القوة فبدل أن يتقدم مباشرة الى الدرعية حاصره وقلعة الحسا وكانت قلعة حصينة رصينة فقاومت هذه القلعة أعمال الهجوم التي وقعت عليها زيادة عن شهر حتى ورد لها قوة امدادية عظيمة تحت قيادة سعود بن عبدالعزيز فأجلا الاتراك لرفع الحصار والقهقرة وفي أثناء قهقرة هذه الحملة سبق أمامهم هذا القائد واجتهد في توقيفهم وصددهم حتى يهلكوا وذلك أنه جالب حول من الملح على ظهور الجبال ورماه في جميع الابار التي كانت موجودة في طريق سيرهم فن شتم انجبر عساكر بغداد على الوقوف وعدم السير واستقر الجيشان على مرأى من بعضهما مدة ثلاثة أيام من دون أن تحصل أدنى مخاطرة في عمل هجوم وأخيرا عقدت بينهما هدنة لمدة ست سنوات وتوجه كل من الجيشين بسلاهم الى بلاده.

وكانت هذه الغزوة من أتعس الغزوات على الترك وأشتمها الان الوهابيين عرفوا جيدا الطرق التي بها يكيدونهم وينكثونهم ثم انفسخ عقد الهدنة وفي سنة ١٨٠١ هجم سعود في رأس ٢٠٠٠ محارب على كربلاء وهي مدينة قبر أو جامع الحسين بن علي بن أبي طالب وكان ولم يزل هذا القبر على غاية من الشهرة والفخامة والاحلال مطروقا من أزمان طويلة بنوار المسلمين من الفرس والترك والعرب فدخل سعود المدينة من بعد مقاومة خفيفة من أهلها وكان سور مدافعة المدينة مركبا من أفلاق نخيل مرصوفة خلف حائط من طين وذبح من أهلها نحو من ٥٠٠٠ نفس وبينما كان سعود في وسط هذه المجزرة المهولة اذ سمع صراخ رجل متعصب من رأس برج اقتتل اخنق جميع هؤلاء الكافرين

الذين يجعلون مع الله الها آخر ومن شدة ما كان عليه سعود من الخلق والغضب أمر بأن لا يبقى منهم  
أحد الا الضعفاء من الشيوخ والنساء والاطفال ثم وجه الوهابيون بعد ذلك خندقهم وهم قورهم نحو  
القبر وكان مشحوناً بالاموال والذخائر ونفائس الجواهر الواردة اليه من الترك والعجم وهمدموا القبة  
وكانت جميعها منقوشة من الداخل بالذهب وفي أثناء الهدم سمع السلاطون صوت ان الله يغفر للذين  
يدمرون مثل هذا ويرجعهم ولا يغفر للذين يشيدونه ويعذبهم ووجد الوهابيون خزاناً وكنوزاً  
ببالغ جمة كانت جمعت رويدار ويدان زوار هذا القبر الواردين اليه من الاعجام والترك احتراماً  
وتعظيماً لادم الحسين وكان معلقاً على القبر لؤلؤة كبيرة من صوص بالقرب منها عشرون سبعة محلاة  
جميعها بالاجار الكريمة وأوان وقناديل ذهبية وفضية وياقوت وفير وزوالماس ومواد من الذهب  
والفضة كل ذلك اسخه وذهبه سعود ووجد البيت من أمتعة وأثاثاته الثمينة ووجد فيه نحو من  
٤٠٠٠ شال كشميري و ٢٠٠٠ سيف وكثير من البنادق والاسلحة كل هذا صار تكويته  
كوما واحداً وصارت يبعه على العساكر وقت خروجهم من المحل وفي ظرف خمسة أيام جعلوا هذا  
المحل أثراً من كوم رماد وينما كان الوهابيون مشغولين بنواحي شاطئ نهر الفرات اذ دخل الشريف  
غالب في نجد وتغلب على شعرة قرية صغيرة من أعمال قاسم وكان في حروبه هذه غالباً وتارة مغلوباً  
فتدبر عبد العزيز في أخواله ونشرع في الغارة على الحجاز بأكثر قوة وأعظم شدة ما ظهرت عليه أبداً قبل  
وكان سعود حمل بجيوش أبيه في وسط القبائل الجبلية الموجودة في تخوم اليمن وكان في ضمن هذه  
العشائر أبو نقطة شيخ عسير فترك له سعود كفالة الذين اعتنقوا الدين الجديد وأذن للقبائل  
الموجودة في الناحية الشرقية من مكة الى سعود وعهد من هذه الجهات الى عثمان المضايقي  
وكان عبدل الشريف غالب الا أنه ألد الأعداء له من سنين عديدة مضت وفي سنة ١٨٠٢ حاصر  
الطائف وأخذها وجعل عاقبتها مثل ما آلت اليه كربلا بعد أن قاومتها مقاومة شديدة فتولد من  
هذا الخلاف كونه أصدر أمراً بعساكره بأن لا يبقوا كبيراً ولا صغيراً الا قتله فقط ولو تحت السيف  
نحو من ٨٠٠ نفس صبرا لكنهم لم يمتدوا على النساء وراعوا حرمتن وأحرق الكثير من المنازل بعد  
أن نهب جميع ما في داخل الدور والاماكن وهدم جميع القبور الطاهرة وكان من ضمن هذه القبور  
قبر العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم أشهر وأخبر محل يزاري أنحاء بلاد العرب في جلاله ونظامه  
وطهارته وهمدم سراي الشريف غالب وبستانه المفقور وجعلها مأخراً بلقعا لأن كنوزها وذخائرها  
كانت حلت من قبل الى مكة وتقوى الوهابيون بهذا النصر العظيمة وكانت أول حادثة في توقيف  
وتعطيل قوافل الحج

وفي السنة التي جاءت بعد تغلب الوهابيين على جميع أرض الحجاز ومن بعد عدة وقائع مع الشريف  
غالب عسكر سعود وعثمان المضايقي معسكرهما بالقرية من مكة على مسافة ساعة ونصف منها وهجما  
على الضواحي الشرقية لمكة وتغلبا عليها وكانوا يغيرون من هذه الجهة على نفس مكة فأما حاكم مكة فانه  
ما حصل له خوف ولا عزعة ودافع عن نفسه بشجاعة وبسالة وحفر لغربا بالقرب من سرايته صد الوهابيين  
عنها مؤقتاً ثم حوّل الوهابيون مجرى المياه العذبة الداخلة في مكة الى جهة أخرى عنها وكانت واصله  
اليها من عرفات فقط وعان مكة المياه فاضطر الاهالي من بعد حصار المدينة شهرين أو ثلاثة للمؤن  
والذخائر والمياه وسعرت الكلاب واقتطعت من الجوع وكانت مخازن الماء كولات تحت يد الشريف



وعساكره فقط واما فرغت هذه الماكولات تفقهقرالى جدة مع جميع عائلته وأتباعه ومتاعه وقبل خروجه من سرايته أضرم النار فيها لاجل حرق ما فيها من الادوات والامتنعة التي ما أمكنه حملها معه وبهذه الحالة خلصت مكة من شره وعاقبة أمره وفي اليوم الثاني خرج وجوه أهل مكة وعمدها الملاقاة الوهابي والخضوع اليه وتسليمه مكة لما يعلمون جيدافيه من حسن النظام واعتمده وادعى على عدله في عدم ضررهم وخراب أملاكهم وصدرت الاوامر في الحال من رئيس هؤلاء المنصورين للاهالي والسكان بفتح جميع دكاكينهم وكل شئ يطلبه العساكر يباع لهم ويدفع ثمنه في الحال نقدا ولا ريب أن هذه الحركة هي رأس الادارة والسياسة الآن الفاتح الوهابي المتصنع في أموره نسب ذلك الى كرامة وقال للعلماء في مجلس حافل انه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له ان أخذت قمحة أو شعيرة من مكة المشرفة جبراعن أهلها فإنه يلزم أن يموت بعد ثلاثة أيام لكنه غضب جيدا من هذه المبتدعات التي هي أشغال عباد الاوثان وغير محترمة في الشرائع الوهابية وأمر في الوقت بدم ما ينوف عن ثمانين قبة فاخرة البناء كانت على قبور ذراري الرسول صلى الله عليه وسلم وعليها مدارر ونق مكة وبهجتها وسواها جميعها بالارض حتى القبة التي على قبر خديجة رضي الله عنها وأبطل جميع القهاوى والمجارات وجميع محال المشروبات والمسكرات وكسرها وانها وأراق مائعاتها وأمر بجمع جميع الشيش والجوز وعيدان الدخان وأحرقها بحضوره وحرم شرب الدخان والكنياك وجازى شاربهم بأشدا العقاب فأنجبر الاهالي رغم أنفهم على الانقياد لهذا الامر من دون حصول أدنى مجادلة وألزمهم ترك الترفه والتأذي بالمعيشة وعدم لبس الملابس المزخرفة ودق في أمر ابطال الدعاء للسلطان في الحرم المكي بعد خطبة الجمعة وقد زمام حكومة مكة الى عبدالمعين أخى الشريف غالب وأرسل بهذا الفتح الجدير بالثناء الى القسطنطينية في مكتوب كتبه وهذا نصه

من سعود الى سليم اني دخلت مكة في يوم ٤ محرم سنة ١٢١٨ وأبقيت على حياة الاهل والسكان وهدمت القبور والقباب المشبهة بعبادة الاوثان وأبطلت الضرائب والعوائد الزائدة عن اثنين ونصف في المائة وقررت القاضي المعين من طرفكم لفصل الاحكام في هذه الناحية بالموافقة والمطابقة لاوامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته وأرغب منك أنك في السنة القابلة تصدر أوامرا الى باشوات الشام (دمشق) ومصر (القاهرة) بان لا يرسلوا مع الحامل طبول ولا زمورا الى مكة والمدينة لان الدين لا تنفع له بهذه الاشياء المحرمة والسلام بيننا وسلام الله عليك تحريرا في يوم ١٠ محرم سنة ١٢١٨ موافق ٣ ماية سنة ١٨٠٣

ثم سار سعود بجيوشه من مكة قاصدا جدة فانهز الشريف غالب فرصة مسافة الطريق واستعد لمقابلته وركب على سور استحكامات جدة مدافع جابهها من مدافع المراكب الموجودة في المدينة وحاصر سعود المدينة أحد عشر يوما وقطع المياه عنها فهاك خلق عظيم من أهل جدة مما أصابهم من الظما ودافع أهلها عن المدينة بأجود المدافعة وأعظم الشجاعة والممانعة ولما تبس الوهابي من تغلبه على جدة انجبر على الهزيمة لانه ظهر فيما بعد أنه احتلس نحو من ٣٠٠٠٠ ريال أو ٦٤٩٦ جنيه و١٥٠ شلن حتى رفع الحصار وسار وينما كان سعود متجهها في سيره نحو الصحارى الشمالية من بلاد العرب اندخل الشريف غالب مكة وأعاد لنفسه حكومتها ولما تراءى له أنه لا يمكنه المدافعة عن هذه الجهة لاجل تمام الزمن وعد سعودا بشروط يجربها معه وبالنسبة لسلطته وعلوم منزله استحوذ من سعود

على شروط ومحالفات جيدة لم ينلها أحد غيره من الرؤساء الذين اعتنقوا دينه ودخلوا فيه وكان لذلك منفعة كبيرة في أرض الجباز وهي أن قبيلة الحراي القوية الشوك والساطان التزمت الطاعة والاذعان لكن ما كان اذعانهم من غير حركة شديدة وأعقب اذعانهم اخضوع ينبع أيضا وفي سنة ١٨٠٤ أضاف الوهابي المدينة الى فتوحاته وبما أن أهلها كانوا في علاقة كبيرة مع الترك زيادة عن أهل مكة عاملهم بالرفق واللين وطلب منهم الخراج الآن بعض الاملاك لم يحصل لها أدى ولا ضرر وكان أول اعتناء والتفات حصل من سعود وهو هدم المزارات وسلب ما فيها من الكنوز والذخائر وفي أثناء حصار الوهابي المدينة سلب حاكمها معظم القسم الأعظم من خزان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً الاواني الذهبية وكان حاكمها في هذا الوقت شخص اسمه حسن الحلبي زاعماً خلاصهم من هذا الهول الأعظم لكنه فرقه على أصدقائه ومحبيه وما بقي صار صيداً للقاء الوهابي فإنه دخل الحجر الشريف وكان من ضمن ذخائرها وكنوزها الكوكب الدرى المرمى بالؤلؤ والماس وكان معاً فوق القبر الشريف فر الوهابي من بين الستارة والقبر الشريف ويخس بيديه كل شيء موجود وهناك حرمة الحجر الشريف وأخذ الكوكب الدرى وما كان موجوداً من الاواني الثمينة المرموعة بالجواهر الكريمة وأخذ حلقاتها وأساور وعقوداً ولبيا ومواد أخرى نفيسة كانت أرسلت هدايا من جميع أطراف وكاف الممالأ الإسلامية وكان أغلبها مهدى من طرف الحاج حال وجودهم بالمدينة لأجل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجع سعود الوهابي كل هذا تحت يده وباع بعضه لشريف مكة وحمل الباقي معه الى الدرعية وكان أغلبه لؤلؤاً وعقيقاً وصارت بدير قيمة الغنيمة التي اغتنيها فكان ٣٠٠٠٠٠ دولار يعنى ١٠ شلنج ٦٤٦٨٧ جنيه وهذه القيمة قليلة جداً في قيمة جميع الاشياء والمجوهرات والذخائر التي جمعت من المؤمنين من مدة عصور مضت قائماً ولا بد كانت مبالغجة لا يمكن حصرها اللهم الا أن يكون حاكم المدينة وخدمة المسجد وفراشي الحجر الشريف سلبوها وصرفوها في احتياجاتهم ولقد اغتار الوهابي من لعان بريق الدنيا في وجهه واجتهد في هدم القبة الفاخرة الشاهقة البنيان وأصعد الفعلة عليها فرموا كرتها الذهبية والهلال الرأكب فوقها لأنهم لم يتيسر لهم هدم القبة مطلقاً بسبب ما كانت عليه من صلابة البناء واحكامه بالرصاص المصبوب فيه والمغطى به وسقط اثنان من فوق سطح القبة من الفعلة فماتوا فترك الوهابي الهدم وقال الناس في ذلك ان هذه معجزة من النبي صلى الله عليه وسلم حصلت بخصوص بناء مسجده وترت نفس القبر الشريف من دون أن يقع به أذى ونهى سعود وحرم زيارته والتوسل به والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأن هذه الاعمال من أعمال عباد الاوثان وحرم جميع الشعائر الاشعائر ومناسل الحج فقط وحرص وحض في المدينة ومكة على أداء الصلوات في أوقاتها ودق في عدم لبس الحرير وشرب الدخان وأنواع الخدرات وشرب المسكرات ورتب شذمة من العرب بايديهم المساوق والنبات يطوفون في الشوارع في الاوقات المألوفة للصلوات ويسوقون الناس الى صلاة الجماعة من محل أشغالهم وأمر بأن جميع الذكور من بالغى الحلم فصاعداً يلزم أن يكونوا في الجامع وقت صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان يعاقب من خالف هذا الأمر أشد العقاب وجرسوا وهدموا امرأة محترمة حرة كانت تشرب في شيشة تنبأه فأركبوها حماراً وطافوا بها الشوارع معلقين الشيشة برقبتهام لفوفة وسطها والمنادى خلفها واتفق موت عبد العزيز في المسافة أو المدة التي بين التغلب على مكة والمدينة وذلك انه ذبحه واحد



من العجم في شهر اكتوبر سنة ١٨٠٧ وكان الوهابيون قتلوا واحدا من أقاربه فانتخب الوهابيون  
سعود ابنه البكرى خليفة من بعده باتفاق الآراء وكان في صفاته وأفعاله اللازمة لثبات ديني  
فائق عن أبيه وكان تعلم الحرب من صغره وساق الجيوش الى الوقائع بعد ما بلغ من العمر اثنتي عشرة  
سنة فقط واستمر سنين عديدة كان هو المديبر فيها للحروب وله ينسب فتح الحجاز ومع ذلك فإنه من الوقت  
الذي ابتدأت فيه سلطته اشتهر بأنه لم يحارب بنفسه في واقعة ولا دخل فيها بل كان هو المديبر لخيشه  
من وضع الى وضع على مسافة تامن خلفه وكان مشهورا بالجمال وكان لطيف الاخلاق والسجيا وله  
ذوق طويله خارقة للعادة عن ذوق العرب وشوارب طويلة حتى كان يدعى أبا الشوارب وكان كافة  
العرب يدحونه ويننون عليه بالذكاء وجودة العقل وحب العدل والانصاف والفصل في الخصومات  
والمشاحنات حتى أعداؤه

ولبت سنين عديدة من بعد موت أبيه لا يلبس الادرع تحت قميصه وما كان يتوجه في الخارج الا مع  
خفر منتخب حوله وقسم عماله الى عدة أقسام عهد كل قسم منها الى رئيس من الرؤساء من كبار  
مشايخ العرب واقبله بلقب الامير فكان من واجبات هذا الامير تنفيذ واجراء العدل العام في قسمه  
ومساعدة جباية الخراج والعوائد ولم العساكر وجمعها للجيش وتولد من شدة الاحكام التي أجروها في  
سياسة ادارتهم الرغم في استتباب توطيد الامن والراحة العامة ضد العصيان والثوران وامتنع الاحزاب  
والعشائر المبغضين لبعضهم من حصول ما يوجب بينهم وقائع ومبارزات تكون سببا في سفك الدماء  
ولما استقام الهدوء والراحة في جميع ارض الحجاز وجه الوهابيون غاراتهم وهجوماتهم وجلاتهم على  
ما جاورهم من الجهة الشرقية والشمالية وبما أن اقليم البصرة كان على غاية من الثروة في الاموال  
والانعام كانت شواطئ شط العرب ونهر الفرات الى غاية عناب ميادين للغارات والجلات سنويا حتى  
انه أغار عبد من عبيد سعود اسمه حرق في رأس فرقة قوية من العسكر غارات مختلفة في داخل الصحراء  
السورية وأوقع الرعب والازعاج في عشائر العرب الموجودة في ضواحي حلب وفي سنة ١٨١٠  
حمل القائد نفسه على سهل حوران وكان على غاية من السرعة في الحركة وما كان يظن فيه حصول  
جلاته في تلك الجهة فضلا عن كونها تحتاج لمدة شهر في مسيرها وحمل في غارته هذه على خمسة وثلاثين  
قرية فسلمها ونهبها وحرقها بعسكره من قبل أن يحصل من والى دمشق أدنى حركة في المدافعة عنها فضلا  
عن كونه لم يسمع بهذه الحركة الا من بعد الخراب والدمار بيومين وأما في الجهة الجنوبية فان الوهابيين  
لم يحصل منهم أدنى تأخير في بدو ونشر سلطة جيوشهم على بعض الاقاليم والجهات التي ما كان حصل  
التغلب عليها وذلك أن أبو نقطة شيخ عسير نزل في غلاق سنة ١٨٠٤ بجيش عرمرم مؤلف من العربان  
القاطنة في الجبال وأذاع الخوف والارتباغ في البلاد ونهب كلاً من مدينتي الحى والحديدة ثم عاد قافلا  
الى الجبال وفيها حفظ جميع الحدود اليمانية حتى مات في سنة ١٨٠٩ ومع كل هذا فان صنعاء عاصمة  
اليمن ما أغار عليها غارة ولا وقع عليها أدنى نوع هجوم مع أن سعودا كان عهد هجوم هذه المدينة الغنية  
ذات الثروة الى جود وأبو نقطة ولم يأمر أحد منهم بالتغلب عليها ومن المحتمل أنه كان حاقظا هذا التغلب  
لنفسه وشرع في مشروعه هذا وتيسر له الحصول على اغتنام غنائم وأسلاب جمة من نواحي الجهات  
الشاسعة لحضرموت وعمان وكرر عليها الحملات والغارات الى أن مال ملوك هذه الجهات بكائيتهم الى  
طاعته والانقياد لسلطته واتفقوا مع القائد الوهابي هذا على أن يدفعوا له خراجا سنويا الا أنهم من بعد

سنة نكثوا طاعتهم له فساق الى ثلاث الجهات جبهته واحتلوا امرة أخرى وأخذوه وهاو كذا دخل في دين الوهابي جزائر البحرين وقطاع طرق الخليج الفارسي وعسقه وافي سلب ونهب تجارات هذا الخليج فأرسل الانكليز حمله من يومي منعت هذه الحركة وكانت مهولة على التجارة والتجار

ولو أن الوهابيين كانوا في عداوة ظاهرة مع الحكومة التركية من ابتداء منع وتوقيف قوافل الحاج وحرمان الامة من الدعاء في مساجدهم لسلطان في الخطبة الا أنه لم يحصل لحد هذا الوقت أدنى حماس ولا نشاط من الباب العالي في هذه المسئلة الا أن يوسف باشا والي دمشق جهز في الحقيقة حمله للهجوم في سنة ١٨٠٩ على اقليم الجوف الا أن هذا مجرد ظهور ورياء فقط لانه لم يحصل الشروع في هذه الحملة مطاقا ولمارات الدولة التركية أن الصحارى الواسعة الممتدة بين العواصم السورية والعواصم العربية لا يمكن الحصول منها على نقل المؤن والذخائر الكافية لعساكر مستعدة لحرب منتظم حتى لو عادت السلاطة التركية على المدائن المقدسة العربية فان المساعي والاحتياطات اللازمة لهزم الوهابي لابد من اجرائها من جهة مصر لان أهل الحجاز في عوز شديد واحتياجه أكبر لهذه الايالة بالنظر لحاج ما يحتاجون اليه منها في معيشتهم وبالنسبة لما كان حاصل من القلاقل والارتباك في مصر من ~~بعض~~ وكوات الماليك صار محمد علي باشا لا يمكنه أن يقيم حربا على أي عدو أجنبي فأصدر السلطان العثماني له أمرا بكونه يمكنه اخضاع الحجاز بنقل من السويس والقصر على المراكب العربية التي تأتي اليها فرأى محمد علي باشا أنه من مقتضى فرمان الوارد له من ديوان القسطنطينية امتناعه بالكلية مما كان يحصل عليه من منافع تجارة البحر الأحمر وكانت في يده ورأى انقطاع هذه المكاسب والمنافع من تواردها في صندوق ماله

وأخيرا حكم الطمع وحب الشهرة على ألم البخل الموجود في صدر محمد علي باشا فرأى من حيث ان الباب العالي يرغب في خلاص المدائن المقدسة والقبور الشريفة على يده وبما يكون له أعظم منقبة وأجل رفعة ومنزلة على جميع الباشوات الموجودة في المملكة التركية فاستشاط سرورا في نفسه له هذا الامر ثم ان السلطان أصدر فرمانا آخر يحرضه فيه ويستنفده ووعده بان يمنح ولاية دمشق لاحد أولاده ان أسرع في حركته وتغلب على المدينة ومكة وخلصهم من يد الوهابي ولما كان محمد علي من الضرورى له أن يكون عندد عمارة بحرية أو اسطول تحت طلبه لاجل نقل وارسال عساكره وذخائره أصدر أمره بإنشاء ثمانية وعشرين سنبوكا من حولة ١٠٠ الى ٢٥٠ طونولانه وعين لشغالها ١٠٠٠ نفس من الشغالة تمموها في ظرف ثلاث سنوات

وفي شهر أغسطس سنة ١٨١١ لما صار الاسطول مستعدا للسفر جعل طوسون بك ابنه الثاني وكان عمره ثمان عشرة سنة وأظهر دلائل شجاعته واقدامه في ذبح الماليك المتقدم آنفا قائد هذه الحملة وكانت مركبة من قسمين خيالة ومشاة فأما الخيالة فهم مؤلفون من ٨٠٠ حصان أو فارس من الترك وعرب مصر والمشاة مؤلفة على الخصوص من عساكر الارنؤد وعددهم ١٥٠٠ نفس الى ٢٠٠٠ نفس تحت قيادة صالح آغا وعمر آغا ثم وصل الاسطول ينبع في شهر أقطوبر وسلمت من بعد مدافعة استمرت يومين لان المدينة ما كانت محفوفة بالعساكر الوهابية بل بعساكر من عند الشريف غالب وكان أعلن نفسه أنه دخل في مخالفة مع سعود وفي دينه أيضا

واستمرت المجاربة مع الشريف غالب عدة شهور لان هذا الشريف بلغه الاستعدادات الجارية



المهولة الحاصلة في مصر عند محمد علي باشا تبصر في عاقبة أمره ورأى أن يتخبر معه سرا في أن يوصل له الاخبار الكافية عن حالة العدو وقوته ووعده بان يخلع طاعته له عند ظهور أول جيش تركي نزل في أرض بلاد الحجاز ومع ذلك فان طوسون استدل في الحال على أن حالة البلاد ليست كما قال الشريف وظهر له من دلائل الاحوال أن الشريف ليس صادقاً في القول والفعل فيما عرضه من المحبة والصدقة وأنه رجل منافق منتظر ان تكون الغلبة له ويكون معه وكانت الاهالي على غاية من الخوف والانزعاج من شدة سعود وسطوته اذا ثاروا من دون أن يحصل لهم لمجاح يخلصهم مما هم فيه وكان عند طوسون قوام كاف لفصل بعض العربان المجاورين الى ينبع من الوهابيين

ولاجل الخلاص من هذه الحركة التي لا فائدة فيها الجارية بينه وبين الشريف عزم طوسون على الهجوم والجملة على المدينة وحكم بعقله وقرىحته أن هذه الطريقة أجود له من كونه يسير على جادة أو مكة إذ ربما أن خديعة الشريف غالب تكون منخوسة عليه وعلى عساكره من غوائل سعود وابتدأ سيره في غزوه في يناير سنة ١٨١٢ بعد أن ترك مقداراً من المحافظين في ينبع فتغلب في طريق سيره على مدينتي بدر والصفراء بعد مناوشة خفيفة وسلك الطريق من عند قرية الجديدة من درب ضيق جدا محصور بين سلاسل جبال وعرة واقفة جدا فصار في هذا الدرب الذي طوله نحو من ساعة ونصف ولما تكامل دخول عساكره في هذا الدرب حصل الهجوم والجملة عليهم بغتة بالقوة المتجمعة من قبائل الحجازي والوهابية فكان عساكر هذه القوة سائرة مهاوى الدرب على كل من جهتيه وكان مقدار هذه القوة ٢٠٠٠ مقاتل من المشاة ومن ٦٠٠ الى ٨٠٠ من الخيالة وجميعهم تحت قيادة عبد الله وفيصل ولدي سعود فبدل أن يتهقروا طوسون بجيشه الى قرية الجديدة ورجع اليكنهم المدافعة عن أنفسهم فيها هربت العساكر جميعا خيالة ومشاة عند سماعهم أول صوت وقع عليهم من عدوهم فقاطع الوهابيون عليهم من الخلف بسرعة البحر الخفيف وكبسوهم في طول الدرب وأوقعوا بهم وصب صوت البنادق ورصاصها على صفوفهم التي حصل فيها الفشل وعدم الانتظام وقتلوا منهم ١٢٠٠ نفس وكان من الممكن ابادة جميع الجيش لولا أن الوهابيين اندفعوا نحو الجبال وضبطوا الجملة والمدافع ومع ما كان من هذه الحالة الخطرة والمصيبة العظمى الكبرى فان طوسون لم يقدح مرة شجاعته واقدامه وبسالته وكان يزعق على خيالاته وفرسانه الفارين ودموعه تجري على خدوده ويوبخهم ويقول لهم هلا كان يقف واحد منكم بجائي واجتهدا جهادا كليا في جمع عساكره لانه كان على غير طائل فاسرع بالرجوع مع اثنين من خيالة طقمه وغرق في وسط الاعنداء بسيفه ليكفهم عن التعقب حتى وصل معسكره وكان موجودا في بدر ووضع النار في المعسكر وأحرق صناديق الذخائر الحربية لعدم وجود ظهور الجملة ثم نزل من أقرب مينة كان راسيا فيها بعض مراكب من مراكبه وسافر الى ينبع ومن بعد مضى بضع أيام التحق به ما بقي على قيد الحياة من عساكره

وبولد من حصول هذه الخسارة الجسيمة ضعف العساكر المصرية بالكلية وترك عربان مصر صالح أغا وعمراً وأقالوا انه لا يمكنهم الحرب مطاقا في أرض الحجاز فأرسلوا الى القاهرة وحفظ الوهابيون البلاد الى سواحل البحر الأحمر وانضموا مع الشريف غالب نفسه ولما وصلت الاخبار بكسر العساكر المصرية وخسارتهم خسارة جسيمة الى مسامع محمد علي باشا لم يتم بما حصل ولا بالي بما وقع بل لم يصرف أدنى دقيقة من الزمن هباء متشورا وأسرع في الحال باستعداد وتجهيز غزوة جديدة وصارت الامداد

والذخائر والمؤن ترد يومياً إلى ينبع وأرسل محمد علي نقوداً جارة لأجل توزيعها على مشايخ العربان ومن ثم انفصل كثير منهم من سعود وفي أقطوبر سنة ١٨١٢ تذكروا طوسون أنه صار عنده قوة كافية لعمل اجتثاث ثبات في التغلب على المدينة وفتح له ذهب مصر بوزن الجديده الصلب وسار طوسون وجيشه حتى وصل إلى أسوار المدينة النبوية من دون أن يقابل في طريقه أقل مقاومة وكانت المدينة والقلعة مشغولتين بمحافظين من الوهابيين وعندهم المؤن والذخائر الكافية لحصار طويل فتعاطف وتفاخر رئيس الوهابية وعساكرهم بحاصل لهم من النصر في الأول واعتمدوا على حصانة وحصانة قلعتهم وتركوا أنفسهم في تكاسل وإهمال مجرم فدخل الشجاع أجداً غلب المدعو بونا بارتو مسرعاً في حركته إلى الضواحي فلاقى فيها مقاومة ضعيفة وضرب العدو وأجلاه إلى داخل المدينة واستمر طوسون محاصراً المدينة مدة أربعة عشر أو خمسة عشر يوماً لأنه ما كان في جيشه سوى مدافع جبلية صغيرة مقدرة وفاتها غير كافية لهدم سور استحكامات المدينة فأمر بعمل لغز تحت السور وحشاه بالبارود وبنما كان الناس مشغولين بصلاة الظهر أذبح لاطلاق اللغم وانكسر السور ودخل عساكر الارتو المدينة وهرب الوهابيون منها حال الهجوم عليها وقتل منهم ١٠٠٠ نفس في الشوانع وهرب ١٥٠٠ نفس إلى داخل القلعة فسلط المصريون نيران مدافعهم عليها ونهبوا المدينة في الحبال ومن بعد مضى ثلاثة أسابيع لما وجد محافظوا القلعة أن مؤنتهم فرغت أذعنوا بالتسليم ووعدهم أجداً غلب بونا بارتو بالسلامة والاطمئنان لما منهم وأن يحضر لهم الجبال اللازمة لمشال عفتهم الذي يرغبون حمله معهم إلى نجد ومع ذلك فقد فسح هذا الوعد مع الفضيحة والتخل وبدل أن يعدلهم ٣٠٠ جل أعدلهم ٥٠ فقط فالتزم المهاجرون ترك معظم مهماتهم وأدواتهم وبمجرد ما بعدوا عن ضواحي المدينة خرجوا خلفهم وذبحوا منهم الكثير على قدر ما أمكنهم وكانت هذه الفعلة من أفعال التتار الهمج المتوحشين ثم جمع أجداً غلب بونا بارتو جميع رؤس القتلى من الوهابيين الذين قتلوا في المدينة وضواحيها ونخبهم أشبه بنوع برج على قارعة الطريق السلطاني الموصل إلى ينبع

ومن ضمن الذين امتازوا بشجاعتهم في جيش الباشا وأظهروا إقدامهم وبسالتهم في حصار المدينة والهجوم عليهم أشاب اصق وطلندى عمره عشرون سنة مولود في مدينة أيدمبورغ عاصمة اصق وطلندى اسمه بوماس كيث كان قد لجأ في الإي ٧٢ من الهائلة ندر (أرض الجبال) مدة الغزوة الانكليزية في مصر فأخذ في هذه الغزوة أسيراً واشتراه أجد بونا بارتو من أحد العساكر وفي مدة خدمته لأجد بونا بارتو غير دينه وأسلم وكان يوجد له صقلي عند سيده مقبول ومعتبر عند أجد بونا بارتو فسفه هذا المملوك يوماً من الأيام على كيث فجرد كيث سيفه من غمده وضربه ضربة كانت هي القاضية وفرد كيث هارباً وكان اسمه في هذا الوقت ابراهيم أجد واستغاث بحماية الاست حرم محمد علي باشا أم طوسون وكانت تحبه لما كان فيسه من الخفة والنشاط فأوصت عليه ابنتها طوسون بك وفي مرة ثانية أيضاً حصل منه قلة حياء في حق سيده حتى غضب عليه بالكلية فأمر طوسون بقتله فحاصر العبيد أودة كيث وأرادوا قتله فقفل باب أودته ووقف فراده شاهر أسيفه وأخيرا نط من الشباك وهرب إلى سيده الشقيقة عليه فسكن غضب طوسون في الحال ولم يتحقق مما يستحقه ابراهيم أجد من حسن المعاملة وكذا مما حصل من شجاعته جعل له رئيس مما يليه وكان كيث هذا أحد الخياليين الذين كانوا واقفين مع طوسون في درب الجديدة فرقاها إلى رتبة ضابط خزانة وهي الدرجة الثانية في أوردى الباشا وحارب في المدينة وأظهر شجاعته



وبسأله وكان أول من صعد على الشرم ومن بعد أن امتاز في عدة وقائع أخرى فاق غيره من أقرانه  
جعله طوسون حاكم المدينة في سنة ١٨١٥

وتولد من النصر الذي حصل للمصريين في الجهة الشمالية للعجاز تقوية محمد علي باشا وتشجيعه وأرسل  
١٠٠٠ فارس خيال و ٥٠٠ من المشاة للحملة على جدة ومكة تحت قيادة صهره مصطفى بك وكان  
الشريف غالب بالتغلب على المدينة جدد خضوعه واحترامه للمصريين وأرسل نواباً من طرفه يدعون  
قائدهم للدخول في جدة ومكة تحت كفالته وبعلاقته هذه ترك المضائق وكان قائد القوى الوهابية في  
تلك الجهة ولما وجد عثمان المضائق نفسه أن لا طاقة له على المخاطرة في الحرب تهاقها إلى جهة الطائف  
وصار التغلب على جدة بفرقة قليلة من العساكر ودخل مصطفى بك بالجيش الأصلي مكة في يناير سنة  
١٨١٣ وتحفظ على أملاك المدينة وعدم تسليمها بواسطة العساكر كما فعل سعود مع عساكره وانضاف  
١٠٠٠ من العربان والعبيد وفي رأسهم الشريف غالب إلى قوة الجيش المصري وهجموا مباينة على  
الطائف وتغلبوا عليها وصار ضبط عثمان المضائق على الفور بواسطة رجال الشريف غالب وصار  
تسفيره إلى القاهرة ومنها استجبه اسمعيل باشا بن محمد علي باشا وسافر به إلى القسطنطينية وقدمه مع  
مفاتيح المدائن المقدسة إلى سلطانه وكذا قدم هدايا وتقديمات كثيرة ثمينة إلى السلطان وأرباب دولته  
وصدر الأمر في الحال بقطع رأس هذا النبيل ومن ثم فقد المصلحون أعظم مقدام وأكبر ضرغام وأجل  
حليف كان لهم في أرض الحجاز

وتولد من تغلب المصريين على هذا الإقليم فتح طريق خالص لوفاء الحاج وكانت توقفت مدة سنين  
مضت إلا أنه لم يحصل من تغلب المصريين كسر شوكة الوهابيين ولا ضعف في قواهم لأن جميع القبائل  
والعشائر الموجودة في شرق الجبال الرابطة للصحرى الكبرى بالتوازي لساحل البحر الأحمر لم تزل معترفة  
بسيادة سعود وسلطته وأن المصريين ما أقبلوا أبداً مع الوهابيين في ميدان مكشوف من غير أن  
يهرمواهم ولما رأى محمد علي باشا أن سير الشريف غالب هو عمل يوطئ به ميثاق حلفائه المستجدين به  
وخشى غائلته ورأى أن الأمور في مصر صارت في حالة هادئة من الممالك وأرتبها كهم وقلقلهم بمصر  
في نفسه فوجد أنه من الضروري له أن يتوجه بنفسه في محل الواقعة حتى يتيسر له الحصول على  
توطيد سلطته على منوال أكيد وقدم ثابت في أرض الحجاز فعرض بذلك إلى الباب العالي ونزل من  
السويس مع ٢٠٠٠ من المشاة ووجهه مثلهم من القريش ووقطار من الجبال يبلغ ٨٠٠٠ رجل  
من البرأما الجبال فلم يعش منهم إلا ٥٠٠ ومات الباقي في الطريق بسبب عدم وجود العلف والمريعى  
وعند وصول محمد علي باشا إلى مكة جذب إلى نفسه قلوب الأهالي بكونه وزع عليهم هدايا جمة وأمر بترميم  
المساجد وإصلاحها وقابل الشريف غالب في الابتداء بمقابلة ودية صادقة إلا أنه ارتاب منه بعد ذلك  
وان كان الاثنان حلفاء على القرآن الشريف أن لا يتسبب أحدهما في ضرر الآخر ولا في فقهه دحيانه  
الآن هذا الحلف لم يستمر مدة من الزمان وكل منهما ارتاب من الآخر واشتغلت في جسمه حركات  
الآلات الميكانيكية وشرع محمد علي باشا في القبض على خصمه وحجسه إلا أنه رأى أنه يصعب عليه هذا  
المشروع بسبب ما يوجد من سلطة الشريف غالب على المجاورة وحصانة القاعة المقيم فيها وكانت  
مدخرة جيسدا بالوثائق وبها من الحافظين ٨٠٠ نفس فدبر حيلة وخديعة بها يتيسر الحصول على  
مقصوده وذلك أنه قبض على الشريف غالب وقت ما كان يؤدى زيارة رسمية إلى طوسون وكان ضيقه

بفرقة من العساكر كمنت له في محبل بالقرب من حوش البيت الذي كان طوسون نازلا فيه ومن بعد أن  
سجنه به بعض أيام في مكة أرسله من طريق القصير إلى القاهرة مع أزواجه وحشمه وطواشيته ثم  
خصص الباب العالي محل إقامته في سلانيك فكث فيهم إقبالا ومات في طاعون سنة ١٨١٦ في فصل  
الصيف فنشأ مما حصل للشريف غالب هيجان وثوران عند جميع رجاله وأحبابه وبولاد من ذلك ثورة في  
كافة الأعمال الإدارية لبلاد العرب فوظف محمد علي باشا الشريف يحيى وهو بعيد القرابة للشريف  
غالب وكان عدوه اللدح كما على مكة ورتب له رواتب شهرية

ولم يحصل من قبائل وعشائر العربان القاطنين بالقرب من مكة مقاومة ولا مبارزة أشد من المقاومة التي  
أجراها عرب أبيجوم القاطنين في تربة وكان التجأ فيها معظم عساكر الشريف غالب وصارت تربة نقطة  
تجمع كافة الوهابيين الموجودين في الجهة الجنوبية كما أن الدرعية نقطة تجمعهم في الجهة الشمالية  
وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت امرأة أمثلة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة  
وكانت على غاية من الغنية والثروة ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون المحاربة  
مع الترك واعتقد المصريون أنهم امرأة سخاوة وأن لها قدرة على كونها تحفي عن أعين المصريين رؤساء  
الوهابيين ففي مبادئ شهر نوفمبر سنة ١٨١٣ سافر طوسون من الطائف ومعه ٢٠٠٠ نفس  
للغارة والحمل على تربة وعند وصوله إليها أمر عساكره مباشرة بالهجوم عليهم وكان العرب محافظين  
على أسوار المدينة بشجاعة قوية وكانوا مستبشرين بوجود الامة غالية معهم وهي المقدمة عليهم  
فصدوا طوسون وعساكره بأسهل طريقة وفي اليوم الثاني شرع طوسون وعساكره في القهقرة  
والرجوع فساق العرب خلفهم من كل جهة وأوقعوا بهم وصاروا يتخطفونهم أينما ساروا فالتجبروا  
على ترك حياتهم وعقشهم وخيامهم وسلاحهم وذخائرهم وفي أثناء رجعتهم قتل منهم نحو ٧٠٠ نفس  
ومات كثير منهم من الجوع والعطش وفي الحقيقة كان يلزم موت العساكر جميعها وإبادتهم لولا أن الشير  
توماس كيث مع شذمة من الخيالة استردوا مدفعاً وصوروه على العدو وصاروا يطلقون نارا المدفع  
على العربان حتى حفظوا خطر رجعة الفارين وهروا من الدرب قبل أن يسرع العدو في التقدمة  
ويقطع عليهم خط الرجعة ومن بعد ما لاقى طوسون أشد المصاعب وأكبر الأهوال دخل الطائف بين  
بقي معه من عساكره وتعطلت جميع الإجراءات الحربية مدة ثمانية عشر شهرا ولم يأتى محمد علي باشا  
أن كل غزوة تحصل في داخل بلاد العرب تنجى بالخيبة وعدم الظفر ما عدا غزوة المدينة شرع في  
استعداد وتجهيز قوة بحرية مؤلفة من ١٥٠٠ مقاتل وشحن مراكب كثيرة بالذخائر والمؤن تحت  
قيادة حسين أغا وزعيم أغلى وخرجت هذه الحملة من جدة قاصدة الغارة على قنفذة وكانت قنفذة تحت  
حوزة الشيخ طامي من مدة خمس سنوات وكان طامي هذا شيخ عرب عسير من بعد موت أبونقطة  
وكان لا يوجد في المدينة تجارى مياه طبيعية للشرب واحتياج أهلها وكان بها قليل من المحافظين  
فتغلب عليهم المصريون في شهر مارس سنة ١٨١٤ بعد مدافعة شديدة ومقاومة عتيدة وقتل  
نفوس وسفك دماء وكانت استحكاماتها وبساطيونها مصنوعة من الطين والطوب التي فكانت  
استحكاماتها مبرنة وقت ضرب المقدوفات ودخولها فهاولم يحصل بها تخريب من ضرب مقدوفات  
المدافع البرية والبحرية ومن ثم حصل الهجوم وما زال ضرب النار جاريا وتقدم عساكر الهجوم ساريا  
حتى تقارب الحزبان من بعض ما وصار الحرب يدايد وصار منظر الواقعة وهيئتها من أهول الأشياء



وأبشعها وما كانت السيوف والسكاكين تشتغل فقط بل أسنان المتحاربين وأظافرهم في حالة غضبهم الشديد وحنة هم العتيد فقتل في هذه المعركة كثير من المحصورين وقطعوا قطعاً ولم يقضل على قيد الحياة أحد من الذين دخلوا في الحرب من أهل البلد ولما يئس الوحش زعيم أغاماهم عليه من العناد في مدافعهم عن المدينة أعلن بمكافأة مائتي غرش لكل من يأتيه برأس واحد من العربان أو يأتيه بأذنيه وبعنان عساكر الارنؤد على غاية من الطمع انتشروا في كل فج لاجل أن يجنوا حصاد هذه الرزية الدموية وصاروا يجرون ضحاياهم من مكائهم وأبحارهم ويقطعون رؤسهم وآذانهم والبعض منهم رضى بنجاة نفسه بتشويه وجهه وقطع آذانه ولما تغلب المصريون على هذا المحل صدر لهم أمر من محمد علي باشا بالبقاء فيه وجعله نقطة عسكرية وموقع حرب وكان تغلبهم على هذه المدينة قصيرة المدة وذلك أنه في شهر مايو صار الهجوم عليهم بجيش مؤلف من ٨٠٠٠ أو ١٠٠٠ مقاتل من الوهابية تحت قيادة الشيخ طامح نفسه وانتشر الرعب والخوف في قلوب المصريين الارنؤد وقتل الوهابيون كل من وجدوه من المصريين فوق فيهم الارتباك وهرب زعيم أوغلي القائد هو ومعظم عساكره إلى المراكب التي كانت راسية في مينة قنطرة ودخل الوهابيون المدينة وقتلوا كل من وجدوه فيها بالسيف وساقوا خاف الفارين حتى عاموا خلفهم في مياه البحر وقتلوا منهم مئة عظيمة في الماء تحت نيران المراكب

وكانت هذه مصيبة أخرى أعظم الآن محمد علي باشا لم يهتم بهم أولي يحصل له منها ولا من غيرها أدنى خور ولا ضعف قوة ولا دمار لجعل رأس معسكره في الطائف وعين زعيم أوغلي حاكم جدة وأما طوسون فانه من بعد هزيمته في تربة ور جوعه منها واستحق سخط أبيه وغضب به عليه عسكر في مكة ولقد هذا الوقت لم تبلغ الاجراءات الحربية المصرية إلى شيء مما يختص بهذه المحاربات والارتباكات المتسلطنة وما وقع من الموت والقتل في الحرب والاسر الحاصل من الوهابيين أو وقع الرعب والخوف في قلوب عساكر محمد علي باشا وكذا تأخير صرف مرتبات العساكر شهرين أو ثلاثة وقلة وجود المؤن الادون الطفيف حتى ارتفعت أسعارها وعلت أثمانها وصار لا قدرة للعسكري على مشتري رخيص وبصلة وكان هذا طعامه وغذاه فقط كل هذا نشر النفور والغضب في وجوه العساكر والخوف والرعب في قلوبهم - ثم حتى صار لا يوجد في المصريين أحد إلا نفس محمد علي باشا هو الذي لم يقطع اليأس ولا الخيبة من النجاح والظفر وبالنسبة لما آتاه الله من الصبر ومساعدته بالنقود من ابتداء استقراره بالطائف اجتهد في فتح علاقات ومعاملات ودية مع العرب فكان ذلك أصل نصره ونجاحه ومن كثرة توريعة النقود على العرب المجاورين له والبعيدين عنه جذب قلوب معظم العشائر الوهابية فاتها إذا لم تكن معه لا تكون عليه وصاروا في حالة الحيادة وأثبت سياسته وادارته مع أهل الحجاز بكونه أبطل عوائد وضرائب كانت باهظة على بعض مواد تجارية وخفف البعض الآخر وبالخص أصناف البن ومنح هدايا وافر للداش المقدسة وأفاض على الكعبة ما يوجب شكر وثناء أهل الحجاز عليه .

وفي أثناء هذه الاشكالات الموهلة حصلت مصيبة كبرى عند الوهابيين وهو موت سعود بواسطة حمى تيفوسية أصابته في نواحي الدرعية في ابريل سنة ١٨١٤ وعمره ثمان وستون سنة وبموته فقد الوهابيون قائد الأيكل ولا يتعب مستحوذاً على جميع طرق الجزم والتدبير اللازمة لارتفاع منصبه وشماخة قدره وكان النصر على الدوام بين عينيه وتحت يديه ورجليه وكان دائماً في رأس جيشه وبموته

نزلت المصائب والأهوال على قومه وقالوا إن آخر ألفاظه التي تكلم بها يوصي ابنه إلا كبر وخليفة من بعده يا عبد الله لا تدخل في حرب مع الترك في ميدان مكشوف أبدا والتزم أنت وعساكرك في حربهم المواقع الصعبة حتى لا يتيسر لهم النصر عليك وخذ لنفسك الحذر ولا راد من القضاء والقدر وهذه ألفاظ سياسية إدارية حقيقية لو صار السير عليها ما أمكن المصريين التغلب على الحجاز وكان يتسلطن في أبدانهم الهزاز

وكان عبد الله تربي في الجيش من صغره وقالوا إنه لما بلغ عمره خمس سنوات كان يرمح فرسه وكان مشهورا في الشجاعة زيادة عن أبيه وكان يحارب ويتأزل في كل جهة بنفسه وهذه كانت قاعدة أصلية عنده وكانت صفاته العقلية من أول طبقة وفي مدة ما كان سعود محتل تحت الوهابي كان عبد الله محتل الموقع الثاني من عمالكه وما كان يرخص لاي واحد من اخوانه التدخل في سلطنة الاعمال العمومية ومع ما كان عليه من عسل الشهرة في الشجاعة والاقدام في الحروب ما كان له دراية تامة بكيفية تدبير العشائر والقبائل تحت ادارته مثل أسلافه حتى أخذت قوته العمومية في الضعف مما حصل من شقاق مشايخ و كبار العربان ولما شرع في أخذ الوسائل اللازمة لتقح محمد علي باشا وصدده ظهر فيه استعداد لاستحواد التدابير والادراكات والذكااء التي كان أبوه مستحوذا عليها

ومن هذا الوقت ابتدأ فلاح محمد علي باشا في الظهور وأضاء له ولاح وأخذت عساكر عرضيه في الزيادة حتى بلغ مقدار العرضي ٢٠٠٠٠ نفر وزيادة وكان جميع هذا العرضي تحت قيادته موزعا في الجهات بهذه الطريقة ٣٥٠٠ نفر في مكة تحت قيادة ابراهيم أغا والشريف يحيى ومن ٣٠٠ الى ٤٠٠ في المدينة تحت امره زيدان أفندي و ٣٠٠ محافظون في ينبع وجدة والباقي بعضه تحت قيادة محمد علي باشا نفسه وبعضه مع حسن باشا وأخيه عابدين بك مشككين القره قولات الامامية للجيش من الجهة الجنوبية للطائف و ٤٠٠ عسكرى من البدو كانوا تحت امره الشريف راغب أحد أقارب الشريف غالب وكان أشهر قواد الوهابية في الحجاز لأنه انماز الى محمد علي باشا

والآن صار يوجد سبب واحد فقط متوقف عليه اجراء الحركات التعرضية في الوقت وذلك أنه مات جمال كثيرة من المصريين في أثناء هذه الحروب ومات كثير منها في الطريق الكائن بين جدة ومكة حتى صارت هذه الطريق منتفسة من كثرة الروائح الكريهة الخارجة من رمم الجبال فالتمز أهل تلك النواحي بحرقها بعد جمعها لانه تسبب عن رواثعها الكريهة طاعون انتشر في تلك الناحية وصارت تقدير مامات من الجبال التي كانت تابعة للجيش المصري فكان عددها ٣٠٠٠٠ رجل وزيادة وذلك في طرف الثلاث سنوات التي كان الحرب منتشبا فيها وفي شهر نوفمبر جلبت قوافل الحجاج السورية أو الشامية مقدار قدره ٦٠٠٠ أو ٨٠٠٠ من الجبال الشامية فكانت هذه مقبولة في الحركات العسكرية زيادة عن الجبال المصرية

وبينما كان محمد علي باشا أخذ في استعداداته وتجهيزاته كان الوهابيون يوجهون غاراتهم في غالب الاوقات نحو الطائف على القبائل والعشائر الذين دخلوا مع محمد علي باشا واعتنقوا أمره ولا جعل قطعهم طريق المواصله بين جدة ومكة هجما على المعسكر الموجود في بخره ونهبوا جماله ومهماته وأسروا قافلة صغيرة وذبحوا كل من وجدوه من السكان ومن ثم كسروا أنفسه المصريين بهزيمة



أخرى أوقعوها على عساكرهم وذلك أن عابدين بك مع عساكر الأرناؤد كانوا محتلين في جهة من أقاليم  
تهامة شرب عابدين بك البلاد وجعلها قاعا صفا على مسافة ٤٠ ميلا من كل جهة حتى يتيسر له  
بواسطة هذه الصحراء الصناعية منع الغارات الفجائية التي ربما تحصل من العدو ومع ما فعل عابدين بك  
من هذه الاحتراقات الوحشية فإن الشيخ بكروج في رأس عربانه وفرقة قوية من عرب الشيخ طامي  
هجموا بغتة على المعسكر المصري في نواحي بعروش في الفجر الأخير وسقطوا على العساكر النائمة وذبحوا  
منهم ٨٠٠ نفس من المشاة و ٨٠ من الفرسان الخيالة وساق بكروج خلف الفارين  
يومين فما كان ينجم من القتل واحد منهم لولا أن تدارك حسين بك مع عساكر الخيالة حفظ خط  
رجعتهم وكان بمجرد وقوع أي عسكر من العساكر المصرية في أيدي بكروج مدة سوية خلفهم كان  
يعامله بأشنع المعاملات الوحشية بكونه يقطع ذراعيه ورجليه ويلقيه حتى يهلك في الصحراء بهذه الحالة  
الغبراء وفي أثناء ذلك ورد من القاهرة امداد من عريان برقة مقدارهم ٨٠٠ خيال وعساكر وافي  
الطائف ورأى محمد علي باشا من حالة ما عنده من الذخائر وكثرة المئون وكثرة ما عنده من العساكر أنه  
لا ريب من قرب نجاحه وطفه وفلاحه في مدة قريبة فعزم على أن يجعل نفسه في رأس عسكره ويتقدم  
زمام جيشه بنفسه ولا يشق بالناس ويتوكل على الله حق التكلان وأن يوجه غزوه وجملته على تربة  
لينتقم من أهلها نظير ما أوقعوه من الخسائر والأتلافات في الواقعة التي كان توجه طوسون اليها ثم  
رتب بطريقتين من المدافع عبارة عن اثني عشر مدفعاً برياً من أجود المدافع و ٥٠٠ من عساكر  
البطحية لأجل قطع أصول النخيل المخيم على مدينة تربة وجماعة من اللغمجية لأجل عمل الانغام  
اللازمة له ندم المدينة وشجع العساكر وقوى قلوبهم وقال لهم ما هذه تربة فأنهم لا تمكث مدة حتى  
تتملكونم أو تغنمون ما فيها وحسن لهم ذلك بكونه جلب جلا من لب البطيخ من وادي فاطمة ومربيه من  
وسط صفوف العساكر وقال لهم اني عازم على زراعة هذا في البقعة التي لم تزل الحد الآن مشغولة  
بالوهابيين وفي غضون ذلك ما كان الوهابيون على وجل من استعدادات محمد علي باشا ولا من طنطنته  
الظاهرة واعتمد بكروج على حصانة موقعه وكتب خطابا الى محمد علي باشا ينصحه فيه بالعود الى مصر  
أو يستعد للحاربة معه بعساكر موافقة جيدة اذا أراد الحرب

وفي يناير سنة ١٨١٥ ترك محمد علي باشا مكة بجميع قوامه وجماله وجملته التي أمكنه جمعها وسار  
تحوطاً ولعطش وكان فيها حسن باشا وأحمد بونا بارتو وطبوزاوغلي والشريف راغب ورؤساء آخرون  
واجتمعوا جميعاً فيها وأخذوا معهم مؤنات و ذخائر لمدة خمسين أو ستين يوماً وبينما هم مجموعون في هذا  
الموقع اذ وردت عليهم الاخبار بان العدو وضبط موقع فيصل ومعه موقع حصين على خطر رجعتهم  
وبواسطة يمكن العدو قطع خط المواصلات بين قواعطش والطائف ويصل هذا قطعة مستوية من  
الارض محاطة بسور من جبال وتلال طبيعية سالكة منها عدة دروب ضيقة جدا وعلى رؤس هذه  
الجبال والتلال عساكر الوهابيين وحشدوا فيها أجالهم و ذخائرهم وكان مجموع قوتهم ٢٥٠٠٠ مقاتل  
من المشاة و ٥٠٠٠ جل و قليل من الخيالة مجردين من المدافع وكان من ضمن القواد المعدودة في هذا  
الجيش فيصل أخو عبد الله الوهابي والفارسة المقدامة عالية والشيخ طامي مع جميع رؤساء جبال  
اليمين وبعض من رؤساء القبائل والعشائر القاطنة في أقصى الجهات الشرقية من حضرموت  
ولما رأى محمد علي باشا هذه الحالة أمر عساكر الخيالة بالهجوم على الوهابيين فصدمهم الوهابيون

ورجعوا مع تلفيات قليلة واستمر واميئين في الجبال لا يخرجون منها وصار المصريون ينتخبون مواقع يضعون فيها مدافع ويضربون بها عليهم وضيعوا يوم الهجوم في أعمال وحركات جاءت على غير طائل واتفق في أثناء ذلك أن خيالة الوهابية تركوا محلاتهم في الجبال وهربوا إلى مكة وأذاعوا بعت محمد علي باشا وهزيمة الجيش جميعه فحصل من ذلك الاضطراب والقلق بعت الباشا ولما رأى محمد علي باشا أنه لا يمكن له تسير حصول النفر والنجاح على الوهابيين ماداموا محتلين الجبال ورؤس التلال ببرحيلة في خروجهم من هذه الجبال إلى الميدان المكشوف في الصحراء وأرسل ليلا جلب الامداد من نواحي قولعطش وفي صباح اليوم الثاني جدد حركات الهجوم ونبه على ضباط القولات الامامية بأنه بمجرد قربهم من مواقع العدو يضربون أول نوبة اتش ثم يرجعون متقهقرين مع غير نظام وبهذه الحيلة تم مقصوده وذلك أن العرب لما رأوا عدوهم أخذ في القهقرة والهزيمة بعد ضرب النار وشرع في الهرب تخيل لهم أن الهزيمة والفشل وقع في العساكرو وجدا لانفسهم وقتاسعيدا يبطشون فيه بهم فخرجوا من جبالهم كالجراد المنتشر من دون تبصر ولا ادراك وساروا خلف عدوهم ولما تقدموا مسافة كافية من ملاحقتهم القوية دار محمد علي باشا بسواريه خلفهم ووجه هذا آت القولات عليهم ومن بعد محاربة شديدة استمرت نحو خمس ساعات اكتسب محمد علي باشا الظفر المئين والنصر المئين

وحارب محمد علي باشا في هذه الواقعة بنفسه في الوقت الذي أمر خياله باللف والدوران خلف العدو ومنعهم من وصولهم إلى مواقعهم الداخلة في الجبال ولاجل محافظته على استمرار النصر في هذه الواقعة نزل من فوق حصانه وطلب سبحانه وفرشها على قطعة مستوية من الارض وجلس عليها بحيث يرى جميع صفوف وحذا آت عساكره وطلب شبق الدخان وقال ها أنا قاعد هنا ولا أتحرل يا قاتل أو مقتول وأمر بمكافأة قدرها مائة غرش لكل عسكري من عسكره ياتي به رأس واحد من الاعداء في ظرف بضع ساعات كتموا أمامه علامة نصر قيصة المنظر مشككة من ٥٠٠ رأس وهجم عساكر المشاة المصرية على مواقع الوهابيين في الجبال ودار من خلفهم الشريف راغب بعساكره وسقط عليهم مثل جزاير ماهر والرمهم الهرب وأوقع بهم الكرب وأمسك الوادي الضيق الذي اجتمعوا في القهقرة منه ونضع منهم في هذا المضيق ١٥٠٠ نفس فجزروهم وقطعواهم قطعاً وكانت حالة القتل والذبح مدهشة مهولة حتى ان ميدان الواقعة صار مملواً بأجسام وجثث بغير رؤس وأمر الباشا أن يأسروا منهم ٣٠٠ نفس ويقتلواهم على قيد الحياة وأمر عساكره بأن يعطوهم الامان ولا يكذبوا على أحد منهم وعفا عن البعض القليل من العرب وكان باقيا شرمات قليلة من الوهابية على مرتفعات الجبال في خفارة الحلة والذخائر الموجودة فدافع هؤلاء عن مواقعهم أشد المدافعة وحفظوه لانه صار الهجوم عليهم أخيراً بالقوة والافتداه وقتلواهم عن آخرهم وهرب الشيخ طامي مع قليل من أتباعه وكذا هرب كل من فيصل وغالية وتكدر محمد علي باشا كثير من هرب غالبية ونجاتهم من يده لانه كان في اشتياق زائد لارسالها القسطنطينية علامة وشهرة على نصره وظفروه وكانت هي أيضاً لا تبقى ترك الصحاري العربية ولا عربانها ولا تثق بأحد من الأتراك ولو قدموا الهامهم ما قدموه واغتسم محمد علي باشا معسكر الوهابية بما فيه من الذخائر والمؤن والنساء والجمال وأنعم محمد علي باشا على الشريف راغب بخيمة فيصل وما كان فيها من الفرش والامتعة ووجد فيها مبلغ ٤٣٧ جنيه وكانت خسارة محمد علي باشا في هذه الواقعة من ٤٠٠ الى ٥٠٠ نفس وذلك مما أجرا من المهارة والتدبير في هذه الحركة العسكرية المهولة وفي



الحال سارت الركبان بأخبار هذه النصر الجلية الى القسطنطينية والقاهرة وزعم محمد علي نصرته ونفر حركته بأشنع الاعمال وذلك أنه أمر بصلب الثلاثمائة نفس الذين كان أعطاهم الامان في جهات من مكة فأمر بصلب ١٥ منهم أمام أبواب مكة و ١٢ على قارعة طريق جدة والباقي تحت أسوار مكة وأمر بعدم نزول أجسادهم حتى تنشأ الطيور وتأكلها الصقور

ومن بعد مضي أربعة أيام من الواقعة سار محمد علي باشا الى تربة وكان فيصل فيها ولم يقرب منها هرب فيصل وتركها ودخلها محمداً على باشا بعساكره وكان لا يوجد فيها الا العاجزون من الرجال والنساء والاطفال فسلموه المدينة وتسلوا اليه في البقاء عليهم ورعايته اليهم ومن ذلك تولد الارتباك والخوف في المملكة وصار الجيش المصري لا يلقى الامقاومات ضعيفة جداً من الوهابيين ولم أر أي محمد علي باشا أن القوة الكبرى للعدو موجودة في الجهة الجنوبية عزم على اختراق البلاد وقطع الصحارى وابادة هذه الطائفة على قدر امكانه

وكان كثير من الرؤساء والفارين الذين نجوا من واقعة بيصل اجتمعوا وعسكروا في نواحي ييشي وهي بلاد خصبة موجودة في الجهة الشرقية من جبال اليمن وتجمعوا فيها على عدد عظيم منهم وعزموا عزمًا ثابتاً على الاستمرار في المقاومة الى آخر نفس أو رمق فيهم وحصنوا أنفسهم ومواقعهم بخطوط استحکامات ومباريس وفتحوا فيها من اغل وكراتك لاجل ضرب نيران البنادق منها وأقاموا في اخصاص وعشش صنعوها من القش والبوص وجريد النخيل فوصل اليهم محمد علي باشا بعساكره وحاصرهم وشرع في ضرب النار عليهم مدة يومين بدون طائل الا أنه اتفق أنه من كثرة ضرب النار وقرعة الدانات شبت النيران في احدى الاخصاص ومنسرت الى الاخصاص والعشش الاخر والتهبت جميعها فتولد من كثرة الدخان وسقوط النيران ضرر كبير للمصورين والتزموا الفرار فساقت خلفهم الخيالة المصرية وكان من ضمن الذين هربوا ونجوا بأنفسهم الفارسة المقدامة غالية المشهورة ولما لم تجد انفسهم مأوى تأوى اليه في الصحراء ولا مسنداً تستند عليه سارت مع اتباعها حتى وصلت الدرعية وأقامت بهم وتغلب المصريون على قلعة رانية وعلى قلاع أخرى بالقرب منها

ومع هذا كله فانه مازال موجوداً في ميدان الحروب أمام محمد علي باشا أشد الاعداء وهو الشيخ طامى وكان هذا الشيخ عزم على الاجتهاد في وقوع واقعة ثانية وجعل لها جيشاً كثيراً وراء الجبال الوعرة من أرض عسيرة وهي على مسافة ١٢ أو ١٤ يوم في الجهة الغربية من بيصل فعزم محمد علي واجتهد في سيره الى هذه الجهة لكنه عند شروعه في السير تضرر عساكره من كثرة ما تحملوه من التعب وكان يموت منهم يومياً نحو من مائة حصان وما بقي من العشرة الا في جبل التي كانت معهم سوى ٣٠٠ رجل فقط عليهم امداد الخيلة فحضر محمد علي باشا عساكره وحرضهم ونشط قلوبهم ووعدهم الغنائم العظيمة والمبالغ الجسيمة التي يغتنمون بها من بلاد اليمن وشرع في السير معهم وأما الشيخ طامى فانه جمع ٨٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ مقاتل في قلعة جبلية تسمى بالطور وكانت هذه القلعة على ماروى حصينة حتى لا يمكن التغلب عليها ولا الوصول اليها فواصل اليها محمداً على باشا بعساكره وسلط عليهم انيران الطوبجية مدة ثلاثة أيام فازعج الوهابيين الموجودين بها وألزمهم التسليم وكانت هذه الواقعة أشد من الواقعة التي حصلت في بيصل فاستسلم محمد علي باشا القلعة وما وجد فيها من المؤن الكثيرة والمأكولات الوفيرة سد جوعه عساكره وهرب طامى الا انه كان آخر من بقي في الميدان والتجأ الى منزل أحد أصدقائه فغشه هذا

الصديق وسأسله في القيود والاعلال وسلمه للشر يف راغب وكان يجول في الجبال مع عربيه يقتش على  
الفارين وانهزم أيضا في هذا الوقت بكر ورج في نواحي الظهران وصار غريفا في وسط النيران فأخذ أسيرا  
وصار إرسال هذين الشريكين الى محمد علي فأذاقهما وبال كاس الموت على ما حصل منهما من الخيانة  
لسلطانهما فاما بكر ورج فان محمد علي قتله شر قتلة ومثل به أقبح مثله وصاروا يقطعون جسمه قطعة بعد  
قطعة وهو لا يتكلم بلفظ ولا يتفوه بكلمة حتى خرجت روحه وقطعت رأسه من الباقي من جسمه وأما  
الشينج طامي فانه صار إرساله الى القاهرة وطافوا به في شوارعها راكبا على جل معلة في كتفه شبكة  
فيها رأس بكر ورج ثم بعث به من القاهرة الى القسطنطينية وفيها قطعوا رأسه بمجر دوصوله اليها

ومن بعد أن تغلب محمد علي باشا على جميع رؤساء الوهابيين الموجودين في الجهات الجنوبية رغب أن  
يفرق في ثروات بلاد اليمن وأموالها وكنوزها فن ثم فتح مخابرة مع امام صنعاء الآن العساكر تأملوا من  
شدة ما لقوا من التعب والسكدور وأأن المسئلة تم أمرها وانقضى نحبها وأظهر وارغبتهم في العود الى  
مكة فوطد خاطرهم وبدل أن يسير الى الجهة الجنوبية سارا الى قندهة وتسلمها بعد مقاومة خفيفة  
من أهلها ثم منها سارا الى مكة بمابقي معه من جيشه وهو ١٥٠٠ نفس مجردين من النقود والملابس  
وهؤلاء بقية جيش كان مؤلفا من ٤٠٠٠ مقاتل ثم زار في شهر ابريل المدينة وكان طوسون حاكما  
فيها وذلك لاجل تفقد أحوال الجهات الشمالية من الحجاز والاهتداء الى ما يلزم من الاجراءات اللازمة  
لتوطيدها في المستقبل الآن الأحوال التي في مصر اقتضت عوده اليها وذلك أن قبطان باشي  
السلطان كان هجم على الاسكندرية وكذا حصلت ثورة من العساكر الالبانية في القاهرة بعد  
رغبتهم في الدخول في التعليمات العسكرية والتدريبات الحربية على حسب النمط العسكري  
الاوروباي ولما وصل محمد علي باشا عاصمته في شهر يولييه سنة ١٨١٥ بعد أن غاب عنها سنتين ووجد  
كل شيء في حالة من الارتباك والقلق

وفي هذه الحالة ترك محمد علي باشا الباقي من حرب بلاد العرب في أيدي طوسون وبينما كان أبوه مجريا  
الحركات الحربية في اخضاع القبائل والعشائر الجنوبية كان طوسون مجريا أيضا أعماله الحربية في  
الجهات الشمالية ضد عبد الله بن سعود ولما صارت أخبار محمد علي باشا معروفة عند قبائل العرب  
الموجودين في حدود نجد هرع مشايخها الى المدينة وقدموا أنفسهم خاضعين الى طوسون وانضموا معه  
على الوهابيين وارتجت شوكة الوهابيين في هذا الوقت وتلك حالها في كثير من الجهات فن ثم تعشم  
طوسون بأنه صار له قدرة على التغلب على اقليم نجد كي يقارن شهرته بشهرة أبيه فجمع جملة صغيرة قدرها  
٢٥٠٠ نفس ومن بعد أن سار مدة ١٠ أو ١٢ يوم وصل الى مدينة رأس وهي مدينة كبيرة  
محصنة بسور استحكامات وهي من أعمال قاسم قتل هذه المدينة مع عدة قرى أخرى الا أنه وجد نفسه  
في موقع مهدد غير ثابت وظهر له أن ما أجرا من حركته هذه كان على غير رأى وتدبير لان العساكر  
الخفيفة الحركة للوهابي أحاطوا به من كل جهة وجعلوا له ولعسكره قرينين أو ثلاثة يأخذون منها  
اجتياحاتهم اليومية وضبط الوهابي السكة الموصلة للمدينة فن ثم أسرع الغيور الفارس توماس كيث  
وهو ابراهيم أغا في رأس ٢٥٠ خيال وسار لمساعدة سيده فاحاطت به قوة كبيرة من الوهابيين  
فقتلوه وقطعوه قطعوا ولم ينج منهم أحد ولا من يعطى خبرا أو يقص أثرا

وفي غضون ذلك لم يمل عبد الله فيما يجب عليه بل سار بجيشه ودخل في اقليم قاسم وجعل



مقره معسكره في شتعاة على مسافة خمس ساعات من موقع خيرة المعسكر فيه طوسون بعسكره وفي أثناء هذه المشككة المهولة عزم المخاطر بنفسه طوسون على أن يتم حركته وينهيها من غير تردد بوقوع واقعة مهما كانت فلم تقبل الضباط ولا العساكر هذا العزم وقالوا له ان من الحزم والتسديد بالناس الذين في موقع مثلنا التبصر في الامور فذلك خير من الحرب وزيادة على ذلك فان محمد علي باشا كتب الى عبد الله بن سعود قبل تركه أرض الحجاز يحضه على الانقياد والطاعة ويقدم شروط صلح في عقد يعمل معه (طوسون) على حسب الموافقة بين الطرفين تخافه في ذلك وتبصر بما فيه الصواب والسلامة وكذا رأى عبد الله من طرفه أن من الحزم تمام الاعمال الى ما فيه الاصلاح وعدم سفك الدماء ورأى أن هلاك ودمار قوة طوسون القليلة لم يعد منها عليه فائدة وان محمد علي باشا ربما يعود عليه بما عنده من الايزادات الكثيرة في مصر ومن ذا يحصل الضرر الا كبر وعرف أيضا طرائق الغش والرشوة الجارية بعرفة محمد علي باشا حتى انه استحوذ على كثير من أصحابه وأتباعه الذين كانوا معه على جامعة واحدة وصاروا موجودين في قلب عساكر أعدائه

ومن ثم حصلت المخبرات وعقدت محادثة بين طوسون وعبد الله بن سعود تنازل فيها عبد الله عن كل ما يدعيه بخصوص المداين المقدسة وجعل نفسه من أذل رعايا السلطان ونال حربة مرور بجميع الوهابيين من أي طريق يمر فيها عندما يرغبون الحج الى بيت الله الحرام وأعاد طوسون جميع المداين التي تغلب عليها من أعمال قاسم الى عبد الله وطرده من معسكره جميع مشايخ عرب هذه الجهات الذين كانوا خلاصته رايته وكان اليوم الذي صار التوقيع فيه على المعاهدة يوم عيد ومسرات واحتفالات وزيارات عند الجيشين وكانت مواد المعاهدة التي كتبها رئيس قبائل الصحاري العربية في خضوعه وطاعته للباب العالي العثماني هي

الى طوسون أنا واقع على أعتاب أبواب رحمتكم يا استاذي وأطلب من الله ومن سموكم أن تقبلني في عداد الرعايا الصادقين الخاضعين للسلطان ومن الآن فصاعدا نكون جميعنا منقادين لاوامره خاضعين لسلطنته داعين لجلالة شخصه كل يوم جمعة على منابر مساجدنا وفوق رؤس شواشي جبنا وانه لا يحصل من جهتنا عصيان ولا ثوران ولما صارت قراءة هذه المواد على الوهابيين أجابوا جميعا بصوت ملاءم الخلاه والفضاء ودمر خوانم نحن طائعون خاضعون ثم زعق جميع عساكر الجيشين يعيشتا سلطانتا الاعظم وجيشوشه المنصورة وأهدى طوسون الى عبد الله اشارة الى طاعته برنساوسيفا وعدة خميول محلاة بسروجها وقال وقت تقديعه السيف له خذ هذا محبة في صدقتك وهو الحامي لك والمدافع عنك مادمت صادقاً في مواعيدك وقولك وان خالفت أو امر مولانا السلطان كان هذا السيف خرابك ودمارك وبعد هذا زعق الجيش بصوت واحد اللهم انصر سلطانتا الاعظم ووعده عبد الله مرة ثانية بالدعاء والخطبة للسلطان في جوامع بلاد الوهابية

ولما انتهت هذه الاعمال والاهتمامات بالاحوال واستتب الامن والراحة ترك طوسون بلاد العرب في مبادي نوفمبر وتوجه الى مصر وقابل في القاهرة بأجل الاحترامات بالنسبة لدرجة وشجاعته وضربت المدافع ودقت الطبول والبشار وازدحت الطرق والشوارع بملافاة مخلص المداين المقدسة وأما أبوه قائد قابله بغاية الصفاة والبرود ومن ثم كانت مدة اجله قصيرة فعينه قائد فرقة من العساكر كانت معسكره في رشيد لاجل حماية السواحل ومات في السنة التالية في طاعون سنة ١٨١٦ وترك من

بعده ولد اسمه عباس وتولى الاريكة المصرية كما نسيه أئى الكلام عليه فيما بعد  
ومن المعلوم أن محمد علي باشا ما كان مصادقا على ما أجراه ابنه طوسون من عقد مثل هذا الصلح ومن ثم  
وجد له علة وجحة في تجديد الحروب ووقوع الكروب في البلاد العربية والعشائر الوهاية وكتب  
الى عبد الله بن سعود مكاتب كانت على غاية من الاشكال والاختلاف في الاحوال والاعمال وذلك أنه  
كتب يطلب منه استرجاع جميع الكنوز والذخائر والمجوهرات التي كان اغتصبها وسلبها أبوه من قبر  
النبي صلى الله عليه وسلم وطالب منه أن تكون الدرعية تحت مباشرة حاكم المدينة ورفض تأييد المعاهدة  
وعدم قبولها والاقرار عليها ما لم تتنازل الوهايون له عن اقليم الحسا فظهر لعبد الله من هذا أن طوسون  
البرنس الشاب اما ان يكون غشه في هذه المعاهدة أو ان أباه بالنسبة لطلباته هذه الخارقة للعادة مقصده  
اذلاله لا يد يدجى فيه كل ما يفعله ويريد فثم طلب عقد مجلس من أقاربه ومن رؤساء قواده  
وحكامه استقر رأيهم فيه بالاجماع على أنه لم يكن عندهم شئ سوى السلاح اذ ارغبوا المحافظة على دينهم  
واسقلال بلادهم وشرعوا في الاستعدادات الحربية من كل جهة وخرنوا الذخائر والمؤن في القلاع  
والقرى والمدن والتزم مشايخ العربان وبكارا عسكريا على تجديد قسمهم وعهودهم وخطب الأئمة خطب  
الجهاد وحضوا على الحرب ومقاومة الاضداد وولاهوا الترك فيما هم عليه من الغش والخديعة وجعلوا  
ثلاثين ألفا من العساكر وتعين حكامهم من أهل الحزم والتدبير المتدربين في الحروب والوقائع وباع  
الاغنياء أملاكهم وما تحت أيديهم وصرفوها في المشتريات اللازمة للجيش وأجروا كل ذلك  
محببة في وطنهم مع غاية الحمية والحماس وقالوا ان الله ينصرنا لانه قزوين له بالوحدانية وتويع زنا على  
الذين يشركون معه آلهة أخرى وكشف عبد الله أقاليم ملكته بنفسه وجاء اليه الامداد  
والعساكر من البحرين والحسا وانضم اليه بعض قبائل من عمان وأرسل له عرب اليمن ٢٠٠٠  
مقاتل مساعدة له على عدوه

وأما محمد علي باشا فانه أخذ في الاستعدادات الحربية ولما أخذت الاحوال في مصر من المماليك أمر  
بترتيب حملة قوية لارض الحجاز وعهد قيادتها الى ابنه ابراهيم باشا وكان برنسا على غاية من الشجاعة  
والاقدام وأظهر علو مجده وسعيادته في حربه مع المماليك واستمر محمد علي مشغولا بنقل الذخائر والمؤن  
والمهمات مدة ستة أشهر كمالات وفي سبتمبر سنة ١٨١٦ ترك القائد ابراهيم مدينة القاهرة مع  
٢٠٠٠ من المشاة راكبا النيل على قنسا على القصير حتى نزل في ينبع وأرسل محمد علي باشا من خيالة  
عربان بركة ١٥٠٠ خيال من طريق البر الى ينبع وكان في حاشية ابراهيم باشا بعض من الضباط  
الفرنساوية والفرانس المشهور الشريف راغب العربي وكان أرسل في السابق الى القاهرة مغلولاً في  
الحديد والقيود فاستبق محمد علي باشا حياته مؤملا حصول النفع منه في أثناء الغزوة في بلاد العرب وكان  
من الاوامر التي مع ابراهيم باشا من أبيه اجراء الهجوم على الدرعية من طريق المدينة وقاسم فوصل  
ابراهيم باشا مدينة النبي عليه الصلاة والسلام من بعد نزوله في ينبع بعشرة أيام ودخل الحجر النبوية  
ونذر على نفسه أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يغمد سيفه ولا يشرب خراولا ما حرم الله من  
المشروبات حتى يمحى أعداء دينه بالكلية ويصب عليهم كل داهية وبليية وما زال محمداً في سيره من  
طريق طوسون حتى عسكر في ناحية اسمها حناقية وصرف فيها عدة أسابيع في مناوشات ونهب  
وسلب وانضم اليه بعض من رؤساء العربان ومشايخ القبائل والبلدان ومن ضمنهم غانم شيخ الحرابي



وجلب معه ٥٠٠ نفس من قبيلته وما أمكنه أن يفعل شيئاً في هذا الوقت زيادة عن التقوية والمحافظة لان عساكره قاست سن شتة ما حصل فيهم من الوباء الذي انتشر فيهم وسقوط العربان عليهم ليس لالان هؤلاء العربان وجدواهم غنمة في العرضي المصري فكانوا يسرقون منه كثير بالليل ويقتلون ويقطعون أرجل الخيول والجمال

وأما عبد الله بن سعود فكان معسكراني نواحي عنزة وأضمر في نفسه على رأى جسورى يفعله وذلك أنه سار مباشرة الى المدينة في ٣٠٠٠ مقاتل من رجاله ونزل أخوه فيصل على مكة وجدة وينبع لاجل توقيف وتعطيل العساكر والذخائر الواردة من مصر فتولد من هذا المشروع حصول ثورة وقعت بينه وبين محالفيه من مشايخ العربان وهزيمة الجيش الذي كان قائداً عليه بنفسه ومقداره ١٠٠٠ نفس وكانت مدينة رأس هي أول مدينة استعادت لحصول مقاومة شديدة ومدافعة عتيدة وقت تقدم ابراهيم باشا وكانت على غاية من الحصانة والاستحكام وأجهداً أهاليها أنفسهم في ظهور شجاعتهم وبسالتهم وكان النساء في وقت المدافعة يساعدن شجعانهم المدافعين وصار صد المحاصرين في كل جهة من جهات المدينة ومات من المصريين في هذه الواقعة ٣٠٠٠ نفس وأخذ الوباء فيهم يومياً في الزيادة فكان المصريون يظهرون كثيراً من رؤس قتلى الوهابيين لاهل القلعة ومحافظيها ليقعوا في قلوبهم الخوف والرعب وعلى أمل خضوعهم وتسليمهم المدينة فما كان يزيدهم هذا الانفور وشوقها الى الانتقام من المصريين زورا

ولما رأى ابراهيم باشا نفسه أنه في موقع صعب والتغلب على هذه المدينة تعب ونصب المجبر على رفع الحصار بعد أن قضى في الحصار عليها ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً وكند نفسه وأتعب نهاره وأمسه ثم جاء على غير طائل ومع هذا فكان ما وقع له في هذه المرة عين ما وقع لآبيه لان طالع كان مشـل طالع أبيه وجاءه سعد على حين غفلة فصارت قدمه بسرعة من نصرة الى نصرة حتى غسل من دماء الوهابيين العار الذي اكتسبه جيشه تحت أسوار مدينة رأس وذلك أنه تسلم خيرة بعد أن أطلق عليهم انيران المدافع بضع ساعات ومثلها عنزة وهرب مخافطوها من دون أن ينتظروا شروط التسليم وبهم هذه الحالة صارت جميع مدائن وقبائل وعشائر نواحي قاسم خاضعة للمصريين وصار عبد الله بن سعود يتهق من موقع الى آخر أمام المحاربين له ورأى أن جميع قلاع القوية وقعت في أيديهم واستحوذوا على بريدة وشقرة وضرامة بعد أن حاصروا هذه المدائن على التدريج وخرّبوها وكانت شقرة مدينة تجارية طريفة معدودة من ضمن القلاع القوية في المملكة الوهابية وتولد مما حصل من العناد في مدينة ضرامة في المدافعة وعدم التسليم انتقام المصريين منهم والبطش بهم وذلك أنهم قتلوا جميع ناسها وسكانها بالسيف وأصدر ابراهيم باشا أمره للعساكر بحرق منازلهم ومساكنهم وفي ظرف ساعتين انتهى شغل هذه المهمة التي صار اجرائها من غير تبصر في الامور وعواقب المقدور

وفي هذه الحالة صار لا يوجد أمام ابراهيم باشا شيء لانتقام مظفراته سوى الدرعية فسار اليها بقوة معدادها ٦٠٠٠ نفس ووصل اليها في ٦ ابريل وأحاط بها من جميع جهاتها وأقام حولها متاريس البنادق والتحصينات وعمل جميع الاستعدادات اللازمة لحصار نهائي وهذه المدينة هي العاصمة الاصلية لتجدد مقرر سلطنة الحكومة الوهابية وواقعة على مسافة ٤٠٠ ميل من جهة شرق المدينة المنورة وفي وادٍ خصب يقال له وادي حنيفة كثير الثمار والحبوب يسقي بنهر صغير اسمه الباطن يجف في

فصل الصيف ويجري في مدة فصل الأمطار على امتداد عظيم وموقع هذا الوادي في حد ذاته الطبيعية من أحسن المواقع لأن الجبال محاطة به من كل جهة ويتوصل إليه من خورين الغربي منه ماضيق جدا بحيث لا يمكن أن يعبر منه إلا بجل جمل وقت السير ويمكن حفظه من هجوم الأعداء بأقل عدد من المحاذين وأما المدينة فهي مركبة من خمس قرى صغيرة تسمى بالأرباع كل منها محاطة بسور محفوظ ببطيوانات وضواحي المدينة غير مستحفظة بل مستورة بالبساتين والأشجار المثمرة والمسكن والمنازل مبنية بالخصوص من الأحجار والطوب وسوقها عبارة عن دكاكين مصنوعة من الغاب كى يمكن نقلها مع الخفة والسهولة من جهة إلى أخرى وبها ثمانية وعشرون مسجدا للصلاة وثلاثون مكتبا ومدرسة للعلم وقراءة القرآن الشريف إلا أنه لا يوجد بها حمامات ولا خانات ولا وكائل لنزول المسافرين وكان تعداد أهلها المضروب المثل بكرمهم وحنائهم نحو من ١٣٠٠٠ نفس

وقضى إبراهيم باشا خمسة شهور في حصار هذه المدينة الجبلية وكلا الحزبين على غاية من الشجاعة والبراعة والبالة والأقدام في المخاطرات الحربية وعمليات الحصار والمدافعة اليومية وبذل عبد الله ابن سعود مجهوده وما في طاقته بالقول والفعل والعمل في تشجيع عساكره وفرق فيهم النقود والمكافأة الجارية وكان النساء يخترقن صفوف ونيران أعدائهن المحاصرين ويحتملن عن المياه اللازمة لشرب الجرحى وفي غضون هذه المدة تقدم إبراهيم باشا في حصاره نوعا فاتفق أن النار شبت في مخازن الذخائر الحربية على حين غفلة فأنكسرت قلوب عساكر عرشي إبراهيم باشا واعتدوا خيبة مشروع هذا الحصار وعدم نجاح الغزوة وذلك أن ٢٠٠ برميل من البارود ودانات القنابر فرقت في وسط معسكره وصار المعسكر خاليا من المواد الحربية وأمامه وخلفه أعداء الوهابية وموجودا في بحراء بعيدة عن مصر عسافة ٥٠٠ فرسخ ومن هنا صار لا يوجد عند المصريين محصول سوى شجاعتهم وسيوفهم حتى تأتت بهم ذخائر جديدة من المدينة المنورة أو من محاطة المجاورة فأرسل كل من حاكم بغداد وحاكم البصرة قوافل وجملات كبيرة من المؤن والذخائر ووردت الذخائر الحربية وذخائر الطوبى بحجة من القاهرة على التوالي فجدد إبراهيم باشا مشروع الحرب

ولاجل تشجيع عساكره وتقوية قلوبهم أمر بمكافأة خمسين غرشا لكل عسكري يأتيه برأس أو زوج آذان من عربان الوهابية

وفي أثناء ذلك رأى عبد الله بن سعود أن عاصمته لا يمكن جبايتها مدة ما من الزمن ووقعت الخسارات والتلفيات فيما كان يخرج منه من الطلائع خارج القلعة ضد المحاصرين وأسرا المحاصرون اثنين من أولاده وقتل واحد منهم ما ووقعت جميع القلاع الموجودة على الجبال وفي البساتين والموجودات على شواطئ النهر الجفاف في أيدي الهاجسين وسلم ثلاثة من خمسة أخطاط المدينة وما بقي انقطعت عنه المواصلات حتى صاروا لا يتمكنون من مساعدة بعضهم ببعض بالمؤن والذخائر وفي مثل هذا الموقع الخطب المقطوع منه اليأس استمر عبد الله مع ٤٠٠ من عبيده في غاية المساومة والمدافعة في سرايته وعزم على فقد حياته على أطلال مملكته إلا أنه انجبر أخيرا بواسطة زجاجة لاهالي وما حصل عندهم من الجزع والخوف على أن يرفع راية الماركة ويطلب عقد مجلس للداولة فيه عن عقد هدنة فسمح له إبراهيم باشا بذلك وتوجه عبد الله مع ٢٠٠ من حواشيه وأتباعه إلى نعيمة إبراهيم باشا وقدم له مواد الخضوع وشروط التسليم فقبل إبراهيم باشا منه ذلك وعرفه أنه لا بد من توجهه إلى القاهرة



حسب التعليمات والاوامر الصادرة له من أبيه فأوجس عبد الله في نفسه خيفة لكنه رأى أن هذا أقرب الاشياء لتمهيد الاحوال وانتهاء سفك الدماء وزوال المصائب والا كدار فقبل عبد الله السفر بغير مناقضة الى مصر

ولاجل وثوقه واعتماده بالاطمئنان والراحة التي قدمها له ابراهيم باشا وخلاص عائلته وعاصمته من الحرب والدمار ناوله ابراهيم باشا في ذلك من سبيل الامان فترك سرايته بجري في اعبات ودموع أهله وأصدقائه وسار قاطعا الصحراء مع حاشية قليلة من أتباعه وأعوانه حتى وصل القاهرة وقابله محمد علي باشا في ١٧ نوفمبر سنة ١٨١٨ بعد الميلا مع الاجلال والاعزاز ورحب به وبعد قليل أرسله الى القسطنطينية مع خفر من التاتار ولما وصل اليها لم يجد من يرجه فيها فاطافوا به في القسطنطينية ثلاثة أيام في شوارعها مع اثنين من أتباعه وهما كاتبه وخازن داره ثم قطعوا رؤسهم في ١٩ ديسمبر سنة ١٨١٨ في ميدان جامع آية صوفيه وكافأ الباب العالي محمد علي باشا وابنه بأجل المكافآت وأهدى اليه هدايا ثمينة جليلة

ولما وصلت الاخبار الى الدرعية بموت عبد الله بن سعود انفجر الهياج واحتل النظام فأمر محمد علي باشا بجمع عائلة عبد الله بن سعود وأقاربه وارسلهم على الفور الى مصر فأرسل نحو من ٥٠٠ شخص منهم اخوانه وأعمامه وأولاده الى القاهرة ورتب لهم محمد علي باشا واتب شهرية تقوم بحياتهم الدنيوية والله يوفق مملوكه من يشاء وهو القوي العزيز

وفي أثناء محاربات ابراهيم باشا في نواحي بلاد العرب نظم محمد علي باشا عساكره من الامة المصرية وأدخلهم في سلك قواعد التعليمات والنظمات الاوروباية ولما تم له شغل الحرب في بلاد العرب عزم على التغلب على بلاد النوبة وسنار فجند فرقة من العساكر بمقدارها ٥٠٠٠ نفس وبعض العربان وقليل من المدافع وعهد قيادتها الى ابنه اسماعيل باشا فاسار اسماعيل بهذه الفرقة على النيل حتى وصل الى سنار عاصمة كردفان متغلبا على كل ما مر عليه ثم وقع الوباء في رجاله وحاق به رداءة أفعاله فرجع على أعقابيه حتى وصل قرية شندى على البر الشرقي للنيل وصار يجمع الاموال والنقود وطلب ممالك شندى وتلك البلاد وكان اسمهم غر فطاب منه مالا ملء قاربه فاستعطف له غر فضر به بشيق دخان كان في يده على وجهه فاضمر له غر الانتقام وحرقه ليل لاملع حاشيته في لهيب النار وهرب غر الى بلاد الحبش ولم يعد ثانيا الى بلاده فأرسل محمد علي باشا صهره أحمد بك الدفتر دار فتغلب على الاقاليم النوبية والجهات السودانية

ورتب محمد علي باشا جيشا قويا وعمارة بحرية محكمة الوضع والنظام على منوال القواعد الاوروباية وجعل ضباط كل من العساكر البرية والبحرية من الاوروبايين وعلى الخصوص من رجال الفرنسيات وانشأ المين والارصفة ومعامل السلاح وورش الملابس ومواد أخرى داخل القطر المصري وفتح المكاتب والمدارس لتعليم العلوم والصنائع في جميع أنحاء القطر المصري وجلب المعلمين العسكرية وأرباب السياسة المدنية لتعليم المصريين وحضر محمد علي باشا الديار المصرية واعتنقها واعتنى بتربية أولادها كضانة الام ولدها وصارت البلاد تحت حكمه قوية وتمتعت بدرجة الهدوء والداخلية واستتباب الامن والراحة ونجاح عام وفوز تام حتى كأنها ما كانت تعرف الحسرة والفوضى من قبل ولا الاختلالات والفلاقل الداخلية التي كانت متسلطنة فيها من قرون عديدة مضت

وفي مدة الاختلالات البحرية قيمة والثورات اليونانية من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٧ أرسل محمد علي باشا سنة ١٨٢٥ جيشا مضريا واسطولا بحريا لمساعدة السلطان وكان له نصيب كبير في وقائع هذه الثورة وسند كرم مناصلات تاريخها في المملكة البحرية قيمة في أول الجزء الثاني من هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب الآن الاسطول البحري أبيد جميعه في حرب نفريته في شهر أقطوبر سنة ١٨٢٧ بعد الميلاد

وكان الغرض الاصل الحقيقي لمحمد علي انتقال مملكته أو إياها إلى مملكة مستقلة وراثية فشرع في الحال بعد غلاق الحرب البحرية في عود أسطوله البحري زيادة عما كان عليه في الاصل من العدة والعدد على منوال قوى وطرزهم وزاد في قوة جيشه وكانت مملكة السلطان أخذت في الضعف الشديد مما قاسته من الخسارات والاتلافات التي حصلت فيها من ابتداء فتوح هذا القرن وصار الوقت مساعدا لمحمد علي باشا على أغراضه ومقاصده فأتم عليه السلطان باشوية جزيرة كريد مكافأة له على ما أجزاه من خدماته الجليلة في الحروب البحرية فطلب محمد علي أيضا من السلطان باشوية سوريا فرفض السلطان محمود قبول هذا الطلب فن ثم عزم محمد علي باشا على التغلب على سوريا واعتل في ذلك بمشاحنة حصلت بينه وبين عبد الله باشا والي عكا ودخل في تلك المملكة وذلك أنه أمر بتسفير جيش مؤلف من ٤٠٠٠ مقاتل تحت قيادة ابنه إبراهيم باشا القائد المقدم المتدرب في الحروب والوقائع فدخل بعساكره ومدافعه في فلسطين وتغلب على غزة وباقها بعد مقاومة خفيفة ثم سار إلى عكا فوصلها في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ بعد الميلاد وحاصرها برا وبحرا وتسلمها في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ بعد مدافعات عتيبة ومحاربات شديدة وأسرت القوى المصرية في التغلب على فلسطين وسوريا وهزم إبراهيم باشا الجيوش التي أرسلها السلطان لمقاومته وصدده وكانت هزيمة هذما الجيوش على التعاقب وذلك أنه تقابل في حصن من أعمال سوريا العليا في ٦ يولييه سنة ١٨٣٢ بالجيوش العثمانية تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فهزنها إبراهيم وبدد شملها وتغلب على حصن وكذا في بيلان (في صليصيا بالقرب من ميندان الواقعة القديمة التي كانت حصنات في عيصوص) في ٢٩ من الشهر المذكور وفي قونية في آسيا الصغرى التقى مع رشيد باشا بجيوشه العثمانية فهزموه وشتت شمل جيوشه وأسره وكان رشيد باشا هذاهو الصدر الأعظم في الدولة التركية العثمانية وبه هذما إبراهيم باشا أستاذ آسيا الصغرى تقريبا واستعد للتعهد نحو القسطنطينية وكان ولا بد من وقوعها في يده لولا أن تداخلت الدول الأوروبية وأرغموا محمد علي باشا على قبوله الحكم الذي قرره له السلطان باشوية كريد مضافة إلى مصر وأضاف الدولة أيضا باشوية أورشليم وطرابلس وحلب ودمشق وأدنه وعقد الدول بذلك معاهدة في ١٤ مايو سنة ١٨٣٣ وهي معاهدة كوتاحية وأن يكون محمد علي باشا حاكما عبدا للباب العالي ووقع الدول على هذه المعاهدة في ٨ يولييه سنة ١٨٣٣ وكانت هذه نصرة جليلة لمصر واذلال فاضح قبيح للسلطان وصار ذلك تغلبا حقيقيا على جميع الممالك التي تحمل سليم الأول مشاق التعب في التغلب عليها وأضافها إلى الممالك التركية العثمانية

وشرع إبراهيم باشا من هذا الوقت في اجراء الاحكام ومباشرة الاعمال في سوريا وفلسطين وجعل مقره في أنطاكية وبني فيها سراية وقشلاقات عسكرية ووظف اسمعيل بك على حلب وأحمد منسكي باشا على أدنه وطرسوس وجعل القيادة العسكرية لنفسه



وما زال محمد علي باشا ياتفي أمره عازما في مقصده على أن يجعل ممالك سلطنة مستقلة فاشتد الغضب في وجه السلطان محمود الثاني وكذا رفض محمد علي باشا دفع الخراج المرتب سنويا على مصر للباب العالي وتجاهر بقوة وشهامة وطرد الخفر السلطاني من عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم واستبدله بخفر آخر من العساكر المصرية العربية وظهر من فعله هذا أنه خلع طاعته مجاهرة بخلالة السلطان المعتبر أنه خليفة الاسلام والمسلمين وتولد من ذلك أن صارت الحالة في غاية من الاشكال ومن بعد مخبرات عديدة أرسل السلطان فرمانا لحاكم مصر بأمره بإعادة الخفر التركي على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأن يسرع بدفع الخراج السنوي المقرر على مصر ويعترف بعبوديته للسلطان فرفض محمد علي باشا مع الشدة والحدة هذه الطلبات وأعلن السلطان بانتساب الحرب على عبده العاضى في سنة ١٨٣٩ وقرر المجلس في الاستانة بتجنيد حملة مؤلفة من ٨٠٠٠٠ مقاتل منهم ٢٥٠٠٠ من عساكر الباشبوزق وأن تكون تحت قيادة حافظ باشا ولما نالت الاخبار الى محمد علي باشا باستعداد الباب العالي كتب الى ابنه يحضه على المدافعة فأخذ ابراهيم باشا في اجراء الاعمال الدفاعية والاستعداد لهزيمة العساكر السلطانية وعبر الجيش التركي نهر الفرات تحت قيادة حافظ باشا وكان على غاية من التظيم وحسن النظام وتقابل مع القوة المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا في فواحي ترزب في ٢٥ يونيه سنة ١٨٣٩ فترك معظم الايات الجيش العثماني البيروقراطي وتوجهوا مع المصريين وما بقي من القوة التركية في ميدان المحاربة هزمت ابراهيم باشا وغنم مدافعها ومهماتهم وذخائرهم وفي ٦ يولييه سنة ١٨٣٩ أمر السلطان بتسفير أسطول من القسطنطينية مؤلف من ست وثلاثين سفينة لاجل الهجوم على مدينة الاسكندرية فوصل الاسطول الى الاسكندرية في يوم ١٣ من الشهر المذكور وسلم نفسه في الحال الى المصريين بخيانة قائده

وفي هذه الحالة صارت تركية تحت عفوا لحكومة المصرية مرة أخرى وصار لابد من سقوط القسطنطينية لولا أن تدخلت الدول الاور وباوية ثانيا وطردت الاساطيل الانكليزية بحفاظي المصريين الموجودين في المين السورية وساعدت الاساطيل الانكليزية الجيوش العثمانية في تغلبهم ثانيا على سورية وأرغم الدول محمد علي باشا على أن يرد الاسطول العثماني الى الدولة ويسحب عساكره من كريد ومن آسيا الصغرى وحصل التوقيع على معاهدة عقدت في لوندن في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بإثبات مصر لمحمد علي باشا ومن خلفه مباشرة من صلبه وأن يرد جميع ما تغلب عليه في حروباته مع السلطان وأن يدفع خراجا سنويا مقررا الى السلطان ويرسل لمساعدته حسب الطلب عساكر برية وعبارة بحرية

واستمر محمد علي باشا كما في مصر الى سنة ١٨٤٨ وهو يدير أشغالها وينظم أعمالها وأحوالها الخيرية ومن ذلك انشاؤه القناطر الخيرية في رأس الدنا على كل من فرعي دمياط ورشيد وقد وضع أساس هذه القناطر بيده في سنة ١٢٥١ هجرية أو سنة ١٨٣٥ مسيحية وأحاط مدينة الاسكندرية بالاستحكامات والاسوار القوية وحفر الترعة والخجان الري وحفر في سنة ١٢٣٥ هجرية أو سنة ١٨٢٠ ميلادية ترعة المحمودية نسبة الى السلطان محمود واصله من النيل الى الاسكندرية على أصل الترعة الاشرفية القديمة

ولما بلغ عمره ثمانين سنة أدركه اجتهال في العقل وضعف في المزاج وازدادت فيه ظواهر الخرف فجعل

ابنه ابراهيم باشا في محله الا أنه مات من بعد مضي شهرين في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ميلادية  
ثم صار عباس باشا ابن طوسون باشا المشهور في حرب الوهابية والى مصر بعد عمه ابراهيم باشا وفي حياة جده  
محمد علي باشا وكان حاكم القاهرة تحت ادارة جده وكان حصل منه جرائم عنيفة وأعمال عنيفة أوجبت  
عليه غضب عمه ابراهيم فلما تولى ابراهيم باشا واليا على مصر في حياة أبيه أرسل عباس باشا نفيا الى  
البحر وعجز ما بلغته الاخبار بعوت عمه وتوليةته الاربيكة المصرية جاء مسرعا من الاراضي الخيرية  
واسلم أحكام البلاد وفي مبادئ حكمه توفي جده في ١٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ ميلادية ودفن  
بجامعه الذي أنشأه بقلعة مصر القاهرة

وكان عباس باشا مسلما حقا فاجتهد في ابطال جميع التمدن والحضارة التي شيدها جده وشيد سرايات  
وقلاع في نواحي العباسية والدار البيضاء ونواحي جبل الطور ليقم فيها المدد التي يقيمها تاركا حكومته  
وبعيدا عن مصر وألغى مدارس التعليم التي كان شيدها جده وأنشأ بدلها المدارس الحربية المفروزة  
بنواحي العباسية (لقب عباس) ماعدا مدرسة المهندسخانة ببولاق ومدرسة الطب البشري التي  
بالقصر العيني فإنه أقامهما ثمانية وكنت أنا تلميذا في مدرسة المهندسخانة هذه وألغى الجيش الاقليل  
والورش والمعامل بقصد الاقتراد والوفر وكان العدو والادور وبواوين ورفق جميع من كان  
مستخدما منهم في الحكومة واجتهد في اخراجهم جميعا عن المملكة ورفض جميع الرخص والمنح التي  
تعطى للادور وبواوين ما عدا واحدة فقط وهي كونه سمح لشركة انكليزية في انشاء سكة حديدية من  
الاسكندرية الى القاهرة الى السويس وحصل الشروع في العمل

اطيفة كنت أنا في مبادئ الشروع في السكة الحديدية تلميذا صغيرا في مدرسة الهندسة التي  
كانت في بولاق تحت نظارة علي مبارك باشا وكنت جاري في تدريس العلوم الاولى من العلوم الرياضية  
فصدا رآه عباس باشا باخذ جماعة منا كهندسين في السكة الحديدية هذه وكان ناظر عموم المدارس  
وقتها جده باشا فوصل الى مدرستنا هذه وانتخب منها عشرة من دون أن يعرف أن كانوا على علم من العلوم  
الرياضية أم لا وكنت أنا من ضمن العشرة فتوجه خمسة وكنت أنا منهم الى الاسكندرية وبقى خمسة في  
القاهرة ومن حيث اثنا الخمسة صغار السن ومات منا العلوم الرياضية حتى نكون في درجة المهندسين  
مكثنا شهرين وقاسينا العذاب والبرد والجوع وأخيرا صدر أمر عباس باشا بعودنا ثانيا الى المدرسة  
لإتمام علومنا فأثرنا محافظ الاسكندرية في مركب من ميناء البوصل بالاسكندرية فوصلنا ساحل بولاق  
من بعد مضي خمسة وأربعين يوما من نزولنا لان الاوان كان شتاء وبردوا وأهوية مريسية بعد أن  
ذقنا الويل والعذاب الاكبر

وفي سنة ١٨٥٢ صدر فرمان من السلطان الى عباس باشا أمره بادخال النظامات في مصر أو  
القانون الاساسي التركي ولم يحصل من هذا القانون فائدة مهمة لالامة المصرية زيادة عن الفوائد المهمة  
التي كانوا متمتعين بها من قبل الا أنه منع الحكم الاستبدادي للوالي ومع هذا فما كان لهذا القانون  
تأثير أبدا لان عباس باشا رفض في الابتداء قبول هذا القانون الا أنه انجبر أخيرا على الطاعة والانقياد  
لخلاصه مما كان واقعا فيه تحت المسؤولية لدى السلطان فيما كان يجبر به من أعماله العنيفة القبيحة  
لاهل وأقاربه وتسلطه على عمد البلاد والاكابر والاعيان والاعنياء ونفهم من بلادهم وارسالهم الى  
نواحي الاقاليم السودانية والبحر الابيض وجهات سنار وفيزوغلي وبذل انعاماته التي كان يبدلها في



القسطنطينية وجهز مرصاة لحواطر السلطان وحسب الفرمانات فرقة من العساكر مؤلفة من ١٥٠٠٠ نفس اعانة للجيش التركي في حرب القرم وأرسله بالغ جثة من النقود الى الباب العالي ومات بفاة في سنة ١٢٧٠ هجرية أو في ١٢ يوليوس سنة ١٨٥٤ ميلادية في سرايته في مدينة بنها العسل وكان توعده برئيسية من عائلته بقتلها فمن المعتقد أنه قتله اثنان من المماليك الذين كانوا في خدمتها ونجا الاثنان بحياتهم ما لم يعلم لهما مقر

وتولى زمام الاحكام من بعده محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا وكان حازم الرأي أحسن من سلفه وابتدأ في حكمه بإبطال شوكة المديرين ومشايخ البلاد وعدم تسلطهم على العباد ورتب جيشا جديدا أدخل فيه أجدود طريقة وهي القرعة العسكرية الا أنه ما كان على رأي ثابت في بقاء الجيش ولا في دواوين الادارة بل كان كل يوم في تغيير وتبديل وانشاء ونقض وابرام والغاء ورتب طريقة عادلة في ترتيب وتوزيع الضرائب والعوائد وخص البائعي المحصولات أن يبيعوا محصولاتهم لمن يشترىها غير الحكومة وشرع في اصلاحات عديدة مهمة داخلية منها تطهير ترعة المحمودية وكان طمها وعلفها الطمي والوحل فأمر بنزعها وتطهيرها وعمل على قناتها من جهة النيل آلات بخارية ميكانيكية لرفع المياه من النيل في أيام التحريق ورميها في الترعة لاجل سهولة سقي المزروعات واعطاء المياه الكافية لاحتياجات مدينة الاسكندرية واستقر في مد خطوط السكك الحديدية والخطوط البرقية والتلغرافية بين القاهرة والاسكندرية والسويس وهو أول من اجتهد وبذل ما في طاقته في فتح خليج السويس الموصل للبحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر ومن أجل هذا لقب أحد طرفيه باسمه وهو بورت سعيد نسبة الى محمد سعيد باشا وأنشأ القلعة السعيدية في السنة الثانية من تقلده زمام الاحكام المصرية تحت القناطر الخيرية في رأس الدلتا ووضع يده الحجر الاول من أساسات أسوارها وكان يومئذ مشهورا وكذا أسس لنفسه قبراً في داخل هذه القلعة الا أنه لم يتم ولم يكن له نصيب في أن يدفن فيه وكان جلاب لهذا القبر قبعة من الحديد من بلاد انكلترا الا أنه لم يصتر كيهما وبقي حديدها مرميا في أرض القلعة مددا طويلا من الزمن وفي مدة حكمه قامت عربان جهات مديرية الفيوم في ثورة فأطفأ بعساكره هذه الثورة بعد أن قتل من العرب ناس كثيرون بالمداقع والبنادق وأخضعهم وجلب كثير منهم ومن رؤسائهم في ايمان القلعة السعيدية ثم توجه الى الاقطار السودانية قاطعا صحاري العظمور المسمى عظمورا بوجه حتى وصل مدينة الخرطوم وتفقد أحوال الاعمال بهذه الجهات وأزال ما وجد من المظالم ثم عاد قافلا الى الديار المصرية وكان على الدوام مشغولا بلغوا الجيش وانشائه وألغى المدارس والمكاتب حتى المدارس العسكرية ومحلات التربية والتعليم واكتفى بترقية ضباط الجيش من العساكر الذين هم تحت رعايته ولولم يكن لهم دراية بالقراءة والكتابة والعلوم العسكرية فمن ثم تولدت البغضاء والعداوة بين ضباط الجيش الذين هم من أصل المدارس من أولاد العرب ومن الترتل والخراسكة وبين الضباط الذين أصعدهم محمد سعيد باشا من تحت السلاح وما زالت هذه العداوة بينهم الى أن ثارت الثورة الوطنية التي

سيأتى الكلام عليها في سرد تاريخ الخديوي محمد توفيق باشا

وفي آخر أيامه زار الحرم المدني وتبرك بزيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وزار بلاد فرانس وسوريا وفي يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هجرية أو ١٧ يناير سنة ١٨٦٣ توفي في الاسكندرية ودفن في المدفن المعروف بالنبي دانيال وهو قبر اسكندرا لا كبروايس قبر النبي دانيال

وفي سنة ١٢٧٩ هجرية أو سنة ١٨٦٣ ميلادية خلف اسمعيل باشا عمه محمد سعيد باشا وهو ثاني أبناء إبراهيم باشا بن محمد علي وكان تربي أجسن تربية في مدارس أوربا مع اخوته أحمد باشا الأكبر ومصطفى فاضل باشا الأصغر وكان أحمد باشا مات قتيلا غريبا في قنطرة كوبري السكة الحديد بجهة مدينة بنها في يوم عيد في مدة حكم محمد سعيد باشا مع جماعة من وجوه الأعيان بمصر وتهدب اسمعيل باشا في العلوم الرياضية والرسوم الخطوطية وجال في أوروبا واختبر أحوالها وعوائد أهلها ولما تقلد زمام الأحكام في الديار المصرية في ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ أو ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ استمر في زيادة حركة الإصلاح التي كانت جارية بواسطة ٤٤ وفي مبادئ توليته وقد السلطان عبد العزيز إلى الديار المصرية زائر لها ومتفقدا أحوالها فلما قام اسمعيل باشا بأجل ترحاب لم يسبق له نظير ولما كان الحرب جارية في غاية التقدم في نواحي أمريته وتولد من ذلك اندرة وجود الأقطان في حركات التجارة انتهز الفرصة اسمعيل باشا وأكثرت من زراعة هذا الصنف في داخل القطر المصري وحض الأمة المصرية على زراعته حتى جعل مصر أحداً - وفاق القطن المشهورة في الدنيا وكان أخصا صاذا ومجبا نافعاً للخليج السويس الذي تم شغله في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ميلادية أو سنة ١٢٨٦ هجرية وفتح بحضور الجمل الغفير من ملوك وأمراء ونواب جميع ممالك الدنيا ودفع مبالغ جمة من النقود لينقل قانون الوراثة من الأب إلى الابن عند الباب العالي

وفي سنة ١٨٦٦ جهز جيشا مؤلفا من ٣٠٠٠٠ نفس إلى الباب العالي لأجل اخلاء الثورة التي كانت حصلت في جزيرة كريد وبعد ذلك بقليل زاد في مقدار الخراج المطلوب منه بطريقة اختيارية من نفسه وفي سنة ١٨٦٧ استحوذ من الباب العالي على فرمان خول له الحق في عمل نظمات حسب رغبته في الإدارة الداخلية لمصر وكونه يعقد معاهدات مع الدول الأجنبية مريعة الاجراء في العمل وطلب من الباب العالي أن ينعم عليه بلقب سلطان أرض مصر فأتم عليه بلقب خديوي ومن ثم طلب اسمعيل باشا من الباب العالي أن يكون لمصر سفراء ونواب في جميع دواوين الممالك الأجنبية فرأى الباب العالي أن مقصده الأصلي هو الاستقلال من الممالك التركية العثمانية فرفض طلبه هذا ولم يقبله فأوغر اسمعيل باشا في صدره الغضب وهدد ديوان الاستانة بأخذ عساكره من جزيرة كريد أو يستحوذ على تلك الجزيرة إن لم تمنح طلباته وصار الحرب بين السلطان وبين عبد الله اسمعيل على شرف الوقوع وشرع اسمعيل باشا في اجراء الاستعدادات الحربية وحفظ السواحل البحرية المصرية وأنشأ على السواحل من الاسكندرية إلى أبوقير إلى رشيد إلى دمياط إلى بورت سعيد الطوابي والقلاع المستحكمة ورم الطوابي والقلاع القديمة وجلب اليها أنواع المدافع الضخمة من عيار ٤٠٠ و ٣٠٠ و ١٢٠ أوقفه من المدافع المسماة أرسترنج مع جميع عياراتها من القل والقبائل المختلفة الجنس والدانات وبذل مجهوده في أشغال هذه القلاع وصرف عليها المصاريف الجمة وكنت أنا في هذه الواقعة باشا مهندس استحکامات وقلاع الساحل من أبي قير إلى رشيد إلى نواحي بورس وصار اسمعيل باشا على غاية من استعداد للحرب مع سلطانه فدخلت الدول الأجنبية في عدم ثوران حرب أو حصول كرب والزعم والخديوي بتنازله عن مطامع أغراضه وأن يخضع وينقاد لحكومة أستاذه وسلطانه

وفي سنة ١٨٦٨ مد اسمعيل باشا سلطته على الممالك الموجودة فوق النيل الأعلى وهي دارفور ونواحيها وذلك أنه أرسل عساكره تحت قيادة اسمعيل أيوب وكان حاكم عموم السودان في هذا الوقت



فتغلب على نواحي بحر الغزال وأخضع قبائل السودانيسة وسار منها إلى دارفور وتغلب عليها وهزم  
عساكرها وأسر ملوكها وأمرها وأرسلهم إلى القاهرة في أسوأ حال مع عائلاتهم وأولادهم وأسكنوا  
القاهرة ورتب لهم الخديوي رواتب شهرية تقوم بحياتهم وفي نفس هذه السنة تخبر في اقتراض قرض  
ودعاهم لوك أوروباني كي يشرفوا بحضورهم فتح قال السويديس فرأى الباب العالي أن أعماله هذه أعمال  
ملك مستقلة وتولد منها الغضب الأكبر عند السلطان فأصدر له أمرا بتقليل جيشه إلى ٣٠٠٠  
عسكري وأن يبطل ما هو جار فيه من أعمال المدرعات الزرخ وإنشاء القلاع والطواحي واستعداد الاسلحة  
ومشتراها وكان عقد معاهدتهم مع انكسار وجهات أمريكية وجلب الكثير منها إلى الديار المصرية وأن  
لا يتدخل في الحال ولا في الاستقبال في المواد السياسية الخارجية ولا يقترض مبالغ من الدول الأجنبية  
وأن يعرض ميزانية مصر وفاته سنويا على الباب العالي لأجل النظر فيها والاقترار على ما فيها في  
القسطنطينية فرفض الخديوي اسمعيل هذا الفرمان وأعلن بأنه لا بد له من قرض مبالغ في الحال وفي  
الاستقبال حسب موافقة الاحوال والاعمال فعزم السلطان على أن يرسل له آخر بلاغ يطلب منه أن  
يختار له واحدة من اثنين اما الحرب واما الانقياد والطاعة فتدخل في هذه المسئلة كل من دواتي  
فرانسوا وانكساره ولم أر أي الخديوي معارضة الدول الاوروبوية له في مساعيهم على استقلاله أعلن  
في ٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ بانقياده لرغوب السلطان وكان منتظرا على الدوام وقت فرصة لاستقلاله  
وفي أثناء المدة اجتمع اسمعيل باشا في أن يجمع جميع الممالك الواقعة في جنوب مصر لخدمته من النيل  
وخط الاستواء تحت سلطته وتنزل له السلطان عن زبلع ونواحيها وبرية ونواحيها على خراج معلوم  
يدفعه سنويا عن هذه الجهات إلى خزينة الباب العالي وتغلب على نواحي هرر وأرسل تجريدة تحت قيادة  
محمد راتب باشا لكريسي لأجل التغلب على بلاد الحبش فكانت هذه الحملة على غير طائل وهلك فيها  
كثير من الضباط والعساكر وأرسل للجهات التي تغلب عليها ما يلزم من الحبوب والبذور لأجل تقديم  
الزراعة فيها وأنشأ في داخلها طرق التجارة وضرب على أهلها كميات وافرة من محصولاتهم من العاج  
والصمغ والجلد وشع العسل والذهب ومد خطوط التلغرافات في عموم الاقطار النوبية والسودانية  
وشرع في مدسكة حديد من الشلال الاول إلى مدينة الخرطوم فلم ينجح في مشروعه هذا وبواسطة مد  
سلطته على البحر الأحمر وخليج السويس صار له قدرة على توطيد الثروة والغنية في تلك الجهات وورود  
منافعها ومكاسبها إلى اقاليم المصرية

واقعد باشا اسمعيل باشا بناء مدينة الاسكندرية وأرضقتها حتى تمت ثم سافر لزيارة الاسكندرية  
وقبول فيها بأجل ترحاب من طرف السلطان وفي هذه السنة احتفل بزواج أولاده الثلاثة وهم  
محمد توفيق باشا وحسين كامل باشا وحسن باشا وكان زواجهم في شهر واحد ومكثوا رتبة الوزارة معا  
وتولد من المساعي والاجتهادات التي أجراها اسمعيل باشا في مصر رضا السلطان عليه مرة ثانية  
ومنحه في ٨ يونيه سنة ١٨٧٣ الفرمان السلطاني الذي خول له جميع الحقوق المعطاة لرتبة  
الخديوية واستبدل موقع مصر من حالة الإمالة إلى هيئة مملكة سلطانية مستقلة تقر بها ومنح له فيه حقوق  
الوراثة لابنه البكري والاستقلال بالاحكام الادارية وعمل المنظمات الداخلية وترتيب جميع وسائل  
المحافظة والمدافعة والنقص أو الزيادة في عدد العساكر وعقد معاهدات تجارية مع الدول الأجنبية  
والاندخال في عقد قروض من الخارج بغير استئذان حسب اللزوم بشرط أن يكون القرض باسم

الحكومة المصرية ومنحه حق التصرف المطلق في المواد المالية وعمل تنظيمات فيما يختص بحالة  
الاغراب ومعاملتهم مع الحكومة المصرية وأتمها إلا أنه غير مخصص بتدخله في عقد معاهدات دولية  
وأن لا يكون له نواب أو سفراء في الخارج وأن النقود والمعادلة التي تضرب في مصر تكون بأمر  
السلطان وأن تكون هيئة العساكر البرية والبحرية غير مخالفة لهيئة العساكر التركية العثمانية في  
البيارق والملبوس وللخديوي أن يرقى في رتب العسكرية إلى غاية رتبة أميرالاي كأسيافه وفي رتب  
الملكية لغاية رتبة ثانية ولا يرخص للخديوي إنشاء مدرعات من الرنخ بغير استئذان وله أن ينشئ سفناً  
خلافها حسب ما يشاء وأن يدفع سنوياً من دون حصول أدنى تأخير الخراج المقرّر سنوياً ومقداره  
١٥٠٠٠ كيس إلى الخزينة السلطانية

وكان لهذا الفرمان تأثير شديد على همة اسماعيل باشا الخديوي فأخذ في مشروعات الإصلاحات  
وتنظيم البلاد ومدسك الحديد والسلوك التفرافية وبناء الابنية والشوارع والبساتين وكثرت أيامه  
توارد الاوروبين في مصر وفي سنة ١٨٧٥ اشترت الحكومة الانكليزية أسهم ترعة السويس  
التي كانت للحكومة المصرية وأمر ببناء دار المجائب القديمة في بولاق ودار الكتب الخديوية في درب  
الجواميز من القاهرة وإنشاء محلات السيارات والملاعب في حديقة الازبكية وبناء السرايات والابنية  
الكبيرة في القاهرة والاسكندرية وتدخل في مشتري الاطيان من الاهالي من الجهات البحرية والنبلية  
حتى تغلب على نحو مليون ونصف من الفدادين قسمها تفتيش وأنشأ فيها فوريقات ومعاصر قصب  
السكر وصرف عليها بالغ مهولة من النقود وشيد شركة النور والمياه في القاهرة وفتح المدارس وعم  
المعارف وحسن المطبعة الاميرية وأنشأ معمل الورق في بولاق وبني الاسماعيليه وزينها بالحدائق وله  
اجراآت كثيرة وأعمال بحسبة وقعت منها الملكة في الديون وعادت عليه بالضرر في الحال وأسقطته  
من عيون الملوك والعمال

وفي مبادئ الحروب التي حصلت بين روسيا واورتراكيا في سنة ١٨٧٧ ميلادية أرسل الخديوي فرقة  
قوية من العساكر المصرية تحت قيادة باشا حسن باشا وكنت أنارئيس أركان حربها ومدير حركاتها  
العسكرية في الوقائع المصرية في جهات بوسنه وهرسك وكذا في انتشاب الحروب الروسية في نواحي  
دوبريجيه من أعمال بلغاريا وحرت في هذه الوقائع نيشان الدرجة الثالثة المجيدى ونيشان الدرجة  
الرابعة المجيدى وميدايتين في الحروب المصرية والحروب الروسية وكان مقدار القوة المذكورة  
٢٥٠٠٠ نفس مشاة وفرسانا ووطوبجية وأخير اصارت هذه الفرقة تحت قيادة ولده حسن باشا في  
نواحي وارنه ولشد اسماعيل باشا في نواحيه بحسن النظام والخفة والابنية كان لا يتظر إلى صرف  
المصاريف الباهظة اللازمة لتنفيذ مشروعاته في داخل المملكة المصرية ولا النظر إلى صرف مرتبات  
الضباط والعساكر الجهادية فتراكت الديون إلى حد كبير جدد على الحكومة المصرية حتى أوجب  
قلق الدول الاوروباية الداخلة في هذه الديون واتفقت على تعيين مجلس سموه مجلس التصفية لأجل  
حصص مدخول الحكومة ومعرفة مقدار مصروفاتها ولما رأى هذا المجلس حصول العجز الكبير في  
مدخول الايراد ألزم اسماعيل باشا الخديوي بتنزله عن أملاكه الخاصة به وأملاكه عائلته وسلمت  
لأرباب الدين وأطلق عليها اسم أملاك الدومين وصادق اسماعيل باشا على تعيين ناظر مالي انكليزي  
اسمه ريفرس ويلسون وأجر للاشغال اسمه دو بلنير فرنساوي ورتب نظارة تحت رئاسة نوبار باشا وفي



أثناء ذلك كانت مرتبات ضباط الجهادية والعسكرية موقوفة الصنف مدة شهر عديدة وتقرر في  
جلسات النظر توفير ورفق البعض من هؤلاء الضباط والعساكر لصد الاقتصار في المصاريف وكان  
نوبار وويلسون ودوبلير متقاعدين سوى زمام الحكومة المصرية وليس للخدوي اسماعيل كلمة نافذة  
فن تم ادخل كل من نوبار وويلسون ودوبلير أحباءهم وأقاربهم وأصحابهم من بلادهم في خدمات  
الحكومة ويرفون من شأوا ويخدمون من شأوا ويجروا على اسماعيل باشا وعلى أولاده عن مباشرة  
الاحكام والحكومة وافترضا ضباط العسكرية حتى آل أمرهم الى السؤال فعرضوا أنفسهم الى  
اسماعيل باشا يطلبون منه صرف مرتباتهم المتأخرة لاجل مساعدتهم على معيشتهم هم وأولادهم  
وعائلاتهم فسماطهم في السر على النظر وكان نوبار رئيس النظر فتواء الضباط مع بعضهم في يوم  
معلوم يجتمعون فيه في شارع ديوان المالية ويقضوا على نوبار باشا وسقوا الزيت الحار وألزموه بصرف  
مرتباتهم وأهانوه مع ويفرس ويلسون ناظر المالية وذهبوا الى ديوان المالية شاهرين سيوفهم  
وكانوا نحو ٤٠٠ ضابط وحصل اللغط والهياج ووصلت أخبار هذه الثورة الى مسامع الخديوي  
اسماعيل فأسرع في الحضور الى ديوان المالية وأخذ هذه الزرية وأمر النظر بصرف مرتبات  
العساكر فصرفها ويلسون ناظر المالية على الفور وتولد ما حصل لنوبار وويلسون من الاهانة  
والاحتماء أن اسمة الا من النظارة وكذا استقال مصطفى رياض باشا من الداخلية وخرج سريعا كما  
هي عادته الى الاقطار البرانية وولى اسماعيل باشا الخديوي ابنه توفيق باشا رئيس مجلس النظر

وفي ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ قلب الخديوي اسماعيل هيئة النظارة وجعلها نظارة وطنية تحت  
رياسة امير يف باشا وأمر بزيادة القوى العسكرية الى نحو ٦٠٠٠ مقاتل وأرسل عمر باشا الطفي الى  
الجهات البحرية لتحصيل نفود ومبالغ ومحمد سلطان الى النواحي القبلية لتحصيل نفود وأموال أيضا  
فصعب كل هذا على دولتي انكتره وفرنسا فاجتهدتا في عزله وخلعه وجبرتا به بواسطة نوابهما في مصر  
على تنازله عن الاريكة المصرية وهددته النائبان كل التهديد وكذلك صارت تهديد السلطان من جهتي  
دولتي انكتره وفرنسا حتى امتثل السلطان لخلعه وكتب بخجاعة تلغرافا له في تنازله عن الاريكة  
المصرية لابنه محمد توفيق وصدر الامر بالتلغراف في السلطان في باثبات محمد توفيق باشا الخديوي الحل على  
الاريكة المصرية من يوم ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هجرية أو ٢٥ يونيه سنة ١٨٧٩ بعد الميلاد  
وفي ٣٠ يونيه سنة ١٨٧٩ سافر اسماعيل باشا منفيا أو متباعدا عن الديار المصرية مع ولديه حسين  
كامل باشا وحسن باشا وعائلته وركب في قطار مخصوص من محطة السكة الحديد بالقاهرة وكان يوم  
نزوله يوم امهولاش نذير الاسف والحزن على فراقه وكان ابنه توفيق باشا من جملة المؤدعين له وسار حتى  
وصل مدينة الاسكندرية ومنها نزل في وابور المحروسة وكان مستعدا لسفره بعد أن خزن فيه كنوزه  
وخزائنه وما غلامنه وقل جملة وتوجه مع محبوبا بعائلته حتى نزل مدينة نابولي من أعمال ايطاليا بعد أن  
رفض قبول نزوله في إحدى ايلات الدولة التركية العثمانية لانه ندم أخيرا وصار يستعطف جانب  
السلطان في قبوله ضمن سكان القسطنطينية فلم يمنحه السلطان هذا الطلب فشرع في ذمه والقبح  
فيه على اسان حريده من جرائد الاخبار ومن بعد اخنات واطفاء الثورة الوطنية المصرية صدر عفو  
توفيق باشا عن أخويه حسين وحسن وعادا الى الديار المصرية ليعيما تحت كنفه وفي أثناء الحوادث  
السودانية هدرا أمر من توفيق باشا بإرشاد الحكومة الانكليزية بتولية حسن باشا حاكم يوم الاقطار

السودانية فقبل حسن باشا هذا الامر واستعد وسافر حتى وصل الى جهة دنقله ولما وجد ان ارجاء  
والمرار بعيدا رجع على أعقابيه من قريب ولما لم يطب له العيش في الحكومة المصرية أخذ رخصة من  
أخيه توفيق باشا وتوجه الى الاستانة طالبا صحتة لانه كان في نوعك من العياء فقابل به السلطان عبد الحميد  
الحالي بالاحلال والاحترام والترحاب ووظفه ضمن القراء الساطانية فبذل حسن باشا جهده ومافي  
وسعه وطاقته عند السلطان حتى رضى على أبيه ورخص له بدخوله في التبطة طينية واقامته بهم تحت  
صكف ورعاية السلطنة العثمانية وها هو مقيم بها جدا الآن ومن بعد دخول اسماعيل باشا في  
القبطنة طينية مات حسن باشا بداء الاستسقاء وأمر السلطان بحمل جثته الى الديار المصرية ودفن مع  
أهله وأقاربه في مدينة الاسكندرية

### (محمد توفيق باشا خديوي مصر)

تولى محمد توفيق باشا الخديوية المصرية وجلس على أريكتها في يوم الخميس السابع من شهر رجب  
سنة ١٢٩٦ هجرية أو ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ ميلادية وكانت أمورها من تبكة وأحوالها  
مختلفة بسبب ما طرأ عليها من المصاعب والآفات من عسر المالية وعدم انتظام العسكرية وما حصل  
من تداخل الإغراب في أحوال البلاد مدة الوزارة النوبارية واشتداد وطأتهم على أصناف العسكرية  
حتى أوجب احكام الضغائن ووقوع التباين في صدور ضباط الجهادية

وفي يوم الخميس المذكور وردت لغراف من الباب العالي الى القاهرة بتولية محمد توفيق باشا وتقليده زمام  
الاحكام المصرية وجلسه على الأريكة الخديوية فكان لورود هذا التلغراف من الباب العالي يوم  
مشهود في الاحتفالات والتمنيات وكثرة الوفود وأرسل توفيق باشا تلغرافاً الى الباب العالي على  
التلغراف المؤذن بارتقائه الى الأريكة الخديوية

ثم مضت مدة من بعد ورود التلغراف ولم يرد الفرمان السلطاني فارتفع توفيق باشا من تأخير ورود  
الفرمان واختلقت أقوال الناس وظنونهم اختلافاً شديداً في أسباب تأخير الباب العالي صدور  
الفرمان وفي ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد الفرمان بالامر بتولية محمد توفيق باشا  
الخديوية المصرية

وما ل هذا الفرمان انه على حسب الفرمان السلطاني الصادر الى الخديوية المصرية في ١٢ محرم  
سنة ١٢٨٣ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى أكبر أولاد اسماعيل باشا قد صار توجيه الخديوية  
المصرية الى عهدته وأنه لما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة أهاليها  
وسكانها ورفاهيتهم من المواد المهمة لذيها وغبنا وأجل مطلوبنا وقد ظهر أن بعض أحكام الفرمان  
المتقدم المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبيّن فيه الامتيازات الحاضرة لها الخديوية المصرية  
قد عايشات عنها الاحوال المشككة الحاضرة المعروفة فلذلك صار اثبات المواد التي لا يلزم تعديها من  
هذه الامتيازات وتأكيد ما صار تبديل المواد المقتضى تبديلها وتعديها واصلاحها وما تقر راجاؤه  
الآن هي المواد الاتية وهي ان كافة واردات الخطة المصرية يكون تحصيلها واستيفائها منا  
الشاهاني وحيث ان أهالي مصر من تبعه دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزمة بإدارة أمور  
المملكة والمالية والعيدلية بشرط أن لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الاوقات بخديوي



مصر يكون مأذونا بوضع النظمات الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأن يكون خديوى مصر مأذونا بعقد وتجديد المشارطات مع مأمورى الدول الأجنبية بخصوص الجمارك والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التى بين الحكومة والاجانب أو بين الاهالى والاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية السياسية وفى حقوق متبوعة مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية الشروط التى تعقد مع الاجانب يصير تقديمها الى بابنا العالى وأيضا يكون حائرا للتصرفات الكاملة فى أمور المالية لكنه لا يكون مأذونا بعقد استقراض من الآن فصاعدا بأى وجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع المداينين الحاضرين أو نوابهم الذين يتعينون رسميا ويكون هذا الاستقراض منحصرا فى تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصا بما هو بها أن الامتيازات التى أعطيت لمصر هى جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التى خصت بها الخديوية فلا يجوز ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الاراضى المصرية الى الغير بأى سبب من الاسباب ويلزم تأدية مبالغ ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانى وهو القرار المقرر دفعه سنويا فى أوانه وكذلك جميع النقود التى تضرب فى مصر تكون باسمنا الشاهانى ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨٠٠٠ نفس لان هذا القدر كاف لحفظ أمانة مصر الداخلية وقت الصلح وبما أن قوة مصر البرية والبحرية مرتبة من أجل دولتنا العلية فيجوز زيادة العساكر بصورة التى تستتب فيها حالة دولتنا العلية بحاربة وأن تكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلاوات المميزة لرتب ضباطهم كرايات وعلامات عساكرنا الشاهانية ويباح لخديوى مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة أميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوى مصر أن ينشئ سفن مدرعة الا من بعد الاذن من دولتنا العلية برخصة صريحة قطعية \* وتاريخ هذا التمران فى ١٠ شعبان سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العز والشرف

وفى ١٧ أغسطس سنة ١٨٧٩ استقالت وزارة شريف باشا للسبب يعلمه الله وشكل الخديوى توفيق باشا وزارة تحت رياسته وأرسل تلغرافا بـ تقديم مصطفى رياض باشا من جهة أوروبا فلما وصل كافه الخديوى بتأليف وزارة جديدة فشكها وصدرا أمر الخديوى بتعيين باريج ودوبلنير مفتشين ماليين واستعفى غوردون باشا من حكومة السودان وتولاها من بعده محمد رؤف باشا ومن ابتداء ٢٢ يناير سنة ١٨٨٠ توجه الخديوى نحو الصعيد الاعلى لاجل تفقد أحوال البلاد ووصل الى الشلال الاول وعاد وجال فى الجهات البحرية أيضا ورجع الى العاصمة بعد أن تفقد جميع أحوال القطر وكان له احتفالات زائدة فى كل مديرية وكل بندر وزينات وطبول وزمور على شاطئ النيل من كل جهة

واشتغل المفتشان الماليان والنظار ولجنة تعيينت لمخصوصة فيما يلزم اجراءه من أجل الديون وعملوا لذلك قانونا وهو قانون التصفية وهذا القانون مركب من ٩٩ مادة تختص بالتصفية والدين العمومى وزاد الخديوى فى منح الرتب كبيرة كانت أو صغيرة فكان يلزم لكل رتبة مالها من المعاش فاشتدت الوطأة على المالية فصدر أمر من داخلية مصر ما له أن الرتب الملكية لا توجب زيادة المراتب وانما هى شرف للنعم عليهم فقط

واشتهر الخديوى توفيق باشا بجماله الى أبناء البلاد ورفع شأنهم وبث الحرية فيهم واتحاد كلمتهم وتوجه

انتباههم الى ما فيه صلاح شؤونهم فكانت تلك الحرية هبة في غير محالها بالكلية لانها آلت الى الثورة الوطنية التي اشتهرت عند الناس بالثورة العربية فكانت هذه ثورة مشؤمة وأمور وأحوال كانت في قلب أحمد عرابي مكتومة لم تظهر حقائقها ولم تبدد فائقها الا من بعد النفي في سيلان حتى أفشى كل من عرابي وعبد العال وعلى فهمي ما كانوا عليه للعيان وما كانوا مدخريه في قلوبهم وبطونهم لكل انسان وحسبي الله ونعم الوكيل

فأما الثورة الوطنية المصرية التي اشتهرت على السنة الخلق بالثورة العربية فان أصلها ان ما يطلق عليه اسم الامة المصرية مقسومة الى ثلاثة أقسام أو أصناف أولاد ترك وأولاد حرا كسة مماليك وأولاد عرب ويوجد صنف رابع وهو القبط وهذه الاصناف الاربعة مشككة للامة المصرية والقسمه هذه بعينها في داخل الاقاليم وفي دواوين الحكومة وكل جنس من هؤلاء الاجناس يبغض الآخر ولا يمكن أن تكون بينهم مادة الاتحاد وكل واحد من هذه الاصناف يدافع ويحامي عن أبناء جنسه ويتسبب في حصول المنافع لهم ويتسبب في ضرر باط وقواد العسكرية مقسومون الى أصناف ترك وعرب وحرا كسة وكل حزب يبغض الآخر ويكرهه والضباط أولاد العرب على حزين الذين تهذبوا وتربوا وتعلموا في المدارس الحربية حزب والذين ترقوا من تحت السلاح من أصناف العسكرية وليس لهم معلومات بالقراءة والكتابة والتدريبات الحربية حزب آخر وكل من هذين الحزبين من أولاد العرب يكرهون بعضهم لان الذين يعلمون ليسوا كالذين لا يعلمون وحزب الحرا كسة من ضباط العسكرية يكره الحزبين من أولاد العرب كما أنهم أضل وأسخم والحزبان من أولاد العرب ومن الحرا كسة فضلاء عن بعضهم بعضهم يبغضون حزب الاتراك وليست هذه الكراهة واقعة في مدة الخديوي توفيق باشا فقط بل من عهد محمد سعيد باشا كما ذكرنا سابقا وكنا نرى قولون هذا ونرى هذا فرعون

وفي سنة ١٢٩٦ هجرية أو سنة ١٨٧٩ كان من ضمن النظار الذين تحت رياسة نظارة رياض باشا عثمان رفق باشا ناظر اعلی البحرية والجرية فشرع في سن قانون عسكري قاض بعدم ترقية أحد من العسكريين تحت السلاح مادامت الحكومة لها مدارس حرية جارية تربية وتهذيب ضباطها وكان أحمد عرابي ورفقاؤه على فهمي وعبد العال حلي وأحمد عبد الغفار من ضمن الذين ترقوا تحت السلاح مدة حكومة سعيد باشا فاجتمع الاربعة وتآمر واقعيا بينهم وحقدوا الحقوق وضعوا الضغائن وعزموا على الايقاع بعثمان رفق باشا ناظر الجهادية والبحرية بالكراهة والعداوة القلبية

فأما أحمد عرابي فانه كان دخل في سلك العسكرية في سنة ١٢٧٢ هجرية ونال رتبة القائم مقام في سنة ١٢٧٧ ثم غضب عليه محمد سعيد باشا وضر به ثلثائة تبوت وطرده من الجيش ثم عاد الى الجيش في أوائل ولاية اسماعيل باشا في سنة ١٢٧٩ وكان متعصبا من غير أصل ولا معرفة ولا دراية في الدين ولا في الجنسية وما زال حتى وقعت بينه وبين خسرو باشا الحركسي محاصمة أدت الى ابعاد أحمد عرابي من خدمة الجيش وكلا الرجلين كان كثيرا التعصب لآبناء جنسه الا أن خسرو باشا كان كثيرا التعصب لآبناء جنسه عموما وأنا أحمد عرابي فما كان تعصبه الا من أجل الذين ترقوا معه تحت السلاح فقط وكان أشد كراهة لآبناء جنسه الذين ترقوا من المدارس الحربية وصار أحمد عرابي منبوذا مطرودا من الخدمة العسكرية مرفوتا حتى افتقر واشتد به الاحتياج بسبب بغضه للحرا كسة لولا أن تداركته العناية الربانية ولحق بأشغال الدائرة الحليمية وتزقج بآيسة مرضعة الهامى باشا وهي أخت حرم



الخديوي توفيق باشا الحالى من الرضاع ثم عفا عنه اسمعيل باشا بواسطة رجاء قاسم باشا رسمى وكان وقتها ناظر الحربية ودخل في أحد الايات في سنة ١٢٩٢ الموجودة بنواحي رشيد فأخذ من هذا الوقت في تأليف قلوب الضباط أولاد العرب الذين هم تحت السلاح مثله وجمع كلمتهم على ولائه وكان يظهر لهم الاسف الشديد والحزن الذى ما عليه من مزيد في شأن حرمانهم من الترقيات حال كون غيرهم من الجراكسة والأتراك متمعين بالقبول ومنحون بدرجات الترقى وعلاو الشأن

وبعد أن تولى الخديوي توفيق باشا الأريكة المصرية رفاه الى رتبة أميرالاي بمساعدة جده أم امراته بما أنهم من ضمن مستخدمى جماعة الخلية وكذا صار ترقية عبدالعال حلى وأما على فهمى فانه كان ارتقى الى رتبة أميرالاي في حرب الصرب في سنة ١٢٩٣ فكان عرابي ميرالاي في الأي في العباسية وعبدالعال حلى ميرالاي السودانين في نواحي ميعاد الخيري بطرطه وعلى فهمى ميرالاي الجرس الخديوي في عابدين وأحمد عبدالغفار من شاكلتهم كان قائما مقام في الأي الخيالة في نواحي سراي الخديوي بالجيزة وكل من هؤلاء كان على نفورين من عثمان رفيق باشا ناظر الحربية لانه شركسى حتى ان البعض منهم مثل على فهمى وأحمد عبدالغفار كانوا يندون أوامرهم ولا يعلن بها فشق ذلك على عثمان رفيق باشا وأراد استبدال هؤلاء من الأياتهم بغيرهم من الجراكسة أبناء جنسه وتوظيف هؤلاء في محلات آخر غير وظائفهم هذه وحرر بذلك أوامره من ديوان الجهادية ولما بلغ عرابي ورفقاه هذه الاخبار قامت القيامة في وجوههم وصاروا رجالا بغير عقول وتضجر واوقفوا واجتمع عليهم ضباط الجسر بندية وقادوهم لكل بلية وصارت لهم مجالس وحفلات تارة في منزل عرابي وتارة في منزل عبدالعال أو أحمد عبدالغفار وحشوا ضباط الأياتهم على التشيع اليهم بعد أن أقنعوهم بجودة مقصدهم وقال عرابي لعبدالعال وعلى فهمى وأحمد عبدالغفار (وهذا الأخير كان صار رفيقه من الأي السواري وشرع في حض وتحرير الضالخين) ان كتبتم صرتم رجالا ولكم قدرة على خيلاص وطنكم فها هو أوان الوقت وان لم يكن فيكم قدرة ولستم برجال نخلوا الجرا كسة يفلون فيكم ما يفعلون اني سمعت هذا اللفظ من عرابي بدار النفي في سيلان فقالوا له نعم وأنت الرئيس علينا فقال لهم قبلت ذلك وتحالفوا فيما بينهم تحالفا ابتدائيا وكان ذلك في منزل عرابي ثم اجتمع عليهم الضباط الاخر وتقرر في العموم أن هؤلاء الثلاثة عرابي وعلى فهمى وعبدالعال حيث أنهم رؤس الايات يكتبون عريضة يتظاهرون فيها من أعمال واجرا آت عثمان رفيق باشا في حقهم وصدور أوامره برفقهم من الأياتهم ويقدمونهم الرئيس الناظر رياض باشا فتوجه الثلاثة اليه وعرضوا عريضتهم عليه فأخذ رياض باشا عريضتهم وجبر خاطرهم ووعدهم بما يكون فيه الصلاح لانفسهم ووعظهم بعدم التمور واجر السيرة على حسب ما تقتضيه الطاعة وحسن البراعة وأبطل رياض باشا ما صدر من أوامره عثمان رفيق ناظر الحربية بعد أن تكلم معه أمام الخديوي كلاما ثقيلا وأوجب حشوق قلب وبدن عثمان رفيق حنقا وغيظا وملا قلب توفيق باشا غما وكدر فقال له الخديوي توفيق باشا لا بد من محاسبة هؤلاء وترتيب الجزاء اللازم عليهم حسب القانون فقال عثمان رفيق للخديوي أنا أحب من أفندينا أن يصدر لي أمر اجمع اكلتهم بواسطة مجلس عسكري ومعاقتهم على ما فعلوه من هذه الواقعة فقال له توفيق باشا انه ربما يتولد من ذلك ثورة عسكرية يصعب اطفائها فقال عثمان رفيق بنفس أفندينا لا يحصل شيء ولا تشويش في ذلك وأنا المسؤول في هذه المسئلة وساعده في ذلك خيرى باشا الجركسى ويوسف شهمدي باشا الجركسى واستحصل عثمان رفيق على

أمر من الخديوي بمحاكمة هؤلاء الأمراء الألياءات وتجر يدهم من رتبهم وقتلهم وكان ذلك كله لأمورية  
 لرياض باشا به ولما استلم عثمان رفق الأمر في يده سار به في الحال إلى ديوان الحربية وحرراً وأمر إلى عرابي  
 وعبد العال وعلى فهمي بأنه لا بد من حضورهم في موكب زفاف أخت الخديوي وأن يكون حضورهم  
 ابتداء في ديوان الحربية بقصر النيل ولما وصلت هذه الأوامر أحسوا في صدورهم بما سيحصل لهم  
 وأوجسوا خيفة وأخذوا في أداء طرائق التحرز والتخفط لئلا يأتوا أمر عوين قلعين حتى في صباح  
 ثاني يوم سار عرابي وعبد العال إلى ديوان الحربية وأما على فهمي فإنه جعل نفسه مريضاً وأرسل بدله  
 خورشيد بسمي قائم مقام الألياء فلما دخل الديوان أعاده عثمان رفق وقال له لست أنت المطلوب بل المطلوب  
 هو أمير الألياء فذهب وأرسله حسب الطلب فعاد خورشيد بسمي إلى الألياء في عابدين وأخبر على  
 فهمي بالخبر وكان على يقين مما سيحصل له فدعا محمد عبيد البكاشي وقال له احضر الألياء وعند حضور  
 أول إشارة لك أسرع بجلب الألياء إلى قصر النيل وأخذ على فهمي وراءه واحداً من البروجية وسار  
 حتى دخل ديوان الجهادية مع عرابي وعبد العال فلما دخل الثلاثة جردوهم من سيوفهم فأوعز على  
 فهمي إلى البروجي نخرج البروجي المذكور مسرعاً إلى الألياء في عابدين وضرب بنفسه نوبة جـ له  
 وهجوم فقام محمد عبيد مسرعاً وأخذ أورطة من الألياء وأحاط بهم الخديوي توفيق باشا في سراية عابدين  
 وفي أثناء ذلك بعد تجريد الثلاثة أمراء الألياءات من سيوفهم أمام مجلس غاص بذوات الجرا كسة  
 في ديوان الجهادية أودعوهم السجن وأوقفوا عليهم الخفر اللازم من ضباط الجرا كسة حاملي  
 الطبجات والقربينات وأرادوا الشروع في محاكمتهم وبعد أن أحاط محمد عبيد الخديوي بأورطة  
 أسرع وأخذ أورطة أخرى حاملة السلاح وسار إلى قصر النيل وهجم بأورطته على الديوان وعاث  
 بالسكر وجاس خلال الديار وضرب العسكر الكاب ومستخذي الديوان كبيراً وصغيراً وكسروا الزجاج  
 والأبواب وأخرجوا المير الألياء الثلاثة من السجن وفي أثناء هذا هرب عثمان رفق ناظر الجهادية من  
 أحد شبابيك قاعة مجلسه وذهب مسرعاً إلى سراي عابدين ملتحجاً بالخديوي وأخذ محمد عبيد وعساكره  
 الثلاث مير الألياءات وتوجهوا جميعاً إلى قشلاق عابدين المواجه لسراي الخديوي وأرسل عرابي في الحال  
 إلى الألياء في العباسية والألياء السودان قيادة عبد المال المقيم بطرده ومن بعد قليل اجتمع الألياءات  
 الثلاثة حاملة السلاح في ساحة عابدين وكانت هذه الساحة غاصة في الوقت بجماهير المتفرجين فقام  
 عرابي خطيباً فيهم وشكرهم وأثنى عليهم على تلك المهمة والغيرة التي حصلت منهم في خلاص أخوانهم  
 وآبائهم مما كانوا وقعوا فيه ظلمات تقدم أحمد عرابي أمام الخديوي توفيق باشا وطلب لهم العفو منه عما  
 حصل منهم من هذه الفعلة وطلب في الحال خلع عثمان رفق باشا من نظارة الجهادية فأجاب الخديوي  
 الطالب وأحال عهدة نظارة الجهادية إلى محمود سامي وكان في هذا الوقت ناظر الأوقاف أيضاً  
 وشرع محمود سامي في الرفق بهم كما هي كانت عادته وأراحهم ميل الخديوي لهم وعفوه عنهم وصفاء قلبه  
 لهم إلا أنه دخل الرعب في قلوبهم وتمكن الخوف من أبدانهم واعتبروا إجابة طلبهم مكيدة منهم من  
 الحكومة لتسكين جانيهم واطمئنان خاطرهم ثم تحتال عليهم وتغالبهم وما كانوا يقدرون فيما  
 يهظمهم به محمود سامي من الأقوال وتهديد الأحوال واضطرب حالهم وزاد بلبالهم وشرعوا في عقد مجالس  
 سرية واحتفالات وجمعيات لييلية تارة في منزل عرابي وتارة في منزل عبد  
 العال وهم جرائت هذا كرون في أمر اجتماع كلمتهم وعلموا منزلتهم والوقاية من الاغتيال وطلبوا من



ديوان الحرية عدة أشياء تعزز جاهدتهم فأجابهم إلى ما طلبوا من عمل قوانين ولوائح تختص بحالة الضباط  
الجهادية والعساكر وترقى الرتب والمعاشات وضمائم السفريات والمأموريات ولما تمكن عرابي من  
استمالة العسكرية وضباطها طبق بنشر ويث أفكاره بين الأهالي ويوري ورعه وانقياده وحب الوطن  
وخدمته له وما هو جار فيه من انتشار الحرية ويترك أبواب عقول مشايخ العربان وعمد البلاد وأعيانها  
وعلمائهم بإرادته العدل والانصاف والمساواة بين الناس وبعضهم وصار يزخرفهم بأعماله ويقوى  
قلوبهم بعسكره وضباطه استجلا بالمساعدتهم في مشروعه العائدي بالنفع عليهم على ما زعم بالكذب وما  
كان يريد الا ما ظهر عنه في سيلان وأسرد في الكلام على الإقامة في دار النفي بجزيرة سيلان وما  
ارتكبه من جرائم الاثم والعدوان وكتب بمجاهد ومظهر للناس منشورات ثورية ايقاعا بالوزارة  
الرياضية وفي أثناء هذا عرض محمود سامي التماسا الى رياض باشا رئيس النظاري طلب فيه زيادة مرتبات  
الضباط والعساكر الجهادية وتعديل النظامات والقوانين العسكرية وفي ١٢ ابريل سنة ١٨٨١  
وقع الخديوي توفيق باشا على هذا التماس وكان لهذا الامر احتفال زائد في قصر النيل دعا اليه محمود  
سامي النظاري والمفتشين وكان يوما عظيما خطب فيه رياض باشا ومحمود سامي وأجد عرابي ثناء طيبا على  
المكارم الخديوية لما منحه من الانعام لجماعة الجهادية والاعداق عليهم بما به يتمتعون وينحبر خاطرهم  
وللخديوي يشكرون

وفي ٢٥ يولييه من هذه السنة بينما كان الخديوي مصيفا في الاسكندرية اذ صدمت احدى عربات  
واحد من تجار الاسكندرية عسكريا من عساكر الطوبجية فقتل عليه في الحال خمسة له رفقاؤه الى  
سراي رأس التين وطلبوا من الخديوي النظر في أمره لان العسكر والضباط الجهادية قتل أمرهم  
واحتل نظامهم في الوقت من الاعمال الجارية من عرابي ورفقائه وانتمائهم للعسكر وجعلوا اصغار  
الضباط والعساكر الحالة التي بها نسوا القوانين العسكرية والنظامات الحربية حتى صار كل ضابط  
وكل عسكري يفعل ما يشاء ويختار لنفسه ما يعود عليه من الراحة حتى نجاس هؤلاء العساكر  
الطوبجية وتوجهوا بقتلهم الخديوي توفيق باشا وأمر كواضباطهم الصغار وال كبار فلما رآهم  
الخديوي في هذه الحالة المهولة وعدهم وأمن خاطرهم وسكن جاشهم وفي الحال أمر الخديوي بعقد  
مجلس حربي ومن بعد الفحص أصدر هذا المجلس أمرا قاضيا على المنقر العسكري الذي جبر رفقاؤه  
على التوجه الى رأس التين بالاشغال الشاقة مدة حياته وعلى الانقار الاخر وعددهم ثمانية بثلاث  
سنوات في اليمين ثم يرسلون الى السودان ويلحقون بأنقار العسكر الموجودة هناك ولما بلغ عبد العال  
حلي أميرا الى السودانية هذا الخبر تهزروا وأخذوا الحق وأرسل الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو  
اليه قسوة ذلك الحكم فعرض محمود سامي تلك الشكوى على الخديوي فتكدر الخديوي من ذلك  
واعتقد قلبا وقالبا أن محمود سامي متحدا اتحادا كيا مع هؤلاء الميرالايات واستدعى في الحال النظاري  
من القاهرة الى الاسكندرية وعقدوا مجلسا تحت رئاسة الخديوي قدم فيه محمود سامي استعناؤه وعهد  
الخديوي نظارة الجهادية الى داود يكن فاستلم الاعمال وهدأت الاحوال وهذه هي مبادئ العداوة  
بين الخديوي توفيق باشا وبين محمود سامي

ولما عاد الخديوي توفيق باشا من الاسكندرية الى القاهرة في شهر سبتمبر أصدر ناظر الجهادية داود يكن  
أمر الى الإلای السكان بالقاعة بالتوجه الى الإسكندرية وأمر آخر الى الإلای الموجود في الاسكندرية

بالخضوع الى المهر وسنة فأوعز عرابي الى هذا الاي بان المقصود من هذا الامر هو توقيق الكلمة  
وحرض العساكر وضباطهم على عدم طاعة هذا الامر وفي أثناء هذا كان طلبة عصمت من  
مستحدي الدائرة السنية فلما رأى ناظر الدائرة تركه أشغاله ومداومته على الجري عند عرابي وعبد  
العال وأحمد عبد الغفار والقاه الدسائس والتتن وتبليغ الاخبار سواء كانت حقة أو مخترعة الى كل من  
هؤلاء أمراء الايلات أصدر أمره برفقة من خدمة الدائرة فتوجه مسرعاً الى عرابي وكان مقبياً في  
ألايه في العباسية وصار يحضه ويحرضه على القيام بأخذ حقه وفهم وتنفيذ طلباتهم وكذا المساومة في  
محمود سامي من نظارة الجهادية وتوجه الى منزله بالقاهرة توجه اليه أحمد عرابي سرا في الليل وتعاهد معه  
على مساعدته ومعاضدته هذا قول عرابي لي والافانما كنت أعرف هذا ولما استوثق عرابي من معاوضة  
محمود سامي له عاد الى منزله وتوجه في صباح ثاني يوم الى العباسية وأتى اليه طلبة عصمت يثبث له ما وقع  
فيه ويحرضه على الاخذ بنار أخيه فخاطب في الحال عرابي الايلات في كونهم يستعدون للحضور في  
ميدان عابدين وأرسل كتابة الى الخديوي والى نظارة الجهادية يخبرهم فيها أن الجيش سيحضر الى سراي  
عابدين بخصوص طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وراحة العباد وكتب بذلك أيضاً الى قناصل  
الدول بأنه لا خوف من هذه الحركة على أبناء تبعته لانهم يختص بالاحوال الداخلية فقط فأرسل  
الخديوي توفيق باشا رسلاً الى عرابي وعبد العال وأحمد عبد الغفار ينهاهم ويحثهم على عدم اجراء مثل  
هذه الحركة وأن يكفوا عما هم متخيل في صدورهم ثم قام الخديوي وتوجه بنفسه الى الاي عابدين وهو  
ألاي حرسه وكان تحت قيادة على فهمي وأخذ ينهاهم فتظاهروا بالنصح ثم توجه في عربته الى القلعة  
محموداً بنظر الجهادية داود يكن وعرض الاي الى الخديوي فشرع ينهاهم فأجابهم العساكر بصوت  
واحد نحن مطيعون لا وامرولى نعمتنا الا أنهم أخبرونا بان المقصود من سفرنا هو غرقنا في منظر كفر  
الزيات فقال الخديوي لناظر الجهادية يظهر أن العسكر مغرورون في أقوالهم هذه وتركهم وسار  
قاصداً نحو العباسية اسرعة توقيف عرابي عما هو متخيل في صدره فلم يجده وقيل له ان عرابي سار  
بالعساكر الى عابدين فماد الخديوي مسرعاً الى عابدين

ولما تكامل اجتماع الايلات في عابدين في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ كان الميدان غاصاً بجماهير  
المتفرجين وكان قناصل الدول في داخل السراي فوصل الخديوي ووقف على بطة سلم السراي وأمر  
في الحال بحضرة عرابي فحضر راكباً حصانه شاهرا سيفه وخوله ضباط الخيالة وعساكر من الخيالة  
ومحفوظ به كثير من الضباط فأمره الخديوي بتقدمه سيفه والترجل من فوق حصانه وإعداد الضباط  
والعساكر من حوله وكان عبد العال يروح بحصانه في الميدان شاهرا سيفه أمام ألايه  
ملحوظة - ان عرابي كان على الدوام يطالع في تاريخ نابليون بونابار توقيف له أن يقوم بهذه الاعمال  
ويقود العساكر الى مال ماناله نابليون من توليته امبراطورية فرنسا فكان المقصد الاصلى له أن ينال  
أريكة الخديوية المصرية لتمام مقصوده في عزل الخديوي ولكن ما خطر بباله كان غير نواله

ولما وقف عرابي أمام الخديوي قال له ألم ألك سيدك قال عرابي نعم

فقال الخديوي ألم أرفقك الى رتبة أمير الاي قال نعم ولكن بعد مئات من الناس

فقال الخديوي وما هي أسباب حضورك بالعساكر هنا قال لنوال طلبات عادلة

فقال الخديوي وما هي هذه الطلبات فقال عرابي اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد



الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام

فقال الخديوي كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية فسكت عرابي وأشارت قناصل الدول على الخديوي بالدخول الى داخل السراي

وقال القنصل ما لبت قنصل انك تترابا النيابة عن الخديوي ان اسقاط الوزارة من خصائص الخديوي وطلب تشكيل مجلس النواب من خصائص الامة ولا وجه لزيادة الجيش لان البلاد في أمن واستتباب راحة على أن مالية البلاد لا تساعد على ذلك وأما التصديق على القانون فسينفذ بعد اطلاع النظار عليه وأما عزل شيخ الاسلام فلا بد من اسناده الى سبب تام من الاسباب الواجب بها عزله فأجاب عرابي قائلا اعلم يا حضرة القنصل أن طلباتي المتعلقة بالاهالي لم أقدم عليها الا لكونهم أنابوني (كذب والله لانه خائف على نفسه) في تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر لانهم اخوتهم وأولادهم وهم القوة التي ينفذها كل ما يعود على الوطن بالمنفعة واعلم اننا لا ننزل عن هذه الطلبات ولا نبرح من هذا المكان ما لم تنفذ فقال القنصل اذا تريد تنفيذ ما ترغبه بالقوة التي يخشى منها ضياع بلادكم

فقال عرابي ذلك لا يكون ومن ذا الذي ينازعنا في اصلاح داخليةنا فاعلم اننا نقاومه أشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا (نعم ظهر ذلك منه في ضرب الاسكندرية والتل الكبير وهر به عريان)

فقال له القنصل وأين هذه القوة التي ستقاوم بها فقال عرابي في وسمى أن أحشد في زمن يسير مليوناً من العساكر طوعاً وادنى (كذب والله)

فقال له القنصل وماذا تفعل ان لم تنل ما طلبت فقال عرابي أقول كلمة ثانية فقال له القنصل وما هي فقال عرابي لا أقولها الا عند قنوطي من نوالى طلباتي والى هنا انقطعت المخبرات نحو من ثلاث ساعات تداول الخديوي والقناصل في أثنائها في داخل السراي بشأن اجابة طلبات عرابي وانفاذها على التدريج لان بعضهم يحتاج لخبرة الباب العالي وأصر عرابي على سقوط الوزارة قبل انصرافه فسقطت واستدعى شريف باشا ومن بعد أن تردد كثيراً في أمر رياسته قبل أن يشك كل وزارة جديدة قال لا أقبل ذلك حتى يتعهد رؤساء الحزب العسكري لامتنال أو أمره والانه ادل طاعته وأن يقدم عمداً البلاد ضماناً على ذلك فحصل كل هذا وتشكلت الوزارة وقال رياض باشا للخديوي أنا اليوم وموكم غداً توجه مسرعاً كما هي عادته الى بلاد أوروبا وضمن شريف باشا وعهد عهداً قوياً الى عرابي وعبد العال وعلى فهمي بالمحافظة عليهم وعلى حياتهم وأن لا يمكن الحكومة من اغتيالهم ماداموا طوع عيونه وتعين في هذه النظارة محمود سامي ناطرا على الجهادية والبحرية وأمر شريف باشا بان عرابي يتوجه مع ألابه الى رأس الوادي من مديرية الشرقية وعبد العال حلي ينتقل بالابه الى دمياط فامتنل وسارا الى حيث أمرا فأما عرابي فن بعد أن شجن مهمات ألابه في أحد قطارات السكة الحديد وسارا الى قطر صف هو الا لاى جميعه وشق به من وسط مدينة القاهرة حتى توجه الى المسجد المعروف بمسجد الحسين بن علي ودخل فيه مع بريق الا لاى وأوقف الا لاى في شارع المسجد وصار يصلي ويدعو في المسجد والناس حافون به وحوله ولما تم شغله بهذه الحالة سار ووصل الى محطة السكة الحديد وصار أوباش العالم والحشاشون يرمون أمامه الورد والزهورات ويخطب محررو الجرائد العربية له خطبايم نوثهيم اعلی نوال فوزه ومقصوده (لسا الجمل ورا)

## ( ترجمة المؤلف )

ومن حيث انه من ابتداء هذا المحل يلزمنى أن أذكر حياتى فأقول  
 أنا محمود فهمى المهندس مؤلف هذا الكتاب أصل مسة طراسى فى قرية اسمها الشنة ورهى بلدى من قسم  
 بيا مديرية بنى سويف وهذه القرية على الشاطئ الشرقى من البحر المسمى ببحر يوسف ومن عائلة فقيرة كان  
 أبى يملك بضعة من الاطيان فى هذه القرية ولما أقام محمد على باشا المكاتب والمدارس فى أنحاء الديار  
 المصرية شيد أيضاً مدينة بوش على بضع ساعات من بنى سويف مكتباً للتعليم وتم ذيب أولاد المديرية  
 ومصاريفه على طرف الحكومة المصرية مثل غيره من المكاتب وكانت ولادى فى سنة ١٢٥٥ هجرية  
 وألحقت المديرية أهالى البلاد بجلب أولادهم الى المكتب رغم أنهم وعينت المديرية على كل بلد ولدا  
 ترسله الى المكتب جبراً عن أهله فمكنت أنا من هؤلاء الاولاد الذين دخلوا فى المكتب رغم أهلهم  
 فدخلت فى هذا المكتب وهو مكتب بوش سنة ١٢٥٩ بعد أن بلغت من العمر نحو من خمس سنوات  
 فقرأت فيه القرآن والاحكام الشرعية والحوى والكفر اوى على التجرومية ومبادئ الهندسة والحساب  
 والجغرافية وفى سنة ١٢٦١ انتقلت من هذا المكتب بعد الامتحان الى مدرسة التجهيزية بالازبكية  
 وكان مقرها فى لوكندة شبت الآن فقرأت فيها الحساب وهندسة لوزندرو والجغرافيا والنحو والصرف  
 ومبادئ اللغة التركية والفرنساوية وفى مبادئ سنة ١٢٦٥ فى مدة حكومة عباس باشا انتقلت من  
 هذه المدرسة الى مدرسة المهندسة فى بولاق فقرأت فيها علم الحساب العالى والجبر والهندسة الاصلية  
 العالمة والجبر العالى والهندسة الوصفية وعلم حساب المثلثات والتطبيقات والتفاضل والتكامل  
 وقطع الاحجار والاشباب وعلم الظل والمنظور والعمارات والقناطر والجسور والميكانيك وموازنة  
 السوائل والكيمياء والطبيعة ودرست الجغرافيا والطبوغرافية وأنواع الرسومات النظرية والعملية وفى  
 مبادئ حكم محمد سعيد باشا انتقلت مع اخوانى الى العسكرية ولحق باورطة الكوبرجية والمهندسين  
 بطره ومن بعد قليل ترقية فيها الى رتبة الملازم الثانى فدرست فى هذه الاورطة التعليمات العسكرية  
 والاشغال اللازمة لعمل جسور المراكب والكوبريات على الانهر والنهيرات وطرائق عمل الانعام وأنواع  
 الهجوم واشغال الاستحكامات وفى سنة ١٢٧٢ شيد محمد سعيد باشا مدرسة حربية هندسية  
 فى القلعة التى أنشأها تحت القناطر الخيرية فانتخبت لكون معلماً فيها علم الاستحكامات والفنون  
 العسكرية واستمرت هذه المدرسة فى القلعة السعيدية حتى تولى اسماعيل باشا ونقلها الى العباسية  
 بالقاهرة وأنشأ مدارس أخرى خلفها حربية وصارت هذه المدرسة مدرسة للطوبجية ومازات معلماً  
 فيها الاستحكامات والفنون العسكرية والعمارات الى سنة ١٢٨٨ هجرية وفى أثناء ذلك وصلت فى  
 الترقية الى رتبة الصاغى فى نفس سنة ١٢٨٨ صار انتخابى لأن كون باشمهندس قسم  
 الساحل على البحر الابيض المتوسط من أبوقير الى رشيد الى البرلس فى عمل قلاع جديدة وترميم قلاع  
 قديمة فأنشأت سبع عشرة قلعة على ساحل البحر من أبوقير الى طابية فنار البرلس واستمرت فى هذه  
 الوظيفة الى شهر رجب سنة ١٨٩٣ هجرية وفى أثناء هذه المدة ارتقيت الى رتبة قائم مقام وفى رجب  
 سنة ١٨٩٣ تعينت بامر نظارة الجهادية رئيس أركان حرب الفرقة المصرية التى أعدها الخديوى  
 اسمعيل باشا للسفر والحقها بالجيش العثمانى فى حروب الصرب والجبل الاسود فى نواحى بوسنة وهرسك



ثم انتقلت هذه الفرقة الى باغاري بعد تمام الحروب في نواحي بوسنه واستمرت مع الفرقة حتى عدنا الى القاهرة في سنة ١٢٩٥ هجرية وفي هذه الحروب نلت نيشان الدرجة الثالثة المجيدى ونيشان الدرجة الرابعة العثماني وميداليتين واحدة في حرب الصرب وأخرى تختص بحرب الروسيا ورتبة أميرالاي وملت الشهادات العظمى من القواد العثمانية وفي أواخر سنة ١٢٩٥ هجرية عهد الى الخديوى اسماعيل باشا وكالة محافظة مدينة القاهرة ومن بعد قليل ألغيت هذه المحافظة وهذه صورة أمره قد اقتضت ارادتنا تعيينكم وكيلا الى محافظة مصر ولزم اصداره اليكم للمومية والمبادرة بالتوجه الى مأموريتكم هذه ومباشرة ورؤية أشغالها على المحور اللائق بها كما هو مطلوبنا في ٣ يولييه سنة ٧٨ الموافق ٣ رجب سنة ١٢٩٥ غرسايره ٢١ الختم

### ﴿اسماعيل﴾

وانتقلت بامر الخديوى اسماعيل باشا الى ديوان الاشغال العمومية فكثت فيه قلائم تم تعيينت مفتشا على هندسة الاقاليم الوسطى وهى مديريات الفيوم وبني سويف والمنيه وأسيوط واستمرت في أشغال هذه الوظيفة حتى تعين محمود سامى فى تطارة الجهادية هذه الدفعة تحت رئاسة شريف باشا المتقدمة المذكور

ولبذكر أنه ولأن محمود سامى صار ناظر الجهادية تحت رئاسة شريف باشا الا ان الخديوى توفيق باشا مازال يفضله من الحادثة الاولى فعرض محمود سامى الى رئاسة مجلس النظائر بطلي من وظيفتى وتقليدى ديوان الجهادية باسمه هندس عموم الاستحكامات المصرية فقرر مجلس النظائر على طلب ناظر الجهادية وانتقلت الى هذه الوظيفة بزيادة المرتب لى شهريا وكان راتبى الشهرى فى وظيفة التفتيش خمسين جنيهام مصر يافبلغ المرتب فى هذه الوظيفة خمسة وستين جنيها ولما دخلت فى ديوان الجهادية أثبتت على ناظر الجهادية وقايات الخديوى توفيق باشا فتشكرت لسموه على ما فعله من قبوله التماس ناظر الجهادية محمود سامى ولما استقر عرابى فى رأس الوادى شرع بحول فى أنحاء المديرية ويدس دسائسه ويثبته بادية فى نفوس عمدا البالد ومشايخ العربان فلما رأى ناظر الجهادية محمود سامى منه ذلك التمس من شريف باشا والخديوى أن يجعله وكيلا لتطارة الجهادية ولما تقلد زمام هذه الوظيفة تداخل فى أشغال الحكومة وأشغال الدواوين وصار يحول فيها ويعقد المحافل فى منزله علانية وفى منزل غسيرة من رفقائه وكان على الدوام يجعل مجلسه فى منزل محمود سامى لاجل أكله وشربه وتوسطه بالقوى عن حسن موسى العقاد وكان منقيا فى الجهات السودانية فى تطير جماله جعلت له فأجابه الخديوى وسعى فى عزل شيخ الاسلام واستبدله بالشيخ الامباري وكثرو فود الناس اليه وورودهم عليه بعرض خالات والتماسات يتظلمون فيها من المديريات فكان يكتب على كل عريضة ويتداخل فى كل جريمة حتى شق ذلك على شريف باشا وغضب من الافعال الجارية من عرابى وعزم على الاستعفاء

وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ صدق الخديوى على غير رغبتة على القوانين العسكرية الجديدة بجمعها وفى ٤ أكتوبر من تلك السنة اعتمد الخديوى لأئحة انتخاب مجلس النواب وفى ١٠ أكتوبر وفد الى الاسكندرية وفد عثمانى بامر الجناح السلطاني وهو على نطاقى باشا ومعه ثلاثة آخرون وقد موا العاصمة وأنزلهم الخديوى فى قصر الزهة وسار والمقابلته فى سراى الاسماعيلية وبلغوه رضا الجناح السلطاني وأن المقصد من حضورهم تأييد نفوذه وتعزيز موقعه وإثبات مركزه فشكر الخديوى

الحضرة السلطانية ودعاهما بالبقاء والعز والقبول وسار على نظامي لزيارة ألى قصر النيل وكان عرابي  
 حدث محمود سامي على أن يجعل قيادة هذا الألى الى عهدة طلبه عصمت بعد رفته من الدائرة السنية  
 فاستلمه مع أنه ما كان حائز الرتبة أمير الألى عكري وهذه أول حادثة في مخالفة القوانين الجديدة التي  
 عملت للترقي بعرفة جماعة الجهادية من عرابي ورفقائه وفعل محمود سامي هذه الفعلة مراعاة لحاظ  
 عرابي حتى ينزجر مع هذا فلا وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ تم انتخاب أعضاء مجلس النواب وكان  
 مؤلفا من اثنين وعشرين عضوا وأقيم محمد سلطان باشا رئيسا له وفي ٢ فبراير سنة ١٨٨٢ استعفى  
 شريف باشا بسبب ما حصل بين وزرائه ومجلس النواب من الخلاف فيما يختص بالنظر في ميزانية  
 مصروفات الحكومة وذلك أن مجلس النواب أصدر على أن يكون له الحق في النظر في ميزانية مصروفات  
 الحكومة وامتنع من ذلك شريف باشا ومن معه من النظار ووقع الخلاف بينهما فاستقال شريف في  
 الوقت وعهد رياسة النظار الى محمود سامي باشا وأمره بتشكيل وزارة جديدة

وكانت أنا في أثناء ذلك توجهت الى السواحل المصرية لاستلام أعمال الوظيفة التي تولاها  
 ومناظرة القلاع والطواحي من ابتداء طواحي الجبجي والاسكندرية وأبو قير ورشيد والبرلس ولما وصلت  
 الى دمياط رأيت فيها تلغرافا من محمود سامي بسرعة وصولي المحروسة فنزلت من دمياط وتوجهت  
 القاهرة ووجدت في منزلي أمر الخديوي بعهدة نظارة ديوان الاشغال الى من غير ما أعرف بسقوط وزارة  
 شريف باشا وهذه صورة الامر حريا

اشغال عمومية ناظري عزتو محمود فهمي بك

بناء على تغيير هيئة النظار التي كانت تحت رياسة محمد شريف باشا وحالة مقام الرياسة له عهدة سعادتلو  
 محمود سامي باشا وتكليف المشار اليه بانتخاب وتسمية هيئة نظارة تحت رياسته قد أعرض لطرفنا عن  
 الهيئة التي استحسن تشكيلها ومن ضمن ذلك تعيينكم لنظارة الاشغال العمومية وحيث ان انتخاب  
 المشار اليه وقع لدينا موقع الاستحسان والقبول لما هو معلوم لدينا فيكم من الاهلية واللياقة لذلك  
 فأصدرنا أمرنا هذا لكم اشعارا بتوجيه نظارة الاشغال العمومية لعهدة لياقتكم ولكي تبادروا مباشرة  
 الامور والمصالح المتعلقة بهذه المأمورية على وجه المرغوب كما هو مطلوب بنا بتحرير افي ١٥ ربيع أول  
 سنة ١٢٩٩ الموافق ٤ فبراير سنة ١٨٨٢ مرة ٧ سايره

الخطم

محمد توفيق

ولما قرأت هذا الامر خلعت ملابس السفر ولبست ملابس أخرى وتوجهت لمقابلة الخديوي توفيق باشا  
 وشكرت ذات الابهية على ما أسداه من هذه الفعلة السنية فهنا في هذا المنصب الرفيع ومن هذا الوقت  
 تكاثرت الاعداء بالقدح والذم وقالوا فينا عند الخديوي توفيق باشا ما قاله مالك في الخمر حتى أوغروا صدره  
 حدة او حنقا

ولما قابلت الخديوي توفيق باشا توجهت الى منزل محمود سامي وشكرته على أفعاله وما منكنه من حسن  
 التفاته في الاولى والثانية وهي الاكبر وفي أثناء نظارة الاشغال ترقيت بعدد هاشم الى رتبة اللواء

الرفيعة وهي رتبة الباشوية مع أجد عرابي في يوم واحد

ولما شكل محمود سامي النظارة فكانت بهذه الهيئة

محمود سامي باشا . رياسة النظار وناظر الداخلية



أحمد عرابي باشا	ناظر البحرية والبحرية
مصطفى فهمي باشا	ناظر الخارجية والحقانية
علي صادق باشا	ناظر المالية
حسن شريعي باشا	ناظر الاوقاف
محمود فهمي باشا	ناظر الاشغال العمومية
عبد الله فكري باشا	ناظر المعارف

ولما سلم عرابي مسند نظارة البحرية والبحرية في ترقية كثيرين من رفقاؤه الضباط وقرر قانون الضباط والمعاشات بطريقة جمعت القلوب على ولائه وجبر الخديوي توفيق باشا على ترقية نحو من أربع مائة لم يراع في ذلك قانونا ومن الذين رفاهم إلى رتبة اللواء عبد العال وعلي فهمي وطلبه عصمت وخرق حرمه القانون العسكري الذي جبر شريف باشا الخديوي على التصديق عليه ومع كونه في نظارة الجهادية فإنه كان يتدخل في جميع أشغال الحكومة حتى تلقت إدارة الدواوين وفي مدته فقدت النظامات والقوانين من العسكرية وصار لا طاعة لاحد من فوقه من العساكر والضباط ورفت من ديوان الجهادية من شاء وأبقى من شاء واستبد بحركته وسكاته وكل من كان له مظلة من الناس في النواحي القبلية والجهات يغد على عرابي بهداياه ليقتضي له أشغاله ويبلغه نواياه وكذا في القاهرة تواردت على منزله الستات والهوام ليؤدوا إلى جياته الهدايا والمغارم اقضاء أشغالهم وجبر حالهم حتى امتلأ بيته بالهدايا والنقود وكان ولم يزل يدعي الفقر وامتلا بيته من أهل المنامات وكثر الدجل وضرب الرمل

ولما وجد الضباط من الجرا كسة ما قررهم عرابي من ترقية رفقاؤه من الضباط ولم يحصل لاحد منهم ترقية الا قليلا جدا من الذين كانوا منتمين اليه زججوا وعضبوا فاعين منهم جملة في الايلات التي كانت استعدت للسودان من أجل حركة المهدي فقالوا لا نسافر حتى نترقى منزل الذين ترقوا وفي أثناء هذا بلغ عرابي من أحد الجرا كسة الذين رفاهم أن ضباط الجرا كسة المتأهين لسفر السودان مجموعون على الوقوع به وفي عزهم الكيد له فأمر بالقبض عليهم ظالمًا ومظلوما وسجنهم في أودى قشلاق عابدين وعقد لهم مجلسا حريا تحت رئاسة صديقه علي الروبي وبعض ضباط آخرين وكان الذين صار ضبطهم نحو من أربعين ضابطا ومن جلتهم عثمان رفيق باشا ناظر الجهادية سابقا وعاملهم بالقسوة الشديدة والغلظة القبيحة العتيدة ووضعهم في الحديد وأمر بجس كل واحد منهم على حدته وسلط عليهم هو وعلي فهمي وعبد العال حلي عساكر الخفر الموجودين محافظين عليهم أن يعذبوهم لئلا ينفكوا عن رعايته ما عدا عثمان رفيق باشا فإنه كان مسجوننا حين مكرم محترم وعما ان هؤلاء الضباط في أشد المضايقة والعذاب في سجون قشلاق عابدين كان الخديوي يسمع أنينهم وبكاءهم لان القشلاق نجاء سراي عابدين المقيم بها الخديوي ومن ثم لاجل خلاص أنفسهم من هذه المضايقات قالوا في المجلس الحربي كل ما يختاره علي الروبي ويشتميه علي خاطر مرغوب صديقه أحمد عرابي ومن بعد تمام التحقيق الجبري حرر أرباب المجلس جرنالا طويل الاستلثة والاجوبة ووقعوا الحكم فيه على هؤلاء الضباط بنفيهم من الاقطار المصرية إلى جهات الاقطار السودانية وأرسل رئيس المجلس علي الروبي جرنال التحقيق إلى أحمد عرابي ناظر الجهادية والبحرية بجواب من طرفه فأرسله عرابي إلى معية الخديوي توفيق باشا

ليصادق الخديوي على ما توقع من الاحكام على هذا الجرنال بجمع الخديوي النظار تحت رياسته وقرأ الجرنال جميعه بحضورهم فتقرر بهذا المجلس نفيهم الى جهات القسطنطينية في ممالك الدولة العثمانية البحرية حيث لا يمكن معيشتهم في الاقطار الحارة السودانية وفي هذا المجلس كلف عرابي الخديوي بتجريدهم من الرتب والامتيازات فقال الخديوي ان رتبة الفريق الحاكم عليها عثمان رقيق باشا لا يمكن تجريد منه لان ذلك من حقوق الباب العالي فيلزمني أن أتخبر أولاً مع الباب العالي فقال عرابي ولماذا صار تجريد جاهين باشا كنج حال خروجه من الديار المصرية الى ايطاليا ودخوله حتى جانيته غير أمر الباب العالي فقال توفيق باشا كان ذلك من عين الظلم البين فقال عرابي ولماذا أفندينا يحصل منه مثل هذا الظلم المعلوم عند أفندينا واقطع الكلام وكل من النظار قام لحال سبيله

ومن بعد مضي أسبوع تحرر من المعية الخديوية الى ديوان الداخلية على هذا الجرنال بتوقيع الاحكام وتنفيذها بشأن نفي ضباط الجراكسة الى جهات القسطنطينية والبلاد الشامية السورية وأن يكون اجراء ذلك بمعرفة ناظر الداخلية محمود سامي فلم أر أي ذلك عرابي أخذ الغضب وقال في مجلس النظار المعتاد ان الداخلية ليس من حقوقها تنفيذ أوامر على جماعة الجهادية بل ديوان الجهادية له الحق في المخاطبة رأساً مع الخديوي بدون توسط الداخلية ومن حيث ان الجرنال مرسل من نظارة الجهادية الى المعية فكان الواجب على المعية أن ترسله مشروحا عليه الى ديوان الجهادية رأساً من طرفها واحتد في الغضب وقال أنا لأقبل هذا الجرنال من ديوان الداخلية والاحسن عوده الى المعية لترسله من طرفها رأساً الى ديوان الجهادية من بعد التصديق على ما فيه من الاحكام وبمعرفة ديوان الجهادية يجرى التنفيذ ولا بمعرفة الداخلية فأخذ ناظر الداخلية الجرنال فوراً وقام من المجلس وسار متوجهاً الى الخديوي وعاد بعد قليل فكان هذا مبدء الحوادث القبيحة والاجراآت الفظيعة والثورة الملقبة بالثورة المشؤمة العراقية وذلك أنه من بعد خروج ناظر الداخلية من عند الخديوي توفيق باشا أرسل الخديوي في الحال الى كل من قنصلي دولة انكيترا وهو ماليت وقنصل دولة فرنسا وأبلغهم ان رئيس النظار وناظر الداخلية حضر هنا في الحال والساعة ودخل عليه فاحتاح صدره وأزعجوه وهدده بالكلام وقال له ان حياة التبعة الاورباوية على خطر يكون معلوم لكم فانزعج القنصلان من كلام الخديوي وأسرعوا بالحضور الى ديوان الداخلية وسألوا من ناظر الداخلية ومن عرابي ناظر الخارجية عن حالة الاوروباويين في القطر المصري وعما اذا كان يحصل لهم خطر أو ضرراً كذا لهما ان لا شيء في الامر من مثل ذلك

ومن ابتداء هذا الوقت شرع القنصل ماليت والمفتش المالي كولين في مخاطبة دولتهما وانتهاز الفرصة في التغلب على البلاد المصرية وكذا خابر قنصل فرنسا دولته وحصلت المشاكل والارتباكات وازدادت المجالس الليلية والاجتماعات وصار كل انسان يقول ما عنده من الاقوال وما يترأى له من الافكار وبينما الناس في هذه الهواجس اذورد الخديوي توفيق باشا بلاغ من كل من دولتي انكيترا وفرنسا بانهم ماموطدانه ومعصدانه ومثبتهانه على الاريكه الخديوية المصرية ولا خوف عليه ولا على أريكته من شيء وكان قبل ذلك بمدة حصل انفضاض مجلس شوري النواب ولم أر النظار ما هو حاصل من الارتباكات طلبوا عقد مجلس نواب الامة فحضر المجلس وكان على غير رضا من الخديوي وحاول محمد سلطان باشا رئيس المجلس ونفس المجلس في حصول الاصلاح بين رئيس النظار محمود سامي



ومعه أحمد عرابي وبين الخديوي فلم يفوزوا بشئ ثم اجتمع النظار جميعا مع رئيسهم محمود سامي وتوجهوا ليلا الى سراي الاسماعيلية ومعهم محمد سلطان باشا وحصل الصلح (في الظاهر) وقال الخديوي اني سأحت وعفوت عما حصل وانقض المجلس على الصلح والاطمئنان وازالة الهواجس ومنع المجالس الليلية المتسبب عنها هياج الاور وباوين ومن بعد هذا الصلح بقليل ازدادت الارتباكات والاقلاق وتحير مجلس النواب في أمر مابين رئيس الوزارة والخديوي فشكّل المجلس المذكور وفد منهم وأرسلوه الى الخديوي يرجون اجابة سؤالهم في الهدوء والراحة فأجابهم متأسدا بعدم امكانه فعادوا وأخبروا رئيس المجلس والنواب بما حصل وفي ١٤ ماية سنة ١٨٨٢ تعينت لجنة ثانية من المجلس تعرض على الخديوي هدوء راحته وسقوط رئيس النظار فقط ويتعين بدله مصطفى فهمي باشا فتوجهت هذه اللجنة وعرضت على الخديوي ذلك فقبل منهم هـذا بعد التردد الكبير ثم سارت هـذه اللجنة الى مصطفى فهمي باشا يسأله لونه قبول تلك الزياصة فرفض القبول ورجعت المسئلة الى موضوعها الاول بل زادت ارتباكاً

وبينما الناس في هذه الارتباكات اذ وردت لغراف من لوندري يني بصدور الامر الى الاسطول الانكليزي الراسي في بحر المانش أن يتأهب ويستعد للسفر في ٢٨ ماية الى البحر الابيض المتوسط فأوجس الناس خيفة وما زال النواب والعلماء يسعون في حصول الراحة حتى استتبعت نوعا عن ذي قبل ثم أشيع عن قرب وصول اسطول انكليزي وآخر فرنساوي ووردت لغراف من جزيرة كريد مخبرا بخروج الاسطول الفرنسي منها فاصدا غرا الاسكندرية والاسطول الانكليزي باقيا فيها ينتظر قدوم الاسطول العثماني ليأتي الاثنان في وقت واحد

وفي ١٩ ماية ابتدأ ورود المراكب الانكليزية في ميناء الاسكندرية وفي ٢٥ ماية قدم قنصلا انكليزيا وفرنسا بلاغانهما نيما من دولتيهما بالاتحاد مع محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب بسقوط الوزارة وخروج عرابي من القطر المصري ويضمنان له حفظ رتبة ورواتبه وابعاد كل من عبد العال حلمي وعلى فهمي الى بلادهم في جهات الارياض مع حفظ رتبهما ورواتبهما مع تكفل الدولتين بالزام الخديوي بصدور عفوه عام عن جميع الذين ا لهم دخل في مسئلة أحمد عرابي فلم تقبل الوزارة هذا البلاغ وقبله الخديوي وبناء عليه استعفت الوزارة في ٢٦ ماية ومن هذا الوقت أخذ الخديوي ادارة الحكومة تحت يده وأرسل في صباح ثاني يوم الى يعقوب سامي وكيل نظارة الجهادية وقال له ان الوزارة استعفت والآن صارت الادارة أنا المسؤول عنها وكذا ادارة العساكر الجهادية فلا يلزمك اجراء شئ الا بالاستئذان من طرفنا وفي الحال أصدر له أمرا بذلك وأن يتوجه في الحال الى أليات العباسية وقصر النيل وعابدين والقلعة وينشر على العساكر والضباط التنبيهات والاوامر الخديوية بحسب ما صدر له ونفس هذا اليوم كان يوم جلوس الخديوي على الاريكة المصرية وحصول الاحتفال في هذا اليوم فاصدر الخديوي أمرا الى يعقوب سامي وكيل الجهادية بأن يأتي الى التشرية مع أمراء الالات واللوا آت الموجودين في القاهرة وضواحيها لاجل تشرية هذا اليوم فقرر وكيل الجهادية اعلانات الى أمراء الالات واللوا آت ليحضر وفي ساعة معلومة عنده وتوجهوا للتشرية الخديوي في سراي الاسماعيلية فأسرع طلبه عصمت الى منزل أحمد عرابي وأخبره الخبر فقال عرابي ربما يعرض عليكم بلاغ الدولتين فتجاوب أنت بعدم قبوله وان ذلك من خصائص الباب العالي ولما استعفى عرابي من

نظارة الجهادية كتب اعلانات وأرسلها الى الالات وسائر الجهات بأنه وان كان استعفى من نظارة الجهادية الا أنه لم يرزل رئيس الحزب الوطنى والمرجع اليه فى الحال والاستقبال ولما وصل وكيل الجهادية يعقوب سامى بن معه من الضباط والامراء لاجل التثنية ودخل صحبتهم عند الخديوى وجد مجلسا غاصا بالعلماء والقناصل ونواب الامت جميعا ورجال الحكومة ولما استقروا فى الوقوف قام الخديوى من مجلسه وقال مخاطبا لوكيل الجهادية أنا قبلت بلاغ دولتى انك تراو فرنا وقبل أن يتم الخديوى كلامه خرج طلبه عصمت من محله وودق على صدره وقال نحن مطيعون وأمر أفندينا ولا يمكن استكمال علينا تنفيذ هذا البلاغ ولا حق للدولتين فى طلب ذلك لان هذه المسائل من خصائص الباب العالى نجذبه وكيل الجهادية الى وراى وأخذ يخرج من المجلس وتبعه الضباط الآخرون وفى نفس هذا الوقت ورد للمغراف الى الخديوى من العساكر والضباط الموجودين فى رأس التين بالاسكندرية تحت امضاء سليمان سامى القاء مقام بالقول ان العساكر لا يقبلون ناظر اقليمهم خلاف أحمد عرابى وان مضت اثنتا عشرة ساعة ولم يعد الى منصبه يكونون جميعا خالين عن المسؤولية عما يحدث وما لا يستحسن وقوعه وزاد الاشكال والاضطراب واختل النظام وقلق الناس فعقد محمد سلطان باشا فى منزله مجلس النواب وطلب البعض من ضباط الجهادية للدولة معهم فيما يلزم لحصول الامن والراحة فتوجه أحمد عرابى وعبد العال حلمى وطلبه عصمت بعد أن جعلوا عرابى نائباً عنهم وكان من جملتهم محمد عبيد وبعض ضباط آخر ووكيل الجهادية يعقوب سامى فخطب عرابى فى وسط مجلس الامة واذم الخديوى وندد على أفعاله وحركانه وقال أخيراً انى عزلت توفيق بن أجابى فليقم فاقام أحد من النواب الاماندر فزق محمد عبيد بصوته كل من لم يجب رئيس الحزب الوطنى قطعت رأسه بسيفى هذا وأشهر سيفه فى وسط المجلس فتولد من هذا ضجة فبيحة وخرج الجميع على غير طائل وارتبكت الامور فى القاهرة والاسكندرية وهاج الناس بعضهم فى بعض فسار قناصل الدول الى الخديوى وتداولوا معه فى ارجاع أحمد عرابى الى منصبه لاجل تأييد الامن والراحة فى أتحاء القطر على الوطنيين والاجانب فقبل ذلك الخديوى وحصل السرور لرجال الحزب الوطنى وأخذ عرابى مسؤولية الامن والراحة على نفسه وصدر له من الخديوى أمر بعوده الى منصبه الاول وأرسل الخديوى بلاغا الى الباب العالى يخبره أن العساكر ليسوا راغبين فى استعفاء الوزارة وأقاموا اللجنة على طلب الدولتين فأجيب بان الحضرة السلطانية أمرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتى مصر من بعد ثلاثة أيام لأجل النظر فى هذه الامور الحاصلة

ولما عاد عرابى بأمر الخديوى الى مسنده فى نظارة الحربية بعث بلاغا الى قناصل الدول يضمن اهم تأييد الامن واستتباب الراحة لجميع سكان القطر المصرى من وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين وطلب فى هذا الوقت ثلاثة أشياء

- (أولها) - اعادة بلاغ الدولتين وانسحاب اسطولهم ما من مياه الاسكندرية
- (ثانيها) - وضع قانون أساسى مبين فيه حدود كل من الخديوى ووزرائه
- (ثالثها) - قطع المخبرات والعلاقات مباشرة مع الدولتين ومع عموم الدول الا بواسطة الباب العالى ومن كثرة الحاح ماليت قنصل انكلترا على الحكومة الانكليزية وحشها وتحريرها فى هذا الوقت المناسب خابره المستر غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية سرا وقال له لا يمكن التدخل فى هذه المسئلة



الاذا قامت جماعة الجهادية وظهر قيامهم للدول اذا يكون هذا الوقت هو وقت الدخول واجراء العمل حسبما ترغبونه ثم صرح غلادستون في مجلس اللوردات أن دولته لا بد لها من تأييد كلمة الخديوي توفيق باشا بالنسبة لما أظهره في حق الدولة البريطانية من الصداقة والاخلاص

وفي ٧ يونيه وصل الى ثغر الاسكندرية وابور عز الدين الشاهاني حاملا لدولته لورد رويس باشا المعتمد العثماني ومعه السيد أحمد أسعد وبعض معاونين وقدرى بك وتوجه وكيل الجهادية يعقوب سامي لمقابلته وكان ذوالفقار باشا وحسن حلمي باشا مستعدين لمقابلته في الاسكندرية فقال ذوالفقار باشا لو وكيل الجهادية لم يكن للرخصة ولا اذن في التوجه الى عز الدين ومقابلته النائب العثماني حسب أمر الحضرة الخديوية فخر وكيل الجهادية للمغرب بذلك الى عرابي في القاهرة فأجابه في الحال بأنه لا بد من توجهه مع محمد كامل باشا وكيل ديوان البحرية ومقابلته مرغما عن قول ذوالفقار باشا فحصل ذلك وكانت هذه أول مبادى كراهة الخديوي ليعقوب سامي لما وجد فيه من كل الميل الى عرابي ولما نزل درويس باشا في الاسكندرية سار على الفور الى محطة السكة الحديد وتوجه مسرعا مع من جاء بهم الى القاهرة فقابلوه أهل القاهرة و طرح الاوباش والحشاشون أمامه الورد والزهورات وساروا يصرخون أمامه بقلوبهم اللهم انصر السلطان وما زالوا أمامه في هياض وزعيق حتى وصل الى سراى الجزيرة وكان الخديوي أعدها لنزوله وقابل الخديوي ثم زار الخديوي ولما كان لا يوجد في هذا الوقت نظارة توجيهنا (النظارة السابقة) مع محمود سامي وعرابي وزرناه وسلمنا عليه وشرع في المخاطبة بين الخديوي ومحمود سامي وعرابي وصار يعد هذا ويعني هذا وأما السيد أحمد أسعد فإنه لما رأى صعوبة الاحوال ومشقة الاعمال اكتفى بان اشترى ما يلزمه من القاهرة وتوجه الى القسطنطينية وعرض للسلطان بان عرابي حقيقة من أكبر العصاة على الخديوي وما زال درويس في كدوسعي وأخير لما رأى أن أموره مع عرابي لا تنفذ شيئا قال له جهارا تأمل يا عرابي أنا جئت من عند السلطان صاحب الشوكة والعظمة والاركان لاجل توطيد الخديوي وتنفيذ أحكامه وان سيدك يأمر بك بالتوجه الى سدة العلية أنت ومن معك من الذين لم يكن الخديوي له فيهم رغبة بالكلية فأبى عرابي التوجه وعدم القبول واشتدت الاحوال واختلفت الاقوال وكثر الاضطراب والقلق من ساكني مصر عموما وأخذ منهم مبلغا جسيما وكثرت الاشاعات فعزم النزلاء الاجانب على الجلاء والمهاجرة الى أورور وبأخوفهم أمر يأتى أو فرار من بلاد محسوبة وأصبحت الاسكندرية ملجأ للوافدين من نواحي الارياف والصعيد مؤملين أنهم يكونون فيها آمنين من غوائل التعدي لكثرة ما فيها من الاجانب والحماية تحت الاسطولين الفرنسيين والانكليزي

وكان في هذا الوقت غمرا طفي باشا محافظ مدينة الاسكندرية واسمعييل كامل باشا لجر كسى قائد عساكر الاسكندرية فصل من بعض الرعا معاكسة الاجانب وأغلظوا عليهم في معاملاتهم واستبدوا بهم في أمورهم ولما رأى أولئك الاجانب تغير الاحوال والنظام صاروا يتأهبون للدفاع خوفا من الاهالى ريموا يقعون بهم أمر اليس في امكانهم دفعه بغير سلاح

وفي ١١ يونيه حصلت منازعة بين حمار وماطى تسبب منها الغارة على البيوت وقتل العساكر المستحفظون والاهالى بالاجانب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة بلغ القتلى فيها ما يتوفى عن الالف وصار العساكر يحملون القتلى في الطرقات ويرمونهم في البحر وجرى الدم من باب الترسانة الى ديوان المحافظة

وصار المحافظ يأمر بجلب عربات الزمل ويردم الدماء وانجرح كثير من كبار الاجانب فاصدر محافظ الاسكندرية امره الى سليمان سامي القائم مقام بان يبعث العساكر الجهادية لايقا في الاهالي ومنعهم من ارتكاب تلك الفظائع فأجاب سليمان سامي بعدم استطاعته الا اذا اتاه امر من عرابي ولما انتشر خبر هذه الحادثة الفظيعة بعد تسكين اهالي الاسكندرية هرع الاهالي من الاجانب في الخروج من القطر المصري وقيل انه هاجر من مصر في تلك المدة ما ينوف عن مائة وخمسين ألفا

وفي صباح ١٢ يونيه اجتمع القناصل وخطبوا درويش باشا بكلام عنيف وعقدوا مجلسا في سراي الاسماعيلية كان فيه الخديوي ودرويش باشا وشريف باشا وغيرهم من رجال دول أوروبا وتقرر فيه ما يوجب الامن والراحة وأن يمثل عرابي لاي أمر ما يصدر له من الخديوي وأخذ درويش باشا على نفسه تنفيذ الاوامر الخديوية بالاشتراك مع عرابي ورضي وكلاء الدول بذلك وفي الحال صدر الامر بتسفير الالبيين من البيادة وجسلة بطرياق من الطوبجية وفرق من السوارى الى الاسكندرية للمحافظة عليها وعلى اهلها وتعينت لجنة بأمر الخديوي تحت رئاسة عمر طفي المحافظ وفيها مندوبون من طرف القناصل لاجل معرفة السبب في أصل المذبحة وآل أمر هذه اللجنة الى الانفكاك ولم يتيسر لها الحصول على شيء لان الامر مبهم جدا عليها ولا يمكنها الوصول الى معرفة ما لديها

وفي ١٣ يونيه قام الخديوي من القاهرة متوجها الى الاسكندرية مصحوبا بدرويش باشا ولما وصل اليها زاره قناصل الدول وأظهر لهم أسفه على ما حصل من هذه الحادثة الشنيعة ووعدهم باخذ الفتن واستتياب الراحة وأرسلت قناصل الدول الى رعاياها بالهجرة الى القطر المصري نجاة لهم وحفظا لسلامتهم وعينت كل دولة سفنا لنقل رعاياها مجانا وورد من ماليت قنصل انكلترا أمر من لوندرة بحضوره في الاسكندرية ومرافقته الخديوي توفيق باشا حينما توجه وفي ٢١ يونيه شكل الخديوي وزارة جديدة تحت رئاسة راجب باشا بقى عرابي فيها ناظرا للجهادية البرية والبحرية ثم وردت الاخبار بعدة دموثرفي الاستانة للبحث عن المسئلة المصرية فتمنع الباب العالي من ذلك بما أنه ليس في مصر ما يوجب الاضطراب اعتمادا على تقرير درويش باشا ما حكومت انكلترا فلم تزل ساعية ومكدة على عقد المؤتمر بدعوى أنه يستحيل إعادة الامن في مصر بدون قوت فعالة وأجاب الباب العالي باسـتقرار السلم بعد تشكيل الوزارة ووافقه دول المانيا وأوسـتريا وإيطاليا والروسيا خوفا من مطامع انكلترا في مضر الا أنه في ٢٤ يونيه صار عقد المؤتمر في الاستانة بدون دخول الباب العالي فيه فكان ما تقرر أن الحكومات التي وقع وكلاؤها على ذيل هذه التعهد بالنيابة عنها تتعهد أن لا تقصد اغتنام أرض ما مطاقا ولا انحصـول على امتيازات ما ولا يكون لرعاياها من الامتيازات التجارية شيء ولا يمكن أن يناله غيرهم من رعايا أي دولة في مصر وذلك في أي مسئلة تحصل التوافق عليها بكذا واشتركا في الخبرات لتنظيم أمور تلك البلاد وفي هذا الوقت كانت حكومة انكلترا تجهز الجيوش للحرب بدعوى أن ذلك من باب التمدد لعرابي وكانت تحض دول أوروبا على مساعدتها وكانت الدول على حذر من دخول انكلتره في الديار المصرية الا أنهما لا تقدر على معارضتها بالشدة والعنف

وكان الخديوي توفيق باشا ودرويش باشا مقيمين في سراي رأس التين في الاسكندرية وعرابي معه طلبه عصمت مقيمان في الترسانة وتحت قيادتهم مائة ألف من العساكر وفي أثناء ذلك أقرت نواب الدول على كتابة لائحة مشتركة تقدمونها الى الباب العالي لاجل ارسال جنود عثمانية الى مصر لاجل اخضاع



هذه الفتنة فأبى فالتحذت انكثرت ذلك حجة لتدخلها بالقوة البحرية وشرع الاميرال سيمور في كونه يتخذ سببا ولو طفيفا لمباشرة العمل وكان سيمور هذا قائدا لاسطول الانكليزي فادعى أن العساكر الجهادية جارية في تحصين وزيادة قوة القلاع في الثغور وأنهم يحجرون نقل أبحار ضخمة ليرموها في فم مدخل المينة تهدد الاسطول الانكليزي وكان هذا القول لأصل له وأن هذه الاعمال منافية لحقوق الاسطول الانكليزي فالحكومة المصرية مكلفة بالكف عن تقوية الاستحكامات حالا والافهوه مجبور على اطلاق مدافعه عليها ومن بعد قليل من الايام أرسل كتابة أخرى بأنه لم تزل العساكر جارية في تقوية الاستحكامات حيث كان هكذا ولم يحصل الكف عن اجراء التقوية فيلزم ازالة جميع مدافع الثغر عن غناديقها الى الارض أو اني مجبور غندا على انزالها من على غناديقها بمدافع الاسطول فلما ورد هذا البلاغ الى الخديوي توفيق باشا ورويش باشا أرسل الخديوي طلب نظارة راغب باشا من القاهرة وكافة الذوات المستودعين الذين كان أصلهم من مستخدمي الجهادية ومن الجملة أنا لان الاستحكامات عموما لم تزل في عهدي وأنا الباشا مهندس عايتها وانعقد المجلس في يوم ٩ يوليه وقرئ فيه اعلان الاميرال سيمور وبعض محادثات طويلة تقررت تحت رئاسة الخديوي توفيق باشا ورويش باشا النائب العثماني وسليمان باشا رئيس مجلس نواب الامة ورجال الحكومة والنظار بوجوب الحرب ولا يليق نزول المدافع لان ذلك عار على الامة المصرية ولما تقررو بوجوب الحرب كان عرابي أنشط من عقاب يعير لانه متصور أن عنده رجالا وعساكر طائعين أمره كما ادعى في واقعة عابدين قال الخديوي نحن لانشرع في ضرب الاسطول الا من بعد أن يأتينا منه ثلاث مقذوفات وواقعه على ذلك الكثير وانفض المجلس على ذلك وتوجه عرابي الى الترسانة وكان قبل انعقاد هذا المجلس توجه درويش باشا الى الترسانة وتقابل مع عرابي وقال له أنت ستكون سببا في خراب البلاد وتغلب الاجنبي عليها والاحسن أن تتوجه معي عند سيدك تكون عنده في أعظم المراتب ولا يغرك ما حوكت من هذه الزخارف ولا المناومات ولا الذين يقولون لك أنا رأيتك راكبا حصانا أسود وعلى رأسك بيرق أخضر فاتبعني أهلك صراطا مستقيما واخرج من البلاد مادام خديويهم متضررا من وجودك فيها ولما رأى درويش باشا أن لا شيء ينفع فيما يبيده له من النصيحة تركه وسار الى رأس التين وخرج مألوت من الاسكندرية بدعوى أنه مريض ونزل في الاسطول الانكليزي وكذا كوكسن فنصل انكثرت في الاسكندرية بدعوى أنه مجروح من حادثة ١١ يوليه وتوجه الاسطول الانكليزي أيضا مثل مألوت

وفي نفس هذا اليوم وصل من عند سيمور المستر كارتر ايت الى الخديوي وأعلمه رسميا عن عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح يوم الثلاثاء ١١ يوليه وألح عليه أن يترك سراي رأس التين ويتوجه الى سراي الرمل فتعل وحرر سيمور رسميا الى درويش باشا يطلب منه أن يحافظ على حياة الخديوي وأن يكون مسؤولا اذا أصيب بسوء

وفي ١٠ يوليه أرسل الاميرال سيمور كتابة رسمية الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة يعلمهما أن خروج رجال الوكالة الانكليزية من القطر المصري اشارة الى قطع العلائق الودية واعلان الحرب وفي مساء هذا اليوم تقهقر الاسطول الفرنسي وجميع السفن التي كانت موجودة في مينة الاسكندرية الى ظهر البحر الايض المتوسط وخلت المينة من السفن بالكلية

وفي الساعة ٧ من صباح يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

ميـلادية أطلق الاسطول الانكليزي نيرات البومباردية على مدينة الاسكندرية وأحاط بهم من كل  
 جهة ومن قبل ذلك كان ضباط الاسطول وقواده أخذوا جميع مقاسات أعماق مياه الاسكندرية  
 وجهات أبوقير ورشيد ودوديماط وعرفوا جيـدا الجهات الخطرة من ساحل البحر التي يمكن المراكب  
 السير فيها والضرب منها على نواحي الساحل وعرفوا جيداً من ابتداء قلاع العجمي الى تجاه رأس التين  
 الى حد سراي الرمل النقط الصالحة لسيـر المراكب والسفن وشحنوا مراكب الاسطول ودوارعه  
 بالذخائر والمهمات الحربية ولا لزوم لوصف مدرعات الاسطول الانكليزي وما هي عليه الدولة الكبيرة  
 هذه من الاستعداد الحربي في البر والبحر ولما شرع الاسطول في ضرب المدينة توجهت أناسا  
 وكنت وقتها في الاسكندرية الى قلاع رأس التين وشرعت أيضا قلاع رأس التين وطواحي باب العرب  
 وطواحي أم كبيبة والابراج والطواحي الداخلة في البحر من مدينة الاسكندرية في الضرب على الاسطول  
 وان كانت هذه الطواحي على غاية من الخراب والدمار وبها مدافع من العيارات القديمة ولم يحصل  
 فيها أدنى تدمير ولا ترميم من عهد أنشأها محمد علي باشا لـذلك الآن أنها ابتدأت في الضرب على  
 الاسطول الانكليزي وكان موجودا في الاسكندرية من الأليات المشاة أربع أليات منها اثنتان في رأس  
 التين تحت قيادة مصطفى عبد الرحيم وسليمان سامي وواحدة في القباري تحت قيادة خليل كامل  
 وزابع في نواحي باب شرق تحت قيادة عبد محمد فأما الأليات المشاة اللذان كانا موجودين في رأس التين  
 فجا آواصطا خلف نيران الاسلحة كومات بجهة رأس التين وأما الأليات القباري فانه لبث في القباري  
 ولم يخرج مع قائده الى قلاع أم كبيبة وأما الأليات باب شرق فانه لبث أيضا في باب شرق ولم يحصل منه  
 أدنى حركة وسلط الاسطول نيران مدافعه الكبيرة العيار والصغيرة العيار ومدافع الميتر بوز فكانت  
 نيران الميتر بوز ومقذوفاتها ساقطة على رأس التين مثل المطر وصارت عسكرا المصرية تهرب من وراء  
 المدافع ورأيت في ذلك الوقت بعيني ما حصل من غيرة الأهالي بجهة رأس التين وأم كبيبة وطواحي  
 باب العرب وهمتهم في مساعدة عساكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود  
 والمقذوفات هم ونسائهم وأولادهم وبناتهم والبعض من الأهالي صار يرمي المدافع ويضربهم على  
 الاسطول وخربت مدافع الاسطول طواحي رأس التين وما فيها من القشلاقات العسكرية والسرديات  
 الخديوية وشاهدت من حال ضباط عساكر الأليات البيادة والطوبجية الذين كانوا يجرون سيوفهم على  
 ترنورات شارع عابدين ويتجثرون في سيرهم ويظهرون قبل الحرب الشجاعة والبسالة وكذا  
 عساكرهم أن أهالي ونساء وبنات وشبان سكان جهات رأس التين وباب العرب وأم كبيبة أشجع  
 وأحسن منهم قلبا وقالبا وشجاعة وكان معي في هذا الوقت في رأس التين لمشاهدة الحركة زبير باشا ومحمد  
 رؤف باشا وآخرون وشاهدوا ذلك أيضا وتأسفوا جدا على ما شاهدوه من جبن عساكر المشاة والطوبجية  
 في أثناء الحركة البومباردية في أول يوم واستمرت نيران الاسطول الانكليزي متساقطة على المدينة الى  
 حـد الساعة واحدة ونصف افرنكي بعد الظهر فلما رأيت أهالي الاسكندرية ما هو جار من استمرار  
 ضرب المقذوفات عليهم خرجوا مهاجرين من مدينتهم على شواطئ ترعة المحمودية مثل الجراد المنتشر  
 وناهيك أن عدد سكان مدينة الاسكندرية نحو من ٣٤٠٠٠٠ نفس فهؤلاء جميعا تركوا مساكنهم  
 ومنازلهم وهرعوا على سواحل ترعة المحمودية شرقا وغربا لا يدرون أين يتوجهون مع أطفالهم  
 ونسائهم شيوخ وشبان وأطفال ملحقين على شواطئ الترعة جائعين لا زاد عندهم ولا قوت وكل رجل



حرشاهدهم يلعب من كان السيب لعنانه أصل هذه البلايا والآفات والمصائب والخسارات  
 فلما رأيت هذه الأحوال صرت أفتش على عرابي في أي جهة يكون حتى أقص عليه هذه الحوادث  
 الفظيعة وما زلت أقص عليه حتى وجدته قاعداً في قلعة كوم الدماس داخل محل من محلاتها وبجانبه  
 طلبه عصمت والشيخ محمد عبده وعمر رجي وأضعين أيديهم على خدوده هم باهتين ساكتين مصفري  
 الوجوه لا يبدون حراكاً كأنهم جميعاً في هيئة الاموات وفي أثناء هذا المأرأى بعض ضباط الطوبجية أن  
 لا قدرة لهم على طلق المدافع على الاسطول رفعوا البنادق البيضاء من طوابيقهم فانقطعت نيران الاسطول  
 وكان ذلك في الساعة واحدة ونصف افرنكي أو قريب العصر تقريرا ولما رأيت عرابي ومن معهم هذه  
 الحالة سكبت ولم أقل له شيئاً وهو كذلك ما ألقى عن شيء مما لما انقطعت نارا الاسطول قام وخلفه طلبه  
 عصمت وسار الاثنان ونزلا من القلعة وتوجها المنزل راغب باشا على الشاطئ الغربي للبحر ودية فأنا  
 كذلك تبعتهما على بعد ولما دخلت راغب باشا دخلت أنا كذلك ومكثنا جميعاً مع راغب باشا وحضر  
 سلطان باشا وشريعي باشا وزبير باشا في أثناء ذلك بمنزل راغب باشا رئيس الوزارة ولما استقر الجميع  
 قام عرابي ودخل محلا يتوضأ ويصلي فيه فقال الزبير لراغب باشا حسب ما شاهدت دعيا نأيا سعادة الباشا  
 والله اني رأيت العساكر على غير قوة ومقاومة ولا ينفعون بشيء وأن هذا الحرب مشؤم على البلاد  
 والعباد فقام طلبه في هذا الوقت وتمتدور على الزبير أمام سلطان باشا وشريعي باشا وراغب باشا كيف أنت  
 تقول ذلك وعساكرنا مثل الاسود وضربوا في الاسطول الانكليزي حتى كسر واهرا كبه وآخر يوه  
 وقام في وجهه طلبه الشراسة فقال سلطان باشا يا سعادة محمود باشا أحق ما يقوله زبير باشا فقلت نعم هو  
 تحقيق بلا محالة وحكيت له ما حصل من الضباط والعساكر من الجبن وعدم الغيرة وما حصل من السكان  
 والاهالي من الخية والخاس فلما سمع راغب باشا كلام طلبه عصمت الذي لا يدري ولا يعرف أي شيء  
 حصل في أثناء ضرب الاسطول نيرانه على المدينة أسرع وركب وتوجه الى سراي الرمل لمقابلته الخديوي  
 وكذا نحن جميعاً آخر بخان من منزله وكان ذلك قرب غروب الشمس في ليلة الاربعاء أي في أول يوم الواقعة  
 وأخذ عرابي طلبه وسار الاثنان لأعلم أين توجهها وأما راغب باشا فانه لما قابل الخديوي أخبره بخبر  
 أن الحصون قاومت بواسطة ضباطها وعساكرها أشد المقاومة وأخبروا كثيراً من سفن الاسطول  
 الانكليزي وما لبث أن دخل عرابي على الخديوي وأخبره قائلاً نحن لا طاقة لنا على المدافعة والمقاومة  
 ولا بد لنا من عمل تدابير أخرى نجربها مع قائد الاسطول الانكليزي فانشرح صدر الخديوي توفيق باشا  
 من هذا الخبر الذي ألقاه له عرابي فقال له الخديوي أرسل بعض الايات الى نواحى العجى لانه بلغنى أن  
 عساكر الانكليز سينزلون هناك فرفض عرابي ذلك فقال محمد سلطان باشا وكان حاضراً في هذا الوقت  
 أفندينا جعل عرابي ناظر جهادية ولم يعهد اليه أفندينا هذه الوظيفة الجلية الا لما يعهد فيه من  
 دراية بالمواد الحربية والاعمال العسكرية فهو يعرف شغله في حفظ البلاد المتهددة بالمخاطرة عليها  
 ووقوع الامن واستتباب الراحة فيها وعقد والذالك مجلساً عند الخديوي تقر فيه برأي عرابي ارسال  
 طلبه عصمت للكاملة مع الاميرال سيموراميرال الاسطول الانكليزي فذهب وعاد وقال ان الاميرال  
 يطلب احتلال ثلاث قلاع من قلاع الاسكندرية والاستئناف القتال غدا الساعة اثنين بعد الظهر  
 ولما رأيت أنا عدم مقاومة العساكر وضعفهم وعجزهم حصل لي غاية الاسف والحزن وحضر محمود  
 سابعي من القاهرة واجتمعنا سوياً عند عرابي واتفقنا على أخذ موقع للعساكر خارج الاسكندرية

بجهة كفر الدوار وتوجهت أنا وخلييل كامل لكشف الموقع الموافق وفي أثناء ذلك عقد الخديوي مجلسا من النظار في سراي الرمل تقرر فيه أنه لاحق للحكومة المصرية أن ترخص في احتلال عساكر أجنبية في أي نقطة أو جهة من الأراضي المصرية من غير مخافة الباب العالي ولما كان الوقت المحدد لاستئناف الاسطول إعادة ضرب النار بعد إرسال هذا البلاغ إلى أميرال سيمور شرع الاسطول في ضرب الاسكندرية ثاني يوم بعد الظهر وهو يوم الاربعاء وفي ذلك الوقت أرسل عرابي وطلبه نصف أورطة بيادته تحت قيادة واحد صاغقول أغاسي اسمه أبو هشيمة للحفاظ على الخديوي وآخر بكاشي محمد منيب بأورطته الخيالة فتوجهوا وحاصروا سراي الرمل لاغتتيال الخديوي وكان ذلك على رأي سليمان باشا بأظه أنه قال لعرابي إن لم تحافظوا على الخديوي وتقتلوه والاهرب إلى الاسطول الانكليزي فبناء عليه أرسل عرابي وطلبه هؤلاء العساكر وبعد ذلك بقليل أرسل إلى سليمان سامي القائم مقام وهو سليمان داود فلما حضر عنده قال عرابي يا سليمان بك اني أمرتك أن تذهب في الحال مع بلوكين من الايك وتقتل الخديوي وكل من معه في سراي الرمل وتحضر فاجابه سليمان داود بقوله أنا لا يمكنني ذلك فان أردت هذا فتوجه أنت بنفسك واترك عرابي فتوجه إلى أليه وانتشرت عساكر ألي مصطفى عبيد الرحيم وسليمان داود وكان في رأس التين في نواحي المنشية وشارع شريف باشا وشارع رأس التين وكانت المدينة خلعت من سكانها وتجارها فاحذوا يكسرون أبواب الدكاكين والخازن وينهبون ما فيها من الجواهر والبضائع الثمينة وأوقدوا النيران في الاماكن والابنية المتخربة ودخل أيضا عربان البحيرة والخطافون من البرابرة والعبيد وسلبوا الدكاكين والخازن وأشعلوها بالنيران وصاروا يزيدون في التهايم وحرقوا بريت البترول الموجود في مخازن التجار وصار هؤلاء العساكر في هيئة سلايين لا مدافعين ولا محافظين بشرط لو خرج عليهم من الاسطول الانكليزي ولو مائة نفر بالسلاح لولوا جميعا هاربين وللتجاة طالبين الآن الخديوي لم يعلم بذلك ولما رأى عساكر الطوبجية الموجودين في القلاع أن لا طاقة لهم على المحافظة ومقاومة نار الاسطول رفعوا البارق البيض وهي بارق الامان والمسالمه فقطع الاسطول الانكليزي نيرانه ولما رأى عرابي ما حصل بالمدينة من الخراب وسوء الحال أرسل إلى كل من مصطفى عبيد الرحيم وسليمان داود وخلييل كامل وعبيد محمد أمراء الايلات وأمرهم بالنسحاب بالاياتهم إلى غمرة ٣ على شاطئ المحمودية وكان في هذا الوقت في باب شرقي وأمر طلبه عصمت أن يتوجه إلى سراي الرمل ويرفع الحصار عن سراي الخديوي فتوجه به وأمر الصاغقول أغاسي بأخذ عساكره وتوجهه إلى أليه وقال للخديوي بالكذب نحن ما كان مقصودنا من حضور العساكر هنا الا المحافظة على أفندينا وأما محمد منيب البكاشي السواري فإنه عرض للخديوي بأنه يموت تحت رجله هو وأورطته الخيالة وأن المقصود من حضور هؤلاء محاصرة أفندينا والاغتتيال به ثم جاء عمر لطفي المحافظ وأخبر الخديوي بما كان من نهب العساكر وحرقهم الاماكن وسلمهم المدينة

وفي ١٣ يولييه وهو يوم الخميس انسحب جميع العساكر تحت قيادة عرابي وطلبه من الاسكندرية وتوجه بهم إلى كفر الدوار بإياد طوبجية وعساكر السواحل والمستحفظين وما زالوا سائرين إلى أن وقف بهم عرابي في عزبة كنج عثمان من نواحي كفر الدوار وأخبر الخديوي توفيق باشا بأن الأميرال سيمور عازم على انزال عساكر بحرية إلى رأس التين وإن يدعو الحاضرة الخديوية إلى سفينته ليكون آمنا



فقبل الخديوي التوجه الى رأس التين وبعينه درويش باشا وكان ذلك يوم الجمعة ١٤ يولييه وكنتم أنا في ذلك الوقت موجودا في الاسكندرية ولأحد فيها وحرارتها مرممة بالقتل خراب ينغلق فيها اليوم والغراب وتطرت الخديوي وحرمه وأتباعه متوجهين الى رأس التين وخلفه عساكر الانكليز محافظين عليه ولم أر أحدا خلافاً لسعد أبو حبل وكان قائماً أورطة المستحفظين فقال لي ان لم تذهب من هنا حالا والا صرت قتيل الخديوي في هـ. هذه الليلة فاتبع نصيحتي واخرج من الاسكندرية فخرجت منها مسرعاً حتى وصلت الى كفر الدوار وتقابلت مع عرابي وقلت له ان الخديوي توجه الى رأس التين ببعيته تحت خفارة الانكليز فقال لي ان قطر السكة الحديدية ستعطله عند محطة الشيخ جابر ليركب فيه ويعود الى القاهرة فقلت له هـ. إذا ما رأيت وهذا ما تطرت ومن هذا الوقت ألزمت نفسي بالأعمال والاشغال اللازمة للحفاظ والا فأنانيت سيئ وكل يعمل حسب ما هو مسخر له فأشرت على عرابي باشغال ما يوافق اجراءه من عمل المتاريس والتحصينات بجهة كفر الدوار فأرسل عرابي وجلب فلاح المديريات المجاورة لكفر الدوار وبأشرت أشغال التحصينات وخططتها وبأشرت أشغالها وركبت مدافعها ونظمت من اغلها حتى جاءت محكمة التحسين من شاطئ ترعة المحمودية الى شواطئ بحيرة مريوط وكانت على ثلاث خطوط من خطوط المدافعة القوية بحيث لا يمكن التغلب عليها ولا الوصول اليها وسددت ترعة المحمودية ومنعت المياه العذبة عن الاسكندرية ورتبت على السد الطوابي بالمدافع حتى صار لا قدرة عساكر الانكليز على القرب منها ولا الوصول اليها

ولما استقر الخديوي توفيق باشا في رأس التين أنزل سيمور العساكر البحرية الانكليزية من الاسطول واحتلوا الاسكندرية وشرعوا في تطاقتهم بأمر الخديوي وأرسل الخديوي ذوالفقار باشا وغيره من معاوني معيته يدعون سكان أهل الاسكندرية بعودتهم الى منازلهم وكانوا كما ذكرنا البعض منهم على شواطئ المحمودية منتشرين في البرين الى حد كثر الدوار وأبوجص والبعض هاجر الى دمهور وطنطا والقاهرة وتسبب من ذلك مقاتل ومذابح في نواحي كفر الدوار ودمهور وطنطا وقتل فيها كثير من الوطنيين والاجانب وأخذ الخديوي في الاسكندرية يستتب الراحة ويوطن الاهالي ومعه النظر وراغب باشا رئيس الوزارة وكان أصداً مرهلاً عرابي بأن الحكومة الآن هي حكومة عسكرية لان القطر في حالة المحاربة والمدافعة مع الدولة الانكليزية ويتقضى الاستعداد وبذل الجهد في جمع العساكر والمحافظة على القطر وأهله لان عرابي لم يزل متمكناً من نظام الجهادية البرية والبحرية فخلال الجول عرابي واعتقد أنه الآن صار في حالة نابليون بونابارت الذي كان على الدوام يقرأ في تاريخ ثورته الفرنسية وتقلده زمام الامبراطورية فأرسل العساكر للمدافعة في أبو قير تحت قيادة خورشيد طاهر وأرسل العساكر أيضاً الى رشيد تحت قيادة ابراهيم فوزي الذي عين محافظاً للثغرة وجعل دمياط ومحافظتها وملايكتها تحت رئاسة عبد العال حلمي وسعه العساكر الكافية وجعل مريوط والنواحي الشرقية والغربية تحت قيادة علي الروبي وأرسل اليها العساكر وأما الانكليز في الاسكندرية فانهم حفظوا منافذ الاسكندرية وأبوابها ووضعوا فيها الانغام وجعلوا العساكر الوطنية فيها علامات على أذرعهم يعرفون بهم وأرسل الخديوي الضباط الجرا كسة الذين كان عرابي نذاهم ورتب الخديوي عساكر من الترك والجرىق والمساطية في الاسكندرية تحت قيادة هؤلاء الضباط وانبثت الجواسيس من كل من جهتي الخديوي وعرابي يراقبون حركات ما هو جار عند الاثنين ويخبرون بها وشرع عرابي في مخابرة الشيخ

السنة سبى بجهات الغرب وخضه على القتال والمجاهدة في سبيل الله وجلب عربان الصعيد والهواره وصار موقع كفر الدوار غاصبا بالعربان والعالم ورتب يعقوب سامي وكيل الجهادية في القاهرة مجلسا من ذوات الامتدأهمائها الفصل الاحكام واعطاء الآراء فيما يوافق اجراءه وكان هذا المجلس تحت رياسته وصار كل شئ يلزم اعرابي يحضر عنه الى وكيل الجهادية يعقوب سامي وهو يعرضه على المجلس ومن بعد النظر فيه بالمجلس يجرى التصديق عليه بالقبول وعدمه وكثرت الزوار عند اعرابي في كفر الدوار وكان معه طلبه عصمت جعله قائدا كفر الدوار فقلت في نفسي

اذا كان الغربا دليل قوم \* فيهدبهم الى طرق الخراب

وعكف اعرابي وطلبه يمزعون الشاورمات وياكون البقلاوات وأنواع الحلويات على مصاريف من طرف ديوان الجهادية وكثر وجود العلماء من كل جهة والبلد والعبط وأرباب الريالات السائلة ويقولون له منصور ورب الكعبة ونصب في كفر الدوار خيمة سعيد باشا الى مصر سابقا وانتفخ وتجمع ص (يا قارى كبا هذا لا تترض ولا تقول هذا كلام قلة حيا)

وكان مع الخديوى أيضا محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب ومعيته وحواشييه وشرع في تنظيف المدينة ودفن المقتولين وكنس الشوارع وطفء الحرائق حيث صارت جهات المنشية خرابا وكامان أنقاض البيوت والمنازل الجسمية والمساجد الفخيمة التي أحرقت وسقطت آكامان من التراب واستمر الخديوى توفيق باشا يخاطب الباب العالي وحكومة انكلترة في جهة الاسكندرية وعرابي يخاطب الباب العالي وفي هذا الوقت طلب الباب العالي درويش باشا فقام متوجها الى الاستانة \* وخلي الدار تنمى من بناها \* وحرر راغب باشا الى الاميرال سيمور يخبره أن اجراءت اعرابي من الآن فصاعدا مخالفة لاوامر الخديوى وان اعرابي هو المسؤول عنها وحده

وكتب الخديوى تلغرافا من عنده الى وكيل الجهادية بالقاهرة يأمره بارسال المهاجرين من أهل الاسكندرية المقيمين في القاهرة فجهر لهم قطارات السكة الحديدية وأنزلهم فيها ليتوجهوا حسب أمر الخديوى فلما وصلوا كفر الدوار أعادهم اعرابي ثانيا الى دمنهور الى طنطا الى القاهرة فازدادت المقاتل والمذابح والنهب والسلب وأرسل وكيل الجهادية عساكر في هذه المدائن لتسكين الاهالى وعدم وقوع المشاعبات وتقول يامين في مثل هذه الاحوال المهولة

وكتب الخديوى توفيق باشا أيضا بالتلغراف (لان حبل التلغراف كان واصلا من كفر الدوار الى الاسكندرية ومن كفر الدوار اتصل بالخط الموحي الى الاستانة) يأمر اعرابي بالتوقف عن جمع العساكر والاستعداد لان الحكومة الانكليزية لا خصومة بينها وبين الحكومة المصرية وانها مستعدة لتسليم المدينة متى رأت فيها قوة منتظمة والبلاد في أمن وأمره أن يأتى الى سراى رأس التين حالا لادولة فيما يلزم اجراءه فلما قرأ اعرابي لفظة الامر بحضوره الى سراى رأس التين أوجس خيفة في نفسه واستشار طلبه عصمت وعمر رحى وعبد الله نديم محرر الطائف في ذلك فنهضوه بعدم التوجه وكتب ردها الامر عن لسان اعرابي بما صورته وهو مذكور في تاريخ مصر الحديث

ان مقاومة العمارة الانكليزية حصل باقرار سموكم ودرويش باشا النائب العثمانى ومجلس النظار وذوات الحكومة المصرية في مجلس عقد تحت رياسة سموكم وان هذا المجلس هو الذى أعلن الحرب مع الانكليزان كان الاميرال الآن قد عدل عن المحاربة الى المسالمة بعد وقوع الحرب فذلك يعد طلبا



للصلح ولا يجوز أن يكون انكار الحرب واننى كذلك أميل الى الصلح ولكن مع حفظ شرف البلاد والحكومة فان كان الاميرال يريد تسليم المدينة فيسلمها وتخرج مرآكبه من مياه الاسكندرية وانه محافظة على شرف الحكومة الوطنية ينبغي الاستمرار على الاستعدادات العسكرية حتى تيسر المراكب الانكليزية المياه المصرية وان قول الانكليز هذا يعتبر مكيدة لان الاسكندرية مآرحت محتملة بالانكليز ولذلك لا يمكنني الحضور اليها وأطلب أن يكون التثام محاس النظر في مركز الجيش للداولة في الامر وبعد ذلك أصرف الجيش وأحضر لسؤلكم

وكتب في هذا الوقت تلغرافا للجناب السلطان يقول فيه مولاي أشكوبثي وحرني الى شوكتكم المعظمة وأعرض لسدتكم أن الخديوي ودرويش باشا التجا الى الانكليز وسلم اليهم ما للبلاد والعباد واني لم أزل خاضعا لعظمة جلالاتكم على حفظ البلاد وراحة العباد فوردا اليه الرد يلزم مراعاة الانقياد والطاعة لان مصر مفتاح الحرمين الشريفين وأعمالك هذه يحصل منها ضياع مصر فكن تحت طاعة الخديوي

ثم صدر منشور من الخديوي في ٢٤ يولييه سنة ١٨٨٢ بقضى بعزل عرابي من رتبته ومن نظارة الجهادية وعفوا عما عن تداخل معه في مسئلته لبعض أشخاص معلومين ونصائح أخرى للامة المصرية بعدم اتباعها عرابي لئلا يتسببوا في خراب البلاد وطبع من هذا المنشور أوراق عديدة ووزع بواسطة المراكب على سواحل البحر الأبيض وبواسطة عساكر أبوقير صار توصيله الى عرابي في كفر الدوار فكتب عرابي الى يعقوب سامي وكيل ديوان الجهادية ورئيس مجلس الشورى جوابا يذكر فيه ان الخديوي انحاز هو وعائلته الى الانكليز وهو الآن مقيم عندهم في مرآكبه وصار لا قدرة له على الحضور الى القاهرة فنؤمل التروى في المجلس في هذا الامر وهذا المنشور الصادر من الخديوي لانه متعامل على الجهادية الوطنية وأنه هو الذي جلب كل هذه المتاعب والقلق والارتباك الى القطر المصري وكان كاتبه في هذا الوقت أحيانا عبد الله نديم فلما وصل تحرير عرابي الى يعقوب سامي وكيل الجهادية ورئيس الحكومة المصرية في القاهرة في هذا الوقت لان عرابي أطلقوا عليه (حامى حى الديار المصرية) وعلى وكيله في القاهرة (رئيس الحكومة المصرية) جمع وكيل الجهادية مجلسا حافلا في ديوان الداخلية مركبا من عموم المديرين والحكام والعلماء والروحاتين مسلمين ومسيحيين وأمراء الدواوين والتجار والذوات وكان مرصوبا من نحو خمسمائة نفس ومن ضمنهم البرنس الخديوية وقام الخطباء في هذا المجلس وصرحوا بان الخديوي باع الوطن للانكليز وأخيرا استقر الراى في هذا المجلس على أن الخديوي مادام خالف الشرع الشريف والقانون المنيف فليس له حكم على البلاد ولا سلطة على العباد وأنه مخلوع وتقرر بقاء عرابي في منصبه على خط الحرب للدفاع عن الامة وختموا جميعا على هذا القرار وبعثوا بذلك السلطان في الاستانة وعينوا لجنة مركبة من ستة أشخاص يتوجهون الى الاسكندرية لاستدعاء النظارة الى القاهرة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حصل وأرسل الخديوي يخبر الباب العالي بعصيان عرابي

وفي أثناء هذه المدة كانت عساكر الانكليز جارية ورودها بالاسكندرية وتوزعت مراكب الاسطول في المياه المصرية بعضهم ارسا في نواحي أبوقير وبعضها في نواحي ايدكوورث بيد وجهات البراس ودمياط وبورت سعيد كل جهة رست فيها مركب أو اثنتان ومنعت جميع الواردات من الخارج الى مصر وكأنيها

محاصرة لها ويوقدون في الليل النور الكهر باني في جهات أبو قير ورشيد تجاه المواقع الموجودة فيها  
عساكر المحافظة وتباهت الامة المصرية وتفاخرت سكان المدن والاقاليم في جميع أنحاء القطر  
المصري في جميع الاعانات اللازمة للعساكر من نقود وغلل وملبوسات ومأكولات ولحوم وخضارات  
وتبنون وخيول وبغال بخر المدافع والخيالة وكذا الستات والهوائيم والبرنسات وصارت الاعلانات ترد  
يوميا الى ديوان الجهادية ومركز كفر الدوار ومراكز جهات اقامة العساكر حتى كانت المهمات  
الواردة من طرف أرباب الاعانات في مركز كفر الدوار تلالا وكما الآن الضباط والعساكر لما رأوا  
المنشورات الجارية تواردها من الاسكندرية من طرف الخديوي بعزل أحمد عرابي من نظارة الجهادية  
والعفو العام عن دخل في هذه الثورة معه الاقلية تغيرت قلوبهم وازداد جبنهم عما كانوا عليه من الاصل  
وصاروا تحت قيادة عرابي صورة لافلباوا **ك**ذا أرباب المجلس الموجود تحت رئاسة وكيل الجهادية  
للشورى في القاهرة

ووصلت اللجنة التي كان عينها المجلس في القاهرة للتوجه الى الاسكندرية لاستدعاء النظارة الى  
القاهرة في كفر الدوار وكان من ضمن هذه اللجنة على مبارك باشا وأحمد السيوفى الثاير بالقاهرة ولما  
تقابلت هذه اللجنة عرابي في كفر الدوار أعرب أرباب اللجنة بالعود وعدم التوجه الى الخديوي وقال  
لاروم للتوجه بما أن الخديوي انخاز الى الانكليز فرجعوا الى القاهرة ثانية الاعلى باشا مبارك قال أنا  
مرسل في مأمورية من طرف المجلس ولا بد لي من أدائها ومن كوني أتوجه الى الخديوي مهما كانت  
الاحوال وأقر عليه أحمد السيوفى وسار الاثنان متوجهين الى الاسكندرية ولما تقابل مع الخديوي  
وأعلمه الخبر بما حدث من المجلس ورأى على باشا مبارك الاحوال التي بطرف الخديوي كتب على باشا  
مكتوبا الى عرابي وأرسله يذكرفيه ان الاعمال التي هو شارع فيها سبب في خراب الوطن العزيز ويرجوه  
أن يصرف ما هو فيه ويحضر بطرف الخديوي أول من خراب وطننا وهتك أعراسنا فلم يرد عليه عرابي  
جوابا في شأن ذلك وأخذ الخديوي في نشر المنشورات داخل القطر بترك عرابي والعود الى طاعته وصار  
الامراء والنواب من القاهرة يهربون من فواحى بورت سعيد ويتوجهون الى الاسكندرية بطرف  
الخديوي وقطع الخديوي الاخبارات مع عرابي كاية وكذا قطع التلغراف الموصل من القاهرة الى الباب  
العالى وصار عرابي لا قدرة له على المخاطبة مع الباب العالى وضيق الاسطول الانكليزي على الواردات  
المصرية ومنع سفائن الفحمات وقل الفحم اللازم لسير واورات السكة الحديد

ولما تحققت الحكومة الانكليزية من مخابرة عرابي مع الباب العالى ألزمتهم مرارا بواسطة نائبيها وفارين  
بالاعلان من طرف السلطان بعصيان عرابي وعدم انقياده للحضرة الشاهانية ومخالفته للقوانين  
العسكرية العثمانية فصارت نشر هذا الاعلان من طرف السلطان في جريدة الجوائب العربية والتركية  
ووردت الى أنحاء القطر المصري فلما رأيت ضباط الجهادية والامة المصرية هذا الاعلان نفرت قلوبهم  
وازدادوا في عدم الميل مع عرابي الابعاض من ضباط الجرا **ك**سة الذين هم أعداء عرابي فانهم  
صاروا معه قلبا وقالبا واستعفى راعب باشا من وزارته بالاسكندرية وأرسل الخديوي الى رياض باشا  
واستقدمه من الديار الاوروبوية وشكل وزارة جديدة تحت رئاسة شريف باشا تعين فيها رياض باشا  
ناظر الداخلية وعلى مبارك باشا ناظر الاشغال العمومية وعمر لطفى ناظر البحرية وكنت أنا في هذا الوقت  
مع عرابي في كفر الدوار وأخذت القوى الانكليزية تتوارد من جهات انكلترة ومالطة وجبل طارق حتى



بلغت نحو من ٣٥٠٠٠ نفس ووصل القائد وولسى الى الاسكندرية واستلم قيادة الجيش الانكليزي في الاسكندرية ومعه محمد سلطان باشا دليله ومعه داسبل سيره وحركاته وأرسل محمد سلطان باشا مكاتيبه بطريق السر الى عربان وجهه قبلى الموجودين في كفر الدوار وكذا أرسل على مبارك باشا مكاتيبه الى عربان فواحي الشرقية بشأن ترك الحركات العسكرية العدوانية أمام الجيوش الانكليزية واهمهم من الخديوى الانعامات الجليله والاحسانات الجميله والترتب الجزيلة وقال لى عرابى الا تيقن من مناظرة سعادتكم المواقع العسكرية وترتيب العساكر اللازمة للمحافظة فيها فركبت وابورا مخصوصا على السكة الحديد وتوجهت الى رأس الوادى والاسماعيلية لحد السويس وكان عرابى قبل ذلك أرسل لوكيل الجهادية بترتيب الاى تحت قيادة محمد عبيد وارسله الى جهة رأس الوادى وأمر بوضع أورطة منه فى محطة نفيسة بجوار الاسماعيلية لاجل المحافظة ولما قربت أنا من السويس وجدت محافظها هرب منها وانحاز وكيلا الى المراكب الانكليزية واحتلتها العساكر الانكليزية ونشروا فيها الاعلانات بانهم يحاربون من أجل سلطة الخديوى توفيق باشا كل من لم يكن منقادا لوامره وكذا محافظ بورت سعيد وقنال السويس ترك وظيفته وانحاز الى الاسطول الانكليزي واحتلت عساكر الانكليز بورت سعيد وتقاتلت فى الاسماعيلية مع الموسى ودولسبس وأخبرته بحال القنال فقال القنال فى عهدى وأنه لا يمكن لى وابورا وسفينه حربية المرور من القنال حسب نص المعاهدات الدولية وان تلاحظ لى أن أحد ابوابات الحرية حضر وأراد المرور من القنال يلزمنى فى هذا الوقت ستم تغريق بعض الشلوبات فيه ومنع المراكب الحربية من المرور فيه ولا يخشى عرابى من جهة القنال مطاقا ثم عدت راجعا الى دمياط عند عبد العال حلمى فوجدته فى سلطنة واستبداد مع أهل دمياط متوليا رياسة المحافظة والجهادية وشغل الملاحات وحكومة البلاد المجاورة الى دمياط يحكم فيها كيف شاء وكذا توجهت الى مواقع أبو قير ورشيد ووجدت فى جميع هذه المواقع التى مررت عليها أن جميع ضباط الجهادية الذين كان لهم وجوه وخدود قبل الحرب وكانوا يهرعون ويمشون ويتجثرون فى شوارع القاهرة ويحرقون سيوفهم خلفهم على الارض باهتة الوجوه مرقون على غاية من الوجع الشديد والخوف وقطع الامل

ثم تعين راشد حسنى باشا الفريق لنواحي محافظة رأس الوادى وأرسلت اليه الاستعدادات الحربية والايات الجهادية والطوبجية والسوارى ومن ضمن أمراء الايات كان على يوسف ومحمد عبيد وعبد القادر عبد الصمد وحسن جاد وتوجهت أنا مرة ثانية وصار ترتيب الحفر اللازم على القنال من الاى على يوسف ومحمد عبيد فى جميع محطات السكة الحديد المارة على القنال من ابتداء الاسماعيلية الى حد السويس واستمر راشد حسنى باشا فى موقع رأس الوادى مع جميع لوازمه وعربان فواحي الشرقية ومعه أيضا خالد باشا ولما لم يجد الخديوى وولسى وساطان باشا والذواب والنظار المصرية بالاسكندرية طريقة للهجوم على البلاد من فواحي كفر الدوار بالنسبة لخصائمه ولا من جهة أبو قير ولا من جهة رشيد بسبب عدم امكان دخول مراكب حربية فى النيل ولا من جهة البراس بسبب وجود كثرة البرك وعدم وجود المياه العذبة ولا من جهة دمياط أيضا تقر فيما بينهم جميعا ارسال الدونما الانكليزية الموجودة فى الاسكندرية حاملة العساكر الانكليزية وولسى وساطان باشا وزهرا باشا وبعض من أركان حرب المصرية ودخولها فى القتال ونزول العساكر الانكليزية فى الاسماعيلية

وأصدر وواسلي أمر السفائن الحربية الانكليزية الموجودة في ميناء السويس بحضورها في وقت  
حضوره بالاسماعيلية وشرع الخديوي توفيق باشا في كسر خنادق قلاع باب العرب لاجل دخول  
مياه البحر الايض المتوسط في بحيرة مريوط وزيادة علو مياهها لاجل ادخال قوارب حربية فيها  
والضرب منها على مواقع كفر الدوار وطلب الخديوي خمسة وعشرين مدفعا من ذوات المقذوفات  
الطويلة اتركيبها على طواني عمات في نواحي سراي الرمل لاجل الضرب بها ايضا على مواقع كفر الدوار  
والمحمودية وسواحل بحيرات ابوقير وسار الاسطول الانكليزي من الاسكندرية متوجها الى بورت سعيد  
ولما باغ عرابي خبر توجه الاسطول الانكليزي الى نواحي بورت سعيد قال لي كيف العمل فقلت له اعد  
أنت هنا وأنا أتوجه وأتظر الحركة فركبت وابورا نحو صوامع وابورات السكة الحديد ووصلت رأس  
الوادي وتقابلت مع راشد حسني باشا فقال ان علي يوسف وخاله باشا متوجهان سويا نحو السويس لاجل  
مشاهدة محلات المواقع فسرت خلفهما في الوادي حتى قابلتهما في آخر محطة عند السويس ورأيت  
من عيونهما عدم الرغبة لاي مدافعة أو مقاومة كانت وبلغني سران الضابط أن علي يوسف وخاله  
باشا أصدر أوامره - ماسرا العساكر الخضر بأنهم متي رأوا عساكر الانكليز يفتروا أمامهم ويفتحوهم  
المسالك والطرق فليأمر في الاثنان رجعا بالليل سويا الى نواحي الاسماعيلية ولما قربنا منها سمعنا  
في وقت الفجر من ليلة ٤ شوال سنة ١٢٩٩ هجرية ضرب المدافع على الاسماعيلية من الاسطول  
الانكليزي وبمساعدة وكيل محافظة الاسماعيلية صار احتلالها بواسطة العساكر الانكليزية ووزلت مع  
خاله باشا وعلي يوسف في محطة نفيسة وهي محطة سكة حديد السويس وكان بها اورطة من الالي على  
يوسف ودخلت الدونما الانكليزية من القنال وسارت السفائن الحربية الانكليزية من السويس في  
القنال الى الاسماعيلية وشرعت هذه السفائن في الضرب ببنيران مدافعها على العساكر الموجودة في  
نقط المحطات فهربت العساكر المصرية منها طبقا لأوامر خاله باشا وعلي يوسف وساروا متشتتين في  
الجبال والصحارى وتشتت الالي محمد عبيد بدون حرب ولا ضرب وأما الاورطة التي كانت في محطة  
نفيسة عند ما ضرب عليها الاسطول بعض قنابل من مدافعه جمعها علي يوسف وما زال متقهقرا بها حتى  
وصل محطة المحسمة وهي مدينة رعيس القديمة ويقال لها المسخوطة وصارت الجهات الموجودة في  
نواحي القنال خالية من المصريين لمدافع فيها ولا مقاومة فحررت بذلك تلغرافا الى عرابي في كفر الدوار  
فارسل لي تلغرافا يقول لي اعمل معروف وابذل جهدا في رد قنابل السويس وهاهي الانفار واردة اليكم  
غد لاجل ذلك فأخبرته انه بواسطة اخوانك المعتمدين عليهم استحوذ الانكليز على جميع جهات  
القنال وهرب العساكر المصرية منها تحت ملاحظة خاله باشا وعلي يوسف  
وفي صباح يوم ٥ شوال وردت قطارات السكة الحديد بجهة المسخوطة مشحونة بالانفار الفلاحين  
نحو ٤٠٠٠ نفر لاجل سد القنال وعمل الاستحكامات اللازمة للحاقطة لأن العساكر المصرية  
لا يمكنهم المحاربة الامن وراء جدران حصينة تحسبهم في قوة بينهم وقلوبهم شتى وحضر راشد حسني باشا  
باورطتين واحدة من الالي علي يوسف وأخرى من الالي عبيد القادر عبيد الصهد وبطريتين طويلة  
كروبي وأخرين مدافع جبلية وهرب علي يوسف وتوجه الى رأس الوادي وشرعت أنا في عمل  
الاستحكامات وسديت ترعة الاسماعيلية من عند المسخوطة سدا محكما وخرجت العساكر الانكليزية  
من الاسماعيلية واستقر راشد حسني باشا معهم في محاربة طول النهار ببنيران الطوبجية فقط وانتهى



ضرب النار بين الفريقين الساعة سبعة ونصف افرنكي من ايلة ٦ شوال سنة ١٢٩٩  
وفي صباح يوم ٦ من الشهر قبل طلوع الشمس خرجت السوارى الانكليزية من كبة من عشر أوط  
وخلفها عساكر البيادة وبطريات الطوبجية الانكليزية ودارت السوارى بالموقع وابتدأ ضرب النار  
المدافع من أول مقذوف ورد في الموقع أسرع الانصار اشغالة في الهرب الى بلادها ورواوا يدهم  
وعيشهم على حرف ترعة الاسماعيليه وكذا هرب العساكر وتركونى وراشد باشا (ياربى كما خلقتنى) وعدوا  
الاسماعيليه وتشتتوا واما بقى في الموقع الا أنا وتوجه راشد حسنى باشا خلف العساكر وفضلت أنا واقفا  
في الموقع وحدى مع خدامى ولا أعلم أين أتو جميع هؤلاء وبينما أنا في هذه الحالة اذا حاط بي عساكر  
السوارى الانكليز وقرب الى واحد من ضباطهم وكفى بالانكليزى فكلمته بالفرنساوى فوضع  
الخضر على توجهه وعاد معه قائد السوارى الانكليزية فكلمنى بالفرنساوى وسألتنى عن اسمى فأخبرته  
باسمى فأخرج ورقة من جيبه وتطرق فيها وقال عرابى ومحمود سامى ومحمود فهمى نعم هذا من أحباب عرابى  
ولما كان غروب يوم الخميس وهو يوم الحسب ورد اليها بجهة المسخوطة محمود سامى ومعه امر من  
عرابى في توجهه الصالحية ليكون قائد فرقة العساكر بها وبعد أن مكث معى لنصف الليل توجه عائدا  
الى القاهرة مع أمين الشيمى

وحرر قائد السوارى تلغرافا الى وولسى الى بى بى وأسرى فامره بالمحافظة على حتى يحضر من  
الاسماعيليه الى نواحي المسخوطة ولما حضر أرساني الى الاسماعيليه مع الخضر اللازم ومنها أنزلوني  
مر بكانكليزية حتى وصلت الاسكندرية ونزلت من المركب وتوجهت محاطا بالخضر الى سراى رأس  
النين فقام باني عمرا طبقى باشا وعلى مبارك باشا واجتمع الجهم الغفير للفرجة على كفى ما كنت معهم ولا  
كانوا يعرفونى من قبل فسألنى على مبارك باشا عن بعض اساتذات وفي الحال صدر امر الخديوى  
الى عمرا طبقى باشا محافظ الاسكندرية سابقا وناظر الجهادية وقتها بحسبى والمحافظة على في ديوان محافظة  
الاسكندرية فوضعتنى في أودقأ حكوا بابها وسدوا شبايكها ووضعوا على بابها اثني عشر من عساكر  
الترك والاطليان ورتب الخديوى الماء كولا والمشروب وما يلزم من سجاير الدخان أشبه بأسير من  
دولة أجنبية في دولة أخرى

وفي يوم وصول الاسماعيليه وجدت فيها محمد سلطان باشا ومحمد زكى تشرى فأتى الخديوى وزهراب  
باشا وكثيرا من أركان حرب المصيرية مع الانكليز وفي أثناء توجهى من الاسماعيليه الى الاسكندرية  
أحضرنى قبطان المركب جريدة ايجيبت الفرناوى قرأت فيها أن الخديوى حرر الى الحكومة  
الانكليزية بكونه يقتلنى في حال وصولى الى الاسكندرية فأجابه الحكومة الانكليزية تحذره من ذلك  
وقالت له انه هو الآن أسير في يد الحكومة الانكليزية وعند تمام الحرب يتطروا الخضر من حصول  
أذى ضرره فيلزم المحافظة على دمه وحياته هذا ما وجدته مندرجا بالجريدة فأمنت واطمأن خاطرى لانى  
كثت معتقدا حقيقة أنه عند وصولى الى الاسكندرية لابد من قتلى ولكن الله سلم هذا ما جرى وشاهدته  
بالتفصيل من أول الحادثة الملقبة بالعرابية الى أن وصلت الاسكندرية وسجنت فيها وفي ١٢ شوال  
سنة ١٢٩٩ ورد الى التل أورطتان من ألأى السودان من دمياط وجاء عرابى من كفر الدوار الى  
التل الكبير وقام على فهمى بالاي عابدين ووصل أيضا الى التل وأرسل الى عساكر الصالحية بالتوجه  
الى القصاصين والهجوم على الانكليز فيها لان العساكر الانكليزية بعد هرب العساكر المصرية

أمامهم من المحسنة استمروا في سيرهم حتى وصلوا كوبري القهاصين وعسكروا فيه فهجم عليهم  
العساكر المصرية تحت قيادة راشد حسني باشا وعلى فهمي وفي أثناء هذه الواقعة انجرح راشد باشا وعلى  
فهمي وتوجهوا إلى القاهرة وانضمزمت القوة التي كان أرسلها عرابي أمام الانكليز في يوم ٢٨ أغسطس  
وبعد ذلك أخذ الانكليز في الاستعداد لاجل الهجوم على التل الكبير وكان فيه عرابي وتحت قيادته  
نحو ٤٠٠٠ نفس وفي نفس الليلة التي استعد فيها الانكليز للهجوم على التل الكبير كتب على  
يوسف إلى عرابي وكان في المقدمة يخبره بعدم حركة العدو وأقرب به من الموقع وأنه لا يخشى من شيء فبعد  
عراي طول الليل مع الفقراء في الصيوان الذي كان منصوباً بالجلسه فيه ومعه أولاد الشيخ عبد الجواد  
يذكرون إلى آخر النصف الأخير من الليل وعند قرب الفجر ناموا جميعاً وما يشعروا عرابي  
الأمم قد وفات مدافع الانكليز داخله في صيوانه والعساكر هاربة ومبددة في كل جهة فجاءه على الروبي  
وقال له انج بنفسك والاقفات فالحق أن يلبس هدومه ويركب حصاناً وأسرع في الجري وما زال مدبراً  
حتى وصل محطة ميناء القمح ونزل في وابور الركب وسار إلى القاهرة ولبس في منزله هدومه وتوجه إلى  
ديوان الجهادية وأخبر وكيل الجهادية ومجلس الشورى بزعامة التل الكبير وفراره وفرار الضباط  
والعساكر من بعد واقعة استمرت عشرين دقيقة واستولى الانكليز على ما كان في التل الكبير من ذخائر  
وأسلحة ومؤنات وغير ذلك من أعانات الأمة المصرية وقال للمجلس انه يرغب جمع العساكر ويمنع عن  
القاهرة فنهى المجلس من عزمه هذا الثلاثي يحصل لها كما حصل في الاسكندرية ولما بلغ طابع عصمت  
الموجود في كفر الدوار قائد اهناك هزيمة التل وفرار عرابي ترك محله وتوجه هو أيضاً إلى القاهرة هرباً  
لينضم إلى عرابي ولما رأت عساكر كفر الدوار هروب قائدهم طلبه تركوا أسلحتهم وذخائرهم في  
كفر الدوار وتوجهوا مباشرة إلى بلادهم وفي هذا الانتهاء وصل عساكر الانكليز الخيالة إلى العباسية وكان  
بها محمد رضا باشا مدبر العساكر الموجودين فيها فلما رأوه رفع أمامهم البيارق البيض ولما رأى عرابي  
ما حل به من الهزيمة وصار لا شيء تحت يده من العساكر والقواد وذهبت سلطته هرب في منزل على فهمي  
مع طلبه عصمت ولما وصل العساكر السواري واحتلوا قسماً من العباسية خرج إليهم إبراهيم فوزي  
مأمور ببطية القاهرة وتقابل مع قائدهم فأمر بحضور عرابي وتسليمه فعاد إبراهيم فوزي مأمور  
الضبطينة وأخذ عرابي ومعه طلبه وتوجهوا إلى العباسية وسلم الاثنان سيوفهم إلى قائد السواري  
وسجن الاثنان في العباسية وأخبر بالتغراف القائد وولسلي والقائد محمد سلطان باشا واحتل العساكر  
الانكليزية قاعدة القاهرة وقصر النيل والعباسية ودخل محمد سلطان باشا القاهرة تخفق على رأسه  
الاعلام الانكليزية وشرع في حبس الناس ظالماً ومظلوماً وتوجه وولسلي إلى بنها العسل وحرر تلغرافاً  
إلى وكيل الجهادية لمقابلتهم فيها وأرسل وولسلي العساكر الانكليزية إلى كفر الدوار على ظنه أن بها  
أحد من العساكر فلم يجد العساكر الانكليزية فيها خلافاً للأسلحة والمدافع مرمية على الأرض وتوجه  
الجنرال وود بالعساكر الانكليزية إلى دمياط فلم يجد فيها إلا عبد العال حلمي بمفرده فأخذ منه وجبته في  
عربة وأرسله محفوظاً إليه إلى القاهرة وأمر الخديوي بحبس جميع الضباط الذين كانوا في كفر الدوار  
وأبو قير ورشيد في حبوس الاسكندرية وكذا كل من كان له دخل أو يد من أهل الاسكندرية في هذه  
المسئلة صار حبسه فيها وكذا المشبهوهون في الحرائق والسرقات حتى انشجنت سجون الاسكندرية  
بالمحبوسين ودخل وولسلي القاهرة وأقام في سراي عابدين وهرعت أهالي القاهرة وعلماءها وذواتها



وعمد البلاد وأمر أؤاها الى الاسكندرية يهنئون الخديوى بسلامته ووصل وكيل الجهادية يعقوب سامى الاسكندرية بعد تسليم الاسلحة الموجودة في كفر الدوار الى الجنرال وود وسجن في مدرسة الاسكندرية مع على الروبي وكان وصل يهنئ الخديوى فأمر الخديوى بسجنه وكذا اصار حبس دانش باشا وشريعى باشا ومحمد كامل باشا وكيل البحرية وأنا نقلت معهم من المحافظة الى المدرسة الاهلية بالاسكندرية وفي هذه الاثناء ورد كثير من الاروام والطلبايين وانسحبوا ضمن الجيش المستجود وكثيرا ما ورد من نواحى ازمير وبر الترك رجال وشبان تشكّل منهم الجيش الجديد بعد هرب الجيش القديم الذى كان تحت امره أحمد عرابي والله المعز المذل سبحانه وتعالى

ثم أصدر الخديوى توفيق باشا وأمره بترتيب حكام المديريات فجاووا خصال الديار وحبسوا العمدة وشايخ البلاد وأغنياءها واتهموهم بالدخول مع عرابي فكانوا يتخلصون من هذه التهمة بدفع نقود ورشا وأصدر أمره أيضا بتعيين مجالس في طنطا والاسكندرية لتحقيق مواد الساب والنهب والحريق والذبح والقتل وأصدرت الداخلية وكانت تحت نظارة رياض باشا منشوراتها الى المديريين والحكام بجهات قبلى وبحرى بارسال كل من وقعت عليه الشبهة في المسئلة العرابية وفي ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ قام الخديوى توفيق باشا من الاسكندرية متوجها الى القاهرة وصحبته شريف باشا والنظار فتوالى بجاهير العالم في محطات السكة الحديد من الاسكندرية الى القاهرة وزينوا المحطات بأنواع الزينات والسيارات المرافقة وهنؤه بسلامته وحفظه من أعدائه وقابله الجلم الفقير في محطة القاهرة وهنؤه وركب من المحطة متوجها الى سراى الاسماعيلية وعلى شماله ابن ملكة الانكليز وأمامه ماليت وولسلى القائد

وفي ١٥ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصدر أمر من الخديوى بعقد مجلس تحت رئاسة اسماعيل باشا أيوب لتحقيق دعوى كل من كان له يد في هذه الحوادث فاجتمع المجلس في ضبطينة القاهرة وشرع في التحقيق وامتلأت سجون القاهرة والاسكندرية ومرا كز الاقاليم بالمحبوسين حتى صار احصاؤهم فوجدوا نحو من تسعة وعشرين ألف نفس وأهدى محمد سلطان باشا الى ووالى زوجا من الطبجنجات مشغولا بالذهب وقال ان مصر الآن تعد في فتوح جديد وأنعم الخديوى توفيق باشا على محمد سلطان باشا بعشرة آلاف جنيه من ديوان المالية تطير ماعمله معنه من المعروف في جلوسه على الاركة الخديوية ثمانية ولما رأى الانكليز التهور الحاصل من أرباب مجلس التحقيق على الجارى التحقيق معهم وأنهم يكتبون في تحقيق القضايا حسب ما يرغبون عينوا من طرفهم الامير الى شارلس ويلسون والويس فصل يعين من ضمن أرباب المجلس وتعين مجلس آخر عسكري تحت رئاسة محمد رؤف باشا لاجل فصل الحكم في الدعاوى التي تقدم لهذا المجلس من سائر الجهات وأن تكون أحكامه قطعية لا تستأنف ومجلس آخر عسكري في مدينة الاسكندرية تحت رئاسة عثمان نجيب الجركسى للحكم في الدعاوى التي تقدم له من تلك الجهات وأن يكون حكم هذا المجلس قطعي لا يستأنف أيضا وصدر أمر الخديوى بالغاء الجيش المصرى القديم وانشاء جيش آخر أدخل فيه الضباط الانكليزية وأهدى اليهم النيشانات العثمانية والجديدية وبمدالية مصرية عليها صورة الاهرام وأبو الهول لانهم هم الذين فتحوا مصر ثم أصدر أمره بتقل جميع المحاييس أرباب الجرائم الكبيرة وجبسهم في أود الدائرة السنية كل واحد على حدته وأرسل أعوانه وحواشييه ومماليك الجراكسة

يهددون المحبوسين ويرجعونهم ويسلبون ما عندهم من المصاحف والنقود كما حصل لي وغيري وكانوا يدخلون على عرابي وعبد العال في أود الحبس ويضربونهم وأخيرا الحاجة لشرح ما حصل من الاهانة والضيق وعدم النور بالليل وعدم شرب الدخان وتفتيش الاكل الداخل ورذالة ضباط الخفر والعساكر المحافظين على السجون فيما أجبروه من الاعمال القذيمة والاجرا آت القبيحة وما حصل في مجلس التحقيق من التهور وخلافه

وصدرا امر الخديوي بتعيين مجلس في الاسكندرية للنظر في تعويض الخسائر التي حصلت لاهالي الاسكندرية من الحرق والسلب والنهب وحضر اللورد دوفرين سفير الدولة الانكليزية من الاسكندرية الى القاهرة لرؤية مجالس التحقيق وعدم التعدي ومنع الظلم الحاصل في مجالس التحقيق ولما وصل الى القاهرة تقابل مع الخديوي توفيق باشا والنظار وتداول معهم طويلا فيما يلزم اجراؤه وخص نفسه عن الاجرا آت الجارية بمصر وكتب تقريراً عن حالة مصر السياسية والقضائية وأحوال سكان أهل مصر وأرسله الى الحكومة الانكليزية في ٦ فبراير سنة ١٨٨٣

وقد أرسل المستر بلونت الانكليزي الخراج المستر برودي والمستر نابيير المدافع عن المشهورين لاجل المدافعة عن رؤساء الثورة واطهار حقوقهم بمصاريف على طرفه وذلك بعد الحكم من مجلس التحقيق باعدام رؤساء الثورة فلما وصل برودي الى القاهرة وتقابل مع اللورد دوفرين أبطل هذا الحكم ومن بعد أن أظهر المدافعون مارأوه مع الذمة من تبرئة عرابي ورفقائه من مذمبة الاسكندرية وحرية احتمل الاتفاق على نفي واستبعاد رؤساء الثورة الى جزيرة سيلان بموافقة الدولة الانكليزية وحاز المستر بلونت والمستر برودي ونابيير الثناء الجليل والشكر الجزيل في الممالك الشرقية والغربية وفي سائر ممالك الدنيا بما أظهرهم من الحق ولمسأرى ذلك مصطفى رياض باشا المستعفي حالاً من نظارة الداخلية في نظير أنه لم يتقرر حكم الاعداد على زعماء الثورة

وفي ٢١ محرم سنة ١٣٠٠ هجرية أو ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ ميلادية انتهت التحقيقات وصدرت الاحكام على رؤساء الثورة بالنفي المؤبد مدة حياتهم بعيداً عن الديار المصرية وملحقاتها وترتب المماش الكافي الذي يقوم بحياة تمامها في الدنيا وعلى قيد الحياة وصدر الحكم على البعض من الضباط الجهادية بالنفي ثلاث سنوات والبعض خمس سنوات وأجد عبد الغفار عثمان سنوات في سوريا وحكم على علي الروبي وحسن موسى العقاد بعشرين سنة في مصوع والآل على الروبي موجود في سواكن لان ايطاليا تغلبت على مصوع

وهذه صورة الحكم التي صدرت من المجلس العسكري تحت رئاسة محمد رؤف باشا وكان توقيع هذا الحكم بعرفه المستر برودي والمستر نابيير الانكليزيين

(أولاً) - الحكم الصادر على كل من أحمد عرابي وطلبة عصمت وعبد العال حلمي ومحمود سامي وعلي فهمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي المقتضى جزاءهم بالقصاص على حسب بند ١٦٥ من القانون الهمايوني العثماني وقع تبديله بالنفي الى الابد من الاقطار المصرية وملحقاتها

(ثانياً) - ان هذا الحكم يطل ويقع اجراء الحكم بالقتل اذا عادوا الى الاقطار المصرية أو ملحقاتها

(ثالثاً) - يجب على كل من ناظر بحري يتناود اخلية تنافذ هذا الحكم ومن بعد صدور هذا الامر أصدر الخديوي توفيق باشا امر ابضبط أملا كلاً وعقارات انظاره بالراتب



الذي تعين له اسموا في دار منقانا وفي ١٦ صفر سنة ١٣٠٠ هجرية أو ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ ميلادية قننا نحن السبعة مع عائلتنا وأولادنا وما أمكننا حمله من أمتعتنا في قطار مخصوص مع محافظين من الضباط والعساكر الانكليزية وكذا من الضباط والعساكر المصرية ومعنا المستر برودلي والمستر نابيير الساعة ٩ ليلا من قصر النيل متوجهين مع السلامة الى السويس وفيها انزلنا في باخرة مخصوصة على طرف الحكومة المصرية كانت أعدت لسفرتنا الى سيلان فنزلنا فيها وعاد المستر برودلي مع نابيير الى القاهرة وصحبنا لتوصيلنا بموريس بك محافظ سواحل البحر الابيض في مصالح تهريب بضائع الدخان وعشر ون عسكريا من الحكومة المصرية ووحد قبودان صاغقول أغاسي اسمه على قبودان كريدلي وقننا من السويس في يوم ٢٨ ديسمبر ومازلنا في سرور وانسباط مع موريس بك حتى دخلنا العصر مينة سيلان في أول يوم من ربيع أول سنة ١٣٠٠ هجرية أو ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ ميلادية فحضر في الواورات وكيل حكومة سيلان المستر دغلاس لان الحاكم كان في داخلية البلاد وهنا نابا بالسلامة وكذا أرباب الجرائد وهرع الينامس لموجزيرة سيلان بكارهاوص غارها وكانت الحكومة الانكليزية أصدرت أمرا للحكومة سيلان باستعداد منازل اسكانا وخرن فيها كل ما يلزم للاكل والشرب ضيافة ثلاثة أيام والمساكن مستعدة بفروشاتها وأمتعتها لمدة ثلاثة شهور ايجارها وما فيها من المصاريف على طرف الحكومة المصرية وبتنا في الواورات وزع موريس بك المنازل علينا حسب العائلات فكان عرابي وطلبة وعبد العال في منزل ومحمود سامي ومحمود فهمي في منزل ويعقوب سامي في منزل وعلى فهمي في منزل وفي صبح ثاني يوم هرع أهل سيلان الى المينا من داخل البلاد مسلمين وسنهاليز وبورتكيز وداناش وانكليز وقتل لأجل الفرحة علينا ومعهم الموز والمياه والعيش وأصناف المأكولات وجوز الهند وصارموس سيلان يتبركون بنا وأهلوا كثيرا ورحبوا طويلا بالواردين عليهم ثم صار استعداد عربات الركوب وتوجه كل منا في المنزل الذي تخصص له واما ثلثته وتوجه موريس بك لزيارة الحاكم في داخل البلاد وحضر الحاكم وتوجهنا جميعا مع موريس بك وتقابلنا معه وسلم علينا وكنا من الشاكرين لافضاله وكان الحاكم في هذا الوقت السير آرثر لاندن فقال أنتم في ضيافة الحكومة ثلاثة أيام والمساكن القاطنون أنتم بهامدة ثلاثة شهور على طرف الحكومة ومن بعد مضي الثلاثة شهور تكونون مثل أمراء الانكليز القاطنين في الجزيرة تسكنون في مساكن على طرفكم وتكونون حريين في أنفسكم ثم سلمنا عليه وتوجه كل منا منزله

ثم شرعنا في تعلم اللغة الانكليزية وأرسلنا أولادنا المكاتب والمدارس بسيلان بأذن من الحكومة لأجل التعليم والتدريب وقراءة العلوم الجارية تعليمها في مدارس سيلان واستمر مسلمو سيلان يهرعون الى منازلنا ويسألون عن خاطرنا معتقدين أننا نحضرنا في بلادهم منفيين بصناديق ملائمة بالأموال والنقود وجلس عرابي في المنزل الذي تخصص به من طرف الحكومة مع طلبه وعبد العال مع ابنه وامرأته مكتوبة الكتاب ومعها جاريتان معديتان لخدمتهما احداهن طبخة والاخرى خادمة فتزوجهما عرابي وخلف منهما فسقط لأجل ذلك من أعين كل من طلبه وعبد العال وحصل بين طلبه عصمت وبين عرابي مبادئ الشقاق والخصام بسبب ما يأتي به مسلمو سيلان من الهدايا لعرابي ولم يقاسم فيه عبد العال وطلبه ودخل طلبه في الدسائس والفتن بين عرابي وبين يعقوب سامي وعلى فهمي حتى تنازعوا معه وتخاصموا فيما بينهم وادعى عرابي الشرف وأنه من نسل الحسين بن علي

ابن أبي طالب كرم الله وجهه عندهما رأى أن مسلمي سيلان يعتبرون السادة الاشراف في بلادهم  
وشرع عرابي في التوجه الى المساجد في يوم الجمعة لصلاة الجمعة صورة لاجل أن المسلمين يمسكون يده  
ويتركونه به وصار في حالة مثل فقهاء الارياف في مصر وأرباب الطرق الدجالين وكل من ورد من  
مسافري أوسـتراليا وأمريـقة والبلاد الاخرى توجهون لزيارته ولما تمت مدة الثلاثة شهور ونحن في  
المساكن التي كانت الحكومة أعدها لنا أخذ كل منا منزلاً على حسنة وسكن فيسه بعائلته وحصل  
بين عرابي وبين طلبه وعبد العال نزاع ونحـصام في قسمة مفروشات المنزل الذي نزلوا فيه أدت الى المشاتمة  
والسب بين عرابي وطلبه فانخذ طلبه وعبد العال جميع استعدادات المنزل وبقي عرابي على البلاط لولا  
أن تداركه بعض من مسلمي كلبو واشترى والده من عندهم بعض كراسي وأسرة وطريـزات أعدها المنزل  
سكنه واستولد من جاريته امرأة ابنه أولاداً ومازلن تحته لحد الآن ومعهن ثمانية أولاد صغار خلاف  
الذين توقوا واستمر المنفيون في شقاق وخصام بينهم لحد الآن واليوم وهو يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٩١  
ميلادية وذلك من عدم اشتغالهم بشئ أبداً وفي سنة ١٨٩٠ انتقل محمود سامي بعائلته بعد أن  
تزوج بكريـمة يعقوب سامي الى مدينة كندى وترك كلبو لعرابي ومن معه من الخصام والاشقاق ومن  
بعدها بضع شهور تبعه يعقوب سامي وتوجه وقطن كندى أيضاً وهي على مسافة ٧٤ ميلاً بطريق  
السكة الحديد من كلبو

وفي أول شهر اكتوبر سنة ١٨٨٣ وردت الاخبار لعرابي في كلبو من الصابونجي بأن المستر بلونت  
الحر المدافع عن الشرقيين حاضر من لوندرو لاجل زيارته ورؤية ما أنت عليه من الحالة في العيشة  
والرفاهية وأنه لم يزل شارعاً ومتوجهة أفكاره في خلاصك من النقي ولا يغفل حتى يجلسك على  
الاريكة الخديوية ويلزم أن تستقبله بلباسه والاحتفال به وكان قبل ذلك وردت تلغرافات لعرابي من  
بلونت يقول له أنجب أن تكون وصياً في الحكومة المصرية على ابن الخديوي توفيق باشا بعد عزل أبيه  
وتوليته الخديوية المصرية فأجابه عرابي تلغرافياً نعم أحب ذلك ثم ورد بعدها أنجب أن تعيش في مصر  
تحت وزارة نوبار باشا فقال لا مانع من ذلك وطن عرابي أن كل ذلك صحيح وأخذ يشرع في ترتيب  
الحكومة المصرية وادارتهما ومن المستعد للحكم في هذه الوظيفة وصار له أحوال مثل الجنانين وأشاع  
ذلك عند مسلمي كلبو وأخبرهم بما يراه من المنامات وأن النبي صلى الله عليه وسلم وعده في المنام بتوليته  
الاريكة المصرية ونصره على أعدائه كما كان يدعيها قبل في مصر فيدرجونها في جرائدهم التمل  
ولما تناول الجواب المحضر من الصابونجي أخذه وأسرع في الحال وسار الى منزل محمود سامي وأطلعه  
على الجواب وأرسلوا الى الثلاثة الباقين واجتمع الستة سوية ورتبهم عرابي في المصالح المصرية  
والوظائف الخديوية وصار هو في المنام خديوي مصر بدل الخديوي توفيق باشا وأما لما نظرت الشقاق  
الواقع بينهم من الابتداء تجنبتهم جميعاً واعتكفت على تعليم أولادى في المدارس الانكليزية وكذا  
تعليم نفسى اللغة الانكليزية ولغات التمل والسنهاليز والهندوستاني وتفسير ذلك أنى ما تدخلت معهم  
في مشاجراتهم ومخاصمتهم بل انى لحد الآن وأنا في حياة عنهم كما سيأتى ذكره ثم أخذوا في  
الاستعدادات اللازمة وجعلوا المنزل سكن محمود سامي مستعداً لنزول المستر بلونت وحرمه والصابونجي  
وفي يوم ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨٣ وصل المستر بلونت الى مينة كلبو وكان وقت الغروب فبات  
في الوابور ليلة ١٩ وخرج الصابونجي ليلاً وتوجه الى منزل عرابي راكباً في عربة ومن بعد أن سلم



عليه جلس وشرع الاثنان يتحدثان في الثورة ووعده الصابوني مواعيد عرقوب وأخذ عرابي يشكو للصابوني ما ناله وما أصابه من طلبه وعلى فهمي ويعقوب سامي وكان انضم اليه محمود سامي بدسائس طلبه فقال له الصابوني هكذا حالة رؤساء أي ثورة لا يحصل بينهم ان سلموا منها الا الشقاق والنزاع وتوجه الصابوني من عند عرابي في الصباح وقام عرابي والاخرون وتوجهوا الى المينة واحتفلوا بنزول المستر بلونت ووكلا محمود سامي في صرف المصاريف على طرفهم ونزل المستر بلونت وحرمه والصابوني في المنزل سكن محمود سامي ولما رأى الصابوني من محمود سامي الاكرام الزائد في حقه التحم معه وترك عرابي وأخذ برحمود سامي وطلبه وعلى فهمي ويعقوب بما قاله عرابي في حقهم من القبح والذم وشرعوا جميعا في تاريخ عرابي وألفوا في حقه تاريخا قبيحا نشره الصابوني في جريدته المسماة بالنحلة وأخذ يقدح في عرابي وأرسل منه نسخا جعة الى سيلان ومكث المستر بلونت أحد وعشرين يوما في كلبو وفي ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٣ سافر من كلبو متوجها الى الهند وترك في كلبو الصابوني وازداد الخصام والنزاع بين المنفيين وبين عرابي حتى انهم جميعا تجنبوه وصار هو وابنه معزل عنهم وفي أثناء ذلك أشاع طلبه وعلى فهمي وعبد العال أن قصد عرابي في مصر لم يكن لاصلاح البلاد ولا المساواة بل كان قصده الا كبر أن يتولى الخديوية وانه اتفق مع حسن موسى العقاد وأخذ من وكيل اسمعيل باشا في مصر حوالة على أحد البنوك بأربعين ألف جنيه وكذا أخذ من عثمان باشا وكيل دائرة زينب هانم بنت محمد على مبلغا خمسة وعشرين ألف جنيه لاجل تولية البرنس حلیم أريكة الخديوية بمصر وأخذ من الست فلانة كذا ومن فلان الذي رتبته مديرا كذا ومن الصيرفي كذا ومن ابراهيم السعودي الجيزاوي الذي رتبته مدير بنى سويف كذا وهكذا . . . . . وكان قصده الاستبداد وأن ينشئ حكومة وسلطنة عربية يكون هو ساطنهم وكان عنده في منزله مغاربة يعدونه ويمنونه ويقرؤن له الاحزاب والاوراد لينال بهم امر غوبه وهكذا فابا بلغنى هذا كله ورأيت ما عليه عرابي من الجهل وما هو الا جاهل فقي ريفي من أصحاب الطرق الدجالين حدثت رب العالمين الذي لم يبلغ هؤلاء نواياهم ونفاههم وطردهم من البلاد وأراح منهم الارض والعباد وقام الصابوني من سيلان وتلاقى مع المستر بلونت في الهند وذهب وقدم في عرابي وحصل بين الاثنين مشاحنة أدت الى الخصام الى الآن وكانت تكاليف مدة مكوث المستر بلونت الاحد وعشرين يوما في كلبو عابرة عن ٢٠٠٠ روية فتخصصت علينا نحن السبعة ودفع كل منا ما خصه ولما رأى أهل سيلان الحالة التي عليها المنفيون من الخصام والقبح في حق بعضهم تركوهم وبعدها عنهم حتى صار لا يزور أحد منهم واحدا من المنفيين ولما رأى عرابي تباعد أهل سيلان عنه وانقطع نفعهم عنه أراد أن يعمل طريقة يخرج بها من سيلان ويبعد عن الذين عرفوا كذبه فكان كلما زاره أحد من السياحين من أهل أستراليا المتوجهين لتغيير الهواء في انكلترة وسأله عن صحته في سيلان وكيف حال المناخ يقول أنا عيان وسقيم ومناخ سيلان غير موافق لي فيدرجون ذلك في وقائع الاخبار الانكليزية حتى زاره واحد من أغنياء الانكليز من الذين لهم حقالة والتزامات وأراض مزروعة بالشاي وابن اسمه لبتن وقال له بلغنى أنك عيان وأن هواء كلبو غير موافق لصحتك فتمارض عرابي أمامه وقال له نعم فقال له ان كان الامر كذلك فية تضي أن تتوجه الى محلاتي بجهات جبال كنسدي فان الهواء فيها معتدل وتقيم شهرا أو شهرين حتى تعود اليك صحتك وها أنا سأحرر لك كلابي بمقابلتهم اياك وجميع المصاريف ذهابا وايابا وقعا على طرفي فلما سمع عرابي ذلك شكره على مروءته وصح المثل

سيدى بندق ماصدق وتوجه عرابى وعلى فهمى ومحمد بن عرابى الى محل هذا الرجل الانكليزى  
 يا كلون ويرتعون ويلعبون مدة احدى وعشرين يوما وعادوا و كانت المصاريف عموما على طرف  
 صاحب المحل فلما عاد عرابى حلف قسم بالله ان لم تكن المصاريف التى صرفت عليهم ألف جنيه فهى  
 أزيد ولا أقل من ألف جنيه وتوجه ووزن نفسه فكان وزنه ما بين اثنين وخمسة وعشرين رطلا ثم اثبت  
 فى منزله الذى قال فى حقه أحد مكاتبى الانكليز كيف يكون لعرابى صحة ومنزله عبارة عن زريبة ومربط  
 خنازير فوهن وضعفت قوته من عدم الاكل الطيب مثل أقرانه فكتب جوابا الى لبن بقصد تغيير  
 الهواء فأذن له وحرر الى وكلائه وتوجه عرابى مع ابنه وامرأة ابنه وأولاد ابنه وتزل أولاده من الحوار  
 معهم فى المنزل سكنه بكلمبو وسار الى جهة أخرى من أرض لبن ولبت فيما أحدى وثلاثين يوما أى  
 شهرا كاملا ثم عاد بعد أن كلف الرجل الانكليزى من الصرف الخارج للعادة ما يفوق الحد وما زال على  
 ذلك حتى وصل صديقه السير وليم جريجورى فى سيلان فى سنة ١٨٩١ لاجل رؤية أملاكه فى  
 سيلان وكان هذا كما سيلان من مدة مضى سنين وله صداقة مع عرابى ومعرفة بالنعيمين (الأنان)  
 ونزل جريجورى فى منزل الحاكم المسمى بيت الملكة وكان الحاكم وقتئذ السير آرثر غوردون فلما بلغ  
 طابعه وعبد العال خبر حضور جريجورى أسرع الاثنان لمقابلته واجتمعا به فى بيت الحاكم وبعد لحظة  
 حضر عندهم عرابى ومحمد ابنه وجلس الجميع بعد السلام يتحدثون وشرع جريجورى يسألهم عن  
 صحتهم فأجابهم طلبه نحن جميعا فى غاية العياة والمرض نحن وأولادنا وعائلتنا وكان ذلك القول من  
 أجل مرغوب عرابى لانه محتاج لاهل بعد عن سيلان وأهلها فصادق عليه عرابى وقال ان مناخ سيلان  
 عاينا رطب وطقس مضر بصحتنا فقال جريجورى (هذا قول طلبه) أنحبون التوجه الى بلادكم فقال  
 عرابى نعم فقال جريجورى وان لم ترض الحكومة أن ترغبون التوجه الى جزيرة قبرص فقال عرابى  
 ان تعمريت مصر تكون قبرص بعد هذا فقال جريجورى يكون ذلك وسأبذل جهدى وأسعى فى ذلك  
 وقام وقاموا وتوجه كل منهم الى منزله فأمر طلبه (ولأنه لم يعرف ولم يدرك القراءة والكتابة الانكليزية  
 فضلا عن عدم درايتة باللغة العربية قراءته وكتابة) وترجى أحد معارفه من البورتى كبرى كونه يكتب  
 مكتوبا عن لسانه يشكر جريجورى فيما قدمه لهم من الوعد بتوجههم الى بلادهم وأنه هو وحرمة  
 يدعون له ويننون عليه وأرسل الجواب الى جريجورى فكتب جريجورى جوابا باردا على مكتوب طابعه  
 الى عرابى يقول له استلمت جوابا من طلبه عصمت بك فيه أن جميع المنفيين عيانون وهوا سيلان  
 غير موافق لصحتهم فان كان ولا بد من ذلك فاجتمع مع اخوانك جميعا وحرروا عريضة من طرفكم الى  
 الحكومة بانكم عيانون ومناخ سيلان غير موافق لصحتكم وارفقوا بها شهادات طبية تثبت  
 أقوالكم وقد موها الحاكم سيلان وأنا أسعى وأجتهد فى عودكم الى بلادكم أو الى جزيرة قبرص ولزوما أن  
 أسود لكم هذه العريضة ومن بعد الاقرار عليها منكم ومن اخوانكم بجري اللازم عنها باجتهدى  
 ففرح عرابى وأسرع فى التوجه الى منازل المنفيين وتوجه كندى لمقابلة محمود سامى ويعقوب سامى  
 يبشر الجميع بتوجههم حالا الى مصر حسب وعد جريجورى ما عدا أنا فإنه لم يأت منزلى لاني متجنبه  
 ومن صحبه من مدة سنين مضت والحاصل أنه صار كتابة هذه العريضة وأرفقوها بشهادات طبية استحصلوا  
 عليها من حكام سيلان وأرسلوها بعرفة جريجورى الى الحاكم ثم وقام جريجورى من سيلان متوجها  
 الى لوندرا ليصل اليها قبل وصول العريضة ويسعى عند الماركيز لسمورى بواسطة محبيه فى عود



المنفيين الى بلادهم ولما أرسل الحاكم هذه العريضة بشرح منه الى لوندرا اعتقد عبد العال وطلبه وعراي ان امر العود انتهى وصاروا يجهزون أنفسهم للسفر وصاروا فيما بينهم في ثورة أصلها طلبه وعراي وعبد العال ولما تناول الماركيز سلسبوري هذه العريضة المقدمة من منفي سيلان بواسطة حاكمها كتب عليها الى القنصل اقلن بارنج نائب الحكومة الانكليزية في مصر ليعتبر فيها ويخبر الحكومة عن منعولها فقرر عن رياض باشا أن الحكومة المصرية لا تقبل في الحال ولا في المستقبل هؤلاء المنفيين مادام الخديوي الحالي موجودا على الاركة المضرة وكذا قال الخديوي انه لا يمكن قبول المنفيين في مصر ولحقا ثم أبدأ وان قبولهم يتسبب منه الضرر وحصول الاختلال في ادارة الحكومة والارتباك والفساد فقرر بذلك اقلن بارنج الى حكومته وكتب مكتوبا الى جريجوري يقول فيه ان الحكومة المصرية ليست راضية بقبول منفي سيلان مطلقا وأعلى رأى عدم المنفعة في وجودهم في مصر فقرر جريجوري وحرم بلونت وحرم جريجوري الى عراي بانهم جميعا متأسفون على خيبة مساهمهم وعدم رضا الحكومة المصرية بقبول المنفيين ومع كل هذا فان جريجوري بذل جهده في نقلكم الى جزيرة قبرص فخطب سعي طلبه وعراي وخذت ثورتهم في ذلك ولما وصل جواب السير اقلن بارنج الى الماركيز سلسبوري كتب خطا الى حاكم سيلان يأمره بعقد مجلس طبي من أطباء الحكومة للكشف عن صحة المنفيين وتحرير تقرير طبي بما يرى من حالتهم الراهنة فأصدر الحاكم أمره الى رئيس الأطباء الدكتور كنزى بعقد مجلس طبي موافق منه ومن اثنين من كبار الأطباء واحد ملكي وواحد جهادي وتحرر انما كاتيب بذلك وتوجهنا جميعا بعد أن حضر محمود سامي ويعتوب سامي من كندى وشرعوا في الفحص وبقيت أنا في آخر الكشف فلما دخلت مجلس الفحص قلت ليس بي أدنى عياء ولا مرض وأنا متمتع بصحة في سيلان ومناخها موافق ولا أربغ تركها ولا الانتقال منها الى جهة أخرى وعلى الخصوص الديار المصرية وأنا ما قدمت شهادة طبية يستدل منها على اني عيان أو بي شيء ونجرت من المجلس وتوجه كل منا الى منزله وبعد تمام هذا القرار أرسله الحاكم من عنده الى الماركيز سلسبوري وفي آخر سنة ١٨٩٠ ورد من الحكومة الانكليزية لحاكم سيلان كتاب مضمون ما علم من تقرير المجلس الطبي أن هوا مناخ سيلان ليس مضرا بصحة المنفيين وأن الحكومة الانكليزية لا تجبر الحكومة المصرية على قبولهم ويتعسر على الحكومة الانكليزية نقلهم لجهة ما اذا أراد أحد منهم تغيير الهواء في نفس الجزيرة فلا مانع وحرر والهم اعلانا بذلك ولما ورد هذا الامر للحاكم حرر لكل من المنفيين بذلك وقطع عراي واخوانه الامل وكان يوما مكذرا على عبد العال وطلبه وباقي المنفيين

ولما رأى حرم طلبه وعبد العال ذلك عزموا على التوجه الى المحروسة وسافر حرم طلبه وحرم عبد العال وابنه وامرأته في ١٥ يناير سنة ١٨٩١ الى مصر وتركو عبد العال بمفرده في المنزل فاستمر عبد العال يقاسي سكرات الفكر وليس عنده ولا في يده شيء يشتغل به ويضيع أوقاته فيه وكان من مدة سنتين مضت عيان بالجي التيفوسية فن شدة أفكاره ووحدة في المنزل وعدم الاشتغال بشيء مات فجأة في يوم ١٩ مارس سنة ١٨٩١ ولما بلغنا الخبر توجهنا جميعا وكان علينا يوما شديدا لحزن والأسف وهما نالنا لازم له ودفعناه في مدافن المسلمين وفي ١٥ يولييه سنة ١٨٩١ وصل ابنه السيد حلمي في كلب ولاجل استلام تركه أبيه ومخلفاته ونزل في المنزل عند طلبه عصمت وكان

حضوره مع حرم طلبه أيضا

ثم توالى الايام حتى وصل في كلبوم من جهة لوندريه شاب انكليزي ابن واحد اهل اسيوط دلاور من ضمن  
مجلس اللوردات في لوندريه وزار عرابي وسأله عن صحته وعن هواه سيلان فأخبره عرابي بأنه سقيم وأنه متحمل  
آلام وطوبى لطقس هذه البلاد وأن الحكومة الانكليزية ليس لها رغبة في نقلنا الى جهة أخرى أجنف  
من هذا الاقليم وأنه مات أحد اخواني من ردة طقس هذه البلاد فأسف هذا الشاب من كلام عرابي  
ولما عاد الى لوندريه قص على آبيه ما رآه وما سمعه من عرابي فتمكن الغضب من الارل وقام خطيبا في مجلس  
اللوردات مرارا عديدة يعرض ما عليه عرابي ورفقاؤه وموت عبد العال حلمي من الحالة الرديئة الموجود  
فيها المنفيون ويحض مجلس اللوردات على عودهم الى بلادهم فاجابه سلسبوري بان الحكومة المصرية  
ليست راضية بقبولهم والمجلس الطبي الذي صار عقده المكشوف عنهم قرر بان هواه سيلان غير مضر  
بصحتهم فقال الارل لماذا تقبل الحكومة الانكليزية تقرير ما قاله المجلس الطبي ولم تعتمد الشهادات  
الطبية الواردة مع عريضة المنفيين مع أن محرريها من أكبر حكماء المستعمرة فان كانت الحكومة  
المصرية ليست راضية بقبولهم فتعمل الحكومة الانكليزية اجراءات في نقلهم الى محل أجف من سيلان  
والافأ هو الغرض الاصل من موت هؤلاء المنفيين فطيس في رطوبة سيلان فافرس سلسبوري على  
نقل المنفيين وكذا ناظر خارجية انكلتريه فرجسون الى محل أجف من سيلان وحرر الماركيز سلسبوري  
بإعادة عقد مجلس طبي ثان مركب من خمسة أطباء فعملوا خصلهم وقرروا تقريرهم وأرسلوا الخاكم الى  
لوندريه ولما رأيت أنا ما بالجرائد الانكليزية والتلغرافات اليومية اقرار سلسبوري وناظر خارجية لوندريه  
بنقل المنفيين الى جهة غير سيلان نشرت في الجرائد المحلية بانى لست مريضا ولا أرغب في الانتقال الى  
جهة أخرى خلاف سيلان وانى متمتع بصحتي في مناخ سيلان ولحد يوم ٢٥ يولييه سنة ١٩٨١  
انتظر المنفيون ما تؤول اليه حالة نقلهم وهذا ما وقع لغاية هذا اليوم من الشهر  
وأشتغل الآن بدرج وتسجيل الاحوال السودانية بما أنها كانت تابعة للحكومة المصرية ولغااية  
هذا اليوم أنا على حيادية من المنفيين

## (الحركات السودانية والوقائع النوبية)

الى حد الحلات الحربية الاخيرة التي شرعت فيها الدولة الانكليزية في الجهات العربية الشاسعة  
المعروفة عمومًا بالنوبة والسودان كان الموقع الحال لهذه الاراضى غير معروف عند الامة  
الانكليزية معرفة تامة حتى كان لا يجيب عن سؤال ما هو السودان ولا أين السودان الا القليل جدا  
منهم وان الامة الانكليزية ما كانوا يظنون السودان اصحراء غير قابلة للزراعة وفي الحقيقة هي  
صحارى شاسعة يكثر سقوط الامطار بها ويجعل جهات كثيرة منها على غاية من الخصوبة والعمارية  
بالسكان كما وأن السودان يشتمل على بوادى صحار شاسعة وقفار ومليحة محترقة مثل الصحارى النوبية  
وصحارى برقة وجهات كسلة وصحار أخرى ومن ثم يكون السودان عمومًا هو الصحارى الكبيرة من  
الاراضى التى تسقى بيماء بحر النيل ومحدودة بالخبش والبحر الاحمر وصحارى برقة والبادية الكبرى  
وتشتمل على مجرى النيل جميعه من ابتداء منبعه من بحيرة تانزا الكبرى الى مدخله في اسوان وطول  
ذلك ينوف عن ألف ميل انكليزي الا أن بين الاقليم الاسفل للنيل وهو مصر وبين بعض اراض خصبة



محصورة في بضع درجات من درجات العرض الشمالي المحاصرة للسودان الجنوبي الموجود في شمال خط الاستواء توجد صحار وبوادر ملية محرقة شاسعة الاطراف والاكتاف يصعب منها الوصول بحسب ما من السودان الشمالي الى السودان الجنوبي وعاصمة هذا السودان مدينة الخرطوم وهي واقعة في نقطة اجتماع النيل الأزرق مع النيل الأبيض وكذا يوجد مدن أخرى مشهورة مثل شندى وبربر ومينتى مصق وعسواكن ومن المعلوم أنه يوجد في هذه الاراضي العريضة والبادي الواسعة التي أضافها محمد علي باشا في الزمن السابق الى المملكة المصرية أمم مختلفة لخلق الجنس وقبائل متباينة الهيئة الآن اللسان العربي هو اللسان المتسلطن في هذه الجهات عموما مع اعداد جهات قليلة من السودان الاعلى وأن قبائل وعشائر هذه الجهات في عيشة رعوية غالبهم رحالة تزالة وبالنظر لتساع الصحارى والقفار لا توجد طرق منظومة تصل بين الجهات الخصبية السودانية وبين بعضها وكانت تجارة الرقيق والسن والصمغ وريش النعام والجلود هي تجارة تلك النواحي الآن تجارة الرقيق كانت هي الاكثر تسلطاً في هذه الصحارى الشاسعة ولما تولى غوردون بإشازام حكومة السودان من طرف الخديوى اسمعيل باشا و كان الخديوى هذا دخل في معاهدة مع الحكومة الانكليزية بقطع دابر هذه التجارة اجتهد وبذل ما في طاقته في ازالة الرق والعبودية وتعهده غوردون باستتباب الحرية وقطع تجارة الرقيق من الاقطار السودانية وكان غوردون في مبادئ حكمه ضعيف الشوكة لافوته له على تدمير هذه التجارة مرة واحدة فاجتهد على التدريج شيئاً فشيئاً في علو وزيادة سلطته وشوكة في منع تجارة الرقيق وعلى الخصوص لما اجتمع بسمويل بيكر فانه أخذ يدافع مقاومة تجارة الرقيق وساعده على ذلك الحكومة المصرية في كونها رتب محاقطين في أبواب الدروب الموصلة الى نواحيها من الجهات السودانية لاجل ضبط جميع التجارات الواردة بالرقيق من السودان وتوقيع العقوبات الشديدة على تجارها مع الاستيلاء على ما معهم من الرقيق وما زال غوردون مكافئاً على مساعيه حتى تحقق هذه التجارة تقرىباً من السودان ولما استعفى غوردون من حكومة السودان في أواخر سنة ١٢٩٦ هجرية أو سنة ١٨٧٩ ميلادية وتعين محمد رفوف باشا في مكانه انفق شغل غوردون وانحلت عقه وجرأته حتى فشل السودان وخرج أخيراً عن طاعة الحكومة المصرية وصار لاهله شوكة قوية وسلطنة سنمية تحت قيادة محمد أحمد الملقب بالمهدى

وذلك أنه ظهر في رمضان من سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق أول أغسطس سنة ١٨٨١ ميلادية رجل نوبى المنشأ باسل الهممة مقدام في جسارته وشجاعته حازم الرأي ذكى العقل على غاية من التدبير اسمه محمد أحمد ولقب بنفسه بالمهدى أو محي الدين الاسلامي وهو رجل درويش من أهل البلاد كان أبوه نجاراً في الخرطوم ومع ان محمد أحمد هذا كان نجاراً أيضاً في صنعة أبيه الا أنه كان ملتزماً بصناعة الدروشة واعطاء العهود وصار صاحب طريقة مثل أصحاب الطرق الموجودين في الاقاليم المصرية فشرع في اعطاء العهود وترسية المريدين فلما تعب من صنعة التجارة تركها والتزم بصناعة الطريقة لانها أسهل له وانتقل وسكن في قرية بالقرب من الخرطوم أى في جزيرة أبابو عمل له فيها زاوية واجتمع حوله المريدون وصار له نقباء ودراويش واشتهر اسمه وعلاقته في العفة والقناعة والزهد فأغدت عليه الدنيا بحذاقيرها وثر وثم اوصار كثير الاموال والزوجات وصار بهذه الطريقة الجارية عليها يتدخل شيئاً فشيئاً وهو سائر على قدم العفة والزهد والتسك حتى استحوذ على ساطة وسيادة كبيرة بين الاهالى

حتى خضعوا ليديههم وأولادهم ونسأؤهم وبناتهم ولم أر أي بعض مبغض به ما هو عليه من الحالة وشي في حقه إلى رؤف باشا حاكم عموم السودان وقال له إن لم تمنح هذا الرجل والاعادته من مضار على الحكومة فأوجس رؤف في نفسه خيفة وعين بعض عساكرهم معاونين للتوجه إلى هذا الرجل وجلبه وسجنه وافقاده حياته فلما وصلوا إليه تقدم واحد من معاوني الحكمدارية وقال له إن الحكمدار يطالبك للتوجه إليه فقال ومالي وللحكمدار أنا رجل فقير ولا يعرفني ولا أعرفه فأعاد إليه القول وفي أثناء استعداده للتوجه للحكمدار في عاصمة الخرطوم قال له أحد معاوني الحكمدارية وكان من أقارب موسى العقاد في السر لا تتوجه يا سيدنا لأن الحكمدار عازم على الاغتيال بك فعاد وعزم على عدم التوجه فقال واحد من ضباط العسكرية الحكمدارية على وجه السرعة في طلبك يا شيخ محمد فقال له لا أتوجه إليه ولا أعرفه فأعاد القول بشماحة فعارضه أحد نقباء الشيخ فأخرج الضابط طبنجة وضرب بها النقيب في الحال فقال الشيخ محمد أحمد ديا أولاد اقتلوا أعداء الله فقام النقباء والمريدون جميعا على المرسلين بالنبايت والحرب ومن قوههم الأقليه لاهربوا مسرعين وتوجهوا إلى الخرطوم وأعلموا الحكمدار محمد رؤف باشا ثم أرسل له رؤف باشا ثانيا نحو ما من ثلاثمائة مقاتل في وابورين من وابورات الحكومة فضربهم وكسرهم وشتت شملهم وادعى المهدي وكتب مكاتيب إلى القبائل والعشائر السودانية يخبرهم بأنه هو المهدي المنتظر وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وبشرهم بهذه البشارة وأجلسه على كرسيه وأوصاه بالدين ووعده النصر المبين

ومن ثم تبعه عالم كثير وانضم إليه ما لا يحصى من رجال القبائل والعشائر السودانية ومن الجلابية ياعى الرقيق فأرسل محمد رؤف حاكم السودان قوة كبيرة لاجل اخضاع هذه الزبقة الرملية التي طارت في وسط الصحارى السودانية فثبت المهدي وأتباعه وأوقعوا بهذه القوة وأذاقوهم الويل وشتتوهم وبعث محمد سعيد باشا مدير كردفان جيشا كبيرا يفتق أثره لأنه كان سارا إلى نواحي جبل الغور على بحر الغزال من شمال فشوده على البحر الأبيض يستجيب بأهله فهزم الجيش الذي أرسله محمد سعيد باشا ثم جرد إليه راشد بك مدير فشوده تجريدة وقاتله وكانت نتيجة هذه الواقعة قتل راشد بك ونشبت عساكره واستحوذ المهدي على كل ما كان معهم من أسلحة وذخائر وانتشر أتباع المهدي المعروفون بالدرأويش بين القبائل والعشائر السودانية يحثونهم على الجهاد في سبيل الله وأرسل المهدي مكاتيبه إلى القبائل يبشرهم بالنصر على أعداء الله الكافرين وفي سنة ١٨٨٢ هزم العساكر المصرية شرعية تحت قيادة يوسف باشا ورقص الدراويش وطاب لهم الوقت وساقوا في الهجوم وتمتعوا بالنصر وما زالت الفتنة تقوى وتنتشر حتى أنه في نفس هذه السنة وكان محمود سامي باشا رئيس الوزارة وعرابي ناظر الجهادية استقدم رؤف باشا من السودان وتعين مكانه عبد القادر حلي باشا متقلدا زمام أحكام الحكومة السودانية وتجمعت أتباع المهدي جماعات تحت قيادة رؤساء منهم وصاروا يغيرون على جهات سنار وكردفان حتى أزعجوا مديريات السودان الواقعة فوق الخرطوم الجارى فيها كل من النيل الأبيض والنيل الأزرق وما زالت أتباع المهدي تأخذ في الزيادة مثل الرمل حتى فازوا بالنصر والظفر بهذه الأحوال على العساكر الاتكليزية والاسترليانية وبددوا شملهم وطردهم من أقاليمهم

وفي شوال من سنة ١٢٩٩ أو سنة ١٨٨٢ نزل المهدي إلى العبيد عاصمة كردفان وكان في رأس ٦٠٠٠ نفس من أتباعه وكان محافظو هذه المدينة نحو ما من ستة آلاف مقاتل واثني عشر مدفعا



فصد هجومه عنها محاطوها من تين وأخيرا حاصرها وضيق عليها حتى ظفروا وتغلب عليها في فصل  
الربيع سنة ١٨٨٣ وجعل مدينة العبيد مقره ومحل ملكه وانضم اليه أهله وأمن جاورهم من القرى  
والقبائل والعشائر ثم استقدم عبد القادر باشا إلى مصر وأقيم مقامه علاء الدين باشا وبولي حسين باشا  
قيادة جيش سنار ومن بعده هزيمة عرابي وزعماء الثورة الوطنية وأهداء الخديوي توفيق روع البلاد  
اشتغلت الحكومة المصرية تحت رئاسة نظارة شريف بالاستعدادات الحربية والعساكر المصرية  
واعتقدت الحكومة المصرية أن الثورة المهدوية مثل الثورة العربية وأن محمداً أحمد يغفل عن أمر  
قام به وينام حتى تدخل مقدورات محاربه في خيمته وماعلمت مصر أن محمداً أحمد سهران لا يغفل عن  
تجهيد الجنود ورفع البنادق والبنود تحت رجال وأبطال لا يخافون الموت ولا يخشون التهديد والغوت  
لجملت الحكومة المصرية قوة عسكرية وعهدت قيادتها إلى قائد انكليزي اسمه هيكرس وأنعم عليه  
الخديوي توفيق باشا برتبة باشا فصار هيكرس باشا وكانت هذه القوة مؤلفة من ١٢٦٠٠ نفس  
مقاتل انضم اليها من السودانيين ٤٠٠٠ نفس فبلغت ١٧٠٠٠ وأصدر له الخديوي توفيق  
باشا أمراً فاطعاً بأنه عند وصوله إلى الخرطوم يجري حركته الحربية ضد العصاة وعلى الخصوص  
خلاص مدينة العبيد عاصمة كردفان من المهدويين وقطع دابرهم وكذا يجري حركته في نواحي سنار  
وهو الاقليم الواقع بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ولما وصل هيكرس بجيشه إلى الخرطوم اجتمع مع  
علاء الدين باشا الذي تعين حاكم عموم السودان من طرف الخديوي توفيق باشا وقام هيكرس في الخرطوم  
مدة ليستريح من تعب السفر ومن بعد مدة نزل علاء الدين في البحر الأزرق وتحرك هيكرس بجيشه على  
الشاطئ الغربي للنيل الأبيض وسار علاء الدين في البحر الأزرق وأوقف حركة العساكر المصرية من  
الهرب وكانوا وارد من جهة سنار فلما رأى العساكر الحالك انهم واليه وشتت علاء الدين  
المهدويين من اقليم سنار حتى عبروا النيل الأبيض إلى الجهة الغربية التي كان هيكرس باشا متحركاً  
فيها بعساكره ورأى المهدويون ما عند هيكرس من العساكر والمراكب البخارية والشرعية على  
النيل الأبيض ومع ان العصاة كانوا آخذين في التفكك والهزيمة إلا أنهم هجموا على هيكرس وعساكره  
هجمة شديدة حتى أزعجوا جيشه فأنجبر على أن يجعل جيشه في هيئة قلعة مربعة لمسار أي الخوف  
والقتل والارتباك وقع في عساكره وعلم منهم عدم المقاومة والمدافعة وقال في تقريره تقدم منه يعني  
من هيكرس

انه في يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ميلادية من الشهر صار فلك الخيام كالعادة وأصدرنا أمرنا بسير الجيش  
الساعة سبعة صباحاً بدري وما حصل من الصعوبة والخطر كان أصل منشئه من الخيالة والاركان حرب  
لانهم لم يحصل منهم الاعتناء بكشف جميع الاراضي والجهات اللازمة مرور الجيش منها وسيره فيها ولهذا  
لمسار الكولونيل فار كهار و يوز باشي واحمد وأربعة من عساكر الباشا بوزق أشبه بكشافين أمام  
الجيش لم يبعدوا كثيراً حتى عادوا راكبين وأخبروا بقرب تقدم العدو وكان لهذا العدو حركة سريعة  
جداً حتى انه في ظرف ربع ساعة ظهر على الجيش مثل جري السحاب في جوف السماء وفي هذا الوقت  
كانت الساعة تسعة وكانت قوة هيكرس سارت بضع أميال في مجاورة أجرة امتداد مواجعتها ثلاثة أرباع  
ميل وكان سيرها إلى جهة اليمين من الوجة ومن هذه الجهة كشف جيش هيكرس حضور الدراويش  
الخرنيين متسلحين بالحراب والمزاريق مثاث مثاث وقوادهم أمامهم حاملين البنادق والاعلام وهجموا

بغاية من الشجاعة والاقدام على جيش هيكس حتى أزججوه وأوقعوا فيه الفشل فلما رأى هيكس ذلك جعل جيشه على هيئة قلعة مربعة وجلب المدافع بسرعة في زوايا القلعة وفتح هيكس نارا قوية من مواجهة القلعة الا أنها كانت على غير تأثير لان الدراويش كانوا آخذين في التقدم مع السرعة والشدة ولكن على مسافة ٥٠٠ ياردهم من صف مواجهة القلعة ابتدأت عساكر الدراويش في التساقط وصار القواد يحثون رجالهم مثل ما كانت تعمل فرسان قدماء العرب فصاروا يتساقطون واحدا واحدا واثنين اثنين ثم يقومون ثانيا ثم يختبئون في الارض على وجوههم ومن بعد نصف ساعة لما توج القبائل وتحركوا الى جهة اليمين في وسط الحشائش العالية وانكشفت مواجهة القلعة من العدو وانكشف دخان ضرب البنادق والمدافع وجدت الارض مرمية بالرجم والقتلى وأغلبهم على مسافة ٤٠٠ ياردهم من مواجهة القلعة وهذه الواقعة واقعة مرأيه هذا ما ذكره مكاتب الحرب في تقريره

وحارب العساكر المصرية محاربة قوية مع الشجاعة والثبات وما زال الدراويش أتباع المهدي مصرين على ما هم عليه من القوة والعناد في جميع هذه الحروب سواء كانوا أمام المصريين أو أمام العساكر الانكليزية أو العساكر الاوستراليانية وكانت مخارباتهم مثل محاربات الجن والعناريت حتى صار قواد الجيوش الانكليزية لا يدرون طريقة يكسرون بها هؤلاء الدراويش ويهزمونهم ثم تولد من كثرة سقوط الامطار في هذا الاوان تعطيل الحركات العسكرية في هذه الجهة فتقهقر هيكس باشا بجيشه المنصور حتى بات في فصل الخريف ونصب معسكره في أم درمان تجاه الخرطوم وفي هذه المدة جمع جيش هيكس رأيه على الخضوع للمهدي ولما أتى فصل الخريف سار هيكس بجيشه الى الدويم وفيها انضم اليه فرق أخرى ثم سار من الدويم قاصدا العبيد عاصمة كردفان ومن ذا الذي اطلع على الغيب وما في علم الله من أجل حملة كبيرة سائرة تحت قيادة رجل انكليزي حائر البسالة والشجاعة حتى ينبت بها السكان لها في الغيب وبما سيحصل لها مما يغمر الخواطر ويكدر البال ويؤتم الاطفال

وظهر من المصريين الذين كانوا تحت قيادة عرابي أنه ليس أهمهم رغبة بالكلية في المحاربة تحت قيادة هيكس (هم ما حاربوا تحت قيادة عرابي) وقال الكولونيل سكندورف ان عمره ما رأى حرب المصريين الا أنه من الخسارة وجود أي انسان حائر الشجاعة في وسطهم (عقد هيكس مجلسا حربيا لاجل تقرير اقتحام الصحراء الى العبيد فكان على غير رأي جميع الضباط المصرية فغضب هيكس من عدم رضاهم وقال هذا التوبيخ حتى اتفقوا على السير) ومع كل هذا فإنه ظهر من المصريين ما سر خاطر ضباطهم وقوادهم لانه حصل الاتفاق بينهم على قطع الصحراء وعبورها مع الاعتماد والوثوق بان البرك والمنافع ملائمة بالمياه العذبة المختلفة من سقوط الامطار في هذه الجهات وفيها الكفاية لمطلوب العساكر والحيوانات وبناء عليه في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار الجيش وعند سيره قال مكاتب الحرب وتطرا الى خلفه وهو متوجه الى عاقبة أمره أو أمه هذه آخر نظرة مقطوع اليأس بعدها من العود ثانية وتنفس الصعداء وقال اتناوقعنا في شر أعمالنا وفي خسارة مهولة وفقد أنفس لكوننا تركنا طرق مواصلنا وتناوسنا ٢٣ ميلا في داخل أرض لا نعرفها ولينتناحر قناصا كبنائنا وما بقي عفشنا وجاننا وفي هذا الوقت كان العدو لم يزل آخذنا في التفقهقرجامعا معه أنعام ومواشي البلاد فتولد من عدم وجود المياه الحزن الشديد والغم الا كيدوا أخذت الجمال



في التساقط والموت وسارا لقول في الصحراء الشاسعة واختفت العساكر الخلفية في القفار التي لا يعرف أولها ولا يوصف آخرها وهبت الرمال من الرياح وضربت في وجوه العساكر وجرى الوطيس واختفى في الجيش الكثير الذي صار لا يرى بعد ذلك مرة أخرى (هزيمة هيكس وموته) ومع كل هذا اكتسبنا برهة من الزمن على المخابرة مع أس حركاتنا العسكرية ونحن سائرون لنحوه. لا نكاد نمارنا وذلك أنه لما ترك الجيش وادي النيل تشكل في هيئة قلاع مربعة ودخلت الحملة في وسط القلاع وسارا الجيش بحركة بطيئة بهذه الهيئة نحو العبيد وفي أثناء سير القوة في طريقها كانت تجد مصاعب وخسارات مهولة لان المياه المحمولة على الجمال والتي في زمازم العساكر كانت قليلة جدا ووجدت الأبارير دومة والبرك والمناقع مشحونة برم القتل والحيوانات ومن ثم أصاب العساكر التعب والنصب ومع ما رأى الباسل هيكس من الحكم والمواعظ والاندازات التي شاهدناها بعينه جهارا اندفع في سيره نحو معسكر المهدي بارشاد ودلالة واحد من النوبيين كان هذا الرجل مسخر الأبداء وانقراض هذا الجيش وما زال سائرا حتى دخل من مضيق مشحون بالأورمانات والآجام والصخور ومن داخل هذا المضيق مبدان قليل الاتساع محاط بالأورمانات أيضا والجبال الوعرة وكان هذا المضيق وما حوالى الميدان مشحونا بعساكر الدراويش وكان مكنوا من صد الهمة فلما رأى ذلك هيكس استمر ثلاث أيام في حروب وكد وتعب مع المهديين كانت على غير طائل وأحاط به العدو من كل جهة ومع ما كان عليه هيكس من عدم وجود المياه ووجوده مع عساكره تحت حرارة شمس محرقة ولا طاقة له على التمسك بدم أو التأخر لم يزل مصمما على عدم التسليم وحينما كان عنده ذخائر حربية ما قدر العدو على القرب منه إلا أنه لما فرغ الخراطوش الأخير في اليوم الرابع من وقائعه فردا لآمل جناحه وطار ورفرف الموت بأجنحته وحل محله وسار وكأن الموت في حالة تسود كاسرة مهولة حائمة على قفر كالح صخري الأجبار لا ماء بار فيه ولا راكد جارية فيه عساكر الحكومة حركاتها العسكرية ولما نادى هيكس بنداء سونكي ديك انقطع الآمال وخابت الأعمال وتيقن العساكر والضباط والمكاتبون والوكلاء ونواب الجيش ان ساعة الموت وحلول الاجل قد آن وأنه وحل وقته وجاء زمانه وما كان الغرض من لفظ نداء سونكي ديك الا وداع الاحباب والاصحاب بعضهم بعضا ووداع أوطانهم وحياتهم الدنيوية وصار كل واحد ينظر بعينه الى ورائه على أرض الميدان ووجه الاوروباويون أفئدتهم وقلوبهم ووعدها لهم الى انهم كلهم في هذه الساعة المهولة الى نواحي أحسابهم وأصدقاؤهم الذين يتعونهم في محلات اجتماعهم في أثناء تناول طعامهم في أوقاته المألوفة في محال الاجتماعات الطريفة وصرفوا النظر عن الريشة والقلم الرصاص واستبدلواهما بالطبخة والسيوف كل يدافع عن نفسه لنجاة حياته وأين هذا

ولما نادى هيكس بنداء حمله ووجه العساكر جميعهم سونكياتهم الى نواحي الهجوم وجعل هيكس نفسه في رأس القبول و تقدم على العدو مع الثبات بعساكر المصريين جال العدو وفيهم جولة مهولة فألقوا صرخي جميعا على الأرض لآحر الدفيعهم وأصبحوا مثل ندى الصبح على الأرض بين العساكر المهديين ولم ينج منهم أحد وسبحان الله الواحد الاحد الفرد الصمد

ووصلت أخبار هذه الحادثة المهولة متأخرة الى لوندرة وأما في القاهرة فلا يمكن وصف ما حل بالناس من الحزن والاكدار حال استنساخهم بهذه الحادثة المزعجة التي حصل منها المصيبة العظمى وكانت مظفرات المهدي مثل شعل نار رميت على مرجع جاف الحشيش والكلا وانتشر لهب الثورة في جميع

الجهات وصار استقبال المهدي كأنه هو الخالص والنفذ وانضم الى ما عنده ألوف وألوف ألوف من الناس وصاروا جميعا تحت بيرقه

وأما في الخرطوم فإن الكولونيل قوطلجون الذي كان متقلدا زمام أحكامها وقيادتها فإنه عمل الاستعدادات اللازمة للمقاومة والمدافعة عنها وأشارت الحكومة الانكليزية على الحكومة المصرية في كونها تتنازل عن السودان وتتركها ونفسها بعد أن تسحب جيوشها وعساكرها منها وأرسل بالورد غرانفيل الى افلن بارنج يحرضه ويحثه على فعل ذلك مع الحكومة المصرية ولم يعرض ذلك الملن بارنج على الوزارة المصرية تحت رئاسة شريف باشا لم يقع عنده ترك السودان موقع القبول والاستحسان وأصر الانكليز والهنديون توفيق على التنازل عن السودان فلما رأى ذلك شريف باشا استقال من وزارته في ٥ ربيع أول سنة ١٣٠١ هجرية الموافق ٤ يناير سنة ١٨٨٤ ميلادية وقبل فوبار باشا تشكيل وزارة جديدة قابلا ما أشار به الانكليز والهنديون على شرط بقاء سواكن وما بقى على الحكومة المصرية الا سحب حكماها وعساكرها من الاقطار السودانية ومن ثم صارت المخابرات والمداولات في عمل الطرق اللازمة لخلاص المحافظين من أيدي المهديين وما مضى قليل من الزمان حتى أصدر المستر غلادستون أمرا بانه لابد من عمل واجراء الاعمال والوسائط اللازمة لخلاص المحافظين وكانت جميع القبائل والعشائر السودانية قامت في ثورة واحدة وحاصروا المهديون سنكات وطوكوك قبل أن ترسل قوة لمساعدتهم ما وانقطعت المواصلات بين بربروسواكن وصارت سواكن نقيبها على خطر شديد لولا أن تداركتهم محافظة السفن الانكليزية بغير ان مدافعها القوية

وقام السودان بالسلح والسكاكين والمزاريق والحرب الملاح صغيرهم وكبيرهم وصاح الله أكبر حتى على الفلاح وتجمعت الجوع السودانية في جميع البوادي ومن ضمنها السواحل البحرية بجهات سواكن وكانت رئاسة المهديين في هذه الجهات تحت قيادة عثمان دجنة البطل الهمام والشجاع المقدم الذي لا يخاف الموت ولا يرجع الصوت وعمد الانكليز والحكومة المصرية على أداء الاستعدادات اللازمة لخلاص طوكوك وأولاهم سنكات وعين الهنديون من طرفه حسين واصف باشا حاكما على السودان الشرقي بجهة سواكن وأرسل محمود طاهر باشا بجيش من سواكن لاجل خلاص طوكوك فقام محمود طاهر بجيشه المصري في المسراكب من سواكن حتى وصل ترنكات على ساحل البحر الأحمر وعلى مسافة عشرين ميلا من طوكوك وأنزل جيشه وكان مقداره ٥٠٠٠ نفس وبعض مدافع جبلي في ترنكات وبعد أن رتب هذا الجيش سار في الصحراء قاصدا طوكوك ولما بعد عن البحر بمسافة عشرة أميال زحف عليه عثمان دجنة بعساكره وأوقع به وبجيشه الدمار وأحلهم دار البوار وهرب محمود طاهر مسرعا الى المراكب في ترنكات وأقلع في الحال الى سواكن وهلك جميع الجيش الا قليلا منهم ولما وصل الخبر الى القاهرة حزن الخديوي حزنا شديدا وعين مجلسا حرا تحت رئاسة حسين عاصم باشا لكتابة محمود طاهر من أجل قراره من أمام العدو وتوجه هذا المجلس الى سواكن وشرع في تحقيق مادة الهزيمة وهروب محمود طاهر واستمر التحقيق جاريا حتى حصلت هزيمة بيكر باشا كما سنده فصرف النظر عن التحقيق وعاد المجلس ومحمود طاهر الى القاهرة

ولما هزم عثمان دجنة محمود طاهر وجنته وبددته لهم عاد الى طوكوك وقتل من كان فيه من العساكر وكان قتل الانكليز من المقتولين ضمنهم وكذا قتل جميع القوة التي كانت أرسلت من قبل بشهر



تعيين بيكر باشا - تولد مما حصل من المصائب والاهوال أن الخديوي توفيق باشا عهد الى بيكر باشا مع عساكره من البوليس والجند رمة خلاص المداين المحصورة والتي صار التغلب عليها وأصدر له أمرا خديويا بان يكون مطلق التصرف في الحركات العسكرية حسب موافقة الاحوال وأن يتخابر بطريق المحبة مع القبائل والعشائر المجاورة لسواكن وأنه هو الحاكم المنتصرف في السودان الشرقي فأعتمد بيكر قوته وجناته وسار بهم حتى وصل سواكن وتقابل مع حسين واصف باشا حاكم السودان الشرقي فأمر بيكر باشا بعض أوامر فقال له أنا الحاكم على هذه الجهة بأمر الخديوي فقال بيكر باشا حاشا أنا الحاكم وأخرج له أمرا خديويا بتعيينه حاكما مطلق التصرف في السودان الشرقي فقال له حسين واصف وأنا من الآن مستعفف فقال بيكر وأنا قبيل وتوجه حسين واصف الى القاهرة فورا وسار بيكر الى مضوع ليتم الف مع رؤساء القبائل ليجهز طريقا لانسحاب عساكر الخرطوم من طريق كسلا ثم عاد الى سواكن واستعنت الحكومة الانكليزية للسفر بمراكبها الى جهة سواكن وبينما هم في هذه الحركة المهولة اذورد الضياح والصراخ من نواحي الكولونيل فوطيجون يطلب رخصة من الحكومة الانكليزية بتفقههم مع الموجودين معه من العساكر المصرية في الخرطوم فصعدت الاوامر بذلك حسب مرغوبه الا أنه بأى طريقة وبأى حالة يمكن اجراء ذلك لانه يوجد ألوف من الانفس في هذه المدينة ولا يمكن عمل الوسائط اللازمة في خلاصهم من طريق النيل فقط ومن مقتضى اجراء أخذ الوسائط اللازمة لسلامة هؤلاء الناس أن تكون طرق تفقههم سالمة من الآفات والمصائب التي ربما تعود عليهم فيما بعد لكن هل يمكن الوصول الى ذلك ومن هو الذي في قدرته وبسالته مساعدة هذه المدينة المحصورة وهل يوجد انسان يمكنه التوجه لخلاص وانقاذ المدينة وأهلها من هذا الكرب العظيم نعم هو - ارسال الجنرال غوردون - وفي ٨ يناير سنة ١٨٨٤ قررت الحكومة الانكليزية غوردون باشا حاكمها المشهورين ليسير الى السودان لأميرين الاول خلاص المحافظين المصريين والثاني أن يعيد النظام فيها بكونه يعيد جميع الجهات السودانية الى أمرائها وسلطانها القديمة الذين محقت سلطنتهم وشوكتهم منها من مدة احتلال المصريين فيها ويقدم تقرير مفصلا عن حالتها الحربية والوسائط اللازمة لسلامة من بها من المحافظين والسكان الاور وباوين وعن أحسن طريقة لاخلاد داخلتها واقامة حكومة منتظمة على سواحل البحر الاحمر وابطال تجارة الرقيق التي كانت عادت في عهد محمد رؤف باشا كل هذا لان غوردون كان له خبرة تامة باحوال السودان وأعماله مددة ما كان متقدما زمام حكومته في عهد الخديوي اسمعيل باشا

وفي ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ ترك الجنرال غوردون لوندروم مع رفيقه في السفر الكولونيل ستوارت وسافر الى القاهرة مباشرة فوصل القاهرة في ٢٥ يناير فأخبره السير اقلن بارنج بما قرره الحكومة الانكليزية وهو القرار المتقدم وفي اليوم الثاني أصدر الخديوي توفيق باشا أمرا بتولية غوردون على الاقطار السودانية وفوض اليه أمر اخلائها وفي ٢٧ يناير سار غوردون مع صحوبه برفيعة الى الخرطوم وبينما كان قاطعا في سفره صحرا عظموه رأوا محمدا الى بربر على الجمال والهجن كانت عساكر عثمان دجنة في جهة سواكن دمر واقوة بيكر باشا ومحقوها في نواحي ترنكات كما سئذ كره بعد ولما وصل غوردون ورفيقه الى بربر في يوم ١١ فبراير شرع في الحال في اعطاء الرخصة التامة للاهل في بيع الرقيق

ونشر منشورات بذلك حتى تحصل الراحة من ذلك في السودان ولولم يكن هذا الامر من خصائصه وانه على غير رغبة الحكومة الانكليزية فانشرح صدر السودانين من هذا المنشور الا أنهم قالوا كان من الواجب على غوردون الحضور اليها قبل ذلك بسنة فتأخر في حضوره وفات الوقت فلم يشاركهم غوردون في هذا الرأي بل قال لهم ان السودان أصبحت دولة مستقلة عن مصر وأن المهدي قد أقيم سلطانا على كردفان

وفي ١٨ فبراير دخل غوردون الخرطوم فتلقاه أهلها وعساكرها مع الابتهاج والسرور ومن يدا الترحاب والحبور فقال لهم اني أتيت لانتقاد السودان مما أصيبت به ولم آت بجيش بل جئت متوكلا على معونة الله تعالى ومعاذته لي فلا أحارب الا بسلاح العدل وكانوا يحبونه من قبل فوقع كلامه من قلوبهم موقع القبول والاستحسان واستتببت الراحة في الخرطوم ثم اتخذ وسائل عالية وسلطة وشوكة شامخة تولد منها هياج المهدي واحاطته بالخرطوم في ١٢ مارس سنة ١٨٨٤ حينما كان نائبه الشجاع الباسل عثمان دجنة مشغولا مع الجنرال جراهم في طمية بنواحي سواكن

سفر بيكر وقدمه - وبينما كان غوردون على حالته المتقدمة استعدي بيكر باشا بقوة المصرية لاجل خلاص المصريين المحصورين وفي آخر شهر يناير عندما تمت استعداداته وتجهيزاته سافر بقوة وكانت نحو ٤٠٠٠ نفس من طريق البحر الى أن وصل ترنكات موقع محمود طاهر باشا وهي على بعد عشرين ميلا من طوكرا التي هي أول ميس يلطمه ويصيبه في أثناء هجومه وترنكات على نحو خمسة وعشرين ميلا من سواكن وفي ١١ فبراير ابتداء بيكر بقوة في السير نحو طوكرا وكانت هيئة التقدم على صورة يوبلج وليست على هيئة قلاع وكانت المدافع في الامام والخيالة في الجوانب من كل جهة وبينما هم على هذه الحالة المفشولة اذ هجم المهديون عليهم بغتة (وكافوا في مراد ومكان مخفيين) هجموا منها وبيا وكانت هذه الحالة المشؤمة سائرة في الصحراء على غير نقطة من عدوهم وما كان لبيكر وعساكره معلومة بقرب العدو منهم فأسرع بيكر باشا في تشكيل ييادته على هيئة قلعة واجتهد في مقاومة المهديين الذين اقتحموا بحريمهم وسكاكينهم وأخسائهم في أيديهم على المصريين ولما كان لا يوجد وقت لتشكيل مثل هذه القلعة زحف العدو السريع الجري وهجم على نصف القلعة وبالخصوص على الجناح الذي كان حصل فيه الفشل وعدم النظام وأسرع المصريون في فتح نوبة اتش الا أنه لم ينتج منها الا زيادة تحريض المهديين والوقوع بالعساكر الذين أطلقوا هذه النيران حتى شتوهم وصاروا لاطافة في تجمعهم وانخرقت القلعة والنصو العساكر من دجين بعضهم وزاجهم شجعان العدو وانكسرت همة المصريين وصاروا لاطافة لهم على أدنى اجتهد ايدافعون به عن أنفسهم ورموا أسلحتهم وأسرعوا بالجري في كل جهة وسميت هذه الواقعة بوقعة التيب

حصول المذبحة في التيب - لا يمكن أي انسان أن يتصور ما حصل في واقعة التيب من الاعمال الوحشية الفظيعة التي حصلت من المهديين وذلك أنه في أقل من عشر دقائق من هجوم المهديين على جيش بيكر انتشرت جميع عساكر الجيش المصري كالجراد في سهل الصحراء بعد أن رموا أسلحتهم وشرعوا في الجري فانغمس الدراويش الشجعان في دماء الرجال الذين ما حصل منهم مقاومة لهم وصار الدراويش يغتون المصريين في بطونهم بحراهم ويذبحونهم بسكاكينهم ذبح الفراخ وكان سبب وقوع هذا الفشل أن الدراويش هجموا أولا على الخيالة وأزعجهم فانضموا الى البيادة فوقع



الرعب والخوف وانكسر الجيش وحصلت هذه المذبحة المهولة  
وكانت عواقب المذبحة من أكبر المصائب في مصر وفرج الخلاص محمود طاهر باشا مما كان فيه من  
السؤال والجواب وصح المثل (مصائب قوم عند قوم فوائد) وبهزيمة بيكر باشا عند الخديوي توفيق  
باشا عن محمود طاهر ولم ينج من هذه الواقعة الا ما قل ونذر وكان توفيق بك محافظا سوا كن في أثناء ذلك  
محصورا في سنكات وكان معه ستون مقاتلا وكان له أمل كبير وعشم طويل في أن يقابل بيكر باشا  
فهجم من سنكات بماعه من العساكر وخرج من محل محافظته شاهرا سيفه وقاوم مقاومة شديدة  
عازما على الالتحاق مع بيكر الا أنه لما وجد نفسه لا طاقة له بعساكر الدراويش سلم نفسه وقوته فأبديت  
قوته وتدمرت شوكته وقتل وتولد من هذه الهزيمة سرعة تسليم طوكر وحصل لعثمان دجنة النصر  
والظفر والغلبة لكنه عجز عن الهجوم على سوا كن

ولما تنس الوزارة الانكليزية عدم تدخلها في المسئلة المصرية وتكليفها الخديوي توفيق باشا بالتنازل  
عن السودان جمعت قوة كافية في سوا كن وعهدت قيادتها الى الجنرال پراهم وأمرته بالحلة والهجوم  
على موقع عثمان دجنة في التيب وهو الموقع الذي انهمز فيه بيكر باشا  
الواقعة الثانية في التيب وتولد مما حصل للمصريين من المصائب الكبيرة أولا وثانيا في نواحي طوكر  
كون الجنرال پراهم تعقل وتدبر في أمره وتقدم في سيره مشكلا عساكره في هيئة قلعة مربعة كما فعل  
هيكس وذلك انه سار من معسكر تنكات المسمى الآن بطابية بيكر في رأس قوة من المشاة مدد ارجلها  
٣٠٠٠ نفس و ٧٥٠ من الخيالة و ٣٠٠ من المهندسين والطوبجية والبحرية ولما بلغ عثمان  
دجنه وعساكره هذا الخبر الطريف الذي عزم عليه الجنرال پراهم نظموا ترتيباتهم وعقدوا نياتهم  
وعزموا على تدمير الجنس الانكليزي وحصن المهرديون أنفسهم في التيب واستعدوا بمدافع الكروب  
التي تغلبوا عليها من الوقعة الاولى ووقعة بيكر وحصن الدراويش أنفسهم وصاروا مثل النعام حافظين  
أمامهم وتاركين وراءهم ولما رأى الجنرال پراهم هذه الحالة انتهر الفرصة وهجم واشتبكت الواقعة  
الثانية في التيب في غرة مارث سنة ١٨٨٤ ولما قارب پراهم ميدان الحرب ارتبك الذين كانوا في  
جيشه من الذين بقوا على قيد الحياة من واقعة بيكر وتبدد شملهم قبل ذلك بشهر وصاروا في ميدان  
الحرب أشباحا بلا أرواح بعد أن اصفرت منهم الوجوه وغارت في رؤسهم العيون وصاروا لا يتعقلون ولا  
في الحرب يجتهدون وينسرعون وذلك لما رأوا ما هو واصل اليهم من مقتوفات المهديين وكانت قليلة  
وما حصل مجاوبتهم من جيش پراهم

وفي الساعة الاحدى عشرة تقريبا قبل الظهر تحركت القلعة الجسيمة الثابتة مثل السور من دون أن  
يحصل منها ضرب نار وكانت مخفورة من جوانبها بعساكرها الخيالة ولما وصلت هذه القلعة على مسافة  
ميل واحد من موقع الدراويش في التيب فتح الدراويش عليها نيران طوبجية ثقيلة حادة بواسطة  
مدافع الكروب فجاءت المدافع الانكليزية والاسلحة الميتراوية بنار حادة أيضا وتقدمت القلعة في  
سيرها ولما رأى پراهم شدة نار الدراويش شكل القلعة وبديل حذاءها الذي كان عرضة للنار الشديدة  
الواردة من عند العتق وانجرح الكولونيل برنباي وكان الدراويش في محاربتهم مثل الجن واشتبك  
الجيشان ببعضهما وصارت المحاربة يدا يدا وصارت الواقعة في حالة مهولة جدا الى الساعة اثنين بعد  
الظهر ثم انفصل الحرب وحطت أثقاله ومات واحد بكاشي وانجرح بيكر باشا وكانت الخسائر كثيرة

بين الحزبين وتقهر الدراويش ووصل جراحهم الى طوكر بعد التعب والمشاق ولمالم يجدم مقاومة أمامه في طوكر عاد قافلا الى سواكن

وبعد هذا لم يزل عثمان دجنه مصر على الحرب وأعلن أنه لم يكن عنده شئ من أمر انقياده أو التسليم الا الحرب والضرب ووقوع الانكليز في الكرب ولم تمض مدة قليلة حتى وردت الاخبار بوجود استعداد العدو بالسلاح على بضع أميال من سواكن وهددوها تهديدا شديدا ولم يتغير عزم العدو عن ذلك وكذا وردت الاخبار بأن عثمان دجنه حصن نفسه مع قوة عظيمة من عسكره في طهية وهي على مسافة ١٥ ميلا من سواكن في الجهة الغربية منها فاسافر لذلك فرقتان من المشاة الانكليزية ومعهم ما للسوارى الخيالة والمدافع البريطانية مع غاية الاحتراس والمحافظة وعسكروا في اليوم الاول على مسافة قليلة من حركاتهم ثم تقدمت جميع القوة حتى كشفوا العدو في معسكره ووقف العساكر وحاصروا أنفسهم وفي صباح يوم ١٣ مارث صار الابداء في الهجوم الا أنه في أثناء الليل أضمر الدراويش بالعساكر الانكليزية وأزعجهم وجعلوا يسقطون عليهم وباتلون منهم حتى طلع النهار واختفى في الارمانات والآجام وصار لا يرى أحد منهم وصار ترتيب العساكر الانكليزية في هيئة قلعتين في صورة توريج واحد تحت قيادة الجنرال ردفرس بولر والاخرى تحت قيادة الجنرال دافيس وتقدمت قلعة الجنرال دافيس في الاول في يوم ١٣ مارث فحصل عساكرها خوف وجزع فانفتح في جوانب القلعة عدة فتحات وفواصل فانقض الدراويش بخفة بحسبة سريعة ودخلوا من هذه الفتحات واقتحموا في الشبان الانكليزية وطمقوا مسكبا بالسيوف والاعناق واشتبكت واقعة مهولة بدايد ولا تسأل عن حال ما حصل من الدراويش الوحشيين واختلط الناس ببعضهم عند ما انقض العرب على الانكليز فصار العساكر والنسباط وكتاب الجرائد وتوابع الحملة كل منهم يحارب لخلاص نفسه وصار في هذا اليوم كل نفس مشغولة بنفسه او صار الانكليز يسكاري وما هم بسكاري ولكن حرب الدراويش عليهم شديدة فتقهقرت القلعة البريطانية الى الخلف بالتدريج وانضم عساكرها الى بعضهم وتغلب الدراويش على ما معهم من المدافع وما زالت هذه القلعة آخذة في التقهقر حتى صارت في حذاء واحد مع القلعة الثانية وأطلق القاعدتان على الدراويش نارا حامية وصار لا طاقة للدراويش على القرب من القلعة الثانية وجمع دافيس عساكر قلعته ثانيا وبواسطة القلعتين وعساكر السوارى ليسوارا كبيين خيولهم قهقروا الدراويش وحرقوا طهية ومن بعد هذه الحركة رجعت قوة جراحهم الى سواكن

وقال أحد المكاتبيين ان أعظم عساكر الدنيا أو جودها شجاعة واقداما في الحروب ويمكن أن يحسدوا عليها عند دعوم سكان الدنيا هم العرب المهديون الذين خرقوا قلعة الفرقة الثانية الانكليزية في سواكن وتغلبوا على مدافعها فغابه بعض كتاب الانكليز وقال ان هذه النشرة قله حياء ومن بعد العود الى سواكن خصلت الخبارة في ترتيب قوة لاجل فتح طريق الى بربر بشأن عود المحافظين المحصورين في الجهات ولوا أن هذا المشروع كان موافقا الا أنه لم يحصل اجراءه وتقدم الجنرال جراحهم في الصحراء مرة ثالثة ولمالم يلق كيدا حرق قرية طعناب وتولد من ذلك زيادة العرب عند القبائل المسالمة وما كانت جميع اجراءات جراحهم تحت طائل وما حصل منها أدنى فائدة تعود على الحكومة المصرية أو الانكليزية وانسحب جراحهم من سواكن في ٢٥ مارث سنة ١٨٨٤ ميلادية بعد أن أبقى في سواكن بضع ميات من العساكر لان الدراويش ولو صار طردهم من تلك الجهات الا أنهم ربما يغلبون عليهم او كان



عثمان دجنة على شدة من الشوق والرغبة في طرد الانكليزية داخل البحر ومنع عساكرهم من السير في البر وأبقى أيضا بعضا من المراكب البخارية حتى باتحادها مع العساكر بصيرا للحفاظ على المدينة ولما انسحب يراهم وعساكرهم من سواكن شرع عثمان دجته في ازعاجها وازعاجها واستمر على هذا الحالة حتى حصار غوردون في الخرطوم ولما أن المهدي كان حاصلا منه الهمة الزائدة والنشاط التام في أشغاله في شهرى فبراير ومارث كذلك كان غوردون حاصلا منه الهمة في حركته وما كان في تأخير عن المهدي وسن ابتداء حضوره في الخرطوم شرع في تقوية تحصينها وحصانها وقال عدد سكانها حتى أوصلهم الى نحو ٣٠٠٠ نفس بما فيهم ٦٠٠ عسكري كان أرسلهم أسفل الدنيا للحاكمة على حلفاية وأراد طرد جميع السكان إلا أنه لم رأى من عزم المهدي على قتلهم أو دخولهم معه أبقاهم في المدينة خوفا عليهم وقال بعض الكاب لما ذالم يصرح المهدي لاهل الخرطوم في النجاة بأنفسهم حتى يروق باله من الارتباك في استحوادهم على السودان قال بعضهم ردا على هذا السؤال ان السبب الذي أوجب المهدي في كونه لا يرخص لغوردون والمصريين معه في الانجلاء عن الخرطوم مع حفظ السلامة هو أنه من الواجب عليه السعي في هدايتهم اليه وأنه يجب عليه أن يجري الاجراءات اللازمة في تسليم أنفسهم اليه أو ابادتهم عن آخرهم وان لم يوفهم هذا الشرط فليس بمهدي ومن ثم كانت هذه حالة القواد السودانية اما التسليم واما القتل ومن ثم تولدت الاختلاسات عند الضباط والحكام الموجودين مع غوردون فأما الخيانة الاولى فهي أنه كان سمي في خلاص محافظى حلفاية فقاومه الدراويش بخيانة اثنين من الباشوات المصرية كما يجريان أشغالا تحت رئاسة الكولونيل ستوارت وذلك أن المصريين ضربوا عيارا واحدا وفروا هاربين مثل الغنم فتولد من ذلك مذبحه مهولة في جهة حلفاية حصلت في ١٦ مارث وفي هذا الواقعة انجرح الكولونيل ستوارت وشرع السكان في أنهم يتركون المدينة وكذا قام الباشا بوزق في ثورة هي الثانية وكانوا على شرف رمى السلاح ولما حقق غوردون ما كان من خيانة الاثنين باشوات ووجدتهما مجرمين أمر بضربهم بالرصاص في الميدان ونجح غوردون في خلاص محافظى حلفاية في ٢١ مارث الا انه في يوم ٢٤ قامت جميع البلاد الموجودة قبلى بربر في ثورة واحدة وصار محاصرة الخرطوم ومن ابتداء هذا الوقت الى شهر ابريل سنة ١٨٨٤ استمر غوردون في حرب من منزل بواسطة مراكبه البخارية لانه لا يمكنه أن يخاطر بنفسه في اجراء حروب على شاطئ النهر وزاد عدد سكان المدينة حتى بلغ ١٣٠٠٠ نفس وصاروا منتظور عدم خلاص هؤلاء الانفس لان ما حصل في السودان صار مثاله كوجهة قام فيها طوفان الثورة في طول نهر النيل وعلى شاطئيه وغرقت الممتدة وشندى وبربر وبقية الخرطوم واقعة بكثرة في وسط مياه الثورة المهدوية وغرق أيضا جميع المرتفعات والمنخفضات في مياه غضب المهدويين الاقطعة واحدة صغيرة

وورد من الخرطوم البلاغات والاعلانات الى الحكومة الانكليزية وفيها سوفت الى غوردون كل ما طلبه وكان أرسلها الى السير افلين بارنج بمصر بكل مشقة يحشه ويحرضه على مساعدته ومعاذته في أول فرصة ينتهزها وفي ١٩ ابريل أرسل غوردون تلغرافا يذكر فيه ان الخرطوم بمائة تسكن في خمسة أشهر يعنى حذو نصف سبتمبر ومن هذا تولد حصول سكتة استمرت مدة خمسة أشهر وصار غوردون من وقت الى وقت يرسل الاخبار الخاصة بالخرطوم قاطعة الصبراء يستدل منها على أنها باقية مثل مركب في يد غوردان وبجربة صادقين يذفون فيها فوق أمواج ظاهرة على أفق الشك ثم تنزل في عميق اليأس

وفي ٢٠ يولييه أشيع أن الباسل غوردون كتب الى مدير دنقلة يقول له أنا تحت بيرقي ٨٠٠٠ نفس في الخرطوم الا اني لم أزل أرغب في التقوية والمساعدة واستمر المدير على صداقته وأما في ٢٣ ديسمبر هزم جيشا مقداره ٥٠٠٠ نفس من الدراويش في نواحي الديبة الا أن هذه الحركة المظفرة لم يحصل منها نتيجة لغوردون لان الخرطوم لم تنزل محاطة حاطة مهولة ولم يحصل من انكاثه همة في ارسال مساعدة للخرطوم وخلاص غوردون وانقضى شهر يولييه والاستعدادات وان كانت جارية في لوندرة الا أن السفر الى الخرطوم لم يحصل فيه فصل ولا حكم ورجح الجنرال اسطفانسن السير من طريق عظمورا بوجدانه لم يجد السفر من طريق النيل موافقا لرأيه وفي مبادي أغسطس طس قرر البرلمان سفر الحملة اللازمة وصدر بذلك قراره ومن بعد مضي يومين من أمر البرلمان وصلت الاخبار من غوردون بأنه هو وستوارت والمستر بورجيهما على قيد الحياة وهم طيبون بخير وعافية وفي ١٠ أغسطس ورد من عند غوردون أخبار طيبة تفيد أنه كان خرج في تجريدة واتصر على الدراويش وقتل منهم ١٨٠٠ نفس فكانت هذه أخبارا عظيمة وبينما كانت الاستعدادات والتجهيزات من الاليات الانكليزية والمهمات والمراكب والذخائر الحربية والمؤنات وما يلزم للحملة السودانية جارية ان سفيرها الى مصر استقر الامر والرأي على السفر من طريق النيل لامن طريق العظمور ونعين اللورد ولسلي وكان ذلك مشروعه وماتراهى له من الحركات العسكرية وفي ٢٨ أغسطس اندرج اسمه في جرائد الحوادث انه هو القائد لرحلة الخلاص ووصل القاهرة في ١٠ سبتمبر وسار منها مباشرة على النيل ولا يمكن أن ناتي بتفاصيل هذه الحملة في كتابنا هذا الا أنه يلزمنا الاجتهاد في كوشنا ذكره على قدر الامكان الحوادث والوقائع التي حصلت على نهر النيل وفي نواحي الخرطوم بطريق مقيمة مفيدة سريرة الفهم لمطالعي كتابنا هذا والله الموفق للصواب

ولنذكر الآن ان غوردون محصور في الخرطوم من ابتداء سنة ١٨٨٤ ميلادية الى حد فبراير سنة ١٨٨٥ ميلادية وفي مدة هذا الوقت لم يرسل أدنى خبر وان سفر رحلة الخلاص كان في سبتمبر في عز زيادة مياه النيل وعلوفضائه وذلك بالنسبة لمهولة السفر خشية من حصول التحريق المضر بالاعمال وبذات الحكومة الانكليزية والمصرية ما في وسعها في اتخاذ الوسائل اللازمة لنجاة الحملة وتشهيلها عند ما حصل الاقرار عليها في مجلس البرلمان وشرعت انكاثه في التجهيزات الحربية وأمرت بحباب البحرية من الكرومين وكناده وجهة افريقية من الذين لهم دراية بسفر البحار والانهار وأرسلتهم ورتبت لهم الرواتب الشهرية من خزينة الانكليزية وجلبت الروامس والطومبازات والشلوبات والقوارب وأدخات كل ذلك في نهر النيل وتساوى في هذه الاعمال العساكر البرية والبحرية وصاروا يجرون سوية ما يلزم لتشهيل النقل وصارت هيئة الاسلحة والذخائر نظيفة خالية من الرطوبة وصار اتخاذ كل ما يلزم من أحسن الوسائل اللازمة لسفر الحملة واستعدت عساكر المهندسين ومصالح التلغرافات ووكلاء الادارات والمستخدمين والجمالة والهمجانة وصارت الاليات الاور وباوية المصرية وبجادة الانهر والبحار المسلحة والعساكر الخطرية في أحسن قالب وأعظم منوال وصار الجهد في تسفير أول سفرة على النيل الاعظم

والسفر الى الخرطوم كان أول سفرة مقصورة على السكك الحديدية ونهر النيل من ابتداء القاهرة الى دنقلة ولا ريب أن الاوامر كانت أعطيت الى مدير دنقلة من قبل في الاستعداد لسفر العساكر وكان



يلزم لهذه التحضيرات ستة أسابيع كما أنه تكون أشغال الحملة جارية مع الدقة والاعتناء  
فأما من الاسكندرية الى وادى حلفا كانت السكك الحديدية والاستعدادات النقلية جارية بغاية  
الهمة وان كان حصل توقف قليل وعطل في صعود المراكب من شلال اموان لكنه مع الهمّة صار  
الخلاص منه على سلامة وكذا حصلت مع سابع شديدة في النقل في شلال وادى حلفا وحسب  
العساكر والانفار المعين للشغل المراكب البخارية من الشلال وأصعدوها في النيل ثم صار السفر الى  
حدسرس في حالة جيدة وأرسل مدير دنقلة المراكب اللازمة على قدر امكانه الى سرس و صار وصول  
الفرقة الاولى الى دنقلة وطول هذه المسافة من وادى حلفا الى سرس ٣٣ ميلا ومن سرس الى  
دنقلة ٣١٥ ميل ولما وصل اللورد وولسلي دنقلة في ٥ نوفمبر صار الشروع حقيقة في السفر الى  
الخرطوم ولما وصل العساكر كورتى وهى قرية على الشاطئ الغربى لنهر النيل وجد أنه من الضروري  
قطع العساكر الانكليزية طريق الصحراء السريع منها الوصول الى الخرطوم فن فى ١٢ ديسمبر  
توجهت حيله رياسة أركان حرب الى امبيجول تحت قرية كورتى وفى اليوم الثانى وصل اللورد  
وولسلي

ومن بعد هذا رتب الانكليز موقعا قويا فى نواحي آبار جكدول وعلموا الترتيبات اللازمة فى خصوص  
اقتحام الصحراء الى التمه الى الخرطوم واجراؤها كان بناء على الاخبار المتحسسة الواردة من غوردون  
وان كان البعض منها سارا الا أنه حصل للورد وولسلي منها حماس شديد وغيرة قوية وهياج فى سرعة  
سير الحركات ومن ثم تولد الشروع فى اقتحام طريق الصحراء مع غاية الجسارة والجرأة الا انه يلزمنا  
قبل أن نشرح سير هذه الحملة ذكر الحالة التى كانت فى الخرطوم بالمطابقة مع ذكر سير العساكر  
الانكليزية

حصار الخرطوم بواسطة المهدي وضحت لنا المنشورات اليومية التى كان جاري نشرها فى تيمس  
لوندون جميع الاعمال التى كانت جارية فى الخرطوم لحد ٢٩ يولييه سنة ١٨٨٤ وعرفنا منها ومن  
دلائل أخرى أن غوردون كان خالى المقود وصار من عند من العساكر المصرية على غاية من  
الجهن والبلادة وصار لا يحكم على شئ سوى جماعته واقدامه وثباته مع الاور وباوين القليلي العدد  
وكان عليهم اعتمادهم وثاقته وبواسطة أعمالهم وأشغالهم بالاتحاد معه حفظ الخرطوم من الخراب  
والدمار وكان معاضدا على الخصوص فى أشغاله بواسطة القولونيل ستوارت والمستر پور وهذاله  
صيت كبير فى السياسة والكتابة وبواسطة هؤلاء جميعا جعل غوردون الخرطوم فى قبضة يده ولما كان  
موقع الخرطوم فى نقطة اجتماع النياين الابيض والازرق من أعظم المواقع وأحصنها كان غوردون  
مستحوذا بواسطة هذا الموقع العظيم على الواورات البخارية من مصر وبها حفظ النهرين ومن ثم لم  
يكن هذا الموقع قابلا للهجوم الصادر من أى عدو الا من جهة البر وهى الجهة القبلية وكان غوردون  
يخفى طول الليل على سطح سرايته مراقبا أى حركة يحصل وقوعها على المدينة من المهدي ويستمر  
سهران فوق سطح السراى حتى يلوح الفجر ولا يثق بعيون أحد خلا ف يراقب حركة العدو وكانت  
مراسلاته قليلة وتبين الرجا والخوف وكان يجلب مؤن العساكر وأهل المدينة بواسطة الواورات  
الا أنه أخذ فى الضيق شيئا فشيئا مع قرب العدو فى الحصار وحصل له غاية الضرر والاستغراب من  
الانكليز وتأخيرهم الحملة عنه مع انه جار من تدبير الحكومة الانكليزية فى كونهم اتركته وبعثت  
عن معاضدته

وفي ٧ أغسطس ورد من غوردون أفادة يعلم منها أن غوردون ومن عنده في حالة طيبة وعندهم في الخرطوم ذخائر كافية لمدة أربع شهور ثم سمعنا من بعدهم مضى بضعة أيام من ورود هذه الأفادة أن الجنرال غوردون نال نصرة عظيمة على المهديين وقتل منهم نحو ١٨٠٠ نفس ومن بعدهم مضى شهر رأينا أنه هجم على بربر وعمل استكشافات كثيرة وتغلب على جزيرتين في النيل وكذا في ١٧ سبتمبر وردت أفادة تاريخها ٢٥ أغسطس يذكر فيها أنها منتظر حضور العساكر الانكليزية لخلاصهم وخلاص المحافظين وأرسلوا إلى الزبير وأنا أخضع السودان للسلطان وكذا يلزم إرسال ٢٠٠٠٠ عسكري تركي والأفاد أن العصاة يذبحون المصريين فانهم المسؤلون عن دماهم هم والمجاوبون عن ذبحهم

ومن بعدهم مضى يومين وردت أخبار من غوردون يتضرر فيها من تأخير الحملة وفي ١٧ سبتمبر كتب أفادة يذكر فيها أن سفر الكولونيل ستوارت والستروپور والقنصل الفرنسي لأجل الهجوم على بربر كان من أقيع السفرات ومركز حلول النكبات

في ذبح الكولونيل ستوارت ورفقائه - وذلك أن الكولونيل ستوارت بارح مدينة الخرطوم في وابوره المسماة عباس مع محمول بابواورين آخرين مقطور خلفه - مانقائهم مشحونة بعساكر ولما وصل إلى بربر ضربه ابنيران المدافع وطرد الدراويش منها ثم أعاد العساكر وسار من صدر في النيل إلى بابواور عباس وفي ١٨ أطم الوابور صخرة في وادي غمرة ومن ثم صار انزال المؤن والذخائر الموجودة في الوابور على جزيرة بالقرب من المحل الذي انكسر فيه الوابور وسير الكولونيل ستوارت المدافع وأغرق ذخائره وهرع الناس إليه يطلبون منه حبوا وغلا لا ويعترفون له بالسلم والطاعة وجاء رجل اسمه الشيخ سليمان ودعا الأورباويين إلى منزل رجل أعمى لأجل حفظهم فيه حتى يجبرهم إلى الجبال اللازمة لعودهم وطلب من القنصل وپور وستوارت أن يتوجهوا إلى المنزل بغير سلاح حتى لا يحصل خوف أو رعب عند الأهالي ولما عزل الشيخ سليمان المكارا الأورباويين من الأهالي أرسل جماعة من أهل القرية واحدة في داخل بيت الرجل الأعمى والأخرى تكمن في البيوت المجاورة لمنزل الأعمى ولما استقر هؤلاء الأورباويون في منزل الأعمى هجم عليهم أهل القرية وقتلواهم فوراً وهرب المصريون وعاموا في النهر فاصطادهم أهل البلد بالرصاص ولم ينج منهم الاثمانية أو تسعة ورموا جثث القتلى في البحر وفي الحال أشيعت هذه الحادثة المهولة ووصلت أخبارهم إلى دنقلة ومنها إلى مصر فحصل الأسف الشديد وكانت أكثر تأثيراً في لؤندره وحصل من غوردون شك في الشكوى والتضرر لأنه لم يرل كان على أمل رفض تسليم نفسه إلى محمد أحمد المهدي وضايقة المهدي مضايقة شديدة في حصاره له وأشرفت الذخائر الحربية على الخلاء وأما البارود فكان جارياً شديداً غيلة بعرفته لأنه كان يغفل ولا ينام متحمل المشاق والآلام وبذل جهده ووافق طاقته في إجراء كل شيء يحفظ به وجود نفسه أمام الأعداء وأما الضباط المصريون فكانوا معه على نصف قلب أو قل لا شيء وعلى ما قيل أن جميع الناس بعدوا عنه حتى صار هو ونسبه وكان يخفى على الدوام ما في ضميره ويرسل البلاغات والمكاتيب بسرعة الحضور في خلاصه

وبهذه الحالة قريت سنة ١٨٨٤ على الغلاق وصمم اللورد دويل إلى أمره على اقتحام الصحراء إلى الممتدة وفي ٣٠ ديسمبر سافر الجنرال ستوارت من كورت في أول يناير وورد بلاغ من غوردون



تاريخه ١٤ ديسمبر تصه - الخرطوم وما فيها في حالة جيدة - غوردون  
 اقتحام الصحراء - اذا تأملنا في أى خريطة من الخرائط المختصة بوادى النيل نرى أن نهر  
 النيل من عند امبيجول لافافة كبيرة نحو الجهة الشمالية الشرقية الى حد قرية أبوجدو غير بقرى  
 كورتى ومروى وهنداب وبورتى وكريكان ومن عند أبوجدو يتجه الى الجهة الجنوبية بـ ١٠٠ ميل  
 ١٢٤ ميلا الى بربر وينوف عن ١٠٣ ميلا الى شندى فجاء المئمة ومن غوبات الى مسافة ١٠٠ ميل  
 توجد مدينة الخرطوم الواقعة على نقطة اجتماع النهرين الأبيض والأزرق وان الطريق اللازم لـ  
 القول الطيار فيها هي قاعدة مثلث غير منتظم الخطوط ضلعاه الآخران النيل ورأسه قرية أبوجدو  
 وطول الطريق من كورتى الى المئمة ١٨٢ ميلا تقريبا هي من امبو كول الى جاك دول ٩٦ ميلا  
 ومنها الى آبار أبى طليح ٦٤ ميلا ومنها الى المئمة ٢٢ ميلا يكون ذلك ١٨٢ ميلا  
 ثم بارح القول كورتى بعد الظهر وكان الماحور كشتى في المئمة مع الدلالة وهو لاء كانوا مخفوفين  
 بعساكر بيادة راكبة محيطة بهم بحيث لو روى من أحد منهم خيانة قتله في الحال وكان السير هربرت  
 ستوارت كشف محل السير كشف فاجيد وارتب القول حتى جعل عرض مواجهته ١٠٠ يارده  
 وطول القول نصف ميل وما انحصر في عقول العساكر والضباط وأهل الجملة من الاعاب والمشاغ  
 والاهوال والاضطراب كان جميعه محصورا في المثل الذي قاله الجنرال بولر وهذا المثل الذي قاله هو (لا يمكن  
 عمل حجة من دون تكسير البيض) وقال نحن لا يمكننا أن نشرع في أى حرب من دون أن نخطأ فيه  
 بأنفسنا

واقعة آبار أبى طليح - وبارح السير هربرت ستوارت كورتى في يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٥  
 وعسكر في الكشف بعد أن سار سبعة أميال وفي الساعة ١ و ٣٠ دقيقة بعد نصف الليل سافر وقطع  
 في سيره مسافة ٣٠ ميلا وفي يوم السبت ١٠ الشهر وصل هبوك وفي يوم الاحد وصل القول آبار  
 حلفا وفي يوم الاثنين وصل القول جكدول واستمر في سيره الى آبار أبى طليح وهي على مسافة ٦٠ ميلا  
 من آبار حلفا وفي يوم ١٦ شاهد القول الدراويش على بضع أميال من الآبار في قوة عظيمة صارت قد يراها  
 بوجه التقريب ١٠٠٠٠ نفس وكان مع الجنرال هربرت ستوارت ١٥٠٠ نفس فقط وترك  
 ٥٠٠ نفس آخرين خفراء على آبار مختلفة في الطريق فلما رأى هذا الجيش الصغير الدراويش وما هم  
 فيه من كثرة العدد والقوة وقف وعسكر في الكشف في ليلة ١٦ وأرسل العدو عليه طول الليل نيران  
 بنادق حادة شديدة

وفي يوم ١٧ اجتمع الجنرال ستوارت وبذل قوته في طرد العدو من أمامه الا أنه لم يتيسر له ذلك فترك  
 الحملة تحت خفر رجال من عسكره وسار بالباقي من قوته في هيئة قلعة مربعة نحو آبار أبى طليح وكانت  
 هذه القوة مركبة من أخلط كثيرة وخط سيره واقع على ظهر صخري في وادى في أثناء سير هذه القلعة  
 الى الامام كان الدراويش مساطين عليهم نيران البنادق واتجه الدراويش وانوا نحو شمال الجيش ففتح  
 عليهم ستوارت نيران طويجية حادة فانتشروا على أجناب القلعة فغير ستوارت حذاء القلعة حتى  
 صار العدو جميعه في يمينها وأخذ الدراويش في الجرى السريع وخلفهم ألوف منهم وكان خروجهم  
 بغتة من أورمانات كانوا مختفين فيها على مسافة ٨٠٠ ياردة من القلعة وساروا مسرعين بخطوة  
 الهجوم السريع ولما قرب الدراويش مقتحمين القلعة فتح الانكليز عليهم نيران ثقيلة من الجنب

الايسر للقلعة الآن هذه النيران لم يحصل منها أدنى تأثير ولم اصار وامن القلعة على مسافة قليلة انصرفوا  
نخافة وهجوموا على وراء القلعة وكان من كان من عساكر السوارى الثقيلة فتولد من هذا الاقتحام البغى  
وقوف الجيش الانكليزى وانتشب الحرب يدا يدا واستمرت مواجهة القلعة والجناح الايسر مداومين على  
ضرب النار على الدراويش ومن بعد مقاومة شديدة وهلاك أنفوس بين الطرفين رجوع الدراويش  
واستمرت القلعة فى ضرب النار واقتحم عساكر السوارى رايمين خيولهم حتى وصلوا الأبار وتبعهم  
القلعة وجاءت اليهم الحلة والمهمات مع الخفر فى سلامة \* وقال بعض الذين شاهدوا هذه الواقعة ان  
الصخر اصبحت الدماء تجري فيها مثل تيارات المياه وتغير اللون الابيض للرمال باللون الاحمر القاتم وقتل  
من الانكليز فى هذه الواقعة نحو من ٧٤٠ نفس ومن الدراويش أكثر

واقعة غويباط - ومن بعد ظهر يوم ١٨ سار هذا الجيش القليل الذى ما بقى منه الا ١٠٠٠  
مع الشهامة الى المتهمة وأخذ خبرا فى حال سيره أن العدو مجتمع قويا بقوة عظيمة ومحصن نفسه فى موقع  
على خمسة أميال من النيل ولما سار الجيش الانكليزى وشاهد العدو شكل ستوارت زربية وعمل نوع  
دروعة من الجبال والحلة والسروج والشواغر والغبيطات لكن كانت نيران الدراويش حادة جدا وثقيلة  
فانجرح الجنرال ستوارت بجراح بليغ مات منه بعد قليل وكان كاب الجنرايل والحوادث مستخفين  
وراء الجبال فقتل مكاتب الاستعداد ومكاتب مورتون بوسط واثنان من الضباط وقتل ١٢ نفس  
وانجرح ٤٠ نفس قبل تمام شغل الزربية وقتل فى هذه الملحمة الكولونيل برنباى ومن الدراويش  
نحو من ٨٠٠ نفس الا أن خسارة الانكليز كانت مهولة جدا خصوصا فى صنف الخيالة

ثم عزم الانكليز على السير وتشكلت القلعة ومن بعد أن سارت بضع أميال التحم القتال ثانية الا أنه  
ما كان مهولا مثل الذى حصل فى أبى طليح وما تنجاس أحد من الدراويش على الدفون من القلعة فى داخل  
مسافة ٦٠ ياردة منها من حدة النيران وشدها وفى هذه الاثناء هجم خيالة الدراويش على الزربية  
وكان اللورد شارلس برسفورد على قيادة العساكر فاستمر فى قتال وحرب اثنتي عشرة ساعة وأخيرا  
تقهقر الدراويش وصارت تقوية موقع غويباط بالمقاريس وكانت الذخائر والمؤن كثيرة وورد بعد  
ذلك العساكر والتقويات وسار الجنرال ارل من طريق النيل صاعدا مع التفافه مصر على الانتقام  
وأخذ الشارمن الذين قتلوا ستوارت ورفقائه فأدركته منية حمامه وقتل فى كربكات


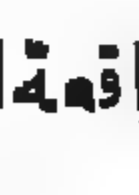
وفى ٢٢ يناير سنة ١٨٨٥ وصل الى موقع غويباط خمس وابورات أرسلها غوردون مشحونة بالعساكر  
والمدافع وأرسل غوردون مع قائد هذه الواورات مكتوبا من طرفه أن الجميع طيبون بخير وعافية  
فرغب السير شارلس فى الصعود على النيل مع وابورين لاجل خلاص الخرطوم وسار وضرب فى طريقه  
بربر بنار المدافع واستمر يومين سائرا فى الوابورين على مياه مسافة طولها ١٠٠ ميل وتأخر وصوله  
جدا وذلك أنه اصطحب فى يوم ٢٤ يناير بالساحور غاسكونى واثنين يوزباشية وساروا مع عساكرهم  
ونزل الكولونيل ستوارت وارطلى بفرقتين من العساكر من معسكر غويباط فى وابورين آخرين من  
وابورات غوردون متوجهها الى الخرطوم وبالنسبة لحالة أحد الواورات والعوارض الموجودة فى أشغال  
الملاحاة حصل فى أحد الواورات بعض كسورات كانت تحتاج لشغل ١٢ ساعة أو ٢٤ ساعة لأكثر  
مكث البحرية يشغلون فيها أربعة أيام مع شارلس ويلسون وكان نازلا على شارلس ويلسون ومعه  
نيران بنادق ومدافع من عند الدراويش حادة جدا وكانت جميع الطريق من حلفاية الى الخرطوم




ومسافتها ١٣ ميلا وكان واپورا اللورد شارلس برسفورد تحت نيران بنادق ومدافع شديدة وكان على حالة خطيرة في سيرهم ما ومن الاتفاقات العجيبة أن أحد واپوري شارلس ويلسون انكسر بعد أن هزم من شلال شابلو كافي ٣٠ يناير فنتقل العساكر في واپورا الآخر وكذا الذخائر وفي ٣١ يناير غرق هذا الوافور أيضا بالقرب من جزيرة صغيرة على مسافة ٤٠ ميلا من موقع غويباط وفي هذا الوقت سارستوارت وارطلي مع خمسة أنفار في قارب صغير وأخبر واپور هذه الحادثة في معسكر غويباط فصارت سفير واپور تحت قيادة لورد شارلس برسفورد لاجل خلاص شارلس ويلسون ومن معه ومن قبل أن يصل لورد شارلس برسفورد في لورد شارلس ويلسون وحزبه استمرت مدة عشر ساعات تحت نيران ثقيلة مقدوفة عليه من عند العدو في الجهة القبلية من الشلال السادس وصدمت الوافور قلة فخرقته فالتزم لورد شارلس برسفورد على رمي خطاف الوافور في وسط مياه النيل لاجل ترميم الخرق وفي أثناء ذلك نزل شارلس ويلسون ومن معه من الجزيرة وساروا في طول شاطئ النهر مسافة فأخذهم اللورد برسفورد في واپور بعد أن قلفط العساكر الخرق وكان ذلك في ٥ فبراير وفي ليلة ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ تغلب المهدي على الخرطوم بدسيسة من فرج باشا الزيني وكان هذا من محاسن الخديوي توفيق باشا ومن بعد ذلك شنع المهدي فرج الزيني وقتل غوردون ولما قرب شارلس ويلسون واللورد شارلس برسفورد من الخرطوم ورأوا تغلب المهدي عليها ارتدوا جميعا على أعقابهم خائبين حتى وصلوا معسكر غويباط وأرسلوا هذه الاخبار المهولة عليهم الى اللورد وولسلي في كورن في فاستشار حكومته فأمرته حسبما تقر في البرلمان بالانسحاب من الاقطار السودانية

وفي أول مايه سنة ١٨٨٥ وصل اللورد وولسلي الى سواكن وشاهد ما به من الحركات وفي يولييه انسحبت العساكر الانكليزية من السودان على عزم أن يتحصنوا في وادي حلفا وكرو وكو وأسوان ويتركوا للمهدي وأتباعه ما وراء ذلك

وقطن المهدي أم درمان مقابلة الخرطوم يجمع الجوع ويجند الجنود لاجل التغلب على الديار المصرية وأرسل مكاتيب من طرفه للخديوي والسلطان عبد الحميد ومملكة انكلترا يشعرونهم بدولته ومقر سلطنته وضرب النقود ومات بالحدري في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٥ بعد أن استخلف ابن أخيه السلطان عبد الله الثاني ولم يتولد من موت المهدي شيء تضعف منه حركة الدراويش بل استحكظوا على حدودهم وصاروا في مناوشات شديدة مع العساكر المصرية والانكليزية في جهتي وادي حلفا وسواكن

واقعة الجزيرة  واستمر عثمان دجنة مضايقا على سواكن ومحاصرها الى أن أرسلت الحكومة المصرية في شهر نوفمبر سنة ١٨٨٨ حملة مركبة من عساكر انكليزية ومصرية تحت قيادة الجنرال غرانفيل سردار الجيش المصري ولما تكاملت الحملة بسواكن هجم الجنرال غرانفيل على الدراويش المحاصرين لسواكن على بعد ٢٠٠ ياردة تقريبا من طابية الجزيرة في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٨ وكانت النتيجة انتصار الجيش المصري والانكليزية على دراويش عثمان دجنة وانقادوا كن من الحصار واقعة ارجين  وفي ٢ يولييه سنة ١٨٨٩ حصلت واقعة ارجين وهي بلدة على مسافة ٣ أميال بحري حلفا

واقعة توسكي  وفي خلال واقعة ارجين هذه تكاثرت تجمع الدراويش تحت قيادة ابن النجومي وأزعجوا حامية الحدود فجمع الجنرال غرانفيل قوة عظيمة وساقها الى الحدود وانتشب القتال بينهما وبين

ابن النجوى فى توسكى الواقعة بين حلفا وكرسكو فى يوم ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩ وكانت نتيجته انتصار الجيش المصرى على الدراويش وقتل فى هذه الواقعة ابن النجوى وكانت خسارة الدراويش ٥٠٠٠ نفس بين قتل وجرى وخسائر المصريين زهيدة جدا عبارة عن ٢٥ نفس

واقعة طوكرك وفى سنة ١٨٩١ ميلادية هجمت العساكر المصرية تحت قيادة قومندان سواكن على الدراويش الموجودين بجهة طوكرك كانت نتيجته هرب الدراويش واحتلال العساكر المصرية طوكرك

واقعة امبيجول وفى ٢ يناير سنة ١٨٩٣ حصلت واقعة بجهة ابارامبيجول قبل المرات بين هجامة الجيش المصرى وسوارى الدراويش وكانت نتيجتها هزيمة المصريين حيث قتل فى هذه الواقعة قومندان الهجامة المصرية وأربعون من صف ضباط وعساكر وكانت واقعة محزنة جدا عند كافة المصريين

(سمو الخديوى المعظم عباس باشا على الثانى)



وفى ٧ يناير سنة ١٨٩٢ ميلادية وردت الاخبار التلغرافية من القاهرة تنهى وفاة الخديوى محمد توفيق باشا من اصابته بجمى شديدة وكان ولى عهده على الحكومة المصرية نجدة البرنس عباس باشا على نائباً فى قيمه فعاد منها الى القاهرة وجلس على الاريكة الخديوية من ابتداء ٨ يناير سنة ١٨٩٢



## (كتاب الثالث)

(تاريخ الكلدانيين)

## (الباب الاول)

(تشديد الحكومة الكلدانية وسقوطها)

كلديا أقدم سلطنة في آسيا - سعة المملكة وامتدادها - موقعها الجغرافي - أوصافها الطبيعية -  
 نهري الدجلة والفرات - مناخ المملكة - خصوبة كلديا - المحصولات النباتية - الحيوانات -  
 تأسيس السلطنة الكلدانية بواسطة نمرود - صفة نمرود - خلفاؤه - العائلة الرابعة والخامسة -  
 ارتباطات كلديا مع آشوريا - تغلب آشوريا على كلديا - حضارة كلديا - مدائنها - هياكلها -  
 تجارتها - سيادة كلديا على الدنيا القديمة - ديانتها - غذاء الامة الكلدانية وعوائدها

كانت مملكة كلديا أقدم سلطنة في قارة آسيا والارض التي كانت هذه المملكة فيها محصورة في  
 قطعة من القسم الخصب الذي يشق وسطه حزام الصحراء العريض الذي يعبر نصف الكرة الشرقي  
 من البحر الاطلسي في الجهة الغربية الى البحر الاصفر في الجهة الشرقية وتنقسم هذه الناحية الى  
 سهل غربي تشابه هيئته مشابهة تامة لوادي النيل ولوائها على منوال أعرض منه ومن ناحية جبلية  
 شرقية مركبة في معظم ذاتها من خمس أو ست سلاسل جبال متوازية ترتفع في كثير من محال منها عن  
 موازنة خط الثلج الدائم وأما السهل الغربي الواقع بين الصحراء السورية العربية وذيل جبال سلسلة  
 بلاد الكوردستان واللوستان فإنه كان في الأزمان القديمة مركزاً ومقر ثلاثة من الممالك الكبيرة في  
 الدنيا وكان يعرف عند اليهود باسم ارام النهرين أو سوريا ذات النهرين وعند الجريق والرومانين  
 باسم ميزوپوتاميا وعند العرب بجزيرة العراق ومن ثم محتاج هيئته الممتازة وحلالة موقعه وخصوبة  
 أرضه للنهرين العظيمين العابرين منه وهم نهر الدجلة ونهر الفرات وهما ضروريان لرى الاراضى  
 الشاسعة المنخفضة من جزيرة العراق زيادة عن الجهة المرتفعة منها لانه يمكننا أن نقول ان جزيرة العراق  
 هي في الحقيقة مصر بل وأزيد من مصر فبمعنى أن أرضها مكتسبة وأنما هدية ومنحة من عند النهرين اللذين  
 يرويانها في أى جهة من جهاتها وانما تشكيل أو تكوين حديث العهد لان الرواسب الطينية المجلوبة  
 مع مياه النهرين من أعالي الاراضى الآخذة من هذان النهران منبعهما رسبت وترسب في الجهات الأقل  
 عمقا في المياه من مياه الخليج الفارسي الجارى تفريغ مياههما فيه من عدة عصور مضت

وتشغل كلديا من هذا السهل القطعة الجنوبية وتعتمد من الخليج الفارسي في الجهة الجنوبية الى الحد  
 الطبيعي بين جزيرة العراق العليا والسفلى في الجهة الشمالية ومن نهر الدجلة في الجهة الشرقية الى  
 صحراء العرب في الجهة الغربية والظاهر أن الخليج الفارسي في زمن تشديد السلطنة الكلدانية كان  
 ممتدا تقريبا الى نحو ١٢٠ أو ١٣٠ ميلا نحو الجهة الشمالية زيادة عما هو عليه الآن وصار يأخذ  
 في النقص على التدريج حتى وصل للحدود التي هو عليها الآن وبهذا اكتسبت سعة من الارض طولها  
 ١٣٠ ميلا وعرضها ٦٠ أو ٧٠ ميلا من البحر في طرف أربعين قرنا وبهذا تكون كلديا عبارة  
 عن ناحية من أرض مساحتها ٢٣٠٠٠ ميل مسطح

وحالة هذا الاقليم واحدة لا تتغير وأنهارها هي هيئتها الأصلية الجغرافية وأما الآن فهي عبارة عن أرض سهلة واسعة مشقوقة بتلال منعزلة تبين مواقع مدائن القديسة وخطوط من حواجر مكسرة تبين مجارى ترعها وخجسانها التي طمت الآن وعمت ولون الاراضى يوجد على مدالبصر شديد القنامة في السواد ما عدا جهات العمون والمنايع ولهذه اسماءها العرب سواد العراق وأما الاراضى النضرة الخضرة فانهم توجد في طول شواطئ الأنهر وفي فواحي البطيحات ومستنقعات الجهات في الجهة الشمالية الشرقية لهذا الاقليم وعلى امتداد بعيد خلف حده الشمالى الى السلسلة الأصلية لجبال طوروس التي يتشكل منها امتداده الشرقى توجد السلسلة القديمة لجبال نقاطيس وهي أكثر ارتفاعا من السلاسل الجبلية المتوازية القائمة بين السهل العراقى والبحر الاسود وتعلو في كثير من المحال عن خط الشج الدائم وبأخذ نهر الدجلة منبعه من الجهة الجنوبية الغربية لسفوح هذه السلسلة وكذا يأخذ نهر الفرات منبعه من الجهة الشمالية الشرقية لسفوحها وينحرف نهر الفرات من بعده مصادمه هذه السلسلة الجبلية بالقرب من منبع نهر الدجلة ويجرى في مجرى معوج الى أن يصب في الخليج الفارسي وكل من هذين النهرين معدود من الطبقة الاولى للأنهار لان طول نهر الدجلة ١١٤٦ ميلا وطول نهر الفرات ١٧٨٠ ميلا وكل منهما شديد الجريان مشحون بالمياه قابل للإلاحقة في طول مسافات عظيمة منه ويصب في نهر الفرات بضع نهيرات من بعد أن يترك سلاسل الجبال الخارج منها ولا يصب فيه شيء في طول مسافة ٨٠٠ ميل من مجراه الى مصبه وأما نهر الدجلة فانه يصب فيه على الدوام مياه نهيرات ثانوية موجودة على طول مجراه فلهذا كان نهر الدجلة أعرض وأعمق نهر في جهته التحتيّة زيادة عن نهر الفرات وكل من النهرين تعلو مياههما بمقدار عدة أقدام في أثناء فصل الربيع من السنة وتغرمياه النهرين شواطئهما في كثير من المحلات ويروى نهر الدجلة الاراضى الواقعة في طول مجراه الاسفل ويعم فيضان نهر الفرات سعة كبيرة من أرض الاقليم وتنتشر هذه المياه حتى تصل بمياه نهر الخابور ومن المحيط الى نحو الجهة الجنوبية ثم المياه فوق الشواطئ ويختلف الفيضان على حسب ميل أرض السهل وطبيعة الشواطئ فلو علمت التحفظات اللازمة لأعمال الري لا يمكن توزيع مياه الفيضان على كل من جهتي النهر بالتساوي لكن من حيث ان الشواطئ متروكة هي ونفسها فان المياه تسيل على الجهة الغربية بالخصوص وينسب منها في أراضى هذه الناحية الغربية مستنقعات وبطيحات وتترك الاراضى الموجودة على الشاطئ اليسرى من غير ماء ولو أن هذه المياه ليست مشحونة بالرواسب التي يتكون عنها قشرة جديدة على الأرض تكون سببا في جودة فؤاد الزراعة كما في حالة وادى النيل لكنهم لم تزل هي السبب الأصلية في وجود الخصوبة في السهل الاعظم العراقى وانما كانت مدبرة في قديم الزمان لتعميم رى الاراضى بواسطة ترع وخجسان ومساق محفورة في جميع أنحاء هذا السهل الشاسع تدل عليها الآن آثارها الموجودة فيه

ومناخ هذا الاقليم متوسط بهج في مدة فصل الشتاء والصيف فيه خفيف جدا ويندر تكون الجليد في بطيحاته والشج غير معروف فيه ويكثر سقوط الامطار الغزيرة في هذا الاقليم في شهرى نوفمبر وديسمبر وتتحف الامطار بمجرد قرب فصل الربيع ويتبدى الصيف في نحو شهر رمايه ولحد شهر نوفمبر تنقطع الامطار بالكليّة وينجلي الجوف من السحاب أسابيع وأشهر او يشتد حر الصيف وتلطف الحرارة في الصباح وفي المساء فقط بواسطة ضباب خفيف يكسر شدة الاشعة الشمسية برهة ما من الزمن وفي هذا



النصل تم حادثة السراب وتشاهد في أجل ما يكون من الصورة وأظرفها  
وأما الأرض فهي في حلة جديدة من الخصوبة وكانت تغل في الأزمان القديمة كثيرا من المحاصيل  
المختلفة الجنس واتفق المتأخرون من السباح على أنه لو صار تدبير طرائق الري بوجه حسن وحصل  
الاعتناء في غراس هذا الاقليم وزراعتها لصار من ضمن الجهات الأكثر ثروة وأجود محصولا على ظهر  
الأرض

والمحصولات الأصلية لهذا الاقليم القمح والتمر والقمح نبات وطني في كلديا كما رواه أهل بلاد هذا  
الاقليم وهو طويل الورق عريضه حتى كان البابليون يحصدونه مرتين ويعلفون به مواشيهم  
ويحفظون التقاوى في سنباتها لزراعة العام القابل وكذا زراعة نخيل التمر كثيرة والتمر هو أحد المواد  
الرئيسية للغذاء عند الاهالي وينبت في هذا الاقليم أيضا الشعير والذرة والدخن والسمسم وأصناف  
الفواكه بوفرة ويوجد محصول آخر وهو الغاب ينبت على هيئة أرمانات كثيفة في بطيحات الاقليم  
ومستنقعاته ويرتفع الى ١٤ أو ١٥ قدما وكافة مساكن الفقراء مصنوعة من هذا الغاب ومن  
أوراقه تصنع الحصر وكذا تصنع عظام المراكب والقوارب من هذا الغاب وتستربأوراق تدهن بنوع  
من الفارأى الزيت

ولا يوجد في كلديا أي صنف من أصناف الاحجار والمعادن وأما الاحجار المستعملة في أبنية أماكنها  
فهي مجلوبة لها من أماكنها أخرى ويوجد في أراضي سهلها أجود مادة من الطين الابليزي كانوا  
يصنعون منها أجود الطوب وأحسنه بعد أن يخلطوا هذه المادة الطينية بمادة من الحجر والحيوانات  
الوحشية الموجودة في اقليم كلديا هي الاسد والنمر والضب والفهد والقط الجبلي والذئب وابن آوى  
والخنزير الجبلي والجاموس الوحشي وبقر الوحش والغزال واليربوع والثعلب والارنب والعناق والقنفذ  
وأما الحيوانات الالهية فهي متعددة أيضا فمن الجمل والحصان والجاموس والبقرة والاثوار والمعز والضأن  
والكلاب

ثم ان التاريخ القديم لكلديا معتم جدا وغير محقق بالكيفية والظواهر أنه من بعد تشتت وانتشار ذراري  
أولاد نوح من سهل بابل من بعد تبلبل الاسنة قطن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام في هذا  
السهل التاسع وشيد مملكة في الناحية الواقعة في رأس الخليج الفارسي لبنت ١٤٥٠ سنة الى حد  
آخر ملك من ملوكها وهو ساردن بول أو ساردن بابل وقلب الصرح الذي لم يتم بناؤه الى صورة معبد وشيد  
أبنية أخرى حوله مصنوعة من الطوب المضروب من طين هذا السهل وبهم هذه الحالة أسس نمرود  
بابل كما أنه كان المؤسس للمملكة ومدة التاريخ الذي حصلت فيه هذه الحادثة ومن ابتدائه افتتح تاريخ  
كلديا كان قبل سنة ٢٢٨٦ قبل الميلاد بقرن أو قرنين وكانت مملكة نمرود هذه ممتدة من بابل الى  
البحر ولمائة كن من المئات وصار ذا قوة قوية مدس طمته على القبائل والعشائر المجاورة له وبواسطة  
ما حاز من الصفات والاعمال فبح في تشييد أمة في أسفل العراق حكما بثوكة قوية ويده ثابتة وكانت  
عاصمة هذه المملكة مدينة أورأ وحور واقعة على الشط الايمن لنهر الفرات وعلى مسافة قليلة من مصبه  
وابتني مضافا الى بابل كلاً من مدينة عراق واقادون خلتة ومن بعد ذلك صارت حوادث سلطنته غير  
معروفة وآثار الاشغال التي كان عملها في مملكته مشهورة ومن المعلوم أنه كان أحد كبار رجال الدنيا  
القديمة حتى جعله قومه الها يعبدونه من بعد موته واستمر رعا على عبادته مدة طويلة من الزمن وكان أحد

الالهة الاصليّة المعبودة عندهم تحت اسم يعل أو يعل غرو ذأى اله الصيد أو الصياد الا كبر وقال بعض علماء التاريخ ان الاسم الذى وضعه فلكيو العرب على كوكب الجوزاء وهو اسم الجبار كان علماء على تذكار غرو ذ ولم تنس الامة القاطنة في أرضه ايمه الى اليوم وصار مع سليمان والاسكندر الا كبر الثلاثة شجعان الدنيا القديمة وصاروا مخلصي الذكرك عندما تحقق اسماء شجعان الرجال الاخر من الدنيا وخلف نينوس أباه غرو ذ على مملكة كلديا وحاز من الشهرة وعلو المنزلة ما زاد من كرم موقعه وساطنته قوة وجلالة ومهابة وجع كثير من الشبان وسلمهم وأخذ في تربيتهم وتدريبهم مع الشدة والعنف مدة من الزمن حتى عودهم على المشاق والاعباب والجوع والنظم والصبر على الحروب والوفائع والشدائد والكروب ومدة بالة أعظم الاخطار بقلب قوى ومقام جلى ودخل في محالفة مع ملك العرب وضم قواه الى قواه وأمن كل منهم ما غائلة الآخر وقيل ان اخوة غرو ذ يعنى أولاد كوش قطنوا بلاد العرب في طول الخليج الفارسي من حويلة الى الاوقيانوس وكانوا على مسافات قريبة من بعضهم ليساعد بعضهم بعضا على المحافظة والامن فيما بينهم وكانت عاصمة مملكة نينوس بابل ونسب أغلب المؤرخين تأسيس مدينة بابل الى سميراميس وآخرون نسبوها كما تقدم الى غرو ذ لكن اذا نظرنا للحقيقة ونفس الامر في تأسيس هذه المدينة من الابتداء نجد ان كلا النسبتين خطأ وذلك ان تأسيس الميس منسوب الى غرو ذ ولا الى سميراميس بل منسوب الى المجانيين من ذرية نوح الذين اغتروا بآبائهم وشرعوا في بناء صرح ومدينة يخلدون بهما ذكرهم في الدنيا ويصعدون بالصرح الى جوار السماء فبلى الله سبحانه وتعالى ألسنتهم الى لغات شتى وشتمهم في عالم البسيطة

ولما أراد نينوس توسيع مملكته ومد تغلباته جهز العساكر والجنود وعقد الألوية والبنود ليتم بهم له المقصود ولما استحوذ على توطيد أمن من قبائل العربان المجاورين لمملكته برز الى ميدان الحروب وفي ظرف سبع عشرة سنة تغلب على أراض واسعة وممالك شاسعة من مصر الى الهند الى بقطريانه وعند عودته الى مملكته أضم في نفسه قبل أن يشرع في فتوحات جديدة أخرى أن يخلد اسمه في الدنيا بكونه ابنتى مدينة تعادل جلالة شوكتهم وعظمة ساطنتهم وسميها نينوى وابتناها على الشواطئ الشرقية من نهر الدجلة وذكريودور أن نينوس جعل مدينة نينوى أنفروا أجل مدينة في الدنيا حتى ما صار للذين جاؤا من بعده قدرة أو أمل على بناء مثلها وكان طولها ١٥٠ استادية أى  $\frac{1}{2}$  ١٨ ميلا انكليزي وعرضها ٩ استادية أى  $\frac{1}{2}$  ١١ ميلا ومساحتها ١٣٥٠٠ استادية أى ١٩٦ ميلا مسطحا وقال يونس عليه السلام وهونى هذه المدينة ان نينوى مدينة شاسعة الاطراف والا كفاف يسير المسافر في دأرها ثلاثة أيام وكان علو أسوارها ١٠٠ قدم وعلى ثخانة وسمك بحيث يمكن لثلاث عربات السير مواجهة على هذا السور مع السهولة التامة وكانت أسوارها محمية بواسطة ١٥٠٠ برج علو كل برج ٢٠٠ قدم ومن بعد أن تم هذا الشغل المدهش شرع في غزوة على الباقطريانيين فجد جيشا حسبما روى مؤلفا من ١٧٠٠٠٠ من المشاة و ٢٠٠٠٠ من الفرسان و ١٦٠٠٠ عربية من عربات الحرب المسلحة بواسطة المناجل ومن بعد أن تغلب نينوس على كثير من مدائن الباقطريانيين حاصر مدينة باقطريانة عاصمة المملكة واجتهد في مضايقة الحصار عليهم واستمر ملازما لها مدة طويلة حتى قطع اليأس من التغلب عليها لولا أن تداركت أمر سميراميس زوجة أحد قواده وكانت امرأة على شجاعة وبسالة وحزم وتدبير فاقت به على أبناء جنسها من النساء وكان مولدها



في عسقلان من أعمال سوريا فدلته على طريق الهجوم على القاعة وبواسطة مساعدتها تغلب على المدينة ووجد فيها ما لا يحصى من الكنوز والخيرات ولما رأى زوجها قبولها عتد الملك وخشى سطوته من أنه ربما يغتاله من أجلها قتل نفسه بنفسه فتزوجها نينوس ومن بعد عودها إلى نينوى أولدها ولدا سمياه نينياس ومن بعد قليل مات وترك المملكة محكومة بالملكة سميراميس وابنها نينياس فبنت على قبره طملا فاخرامكت مدة طويلة قائما بعد خراب نينوى

ثم إن سميراميس وجهت جميع أفكارها لتخليد ذكر اسمها بحالة تفوق بها جميع أسلافها في الابهة والافتخار فلما شرعت في تجديد مدينة بابل العظيمة البأس واستخدمت في بنائها ٢٠٠٠٠٠ نفس جمعهم من جميع أقاليم مملكتها الواسعة وعملت الاعمال التي صيرت بابل في أعلى درجات الشهرة والافتخار في العصور السالفة وكانت هذه الاعمال هي أسوار المدينة وأستحكاماتها والأرضة والقناطر وخزانات المياه والحواجز والسدود وخيلجان جريان مياه النهر والسرديات والبساتين المعلقة ومعبد بعل (نمرود) ولما شرح كلام من هذه الاشغال على حدته بالتفصيل فنقول

أولا الاسوار = استقرار مدينة بابل كان على أرض سهلة خصبة كثيرة المحصول والنباتات وكانت أسوارها عجيبه مدهشة في بنائها تحير العقول في أشغالها وكان سمك أي ثخانة هذه الاسوار ٨٧ قدما وارتفاعها ٣٥٠ قدما ودائرها محيطها ستون ميلا ورسوم ما حول المدينة على صورة شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٥ ميلا وجميعها مبنية بالطوب الأحمر المضروب من الطين ودائرها حولها خندق ملآن بالمياه وجهاته الداخلة والخارجة مبنية بالطوب أيضا والتربة والمواد الطينية التي استخرجت من حفر هذا الخندق عمل منها الطوب اللازم لبناء هذه الاسوار وغيرها من الاشغال الأخر ومن علوا الاسوار وثخانتها وجسامتها يعلم سمعة الخندق وعظمه وجسامته

وفتح في كل ضلع من أضلاع هذا المربع خمسة وعشرون بابا فيكون جميع أبواب المدينة مائة باب على كل منها باب من نحاس وإن الله لما وعد كيرش أي كينسر وفتح بابل قال له انه ستكسر أمامه الابواب النحاس قطعها وجعل بين كل بابين متجاورين ثلاثة أبراج وأربعة في أربعة أركان هذا المربع الجسم وثلاثة أبراج بين كل ركن والباب المجاور له على كل من ضلعي زاوية المربع وارتفاع هذه الابراج زيادة عن علوا الاسوار الاصلية بقدر عشرة أقدام

ويخرج من الخمسة وعشرين بابا الموجودة على كل ضلع من أضلاع المربع خمسة وعشرون شارة إلى الابواب المقابلة لها في الضلع الآخر من المربع كل نظيره فكان عدد جميع الشوارع خمسين شارة طول كل شارع خمسة عشر ميلا متقاطعة مع بعضها في زوايا قائمة وغير هذه الشوارع كان يوجد أربعة شوارع أخرى بين منازل السكن والاسوار لافقة مع أربع جهات المدينة وعرض كل منها ٢٢٠ قدما وأما عرض الشوارع الأخر فكان ١٥٠ قدما ومن تقاطع هذه الشوارع ببعضها كانت المدينة مقسومة إلى ٦٧٦ مربعا دائريا كل مربع ميلان وربيع ومنازل السكن مصطفة على أضلاع هذه المربعات في طول الشوارع وعرضها وبين بعضها خلال لمروا لاهوية وكل بناء مركب من ثلاث طبقات إلى أربعة إلى خمسة ووجهة كل مسكن مستورة بالنقوشات المدهشة والزخرفة والتصاوير وسعة الأرض الموجودة في داخل كل مربع وخلف أما كن السكن كانت مستعملة حيشانا وجنائن وبساتين واستعمالات أخر للسكان فهذا كانت مدينة بابل كبيرة في الظاهر صغيرة في الباطن لان

نصف المدينة كان عبارة عن بساتين وأرض مزارع

ثانيا - (الارصفة والقناطر) ولما كان أحد فروع نهر الفرات عابرا في جريانه من وسط المدينة من الشمال الى الجنوب كان على جهة من جهتي هذا الفرع رصيف مبني بالطوب أيضا وسور مرتفع وفي هذا السور مفتوح اتجاء كل شارع باب يوصل للنهر يفتح بواب من نحاس وينزل من هذا الباب بدرج الى النهر لاجل تعدية الاهالي حسب رغبتهم من جهة الى أخرى في قوارب وصنادل طريقة وكانت جميع الابواب مفتوحة طول النهار وتغلق ليلا ولما القناطر فما كانت في اتقان بنائها واحكام صنعها ونقشها وزخرفتها أقل من المباني الاخرى شي وكان طول القنطرة الواحدة ثمن ميل وعرضها ثلاثون قدما مبنية باحكام واتقان صاعدة على أساسات متينة مرمية في أرض رملية من قاع النهر وكانت عقودها مصنوعة من أحجار ضخمة مرتبطة مع بعض الجنازير من الحديد ومسبولة في الحامات الرصاص الذائب

ثالثا - (الخزانات والقنطرة) والخزان المصنوعة لتحويل مياه النهر هذه الاشغال العظيمة في تدبير المياه في كل العصور كانت محكمة الاتقان والصناعة والاستعمال أيضا عند الكلدانيين وذلك انه في مبادي فصل الصيف عندما يحصل من حرارة الشمس ذوبان الثلوج الموجودة فوق رؤس جبال أرمينية تحصل الزيادة العظيمة في المياه الجارية في نهر الفرات في شهور يونيو ويوليو وأغسطس حتى تسيل فوق شواطئه كما هو حاصل في زيادة نيل مصر فلاجل منع الخطر الواقع على كل من المدينة والمملكة من فيضان هذه المياه وزيادة علوها حفر على مسافة عظيمة من فوق المدينة خليجان صناعيان بواسطة اصار تحويل مجرى هذه المياه الى نهر الدجلة قبل وصولها الى المدينة ولاجل حفظ المملكة أيضا من خطر هذه الفيضانات وحفظ مياه النهر في مجراها الاصل اقيمت حواجز وأرصفة على كل من جهتي النهر بنيت بالطوب وامتدت من مبداء رأس الخليجين الى تحت المدينة بمسافة كبيرة وكان لاجل سهولة عمل هذه الاشغال من الضروري تحويل مجرى النهر حتى يمكن التمكن من العمل فعمل في الجهة الغربية من المدينة خزان عظيم مساحته ٤٠ ميلا مسطحا وعقه ٣٥ قدما تحول اليه جميع مياه النهر بواسطة خليج حفر في الجهة الغربية منه حتى ثم الشغل وأعيدت المياه لاصل مجراها وبما انه ربما أن مياه النهر لا تروى في أثناء فيضان المدينة من أبواب الموجودة على شاطئه كان هذا الخزان مع الخليجان الخارجة من النهر معدة لحفظ المياه اللازمة لريها وكانوا يجرون التحفظ على هذه المياه في الخليجان والخزانات جميع السنة وهذه تكون خزانات عمومية تصرف منها المياه اللازمة لاحتياج الاراضي السائرة تحت المدينة بواسطة منافذ وخواخوذ ذات أبواب تفتح وتغلق حسب الحاجة في الاوقات الموافقة لها وهذا كانت الخليجان والخزانات مستعملة بطريق المساواة لحفظ المملكة من غوائل فيضان النهر وللحصول الى الاراضي وسقيها أيضا وقت الحاجة والزرع

رابعا - (السرايات والبساتين المعلقة) وكان يوجد في طرفي أوتهايتي القنطرة سرايتان متصلتان مع بعضهما بواسطة سرداب معلق تحت مجرى النهر وكان محيط أي دائرة السراي القديمة التي كانت مبنية في الجهة الشرقية من النهر ثلاثة أميال وثلاثة أرباع ميل وبالقرب منها كان هيكل يعمل وكانت السراي الجديدة المبنية على الجهة الغربية من النهر وعلى اتجاء الاخرى محيط دائرها سبعة أميال ونصف ميل ومحاطة بثلاثة أسوار داخل بعضها وعلى مسافات كبيرة من بعضها أيضا وكانت هذه



الاسوار وأسوار السراى الأخرى مشحونة بالنقوشات الطريفة والحفورا الغريبة وصور الحيوانات  
ومن ضمن جهات صور التماثيل المنقوشة فى الاسوار جهة مخصوصة منقوش فيها صورة سميراميس  
راكبة على ظهر حصانها رامية نخجرها فى قلب نمر وزوجها نينوس خرق قلب أسد

وفى هذه السراى كانت البساتين المعلقة المشهورة عند الجريق وكانت شاغلة لشكل مربع طول كل  
ضلع من أضلاعه ٤٠٠ قدم ومرفعة على هيئة دكة جسيمة وأكام سميئة بعضها فوق بعض الى  
محاذاة ارتفاع أسوار المدينة وكانت طرق الصعود من دكة الى أخرى بواسطة سلالم عرضها عشرة أقدام  
وكل هذا الكوم ثابت الوضع محكم العمل بواسطة عقود جسيمة قائمة فوق عقود أخرى بعضها فوق  
بعض متقوية بسور محيط بها من كل جهة سمك حائطه ٢٢ قدما ومركب على قمة العقود تليطه عريضة  
من الحجر طواها ١٦ قدما وعرضها ٤ أقدم مغروس فوق هذه الاحجار الغاب المخلوط بالزغلة وفوق  
ذلك دكة من الطوب مركبة من مداما كين فوق بعضها فى غاية احكام البناء والارتباط وسطح هذه  
الدكة مدهول بالمونة القوية وجميع هذا مغطى بطبقة من الرصاص الذائب وفوق هذا تربة البستان  
وعملت كل هذه التحفظات لاجل عدم وصول رطوبة تربة البستان ومياه السقية الى بناء العقود  
وفسادها وكان للاتربة الموضوعة فوق هذه العقود سمك كاف لاجل مسك جذورا كبر أشجار يمكن  
غرسها فى هذه البساتين وأنشئ فوق دكة الدكة العليا نوع طليبة ماصة كابسة لاجل سحب المياه من النهر  
الى أعلى البساتين وبواسطة ما يجرى سقى الاشجار والنباتات حسب الضرورة وكان يوجد فى المسافات  
السكانية بين العقود وبعضها الرابك عليها هذا البناء الضخم قيعان ومجالس ولواوين لاجل الراحة  
والفرجة والترهة تسر الناظر وتروق الخاطر

خامسا - (هيكل البعل) ومن أكبر أشغال بابل وأعمالها هيكل بعل أيضا وقد ذكرنا أنه كان قائما  
بالقرب من السراى القديمة وكان فى وسط هذا الهيكل الصرح العجيب البناء والانتظام وكانت دكة  
أساس هذا الهيكل حسبما ذكره هيرودوط طول كل ضلع من أضلاعه أربع ميل أى أن طول الدائر  
ميل واحد وارتفاع البناء أربع ميل أيضا وكان هذا البناء مركبا من ثمانية أبراج راكمية بعضها فوق  
بعض منظومة الشكل فى علوها وهيئة متعاقبة رؤيتها تشابه شكل أعظم هرمى مصر وهو هذا هو البرج  
ذوالصرح الذى بابل الله سبحانه وتعالى الالسن من أجله وكان يصعد الى قمته بواسطة سلم مصنوع  
فى سطحه البرانى لاف حوله على هيئة خط حلزوفى وهذا السلم مصنوع بغاية الاحكام والاتقان بحيث  
يسهل الصعود عليه مع غاية الراحة من دور الى آخر من أدوار الصرح وكانت ثمانية أدوار ومن داخل  
هذه الأدوار مجالس وقيعان معقودة والسقف راكم على أعمدة وأما الدور الثامن الذى هو قمة الصرح  
فكان عبارة عن محل رصد الكواكب فكان علماء الفلك من الكلدانيين يرصدون فيه سير الكواكب  
ويسجلون قوائيمهم ودرسايتهم وبهذا صاروا أعلم أمة فى مدة قليلة من الزمن كما حصل الاستدلال على  
ذلك من تواريخ تسجيلاتهم

وكان المقصد الاصلى من هذا الصرح المهول المدهش هو محل لعبادة الاله بعل وكان يوجد فى داخله  
عدة آلهة أخرى من صوصة فى قيعان ومجالس داخلية وكانت ثروة هذا المعبد محصورة فى التماثيل  
والموائد وأواني الجذور والمباخر وأوان أخرى مقدسة جميعها مصنوعة من الذهب كثيرة العدد ومن  
ضمن التماثيل عتال بعل أو غرو ذو وكان ارتفاعه ٤٠ قدما وثقله ١٠٠٠ وزنة بابلية وبما أن

الوزنة الواحدة البابلية عبارة عن ٧٠٠٠ درهم طبق وان الوزنة الاطيقية مقدارها ٦٠٠٠ درهم فتكون الوزنة البابلية زيادة عنها بقدر السدس

ومن مقتضى الحسبة التي عملها ديودور من أجل الثروة الموجودة في هذا الهيكل علم أن المبلغ كان عبارة عن ٦٣٠٠ وزنة بابلية من الذهب وسدس هذا المبلغ ١٠٥٠ فيكون ٦٣٠٠ وزنة بابلية تساوي ٧٣٥٠ وزنة اطيقيية من الذهب ومن حيث ان ٧٣٥٠ وزنة اطيقيية من الفضة عبارة عن ٢١٠٠٠٠٠ ليرة استرلينة وكانت نسبة الذهب الى الفضة عند القدماء كنسبة ١٠ الى ١ فيكون ٧٣٥٠ وزنة اطيقيية من الذهب تبلغ مبلغا ينوف عن ٢١٠٠٠٠٠ ليرة استرلينة واستمر هذا المعبد على حالته هذه الى زمن أردشير ملك فارس ولما عاصمة قهورا من حرب الجريس هدمه جميعه ونهب جميع ما كان فيه من التحف والذخائر

ولما كملت سميراميس جميع هذه المنشروعات الخيالية تفكرت أيضا في كونها تجري بعض أعمال في جميع أنحاء مملكتها يعود منها النفع على المملكة فتنقلت في داخل الممالك وشيدت مباني وجددت أعمالا في كل محل حلت فيه خلدت بها ذكراها الى الابد وما كفاها المملكة الواسعة التي تركها الهازوجها بل شرعت في توسيعها ومدّها وتغلبت على قسم عظيم من اثيوبية ولما دخلت في هذه رغبت في زيارة معبد جوبتير أمون وأن تسأل الوحي عن مدة حياتها وقال ديودور انها توجهت وزارت وكان جواب الوحي لها أنها لا تموت الا من بعد أن يظهر ابنها في ثورة ضدها ومن بعد موتها يغيب عنها قسم من أهل آسيا

ولما عادت الى بابل رغبت في التغلب على البلاد الهندية وأمرت بجمع جيش كثيف من جميع أقطار مملكتها وأن تكون نقطة اجتماع العساكر في مدينة باطريانه وسارت بعساكرها مخاطرة حتى تغلبت على بعض الممالك الهندية ووصلت الى نهر السند وعبرته على جسر من خشب بعد محاربة شديدة ومحافظة مهولة من ملك الهنود وأخير انهمزمت وفقدت من عساكرها عند عودها راجعة في عبور نهر السند انجم الغفير من العساكر ولم يرجع من جيشها معها سوى الثلث وكان مقداره ٣٠٠٠٠٠ من المشاة و ٥٠٠٠٠ فارس خلافا لجمال وعربات الحرب المسلحة ثم قام ابنها نينياس في ثورة عليها مساعد ابقائ الجيوش فتنازلت عن المملكة لابنها حسبما أنبأها به الوحي واعتزلت في عيشة هنية حتى أدركها حجام النية بعد أن بلغت من العمر ستين سنة منها أربعون سنة متقلدة زمام السلطنة وعبدتها الاشوريون من بعد ها تحت ثمال معبودة على هيئة حمامة

وما كان لنينياس أبهة واحترام مثل والديه الذين استلم هو زمام قيادة التخت منهم ما بل عكف نفسه على اللهو واللذات في داخل سرايته لا يظهر لقومه الا نادرا وكان جل مقامه في نينوى حتى قام عليه العساكر وقتلوه ونجا من بعده نخوم ثلاثين ملكا جميعهم يفوقونه في الفجور والاعتكاف على اللذات وحب الشهوات ولا يعلم لهم تاريخ ولا آثار تدل عليهم

ومن المحتمل أنه جاء عقب نينياس فترة مجهولة النار يح بواسطة هجرة القبائل السامية والحامية الى الجهات الشمالية فالاشوريون وهم أمة سامية ساروا الى العراق العليا وأسسوا مملكتهم على طول وسط نهر الدجلة والفيثيقيون وهم من نسل حام ساروا الى أرض كنعان واستوطنوا في طول سواحل البحر الأبيض المتوسط وأسسوا مملكة لانفسهم وانتقل الجنس الذي تناسل منه ابراهيم عليه السلام الى



## العراق الشمالي

وكان من ضمن ملوك هذه العائلة القديمة ملك اسمه أورخام أو أوروخ وكان أقدم ملك كلداني أيضا إلا أنه ما وجد له شيء من الآثار في المملكة وكان ابتداء سلطنته في نحو سنة ٢٣٢٦ قبل الميلاد وابتنى عدة مباني ضخمة يظهر أنهم كانت جميعها محصورة في هياكل ومعابد فقط وكانت كبيرة الحجم غير مقبولة الشكل والشغل وكان الطوب المستعمل في بنائها غير منظوم كما كان لحامه مع بعضه بطريقة غير منظومة وكانوا يستعملون في البناء مونة مركبة من الطين وموس التين أو نفس التين ويمزجونها ما من جاجيدا كما هو الجاري الحد الآن عند أهل الارياف من بلاد مصر وذكر المعلم رولسن في كتابه علم العمارات أنه وإن وجد في الشغل بساطة وعدم انتظام إلا أنه يوجد أيضا دلالة على وجود المعرفة وتجارب في الصنعة ويظهر أيضا أن مبدأ الشغل في علم الفلك كان في مدة سلطنة هذا الملك وكانت مدينة أور عاصمة مملكته ومن بعد موت أوروخ خلفه ابنه الغي وكانت سلطنته في مدينة أور أيضا واستكشف في هذه المدينة القديمة خاتمة الاسطواني الشكل وهو محفوظ الآن في دار المجائب بالوحدرة وأعقب سلطنة الغي خوفي سلطنة كديا وتاريخها نتج من تغلب العائلة العلامية طيكية على المملكة في مدة حياة ابراهيم عليه السلام وهذه العائلة من السوس وكان تغلبها في سنة ٢٢٨٦ قبل الميلاد وكان أول هؤلاء الملوك كدرناخوتيه حكم كديا بواسطة نائب من طرفه واشتغل هو بتدبير أعمال مملكته وكان مقر سلطنته في السوس وملك آخر اسمه كدرلاناغر تسلطن في السوس أيضا وقسم كديا إلى عدة أقسام جعل في كل واحد منها عاملا من طرفه

ثم جلس على التخت عائلة ثالثة في نحو سنة ٢٠٥٢ قبل الميلاد وكان عددهم ملوكها أحد عشر ملكا وليست مدة سلطنتهم ثمانية وأربعين سنة ويمكن أن يقال إن هذه العائلة كانت هي علامة الخلوين خضوع الأمة الكلدانية للملك العلامية طيكية وبين تمام استعلاها تحت جلوس العائلة الرابعة على الكرسي وكانت أحد الملوك الوطنية الكلدانية ثم وصلت هذه العائلة إلى درجة الشوكة والنفوذ في نحو سنة ٢٠٠٤ قبل الميلاد وتسلطنت إلى حد سنة ١٥٤٦ قبل الميلاد وكان عدد ملوكها ثمانية وأ عشرة ولا يعرف من حوادث سلطنتهم الا قليل لأهمية فيه

وأزهرت العائلة الخامسة من نحو سنة ١٥٤٦ إلى سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد وكان مؤسس هذه العائلة رئيس من كبار العرب اسمه خامواري انتهز الفرصة وقت ضعف كديا وانحطاط شوكتها تحت سلطنة آخر ملك من ملوك العائلة الرابعة ونجح في أن جعل نفسه سيد البلاد والعباد والظاهر أنه تسلطن ستا وعشرين سنة ومن بعد موته ترك المملكة لابنه وكان ملكا شهما حازم الرأي وهو أول من عرف المنافع التي تعود على المملكة من عمل طريقة صالحة للري فحفر ترعة من أحد أنهار المملكة لهذا الصدد وقال في إحدى كتاباته المحفورة على الحجارة استبدل السهول والصحاري الرملية بمقارنات وغيطان زراعية تسقى بالماء بوجه الانتظام وبواسطة أعماله حصل الإصلاح في خصوبة الاراضي وكثرة المحصولات وشهد عدة مباني جليلة والظاهر أن بابل كانت مقر ملكه وسلطانه وفي مدة وجود هذه العائلة كان يوجد ارتباط حيي بينها وبين آشوريا وكانت هذه صارت مملكة مستقلة من كديا وكان هذا الارتباط حاصلاتارة اما بواسطة محالقات اتحادية أو بواسطة زواج ملوكي وفي نحو أفول مدة سلطنة كديا تدخلت آشوريا مرة واحدة في أشغال كديا بشأن خلع ملك غاصب للتخت ووضع ابن

الملك الذي قتل قائد الثورة على تخت أبيه ومن هذا انقطعت صداقة الارتباطات بين المملكتين  
وأخيراً في سنة ١٣٠٠ ميلادية غزا ملك آشور يا تغلا ثينين كاديا وتغلب عليها وأضافها إلى المملكة  
الاشورية واستمرت عدة قرون إلى أن هلك هذا الملك

وكانت المدد إلى ابتداء تسمية للتاريخ الكلداني موشحة بآيات أجزتها الأمة الكلدانية في الحضارة  
والصنائع والعلوم الفلكية فكانت بابل وعراق واقادوكالته من ابتداء عصر غروذر من هرة بالعلوم  
والآداب والصنائع وكذا مدينة أور ومداث أخرى وكانت مساكن هذه المداث مربعة الشكل أو  
مستطيلة وأسوارها جميعها مبنية من الطوب المرتبط مع بعضه بالمونة جيدا وفي غاية الاتقان من  
الصناعة وكان أغلب مباني تلك المدة ضخمة الحجم وكانت هيئة الهياكل هرمية الشكل في العادة مبنية  
على هيئة مدرجات متتالية صاعدة بارتفاع عظيم وكانت سطوحها موجهة نحو الأربع نقاط الأصلية  
مباشرة وكانت الكتابة مستعملة عندهم كما شوهدت على سطوح الطوب المحرق المصنوع في تلك المدة  
وكان قطع الجواهر وصقلها وجعلها والحفر والنقش عليها معروفاء عندهم وكذا صناعة أشغال المعادن  
والأسلحة والزينة وعدد آلات نافعة كانوا يصنعونها من معادن مختلفة وكذا تشغيل الأثنية وأصناف  
المنسوجات الخيشية بالقصب أو المطرزة بهيات ظريفة كان جاريات تشغيلها عندهم وبلغ علم الفلك  
في كاديا مبلغ العلم وتسجلت نتائج الأرصاد الفلكية وسير الأجرام السماوية مع الدقة وجودة الاعتناء  
وكانت التجارات جارية من طريق البحر والبر بين الأمة الكلدانية والأمم المجاورة لها وكانت  
مراكب مدينة أور تسافر في الخليج الفارسي وتجتمع الأمم الموجودة على طول شواطئه

وما كانت السلطنة الكلدانية في قديمها وشهرة اسمها في امتداد عمالكتها أكثر من السلطنة المصرية  
في الأقدمية وزيادة السوادد إلا أنه من العجب أن كاديا تدعى سبق أقدميتها على كل مملكة أو إمارة  
سبقت على أرض آسيا وأن الآريانيين والتوريانيين حتى القبائل السامية يظهر أنهم كانوا في حالة  
رحالة وعيشة رعوية عند توطن الكوشيين في الأراضي السنية من بابل وعكفوا على الزراعة وتشيد  
الهياكل وبناء المداث وتشيد حكومة وطنية قوية وأن الخيرة التي انفرشت على التدرج من الأمم  
الآسيوية كان مبدأ وجودها على سواحل الخليج الفارسي عند مصب النهر الأعظم ومن هذه القطعة  
انتشرت الحضارة والعلوم وحروف الكتابة والفنون إلى الجهات الشمالية والشرقية والغربية وأخذ  
كل من آشور وبابل ولبديا وسامى بابل والفرس من كاديا حروف كتابتهم واستحوذوا على ما يلزم لهم في شأن  
أجرام حكوماتهم وادارتهم وصنائعهم وزخارفهم حتى علومهم وآدابهم بواسطة مادونهم وسجلوه هذه  
الحروف وبما لا ريب فيه أن كل أمة أصلحت ما استحوذت عليه حسب ظروف الأحوال بان  
زادت علمه أو نقصت منه تبعاً لتوالي العصور إلا أن كاديا لم تزل منتصبة أشبه بكونها هي الوالد الأكبر  
وأنها هي أصل الاختراعات والتمدن الآسيوي من دون أن يعارضها في زعمها هذا أي خصم يقف  
أمامها

وكانت ديانة الكلدانيين من المدد القديمة التي ما وجدنا لها تسجيلات وكانوا يقولون بتعدد الآلهة  
وكان عندهم من المعبودات خمسة عشر أو ستة عشر الهة أصلياً وعدة من آلهة صغيرة يسبونها بالآلهة  
الثانوية وأما الآلهة المنزلية فكانت كثيرة العدد وكل مدينة كانت تحت محافظتها الهة الموجدون  
فيها ولم يتيسر الحصول على تمام معلوماتنا في هذه المسئلة لهذا الآن والظاهر أن أجل الآلهة التي



كانت موجودة عندهم هي (أولا) عل أور وهو الإله الأكبر ولم يكن لنامة بلومية منه بشي (ثانيا) ثلاثة آلهة هي عانة وبعل أو بعوس وهيعة أو هوعة وهؤلاء أمقارون لدرجات بلوطو (إله العالم السفلي عند الجريق) وجو يتراى المشتري (الإله الأعظم عند الوثنيين) ونبطون (إله البحر عند الجريق) وكل منهم له زوجة من نفسه فزوجة عانة نات وزوجة بعل موليطه أو معلطيس وزوجة هوعة دو كينة (ثالثا) ثلاثة نأوية هي سن أوهوركي إله القمر وسان أو سانسي يعني الشمس وعول إله الجو وكل منهم له زوجة فزوجة سن أوهوركي معبودة عامة يسمونها الست الكبيرة واسمها غير معروف وزوجة سان أو سانسي هي عولة أو أنوتيط وزوجة عول هي شعلا أو طعلا وهؤلاء آلهة والالهات كانوا جميعا منصوبين في رأس معبد الكلدانيين ويتلوهؤلاء مجموع خمسة آلهة صغيرة عبارة عن هيئة الكواكب الخمسة وهي نين أو نينيت (زحل) وميرو داخ (المشتري) ونرغال (المرج إله الحرب) وعشطار (الزهرة إلهة العشق) ونيسو (عطارد) وهؤلاء مع الذين تقدم ذكرهم عبارة عن الآلهة الأصنام للكلدانيين وأما الآلهة الصغيرة فكانت كثيرة لا تحصر ولا يمكن ذكرها هنا

ومن الجامعة الغربية في مذهب الكلدانيين بالنسبة لهذه الترتيبات الخرافية يظهر أنها كانت لغرض معلوم لأن هذه الجامعة فيها تشابه كثير ومقارنة زائدة في بعض أحوال أوجبت العمل على موجهات في معابد الجريق ورومة أيضا وأن معابد كلدانيا كانت هي أصل جامعة هذه المعابد الآن سلسلة المواصلات من الابتداء طوعة الأثر لكتنا نرى أن أسماء الأناث وأسماء طوائف الآلهة وألقابها مأخوذة في الأصل من منابع الكلدانيين ومن هنا لا يمكن الشك ولا التردد بأي حالة كانت في أنه كان يوجد مواصلات دينية أو طرائق مواصلات في الأزمان القديمة بين سواحل الخليج الفارسي والاراضي التي يحدها البحر الأبيض المتوسط وبواسطة هذه المواصلات دخلت الخرافات والتصورات الخرافية ومن المحتمل أيضا أنه كان يوجد من ضمن القبائل والعشائر التي كانت مستوطنة على كل من نهرى الدجلة والفرات عشائر الصيغ أو صيغى الاريايين وقت اختراع الحروف الهجائية ووقت ما تدون بهما ما يلزم لمعرض الديانة وهاجر هؤلاء العشائر حسب أحوال الأزمان إلى أور وبا وجعلوا معهم هذه الحوادث الخرافية بما أنها كانت محبوبة الاعتقاد عندهم ومختاطبة بآداب شعرية تختص بأحوال بلادهم الوطنية وسارت هذه الروايات مع سير الأيام إلى طوائف الأمم الذين تناسلوا من مله الصيغى أو صيغى الاريايين

وكان غذاء أورما كول الأمة الكلدانية محصورا في المحصولات النباتية الخارجة من الارض والتمراى البعل الكثير الوجود كان ولم يزل لحد الآن هو الغذاء الرئيسى لأهل البلاد وكان من ضمن ما كولاتهم أيضا السمك والدجاج والحلايف البرية وأما التغذية بلحوم الحيوانات فكان من النادر جدا وكانت المساكن والدور في المدن مصنوعة من الطوب وفي جهات الريف مصنوعة من أخصاص من غاب مطاوس بؤنة من الطين والتبن وما كان يوجد على مساكن الأغنياء نوع طلاوة ولارونق ولا منظر يسر النظر

(تم تاريخ كلداني ٢ أغسطس سنة ١٨٩١)

( الكتاب الرابع )  
( تاريخ مملكة الاشوريين )

( الباب الاول )  
( تشييد الحكومة وقدماء الملوك )

وصف آشوريا - موقعها الجغرافي ومساحتها - آشوريا الشرقية والغربية - السلسلة الجبلية -  
مدائن آشوريا - المناخ - خصوبة الارض - الثروة المعدنية - الحيوانات - عوائد الامة  
ووصف السكان - تأسيس المملكة الاشورية - آشور - الارتباطات مع كاديا - قدماء الملوك -  
التغلب على بابل - تغلبات تغلائلغلاسر الاول - وصف الحضارة الاشورية - استعمال الحروف -  
طريقة المحافظة على التسميات الرسمية - الصنائع الاشورية - سراى سرجون - النقوشات  
الحفرية - الطريقة العسكرية الاشورية - الابهة الملوكية - الآلات الموسيقية - مابوس  
الامة - ديانة الاشوريين -

تشغل آشوريا القسم الاعلى من وادى العراق وهى محدودة من الجهة الشمالية بمجبل ماسيوس على  
قول بعض المؤرخين أو بمجرى نهر الدجلة من ديار بكر الى نواحي التل على قول آخرين ودها من  
الجهة الشرقية سلسلة جبال زغرة الشاخنة الارتفاع الصعبة المرتقى وحدها الغربى نهر الفرات وحدها  
الجنوبى هو الحد الشمالى للمملكة كاديا ويقسمها نهر الدجلة الى كورتين غير متساويتين يطلق عليهما  
اسم آشوريا الشرقية وأشوريا الغربية وأعظم طول هذه المملكة من ديار بكر الى الجهة الشمالية الى  
الحد الكلداني في الجهة الجنوبية نحو ٣٥٠ ميلا ويختلف عرضها من جبال زغرة الى الفرات من  
٣٠٠ ميلا الى ١٧٠ ميلا فتكون مساحة آشوريا ٧٥٠٠٠ ميلا مستطحا  
ولو أن آشوريا الشرقية أقل بكثير من كورة آشوريا الواقعة في غربى نهر الدجلة إلا أنها أكثر عمرا  
وأجل قسم في المملكة وتشتمل على ثلاث مدائن من الاربع مدائن الكبيرة الموجودة في داخل المملكة  
وتشتمل أيضا على عدة نهول خصبة يخرج منها محصولات وافرة تروى مع الانتظام بمياه عدة نهـيرات  
جارية من الجبال الى نهر الدجلة وهذه السمول مفصلة من بعضها بسلاسل جبال منعزلة تسير في اتجاه  
عمومى مواز لسلسلة جبال زغرة يخرج منها عدة جداول ونهيرات ومساق صغيرة تعبر المملكة وتضاف  
مياهها الى الأنـهر وكل هذه المياه تجري في فروشات عميقة بحيث لا يظهر وجودها للناظر اليها من  
السمول ما عدا وقت انتفاخ مياه هذه الفروشات من مياه الامطار وذوبان الثلوج فانها تجري طائفة  
مياهها لحدشواطئها وأحيانا تـم مياهها فوق سطوح موازية الاراضى حتى تغرقها وتروىها وأما كورة  
أشوريا الغربية فهي أقل صلاحا في ذاتها إلا أنها ولو كانت مقطوعة بمجاري مياه إلا أن خصوبتها تابعة أو  
متعلقة بطريقة ترى الاراضى ولو أن وصف أرضها مستويا إلا أن المياه لا يمكن أن تـم الاراضى كاللازم  
ولا يوجد طريقة في الجهات جارية لتعميم طرق الري واكتساب الاقليم درجة الخصوبة المطلوبة له  
ويشقى الجهة الشمالية من الكورة سلسلة جبال صخرية ذات مهاو عميقة إلا أن هذه السلسلة ليست



مرتفعة كثيرًا تجري إلى الجهة الشرقية والغربية وتمتد من نهر الفرات من نواحي روم قلعة إلى التل  
وشليق على نهر الدجلة ومن تحت هذه السلسلة سهل واسع خفيف التماوج يمتد من الجبال الشمالية  
إلى جروف بابل وينقطع في نحو نصف المسافة بسلسلة جبال واطئة مركبة من أحجار جيرية تسمى  
جبال سنجار وهذه السلسلة تترك نهر الدجلة بالقرب من الموصل وتجري تفرعًا من الشرق إلى الغرب  
عابرة من وسط العراق وتحف أو تظلم نهر الفرات في منتصف مسافة سيرها بين الرقة وقرقيسية في  
طول ٤٠ ° تقريبًا وأما الأراضي الموجودة في شمال سلسلة جبال سنجار إلى جبل ماسيوس فهي  
سهل متماوج يشابه طبيعت المروج الموجودة في أممية الشمالية إلا أن المياه نادرة فيها ولا يوجد إلا  
جداول صغيرة نازلة من سلسلة جبال سنجار وهذه تنتشر في الأراضي الظما تة مع العجلة والسرعة  
وفي هذه الأرض الصعبة الزراعة يوجد صنف حجر الجبس بكثرة وتوجد فيها آثار كثيرة من حفر  
بركانية وكتل جسمية مرمية من أحجار البازلت والسماق والبورفير في السهل ويوجد أيضًا بالقرب من  
مناقي الفرعين الكبيرين لنهر الخابور عدة أحجار قديمة ضالة منولدة من قذف البراكين وسلسلة جبل  
سنجار مركبة من أحجار جيرية شاهقة البياض ناعمة الملمس

والقطعة الوسطية لآشور ياهى الأقليم الواقع في طول نهر الدجلة من عرض ٣٠° إلى ٣٦° وفي  
داخل هذين الحدين توجد المدن الكبيرة للملكة وكثرة تراكم الأهالي والسكان واحد هذه المدن  
كانت مدينة آشور وهي العاصمة الأصلية للمملكة واسمها الآن شيرجهات وهي واقعة على  
الشاطئ الغربي لنهر الدجلة وأمانينوى وقلعة نمرود ودورسر جينه (مدينة سرغون) وتسمى الآن  
خورشيد آباد فهي واقعة على الجهة الشرقية من هذا النهر وتشتمل الكورة الغربية أيضًا على عدة  
محال جليلة وكذا محلات ومدائن مشهورة مشهورة بها الكورة الشرقية وأمانينوى فهي واقعة في اتجاه  
الموصل الجديد واقعة نمرود على مسافة عشرين ميلًا في جنوب نينوى من أقرب طريق وعلى بعد  
ثلاثين ميلًا من طريق مجرى النهر ومدينة آشور على مسافة أربعين ميلًا من قلعة نمرود وعلى الشط  
اليمين لنهر الدجلة ودورسر جينه أو خورشيد آباد على مسافة تسعين ميلًا في الجهة الشرقية الشمالية من  
الركن الشمالى لوادى نينوى

ويختلف مناخ آشور باختلاف جهات أقاليمها وذلك أن مناخ آشور الشرقية بالنسبة لقربها من  
سلسلة جبال زغرة الشاخنة المتوجة على الدوام بالثلوج فهو بارد رطب عن مناخ الكورة الغربية لنهر  
الدجلة ونسيم الجبال ملطف لسخونة حرارة الصيف والشتاء لطيف جدا وتسقط الأمطار بغزارة في  
فصل الشتاء حتى في فصل الربيع ويتكاثف طل ثقيل من بعد نزول الأمطار وأغلب القسم الجنوبي  
من آشور الكائن في غرب الدجلة من طول ٣٤° إلى الحد الكلداني مناخه يشابه مناخ الأراضي  
الكلدانية وأما وسط آشور الغربية فهو أبرد من الجهة الواقعة في جنوبها وسخونة حرارة فصل  
الصيف شديدة جدا في وسط النهار إلا أنها في أوقات المسباح والليل سارة جدا وتسقط أمطار غزيرة  
وتلوح في مدة فصل الشتاء الآن هذا الفصل قصير وغير قاصع البرودة والصقيع ومناخ الكورة  
الجليلية التي تشكل القسم الشمالى من آشور الغربية كثير البرودة والصقيع عن الكورة الوسطية  
وتنحط درجة البرودة في فصل الشتاء إلى ٨° أو ١٠° تحت الصفر والارتفاع المتوسط للكورة  
المذكورة ١٣٠٠ قدم وواقعة بالقرب من السلسلة العظمى لجبال أرمينية المغطاة على الدوام بالثلوج

ومن ثم تكون حدة البرد وقصاعته ويسقط القار بشدة وكثرة ويفضل على الارض عدة أسابيع حتى  
يتصلب وفصل الربيع رطب ذو عواصف وزوابع ورياح شديدة وفصول الصيف والخريف نظريان  
واذا أخذنا الحالة المتوسطة لعموم المملكة نرى أن آشوريا القديمة كانت جيدة الخصوبة الا أنها  
ما كانت مستحوذة في الحقيقة على كثرة الفوائد والمنافع التي كانت موجودة في جارتها الجنوبية كاديا  
اذا أنه من الاعتناء والالتفات للزراعة وأعمال الري تكتسب الثروة والغنية من الارض وينبت في  
أراضي آشوريا شجر النفاش والكباد والليمون وشجر التوت كثير الوجود وهو غذاء مستعمل في تربية  
دود القز الكثير الذي لا يوجد مثله في محل آخر وكان جاريا زراعة أغلب الخضراوات والنباتات  
الصالحة للاكل في آشوريا وينوي الجهة الجنوبية منها نخل البلخ والبرتقان والليمون وينبت في جميع  
أقسام المملكة شجر الرمان والزيتون والعنب والشمس والتين ويوجد في آشوريا معادن بكثرة وافرة  
زيادة عن نواحي بابل وذلك أن صنف الاحجار يوجد في جميع أقسام المملكة بخواص جيدة والحديد  
والنحاس والرصاص لم تزل معادنها موجودة بكثرة في جبال طيارى الغربية من نينوى وزيت البترول  
والكبريت والشب والملح هذه أيضا من معادن محصولات آشوريا

وأما الحيوانات الوحشية الموجودة في المملكة فهي السبع والنمر والفهد والقط الجبلي والضب وحمار  
الوحش والذب والتيتل والغزال والوعل والضأن البري والحلوف الجبلي وابن آوى والذئب والتماعب  
وكاب الماء واليربوع والقنفذ والعناق والارنب والصيغ أن النمر كان موجودا في آشوريا في المدة  
القديمة جدا والآنهم مشحونة بأصناف الاسماك وكذا البرك والبطيحات مشحونة بالطيور والفراخ  
البرية وأما الحيوانات الاهلية فهي الجمال والخيل والحمار والبغال والضأن والماعز والاثوار والابقار  
والكلاب

وكان الاشوريون أمة قوية في الدين يؤدون ما يجب عليهم من عبادة آلهتهم مع الاعتناء والدقة  
والخشوع وكانوا أهل عتو وبغي وخيانة يتبعون بما حصل لهم من المخاطر في الصيد والحرب  
وكانت عساكر الاشوريين من أجود وأعظم قدماء العساكر الحربية وما كان عندهم القظاظه  
والجبروت الذي ينعله غيرهم في المثل بالذين يأسرونهم في الحروب من الاسرى وما كان لهم عهد ولا  
ذمة في نقض المعاهدات والمخالفات عندما يجدون الحالة التي يعود منها المنفع عليهم في نقضها وإبرامها  
فمن ثم كانت الامم المجاورة لهم على ريب منهم وكان لهم شهرة في الشوكه والقوة وبها صاروا في أقصى  
درجة من الامتياز بين الامم الآسيوية

وحيث ذكرنا في الكلام على السلطنة الكلدانية أنه أعقب سلطنة نيناس مدة مجهولة تولدت من  
هجرة الامة السامية من الاراضي الواطئة العراقية الى الجهات الشمالية منها فالوقت الحقيقي لهذه  
الحركة غير معلوم وكذا لا يعلم أكان حصول هذه الهجرة بالاختيار على قسم من الاشوريين أو حصل  
بواسطة قوة مؤثرة وقعت من ملوك الكلدانيين الا أن المعروف أن قبيلة أوقبائل من الذين تفرع عنهم  
الاشوريون هاجرت من كاديا الى الاراضي العالية الموجودة في طول وسط نهر الدجلة وشيدوا مدينة  
لقبوا باسم قبيلتهم آشور ومن المحقق انه من بعد مضي زمن من الانتقال كان الاشوريون محكومين  
بحكام موظفين من طرف ملوك كاديا أو تحت حكم نفس الملوك ومع هذا فانهم صاروا على التدرج  
أهل شوكة وأولى بأس وعزم شديد حتى منحوا أنفسهم استقلاليتهم مع رغبة طبيعية منهم ونبتوا



القانون الكلداني ورواظه وروهم وشيدوا سلطنة من أنفسهم على حدتها وكان مقر هذه السلطنة في آشور إلا أن مدة تاريخ تشييد السلطنة غير معروف وإن بعض الملوك القديمة كان متصلا ومتحدامع الملوك الكلدانية بواسطة محالفات أو بواسطة زواج ونسب ملوكي وكان كل من الاثنين على حدة من الأخرى وكانا على صداقة ووفاء واشتركت آشوريا أيضا في المنازعات والحروب التي حصلت بين الطالبين المدعين لتاج كلدانيا وتدخل أحدهم ملوكها وهو آشور عوياليط في كونه وضع التساج على رأس الوارث الحقيقي له وكان أحدا قاربه وكذا ساق أحد ملوك هذه المدة وهو صلمنصار الأول نحو سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد حروب متفجرة في نواحي جبال نيفاطيس وأقام مدائن في ذلك الإقليم وابتنى أيضا قلعة واسمها الآن قلعة نمرود على الشاطئ الشرقي لنهر الدجلة وعلى مسافة أربعين ميلا من آشور ومن البديهي أنه من ابتداء هذا الوقت أخذت المملكة في التقدم والزيادة إلى الجهة الشمالية حتى صارت ذات شوكة وأكثرت عيرانا ودخلت في اجراء فتوحاتها الكبيرة وفلاحها الداخلي ومع كل هذا فإن الحرف والصنائع كانت في هذا غير متقدمة الصنعة بالسكية وكان استعمال الكتابة نادرا جدا وكان التمدن والحضارة في أدنى درجة من الخضوض وكانت هيئات المدائن التي شيدت في تلك المدة على صورة مستطيلة الشكل وكانت الهياكل والمعابد على هيئة أبراج هرمية الشكل والسراريات الملوكية منشأة على رواب عالية أودكات مرتفعة من البناء

ومن بعد موت صلمنصار الأول خلفه ابنه تغلاتين الأول ومن المحتمل أن هذا هو نينوس المعروف عند الجريقي فرغ هذا الملك منار سموقومه بأن تغلب على بابل في نحو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد ومن ثم لا يلزمنا أن نفرض أن كلدانيا كانت في هذا الوقت قسما من المملكة الآشورية بحالة استمراريتها بل يحتمل أنها كانت خضعت لها مدة قرن واحد إلى أن تزلزل وارتج ناف آشوريا بواسطة سلسلة من ملوك يظهر أنهم كانوا من نسل الآشوريين وكانوا على عداوة لآشوريا وأشعلوا حروباً على تلك المملكة وكانت نتيجة هذه الحروب هي أن حفظت آشور سيادتها وعلو كلمتها على بابل واكتفت بابل بأن تحفظ لنفسها موقعا ثانويا في آسيا الغربية ومعترفة بتبعيتها للملك نينوى

ثم إن الملوك الذين تسلطوا من بعد تغلاتينين لأهمية ولا معنى في سلطنتهم وإن آشوريس عليم الذي تسلط في نحو سنة ١١٥٠ قبل الميلاد إلى سنة ١١٣٠ كان ملكا كبيرا الزعامة زيادة عن سلفه من الملوك فأشعل حروبا كثيرة في الجهات البرانية وبحر طرق تغليات ابنه تغلاصمر الأول وغزا بابل وأشعل حربا على ملك اسمه نابيخاد نيطار (نابو كودور) وقال بعض المؤرخين والصحيح أنه ساق جيوشه إلى الجهات القاصية الجنوبية من فلسطين وأنه هو الملك المذكور في كتاب القضاة من كتب التوراة شوشانريس أثايم ملك ميزوبوتاميا أي العراق وعلى ما قيل أنه أخضع بني إسرائيل ثمان سنوات تحت حكمه وهذا القول استمر لحد الآن على قواعد غير مؤكدة الحقيقة

وجلس تغلاصمر الأول على التخت في نحو سنة ١١٣٠ قبل الميلاد فأخضع القبائل الموجودة في إقليم جبال زغرة وتغلب على سوريا الشمالية وأنشأ حروبا منطرفة على بابل ويظهر أنه كان صنادا مشهورا وشيد عدة تمبان كبيرة وسراريات وقصور لا غراض شهواته وأصلح طريقته الري وأدخل المواشي الأجنبية في آشوريا وزراعة النباتات الغربية أيضا وجعلها من النباتات الأصلية في المملكة وفي مدة سلطنته زادت قوة الجيش وامتدت حدود المملكة وشوكتها وفي هذه السلطنة كانت آشوريا بمملكة

كثيرة العمران في أعلى درجة من سطوتها محكومة بسطان واحد لها عاصمة واحدة كبيرة في وسط ملل وأقوام ضعيفة متجزئة لا حضارة عندهم ولا أدراك لهم

ومن بعد موت تغلائغلا صر الأول خلفه ابنه آشور بعلمنا لا وهذا لم يعرف له شيء سوى أنه أنشأ حرباً على ميزروپوتاميا السفلى (العراق) ويظهر أنه تسلط من نحو ١١١٠ قبل الميلاد إلى سنة ١٠٩٠ قبل الميلاد

واندكر الآن حضارة الاشوريين حسب نص الروايات المستخرجة من أطلائهم وأبنيتهم وتشمل هذه التذكرة مدة تاريخهم وقد أدربنا هنا حسب معرض الموافقة

وذلك أن الاشوريين استعملوا في العصور القديمة حروف الكتابة وحنظوا بواسطتها مع الاعتناء والدقة تسجيلات وتدوينات تاريخهم وكانت هذه التسجيلات إما محفورة على أحجار أو مدونة على طوب وكان هذا الطوب على صنفين ابن محقق في الشمس وأجر محرق بالنار فالأول لا تتلفه النار والثاني لا تتلفه المياه فكان جارياً في يد مخ التسجيلات على كل من صنف الطوب وبهذا حفظت من الضررين الكبيرين وهما النار والماء وكانت آشور عرضة لهذين الضررين ومن المحتمل أن جميع كتابات هذه الأمة كانت مدونة مع مواد هذه الصفة من الفخار وربما كان الورق مستملاً عندهم كما كان مستملاً في مصر لأنه كان مخصوصاً للتحريرات اليومية ونادر الوجود وما وجد منه شيء في أي بناء من الأبنية القديمة التي اكتشفها المتأخرون من أرباب الاستكشافات

وكان الاشوريون في أشغال المعادن وسن الفيل أي العاج والزجاج والتصوير والعمارة والنقش والحفر على الأحجار وتطريز الملابس وزركشتها ووضع الخروج عليها في أقصى درجات المعالي وكانت عماراتهم وأبنيتهم أقل حسامة من عمارات المصريين وبهذه الصنائع فاقوا على جميع الأمم الشرقية ولو أن الأحجار كثيرة الوجود في آشوريا الشرقية إلا أن صنف الطوب كان هو المربح عندهم في عماراتهم وكان أجل مبانيهم وأخفها سراياتهم الملوكة وكانوا على ديانة قليلة عن المصريين والبحريين ومن ثم كان لهم التفات زائد على زيادة عن آلهتهم وكانت هيأ كلهم لأمعنى فيهم ولا عبرة بهم مع مقارنتها بالسراى الملوكة وأجل السرايات الكاملة الاشورية التي لحد الآن ما صار استكشاف منها لها سراى ترجون في خورشيد آباد ومن هذه السراى ظهرت عمارات هذه الأمة في عالم الوجود وكذا صنائعها الزينة ونقوشاتها في هيأت بارزة وواظئة في غاية من الصنعة والاعتناء وهذه السراى مبنية مثل جميع السرايات الاشورية على راسية عالية أي دكة من الطوب وهذه الراسية مرتبة على هيئة دكتين في صورة التواء الا فرنكية غير متساويتين في العلو ونفس السراى مبنية على الدكة العالية مشتملة على عدة مبان مرصوفة حول دواوين ولواوين واسعة والبناء الاصلى المختص بالملك مبنى في وسط السراى الاصلية وله وجهة كاملة الانتظام بنقوشات مفتخرة وزينات ظريفة وفي وسط هذه الوجهة باب الطريق وأما الترتيبات الداخلية للبناء فكان فيها نوع انتظام ولا تماثل وكان ثلثا القسم الشمالى الغربى من السراى عبارة عن صالة استقبال واسعة العرض عظمة الابهة جلية القدر ودهاليزها وحيطانها منقوشة بنقوشات بارزة مجسمة الاشكال وأما الثلث الموجود في الجهة الجنوبية الشرقية فكان محلات سكن مركبة من قيعان صغيرة قليلة النقش والزخرفة والابواب مفتوحة في كل من جهتي السراى الكبرى أحدها في الجهة الشمالية الغربية يوصل الى مجلس مربع الشكل أو



سراى كائنة في الزاوية الشمالية للدكة الصناعية للسراى وفي وجهة بناء الوجهة الشمالية الغربية  
للسراى لا يوجد فيها موصّل الى الداخل وسطوح حوائط هذا البناء مشحونة بالزينة والنقوش وهذا  
البناء مركب من ست صالات واسعة منقوشة بأنواع النقوش البارزة وفيه بهوض قيعان أخرى صغيرة  
ويمكن أن نقول انه يوجد سراى ثانية مضافة الى السراى الاولى وسلامك ثمان معادل في الزخرفة  
والزينة للسراى الاصلية والمتمزقة المفتوح في الجهة الشمالية الشرقية لصالة الاستقبال في السراى  
يتوصل منه الى الدكة الواطئة الى سراى الخدم والحشم وأرباب الوظائف الكثيرة القيعان والمجالس  
والدواوين وكانت الدكة السدلى أو الواطئة الصناعية المبنى فوقها سراى سرجون مشغولة بالحريم  
وكانت قطعة هذا البناء مطلة على المدينة وتوصل مباشرة اليها أو ما الخان فكان في الوسط وهو عبارة عن  
سراى واسعة مربعة الشكل محاطة من جميع جهاتها ببنية الاسطبلات ومساكن السواك  
ومساكن عدد لا يحصى من العبيد وكان هذا البناء يقرب من موازنة أبنية المدينة بمحاطتين كبيرين  
كائنين في وسط الوجهة الجنوبية الشرقية لسطوح السراى وطرقه جميلة من زخرفة توصل كما ذكرنا من  
سراى هذا الخان الى صالة الاستقبال في السراى وكذا بابان صغيران يوصلان مباشرة الى قيعان السكن  
في داخل السراى وقد ذكرنا أنه في الجهة اليمنى من هذه السراى الضخمة يوجد الخان وهو بناء متسع  
يشتمل على عدة مجالس وقيعان تشكل قسما من محلات الخدم والمحلات العمومية لأرباب الوظائف  
وكان هذا الخان هو الخزانة لانه كان يوجد فيه مخازن الذخائر والمؤنات والاواني اللازمة للاستعمال  
في السراى الملوكية كما انه محل معتد لحفظ جميع الاشياء الثمينة التي ذكرنا سرجون عنها في كتاباته  
المنقوشة على الاجار أنه استحوذ عليها بقوة جيشه وخرنها في سرايته وكان الحريم يحاور الخزانة وهو بناء  
متوسط الامتداد والسعة يشتمل على ثلاث سرايات حيطان احداها مستورة بخارف النقوشات الثمينة  
المصفحة على الطوب وكثير من دهاليز طويلة عريضة معدة للاستقبال في المواسم والاعياد وتنتهي  
بقيعان مسكن عديدة واسعة وكان هذا الحريم مقفولا مع غاية التحفظ والاحتباس على الدوام  
وكذا كانت جميع المواصلات الى الخارج مقفولة وكان النساء يمدن أنفسهن بأنهن في سجن لا محالة  
ولا يتوصل اليه الا من فسحة مخفورة بالطواشيم وفي هذه الفسحة بابان أحدهما يوصل للسراى الكبرى  
للحشم والخدم ومدخل للذين يدخلون من الخارج الى الداخل والاخر يفتح على مجلس طويل ضيق  
يوصل الى محلات سكن السراى ومن هذا الباب كان الملك يتوصل الى خروجه من غير أن يراه أحد من  
العموم وخلف هذا الحريم برج ضخم شاهق العلو أو هرم مركب من سبع طبقات علوه نحو من خمسين  
يارده والسبع طبقات متساوية في العلو وكل واحدة منها أصغر في المساحة من التي تحتها ومبنيصة  
بالجبس الشاهق المختلف اللون ومن ثم كان يظهر عليها ألوان السبعة أبرام السماوية المقدسة وما كان  
سفل البناء في شئ من الزخرفة وكان هذا البناء معدا لرصد الكواكب ومتوطنا في أعلا النجوم  
من القنسن وتلامذة الكلدانيين الذين لهم دراية بعلم النجوم والفلك مجتهدون في مطالعة ومعرفة  
ما يكون من الاحوال والوقائع المستقبلة من رصدهم الكواكب

وما كان الاشوريون وراء كثير من الامم القديمة في فن النقش على الاجار وكان أجل شغلهم هو  
النقش المسنم البارز والغير البارز وعلى هذا كانت تماثيلهم نادرة الوجود وغير متقنة في الصنعة والرسم  
ولم ينسراهم الحصول على تعلم تصوير جسم الانسان بل كان جل شغلهم تصوير الحيوانات وهذه

كانت كثيرة الوقوع في نقوشاتهم غير المسنمة وقد ذكر رولينسن أن النقوشات غير المسنمة كانت عند  
الاشوريين منوالا جاريلا استعمال عليه فيما بينهم وكانوا يستعملونها في كل معرض يحتاجون فيه لتصوير  
هيئة بفن الصناعة سواء كان لبيان احساساتهم وأفكارهم الدينية أو لاجل تبجيل ملوكهم أو لاجل  
تدوين ما يلزم لذراريهم من تاريخ الامة وما كانت عليه من الشوك والابهة وينقشون حوادث الوطن  
ورواياته والاعمال التي كانت الامة مشغولة بها وينقشون الاراضي والعمارات ويقلدون أشكال  
النباتات والحيوانات حتى انهم يسمون أصناف العدد والالات الجارية استعمالها في أشغال عمارات  
هذه الابنية المهولة والتي زخارفها الاصلية هي هذه النقوشات الغير البارزة ولا يلزم أن يقال اننا عرفنا  
في الاشوريين أنهم كانوا غير قاصرين على صناعة النقش الغير البارز والمسمن بل كان لهم دراية تامة  
بالتواريخ وعلم الانساب وعرفنا هذا على الخصوص من نقوشاتهم التي أظهرت لنا مدة حياة هذه الامة  
بأكملها ولقد تسلطت عندهم النقوشات حتى كانوا يحفرونها على ألواح من الاجارير كبونهم في  
القطع السفلى من الحوائط التي يريدون زخرفتها

وكان للاشوريين في فن النقش على المعادن قريحة حادة جدا وكان يوجد عندهم ثلاثة أصناف  
من هذا الشغل وهي اما الصورة بتمامها أو قطع من الصورة أو مجسم الصورة فاما الصورة المجسمة  
فكانوا يصبونهم في قوالب مسككة بهيئتها ويتمون شغلها بواسطة الشواكيش والزاميل وينقشونها  
بواسطة آلات حادة دقيقة جدا وكانت الصور المجسمة صغيرة محصورة في صور الحيوانات ومعظمها  
صورة الاسد وكانوا يستعملون الرسوم الدقيقة الرفيعة في زخرفة التختات الملوكية والعربات وكانت  
هذه الرسوم محصورة في صور الحيوانات أيضا وأشكال الانسان وأجنحة الالهة والحيوانات الخرافية  
وكان شغل الحفر المسمن مدهشا عجيبا نظريا وكان يستعمل على الدروع الحربية والطوارق العسكرية  
والزينات الشخصية والاولوان البيتية وأشياء أخرى عديدة والمواد التي كانت مستعملة عند الاشوريين  
في الزخارف المعدنية محصورة في البرنز الماركب من جزء من القصدير وعشرة أجزاء من النحاس وهو  
مستعمل بهذه النسبة العظيمة لحد الآن والتظاهر أن الاشوريين كان لهم دراية تامة بتلبس أحد  
المعادن في آخر وكان لهم قريحة عالية في النقش على العاج وقطع الجواهر وصفائها والنقش عليها كما  
كان لهم دراية تامة في صناعة الصباغة واستعمال البكر والعتل والسطوح المائلة وكانوا يستعملون هذه  
السطوح المائلة على الدوام في هجوماتهم على القلاع الحصينة وحاز الاشوريون في ترتيب عساكرهم  
وتطعيمها وتنظيم طرق الهجوم والمدافعة وطرق التغلب على المدائن الحصينة الدرجة العالية على  
الملل التي خضعت لها

وكان الملأ بمنعز لا عن تحت من الطوائف بواسطة رسوم تحيات شديدة وكان لا يرخص لاحد في  
الدنومة ما عدا من يكون بواسطة خواص حاشيته وخدمه الخاصة بسريره اذ أنه كان على الدوام في  
صحبتهم ولا يجوز لاحد فتح مكالمة معه الا وزيره وكبير الطواشيه فانهم مأمورون له بما يذلك وعند مقابله  
أحدا منهم ما يجاس الملأ على تخته ويجثوا الواحد منهم ما أمامه وكان العساكر يحملون التخت عند  
ما يتوجه الملأ الى الحرب وكان ملك الاشوريين يقاسي أصعب العيشة وأشدها وكان ذلك قافونا  
عندهم وكانوا يتغفلون في مدة السلم بالاشغال العمومية والادارات أو الاحكام العدلية ويجدون اذنة  
حياتهم في تكبد الاخطار والمشاق في صيد الاسود والابقار الوحشية وكان الملأ يركب للعرب في



عربته وأحياناً يعيش على رجله ويدير حركة العساكر والجيش وكان يظهر حريته نفسه للامة مع بقاء  
عالمه مقامه وعزته في كل شيء وما كان عنده أدنى ضعف ولا فتور عن الحركات الحربية والوقائع  
العسكرية كما زعم اليونانيون وكانت الاحتفالات الرسمية مقررة عندهم على قاعدة ثابتة وكان  
ملبوس الملك وقت السلم والحرب زياً مجيداً وأبهة وكان له ملبوس خاص يلبسه في الاحتفالات والشعائر  
الدينية لآظهار نفسه من بين رعيته

وكانت آلات الموسيقى عند الاشوريين محصورة في العود والقانون والقيثارة والمزمار والصفارة  
والطبل والصاجات والطار والطر بمببطة وصف طقم الموسيقى في مابين في النقوشات المسنمة ويظهر  
أنهم كانوا يستعملونها أحياناً في الاحتفالات العمومية وكانت الملابس المعتادة المستعملة عند عامة  
الامة جبة سادة واصله من الرقبة الى ما فوق الركبة بقليل ملوومة على الخصر بواسطة حزام أو سبقة  
وكانت أكامها قصيرة وما كانوا يسترون رؤسهم بشيء ولا يلبسون نعالاً وكان الملك ومأموره  
يلبسون المراصير في أرجاءهم وطواقى على رؤسهم وأما الناس المتوسط والدرجة فكانوا يلبسون  
نعالاً في أرجاءهم وكان العساكر والوجه من أعيان الناس يلبسون ألبسة ضخمة ومراكيب من  
الجلد وما كان الاداني من الناس يلبسون ملابس مفتخرة وأما دمالج الاذرة وأساور الايدي فكان  
مخصصاً بالمراتب والرتب وكان العساكر وطقم الموسيقى يلبسون حلقاتاً في آذانهم وكان أرباب الرتب  
يلبسون قيماً طويلاً مكشكشة واصله من الرقبة الى القدم قصيرة الأكام سائر الأكام فقط ملوماً  
على الوسط بواسطة حزام بحيث يجعله موافقاً للملبوس وكان نساء الدرجة العالية من الطوائف  
يربطن ربطة الرأس والحلقات والدمالج والأساور وهذه كانت صيغتهن ويلبسن جلابيب مكشكشة  
زائدة في الشغل عن جلابيب الرجال وأكامها قصيرة وكن يلبسن فوق هذا الملبوس جبة قصيرة  
مشغولة مفتوحة الصدر سائرة فوق الاذرة الى حد الكوع وشعورهن مسبولة في الخلف على هيئة  
ضفائر وجداً ثل أو ملوومة على هيئة حلقات ومما يصح لحد الاذان وضمائر الشعر الخلفية مركبة  
من أربعة ضفائر وكن يلبسن أيضاً قطاعات على رؤسهن ويتخذن بسيور في أوساطهن الأمان  
كن حافيات الاقدام أو لابسات نعالاً صغيرة وأما نساء الطوائف الواطئة فكان يلبسن جلابيب  
واصله الى الكعب وقاطاف فوق الرأس وكانت زينة وهيشة نساء الاشوريين اللاتي من الطبقة الاولى  
في أعلى درجات الطنطنة والجمال في حياتهن الدنيوية

وكانت ديانة الاشوريين مشابهة للعبادة الكلدانية وكانت قرية منهم في الشعائر والرسوم  
الواجب اجراؤها للالهة وغيرها الكبرى كانت توجد آلهة صغيرة خاصة باشوريا وكان أكبر  
عموم الالهة عند الاشوريين هو الاله الأكبر آشور وكان هو الحافظ لكل من البلاد والعباد  
وبواسطته يجاس الملك والمملوك على تخوتهم ويقوى شوكتهم ويطول في حياتهم ومدة ساطنتهم ويغنيهم  
الايام السليمة وينصرهم في الحروب وكان كل من المملوك يقول آشور ربي وليس له معبد أو مزار في  
أى جهة من جهات المملكة ويعتقدون أن جميع المعابد والهيكل مفتوحة من أجلهم مما كانت  
مشتملة على آلهة وكانت ديانة الاشوريين خالصة لعبادة آشور وكان المملوك يجعلون في أنفسهم أن مدة  
حياتهم بخدمة وعبادته ويحاربون لا تنشر عبادته ويملكون أعداءه وكانت صورة آشور عبارة عن  
شكل ذى أجنحة على هيئة دائرة أو كرة داخلها صورة رأس عليها طقمة ذات قرنين أحياناً يكون

ما سكا في يده قوسا وأحيانا يضرب بنباله على أعداء الاشوريين  
وكان الاشوريون يعبدون من تحت أشور في الازمان القديمة آلهة كثيرة بأسماء مختلفة وكانت أصنام  
هذه الآلهة تعمل من الاجار أو من الفخار وكانوا يقتربون لها قربانا من الحيوانات والطيور وكان  
لديانة الاشوريين صفات وشعائر واحتفالات خاصة بهم

## ( الباب الثاني )

من سلطنة آشور بعثنا الى سقوط المملكة الاشورية

المدة الغير الحقيقية لتاريخ الاشوريين - سلطنة آشور عزربال - سرعة تقدم آشوريا في مدة  
سلطنته - تغلباته - غزواته - صلته مع المصريين - تغلبه على سوريا وارسام اسرائيل على دفع  
الخراج - شمسبول الثاني ومدة حدود المملكة - سهراميس - المدة المعتمدة في تاريخ  
الاشوريين - تغلا نغلاصر الثاني وتأسيسه لمملكة آشورية جديدة - امتداد ممالكه - صلته مع  
الرابع وغزوة فينيقية واسرائيل - نجاح عصيان سرجون - سلطنته الزاهرة - تغلبه على  
مصر - ملك سنجاريب - تغلبه على بابل - ارساميه وداكونم اخراجيه له - ابادته جيشه وتدميره  
بأية من عند الله - حروب سنجاريب الاخيرة - غزوة الاعلامية - عصيان أهل بابل وتوددهم  
للمخضوع والطاعة - فتح صيلصيا - تأسيس طرسوس - قتل سنجاريب - ملك ايصر حثون  
- تغلباته - حملته في بلاد العرب - تغلبه على مصر - خلافة آشور بانيمال على التخت - هشم  
ثورة المصريين - سلطنة آشور بانيمال الزاهرة - آخر سنيه - الحرب مع ميديا - تغلب الصيبيانيين  
على آشوريا - خراب المملكة - عدم تأسيس مملكة جديدة - ملك صرقوس - تجديد ميديا  
الحرب - خيانة نابوبولصار الذي جعل نفسه ملك بابل وانضم لليديين - موت صرقوس - ضبط  
نينوى - سقوط المملكة الاشورية

كان تاريخ الاشوريين خاليا بالسكينة من ابتداء سلطنة آشور بعثنا الى أواسط القرن العاشر قبل  
الميلاد ومن المحقق أن المملكة لم تلبث مدة من الزمن تحت ظلمات من السحب ومن المحتمل أن يكون  
ذلك ناشئا من سرعة تقدم الممالك الاسرائيلية في مدة سلطنة داود عليه السلام ومن كون البابليين  
حجبوا أنوار شوكة المملكة الاشورية مدة من زمان ما حصل من وجود أسباب هذا الاضمحلال  
الوقتي فإنه لم يتيسر لنا الحصول على معرفة أدنى شيء محقق من تاريخ الاشوريين في عصر هذه المدة  
وكانت جميعها مقصورة على سلطنة آشور بعثنا الاو ذلك لاشك فيه وانتهت سلطنته في نحو سنة ١٠٩٠  
قبل الميلاد وخلفه في سلطانه أخوه الاصغر شمسبول ولا نعرف لهذا من تاريخه شيئا يعول عليه  
الا أنه بنى أورم معبدا في نينوى والظاهر أن سلطنته انتهت في نحو سنة ١٠٧٠ قبل الميلاد  
ثم من بعده تغشى آشوريا ظلمة خفيفة في نحو سنة ٩٠٩ قبل الميلاد وكانت العاصمة لم تزل باقية  
في آشور وتسلطن فيها عدة من الملوك كان لهم من الملك الاسم فقط وتشبهوا بسلالة العصور القديمة  
وعكفوا أنفسهم على توسيع المباني العمومية وترميم ما كان الدهر عصفه بآنيابه فاكسبتهم هذه الحالة



شرف الذي كرفوا وكان أول هؤلاء الملوك آشورديان والظاهر أنه جلس على التخت في نحو سنة ٩٣٠ قبل الميلاد وذلك من بعد فصل ملكتي بني إسرائيل من بعضهم ما وهبهم إسرائيل ويهوذا بقليل ومن المحتمل أنه تسلط من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩١١ قبل الميلاد ثم خلفه ابنه علوش الثاني فاستمر هذا على التخت الى حد سنة ٨٨٩ قبل الميلاد

وانقضت المدة الغير المحققة للتاريخ الاشورياني في سنة ٨٨٩ قبل الميلاد عند ما جلس تغلاشين الثاني على التخت فتسلط من ست سنوات وخلفه ابنه آشورعزربال في سنة ٨٨٣ قبل الميلاد وكان ملكا على الهمة جليل الشوكه ابتدأت آشوريان تحت حكمه في تغلباتهم وفتحاتهم فاضع هذا الملك الابلال الامم المجاورة له وساق جيوشه المنصورة الى داخل اقليم زغرة وأرمينية والعراق الغربي وبابل حتى التصق في أول مرة من حروباته باليديين والفرس وأخذت حدود المملكة في الامتداد والسمعة وصار لا شورياشوكه قوية على كل حد من حدودها وانتقلت الامة الاشورية مرة واحدة من الظلمة الى النور ومن الخيض الى الالوج وفي ظرف مدة قليلة من الزمن قدرها ست سنوات باشر آشور عزربال عشر حروب فكانت الاولى والسابعة والعاشره منها في الاقاليم المتقدمة المذكورة اما التاسعة فانها تفيدهم على التاريخ المتأخرين فائدة عظيمة وذلك أن ملك الاشوريين سار بجيشه مباشرة الى نواحي قرشميش بعد أن عبر الفرات على رومس عملت لتعديته ولما أخضع قرشميش تحول في أراضي باطينة وهو اقليم كان في نواحي أنطاكية وحلب خضعت له مدائنه ثم سار مع الف والاوران حول سفوح ومهابط جبل لبنان الشمالية حتى أدرك البحر الابيض المتوسط وأقام محاريب وقرب القربان للآلهة وأرسل ايلات فينيقية من أردوس الى الجهة الجنوبية فسارعت اليه بانقيادها وخضوعها لادلاطاقة لها على مقاومة تقدم سيره وصدده وعاد قافلا الى مملكته محملا بالغنائم والانهال

وما كانت سلطنة آشورعزربال مقصورة على المحاربات فقط بل حصل فيها تقدم آشوريابسرعة في البروة وفن الصنائع وكان تقدمها في الصنائع من الامور الغريبة جدا وذلك أنه في مدة هذه السلطنة أقيمت أبنية فاخرة وزينت بالنقوش التي كانت تستعمل في الزمن القديم وكانت هذه النقوش مجسمة على الطوب بالجبس وبحير المرمر وقال رولينسن ان دلائل النقوش وحدها كافية في أن يظهر منها أن الامة الاشورية كانت في مدة سلطنة آشورعزربال أمة عظيمة في رفاهية من الحياة الدنيا اذ أنهم ما كانوا مستحوزين على الصنائع النافعة فقط بل جعلوا الهارونقا وأبهة عالية وما كانت ملابسهم وأثاث مسيا كنهم وحليهم وجواهرهم على فرق كبير من الموجود في أزمنتنا هذه

وفي سلطنة هذه المدة ومدة من خلف هذا الملك الكبير انغرس آداب العلوم في آشور وصار تسجيل مدة كل سلطنة بواسطة الحفر على الاجار أو النقش على اسطوانات من فخار وبهذه الوساطة حفظ لهذه المملكة تاريخ تام وأقيمت قواعد النظام الاشورياني في جميع أنحاء المملكة وتواصل الامم الاجنبية مع بعضهم نظرا لشوكه الاشورية وجاءت جبال همدان وأفيالها وغير ذلك الى آشوريا وفي مدة هذه السلطنة صارت آشور وهي العاصمة القديمة غير موافقة بالسكينة لاصوال المملكة فانتقل مقر الحكومة الى قلعة وزينها الملك بيمان بجسمية مفتخرة وأشغال عمومية معتبرة

ثم خلف صلمنصار الثاني أبوه آشورعزربال في سنة ٨٥٨ قبل الميلاد وتسلط من خمس وثلثين سنة وفي ظرف السبعة والعشرين سنة الاولى من سلطنته باشر ثلاثا وعشرين حربا يكونه هجم على التوالى على

كل من بابل وكالديا وميديا و زمرى وأرمينية والعراق الاعلى والاراضى الموجودة على ميساه نهر الدجلة  
والحسين وباطينة وطبرانة و حجة والاعمال السورية لدمشق وباشر ثلاث حروب على دمشق  
وتساعدت هذه المملكة بقوى مملكة اسرائيل وحجة والحسين والفنيقيين وكان حصل عند كل من  
هذه الممالك الخوف والوجل مما رأيت من تقدم شوكة آشوريا وكان حصول الحرب الاول في السنة  
التاسعة من سلطنة صلمنصار والحرب الثاني من بعد مضي خمس سنوات والثالث في مدة الثلاث سنين  
الاخيرة من سلطنته وكان السور يون ومخالفوهم تحت قيادة بنحداد ملأ دمشق وكان ما حصل من  
الاجتهادات من الاشوريين في مبادى الامر على غير طائل الا أنه حصل لهم النجاح في الحرب الاول  
وانهم لم يخالفوا مع خسارات جمة وانه قض اتحادهم وخضع أعضاء الاتحاد للفتح ما عدا دمشق فانها  
بقيت على حداثها امامه يد ويد وفي السنة التالية ساق حربا رابعا كانت نتيجة انه زام السوريين تحت  
قيادة حزبال ومن بعد مضي ثلاث سنوات غزا الاشوريون سوريا فوهن حزبال وعلاجبته وصار لا طاقة  
له أن يجرى أى مقاومة وقدم خضوعه للملك الاشوريين حتى ان مملكة اسرائيل البعيدة عن موقع  
الحروب كان لها الحظ الا وفروا في مشتراها ما يمنع عنها العتابة بواسطة دفعها الخراج

وفي السنة الاخيرة من سلطنة صلمنصار انفجرت ثورة مهولة تحت قيادة ابنه ولى عهده وهو آشور دانيال  
خطم الابن الثاني للملك هذه الثورة وهو شماسعول وأما ولى العهد فانه ما قتل في الحرب أو امر أبوه  
بقطع رقبته وفي سنة ٨٢٣ قبل الميلاد هلك صلمنصار وخلفه ابنه شماسعول الثاني وتسلطن  
ثلاث عشرة سنة وكانت آشوريا في هذا الوقت صاحبة الشوكة والقوة العالية في آسيا ولأن أرمينية  
الموجودة في الجهة الشمالية باقية من دون تغلب عليها الا أن شوكة المملكة كانت ممتدة الى الجهة  
الغربية لحد تخوم مملكة يهودا وكان كل من سوريا وفينيقية وحجة واسرائيل ايلات خراجية للمملكة  
الاشورية وأما الحد الجنوبي فانه كان باقيا بغير تبديل ولا تغيير لان بابل ولو أنها أحيانا خراجية الا أنها  
كانت متميزة عن جميع الايلات الاخرى في موقعها و مركزها وكذا كان حصل التغلب على بعض اراض  
في الجهة الشرقية وكان الميديون والفرس في هذا الوقت قبائل وعشائر رحالة لا حضارة عندهم  
ولا حكومة ساطانية لهم فصار صلمنصار الظفر الاكبر على الميديين وأرغم الفرس على دفع الخراج وساق  
شماسعول الثاني حروبا منظرية على الميديين والفرس والبابليين الا أنه لم يصف شيئا من الاراضى الى  
مملكته ثم هلك وخلفه ابنه علوش الثالث في سنة ٨١٠ قبل الميلاد

ومد علوش الثالث ممالكه في الجهة الشرقية والغربية بواسطة سوقه ستا وعشرين خرابا  
وأقام سيادته على بابل ووصلت المملكة الاشورية من الخليج الفارسي الى حد البحر الابيض المتوسط  
وكانت زوجته سموراميط هي الوراثة لمملكة بابل وعلى ما قيل ان هذه هي سميراميس التي خلد لها  
الجريق والرومانيون تواريخ خرافية بحيث جعلوها كبروا شجع وأبسل انسان كان على وجه  
البيسطة الارضية كما أنهم جعلوها أقبح وأجفروا فسق انسان في تاريخ الخليقة والمربح أن سميراميس  
كانت امرأة تينوس بن نمرود مؤسس مدينة نينوى وأن سموراميط هذه كانت فقط أكبر  
معين لزوجها علوش الثالث في الاحكام والادارات وبعث علوش الثالث تغيرت السياسة الاشورية  
وتاريخها وانقطعت سلسلة السلطنة في سنة ٧٨١ قبل الميلاد والى حد سنة ٧٤٥ قبل الميلاد كان  
تغشى تاريخ آشوريا بحب الظلام وفي هذه المدة عقدت مملكة آشوريا معاهدات سياسية سلمية



ضعيفة وانقطعت حركة التغليات والفتوحات وظهر على المملكة دخولها في حيز الهبوط والاضمحلال بأي حالة كانت وفي خلال هذه المدة تساقطت في المملكة ثلاث ملوك هم صلنصار الثالث من سنة ٧٨١ الى سنة ٧٧١ ومن بعده آشورديان الثالث من سنة ٧٧١ الى سنة ٧٥٣ ومن بعده آشورلوس الثالث من سنة ٧٥٣ الى سنة ٧٤٥ قبل الميلاد وفي هذه المدة أيضا عصت بابل تحت قيادة نابونصار واريجت وترزلت آشوريا الاصلية بواسطة ثورة مهولة جالس فيها تغلا ثغلاصر الثاني على تخت المملكة وأدخل مملكة آشوريا الجديدة أو السبلى في عصر تاريخ مجيد وسودد فريد وفي أثناء الايام الاخيرة من المملكة الاولى أرسل الله سبحانه وتعالى النبي يونس بن متى الى مدينة نينوى لينذر أهلها سوء العذاب ان لم يتوبوا عما هم فيه من معصيته سبحانه وتعالى

وابتدأت مملكة آشوريا الجديدة أو السبلى بسلطنة تغلا ثغلاصر الثاني سنة ٧٤٥ قبل الميلاد والاحوال التي حاز بها تاج المملكة والحكومة غير معلومة لنا الا أنه كان رجلا غاصبا دنيء الاصل وبواسطة اجرائه عدة حروب تعسفية مهولة استرد ثانيا جميع ما فقدته أسلافه حتى انه زاد في مملكته وغلب على دمشق ومدينة سمارية وصور و فلسطين وعلى عربان بحيت جزيرة الطور وأوسينا وغلب أيضا على الاراضي الواقعة في شمال مملكة اسرائيل ودمر أراضي المملكة الكانانية وراء نهر الاردن وساق أهلها أسرى الى آشوريا وجعل مملكة يهوذا خراجية له ثم هلك وخلفه صلنصار الرابع سنة ٧٢٧ قبل الميلاد

ومن بعد جلوس صلنصار الرابع على كرسي المملكة بقايل رؤف هوشيا ملك اسرائيل دفع الخراج لكنه أرغم للخضوع ثانية ومع ما كان عليه هوشيا من هذا الخضوع فانه عصى ثانية من بعد مضي بضعة سنين وأدخل نفسه في مخالفة مع المملكة المصرية وكانت مصر في ذلك الوقت تحت حكم صبايح الحبشي وغزا صلنصار فلسطين وقسم عساكره لاجل الهجوم على فينيقية وكانت خرجت عن الطاعة وقت موت تغلا ثغلاصر الثاني وكذا على مملكة اسرائيل وحاصر كلاً من مدينتي صور وسمارية ولم ينبجح في اجرا آتة الحصار على مدينة صور وهزم الصوريون الاسطول الذي جمعه لاجل الهجوم على هذه المدينة من البحر وأبادوه وأما سمارية فانه استمرت بصورة لمدة سنتين وفي أثناء هذه الاعمال انفجرت ثورة في آشوريا وضبط قائد هاسرجون التخت وقلب سلطنة صلنصار وقرضه في سنة ٧٢١ قبل الميلاد

وحاز هاسرجون لنفسه أبهة الملك وذلك انه شرع في اقامة وتشيد سلطنته على كامل مملكة آشوريا وحطم جميع المعاندين والمخالفين له بعزم ثابت وسلبت سمارية نفسها بالثواب في السنة الاولى من سلطنته وخربت المدينة ونحلت البلاد من أهلها وانتقل الاسرائيليون الى غزاة طيس وميديا وكان هاسرجون تغلب عليهم ما على الفور عند جلوسه على التخت وخضعت له سوريا أيضا ولما تم هرجون هذه الاعمال حول جيوشه على مصر حاكمة مملكة اسرائيل وكانت هي المملكة الوحيدة القوية الشوكة التي بقيت غير خاضعة لمملكة آشوريا فتقابل الجيشان في نواحي رافية من الجهة الجنوبية من غزة وانهمز المصريون هزيمة فاصلة ولما أنهم كانوا متساعدين بالناسطينيين وتولد من هذه النصر أن صار هاسرجون سيد فلسطين ومصر السفلى وثبتت سيادة الاشوريين في مصر واتتخمت ملك المصريين في حدود صعيد مصر وصار خراجا ل هاسرجون وكذا أرسل ملك مروى من اثيوبيه بخضوعه الى

هذا الفاتح ومن بعده هذا وجهه بجون التفاته الى جهة بابل وتغلب عليها وصار سرجون ملك بابل  
وكامديا وأعقب هذه النضرات بالتغلب على الارمياينة وأخيرا تغلب على قسم من السوس سنة  
٧٠٩ قبل الميلاد وفي السنة التالية أرسلت جزيرة قبرص بخضوعها له ودفعها الخراج وصار سرجون  
سلطان الدنيا القديمة وأظهر أمة سلطنته بكونه شيد سراية مفخرة ومدينة في دور سرجينة في  
خورشيد اباد وكانت السراية أجل وأجمع بناء من حرف بالنقوش وأنواع النساوير لم ين قبل نظيرها  
في آشور يا وقد ذكرنا وصف هذه السراية في الباب السابق من هذا الكتاب

وانتهت سلطنة سرجون بموته في سنة ٧٠٣ قبل الميلاد وخلقه ابنه سنجاريب أشهر ملوك الاشوريين  
وفي مدة سلطنته وصلت المملكة الى أعلى درجات الفخار والابهة وعظيم الشوكة ومن بعد جلوسه  
بقليل عصت بابل تحت قيادة مردوخ بعلا دن فهزمه سنجاريب شرهزيمة سنة ٧٠٣ قبل الميلاد  
وأجلس على تخت بابل عاملا من الاشوريين ثم استبدله من بعد مضي سنة أو سنتين بابنه الأكبر  
أشور عناديسو وكذا الماعصت فينيقية سار اليها سنجاريب وأرغمها الخضوع والطاعة ثم استمر في سيره  
الى الجهة الجنوبية وتغلب على فلسطين وكانت عصت من قبل وأرعب مصر وأتت بنبصرة عظيمة  
اكتسبها على جيوشهم في واقعة حصلت في عطاخو وأرغمها على الانقياد والخضوع لطاعته ثم سار  
الى اورشليم وأرغم حرقيا على أن تكون خراجية له ولما عاد الى بلاده حطم ثورة كانت حصلت جديدا  
في بابل

ثم استمر افتتاح القرن السابع قبل الميلاد بصيبة من أعظم المصائب التي ما تكبدت آشور يا بنشها أبدا  
وذلك أن حرقيا ملك يهوذا تجاسر بماذاقه من ألم العذاب قبل ذلك بمدة سنتين تحت حكم ملك آشور يا  
ودخل ثانيا في محالفة مع مملكة مصر ونحاع بيعته وطاعته لملك آشور يا فعزم سنجاريب على عقابه  
وأليم عذابه وفي سنة ٦٩٩ قبل الميلاد سار من نينوى الى فلسطين بجيش جرار قوى البأس كثير  
الناس لاجل حطم العاصي حرقيا ولما علم علم اليقين أن مصر هي العدو الحقيقي لآشور يا وليست يهوذا  
سار في طول ساحل البحر الأبيض نحو الحد المصري عازما على حطم وهشم مصر قبل معاقبته مملكة  
يهوذا فانهجزتة دم سيره بواسطة قلعتي لبنة ولاخيش الموجدتين على حد فلسطين من نواحي مصر  
والظاهر أن هاتين القلعتين كانتا في هذا الوقت تحت حكم المملكة المصرية فوضع سنجاريب الحصار  
في الحال على لاخيش وتغلب عاها في أقرب وقت ثم حاصر من بعدها لبنة ولما رأى سنجاريب في أثناء  
ذلك أن حرقيا لم يزل مصر اعلى ما هو عليه من عدم الطاعة والانقياد أرسل نحوه فرقة من جيشه تحت  
قيادة الشر بساقي أي كبير شرابه والر بساريس أي كبير طواشيتيه ليدعوا اورشليم الى التسليم  
وأرفقه بمكتوب مشحون بالسب والوقاحة في حق اله اسرايل وبهذا استوجب انة الله سبحانه  
وتعالى منه فرفض حرقيا هذا الطلب ولما رأى قواد الاشوريين ان الفرقة التي معهم لا طاقة لها  
على التغلب على مدينة حصينة مثل اورشليم عادوا الى سنجاريب وقد كان تغلب على لاخيش وحاصر  
قاعة لبنة فأرسل ملك الاشوريين بلاغا جديدا الى حرقيا مع مكتوب كتبه بيده جدد فيه طلبه في  
خضوع يهوذا وينذر حرقيا بما آلت اليه عاقبة الملوك الذين عاندوا آشور يا وقاوموها وذكرك له في مكتوبه  
كلاما من سياق الكفر قائلا ان الهك الذي أنت معتمدا عليه لا طاقة له على خلاصك من يد الاشوريين  
فأخذ حرقيا هذا المكتوب وتوجه به الى المعبد وفرد أمام الحق سبحانه وتعالى ونضرع اليه



في مساعدته له على سنجاريب الذي أرسل له يسب في حقه عدوا بغير علم سبحانه وتعالى فأوحى الله الى شعيا النبي أن قل لحزقيان ملك آشور يا لاطاقة له على القرب من أورشليم ولا على أن يوقع الرعب فيها وأنه لا بد من عودته قورا الى بلاده من بعد أن يرى سوء عقابه

وفي غضون ذلك لما سلمت لبنة سار سنجاريب الى نواحي بلوزة وهي الفرما من أعمال مصر وعلى حدودها وكان الجيش المصري منتظرا وصوله اليها تحت قيادة سسيطوس وفي اليوم الذي فرد فيه حرقيا مكتوب سنجاريب أمام الرب سبحانه وتعالى كان سنجاريب معسكر بجيشه أمام جيش المصريين عازما على الهجوم عليه في صباح اليوم التالي فأنزل الله آيته في الليل على جيش سنجاريب ومات منه في هذا الموقع ١٨٥٠٠٠ نفس من الاشوريين وهم نائمون فانكرب سنجاريب وارتاع من هذه الآية المزعجة الكبرى وضعفت قوته وعجزت عزائمته وتفكر في نفسه في أنه صار لاطاقة له على استمرار الحرب وتزلزله معسكره في الحال وأسرع في الفهقرة ولما رأى المصريون ما حل بجيش سنجاريب من الارتباك ووقوع الفشل والهرب أسرعوا خلفه معقبين له فأسرع في السيرة وأبطل حروبه وعاد ملك آشور الى نينوى مع من بقي من جيشه الكفيف ومن المحتمل أنه حصل وقفة من الزمن في الاعمال الاشورية ومع ما حصل فان هذه الامة القوية الشوكية لم يحصل فيها نقص ولا اضطراب من هذه الخسائر الجسيمة ومع كون سنجاريب امتنع من أن يوجه مساعيه في العود ثانية الى فلسطين في المدة التي كانت باقية من سلطنته الا أنه حاز نصرات عظيمة في جهات أخرى غير فلسطين وذلك انه ساق حربا منظرًا كان أكبر حرب وأعظم حلة جملها في تغلباته في القسم الشمالي من سلسلة جبال زغرة ومن بعد هذا أشعل حربا شديدا على البابليين والسوسيين والظاهر أن ذلك كان بسبب أن البابليين انتهزوا الفرصة وقت حصول المصيبة لسنجاريب في بلوزة وخلفوا طاعتهم من تحت حكم الاشوريين وأن السوسيين أو الاعلاميطيين أوقعوا على أنفسهم غضب آشور يا حيث استقبلوا كلداني بيت ياقين وأخذوهم تحت حمايتهم ومحافظةهم وكانوا هربوا من ممالك سنجاريب وأخذوهؤلاء معهم آلهتهم وكنوزهم وذخائرهم ونزلوا في مراكبهم وعبروا الخليج الفارسي ونزلوا على الساحل الاعلاميطي فاستقبلهم ملوك السوسيين مع الشفقة والرحمة وسمحو لهم بالاستيطان في أرضهم فعزم سنجاريب على أنه من بعد أن يخضع بابل لطاعته ينتقم من الاعلاميطيين ولما أرغم بابل بالخضوع والانقياد له جلب اللحم الغفير من صناعات المراكب من فينيقية وملاحيم من سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت سلطنته سائدة عليهم وأنشأ أسطولا من المراكب الحربية الجسيمة المسماة بالغلايين الفينية في أسفل نهر الدجلة وشحن جيشه في هذه المراكب الكبيرة الحجم والسعة التي ماشوهم مثلها قبل على هذه المياه وعبر الخليج الفارسي ونزل على قسم الساحل الاعلاميطي المتوطن فيه مهاجرو الكلدانيين ودمر المدينة التي كانوا سيدوا أركانها وجاس في البلاد والديار وخرّبها وأحرق عددا كبيرا من المدائن الاعلاميطية وشحن جيشه وأسراه في مراكبه وعاد الى الدجلة من دون أن يقابل أدنى مقاومة من الاعلاميطيين وكانوا منتظرين هجومه عليهم من طريق البر وكانوا جمعوا جيوشهم في حدودهم الشمالية الغربية فدهمهم نزول الاشوريين على سواحلهم وأخذهم الهجوم من كل جانب وما كانوا على استعداد في مقاومته في النواحي التي جاس فيها سنجاريب ولو أن سنجاريب نجح في غزواته هذه لانه لاقى قلاقل وارتباكات كانت في انتظاره حال عودته وهو

أن عموم رعيتيه اعتبروا غزونه وحملته هذ من أكبر المخاطر وأنه لا بد من هلاكه وتدمير أحواله بواسطة البحر فن ثم تولد من هذا الامل عند البابليين أن قاموا في ثورة في الوقت من بعد سفر الاسطول من الدجلة ثم لم يروا من بعدها الا عود الاشوريين من غزوتهم متوجين بتاج الظفر والنصر من السوس ولما نزلوا على ساحل بابل شرعوا في الحال في اخضاع الاقليم واعادته لطاعتهم وحصل من ذلك واقعة كبيرة أسرف فيها ملك البابليين صوصوب ومن بعد قليل دخل السوسيون في بابل لاجل معاضدة حلفائهم فشتبهم الاشوريون وهزموهم وأوقعوا فيهم خسائر جمة والتزمت بابل بالانقياد والطاعة وعاد سنجنار يب مظفر بالنصر الى آشور يا لاجل كسر شوكة السوسيين عزم سنجنار يب على أن يغير على تلك المملكة بجيش جرار فدخل في قلبها وأخرب أربعين وثلاثين من أكبر مدائنها وكثير من قراها وتغلب على مدينة بذاقة وهي المدينة الثانية في المملكة وأضاف الى المملكة الاشورية مدينتي بيت كهري ورازو كان السوسيون تغلبوا عليهم في مدة سلطنة سرجون وعاد الى نينوى محملاً بأثقال الغنائم والانفال وتاركا السوس في غاية الدمار والخراب وبعد ذلك بقليل اشتعلت نار الحرب ثانية في نواحي بابل وذلك أن صوصوب الملك الذي كان أسره سنجنار يب في سمة الغزوة البحرية تخلف من أسره وهرب وعاد الى بابل فرحب الامة به واستقبلوه استقبال الملك فاعتصب الخزان والكنوز وأخذ جميع الاموال والذخائر التي كانت موجودة في هيكل بعيل في بابل وجميع ما كان موجودا فيه من الخي والحمل واستبدل ذلك جميعه بنقود كافية واشترى مخالفة السوسيين فسار والمساعدته وانضم الى البابليين أيضا جلة قبائل وعشائر من عصاة أرمينية من الاقاليم المتوسطة لنهر الفرات وتلاقى سنجنار يب مع هذا الجيش المتحالف في نواحي خالوي من أسفل الدجلة ومن بعد محاربة طويلة وسفك دماء كثيرة هزم سنجنار يب هذا الجيش وانتكث التحالف وأرغمت بابل بالانقياد والطاعة وانتمى المولى المتحالفون على أن يجدوا سلامة أنفسهم في الهروب وعاقب سنجنار يب بابل بأشد العقاب وهدم أسوارها وساب هياكلها وحرقها وكسر صور وتماثيل آلهتها قطعوا ووظف عايلها عاملا آشوريا مرة ثانية

ومن بعد ذلك بمدة شرع سنجنار يب في الحملة على صليصيا وفيها تقابل الاشوريون مع الجيوش البحرية قيمة أول مرة وانهم زعم الاسطول البحري الذي كان محافظا على سواحل صليصيا بواسطة مراكب سنجنار يب ومن المحتمل أن البحريين انهم زعموا أيضا في البر في نواحي صليصيا وخضعت هذه المملكة للفاتح وتزوج سنجنار يب فتوحاته بتشييد مدينة جديدة على منوال بابل سماها طرسوس وصارت هذه المدينة من أشهر مدن الدنيا وأعظمها وهي مسقط رأس الخواري بولس

وكان سنجنار يب محبا للعمارات وأحاطها بالقانون والسناعات وابتنى سراية في نينوى حجت بسعتها وزخرفتها أنوار جميع المباني التي كانت شيدت في آشور يا في الازمان القديمة وكانت وحيدة عصرها في جمال الزخرفة واتقان البناء واحكام النقوشات وكانت أجمل بناء بعد السراي التي بناها من بعده حفيده آشور بانيبال وفي مدة هذه السلطنة أخذ فن النقش والتصوير درجة عالية في التقدم

وبنيت مبان أخرى كبيرة في محال مختلفة من المملكة وأنشئت الخيلجان والترع والمجاري اللازمة لجلب أجود المياه الى داخل المدينة وكانت مياه نهر الدجلة محصورة في مجراها الاصل بواسطة أرض صفة وحواجز مبنية من الطوب وانغلقت سلطنة سنجنار يب بقتله بواسطة ولدين من أولاده في سنة ٦٨١ قبل الميلاد وكذا ذبح القاتلين أخوهما الوارث لتاج المملكة بعد أبيهم وهما أيضا من بعده مضى بضع



شهورهريالى أرمينية من أخيه - ما الاصفرايصرحدون وكان مساعدا بابا لهند وكان محافظا في حدود أرمينية في الوقت الذي ذبح فيه أبوه

وجلس ايصرحدون على تخت المملكة في سنة ٦٨١ قبل الميلاد وتسلطن ثلاث عشرة سنة وكان مقره تارة في نينوى وتارة في بابل على التعاقب وأرغم أهل بابل على طاعته في السنة الاولى من سلطنته ثم سار الى فينيقية وأخذ ثورة الصيديين وغلب ملك اقليم لبنان وكان من أمر هذا الملك انه ساعد أهل صيدا على العصيان وقتل ملك صيدا وملك لبنان وكان حربه التالي لهذا في أرمينية فحاز فيه مظفرات جليلة وأخضع أيضا أهل صليصيا وكانوا أقاموا بريق العصيان وقت موت سنجاريب وفي نحو سنة ٦٧٥ قبل الميلاد غزا غزوة في داخل القسم الجنوبي من كلدان وكان في هذا القسم نابوزيسى سيدى ابن مردوخ بعلا دن أقام نفسه فيه ملكا بمساعدة السوسيين وعزل ايصرحدون هذا الملك وقلد زمام الاقليم واحدا آخر من أولاد مردوخ بعلا دن اسمه نهيدي مردوخ وكان هذا من م مساعدته ثم تغلب على عيديموم وجعلها خراجية لاشوريا وكانت غزوة التالية في قلب بلاد العرب فقطع الصحراء بجيش كبير جراحى وصل أنحصب الاقليم الموجودة خلف الصحراء وأكثرها عمرا و تغلب على عدة مدائن ونهبها وعاد الى بلاده في سلامة وبالنظر الى طبيعة مشاق الصحراء انفسها وصفة حروب سكانها الذين ما قدر أى قانع على خضوعهم تحت سلطته كان ذلك يعد من أكبر نجاح وأعظم ظفر ولم يحصل التحول في بلاد العرب الا ثلاث مرات في تاريخ العالم وان ايصرحدون هو الملك الفريد الذي خاطب نفسه بمباشرة مثل هذا الهجوم تحت قيادة شخصه وأخضع أيضا قبائل أرمينية القاطنين في طول نهر الفرات وحاز بعض مظفرات جليلة في الاقليم القاصية من ميديا وكان حصول هذه الحروب في ظرف العشر سنين الاول من سلطنته

وأكبر حادثة جليلة وقعت في مدة سلطنة ايصرحدون هي تغلبه على مصر وتم له ذلك في سنة ٦٧٠ قبل الميلاد وذلك انه هزم القوى المصرية التي كانت تحت قيادة طراقة في واقعة عظيمة وتغلب على منف ثم سار نحو الجهة الجنوبية وتغلب على طيوه وطرد ملك مصر الى نواحي ايتوبيه وشيد سلطنة فوق المملكة وقسمها الى عشرين كورة صغيرة أجلس في كل واحدة منها ملكا وكان جميع هذه الملوك تقدم واجبات طاعتها وخضوع عبوديتها الى ملك متسلطن في منف من طرف ملك الاشوريين وكان هذا الملك هو ينخو أبوبصاميط قوس وهو مصري وطنى الاصل أو النزعة وفي نحو هذا الوقت عصى منشاملك يهوذا الآن قواد الاشوريين أخذوا هذه الفتنة وأرسلوا ملك اليهود مغلولا في الحديد الى بابل وكان مقر ايصرحدون فيها فعامل ملك الاشوريين أسيره في ابتداء الامر مع الشدة والغلظة الا أنه بعد هذا اعتقه وأعادته الى مقر تختة بشرط أن يدفع خراجا ثلثا عن أصل ما كان مقرر عليه ولما سكنت القلاقل والارتباك في مملكة يهوذا عزم ايصرحدون على تقوية شوكة الاشوريين في فلسطين باستثماره أراضى مملكة اسرائيل بعائلات جليلها اليها من خواص أقاليم مملكته والظاهر انه في سنة ٦٦٩ قبل الميلاد حصل لايصرحدون مرض قطهر طراقة في الحال في مصر وأقام سلطنته ثانيا على كامل وادى النيل وطرد الملوك الصغيرة الذين كان الاشوريون أجلسوهم ولما كان ايصرحدون لا يمكنه ملافاة هذه الثورة بنفسه أشرك معه ابنه الا كبر اشور بانيبال في ساطنة المملكة وتنازل هو عن تاج اشوريا لابنه وتخلّى عن الاحكام واعتزل بنفسه في بابل ومات فيها في نحو سنة ٦٦٧ قبل الميلاد

في مبادئ القسم الاول من هذه السنة

ثم ان آشور بانيبال بمجرد موت أبيه وظف أخاه صولوغينه عاملا من طرفه على بابل وجمع قواه وجيوشه  
مغيرا على مصر فأرسل طراقة جيشا جارا قويا بالمقابلة وفضل هو في منف منتظرا ما يؤل اليه أمر  
الحرب فانهمزم المصريون في واقعة كبيرة بالقرب من مدينة قريبت وانسحب طراقة الى طيوه فطرده  
الاشوريون منها فهرب الى تيوبيه وأقيمت السلطنة الاشورية ثانية على مصر وأعاد آشور بانيبال  
الملوك الصغيرة الذين كان أبوه وظفهم في كور مصر ولما استتب الامن والراحة في البلاد رجع عائدا  
الى نينوى وبمجرد رحيله من مصر رجعت البلاد ثانية الى القلاقل والارتباك بواسطة سعي الاتيويين  
وانضم ينخو الذي كان متسلطا في منف الى الاتيويين وترك الاشوريين فقبض الملك الذين فضلوا على  
صداقة وعهد آشوريا على ينخو وبعض من الذين اشتركوا معه وأرسلهم مغلوين في الحديد الى نينوى  
واجتمع دوا في اتحاد الثورة والارتباك الحاصل في المملكة الا أن طراقة نجح في تغلبه ثانيا على طيوه  
ومنها هدد جميع وادي النيل وأزعجه ولما رأى ملك آشوريا ما حل بالديار المصرية من الخطر عفا ينخو  
عما وقع فيه من الذنب والجريمة وأعاد تختمه وأرسله ثانية الى مصر مع قوة قوية من الجيش الاشورياني  
وبواسطة هذه القوة طرد ينخو طراقة الى جهة تيوبية مرة أخرى ومات هذا الملك في تلك الجهة تاركا  
أمره الى ربييه عوردماني ومن بعد مضي قليل من الزمن نزل عوردماني الى وادي النيل وكسر  
العساكر الاشورية بالقرب من مدينة منف وتغلب على منف عنوة وكذا على مصر السنلي فبرز في  
الحال آشور بانيبال الى ميدان الحرب بجيوشه وعساكره وسار بنفسه في رأس جيشه حتى دخل مصر  
وطرد الاتيويين من المملكة وأخذ الاشوريون طيوه في هذا الحرب بالقوة عنوة وسلبوها ونهبوا  
جميع ما كان فيهم امن عظيم النفائس وحملوها الى نينوى وأعاد آشور بانيبال نظام المملكة على المنوال  
الذي كان أبوه رتبها فيه وأجرى آشور بانيبال حربا ثالثة كهذه في آسيا الصغرى وتغلب عليها ولما  
ارتاع عيفيس ملك ليديا من تقدم سيره دفع له خراجا لاجل خلاص مملكته وتغلب على قسم عظيم من  
أرمينية وخضعت السوس بأكملها وانضمت الى بابل وصارت قسما منها وخضع كثير من قبائل  
العربان الذين كانوا خارجين عن هذه المملكة وصارت آشور بانيبال في أعلى درجات فوزها وشوكتها من  
دون أن يكون لها عدو يزعجها أو يهاجمها أو يثني آشور بانيبال أنخرس اى وأجل بناء وأحكمه من جميع  
السرائيات الاشورية في نواحي السراى التي كان ابتناها بحدود سنجاريب في نينوى ومال كل الميل  
الى الحرف والصنائع والآلات الموسيقية وشيد دار كتب ملكية في نينوى وكان أجل وأخبر الملوك  
الاشورية قاطبة من دون ريب وفي مدة سلطنته وصلت الممالك الاشورية الى أقصى درجات السعة  
والامتداد وانتشرت الصنائع الاشورية وظهر على المملكة مجدها وروعتها وكانت تلك المملكة  
مقصورة في الشرق عموما وكانت هذه المدة الزاهرة محصورة في القسم الاول من سلطنة آشور بانيبال

ولقد نقل من طريق العموم أن آشور بانيبال مات في نحو سنة ٦٤٧ قبل الميلاد الا أنه ظهر من  
الاستكشافات الجديدة انه عاش عشرين سنة زيادة ومات في سنة ٦٢٧ قبل الميلاد واختار هذا  
الرأى المعلم رولنسن أحد مشاهير مؤلفي تاريخ هذه الامة وقد أظهرت هذه المدة فراقا واضحا للثنتين  
وعشرين سنة الاولى من سلطنة هذا الملك الكبير وذلك أن القسم الاول منها شاهد على مجد آشوريا  
وشوكتها وسلطنتها وشاهد القسم الاخير الذي سندخل في الكلام عاينه مبادئ اضمحلال المملكة



العظيمة التي انتمت فيه آشوريا من درجة السيادة في الدنيا القديمة الى درجة الخضوض والاضمحلال وكان أول أسباب هذا الاضمحلال هو سرعة تقدم المملكة الميديّة ودخولها في شوكة حرية قوية في الحدود الاصلية لمملكة آشوريا وأخذت حركة هذا التقدم في السرعة حتى صار للميديين قوة كافية يغزون بها آشوريا فاعاروا عليها في سنة ٦٣٤ قبل الميلاد فكانوا على غير طائل منها الا أن تأثير غزوتهم حصل منه فعل في الحقيقة وانهم زموا بالقرب من ينوى وقتل قائدهم المسمى فراغورطيس وفقد الشيخ المسن آشوربانيبال درجة شهامة قواه العقلية الشبابية واكتفى بهزيمة المغيرين على مملكته ولم يسع في تعقيبهم الى بلادهم فنال كيكائوس الذي جلس على التخت الميسدي فائدة عظيمة من تأخير آشوربانيبال عنهم وصرف السنتين اللتين جاءتا من بعد في تجهيز جيش واستعداده وغزا آشوريا في سنة ٦٣٢ قبل الميلاد وهزم الجيش الاشورياني في ميدان الواقعة وحاصر ينوى ثم انه انجبر بغتة على رفع الحصار وعاد مسرعا الى بلاده بسبب أن قبائل الصيبيان وهم عشائر يا جوج وما جوج الموجودين في شمال آسيا غزوا ميديا

وخرجت هذه الامة الخاسرة المتبربرة كالجراد المنتشر من نواحي القوقاز الى آسيا الجنوبية وكان ظهورهم في الابداء في ميديا حتى وصلوا الى البحر الابيض المتوسط وكانت قوة آشوريا في هذا الوقت ضعفت جدا وخرجت مصر عن ساطنتها تحت سلطنة بصاميطه قوس بن ينخو وأسرع الصيبيان في الغلبة على آشوريا واتت بلوا منها الى سوريا فجز بصاميطه قوس سرعة تيار مدتهم فحاصروا اشدود في فلسطين ورشاصاميطه قوس يا جوج وما جوج لاجل خلاص مصر من أيديهم فتحولوا عنها الى الممالك الاخرى وأخير اخفى أمرهم وقيل ان البعض منهم رجع الى بلاده الاصلية في الجهات الوعرة السكانية خلف القوقاز والبعض دخل في خدمة الحكام الوطنية في آسيا ثم ان هؤلاء الحكام حازوا في ظرف بضعة سنين قوة كافية من أجل خلع طاعتهم لهذه الامة المتبربرة وشيدوا سلطنة أنفسهم مرة ثانية وكانت أول مملكة قامت هذا الشغل هي مملكة ميديا تحت ارشاد صاحب الرأي والحزم كيكائوس

وحاقب آشوريا الخوف الشديد مما حصل من الصيبيانيين من الخراب والدمار الذي أحلوه ببلاد المملكة وتولد من كثرة عدد الصيبيانيين أن قاوموا الاشوريين باخر ما عندهم من الطاقة فأخذوا كثيرا من المدن القديمة ونهبوا خزائنها وحرقوا سراياها وخربت البلاد وعم الفساد ونحلت البلاد من أهلها وسكانها لان المتبربرين تتبعوا الاشوريين وبددوا شملهم في كل معرض قابلوهم فيه وذكر رولسن ان الصيبيانيين لما تركوا آشوريا كانت خيالا أو ظلاما من هيثة صورتهم الاولى ضعيفة كشيبة في ضنك وأقول تدعوا لها فافانحوا قويا فلو كانت حدودها غير مرتبكة وأقاليمها معترفة بساطتها وسياستها لكان أهلها في أمن من خوف وقد حصل لهم هذا الارتباك بسبب ما لاقى أهلها من الضرر والهلاك من الامة المتبربرة الشمالية ومع ما كانت عليه آشوريا من الضعف والاضنك في هذا الوقت لم تزل مملكة وحصل الاجتهاد والكد من آشوربانيبال في عود نظام ممالكه ورتق فتوق الاتلافات التي حصلت من الصيبيانيين الا أنه في أثناء اجرائه هذه الاعمال النظامية اخترمته المنية ومات في سنة ٦٢٦ قبل الميلاد من بعد أن تسلطن اثنتين وأربعين سنة

ومن بعد موته خلفه ابنه آشور عميد علين وهو المعروف عند الجريق باسم صرقوس ولم يعلم شيء من

تاريخه إلا أن مدة سلطنته كانت مصيبة وداهية على آشور يافزاد فيها ضعف المملكة ونحلت بيوت  
الاموال من النقود وصارت المملكة تحت قواعد الدمار والخراب مما حل بها من خراب الصيبيانيين  
وهم يأجوج ومأجوج وما عرف هل كان فيه طاقة لصلاح وترميم الفساد التي حلت بالمملكة أم لا  
والصحيح أنه ما كان له طاقة ولا شهامة على فعل ذلك ومن قبل تمام أي شيء من الاصطلاحات والنظامات  
الداخلية في المملكة تدخل الميديون والسوسيانيون في مخالفة مع بعضهم وغزوا آشور ياودهم تها ميديا  
من الجهة الشرقية وسوسة من الجهة الجنوبية فالترزم صرقوس على قسمة جيشه وقوته إلى جيشين  
لأجل ملاقاته هذا الخطر المضاعف وسار مع أحد الجيشين لمقابلة غارة وجملة الميديين وأرسل الجيش  
الأخر تحت قيادة نابو بولصار القائد الباسل الموجود تحت يده لأجل طرد السوسيين الذين ساروا من  
البحر ونزلوا على سواحل بابل ولأن ترتيب الجيشين بهذه المثابة كان من حزم الرأي بالنسبة للمعالجة الراهنة  
الأنه عاد بالخراب على آشور يا بسبب ما حصل من خيانة نابو بولصار وذلك أنه لما رأى فرصته في  
ضعف مملكته ترك آشور يا وعمل شروطا ومخالفة مع عدوها ووطد لنفسه تحت بابل وزوج  
بنت كيكاس لابنه الأكبر بختنصر ولما ضم قوته مع قوة كيكاس سارا لاثمان على نينوى وحاصرها  
وضيقها عليها ولما رأى صرقوس أن المدينة صارت على شرف الغلبة والتسليم وقطع الأمل واليأس من  
نفسه حرق نفسه في داخل سرايته وتغلب الفاتحان على نينوى وقسم آشور بينهما سنة ٦٢٥ قبل  
الميلاد

وما كان سقوط المملكة الآشورية عن ضعف كان موجودا بها أو من تأثير توالي الهرم والشيخوخة  
عليها بل من سوء مقارنات تدبير الاحوال وذلك أن غزوها بالميديين الذين صاروا أمة حربية قوية كان  
في وقت وصلت فيه المملكة إلى انحطاط كبير حصل من تدفق غزوة الصيبيانيين عليها ومن الخيانة  
التي حصلت من أكبر نوابها وقوادها الذي كان عليه المعول والاعتماد في المحافظة على المملكة وأمتها  
ولبتت مملكة آشور يا سنة ١٠٠٠ سنة مكثت فيها سبع قرون على غاية من الشوكة  
والسيادة أي من سنة ١٣٠٠ إلى سنة ٦٢٥ قبل الميلاد ويحتمل أن يكون أكثر من ذلك لأنه  
يلزمنا أن نحصر هذه المدة في خمس قرون سبتدأ من سلطنة آشور ريس عيلين في نحو سنة ١١٥٠  
قبل الميلاد ووصلت المملكة في مدة اثنتين وعشرين سنة الاقلية من سلطنة آشور يا نيمال إلى أعلى  
درجة من شوكتها وسلطنتها وفي منتصف سلطنة هذا الملك كان لا شور يا السيادة العظمى على قطعة  
آسيا الغربية المحصورة بين البحر الأبيض المتوسط ونهر الخاليس من جهة وبين بحر الخزر والصغراء  
الكبرى الفارسية من جهة أخرى وكانت حدودها الجنوبية مشكلة من بلاد العرب والخليج الفارسي  
وأما في الجهة الشمالية فيظهر أنه ما كان لها وقت في التقدم نحو البحر الأسود وإلى جبال قوقاس  
بل وكانت محدودة بخط من كسرمة من الحد الشمالي لارمينية في المدة التي كانت فيها آشور يا في  
درجة روتها وزهو حالتها ولقد استحوذت آشور يا أيضا في هذا الوقت خلاف مما لكها في آسيا على  
قطعة من أفريقية واعترفت مصر بسيادتها عليها إلى حد خط طيوه وكانت المملكة الداخلية في الحدود  
المتقدمة الذكر وخاضعة للمملكة الآشورية في مدة سطوتها ونفوذها هي الآتية السوس وكاديا  
وبابل وميديا وجبال زغرة والعراق وقسم من أرمينية وقبدونيا وصليصيا وسوريا ونيقية وفلسطين  
وعيدوم وقسم من بلاد العرب وكامل المملكة المصرية وانظروا أن جزيرة قبرص كانت من تبعها



ومن الجهة الاخرى كانت فارس الاصلية وبقطريا والصغد وهرقانية وهذه الايلات كانت بعد الحد الشرقي لملكية آشوريا وأما في الجهة الشمالية فانهم لم تصل الى حداً بعد من جارتها قاصوين التي كانت محدودة في الجهة الجنوبية بمجواز جبال زغرة وكذا كان في الجهة الغربية فريجييا وليديا وليصيا وبقيما كل هذه مستقلة وأن الجيوش الاشورية لم تتحول أبداً حسب الظاهر في الجهة الغربية خلف صليصيا وأنهم عبرت نهر الخاليس

ثم ان هيئة الاحكام والقوانين التي أقامها الملوك الكبيرة العراقية على الممالك التي كانت دخلت تحت سلاطنتهم وشوكتهم كانت أجود حكم وأجل مشروع لوقارناها بملكية سليمان بن داود فان سليمان تسلطن على جميع الممالك من ابتداء نهر الفرات الى أرض فلسطين الى حدود مصر فكانوا يقدّمون له الهدايا والتحف ويخدمونه في مدة حياته كلها وان أول الهيئات الغربية في الممالك القديمة جدا هي أن كل مملكة كانت موقرة ومحترمة في نفس اجراء أصولها وعوائدها حسبما هي عايده من أصل منشئها وليس للمملكة السائدة أن تطلب من المتغلبة عليها تغيير عوائدها الشخصية كما هو جار الآن في الممالك الجديدة بل تبقى المملكة الواحدة على ما كانت عليه من قبل الا اذا لزم بعض اضافات جبرية بشأن مراعاة السلطنة السائدة فن ثم كان الممالك حافظة لشرائعها وديانها القديمة وسلسلة ملوكها وقوانين أنساب العائلات وجميع نظاماتها الداخلية وطرائق اجرائاتها العلمية والعمالية وكانت المملكة الواحدة تعترف فقط بتبعية برايتها مربوطتها على أداء واجبات معلومة للمملكة السائدة وكانت هذه الواجبات المعروفة في الازمان القديمة محصورة في كلمتي الاحترام والخراج وكانت الواجبات اللازمة أدائها للملوك هي الخدمة وجلب الهدايا والجبر على الانقياد والطاعة والتوجه الى محكمة الملك حال طلبها ما لم تحصل أعذار يسامحون فيها ويعترفون بدرجة الملك وعلو منزلته فيما بينهم وفوق كل ذلك وجوب دفع الخراج مع الانتظام في الاوقات المقرر دفعه فيه الذي تعين عليهم وتقرر دفعه سنويا في مدة التغلب أو صيرورة التبعية والذين لا يمتثلون أداء هذه الواجبات يعتد منهم اشهار عصيان وبالجملة فانه يجب على المملكة التابعة أن تسمح لخود ملكهم أن يمر من وسط أرضهم وأن يقاوموا كل سعي يحصل في أي حلة بأي حالة كانت تحصل من مرور عدو في أراضيهم وأما واجبات المملكة فانه يجب عليهم أن تضمن لتبعتها الحماية والحفاظة واستتباب الراحة والامن على الاموال والانفس من أعدائهم البرانية أو الداخلية اذ من المعلوم أن كل مملكة تحوى في داخلها الارتباك والقلقلة وعدم النظام فان مرجعها الى الخراب والدمار وقيل ان من أشهر الاحوال وجود القوة والضعف في طائفة الملوك والممالك فاما قوة المملكة وجلالها وسمو شوكتها فهي محصورة في سعة المملكة وعظمها وثورتها وضبط عواصمها وأما الضعف فهو محصور في الفقر والضعف ونفور الايلات التابعة وعلى فرض تفرق المملكة فانه يمكن عودها على الدوام بتدابير حازمة وشجاعة وبسالة على نوالى جلوس ملوك حريية يتساعدون بشجعان الامة ورجال سياستها وكانت آشوريا في حالة سعيدة وسلطنة مجيدة وقت ما كانت مستحوذة مدة طويلة من الزمن على ممالكها ودرجة نفوذ شوكتها وما كان لها جار سوء وشوكة قوية ينافر عنها في نفسها وكانت وجدت بعض صعوبات قليلة في مد سلطتها على جميع الاقاليم المقسمة والمنوزعة بين مئات من رؤساء صغيرة لا يوافقون في كلمة التجمع بينهم وليس كل منهم طائفة على مقاومة مملكة كبيرة شاسعة ذات قوة عظيمة وخطرت بنفسها في اطفاء الثورات وظفرت

بها حتى أمسكت نفسها المدة خمسة قرون وأخذت شوكتها في التقدم على التدريج وسقطت من بعد  
حرب مهول حصل من مملكة جديدة تشيدت على حدودها وانتهزت الفرصة في وقت ضحكها وانحدت  
مع أقوى الممالك الخاضعة لها حتى صار لها قدرة وطاقة على تمام خراب ودمار الأمة التي سادت على الدنيا  
القديمة مدة طويلة من الزمن

## ( الكتاب الخامس )

### تاريخ بابل

## ( الباب الاول )

### قيام المملكة البابلية وسقوطها

الموقع الجغرافي للمملكة بابل - هي نفس كديا - وجود بابل تحت الحكم الاشورياني - وجود  
العصيان والثورات - تعيين نابو پولصار عاملا على بابل بعرفة صرقوس - الثورة الاخيرة ووجه  
نفسه ملك بابل - معاهدته مع الميديين - سقوط آشوريا - تشكيل المملكة البابلية -  
سلطنة نابو پولصار - الحرب مع مصر - هزم بختنصر يخوف في قرشميش - صيرورة بختنصر ملكا  
- خضوع فنيقيه ويهوذا - اخذ آروشلليم وخرابها - التغلب على مصر - سلطنة بختنصر -  
الزاهرة - أشغاله الكبيرة - البساتين المعلقة - أسوار بابل - الثروة التجارية - صفة الملك -  
جنونه واختلال عقله - شقاؤه وغلاق سنيه - خائفاؤه - صيرورة نابو نادبوس ملكا - اشتراك ابنه  
مع - الحرب مع فارس - عيد بعلشاذار - تغلب كيرش أوكيخسرو على بابل - سقوط المملكة  
البابلية - صيرورة بابل العاصمة الثانية للمملكة الفارسية

تتخصر مساحة مملكة بابل الحقيقية في مملكة كديا القديمة ومن ثم لا حاجة لوصفها هنا وهي واقعة  
بأكملها في الجهة الغربية من نهر الدجلة وتتخصر في سملين واسعين أي مفازين كبيرتين فالاول واقع  
بين نهرى الدجلة والفرات ويشكل القسم الاسفل من ميزوپوتاميه (بمعنى جزيرة العراق) والثاني واقع  
بين نهر الفرات وبلاد العرب وهو حزام أوسيرضيق العرض بطول الايمن لهذا النهر ومساحتها نحو من  
٢٧٠٠٠ ميل مسطح وأما الاراضى الموجودة في شرق نهر الدجلة فانهم اليست قسم من بابل الاصلية  
بل هذه نصيباً أوسوسيانه أو السوس وهي جهة اقليم ممتاز معروف عند اليهود باسم علام وكان مسكونا  
بأمة جليلة من البابليين وفي مدقارتقاء شوكة المملكة البابلية كانت استحصات على قسم واسع من  
الدنيا الشرقية كما سند كرم بعد

ومن بعد أن تغلب ثغلاثين الاول على كديا في سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد وأدخلها في المملكة  
الاشورية صارت أمة هذه الجهة على غير رضا كثير أو قليل منهم وسعوا وكثروا من وقت الى وقت في  
خلع طاعتهم من تحت ناف الحكم الاشورياني الا أن هذا السعي والكد جاء على غير طائل ومع ذلك فانه  
في سنة ٧٤٧ قبل الميلاد نجح بابونصار في ترتيب ثورة نجحت أشغالها وشيد سلطنة مستقلة في بابل



ونسلمن أربع عشرة سنة وأبطل مادونه عمال الاشوريين الذين سلقوه في خصوص تقريرهم  
عمودية بلاده ثم خلفه نادبوس وهذا تسلمن من سنة ٧٣٣ الى سنة ٧٣١ قبل الميلاد ومن  
بعده جلس على التخت ملك كان شينزئوس وبوروس من سنة ٧٣١ الى سنة ٧٢٦ قبل الميلاد وجاء  
من بعدهما علولوس من سنة ٧٢٦ الى سنة ٧٢١ قبل الميلاد وخلف هذا من بعده موته مردوخ  
بعلا دن وفي سنة ٧١٣ قبل الميلاد أرسل هذا الملك رسولا من عنده الى حزقيا ملك يهوذا لينبئ  
بما حصل له من الشفاء من مرض خطر كان أصابه وفي سنة ٧٠٩ قبل الميلاد هجم عليه  
سر جون ونحاه من تحتته وأسره ودخلت بابل مرة أخرى تحت حكم عامل آشورياني واستمرت حالة  
هذه الاعمال الى سنة ٧٠٤ قبل الميلاد ثم أعقبها فترة لبنت أقل من سنة ثم ان مردوخ بعلا دن  
هرب من أسره ونجا بنفسه وعاد لتخته وحكم ستة أشهر حتى هجم عليه سنجاريب وهزمه وأجلس  
على التخت عاملا آشوريا اسمه بلبوس في نحو سنة ٧٠٢ قبل الميلاد وفي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد  
ارتاب سنجاريب من بلبوس في خيانة ألقيت الى سنجاريب فعزله من حكومة بابل وعهد زمامها الى  
ابنه الاكبر آشور عناديسوا وأصر نادبوس فتسلطن هذا في بابل لمدة سنة ٦٩٣ قبل الميلاد وفي أثناء  
هذه السلطنة عصت بابل مرتين على آشوريا ثم خضعت مرتين الى الطاعة والانقياد أيضا وجاء عقب  
هذه السلطنة مدة من تبكة مشحونة بالقلق والرعازع استمرت ثلاث عشرة سنة وانتهت بتغلب  
ابصر حدون على بابل في سنة ٦٨٠ قبل الميلاد وأضافها لنفسه وتلقب بلقب ملك بابل وابتنى  
لنفسه سراية في تلك المدينة وجعل مقره على التوالى تارة في بابل وأخرى في نينوى وضبط حكومتها  
الى سنة ٦٦٧ قبل الميلاد حتى عين ابنه ساغوس أو ساغوسدوقينوس عاملا عليها فكم هذا  
البرنس بابل مدة عشرين سنة وخلفه في سنة ٦٤٧ قبل الميلاد سنلادانوس وتسلطن هذا اثنتين  
وعشرين سنة

وفي سنة ٦٢٥ قبل الميلاد عين صرقوس ملك آشوريا الاخير نابوبولصار قائدا على هذه الولاية لاجل  
توقيف سيرا السوسيين الذين اقتربوا من المملكة مغيرين عليها من جهة الخليج الفارسي ومن المحتمل  
انه كان قلده عاملا أيضا وعند دخوله المدينة قامت الامة البابلية في ثورة وعصيان فرأى  
نابوبولصار أن يجعل نفسه رأس هذه الحركة المقبولة عند عموم هذه الامة حتى يوقع الدمار والخراب  
على أستاذة ويقدم المنفعة لنفسه فن ثم دخل في محالفة مع كيكائوس وأغار هذا على آشوريا من جهة  
ميديا وعقد نابوبولصار عقد زواج بين ابنه الاكبر بنجتنصر وابنة كيكائوس وبواسطة نص شروط  
المحالفة وطد نابوبولصار لنفسه كرسي بابل أشبه بكونه ملكا مستقلا ولما تم نظام مواد المحالفة ضم  
نابوبولصار قوامه في الحال الى قوى كيكائوس واشترك معه في الحرب وكانت نتيجته كما ذكرنا التغلب على  
نينوى وخرابها وسقوط المملكة الاشورية

ولما صار تقسيم الممالك الاشورية خص نابوبولصار جهة السوس ووادي الفرات وسوريا وفلسطين  
وأشوريا الاصلية وأما الممالك التي كانت تابعة لآشوريا في الجهة الشمالية فانهم اوقعت من قسم  
كيكائوس ومن ثم صارت بابل الآن رأس مملكة ذات شوكة قوية وخضع الممالك والايالات المتقدمة  
الذ كرا الى هذا التغيير من دون أن يحصل من واخذ منها أدنى معارضة أو مقاومة لان هذه الممالك  
ما كان عندها علم بالذي حصل حيث يعلمون من أصل عوائدهم أن ملك آشوريا تارة في نينوى وتارة في

بابل حتى انهم ما كان لهم من علم عبادى هذا التغيير واستمر ملك بابل نابو بولصار عا كذا نفسه مدة سنين على تقرير سلطنته وربط علاقاتها واستمرت عماله في حالة هدوء واستتباب راحة مدة من الزمن ومن سنة ٦١٥ الى سنة ٦١٠ قبل الميلاد كان موجودا حرب بين ميديا وليديا فاشترك نابو بولصار وأحياناً ابنه في هذا الحرب مع حليفه كيكاس وفي السنة الاخيرة أى في سنة ٦١٠ قبل الميلاد بينما كان الجيوشان على شرف المبارزة الحربية بين بعضهما فحصل كسوف الشمس أزعج الجيوشين فانتهز نابو بولصار الفرصة في هذه الحادثة المرعبة وتدخل بطريق التوسط بين كيكاس والليديين ونجح في أن أوصل الحالة الى عقد معاهدة سلمية بين الاثنين واستمرت آسيا الغربية نحو نصف قرن تقريباً في هدوء وسكون متوال

ولما خلف ينخوأياه بصنام طية قوس ملك مصر على الاريكة المصرية في سنة ٦٠٨ قبل الميلاد أغار على الممالك البابلية وهزم يوسيا ملك يهوذا وكان صدح كات سيره في نواحي مجده وتغلب على جميع البلاد الكائنة بين مصر ونهر الفرات ومن بعد مضي ثلاثة أشهر من عودته الى مصر زار اورشليم وعزل عنها يهوياحظ وهو الابن الاصغر ليوسيا وكانت الامة أقامته ملكاً عليها وأجاس أخاه الأكبر يهوياقيم على التخت وحاصر في هذا الوقت مدينة غزة الجليلية من أعمال فلسطين

وما حصل من نابو بولصار أدنى كد ولا سعى مدة ثلاث سنوات في استرجاع ما ضاع من أرضه وبلاده بل وسمح لينخوأين يتمتع في فتوحاته وتغلباته وفي سنة ٦٠٥ قبل الميلاد جمع جيشاً جزاراً وعهد زمام قيادته لابنه بجنتنصر وأمره بالفرار في شأن استرجاع البلاد فأسرع في التقدم الى الفرات وهجم على الجيش المصري بالقرب من قريشيمش وبدد شمله واستمر سائراً خلفه الى حدود مصر واسترد في سيره جميع الاراضى التي كانت فقدت من ممالك أيبه واستقبل طاعة يهوياقيم ملك يهوذا وكان على عزم الغارة على مصر وحطه بها الا انه التزم الكف عنها عند ما وصل الى سواحلها وتحدد بها بسبب ما أتاه من الاخبار عن موت أيبه فعقد صلحاً مع ينخوأين وأسرع في العود الى بابل واستلم التاج وتقلد زمام أحكام المملكة في سنة ٦٠٤ قبل الميلاد والظاهر أن السنين التي كانت باقية على غلاق القرن السابع قبل الميلاد كانت سنين سلمية اشتغل فيها بجنتنصر بإصلاح عاصمته وتوطيد أركان وقواعد دولته

وفي افتتاح القرن السادس قبل الميلاد دعى ملك بابل مرة أخرى لميدان المحاربين لاجل اطفاء ثورات كانت حاصلة في فنيقية ويهوذا وكانت يهوذا امة قوية من طرف المملكة المصرية وفي سنة ٥٩٨ قبل الميلاد سار بجنتنصر في رأس جيش متحدمؤلف من البابليين والميديين وأغار على فنيقية ووضع الحصار على مدينة صور وكانت هذه المدينة على رصانة وقوة كافية حتى قاومتها ثلاث عشرة سنة وفي أثناء هذه المدة خلع يهوياقيم ملك يهوذا وقتله وأجاس بدله يهوياقين ثم استبدله بصدقيا وهشم الثورة الاخيرة لليهود بكونه تغلب على اورشليم وهدم هيكل اليهود ومعبدهم وخرّب مدينتهم وحمل الامة اليهودية الى بابل أسرى كما أسلفنا ذكره وفي نفس هذه المدة هزم مساعي ملك مصر وأرغمه رفع الحصار عن اورشليم الا أنه ما كان له طاقة على معاقبة هذا الملك الامن بعد فتح مدينة صور وفي سنة ٥٨٥ قبل الميلاد تغلب بجنتنصر على مدينة صور وخرّبها من بعد حصار استمر ثلاث عشرة سنة وأرغمت فنيقية عمومها على الانقياد والطاعة لافتاح بجنتنصر

ثم ان بجنتنصر وجه التفاتاته الى عقاب مصر وفي سنة ٥٨١ قبل الميلاد اغار على تلك المملكة



ونال بعض منظر غيرة مهمة والظاهر أنه ما كان ساس هذا الحرب مع العنف والشدة وخلصت مصر مدة ما من الزمن من العقاب الذي جلبته على نفسها بتدخلها في أعمال بابل ومع هذا فإنه في سنة ٥٧٠ قبل الميلاد أغار بختنصر على المملكة مرة أخرى وتغلب عليها وأجلس على أريكته مملوكا جديدا اسمه أموزيس تحت سيادته وأن يكون عبدا له

وكانت سلطنة بختنصر مشتملة على المدة السامية الزاهرة لتاريخ بابل وما كان بختنصر فائحا كبيرا فقط بل كان أيضا حاكما حازا بالبسالة والتدبير وحزم الرأي الخارق للعادة مع الصفات العظيمة والسجيا الجلية. وشحن المملكة بالاشتغال العمومية النافعة كالترع والخجان والحواجر اللازمة لاصلاح طرق الري وعميل طريقه من المواص والارض مرفعة في مين الخليج الفارسي وجعل بابل أنفروا أجل مدائن الشرق ولاجل ادخال السرور على زوجته الملكة أميطيس وكانت اشتاقت لرؤية ومشاهدة جبال ووهجات وطنها ومسقط رأسها وهو مديان أنشأ البساتين المعلقة في بابل على قول آخرين من المؤرخين وكانت هذه البساتين معدودة من عجائب الدنيا السبعة وكانت مبنية كما ذكرنا في الكتاب الثالث على هيئة عدة دكات قائمة على قواصر أو عقود مرفوعة الى أعلى أسوار مدينة بابل ووضع التربة على هذه الدكات وغرس فيها الاشجار والنجوم وأنواع الزهورات والنباتات المختلفة وعمل لها آلات اللازمة لرفع المياه الى أعلى موازين الفساق والحياض المرتبة لسقي الاشجار والنباتات وتسابقت الصنائع وتفاخرت الحرف وهرعت اليها أرباب الصنائع بخصوص تقليد هذه الهضبة الصناعية بالهيئة الطبيعية لجبال مديان وشيدت هذه الجبلية المرفوعة وغرست فيها الاشجار المختلفة وظهر وجود هذه الجنة المدهشة للعقل ولو أنها كانت لا تقرب من منظر جبال مديان إلا أنها بأي حال كانت مندرجة بالنسبة لتغير الهيئة الطبيعية لمروج بابل وأعادت الى ملكة بابل رضاها وشكرها وذكروا في الحال محبة زوجها الها وحسن وجمال وطنها وكانت المدينة مسورة بأسوار مبنية من الآجر في علو ٣٣ قدما وسمك ٨٥ قدما ومحيط دائرها ٤١ ميلا وهذا الدائر جعل للمدينة المحيطة بالأسوار مساحة قدرها أقل من ١٠٠ ميل مسطح وهذا على قول من قال ان بختنصر هو الذي شيد البساتين المعلقة وأحاط بابل بالأسوار وأما الذين قالوا ان سميراميس الملكة هي التي شيدت ذلك فقد ذكرنا وصفه في الكتاب الثالث والله أعلم بالصواب

وصارت بابل تحت حكم وسياسة هذا الملك الخطير المدينة الرئيسة للتجارات في الشرق بالنسبة لموقعها المستحسن في منتصف الطريق بين نهر السند والبحر الابيض المتوسط وان لكل من نهرى الدجلة والفرات طرق موصلات بين الخليج الفارسي والجهات القاصية الشمالية فكانت التجارات من عموم الممالك والايالات المعروفة تورد في أسواقها وكان يخرج من مشغولات معامل بابل أجود الطنافس والبسط والسجاجيد وكانت المداين الموجودة في طول نهرى الدجلة والفرات مشهورة بظرافة مشغولاتها القطنية وجمال ألوانها المختلفة وما كانت بابل وحدها هي التي أصلحها الملك بختنصر ونظم أحوالها فقط بل وكانت المداين البابلية الأصلية تحت بالابنية الجميلة والهيكل الفاخرة والمعابد الطريفة واستحكمت أسوارها القوية وكان لا يوجد جهة من جهات المملكة الا وشيدها هذا الملك فيها الاعمال الجلية النافعة لها

وكان بختنصر أحد كبار رجال المشهورين في التاريخ القديم كانه كان أيضا أحد الصور المدهشة

المدكورة في تاريخ التوراة التي تيسر لنا منه الحصول على جمع أخباره الحقيقية وقد وصفه النبي دانيال في كتابه بقوله انه كان رأس سلطنة بمهنة فاخرة محاطا بالبرنسات والحكام والقواد والقضاة ومأموري بيوت الاموال والنواب والوجوه والاعيان من عموم ممالك وممثلي يدي الطواشسية المغدق عليهم باعامانه وكرم جوده يفعلون ما يأمرهم به الملك وجميعهم في درجة عالية من التربية والتدريب وموجود في سرايته اللحم الغفير من المنجمين والفلكيين من أذكاء الرجال وأعلمهم يؤدون ما يلزم له ويرغبه ويشرحون له مطلوب آلهته وقال انه كان ملكا مطلقا تصرف في رعيته له طاقة في لفظة واحدة على خلع ملوك وتولية آخرين وعلمه المعول في المحافظة على حياة الامة وسعادتها في الاقطار الشاسعة والممالك الواسعة المتسلطن عليها ولا يمكن أن نضع برهانا حقيقيا على الاعلى تصرف شوكرته في رعيته زيادة عن كونه وضع دانيال الرجل الغريب فوق رؤس جميع طوائف القسس والعلماء البابليين وكان يحتنصر ذا ثروة عظيمة جدا حتى صار له طاقة أن يضع تمثالا من الذهب الخالص علوه تسعون قدما وعرضه تسعة أقدام

وأما أخباره في الديانة فكان لا يعبد ما يعبد غيره جنسه بل كان يعبد أحيانا آلهة له وأحيانا ينقل بغته الى طاعة آله أسراء العبرانيين والرم جميع قومه على الاقتداء بتمثاله وكانت خصاله شديدة طائش العقل الا انه ما كان في رأسه عناد وجفاقة وكانت حدة الغضب تظهر عليه أحيانا ثم يستغفر منها في الحال وكان عنده الحلم والخشوع أزيد مما كان يعتريه من الغضب والحلق وكان مثل أهل الشرق يحب الفخر والتعالي ويحبهم بما لا اله الا الله كان له طاقة على نفسه في الخضوع والاذلال أمام القادر سبحانه وتعالى على عقابه وعذابه وكان غريب الاحوال والصفات في المملكة والوقت الحاضر وكان عنده شهامة الرأفة الحقيقية ويقضي على نفسه بنفسه ويخضع نفسه بنفسه وصار بهذه الصفات الجيدة أحد الرجال المشهورين بحسن الصفات في الكتب المقدسة وكان من جهة أخرى جبارا عنيدا وما كانت هذه الصفة المهولة على الدوام فيه بل عندما توجب أسباب الاحوال طلب الشدة من جهته وبسبب ما كان يظهر له من توقيع مصائب الآلام والاكدار على أعدائه الذين تغلب عليهم وكان على خضوع تام لزوجته التي انتخبها له أبوه لأسباب سياسية وشيئا لها البسائين المعلقة

وفي نحو غلاق سلطنة تحتنصر ويحتل في الوقت الذي تم فيه فتوحاته وأشغاله العمومية وفي حال تمتعه بالراحة والفلاح الذين أكسبهم مملكته أنذر هذا الملك بغته بالندم من السماء من عند الله سبحانه وتعالى وذلك أنه رأى رؤيا أدهشته وأزعجته فقصرها على دانيال النبي ففسرها له بوحى من الله وقال للملك ان الله سيرسل عليه نوع جنون غير معتاد عابا له على خطيئته وجريمته ويستمر هذا المرض سبع سنوات وفي أثناء هذه المدة لا يكون فيه صلاح لتقليده زمام الحكومة ولا الجلوس على تخت المملكة وان هذا المرض الغير معروف عند الأطباء يتسلطن فيه بحيث يجعله آدميا في هيئة حيوان يفقد التكلم ويمتنع عن أصناف المأكولات المعتادة ويأكل من نبات الارض ويمشي على أربع تارة وفي ظرف سنة من المدة الموعودة أنذر تحتنصر وداخا له المرض وصار في حالة حيوان لا طاقة لانسان على مساعدته وخلاصه منه وتصور تحتنصر في نفسه الصفة البهيمة وترك الاجتماعات البشرية وعاش في الهواء المكشوف ليلا ونهارا ورجى جميع ما كان عليه من الملبوس وعاش على نبات الارض واستتر جسمه بستر خشن من الشعر الملبد في بعضه وصار في حالة يرثى اليها حقيقة وفي المدة التي حصل فيها الملك هذا



الجنون ما سمح لاحد من رعيته أن يراه ووضع في محل لا تراه فيه العيون محفوظا عليه بخدمة ونحو أشبه  
وتقلدت الملكة زمام الحكمومة وازدادت صداقة وخضوع أرباب الدولة البابلية الى مملكتهم سيئ  
الجنيت بسبب ما عودهم عليه من شريف الصفات وجميل الطباع ووصلهم بهم في وقت فلاحه  
ونجاحه ونأكدوا بما قاله لهم النبي دانيال وتعمشوا في أن تكون مدة المرض سبع سنوات ولما تم  
مدة داره هذه المدة رجع الملك عقله بغتة وتمتع بسلطنته وعاد الى تعاطي الاحكام كما كان ولما طعن  
في السن واعتبر من دون ريب بما حصل له من العقاب كان غلاقا في سلطنته من هرا فالحانا بها كما  
كانت في ابتدائه ثم مات بعد أن تسلط أربعين سنة في سنة ٥٦١ قبل الميلاد تارك مملكته  
لابنه عيقلر دوخ فتسلط هذا استين وذبح في ثورة حصلت من رعيته قامت عليه تحت قيادة صهره  
نيرجليصار

وابتدأت سلطنة نيرجليصار في سنة ٥٥٩ قبل الميلاد فتسلط أربع سنوات وكانت مدة سلطنته ذات  
أمن وراحة واشتغل بالخصوص في بناء السراي الغربية في بابل ومات في سنة ٥٥٦ قبل الميلاد وترك  
مملكته لابنه اعميور وسعر خور أولعبوسوراقوس وهو غلام صغير خلع وقتل بعد أن تسلط بضعة شهور  
بواسطة ثورة واختار أهل الثورة نابونادبوس ملكا عليهم ولما لم يكن من أولاد الملوك تدارك تقوية  
مسندة بكونه تزوج بنت بنت بخت نصر امرأة نيرجليصار فولدت له ولدا سمى بعشار عوزار أو بعشارزار ولما  
بلغ هذا المولود مبلغ الرجال أشركه أبوه معه على التخت ولما ارتاع من تقدم دولة الفرس وجنامة شوكتها  
دخل في مخالفة لغرضية ودافعية مع قروصوس ملك ليدنيا لاجل صد تقدم فارس ومع هذا فآفادته  
هذه المخالفة بشيئ ما لانه في فصل ربيع سنة ٥٣٨ قبل الميلاد أغار كيرش أو كخسر وملك فارس على  
بابل وهزم نابونادبوس في واقعة سافكة للدماء وحصره في نوريه ثم تقدم على مدينة بابل وتغلب عليها  
بكونته دخلها من مجرى الفرات بعد أن جعل ميناها الى خارج المدينة وجذف فرشه وجعله طريق عبور  
بليشه في داخل المدينة وكان أهل بابل منهمكين في لذات ومسرات كانوا مقيمين شعارها تعظيما لاحد  
آلهتهم ولم يشعروا بحركة كخسر والامن بعد تغلبه على المدينة وذبح بعشارزار في صالة مائدته وسلمت  
نوريه بمجرد سقوط بابل وعامل كخسر ونابونادبوس أجنس المعاملة وأنعم عليه بحكومة ايلة كرمانيا  
العظيمة وصارت بابل المدينة الثانية للمملكة الفارسية وصارت مقر الحكمومة الملك نصف سنة  
وانقضت مملكة بابل بتغلب كخسر وعلى المملكة البابلية والله يؤتي ملكه من يشاء وهو القوي  
العزیز

## (الكتاب السادس)

### تاريخ فنيقيه

## (الباب الاول)

من ابتداء الازمان القديمة الى تغلب اسکندر الاكبر

وصف فنيقيه - مدائنهم - أصل الامة الفنيقية - صيدا أقدم مدينة - مستعمراتها - صور -  
المدائن القديمة والحديثة - أول المخاطرات التجارية للفنيين - تجارة الصفيج أو القصدير - أخطار

التجارة البرية - أخذ الفنيقيين الطرق البحرية - نشر تجارتهم ووصفها - المستعمرات الفنية  
 - صناعة الصباغة - شغل الزجاج - الفخار - شغل البرنز - الزراعة - الحروف الهجائية -  
 النسيجية واستعمالها في الكتابة - اللسان الفنيقي - أشغالهم العلمية - العمارة - الفنون -  
 ديانة الفنيقيين - صفة الامنة - قيام صور - حيرام الملك - معاهدته مع داود وسليمان ملكي  
 اسرائيل - نظم الاتحاد الفنيقي - خلفاء حيرام - يجهالون الملك - هرب ديد و حزب  
 الاشراف - تأسيس قرطاج - صيرورة فنيقية خراجية لاشوريا - حصار صور - تغلب  
 سنجاريب على صور - انقراض سلطنة الصوريين - تخريب ابصر حدون صيدا - تغلب بختنصر  
 على صور - صيرورة فنيقية ايلة فارسية - تغلب اسكندر الاكبر عليها - تابع تاريخها

### مقدمة

فنيقية القديمة حزام ضيق من الارض تمتد في طول ساحل البحر الابيض المتوسط من ابتداء مطلع صور  
 في الجهة الجنوبية الى جزيرة عردوس في الجهة الشمالية وكان طول هذه المملكة نحو ١٢٠  
 ميلا وعرضها من قاعدة سدة جبل لبنان الى البحر لا يزيد عن عشرين ميلا واحيانا اقل من ذلك وتبعد  
 الجبال بالقرب من مدينة صيدا بنحو ميلين وعرض السهل الفنيقي من عند مدينة صور نحو خمسة أميال  
 وكامل السهل الفنيقي هو واد كبير الخصوبة يسقي بمياه جداول كثيرة ويوجد بالساحل عدة مين صالحمة  
 لان تكون مأوى للمراكب التي كانت تسير في طلب التجارة القديمة ويوجد في طول الساحل عدة مدائن  
 جليلة لها أهمية عظيمة وأكثر هذه المدائن وقوعا في الجهة الجنوبية مدينة صور وعلى عشرين ميلا  
 منها في الجهة الشمالية مدينة صيدا وعلى مسافة ستة عشر ميلا من شمال صيدا توجد مدينة بيروت  
 التي صارت في الازمان الاخيرة أشهر مينة بحرية بل بلاد سوريا وفي شمالها بقليل بيلوس أي جبله وهي  
 مسكونة بالناس بحرية صيادين وفي شمال جبله يوجد طرابلس وآخر الجميع عردوس وخلاف المياه  
 الكثيرة التي يعطيها جبل لبنان لسقي هذه المملكة فإنه مشحون بوفرة الغابات والاورمانات وينبع  
 من أخشابها التي لا تنفد محصولا عظيما من الاخشاب اللازمة لصناعة المراكب وهذا الجبل هو القافل  
 لمملكة فنيقية من الجهة الشرقية

والفنيقيون فرع من ذرية حام وهم من نسل كنعان وجاءوا الى هذه الاراضي من سهول كادياف في نحو  
 عصر غروذوب و بعدة مدائن متقلبة التحدت مع بعضها في جامعة واحدة وكانت احدى هذه المدائن  
 معروفة في العادة عندهم بانها رأس الجامعة وما كانت هذه السيادة لها الا في مدة وقوع حرب فقط  
 وكانت المدائن الاخرى حرة في اجراء أشغالها الداخلية على حسب عوائدها وحكومتها

والظاهر أن مدينة صيدا أقدم المدائن الفنية وأول من حاز الثروة والشوكة وهي أول من شرع  
 مشروع التجارات في البر والبحر مع الامم المجاورة لها وأول من دخل في شغل تأسيس المستعمرات التي  
 عادت نتاجها على الاعمال الفنية بهيات متميزة وصور جليلة وكانت مدينة صور أول هذه  
 المستعمرات وتمتعت مدينة صيدا بالسيادة على المدائن الفنية الى حد نحو سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد  
 حتى ضبطها الفلستينيون القاطنون في القسم الجنوبي من فلسطين ودمروها تدميرا والتجأ أهلها  
 الى صور وصارت مدينة أصلية فنيقية ثم ان مدة تاريخ تأسيس مدينة صور غير معروفة في الحقيقة  
 وانما أصل المدينة الاصلية كانت واقعة على البر الاصيل ومن بعد مدة أنشئت مدينة جديدة فوق



جزيرة على بعد نصف ميل تقريباً من الساحل ففاقت بوجه السرعة على صور القديمة في الثروة واشتهر اسمها ولا صيتها في البر والبحر

وكان البحر هو الميدان الأكبر لا شغال الفنيقيين ومعدناً لا يعجز عن أن يستخرجوا منه ثروتهم ولبشوا عدة قرون ليس لهم عدو ينازعهم في معاشهم وتجاراتهم وكانت تجارات الدنيا القديمة باجتماعها محصورة في أيديهم ومن المحقق أن مبدأ مخاطراتهم التجارية كان مع المصريين وكانوا يرسلونهم من طريق البحر وقد وجدت عدد آلات مصنوعة من البرنز في مقابر المصريين شغلت في عصر واحد مع الأهرام وكان البرنز من جزم من القصدير وكان القصدير لا يوجد بمصر وأوان مصر قريبة للقو قاس أو الهند أو أسبانيا فمن ثم لم جلبه إلى مصر من الجهات التي كان يستخرج منها ومن المعلوم أن فنيقية كانت الواسطة في مدخولاتها ويظهر منه أن تجاراتهم القديمة كانت محصورة في تجارة القصدير أو الصفيح ومع هذا فإن التجارة البرية في هذا المعدن مع مصر حصل فيها مشاق ومصاعب كبيرة لأنها كانت تحتاج لسفر طويل السير وكانت الطرق اللازمة للسير فيها مارة من وسط جهات مشحونة بقبائل سلابة نهاية قاطعة للطريق وسكان مفتوحة لانسنة زوارة وزيادة على هذا فإن سكك تجارات القصدير كانت تحت أيدي حكام ملوك أرباب طمع كانوا يرغبون احتكار هذه التجارات لأنفسهم فمن ثم اجتهد الفنيقيون في البحث عن طريقة أمينة في توجيه هذا المعدن خالصاً من اغتصابه بأي يد كانت وطريقاً سالماً آمناً من قطاع الطريق فكان يخرج من أسبانيا كميات وافرة من هذا المعدن فاعدوا البحر لأن يكون طريقاً سالماً وسكة مكشوفة وبهذا كانت المراكب الفنيقية تسافر إلى السواحل الأسبانية وتشتكن منها القصدير الأسباني وتسافر به إلى مصر واستمر وأما لازمين على هذه التجارة القديمة حتى أكتسبتهم الثروة والشوكة في تاريخ أجيالهم الأخيرة واستمر الفنيقيون مدة مائة من الزمن محصوراً فيهم امتياز جلب وتحضير الصفيح لإيطاليا والبحر ليس كما كانوا يجلبون لمصر ولما عجزت معادن أسبانيا وفرغت من هذا المعدن صار عبور بونغازة عمدة هرقل وسافرت الأسبانيا إلى سواحل كرنفال بشأن هذا المعدن بما أنه كان هو القاعدة الأصلية للتجارة

وأخذت تقدم التجارة الفنيقية بسرعة وكانت تجاراتهم جارية فيما بينهم ومع الأمم القريبة جداً منهم ولا جمل لشرومت تجارتهم شيدوا مستعمرات وأقاموا محطات تجارية في جهات بعيدة وكثير من هذه المستعمرات صار في الأزمان الأخيرة مدائن جليلة وتولد من مواقع هذه المستعمرات درجة امتداد حقيقة للتجارة الفنيقية لأنه من الواضح جلياً أن المستعمرات كانت على العموم مراكز تخرج منها التجارة مخاطر في اقتحامها إلا فاليم القاصية فكانت المستعمرات الفنيقية الموجودة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط هي باقوس وأمثوس وطاميثوس وأمقوس وطا وثيرة وأغلب جزائر السكلادة وطاسوس وفي قبرص وعيا اليسوس وقريوس وفي رودس وكان في الجهة الغربية من البحر الأبيض المتوسط للبيوم وپانورموس وفي صقلية وغولوس وميليط وأوطية وقراطاجنة وحرد منتون في شمال أفريقيا وقرطبة وماقية في أسبانيا وعلى ساحل البحر الأطلنطي في خاف عمدة هرقل كان يوجد طرطسوس على نهر الوادي الكبير وفاديس على جزيرة ملاصقة لساحل أسبانيا وكان في الخليج الفارسي طيلوس وعردوس والمحتمل أنها البحريين

وكانت تسافر الأسفار من قاديس وطرطسوس إلى الساحل الغربي من أفريقيا لاجل جلب القرد

والى جزائر حيشلى وكرنوال لاجل جلب القصدير وكانت المراكب الفينيقية تنزل من طيلوس وعردوس  
فى الخليج الفارسى وتبحر فى الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد العرب وكذا تجر مع الهندوسى لان وترجع  
بالملابس واللؤلؤ وان مينى علاث فى رأس البحر الاحمر (خليج العقبة) كانت نقطة مبداء الاسفار الى  
عوفير فى الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد العرب وكانوا يستعملون منه على الذهب وكذا صار عبور  
البحر الاسود وربطت العلاقات التجارية مع أهل تراسية وصيبيطيا وكونشيس وأما المحطات التى  
كانت واقعة على البحر الاحمر والخليج الفارسى فكانت تحتاج لتجارة برية بينها وبين المداين الفينيقية  
والظاهر أيضا أن هذه التجارة البرية كانت ممتدة الى الامم المجاورة لها

وزيادة عما كان عليه الفينيقيون من حل تجارتهم الى الجهات الخارجة كانوا يستغلون ثروة عظيمة  
وأموالاً جليلة من مشغولات مصنوعاتهم وكان أجل محصولهم فى ذلك ناشأ من صناعة الصباغة المعروفة  
باللون الأرجوانى الصورى واستعملوا عليه من نقط دقيقة من محار سمك البكسينوم والموريكس ولون  
هذا الأرجوانى أحمر بنفسجى غامق فيجعلون له فى الصباغة هيات مختلفة تبعاً لما يضيفون اليه من  
أنواع العقاقير التى كانوا يستعملونها معه فكانت مشغولات القطن والكتان والحرير تصبغ بهذا اللون الا  
أن الصباغة الطريقة كانت تجرى على البضائع المشغولة من الصوف وبما أنه وجد أن الصباغة  
تتكلف فيما كبره صاروا يستعملونها فقط فى أنواع الاقشة الجميلة والنسيج وما كان شغل هذه  
البضائع وطرق صبغها محصوراً فى مدينة صور فقط بل فى كافة المداين الفينيقية وان عومير ألبس  
فرسانه الجلابب الصيدية المصبغة بهذا اللون الأرجوانى المفخر

وينعم الفينيقيون أنهم هم الذين اخترعوا صناعة عمل الزجاج ولما كانوا أصلاً فى تشغله كانوا هم أول من  
حاز الدرجة العالية فى مهارة طريقة وجود الزجاج وكانت صيدوس وشرطة مقرين أو مركزين  
شهيرين لهذا الشغل وكانوا يجلبون الرمل المستعمل فى تشغله من شاطئ نهر بلوس القريب من  
رأس جبل الكرمل ولهذا الآن توجد أوان كثيرة ومواعين كانوا يستعملونها فى تشغيل الزجاج تدل  
على مهارة وذكاوة شغالى هذا الصنف وكانوا أيضاً أرباب دراية تامة فى عمل الفخار ومنهم تعلم الجريق  
صناعة نقش الاوانى والمواعين المصنوعة من الفخار وغير وافيهما حسب الموافقة والتقدم فى الصناعة  
وكانوا يصدرون الفخار الى البلاد المجاورة لها بكيات وافرة وكان الصوريون يستعملونه فى مبادلة الصفيح  
وقت أسفارهم الى جهات كرنوال وجزائر حيشلى

وكان الفينيقيون على درجة عالية فى تشغيل البرنز وفى تشغيل المعادن الكريمة وكانوا أمهر جواهرية  
فى عصرهم ولقد كشف أحد الكشافين المتأخرين بعض قطع من تشغيل هذا الصنف حصل  
الاستدلال منها على مهارة وذوق المشروع الذى كان عند قدماء جواهرية الكنعانيين وكانوا أيضاً على  
شهرة تامة فى النقوشات الجميلة التى كانوا يرسمونها على العاج أو سن الفيل

وكان لهم دراية تامة فى زراعة الاراضى وفلاحهم فكان يخرج أجود النبيذ وأحسنه من ضواحي  
صور وبيروت وجبل لبنان وكانوا يستغلون الحرير ويربون دودهم بالصورة المستعملة التى  
صناعتها جارية بها الآن وكان يخرج منه محصولات وافرة وأثمار هذا الإقليم وفواكه مشهورة بجلاوتها  
ولذتها فكانها

ومن المحقق أن الفينيقيين هم الذين اخترعوا حروف الهجاء على زعم بعض المؤرخين الآن



استكشافات السنين الاخيرة أقامت برهان الشك الاكبر في ذلك ومع ذلك فمن المحتمل أنه عند ما كانت كتابة الامم الاخرى القديمة الشرقية دالة على التصور دون اللفظ يعني حروف تصويرية فقط مأخوذة أصولها من طريقة الحروف المصرية كان الفنيقيون يستعملون حروف هجاء ناطقة مركبة من أربعة وعشرين حرفاً يظهر أنهم اتخذوها من حروف الكتابة المقدسة المصرية وكان لكل حرف من هذه الحروف الهجائية غنة ووصلة واحدة ولا تعلم الطريقة التي كان الفنيقيون يستعملونها قبل ذلك والمعتقد أن حروف الهجاء الفنيقية صاروا اختراعها في نحو مائة واريس أحد ملوك الرعاة الذين كانوا متسلطين في مصر قبل خروج بني اسرائيل بقرون عديدة وهي الحروف الابتدائية الحقيقية التي كانت وجدت مستعملة فعلياً هذا سواء كان الفنيقيون هم الذين اخترعوا الحروف أو لم يخترعوها كانوا أول من استعملها في أشغال أنفسهم أشبه بطريقة ممتازة عن الكتابة المقدسة المصرية أو الكتابة الدالة على التصور دون اللفظ وعند ما شرعوا في مشروعاتهم التجارية اخترعوا حروفهم الهجائية أيضاً ومن ثم علموا الامم الاخرى طرق استعمال هذه الحروف وقد لاحظ المعلم رنان وكان ملحوظه مقبولا بأن الحروف الهجائية الفنيقية كانت أيضاً من جملة الصادرات مثل المواد التجارية

ومن مناقضات التاريخ أن الفنيقيين ولو كانوا من نسل حام الا أنهم كانوا يتكلمون باللغة السامية مع البلاغة والفصاحة ومن المحقق أن اللسان الفنيقي كان في اختلاف خفيف ليس له أهمية مع اللسان العبري وأن مطابقة القواعد النحوية ونص الالفاظ بين اللسان العبري واللسان الفنيقي لا يظهر منها أدنى امتياز بين اللسانين بل مجرد لهجتين بينهما اختلاف يسير في لسان واحد والظاهر أن الفنيقيين كانوا أرباب علوم وآداب في المدة القديمة من تاريخهم فكانت قواعدياً لهم وجمعياتهم وتآلفهم وتنظيمات سياستهم مدونة جميعها في قانون مكتوب ومن جملة ما ألفوه من الكتب شئ مختص بالديانة والزراعة والقانون النافعة وحاز المداين المختلفة تسجيلات ممتدة الى ما قبل وجودها من أزمان قديمة بطريق الكتابة وحفظوها مع الدقة والاعتناء وحصل عندهم تقدم زائد في العلوم والقانون وكان معماريو أهل صيدا أجود وأشهر من معماري سوريا قاطبة وكانت علوم الفلك والحساب والهندسة والملاحة والفلسفة مزدهرة في فنيقية وعلى الخصوص في صيدا وهذه عوشت ماضع من سيادتها وشوكتها بمجدادها كتم العقلية وأشغالها العلمية

ويظهر من الآثار القديمة والاطلال الباقية من المباني الفنيقية صفة عمارة الفنيقيين وقال المعلم رنان ان الهيئة الممتازة في وضع مجسمات المباني في حالة قوية هي إحدى القواعد المرعية في الحقيقة ويستدل من هيئة المباني الفنيقية على ما كانوا عليه من الثروة وعظيم الابهة والشوكة وكانت مبانيهم مبنية بالحجارة متعددة مرصوفة فوق بعضها كما هو مشاهد لحد الآن في شغل حوائط دكة الهيكل في اورشليم التي بناها معماريو الفنيقيين وبنائهم وفي رصيف البحر الموجود في أطلال مدينة صور وكانت قبورهم مبنية مع اتساع كاف لغرض أصلي عندهم ولقد استمرت مبانيهم قائمة الى العصور الاخيرة ومع ما طرأ عليها من الحوادث الجوية والذهرية وما آلت اليه عاقبة أمرها فان وصف هذه المباني حفظ لنا بعض آثار العصور الماضية بطريقة كافية صار لنا بواسطتها قدرة على ممارستهم او معرفة أحوال الفنيقيين مع النجاح التام

وأما التماثيل الفنية فكان فيها نوع اختلاط من هيئة التماثيل المضربة والاشورية وذلك أن الصورة العمومية كانت مصرية والشغل آسيوي فأما التماثيل الضخمة الكبيرة فكانت نادرة بالكلية وأما التماثيل الصغيرة فكانت عديدة ومنها ما هو مصنوع بعناية الدقة والظرافة من الاجار ومنها ما هو مصنوع من الطوب والاجر ومن البرنز وفي هيئة رديئة في الشغل والرسم والتظاهر أن كلا من الصنفين أصنام وكان عند كل واحد من الفنيقيين في بيته صنم أو أزيد والاعنياء منهم لهم أصنام الطبقة الاولى من الشغل الطريف وأما الفقراء فكانت أصنامهم الطبقة الثانية من الشغل الرديء لان شغلها كان مع العجلة ويبيعونها بأرخص قيمة

ومن المعلوم أن ديانة الفنيقية كانت متفرعة من المنبع الذي تفرعت منه ديانة كلدان و آشوريا وكانت مؤسسة على رأى وجود الله واحد لا يمكن وصف شخصه بعبادة من المواد الدنيوية يخرج من جوهر نفسه من دون حصول أدنى شغل ظاهر في الخلقة والتكوين وكان يلقب على العموم باسم بعل ومعناه الرب وهو نائب الشمس والنائب الأكبر في القوة المؤثرة للتكوين ومجزأ الى جملة آلهة ثانوية اسمها بعليم متكونة من جوهره وهي صور وهيئات مرجعها اليه وأما الاله الأكبر فكان معتبرا بأنه جسد مخلوقات متباينة واسمه بعل ثوث ويسمى أيضا أدون ومعناه الرب ومنه أخذ الجريس اسم أدونيس وأعطوا لهذا الاله أسماء منها بعلشون ومعناه الحافظ وبعلموخ ومعناه الفاني وبعلزبوب ومعناه معيد الارواح والاجسام البالية الى حياة جديدة وكان لكل اله أنثى أو زوجة ولكل بعل ثانوى زوجة مطابقة لاسمها بعلات تنوب عن الاله المذكور في مناظر وهيئات متباينة وكانت زوجة الاله الأكبر بعل في مدينة صيدا اسمها استارتى ومعناها القمر وكانت الكواكب تعبد بقدر ما لها من القوة المؤثرة وكانت النار عندهم أيضا من المعبودات المحترمة فكانوا يعبدون الشمس والكواكب بصفة آلهة نارية ذات تأثير عظيم وقال مورس ان ديانة الفنيقيين كانت عبارة عن كونهم يجعلون القوى المؤثرة الطبيعية آلهة يعبدونها ومن ثم كانوا يعبدون الاشياء التي كانت تظهر فيها قوة التأثير أكثر من غيرها

وكانت عبادة الآلهة الفنية مصحوبة بشعائر مهولة فظيعة جدا فكانوا يحرقون الاطفال على قيد الحياة مرضاة لغضب بعلموخ وأحدثت هذه الحالة في قرطاج هولاء وانزعاجا شديدا وضغطت هذه الديانة على جميع أجناس الاحساسات الطبيعية البشرية لبنى الانسان وسلبت عقولهم بخرافات مهولة فبيحة العمل وما أمكن تبسرا للحصول على طريقة نفع الامة هذه لان الصفات الادبية كانت محصورة عندهم في ديانتهم وكانوا أمة همجية في مثل هذه المادة ليسوا تحت روابط معتادة وكانوا في هذا الوقت مثل الارقاء في حالة مكدره مغمة جبارين مفسدين متوحشين محبين للذات أهل طمع وشح لازمة لهم ولادين وكانوا أرباب تجارة في جميع الاشياء الا أنهم كانوا مجردين من كل كرم نفسى وعاشرة أوصيت

وكان موقع فنية على صفة لون تاريخها فكانت هذه المملكة عرضة لجميع كبار الفاتحين الذين جعلوا سوريا لوقائعهم وحروبهم مدة من الزمان وثورتها وغنيتها هي التي دعتهم لهجومهم عليها وسيرهم اليها ومن ثم كانت مدة الاستقلال الفنيقي قصيرة جدا وان كان منشأ وجوده من ابتداء انشاء هذه الامة وأرغمت في الايام القديمة على خضوعها لسيادة مصر ومن هذا الوقت انتقلت على التوالي الى



الملوك الذين ضابطوا الدنيا القديمة وحكوها ولقد شاهد القرن الحادي عشر قبل التاريخ المسيحي  
سرعة تقدم صور حتى صارت أكبر مدينة في فنيقية تحت سلطنة ملوكها الوطنيين وتقدمت مع  
المجالة في الثروة التجارية والأعمال الفنية الداخلية وقد علمنا أن أول ملوكها كان أبي بعل وكان  
معاصرا في مدة من حياته داود عليه السلام ومن بعده موته خلفه ابنه حيرام سنة ١٠٢٥ قبل  
الميلاد فتسلطن المدة الباقية من القرن وعقد حيرام معاهدة تجارية جلبت مع داود وسليمان ملكي  
اسرائيل وأرسل مقداراً وافراً من المهمات والأدوات التي كانت لازمة لعمارة معبد اليهود وكذا أرسل  
الانفار الشغالين الذين بنوا هذا الهيكل وكانت سلطنته من أجل المدد التي عادت بالفلاح على مدائن  
فنيقية وامتدت إلى مدة تنوف عن أربع وثلاثين سنة وكانت سيادة صور حاصلاً لإقرار عليها في جميع  
أنحاء فنيقية ولو أن كل واحدة من المدائن كان فيها ملكها القائم بإدارتها الآن التجار يب حنكبتهم  
ضرورة فائدة جامعة الاتحاد والكلمة وكان جميع ملوك هذه المدائن المختلفة حاضرين لسيادة ملكهم  
ملك صور وهو الملك الحقيقي الوحيد لامة الفنيقية وكان يلقب بملك الصيدين ويجب على منطالع كتابنا  
هذا أن لا يخطأ هذا اللقب بلقب ملك صيدا الذي كان هو الملك المحلي للمدينة القديمة وأجرى ملك صور  
جميع الأجرآت المتعلقة بشأن ما يعود من المنافع على فنيقية وعقد معاهدات مع الأمم الأجنبية  
تختص بتجارهم ومستعمراتهم وألغى جميع القوى البرية والبحرية والاجتماع وكان معاصداً في جميع  
أجراآت بواسطة نواب من المدائن الأخرى ومات حيرام في سنة ٩٩١ قبل الميلاد وخلفه ابنه بعليطار  
فتسلطن سبع سنوات وخلفه ابنه عبد اسطرطوس وتسلطن تسع سنوات ثم قتل في ثورة حصلت في  
سنة ٩٧٥ قبل الميلاد وأعقب موت عبد اسطرطوس مدة طويلة تسلطت فيها الفلاقل والحروب  
الداخلية فخاصم فيها على تخت صور كثير من المدعين واحد بعد واحد مع التوالي السريع وانتهت  
هذه الفلاقل في نحو سنة ٩٤١ قبل الميلاد بنسبعل الخادم الأكبر في هيكل اس-تارقي فذبح فعليس  
المدعي الأخير وأقام نفسه على كرسي مدينة صور ملك الصيدين وزوج بنته عزابيل إلى احاب ملك  
اسرائيل فأخذت عقله وتمكنت محبته من لبه وخضع لها وازاد نفوذها وقويت شوكتها حتى ارتفعت  
شوكة الفنيقيين في اسرائيل مدة سلطنة احاب وجاء من بعده نسبعل ابنه بعد طور في نحو سنة ٩٠٩  
قبل الميلاد فتسلطن ست سنوات وخلفه ابنه معطجين

وبجلس معطجين على كرسي صور في سنة ٩٠٣ قبل الميلاد فتسلطن اثنتين وثلاثين سنة ومات  
في سنة ٨٧١ قبل الميلاد تاركا طفليْن ولد اسمه بيجماليون وبنتا اسمها عليصار وعليصه المعروفة  
باسم ديدو ومعناه المحبوبة وكانت البنت أكبر من أخيها بضع سنين وكان بلغ عمره إحدى عشرة سنة  
وقت موت أبيه وكان مقصداً معطجين أن ولديه يتسلطنان سوياً ولما كان مقصداً لامة استبدال هيمنة  
الحكومة الأرستوقراطية قاموا في ثورة وأعلنوا بملك بيجماليون وخروج أخته من السلطنة وكانت  
متزوجة طيخار بعل وهو الخادم الأكبر في ملكارث ومن بعده الملك في الرتبة والشرف وهو رأس  
حزب الاشراف ومن بعد مضي مدة قليلة أمر بيجماليون الملك بقتل طيخار بعل فرتبت ديدو ثورة من  
أشراف الفنيقيين لأجل أخذ تارز وجهها وخلع أخيها من السلطنة فانهمرت في شغلها بواسطة حرب  
الامة وكان الثائرون معها ألوفاً من أهل فنيقية فقبضوا على بعض مرآكب كانت راسية في ميناء  
صور حاضرة للسفر وأقنعوا في تلك المراكب تحت قيادة عليصار ومن هنا تغيرت أحوالها إلى اسم ديدو

الهريانة ووصلوا الى الساحل الشمالى من افريقية واسسوا مدينة قرطاجه ومعنى قرطاجه باللغة  
العبرية المدينة الجديدة

وتولد من سفر حزب الاشراف من فنيقية ازالة الضغط الاكبر الذى كان واقعاً على نفوذ وشوكة ملك  
الاصوريين وأخذ الملك من هذا الوقت فى الحكم المطلق الاستبدادى وفى مدة هذه السلطنة ظهر  
الاصوريون على ساحل البحر الايض المتوسط تحت قيادة اشور عزربال فأخضع المدائن الفينيقية نظير  
اعقائهم من الخراب والدمار ودفعوا الخراج والتأهر أن حالة هذه التبعة استمرت نحو قرن وانتهت سلطنة  
بيجاليون سنة ٨٢٤ قبل الميلاد غير أننا لا نعرف أى تاريخ أو حكاية الملك فنيقي لخدمة منتصف القرن  
التالى وتسلمت كثير من الملوك الوطنية فى المدائن الفينيقية يدفعون الخراج لاصوريا وكانوا مدودين  
عند ملوك الاصوريين من جملة تبعيتهم ومع هذا فان مثل هذه التبعة ما حصل منها أدنى تعطيل ولا  
تأخير فى حركة تجار فنيقية ولا ضرر بشوكتها البحرية

واستمرت السيادة الاصورية على رقاب الفينيقيين الى منتصف القرن الثامن قبل التاريخ المسيحى  
حتى قلت راحة الامة وتكدرت صدورها تحت حكم الاصوريين وفى نحو سنة ٧٤٣ قبل الميلاد  
عصت فنيقية على تغلا ثلغاصر الثانى تحت قيادة حيرام صاحب صور الا أنها أرغمت على بقائهم فى  
موقعها الخراجى بواسطة تقدم الفاتحين فى فلسطين وفى سنة ٧٢٧ قبل الميلاد عصت فنيقية  
ثانية تحت قيادة عيلولوس وكان هذا العصيان فى مدة سلطنة صلمنصار الرابع فسار ملك الاصوريين  
تغيرا على مملكة فنيقية واحتل صور القديمة من دون أن يلقى منها أدنى مقاومة وحاصر جزيرة المدينة  
وما كان له طاقة على هجومها من البر وما كان أيضاً عنده أسطول فى البحر فكان حصارها عبارة عن  
احاطة فقط وكان أعظم حادثة حصلت هو أن الاصوريين قطعوا مجرى المياه التى كانت واصله من البر  
الاصيل الى مدينة صور ومنعوا وصول المياه اللازمة لشرب المدينة فعلى ما قيل ان الاهالى استمروا  
على شرب مياه الامطار مدة خمس سنوات وهى المدة التى قاومت فيها المدينة الجيش الاصورى وفى مدة  
هذا الحصار خلع صلمنصار واستمر الحصار جاريًا بواسطة سرخون خليفة وأما المدائن الاخرى الفينيقية  
فانها سلمت من مبادئ وضع الحصار على مدينة صور وكذا فى أثناء تقدمه وجمع سرخون أسطولا  
مركباً من ستين سفينة من تلك المدائن واجتهد فى الهجوم على جزيرة المدينة من البحر فخرج  
الاصوريون مع اثنتى عشرة سفينة وهزموا أسطول سرخون وأبادوه وأخيراً من بعد كد خمس سنوات  
مضت على غير طائل رفع قواد الاصوريين الحصار عن المدينة

ولوانه حصل من صور مقاومة عظيمة لاصوريا الا انه اعتراها من طول الحصار ضعف يؤسف من حاله  
وكانت المدائن الاخرى الفينيقية خرجت من تحت سيادتها وصارت خراجية لسرخون وازدادت  
مصائبها فى سنة ٧٠٨ قبل الميلاد بكونها فقدت مستعمرتها قبرص بخضوعها للاصوريين وفى سنة  
٧٠٤ قبل الميلاد بعد جلوس سنجاريب على التخت الاصورى اني بيهة قليلة من الزمن أقام عيلولوس  
هجرة ثانية سيادة صور على فنيقية وأعلن باستقلاليتها وفى سنة ٧٠٠ قبل الميلاد أغار سنجاريب على  
فنيقية بقوة كبيرة من عساكره فترك المدائن الاخرى وخصم الملك الاكبر مجرد اقترابه منها  
والتجأ عيلولوس الى جزيرة صور معتقداً سعادته فيها وتركت هذه السعادة فى هذا الوقت وأخذ  
سنجاريب صور وهرب عيلولوس ناجياً بنفسه فى سلامة وعفا سنجاريب عن المدينة وأهلها وجعل



فيها طوبى بالملك المعترف بعبوديته له ودفع الخراج اليه  
ولما تغلب سنجاريب على صور زالت السيادة السورية التي كانت جلا ثقيلا صعبا على المدائن الاخر  
وأما صور فانهم استمرت في نفوسهم امر كرا للفوائد التجارية الفنية وعما ضد المدائن الاخر سنجاريب قلبا  
ويدا على محاربته صور ثم ان سنجاريب رتب جميع المدائن في درجة واحدة خراجية للمملكة آشوريا  
وعند موت سنجاريب عصت صيدا وسعت في طلب السلطة الاولى التي كانت لصور فأخذوا يصرون  
هذه الثورة وعاقب الصيديين بأشد العقاب في سنة ٦٨١ قبل الميلاد وخرّب صيدا واستعبد أهلها  
ولما مات ايصرحدون خلع المدائن الفنية طاعتها الاشوريين وعقدت معاهدة مع مصر وفي سنة  
٦٦٦ قبل الميلاد أعاد ملك الاشوريين آشوربانيبال سلطته على مصر أطفأ الثورة الفنية وفي نحو  
سنة ٦٣٠ أو ٦٢٩ قبل الميلاد كنست الموجة العظيمة التي حصلت من غارة الصيطنانيين وهم  
يا جوج وما جوج أرض فنيقية وخرّبوا البلاد المفتوحة وأما المدائن المستحصنة فانهم لم يقرّبوها  
ثم تولد من سقوط مملكة آشوريا الفنية مملكة ممتدة وقوية من العتق والخلاص وفي سنة ٦٠٨ قبل الميلاد  
خضع الفنيقيون الى ينجو ملك مصر وانتهت السلطة المصرية في نحو سنة ٦٠٥ قبل الميلاد بهزيمة  
ينجو بواسطة ينجو في قرشيس ثم طلب هذا الفاتح الى بابل بسبب ما حصل من موت أبيه بختة  
وسمح للمدائن الفنية بالراحة مدة قصيرة قبل ظهور أستاذهم الجديد في أرضهم ومع هذا فان عقاب  
هذه الامة نزل عليهم بعتة وذلك أنه في سنة ٥٩٨ قبل الميلاد أغار ينجو على فنيقية وأخضع  
بلادها بسرعة ووضع الحصار على مدينة صور فقاومت ثلاث عشرة سنة وفي آخر هذه المدة تغلب على  
المدينة عنوة ودكها دكا وهرّب غالب أهلها الى الاسطول ونجوا بانفسهم الى قرطاج واشتركوا مع أهلها  
في تجارتهم وأشغالهم وما بقي من الاثر استمر في المدينة تحت حكم ملك اسكندر بعزل أجلسه الفاتح على  
كرسيه أشبه بعبد له ومن بعد مضى بضع سنين شرع عوفريس ملك مصر في اغتصاب فنيقية من بابل  
الا أن الفنيقيين استمروا في صداقتهم مع ينجو وبمساعدة أهل قبرص كسروا الاسطول المصري  
وبهذه المخالفات حصل توقيف في أشغال عوفريس وجملاته ومن بعد أن أخذ صيدا ونهبها وخرّب  
ساحل فنيقية رجع عائدا الى مصر محملا بآثار الغنائم والاسلاب  
ولما سقطت المملكة البابلية انتقلت فنيقية تحت سلطنة الفرس أو وهو الاصح في مدة سلطنة  
الهراسب (قبيز) لان القسم الاصل من القوى البحرية الذي كان استخدمها هذا الملك في حرب مصر  
كان مركبا من المراكب الفنية وبحريتها انقرضت سلطنة الفرس بتغلبات اسكندر الاكبر وفي  
نفس هذا الوقت انقرضت الامة الفنية الاصلية ودخلت المملكة في الممالك التي شيدها خلفاء  
اسكندر من بعده فكانت تارة لمصر وتارة لمملكة سوريا البحرية وبقية وأخيرا صارت معدودة من ممالك  
رومة وما زالت حتى اغتصبها الاسلام من الممالك الرومانية ولم تزل تحت يد الاسلام لهذا العهد وأما  
تاريخها من عهد الهراسب (قبيز) فقد أدرجناه في كلامنا على الممالك التي كانت خاضعة لها

## (كتاب السابع)

تاريخ ممالك آسيا الصغرى أو الأناضول

## (الباب الأول)

قيام فريجيا وصيليبصيا وليديا وسوطها

هيئة آسيا الصغرى الطبيعية - السبب في عدم صيرورتها مملكة كبيرة - تاريخ فريجيا - أصل أهل فريجيا - صفاتهم - تغلب ليديا على فريجيا - تاريخ صيليبصيا - جعلها خراجية لاشوريا - تأسيس طرسوس - صيرورتها إالة فارسية - تاريخ ليديا - ثروة الامة وتهذيبها - عوائد الالبيين - حروب هرقليدى ومرمادى - صيرورة عنجيس ملكا - تغلبه على جريق آسيا - غارة السمرانيين - الحرب مع ميديا وبابل - صيرورة قروصوس ملك ليديا - ثروته - زيارة سولون - جواب الحكيم سولون - تغلب كيرش أو كينسرو على ليديا - عفو عن قروصوس - صيرورة ليديا إالة فارسية

تنقسم بحيت جزيرة الأناضول أو آسيا الصغرى الى عدة أقسام بواسطة سلاسل جبل وهذه الاقسام ممتاز بعضها عن بعض وكانت هذه الجهات مسكونة بعدة أجناس من العالم هم الفريجيون والليديون والكاديونيون والصيليبصيون والبالاغونيون والقيدوثيون وكانت جميع هذه الطبقات فى قوة ورصانة واحدة وبالتحاد هذه المساواة مع طبيعة التقسيمات الارضية الوعرة خرجت آسيا الصغرى عن وجود التقدم فيها لان تكون مملكة قوية قائمة بذاتها وحصل هذا التقدم فى بعض جهات حتى صارت هذه الجهات ممالك مستقلة بنفسها ومن المفيد أن نسرّد تاريخ كل واحدة من هذه الممالك على وجه الاجازة نقول

أولا - تاريخ فريجيا كانت فريجيا أول ممالك آسيا الصغرى فى الابهة والجلالة الا أن تاريخها مجهول بالكلية ويعتقد الفريجيون أنهم هم أول من استوطن آسيا الصغرى من الازمان القديمة ومن المحتمل أنهم احتلوا عموم البحيث جزيرة فى وقت واحد ثم نزلت الهجرات الجديدة للقبايل التى أتت الى آسيا الصغرى من جهة الشرق ومن جهة الغرب وطردها الفريجين الى جهة الخلف من الساحل ماعدا الاقليم الواقع فى جنوب الهاسيون فاستوطنوا هذا الاقليم وسكنوا القطعة المتوسطة من البحيث جزيرة ومن ثم صار لهم مملكة واسعة كثيرة الخصوبة والمرعى والكلا تحوى عدة بحيرات مطية وكان لهذه الامة شجاعة تامة ونوحش عنيف وعكفوا أنقسمهم على حرفة الزراعة والفلاحة وكان أهم مزروعاتهم كروم العنب وأصل مجيئهم الى هذه النواحي من جهات أرمينية وسكنوا فى مبادى أمرهم فى كهوف ومغارات تحتها فى جهات الجبال الصخرية ثم تركوها على التدرج شيأ فشيأ وشيدوا المداثر الكبيرة على سباق منظوم وفى نحو سنة ٧٥٠ قبل الميلاد وقبل ذلك بقليل يظهر أن الفريجين كان لهم سلطنة زاهرة منتظمة كانت عاصمتها غورديوم على نهر صنجاريوس واستمرت فيهم سلسلة الملوك نحو قرنين غير أننا لا نعرف شيأ مما يختص بهم وكانوا يلقبون الملوك على التوالى بلقب غوردياس



وميسداس وبمجرد ما أخذت ليديا في التقدم والشوكة ابتدأت فريحييا في الهبوط والضعف وفي نحو سنة ٥٦٠ قبل الميلاد تغلبت ليديا عليها وصارت ايلة من ممالكها

ثانيا - تاريخ صيلياصيا - تشغل صيلياصيا القطعة الجنوبية الشرقية من البحيث جزيرة وكانت مملكة غنية خصبة أهلها عاكفون على الفلاحة والزراعة ولم نعلم من تاريخها القديم شيئا ماعدا كونها كانت سلطنة مستقلة في أثناء المدة القديمة للولاة الاشوريين فأرغمها سرجون على الطاعة والانقياد له وأعطاه في سنة ٧١١ قبل الميلاد الى امبريس ملك طربال صداقا لابنته ومن ثم صارت ايلة خراجية لاشوريا وفي نحو سنة ٧٠١ قبل الميلاد عصت صيلياصيا على اشوريا فأغار عليها سنجاريب وخر بديارها وفي نحو سنة ٦٨٥ قبل الميلاد أسس هذا الملك الاشوري فيها مدينة طرسوس واشتهرت هذه المدينة مدة من السنين وكانت مسقط رأس الخواري بواص وفي نحو سنة ٦٧٧ قبل الميلاد دمر ايراصر حدون صيلياصيا بسبب حصول ثورة كانت وقعت فيها أغضبه وفي نحو سنة ٦١٦ قبل الميلاد جلس على تختها ملك اسمه طنسيس ومن ابتداء هذا الوقت صار كل ملك صيلياصيا بلقب بهذا الاسم وقامت صيلياصيا مع الشام والعمق مساعي ليديا في وقت تغلبها عليها الا انهم أرغمت على الخضوع بعد للجيش الفارسية وصارت ايلة من المملكة الفارسية مدة ما في أثناء سلطنة اهراسب (قبز)

ثالثا - تاريخ ليديا - ليديا التي صارت أجمل مملكة في آسيا الصغرى كانت واقعة على الساحل الشرقي من البحيث جزيرة وتغلبت على كامل البحيث جزيرة ماعدا ايلصيا وصيلياصيا وقيدونيا وكانت مدائنهم الاصلية سرديس وهي عاصمتها ومغنيسيا في ذيل جبل صيلوس وتياطيره وفيه بلاد افيا وكانت الاراضي الليديانية الاصلية على غاية من جودة الخصوبة وأخذ نهر الباقطلوس وهو يصب في نهر حرموس كميات وافرة من الذهب من سفوح جبال طملوس وكان هذا المعدن النفيس يغسل من الرمال في شوارع مدينة سرديس وكل من جبل طملوس وصيلوس يشتمل على عروق غنية من الذهب وكان الليديون أمة ذات ثروة وأرباب زراعة وهم أول من ضرب النقود وكانوا أحد الامم التجارية القديمة على ساحل البحر الابيض المتوسط وبلغوا الشهرة العالية في العطريات الزيتية والبسط والطنافس والمهارة في الاشغال وأخذ الجريق منهم الناي الليندي والكبجة والعبدان ذات الثلاث شعرات وذات العشرين شعرة وقلدوهم في توقيع مغانيهم وألحانهم وفي ترغاتهم ووصفهم الشعراء العميرية بأنهم كانوا أمة يركبون الخيل لا بسين الزرد والطقومة الحربية وذكروا تجارتهم وثورتهم وانظاها أن عبادة الليديين كانت مشابهة لعبادة الاشوريين ثم محقت هذه الديانة وكثيرا ما ذكر قدماء المؤرخين شر الليديين وأذا هم ومدحهم في شجاعتهم وبسالتهم في الحرب واذا خضعوا للنقاد والفاخيم مع الهدوء والراحة

وكانت ليديا منظومة في سلطنة في الازمان القديمة وأول من تسلط في ليديا عائلة تسمى العائلة الاطيادية مأخوذا اسمها من جددهم الاصل اطييس وأما الليديون فان اسمهم مشتق من ليدايوس بن اطييس ثم جاء من بعد العائلة الاطيادية عائلة تسمى عائلة الهرقليدي أو ذرية هرقليوس واستمرت هذه العائلة على كرسي المملكة نحو ما من ٥٠٥ سنة

وكان أرجوحفيد الطوس وابن هرقليوس أول ملوك الهرقليدي في ليديا سنة ١٢٢٣ قبل الميلاد

وآخرهم كندولس واشتهرت المدة الاخيرة من هذه المدة القديمة بحرب وقع بين الهرقليدي والمرنادي واطاهر أن عائلة المرنادي كانوا فرعا من العائلة المالوكية ومن بعد حروب مهولة انجبر عائلة المرنادي على أن يجردوا طريق سلامتهم في الهرب الا انهم عادوا مرة ثانية تحت قيادة رئيسهم غيجس وكان غيجس هذا من أكبر قواد كندولس فقتل كندولس وجلس على التخت وتزوج بالملكة زوجة كندولس على رضامتهم في نحو سنة ٧٠٠ قبل الميلاد وتولد من قتل كندولس ثورة كبيرة وهي حاج شديد بين الليديين وانقسموا حزبين ومن قبل وقوع المصاربة بين الحزبين اتفقوا على فصل هذه المادة عند كاهن داني فاثبت السلطنة الى غيجس فأهدى الملك هدايا فاخرة ثمينة لمعبد داني في تطير هذا الجواب وكان من ضمن الاشياء الثمينة التي قدمها غيجس طاستان من الذهب وزنهما ثلاثون وزنة يبلغ هذا نحو ما من مايون قرنك أو ٤٨٠٠٠ ليرة استراييه

وبعجرا ما استوى على التخت واطاه أن في حكمه أشعل حربا على ملطية وأزمير وكولوفون وهي ثلاث مدائن قوية تابعة لمن جاورها من الممالك ومن بعد أن تسلط نيماسيا وثلاثين سنة مات وخلفه ابنه عريديس في سنة ٦٦٢ قبل الميلاد فتسلط أربعين سنة وفي سلطنة هذا الملك طرد رحالة الصيغياتيين السمرانيين من بلادهم ومقر أجسادهم وهم من الصلطيقي خاف جيل فوقاس نخر جواعن حواجز هذه الجبال ونزلوا على آسيا الصغرى وكنسوها وقال بعض المؤرخين ان هذه الحادثة كانت في مدة سلطنة غيجس وأن غيجس قتل في واقعة معهم وتغلبوا على سزديس عاصمتهم ونهبوها وقامت قلعتهما أشد المقاومة وهذا لامة المتبررة وتسلط من بعده سعدياطيس اثني عشرة سنة وأعلن هذا الملك بالحرب أهل ملطية وحاصر مدنيهم وكانت الحصارات في هذه الايام عبارة عن نوع احاطة جارية مع بطء الحركة فاستمر الحصار عدة سنين ومات هذا الملك قبل أن يتم هجومه على ملطية والتغلب عليها

وفي سنة ٦١٧ قبل الميلاد جلس على التخت الياطيس بن سعدياطيس وتسلط سبعين سنة فكان هذا الملك هو الذي أشعل حربا على كيكاس في سنة ٦١٥ قبل الميلاد بعد أن طرد السمرانيين من آسيا الصغرى وتولد من هذه الحركة العظيمة التي أجراها الياطيس من سيادة ليديا على كامل الامم المختلفة التي كان حصل لها الضجر والعذاب من أمم السمرانيين ولما اشتبكت ليديا في الحرب مع ميديا وبابل بشأن مساعيم في مقاومة دولة ميديا من تقدمها في داخل أراضيها استمر هذا الحرب بين كيكاس ومعاضد اليناو يواصار ملك بابل وبين الياطيس ملك ليديا خمس سنوات وانتهى هذا الحرب بكسوف الشمس وحصل للجيشين ارتعاب من هذه الحادثة المهولة فتوسط ملك بابل في عقد صلح بينهما في سنة ٦١٠ قبل الميلاد ومن بعد هذا هجم على كل من مدينتي أزمير وقلاصوصيني وتغلب عليهما وشدد في الحرب الذي كان جاريا على مدينة ملطية الذي كان أبوه شرع فيه مع العنف والغلظة وكان حصار هذه المدينة استمر ست سنوات في مدة سلطنة أبيه واستمر جاريا أيضا تحت حكمه وانتهى بالطريقة الآتية وذلك أن الياطيس تناول جوابا من كاهن داني بكونه يرسل من طرفه رسولا الى المدينة يعرض على أهلها هدية تبضع شهور ولما بلغ هذا الخبر طاغية ملطية وهو طرسيدولس عجب الرسول أمر بأن جميع الحبوب والغلال والذخائر وأصناف المؤن التي جمعها بواسطة نفسه وبواسطة رعيته للمساعدة يجري جلبها جميعا الى السوق العمومي للمدينة وأمر أهل المدينة والتبعية بأنهم عند مجرد



ماير وأدنى إشارة أعطيت منه يكونون متجهزين بهيئة أعياد وأفراح وبسط وانشرائح وبناء على أمره صار إجراء كل ما طالب به حسب أمره ولما وصل الرسول الليدياني ورأى هذه الحالة العجيبة أخذته الانذهال والاستغراب من كثرة ما رأى في السوق من الخيرات وما في المدينة من الأعياد والمسرات فعاد وأخبر أستاذه الملك بما رأى وعان وظهر للملك أن تصميمه في إخضاع المدينة بطريق القحط لا يمكن وقوعه ورجح الصلح بعد محاربة كانت على غير طائل ورفع الحصار في الحال وسار إلى بلاده ومات في سنة ٥٦٨ قبل الميلاد تاركاً تاجه وملكه لابنه قرصوص

واستمر قرصوص على الجروب التي كانت جارية في مدة أبيه وتغلب على يونان وعاميان ودوريان الجريق وكامل آسيا الصغرى الغربية الموحدة في غرب نهر الخاليس ما عدا اليسيا وصيلصيا ووصلت ليديا تحت حكمه إلى أرقى درجة في الابهة وعظيم الشوكة والفلاح إلا أن ذلك زال عنها في أقرب وقت عندما حان وقت خرابها واستمر قرصوص ملك ليديا في عالم الدنيا القديمة بكثرة الثروة والغنى واعتبر نفسه أنه أسعد انسان على وجه الارض فكان يضرب بثروته المثل وكانت كنوز هذا الملك وثروته مستخرجة من معادن كانت في أرض بلاده واقعة بين برجاموس واطارنة وكذا من نهر باقطلوس الذي كان رمله مشحوناً بالذهب وكانت سرابته مقر العلماء الرجال وكانت فلاسفة اليونان تزوره

ثم إن سولون أحد المشهورين من فلاسفة الجريق بعد أن دون القوانين الجديدة التي كانت لازمة لاثنية تفكر في نفسه أنه يمكنه أن يغيب عن بلاده بضع سنين لأجل اصلاح حالته فسافر من أثينة سائحاً حتى دخل في مدينة سرديس فقبول فيها بأجل الاحتفالات المناسبة لشهرة اسم هذا الرجل العالم الفيلسفي الكبير وظهر الملك في طنطنته وأبهته بين خدمه وحواشيه لا بأساً أنخر ملائسته الخيشية بالذهب المرصعة بقصوص الالباس ومع هذا فان سولون لم يلتفت ولم يبال بهذه الهيئة البديعة الشكل ولا تحرك ولا تأنط بلفظ يستدل منه على الاستغراب أو الشكر لمساعي الملك من أجل لبقائه وملاقاته له ولم رأى الملك البرود الحاصل من سولون وعدم مبالاة بهما هو فيه من الابهة والطنطنة سقط سولون من عيني الملك وأمر الملك أن يفرجوه على كنوزه ومجالات سرابته المفخرة وأمتعته الثمينة المكلفة ويظهره إليه جميع ما في داخل سرابته من الاواني والتماثيل والمجوهرات وخلافها إلا أن هذه الاشياء جميعها عند سولون ما كانت هي الملك لانه جاء لزيارة الملك لا لزيارة أسوار سرابته ولا لقيعائها ولم رأى سولون جميع هذه الاشياء أعادوه ثانياً للملك فسأله قرصوص أي انسان رآه في أسفاره سعيداً حقيقة فأجابه سولون بقوله شخص اسمه طيلوس من أهل مدينة أثينة أمين صادق على غاية من جودة الطبيعة بعد أن عاش طول حياته قانعاً بما عنده من مؤنة حياته وكان يرى على الدوام سعادة بلاده وترك أولاده تحت رضا العموم هم وأولادهم وأخيراً مات هذا الرجل مع عزة المجد والشرف محارباً في حب وطنه

فقد قرصوص هذا الجواب الذي ليس فيه فضة ولا ذهب من أبرد الاجوبة ومع هذا فانه سأله ليرى هل بعده بعد طيلوس في السعادة أم لا فقال له ثم من رأيت من بعد طيلوس فأجابه سولون بقوله كلوييس وبيطون من أرغوس أخوان اثنان تركا خلفهما أنموذج محبة قلبية أخوية كاملة والاحترام المطلوب من الاولاد إلى والديهم وذلك أنه في موسم عظيم وقت ما كانت أمهما قسيمة يوفون كان يلزمها الذهاب إلى الهيكل إلا أن الثورين اللذين كانا يجران عربتها غير حاضرين فوضع ولديها البناف على رقبتيهما

و- كما عربة أمهم الى المعبد وكان طول المسافة خمسة أميال فحصل لجميع الامهات اللاتي كن في المعبد الذهول والاستغراب وهن القسيصة على ما أعطيت من مثل هؤلاء الاولاد وهي أيضا من فرحها وشدة شكرها وحبها لولديها تضرعت الى الآلهة أن يكافئوا أولادها عنها أعظم المكافأة التي ينحها الرب الى عبده الخاضع له فسمع دعائها وتضرعها ولما تم تقرب القربان ألقى النوم على الولدين في المعبد وماتافيه مع الراحة وهما والنوم وقد سهما أهل أرغوس تعظيما لاحترامهما والدمما وشفقتهم ما بهما وجعلوا الهما تماثيل في هيكل دلفي

ثم قال قرصوص متهددا من قلب كتيب لا شيء سبب لم تعدني أنت من جملة السعداء فأجاب سولون مع الهدوء والراحة من غير قلق ولا حصول حدة ياملأ ليدانيه بخلاف المنافع والفوائد الجلية التي منحها الآلهة لنا نحن الجريسين منحتنا أيضا فراست متوسطة وحافظة قوية أدخلت بيننا نوع فلسفة واضحة مقبولة عندنا مصحوبة بحرية خارجية من الكبرياء والعجب والفظاظة ليست موافقة لآحوال الملوك وبواسطة هذه الفلسفة يجري مراعاة كثرة تعداد التقلبات والعوارض التي تقع على الانسان في حال حياته وبواسطة لا يسمح لنا أن نمجد أنفسنا بتمتعنا في نجاح حياة أنفسنا وفوزها ولا نخشع أن نجعل السعادة في آخري لاندر بما أن تنتقل منه فجأة وذلك أن الانسان تندر حياته أن يعيش ما ينوف عن سبعين سنة التي مقدار أيامها ٦٣٥٠ يوما وما وجد في هذه الايام يومين بحالة واحدة بل وجدها متباينة عن بعضهم افعلى هذا لا عبرة باقبال الايام ومجيئها لانهم مشكونة بالعوارض المختلفة التي لا يمكن رؤيتها فن ثم على رأينا لا يقدر أي انسان أن يعد نفسه سعيدا الا اذا استمرت سعادته من عند الله الى آخر حياته فالذين على الدوام عرضة لكثير من الاخطار لا يمكننا أن نعد سعادتهم حقيقة ولما تم سولون آخر ألفاظه خرج من عند قرصوص فانخط قرصوص من هذه الالفاظ الا أنهم لم تصلح أحواله

ولما ارتاع قرصوص من مظفرات كيرش أي كينسر وورأى أن مبارزته مع كينسر ولا بد منها من أجل سيادة آسيا الصغرى عقد محالفة مع البابليين والمصريين واسبرطه ضد الفرس واشتعل الحرب في نواحي شمرو وما أن هذه الواقعة من أكبر الوقائع التي حصلت في الدنيا القديمة بين الفرس وليديا فاذ كرها هنا على وجه التفصيل اتساما للتاريخ ليديا فاقول

واقعة شمرو كانت بلوكات المشاة في جيش كيرش أي كينسر وكل بلوك مركب من ١٠٠ نفر بما فيهم ضباط الملك وكل بلوك مقسوم الى أربعة أصناف كل صنف أربعة وعشرون نفرا ليس فيهم الضباط وكل من هذه الاصناف مقسوم الى نصف في صنف كل نصف مركب من اثني عشر نفرا وكل عشرة بلوكات تشكل طابورا واحدا تحت قيادة ضابط مخصوص اسمه سرهزار أو بكاشي أو رأس الالف وكل عشرة طوابير تشكل ما يقال له لواء فهم اذا كان تعداد الطابور الواحد ألف نفس وتعداد اللواء الواحد ١٠٠٠٠ نفس

وفي سابق الامر لما دعي كينسر وفي رأس ٣٠٠٠٠ من الفرس لمساعدة عمه كيكاس بدل في تنظيم أسلحة عساكره وكان ثلثاهم لهذا الوقت يستعملون الحرب أوالنشاب فقط وهم هذا كانوا على طاقة من مضاربهم عدوهم على مسافة منه فقط فغير ذلك كينسر ووسل القسم الاعظم من عساكره بالتروس والطوارق والدروع والحدود والسيوف وبلط الحرب وترك القليل من عساكره أشبه بعساكر



خفيفة التسليح وكان الفرسان لهذا الوقت لا يعرفون طرق الحاربة على ظهور الخيل ورأى كينيسرو في نفسه أن لا شيء أهم في اكتساب الوقائع الحربية من وجود الخيالة الفرسان فاجتهد شيئا فشيئا وفاز في أغراضه بكونه بجند جيشه من خيالة الفرسان يبلغ مقداره ١٠٠٠٠ حصان وكان هذا الجيش زهرة عساكره وأجودها

وكان مقدار جميع جيش كينيسرو ١٩٦٠٠٠ نفس فرسان ومشاة منه ٧٠٠٠٠ نفس من وطني فارس ومن هؤلاء ١٠٠٠٠ زرخ خيالة و ٥٠٠٠٠ زرخ مشاة و ٢٠٠٠٠ سنان و ٢٠٠٠٠ عساكر خفيفة والباقي من الجيش ومقداره ١٢٦٠٠٠ نفس كان مركبا من ٢٦٠٠٠ نفس من الميديين والارمنيين والعربان الخيالة وعن ١٠٠٠٠٠ مشاة من هذه الامم وكان يوجد خلاف هذه العساكر عند كيرش ٣٠٠٠٠ عربية حربية مسلحة بالمناجل والهراسات وكل عربية يجرها أربعة أزواج من الخيل مستورة بطقومة الزرخ هي وخيولها

وأمر أيضا كيرش بتشغيل مقادير كبيرة من عربات ذات سعة كبيرة ووضع على كل عربية منها برجاؤه نحو من ١٨ أو ٢٠ قدما رتب فيه عشرين نبالا وكانت كل عربية محمولة على عجل وتجر بثمانية أزواج من البقر وكذا رتب في جيشه عددا كبيرا من الجبال جعل فوق كل جبل اثنين من نبالة العرب راكبين في ظهر بعضهما يحفظ أحدهما رأس الجبل والاخر يحفظ جهة ذيله

وأما جيش قرصوص وكان ينوف عن ضعف جيش كيرش وكان جميع مقدار عساكره ٤٢٠٠٠٠ مقاتل منها ٦٠٠٠٠ خيال وكان مقدار العساكر المركبة من البابليين والليديين والفرجيين والقيمدوثيين ومن الامم القاطنة على بوزازا الهلسبون أي الدردانييل ومن المصريين نحو من ٣٦٠٠٠٠ نفس وكان جيش المصريين وحده عبارة عن ١٢٠٠٠٠ نفس لابسين الطوارق والدروع من ابتداء رؤسهم الى اقدامهم وبأيديهم الرماح والمزاريق الطويلة وسيوف قصيرة عريضة جدا وكان ما بقي من الجيش مركبا من الفنيقيين والعبرانيين والصليصانيين والليكانانيين والبعلاحيين والثراسيين واليونانيين

ونظم قرصوص جيشه في هيئة طابور على حذاء واحد بأن جعل المشاة في القلب والخيالة في الابحثة وكانت جميع عساكره مشاة وفرسانا واقفة في هيئة قطارات عمق كل قطر ثلاثون نفرا وكان المصريون الذين كان تعدد عساكرهم كذا كرنا ١٢٠٠٠٠ نفس وعليهم مدار القودا الاصليحة لمشاة قرصوص وكان وقوفهم في القلب مقسومين الى اثني عشر لواء واقفة على هيئة قلاع مربعة كل قلعة مركبة من ١٠٠٠٠ نفس ومواجهة كل قلعة ١٠٠٠ نفر مرسومة كوما واحدا وكانت هذه القلاع أو اللوات مفصولة عن بعضها بمسافات بحيث يمكن للقلاع اجراء حركاتهم الحربية من دون أن يمس بعضهم بعضا أو تحصل منهم مضايقة في الحركة الحربية أو اختلاط اللوات ببعضها وكان قرصوص يشتهي أن يرتب القلاع المصرية بحيث تكون أعماق القلاع قليلة ومواجهة عرضة إلا أن المصريين لم يتزحزحوا عما اعتادوا عليه من تعليماتهم وقواعدهم العسكرية وكانت الجيوش في سهل متسع جدا يتشكل منه ميدان كاف لحركات الابحثة الموجودة في الشمال واليمين من القلب وكان قصد قرصوص الذي أسس عليه أمل النصر على العدو أن يحيط جيش العدو وأوجهه في ناحية واحدة من الميدان ورتب جيشه بهذا القصد في حذاء واحد في طول مسافة خمسة أميال

وأما كيرش فإنه أرسل من طرفه شابا اسمه أرسيس فتوجه هذا إلى جيش قرصوص بصفة أنه مغاضب لكيرش وناقم عليه وكان كيرش أوصاه أن يراعى ويعرف مع الدقة والاعتناء جميع ترتيبات عساكر قرصوص ونظامها ويعود إلى المعسكر قبل حصول الواقعة يوم ولما رجع هذا الشاب الميذى أخبر كيرش بحقيقة أحوال قرصوص وترتيبه بجيشه فرتب هو أيضا عساكره وجعل الحاكم عليه في الترتيب مواقع ترتيب العدو

وكان عمق قطارات عساكر الفرس وقت الدخول في المحاربات أربعة وعشرين نفرا فافتكر كيرش مناسبة تغيير هذا الموضوع وكان ذلك من الضروري له في أن يشكل وجهته عريضة على قدر مكانه من دون أن يضعف كثيرلوا أنه وذلك لاجل منع جيشه من التجماع بعضه في بعض وكانت عساكره المشاة على غاية من الجودة لا يسين طوارقهم ودروعهم معهم بلط الحرب والسيوف منظومين في حالة بها يلاقون عدوهم على أقرب مسافة منهم ومن أجل الغرض المتقدم نقص كيرش قطارات عساكره المشاة بقدر النصف وجعل عمق القطار الواحد اثني عشر نفرا فقط ورتب الخيالة في الجناحين وجعل الجناح الأيمن تحت قيادة كريسطانطاس واليسر تحت قيادة هس- تناسب أو كشتاسب فصار كامل وجهته الجيش بطول أربعة أميال وجعل بين وجهته جيشه ووجهته جيش العدو مسافة قليلة قدرها نصف ميل

ورتب كيرش على مسافة قليلة خلف الخداه الأول عساكر المزارق ومن خلفهم النبالة وكل من هذين الخداهين مستور في مواجته بعساكر بحيث أن العساكر الخلفية يمكنهم من فوق رؤس عساكر الخداه الأول تشغيل مزاريقهم وبألهم على العدو من دون أن يوقعوا أذى على الموجودين أمامهم من الخداه الأول وشكل خلف هذه الخداهات خداه آخر لاجل حفظ ظهر الجيش وكان هذا الخداه من كبار من زهرة جيشه وأمرهم أن يفتحوا أعينهم للخداهات الموجودة أمامهم ويمتدوا الذين يحتاجون منهم الإمداد وقت الحرب ويثبتون الذين يخافون ويهددونهم سوء العذاب ويقتلون الذين تحصل منهم خيانة الفرار والهرب

ورتب خلف الجيش العساكر الذين يحتركون الأبراج وينقلونهم من محل إلى آخر وهو لا يشكوا أيضا خداه مساويا وموازي الخداه الجيش وما كان استخدا منهم فقط لأرهاب العدو بإرسال نبال عليه مستمرة الرمي بل وليكوفوا أيضا شبه نوع قلاع وطواحي متحركة أو بالنقات مربعة تتجمع تحتها العساكر الفارسية في حالة ما إذا حصل لهم هزيمة واقتمهم العدو بخيل ورجله

وكان يوجد خلف هذه الأبراج مباشرة خداه آخران مساويان وموازيان لوجهة الجيش أحدهما مشكل خداه الخجلة والآخر عبارة عن العربات التي فيها النساء وناس آخرون من الفرس لا يوافقون في الخدمات الخربية ورتب كيرش لاجل غلق جميع هذه الخداهات وحفظها من هجوم العدو عليهم خلف كل منها ٢٠٠٠ من المشاة و ٢٠٠٠ من الفرسان والعساكر الجلالة وكانوا كثيرى العدد وأما عربات الحرب فكانت منقسمة إلى ثلاث فرق كل فرقة مركبة من ١٠٠٠ عربية وكانت إحدى هذه الفرق تحت قيادة أيزاداطيس ملك البسوس ومجعله في مواجهة قلب الخداهات وكان كل من الفرقتين الآخرين في جناح من جناحي الجيش وهذا هو كان ترتيب الواقعة عند الجيشين حال بروقهما وتعييتهما قبل الدخول في الواقعة



وفي اليوم التالي قام كيرش وقت الصباح وقرب قرباً في مدة زمن أخذت فيه عسا كره الراحة وأما العسا كره فأنهم من بعد تقديم خضوعها للآلهة واعتمادهم عليها في حركاتهم بسوا سلاحهم ودخلوا في تعبية حركاتهم وبمجرد ماتم كيرش تقرب القربان أعطى ضباطه جميع التعليمات اللازمة في أثناء المحاربة وتوجه كل إنسان إلى المحل المرتب فيه وجاءه بعض من الضباط بخمروا كل فأ كل قليلاً وهو واقف على قدميه وأمر بتريق الباقي على الذين كانوا حولوه وأخذ قليلاً من الخمر وسكبه على الأرض أشبه بتقريبه للآلهة قبل أن يشرب وبعد هذا تضرع بالدعاء إلى آله آباءه وأجداده مستغيثاً بإرشاده ومعاذته على عدوه ثم ركب حصانه وأمر الناس بالتابعه وبينما كان قاصداً الجهة التي هو سائر إليها إذ سمع قعقة رعد عن يمينه وصوتاً يصيح نحن تابعون للأيام ليكنا جو بتسير فسار في الحال إلى الأمام وكان على يمينه كريسطا نطاس قائد الجناح الأيمن للخيالة وعلى شماله ارساماس قائد المشاة وأمرهما قبل كل شيء بتوجيه التفاتتهما إلى العلم الملوكي حال تقدمهما مع هذا آتتهما وكان العلم الملوكي نسرا من الذهب في طرف زانة فاداراً بجنته وأوقف كيرش عسا كره ثلاث مرات للراحة حال سيرهم قبل أن يصل إلى جيش العدو ومن بعد أن سار ميلين ونصفاً وصل الجيش إلى منتظر من جيش العدو ولما صار الجيشان على مرأى من بعضهما وراء الأعداء أن مواجهتهم طويلاً جداً عن مواجهة كيرش وجيشه أوقفوا قلب جيشهم وأمر بالجناحين بالقرب إلى القلب من جهة اليمين ومن جهة اليسار لاجل القرب من جيش كيرش وأن يتدوا في هجومهم من كل جهة في وقت واحد فلم يرتع كيرش من هذه الحركة لأنه كان ينتظر وقوعها ولما عبي كيرش عسا كره للهجوم قال لهم إن القائد والحافظ هو جو بتير وتزلج جناحه الأيمن بعد أن وعده بعوده إليه ثانياً في الحال لمساعدتهم على النصران أرادت الآلهة بذلك

وركب وسار مختبراً جميع الصفوف والحذاث بقوة عسا كره ويعطى أو أمره وكان على غاية من الاعتماد والثوق بالنصر ونادى وقال اتبعوني يا أخواني النصر لنا محقق ثابت والآلهة معنا ولا حظ أن كثير من ضباطه حتى أبراداطيس نفسه كانوا على وجل من الحركة وكان جناح الجيش اليساري على شرف الهجوم على جيش كيرش من الجانبين فقال كيرش أتخشون من هؤلاء العسا كره صدقوني بأنهم أول مهزوم وكسورروا أنت يا أبراداطيس أنا أعطيك إشارة الوقت الذي تقصم فيه بعرباتك على العدو ولقد حصلت الحركة كما قال كيرش ومن بعد أن أعطى كيرش جميع الأوامر والتنبيهات التي افترسكراً منها ضرورية في كل جهة من جهات جيشه عاد إلى جناحه الأيمن

ولما صار الفرقتان المنفصلتان من العسا كره اليساريات على امتداد كاف في تعبتهما أعطى قرصوص إشارة للجيش الأصلي بالتقدم مباشرة إلى مواجهة الجيش الفارسي حال ما كان الجناحان يلفان حول جيش العدو ويتقدمان عليه من كل جهة وبهذا انقل جيش كيرش من ثلاث جهات بثلاث جنوش كبيرة واقفة منه في ميدان حرب وصار هذا الجيش أشبه بقاعة صغيرة في داخل قلعة كبيرة

وكان قواد كيرش وعسا كره ناظرين للإشارة التي تعطى منه في أي وقت من الأوقات وعلى غاية من الهدوء والسكون منتظرين أمر الحركة فتفكر كيرش في الوقت بأنه يجري ترتيب مغاني الوقائع والحروب فابتدأ هو بنفسه في ذلك وجاوبه الجيش بأصوات عالية وتضرعوا في دعائهم إلى آله الحرب ثم

انقض كيرش في رأس بعض من عساكره الخيالة متبوعا بحركة سريعة من المشاة مباشرة على قوى العدو الذين كانوا تقدموا للهجوم على جناح جيشه الا عين من الجنب وهجم عليهم من الجنب كما كانوا عازمين هم أيضا على الهجوم من الجنب وأوقع فيهم الفشل وعدم الانتظام والارتباك واقتحم العربات الحربية مع الشدة على اليبدين وتمت هزيمتهم وفي هذا الوقت لما عرف عساكر الجناح الايسر مما هو حاصل من الغاغة أن كيرش ابتدأ في الهجوم من جهة اليمين تقدموا هم أيضا إلى العدو وتحرك في الحال طوابير الجبال إلى التقدم على نص أوامر كيرش وما كان خيالة العدو ينتظرون هذه الحركة التي جاءت عليهم بالويل والخسران لان الخيول لما شمت رائحة الجبال ورأت أصناف هذه الحيوانات المهولة الخائفة التي مارأتهما قط قبل جفلات وقفزت وشبت وترعزت ورمت ركابها من فوقها وداستها بأرجلها وبينما كان عساكر خيالة اليبدين على هذه الحالة اذ جاءهم فرقة من الخيالة تحت قيادة ارطاغسيس واقتحمت هذه الفرقة عاينهم مع الحساس ومنعواهم من التجمع ثانية وانقضت عليهم عربات الحرب المسلحة بالمناجل والهراسات وبددوهم مع القتل والاسر المهور

ولما حصل ذلك أمر كيرش ابراداطيس بالهجوم على مواجهة جيش العدو فانقض على العدو مثل البرق اللامع بجميع عرباته ولما رأى الحذاء الاول لمواجهة جيش العدو أن لا طاقة له على الوقوف أمام جملة دهولة مثل هذه وات عساكره الادبار وركنوا إلى الفرار وتشتتوا شذروا وفسدوا وكسرهم ابراداطيس وأوقع فيهم الفرار عاد إلى اللوات المصرية وكانوا مستورين بتروسهم وطوارقهم وكان سيرهم في حالة مقاربة بعضهم من بعض حتى ان عربات ابراداطيس ما وجدت لها مجالا في خرق صفوف اللوات المصرية وحصل عنده ارتباك كثير وصار لا طاقة له على كسرهم فهجم معه الفرسان والمشاة من جيش الفرس وصار منظر محال الواقعة هائل من كثرة ما على وجه الارض من الخيل والرجال والأسلحة المكسرة وما حصل من تأثير العربات من القتل والتقطيع الا أن الفرس لما رأوا شدة مقاومة المصريين ارتدوا على أعقابهم وتغلب المصريون على عربات ابراداطيس وقتلوه مع جماعته ثم تقدم المصريون وهم متقاربون في هجومهم من بعضهم مستورين بطوارقهم والزموا مشاة الفرس على الهزيمة إلى الخلف وطردهم خلف الحذاء الرابع لهم إلى حد لا يأتهم وأبراجهم وفي هذا الحال قابل المصريون هجوما جديدا من نبال وحراب سقطت على رؤسهم من الابراج المتحركة وثقت اللوات الفارسية الموجودة في خلف الجيش وسيوفهم في أيديهم صادين بنبالهم وعساكر المزراق عساكر الفرس من البهقرة والزموهم بالعود إلى الحملة والهجوم

وأما كيرش فانه هذا الوقت لما أوقع بالخيالة والمشاة الذين كانوا على يسار المصريين الهزيمة والفرار لم يبق قد أدنى زمن في تعقيب الفارين الا أنه لما اقتحم القلب مباشرة وجد أن عساكر الفارسية تقهقرت وتحقق في نفسه أن الوسائل الوحيدة لصد المصريين من تقدمهم إلى الامام هو الهجوم عليهم من الخلف ففعل ذلك وهجم من خلفهم وجاء عساكر الخيالة في هذا الوقت وهجموا على المصرية بشدة قوية ولما رأى المصريون أنفسهم بانهم صاروا مهاجمين من كل جهة حفظوا أنفسهم بشجاعة عجيبة وصار كيرش نفسه على حالة خطرة مهولة فضرب حصانه أحد العساكر بخنجره وقع تحته وسقط هو فيما بين أعدائه فارتاع الضباط والعساكر من الخطر الذي وقع فيهم فانه أسرعوا متسكزين في طوابيرهم مقتحمين على خلاصه وأسرع هو أيضا في أن ركب حصانا آخر وصارت الوقعة أشد وقعا



وأكثر دما من الأولى وأخيرا استغرب كيرش من شجاعة المصريين واقدامهم على الحروب والوقائع ورأى أنه من الخسارة هلاك مثل هؤلاء في الحروب فعرض عليهم شروطا توافق شرفهم وكرم أنفسهم إذا علموه بتسليمهم له وفي هذا الوقت كان جميع حلفائهم تركوهم قبل المصريون الشرط وقالوا أنهم لا يلزم جبرهم بأي حالة كانت على حل سلاح ضد قرصوس الذين هم في خدمته في هذه المحاربة وصاروا من الآن وصاعدا يخدمون في الجيش القارسي من دون فسخ صداقتهم ووثاقتهم وأعطى كيرش للمصريين مئذنين على ساحل البحر وميناء كنوزها في مدة حياته وسموها بالمدين المصرية واستمرت الواقعة إلى غروب اليوم الذي كان جاريا فيه الحرب وأسرع قرصوس على قدر إمكانه في القهقرة مع عساكره ليللا إلى سرديس عاصمته وتوجهت الأمم الأخرى بهذه الحالة كل مسرع في سيره إلى بلاده ومن بعد أن أكل الفاتحون شيئا من الغذاء رتبوا خفرهم وتوجهوا إلى راحتهم

وفي اليوم التالي سار كيرش على سرديس وما كان يتصور قرصوس أن كيرش يذهب في محاصرته في داخل المدينة فن أجل هذا سار في قواه لمقابله للمحاربة معه وذكر بعض المؤرخين أن الليديين كانوا تجمع أمة حربية في آسيا الصغرى وكانت قوتهم وشجاعتهم الأصلية محصورة في خيالاتهم فأمر كيرش عساكر الجبال بالتقدم والحمل لاجل صد الخيالة من اجراء حركاتهم العسكرية ولماسهم الخيل رائحة الجبال فزعت وارتدت على أعقابها فنزل الخيالة من على خيولهم وحاربوا على أقدامهم وكانت الواقعة بين الجيشين مع الشدة والعناد إلا أن الليديين أخيرا تفهقروا وانجبروا على الانسحاب في داخل المدينة فحاصرها كيرش مع السيرة وأمر بهدم أسوارها وصار يستعد بالأبراج والسطوح المائية والسلاط في الهجوم عليها عنوة وبينما كان كاذافي هذه الاستعدادات إذ حضر عنده ليللا عبد فارسي كان خادما حاكم هذه المدينة وأخبره على سكة يدخل منها المدينة بسهولة وبواسطة هذا العبد دخل كيرش المدينة وقت الفجر من دون أن يحصل له أدنى مقاومة من أهلها وكان أول احتراز أجراه هو حفظ المدينة من السلب والنهب لأنه رأى أن الكلدانيين تركوا محلاتهم وانتشروا في شوارع المدينة ونشر كيرش من عنده من مشـوريان أهل المدينة وتبعها آمنون على أرواحهم وأزواجهم وأولادهم إن أتوه بمساعدة هم من الذهب والفضة وتم له ذلك وأسرا ملك قرصوس وسجنه وسلب ثروته وذخائره ثم أمر كيرش بحرق قرصوس على حسب العوائد الوحشية التي كانت جارية في هذا الوقت فصار تركيب أخشاب عمودا لحرق ووضع الملك المشؤم عليه وبجرد الشروع في إيقاد النار تذكر قرصوس محادثته الأولى مع سولون ورأى أن جميع ما كان قاله هذا الفيلسوف الكبير وقع من غير ريب فصاح بصوت عال ثلاث مرات سولون سولون سولون وكان كيرش حاضرا مع ضباطه في هذا المحفل الجامع فأنذهل واستغرب ورغب أن يعرف لماذا قرصوس تلفظ باسم هذا الفيلسوف المشهور في هذه اللحظة الأخيرة من عمره فقيل له عن السبب الموجب لذلك فاشتغل قلب كيرش وتفكر في مصائب الدنيا وأحوالها وقلبياتها واعتبر بما حصل لهذا الملك من سوء العاقبة وأمر بانزاله من على عمود الحرق وأغدق عليه بالأكرام طول حياته وعامله بالوقار والاحترام وبهذا كان لسولون الفخر الأكبر في كونه خالص حياة أحد الملوك بلفظة واحدة وكانت موعظة أخرى لا تخرب

وصارت ليديا من هذا الوقت آيلة من المملكة القارسية وانتهت استقلاليتها في سنة ٥٥٤ قبل الميلاد والله أعلم

## (الكتاب الثامن)

## تاريخ مملكة ميديا

## (الباب الاول)

## من الازمان القديمة الى سقوط المملكة

وصف ميديا - موقعها الجغرافي - وصفها الطبيعي - الوصف الجبلي - الطقس والمناخ - المحصولات النباتية - الثروة المعدنية - الحيوانات - أصل الميديين - الهيئة الشخصية للامة وعوائدها وصفها - تعدد الزوجات - ديانة الميديين - الدين الاصلى - ظهور دين المجوس وأخذه في التقدم على التدريج - الوصف الحقيقي لدين المجوس - عبادة العناصر - عدم معلومية التاريخ الاصلى لميديا - النظام العشائري للامة - كينيه مؤسس المملكة الميديية - حربه على آشوريا - هزيمته وقله - صيرورة كيكائوس ملكا - غزو آشوريا - تغلب الصيطيانين على ميديا - مأدبة كيكائوس - عودا استقلال الميديين - تجديد الحرب مع آشوريا - المعاهدة مع بابل - سقوط المملكة الاشورية - اخذ ميديا نصيبا من الممالك الاشورية - حروب كيكائوس وتغلباته - عقد الصلح مع ليليا - صيرورة سياوخس ملكا - ضعف المملكة الميديية على التدريج - خضوع ميديا لفارس وصيرورتها ايلة منها

ميديا التي كانت ثالث مملكة جارية من ممالك آسيا القديمة تشغل اقليم واسعا من تقع الارض غلوه المتوسط ٣٠٠٠ قدم عن موازنة سطح البحر المالح وهو واقعة في جنوب وغرب بحر الخزر بين هذا البحر ومملكة آشوريا وطولها نحو من ٦٠٠ ميل وعرضها نحو ٢٥٠ ميل فتشكون مساحة أرضها ١٥٠.٠٠٠ ميل مسطح وهو امتدادا كبيرا بكثير من امتداد مملكة آشوريا وكلاهما متحدتين مع بعضهما ومديا واقعة على صخور جبلية صعبة وعرة في حالة جيدة من الحماية والرعاية في جميع جهاتها بواسطة حواجز وسدود طبيعية يحدث منها متاعب ومصاعب كبيرة لكل من يأتي مغيرا عليها من الاعداء

ويمكن تقسيم الاراضي الميديية الى كورتين وهما عدة سلاسل جبال شامخة تشكل جهتها الشمالية والغربية ومفازة عالية أو صحن مرتفع يمتد من ذيل الاقليم الجبلي نحو الجنوب الى البحر المحيط الهندي ونحو الشرق الى المملكة الافغانية والقسم الغربي من الاقليم الجبلي المعروف عند القدماء باسم زغرة وعندنا أخرى الجغرافيين باسم الكورديستان واللوريستان مشهورين بجاري مياد وغدران عميقة ورؤس صخرية صعبة الارتقاء ويحوى بعضا من المعابر والطرق الضيقة التي يمكن حمايتها بأهل طريقة وبواسطة هذه الجبال والمعابر الصعبة الوعرة وزيادة شدة مناخها وطقسها مدد تزيد عن نصف السنة حفظت نفسها من جيش محارب لها ومن كل المساعي التي أجريت في شأن خضوعها الدائم لمملكة ماوقاومت كل المقاومات ضد مساعي الاشوريين والفرس والجريق والترك وبقيت الى هذه الايام كدولة عظيمة مستقلة عما جاورها من الممالك كما حصل مقاومتها للجيش الاشورياني عند ما دخلها



أول مرة وتقهقر منها والظاهر أن طبيعة أراضيها مستعدة لتكون مغارس لرجال ذوي بأس وشدة وعثرة للثغليين وشوكة في جنب كل مملكة تشيد نفسها في هذه الجهة من القارة الكبيرة الشرقية وأما القسم الثاني من الأقليم الجبلي المعروف عند متأخرى الجغرافيين باسم البورز فهو أقل جلالاً من إقليم زغرة وليس على حالة جيدة من وجود المياه الكافية لسقي أراضيها وأنهاره صغيرة تجف غالباً في أثناء فصل الصيف وتصرف مياهها بسرعة في بحر الخزر أو تتشربها الصحارى والهيشة الأصلية لهذه السلسلة الجبلية هي شماعة علوها وستر اسنان وماوند المطل على طهران بالثلوج وهي أعلى قسم في آسيا الغربية لسلسلة جبال جالية العظيمة

وأما الصحن المرتفع المتمدن ذيل هذين الاقليمين الجبليين إلى جهة الجنوب وإلى جهة الشرق فهو في غالب جهته مفازة وصحراء رملية خالية من العمران الا قليلاً بمشتتين في جهاته ومع هذا فإن الجهات الشمالية والغربية أقل قحولة من النواحي الشرقية والجنوبية لأنها تسقى على مسافة منها بواسطة مياه الغدران النابعة من جبال زغرة وجبال البورز وتكتسب خصوبتها أيضاً من مياه الأمطار وبعض أنهار نابعة من جبال زغرة جارية على هذه الناحية عريضة قربة التيارات أحدها يسمى قزل أوزون يصب في بحر الخزر والثاني اسمه زنديرديروى قسماً كبيراً بالقرب من أصفهان والثالث اسمه بندامير يجري من ناحية پرسپوليس (اصطخر) وينتهي إلى بقعة من المياه بسعة ما تسمى بحيرة بختيجان ومن ثم يوجد بين الأقاليم الجبلية والصحراء جهة من الأرض ولوانه لا يمكن أن يقال عنها أنها خصبة إلا أنها مثمرة نوعاً ويمكن أن يحصل من أرضها مساعدة للناس يستوطنونها وهذه الأرض تشكل القطعة الأصلية للأقليم الذي كان القدماء يسمونه باسم ميديا

وعلى العموم فإن ميديا هي إقليم مجذب لحد رديئة المنظر كثيفة الهيشة ما عدا مبادى فصل الربيع ومناخها في الأقليم الجبلي شديد الصقيع ومتلطف في السهول إلا أن درجة الترمومية تقل أن تصل إلى ٩٠ تحت الظل ويعتبر الطقس في عموم الأقليم صحياً وبمساواة طرق الري يستحصل من الصحن الكبير على محصولات عظيمة من الحبوب والارز والقمح والشعير والذرة الرفيعة والغليظة والذرة الصفراء والسهم ويرزغ أيضاً فيه القطن والدخان والزعفران (القرطم) والراوند والقوة والخشخاش البنى يستخرج منه أجود الأفيون والسنامكي ونباتات بستانية في غاية اللذة والفكاهة يخرج منها البطاطس والكرنب والعدس والفول ونوع من القلقاس والفاصوليا والبسلة واللفت والخزر والاسباخ والخيار وإلى آخره

ومعادن ميديا كثيرة ثمينة القيمة وكثيرا ما يوجد في أراضيها الحدالان أحجار ظريفسة مختلفة اللون والشكل وأشهرها حجر الرخام البتريزى الجميل الصورة وكذا يستخرج منها الحدالان الحديد والنحاس والفولاذ البلدى وكان يوجد في جبالها في الأزمان القديمة عروق من الذهب والفضة وكذا يوجد فيها الكبريت والشب والجبس في محال مختلفة من المملكة ويوجد فيها صنف الملح بوفرة

والميدونيون هم من نسل أريان وينسبون إلى هذا الجنس كالتساب الفرس اليه لانهم لا يختلفون عنهم في الهيشة الا قليلاً وهم على العموم أهل مروءة وشرف وعلوهم حسان الوجوه ذوو قوة ونشاط لهم ذقون كثيفة وشوارب طويلة وشعور طويلة مجمدة على هيشة خائقات مجسمة خائف قفاهم ونسأؤهم مشهورات بحسن القتد والجمال ويلوح على هيشة الميدين الشجاعة والبسالة ومن قبل أن

تسربهم السلطنة الفارسية كانوا معروفين من بعد العساكر الفارسية بالثبات والشجاعة في الحروب  
وكأنوا ذوي عنف شديد فيها وكانت غلباتهم مصعوبة بالفواحش القبيحة المفرقة بالطمع والذم وبيع  
الخصال حالمات يتمكنون من نصرتهم وكانت عوائد الميديين في الابتداء البساطة والرجولية الآن  
نجاحهم في الحروب فتح لهم باب طريق الرفاهية واللذة في العيشة حتى غرقوا فيها وكان تغلبهم على  
أشوريا عاقبة مشؤمة على هؤلاء الأشداء الحريين فانهم أخذوا عنهم عوائد الرفاهية والتلذذ بالمعيشة  
ومن ثم أعقبها انحطاطهم وخسرتهم على وجه العجلة وكانت ملابستهم مكافئة ذات زخرفة ونقش وزينة  
فكان يرى فيها محبتهم للتظاهر وكان الميديون في الأصل أمة خيالة ماهرين في استعمال ضرب النشاب  
وكأنوا هم نبالة الخيالة في وقت الحرب وكانوا يستعملون أيضا السيوف والمزاريق لأنهم اكتسبوا في  
ضرب النبال على ظهور الخيل الدرجة القاصية

وكان تعدد الزوجات عندهم مرمي الاجراء عند الملك وطوائف الاغنياء من الناس وما كان عندهم كد  
ولاسي في تسير الحصول على القراءة والكتابة الا قليلا وتركوا الصنائع والحرف

واقد حصل التغيير الكثير في ديانة الميديين وكانت في هيئتها القديمة مشتملة على عقيدة مدبر كبير خبير  
هو أهور ومزدان وهو الخالق الجافظ مالك الملك مقهر أمام روح مكون واحد منبع للخيرات  
والطيبات وكان هذا هو المبدأ الأصلي من اعتقاد العقيدة والتعبد على مقتضاها وان أهور ومزدان  
هو خالق الحياة أرضية كانت أو سماوية وهو الذي صنع الاجرام السماوية والارض والماء والشجر  
وجميع المخلوقات الطيبة الحقة وهو محسن مقدس نقي حق الله المقدس الاقدس خلاصة الحق أب  
الحق كله أكبر خالق سيد الطاهرين والمقدسين متحور على درجات السعادة والشكر والثناء الجميل  
والصحة والعافية الغنية والفضيلة والحكمة والازلية ومنه وصلت جميع الخيرات والطيبات الى  
الانسان وانه لا يفيض على العباد والمؤمنين النعم الدنيوية والعطايا الجزيلة فقط بل ويمنحهم الروح  
الطيبة والحق والخشوع والعقل الذكي والسعادة الابدية وكأنه يكافئ على الطيب فانه يعاقب على  
الردى ولو أن ذلك لم يحصل منه الا نادرا ومن هنا يظهر أن أهور ومزدان أو أهورامزدان أو أورمزد قريب  
جدا من اعتقاد العبرانيين في وجود الاله الحق زيادة عن أي مذهب من المذاهب الوثنية وكانت عبادة  
الميديين خالية من أي تصور أو احساس من احساسات الوثنيين وان الاله هذه الديانة لا يرى بل موجود  
في عالم غير مرئي في المستقبل ليس له صورة ولا تمثال يفسد بعبادته وينجسها وان تحت ساطة هذا  
الخالق الاكبر عدة ملائكة ممتازة بقليل عن صفات الالهية أو الاله وهو لا يفعلون ما أمرهم به  
أو مزرد وهم ملائكة الوحي بينه وبين الانسان ولا يوجد في العقيدة القديمة الميديية الا قليلا لا يختص  
بالشر أو الانبياء آت المضادة لآيات الطيبة في عقيدة زرادشت وبهذه الحالة كانت الديانة الميديية والديانة  
الفارسية واحدة ثم من بعد مضي مدة من الزمن حصل تغيير في الديانة وأضيف الى الدين القديم عقيدة  
في مادتين غير مختلفتين أو مخلوقتين ومستقتاتين احدهما عقيدة الخير والاخرى عقيدة الشر وهما  
ضدان أصليان محصورتين في التثني وهاتان المادتان في حرب مستمر مع بعضهما وقال بعض المؤرخين  
انه كان كلما مر الزمن ازدادت عقيدة التثني من المذهب الزرادشتي وحصل من الاسان تأثير شديد مضر  
بالفكر وصار الشتمات والانفصال في الدنيا القديمة بين الناس وكثرت الاختلافات في مسألة مادة  
الخير والشر ولما نفي العقل الايراني وكان مبدأ توجهه هو التأمل في الدنيا يعرف حقيقة نفس الامر



فلما دخل في هذا الفجاج الواسع التزم على السير الى الامام لاجل كشف حقيقة أصل الخصام والنزاع الواقع بين بني الانسان والاسباب المتصرفة بها هذا الخصام فظهر له أن الشر معدود من تصور شخص شرير والاستمرار في منازعات متعادلة من دون حصول أدنى فائدة لجهة وكل ما تصور به العقل الايراني تمسكوا به في الدنيا وأذاعوه فيما بينهم حتى ظهر ابراهيم المساواة بين الشخص الشرير والشخص المعتمد أنه أصل للخير ومن هذا انبثق التثني

وتعتقد الايرانيون في مادتين متساويتين في الازلية وفي الندية وهما الخير والشر ويوجد بينهما من الازل ضدية مستمرة وخصام لا ينقطع وانه متولد من النزاع الواقع بينهما على الدوام غضب وحقد في جميع الزمن المستقبل فمادة الخير من سولة من عند أهور ومرتدة ومادة الشر من سولة من عند انجور ومينوس وان ما يقال له خير فهو شغل أهور ومرتدة وكل ما يقال له شر من سول من عند انجور ومينوس أي انه يتولد منه كل شيء يحصل منه الضرر والاذى فيتولد من انجور ومينوس الحرب والمرض والقحط والفقر والخشب ومعاناة جميع الآلام والمصائب والمضار التي تدخل على المواد التي يفعلها الخير من أجل حصول السعادة وأنهم يراعون أن الدنيا ميسدان حرب بين هاتين الدولتين أو القوتين وكل جماعة من القوى المتنازعة تعتقد أن عند اجلسها الشورى المركب على الدوام من ستة أعضاء فأما مجلس أهور ومرتدة الشورى فانه مركب من الاولياء الطاهرين الازليين وأنه يوجد عند مادتي الخير والشر جنود وعساكر مخصصة بهم وان أهور ومرتدان خلق ألوف من الملائكة الشاكرين له المباركين يفعلون ما يأمرهم به ويحاربون عساكر الشر وأما انجور ومينوس فانه دعا الى حالة الوجود ألوف من الاشرار الروحية ليلباعدوه على هجومه على المباركين الشاكرين

ويعتقد الميديون في أزلية الروح ويقولون ان الارواح الطيبة والحيثية تنشي بعد الموت في طول طريق بين حتى تصل الى قنطرة التجمع ومن هذه القنطرة يخرج طريق ضيق يوصل الى الجنة أو الى مساكن الابرار أما الارواح الخبيثة فتسقط من فوق القنطرة الى بركة أسفل منها وفي هذه البركة تتلقى العذاب ويحتم عليها بالمقام أبدى في ملكة انجور ومينوس وتتغذى فيها من طعام الاثيم أو طعام الغسلين وأما الارواح الطيبة فانها تساعدت في عبورهم من على القنطرة بواسطة الملك صيروش وهو يوصلها الى مساكن الابرار وحضور أهور ومرتدان

ولما بدأت الامة الايرانية في انتشار أنفسهم خلف أراضي الواقعة في شرق بحر الخزر وجنوبه وصاروا ملاصقين لقبائل الصيغانيين أو ياجوج وماجوج المختلفة القاطنة في الاقاليم الجبلية من أرمينية وأذربيجان والكوردستان والورستان كانت ديانة هؤلاء الامم منحصرة في العقائد المجوسية التي هي عبارة عن عبادة العناصر المعروفة بالنار والهواء والتراب والماء وهي المواد الاصلية النافعة للنوع البشري وما كان للمجوس آلهة مشخصة فتبذوا من طبعهم الهياكل والمزارات والصور والتماثيل وما لواء على تقوية الامة في اعتقادهم ان الآلهة موجودة في حالة طبيعية مع الانسان بمعنى ان الآلهة حائرة الشخصية والحياة وهم ارباب بصارة وتدير وخبرة وان عبادتهم عبادة طبيعية يجري تأديتها بكامل ما يختص بهم من جميع الاركان وما كان للمجوس يهيئون الآلهة بصور مختلفة من الاجار مثل الجربق وما كانوا يشخصون المؤثرات الطبيعية مثل الهنود بل كان خشوعهم لنفس أشياء مادية عرضية مؤثرة مثل النار ومن ثم كانت النار عندهم هي الداهية الكبرى وأعظم خداع عندهم وهي

مادة تأثيرية لها التأثير الأكبر وجهها اليها غايات التفاتاتهم وانه في محاربيهم النارية الالهية المقدسة  
 المعتقدين بانهم اولعت من السماء جاري المحافظة على قيادتهم من دون انقطاع من يوم الى يوم ومن سنة الى  
 سنة ومن عصر الى عصر بواسطة شريعة من قسس وظائفةهم الخاصة بهم النظر في عدم انطفاء الالهية  
 المقدسة مطلقا ويتجنب المحراب وتنتهك حرمة اذا حصل نفخ الالهية بواسطة نفس الانسان وان مثل  
 هذا بعد من أكبر الجرائم ورأس الكبار وبعد أيضاً حرق الجيف والرمم والعظام من أفعج الذنوب  
 وعند تقرب القربان للنار كان الذي يجري حرقه فيها قطعة من الدهن أو الشحم فقط وكان مثل النار في  
 الاحترام الماء فكانوا يقربون القربان للانهر والبرك والعيون بأن يجلبوا الذبائح ويذبحونم بالقرب منها  
 ويحترزون في أثناء الذبيح من عدم سقوط قطرة من الدم في الماء لئلا تنجسهم او تفسدها وما كانوا  
 يسمحون في رمي أي شئ من النجاسات في الانهر وأن لا يجوز قانونا لاي شخص غسل يده أو استحمامه  
 في أي نهر من الانهر وكانوا يظهرن احترامهم للارض بتقريبهم القربان اليها ويحرمون فعل العادة  
 الجارية بين الامم من دفن أجسام الموق فيها

وكان الدين الجوسى شديداً السحر والكهانة أي الرقيان كان العباد محتاجين في جميع حالاتهم وقت  
 العبادة من أجل قبول عبادتهم الى قسيس يكون واسطة بينهم وبين الاله وكانت وظائف الجوس  
 ورائية على التعاقب في الوظيفة وكانت ملابسهم مكلفة من خرفة ولهم أعلى درجات المقام والرفعة  
 وكانت أسرارهم مكتومة يدعون خوارق الامداد وحصول المعجزات يفسرون الفال والطيرة  
 ويعبرون الرؤيا والاحلام وينبؤن بالحوادث المستقبلية وكانت هذه الادعاءات المعصية بواسطة  
 أسرارهم الخفية ما كانت مرعية التصديق عند العوام فقط بل كانت محترمة معتبرة مرعية العمل  
 عند أمراءهم وملوكهم ومن الحق أن الاتحاد الاول بين مذهب زرداشت الذي ذكرناه وبين المذهب  
 الجوسى كان في ميديا ومن عهد هذا الاتحاد صارت طائفة القسس والجوس محصورة في واحدة من  
 الست عشائر الميديية وقال رولنس الذي أخذنا من كلامه على الديانة الميديية هذا المختصر لا حاجة في  
 أن يتصور أن الميدين ارتدوا عن عبادة أورمز وأوسلموا في دينهم التثني إلا أن تأثير العقائد الجوسية  
 وعوائدها التي هي العبادة العنصرية والكهانة والرقيان بواسطة العكا كيز المقدسة وتعبير الاحلام  
 والسحر والرقيات والتعوذات عند محارب النيران والذبائح التي تأكلها الجوس الموظفة على النار  
 يظهر أنها كانت متسلطنة عندهم فن ثم ارتفع الدين الجديد على الدين القديم واضمحل الدين  
 القديم بواسطة قوة حصلت من زرداشت مبتدع هذا الدين وتغلب الدين الجوسى على العقيدة  
 الارياينية الاصلية وبتوالي الزمن ومروره أخذ مذهب الجوس في الارتقاء شيئاً فشيئاً حتى صار هو  
 الدين الحقيقي للامة ولأن الدين الجوسى كان أقل علواً وأقل تهذيباً من مذهب زرداشت القديم إلا أنه  
 يلزمنا أن نقول انه استحوذ على درجة صعود حقيقة حتى آل أمره الى أن يكون هو الموافق والصالح  
 لأن يكون دين مملكة باهرة شاسعة مثل مملكة فارس ومن محارب النيران المكنونة فوق رؤس  
 الجبال وشهريتهم في وقودها من الزمن القديم واسم دوام قيادة النار المعتقديانه صار يوليها من السماء  
 والعبادة في الهواء المطلق تحت قبة زرقاء سماوية وهيئة العساكر الجوسية الطويلة في ملابسهم  
 البيض مع طواقمهم العجيبة الشكل وصوبلجاناتهم وحراهم وصلاتهم الدائمة وكثرة تقرب القربان  
 وطول عمل الرقيات والكهانة والسحر المتصور عند الناس أنهم ماؤثرات معجزات من طائفة القسس



كل هذا حصل منه تأثير في الحال على العين والعقل وكان هو السبب الأكبر في العقيدة الميمنية ووجودها وكانت عقائد زرداشت قوية جدا حتى انها كانت لا تتحد بالنسبة لشدة تمسكهم مع الرفاهية والعزة الشرقية أولان تكسب قوة الحكومة مؤسسية على مواد اعتيادية لسلطنة مطلقة استبدادية أسوية فن تم نشر الدين المجوسي حكومة دينية لاجل معاضدة السلطنة ونحتها وأضاف العزة والاهمية للملك وحال ما كان هذا الدين متغابا على طوائف الرعية بواسطة قسسه الذين استحوذوا على العقول بأنهم هم أرباب المعجزات ولهم الحق في التوسط بين السماء والانسان نشأت طريقة عبادة انتشرت تأثيرها وزادت في أمتها وتولد منها ميسدان واسع يعجب الانسان في الكهانة والعقائد المقدسة ونفسه ير الفال والطيرة وتعبير الاحلام وانسرها أرباب الدنيا الذين دخلوا فيهم وأباح لهم الاعمال التي كانوا لا يمكنهم عملها قبل ووضعت مواد وأصولا عديدة تختص بالشرف والدقة وعدم البغض والحق للديانة الوثنية القديمة التي كان الاريايون يعبدونها في ذلك الوقت بل ازدادت شوكتهم في اكناف الصور والتماثيل الذين كانوا يقيمونها على الدوام يعبدونها ولهم هذا الميزة بعبادة السهولة مع العقيدة القديمة للامة ولم تبد أدنى مشروع أو غرض يحجب بمنفعة ما كانوا ينشرون قواعدها وأصولها بطريقة حلم وعدم جور عندما كان حاصل المشروع في مبادئها ولما جاء الوقت الموافق لحصول الشدة والتدقيق على السير فيها والاعتقاد بعقائدها ارتفع برقع الخشوع والخضوع وكانت هذه آخر حالة الدين الميدي الذي كانت متمسكة به الامة الميمنية حال ما كانت ناشرة ألوية سلطتها على الدنيا وكانت أمة مندبة في بعضا وعلى غاية من حسن انتظام السلطنة

ولانعرف من التاريخ القديم الاصلى للميدين الاقليلا والظاهر أنهم كانوا قبيلة جلييلة في الازمان القديمة وزعم أهل التوراة أن أصلهم عشيرة من العشائر البابلية وفي نحو سنة ٨٣٠ قبل الميلاد أغار الاشوريون على ميديا مفتنة وهي الارض الاصلية للميدين ومن عهد هذه الغارة عرف أصل مبدئهم وذلك أنهم كانوا منقسمين الى عدة قبائل محكومة بروساء صغيرة ولو أن هذه القبائل حصل منها مقاومة ضعيفة لغارات ضلنصار الثاني عليهم إلا أنه ما خضع قسم من أراضيها في الحقيقة الى أن أغار عليها سرجون في نحو سنة ٧١٠ قبل الميلاد وتغلب على قسم منها وشيد فيه مذابح استوطنها أسراء بني اسرائيل وشرع خلفاء سرجون في عمل بعض تغلبات وفتوحات أخرى في ميديا وفي آخر الامر في سنة ٦٧١ قبل الميلاد أغار عليها ابصر حدون وتغلب على أقسامها القاصية ووجدوها لم تزل مقسومة الى عدة رؤساء صغيرة

وفي نحو سنة ٦٦٠ قبل الميلاد حصل في ميديا تغيير على حين غفلة في نظاماتها وحكوماتها نشأ من زيادة كبيرة حصلت في سكان الاراضي تولدت من مهاجري الاريايين من الافليم بلبال زعرة (الكرد) تحت قيادة كينية (فرو عرطيس) أبي كيكائوس فلما توطن هذا القائد مع أتباعه في ميديا وتحقق له الضرر الحاصل من تجزئة الحكومات والاحكام في مثل هذه الممالك والرياسات الصغيرة عكف نفسه على شغل ترتيب وتظيم مملكته مركزية قوية صالحة لمقاومة الاشوريين فنجح في مشروعه هذا حتى انه في نحو سنة ٦٣٤ قبل الميلاد وجه عزمه على الغارة على آشوريا وكانت الحكومة في هذا الوقت بالشيخ الكهل آشور بانينال وقاتل الجيش الميدي مع الجيش الاشوري على المداخل من أراضيها وانتشب بين الجيشين وقعة مهولة في محل يقال له اديايني انهزم فيها الجيش الميدي بالكلية وقتل كينية مذبحا

بين عساكره

وخلف كيكائوس أباه في ملك ميديا وعكف في السنى الاولى من سلطنته على ترتيب طريقة عسكرية للمملكة فجدد جيشا كثيفا قويا على غاية من جودة التطبيق والتسلح من بكامن رعاياه الفارسية والميديين وفي سنة ٦٣٢ قبل الميلاد جدد الحرب بالغارة على آشوريا مرة أخرى فهزم الجيش الاشورياني ميدان الحرب ووضع الحصار على مدينة نينوى وشدد عليها في الحصار وضايقها حتى انها كادت تسلم له في هذه السنة لولا أن صار طامبه من مملكته أن يسرع بالعود اليها المقاومة غارة الصيطيانيين وكانوا انسكبوا على مملكته كالجراد المنتشر من الجهة الشمالية فقابل هذه الامم المتبربرة في واقعة كبيرة حصلت مباشرة حال عوده الى مملكته فهزمه الصيطيانيون والتزم أن يعقد معهم صلحا واسقرفي مملكته معترف بسيادتهم واتفق معهم على أن يدفع لهم خراجا سنويا ومن ثم تشكبد ميديا مضارا لآلام والا كدارا اتى تولدت من خراب الصيطيانيين في الممالك الاخرى الا أن وجود هذه الامة المتبربرة وحكمها كان كدرا ونجما على الميديين الذين هم بالطبع أهل شجاعة وعلو في الجنس

(تنبيه) - اعلم ان الصيطيانيين هم بأجوج وما أجوج المذكورون في القرآن الشريف كانوا مستوطنين جهات بلاد التتار وفي شمال بحور الخزر وفي شمال قوقاس الجراكسة وعلى سواحل البحر الاسود الى نهر الطونة وكل هذه الجهات كان يطلق عليها اسم الامة الصيطيانية أو التتارية وهؤلاء هم بأجوج وما أجوج الذين كانوا مفسدين في الأرض حسب نص القرآن الشريف

ومن توالى الازمان وضعف قوة المتغلبين بواسطة انتشارهم في وسيع أراضي آسيا الغربية ابتداء الميديون في أن يشتدوا حياهم ويشربوا نفعهم وفي آخر الامر لما أحس كيكائوس بمنجى الوقت الذي يستقل فيه بلاده عزم على هلاك قواد الصيبيين بخديعة يجريها حسب موافقة الاحوال فدعا لهم الغدير من رؤساء الصيبيين الى ضيافة أو مأدبة صنعها لهم وشحنها بالبيذ والعرق ولما شربوا وسكروا وخذت قواهم من كثرة السكر أمر بقتلهم جميعا فكانت هذه اشارة عامة لقيام الامة الميديية فقام الامة الميديية على المتغلبين عليهم بعنف وشدة غيظ واشتعلت نار الحروب بينهم عدة سنين كانت نتيجة طرد الصيبيين من ميديا وما جاورها من الممالك فعبروا في هربهم جبال القوقاس حتى دخلوا أراضيهم وبلادهم

ولما خلاص كيكائوس مملكته عهد لنفسه شغل عود شوكتها وفلاحها اليها بعد أن كان سلبا منها بواسطة الامة الصيطيانية فنجح في عزمه هذا وفي قليل من السنين وجد نفسه في حالة كافية بها يجدد الحرب الذي كان شارعا فيه قبل على عدوته القديمة آشوريا وكانت آلت حالتها الى الهزال والضعف الكلى بسبب ما حل بها من الدمار والحرب والخسارات من أيدي المتبربرين واجتهد كيكائوس وسعى في هياج ونحر يض السوسيين والكلدانيين عن نكث طاعتهم لآشوريا والانضمام اليه فاستحوذ على هذا الطلب واتفق على أن السوسيين يهجمون على آشوريا من جهتها الجنوبية حال ما يهجم هو على الجيش الميدي من الجهة الشرقية فلما بلغ صرقوس ملك آشوريا تصميم الحرب بهذا الرأي أرسل نابو اوصار قائده الى بابل لاجل مقابلة الخطر الذي يحصل في تلك الجهة وأخذ هو في الاستعداد بنفسه لمقابلة الميديين فقبل ان نابو اوصار اشتغل بجلب المنفعة لنفسه والغدر بملكه وأرسل رسولا الى كيكائوس يقدم له محالفة وصدقة لميديا ان رضى كيكائوس بان يضمن ويتكفل له باستقلال



مملكة بابل ويسمى بزواج ابنته اميطيس من بختنصر ابنه نابو بولصار وأن تكون زوجته فقيل  
كيكاوس هذه التقدمة وزوج البرنس الشاب بختنصر بابنته وأضاف نابو بولصار قواد إلى قوى  
الميديين ووضعوا الحصار على مدينة نينوى وتغلبوا عليها ودمروها وقسم المتغلبون المملكة  
الاشورية بينهم وقد ذكرنا فيما تقدم الحصة التي خست نابو بولصار وأما الحصة التي خست كيكاوس  
فهى آشوريا الاصلية والايالات التابعة لها الموجودة فى شمالها وفى شمالها الغربى ومن ثم صارت  
ميديا مملكة شاسعة مثل مملكة بابل وصار هاتان الدولتان اللتان أقيمتا على أطلال المملكة الاشورية  
أصدقاء بين بعضهما وتعاهدا كما هما مع بعضهم باصلة المصاهرة كما تحالفوا بالمعاهدات الرسمية  
ورضى كل واحد منهما بما يخصه من الايالات والممالك واستعد كل منهما لمساعدة الآخر وماضته فى  
الافاق الشديدة مدة حياتهما

ومن بعد التغلب على نينوى تمتعت بابل بوضع سنين من الراحة وأما ميديا فانها اشتبكت فى الحال فى  
حروب مع الممالك الموجودة فى آسيا الغربية وكانت هذه الممالك خراجية لاشوريا فكادت فى أن  
جعلت سقوط المملكة الاشورية سببا فى استقلالية أنفسهم فالتغلب كيكاوس على كامل هذا القسم  
من آسيا من ابتداء بحر الخزر الى نهر الخاليس وأرمينية وقيدونيا اللتين ما خضعتا مطلقا لاشوريا  
دخلا فى هذه التغلبات وتولد من هذه الحروب اشتباك كيكاوس مع ليديا فى حرب وكانت ليديا  
اجتهدت وسعت فى استرداد ما تغلب عليه وكان كيكاوس متساعدا فى حرب ليديا بالباباين تارة تحت  
قيادة بختنصر وتارة تحت قيادة نابو بولصار نفسه ومن بعد مضى خمس سنوات بينهما كان الجيشان على  
شرف تعبئة الحرب اذ حصل كسوف للشمس أراع الجيشين وأزعجهم فانهز نابو بولصار الفرصة وقت  
حصول هذه الحادثة المزعجة وتوسط بين كيكاوس والباطيس ملك ليديا وكانت النتيجة ترتيب عقد  
مسالمية بين الملكين تقرر فيها أن نهر الخاليس هو الحد الفاصل بين هاتين المملكتين وحلف الملكان  
أيمان الصدق والوداد وسمروا هذه الايمان بزواج سياوخش (اسطياجيس) بن كيكاوس بعرينيس  
بنت الباطيس وآلت نتيجة هذه المداولات الى صلح واستتباب راحة امتد فى آسيا الغربية نحو اربع  
خمس سنين واستمرت الثلاث ممالك ميديا وليديا وبابل أصدقاء مع بعضهم فى أثناء هذه المدة يفصلون  
ما يقع بينهم من مواد الاحوال بغير منازعة ولا محاصمة وقضى كيكاوس ما بقى من القرن فى تنظيم  
حكومة مملكته الواسعة واستتباب الامن والراحة فيها

ثم ان كيكاوس خلفه ابنه سياوخش (اسطياجيس) فى سنة ٥٩٣ قبل الميلاد فتمسك بسلطان خسا  
وثلاثين سنة وهذه المدة وان كانت مدة سلمية وفيها بعض من النجاح والفلاح الا أنها كانت تاريخ  
مدة ضعف تولد فى المديين من الرفاهية والتمتع بلذة المعيشة التى اكتسبوها من عهد سقوط المملكة  
الاشورية وجعلوا ذلك من عوائدهم وكانت سراية الملك فى مدينة همدان من أجل السرايات المفتخرة  
فى الشرق وكان سياوخش مغرما بسروره ومحبا لذاته فى حريمه زيادة عن أخطار ميادين حروبه  
فكان يقضى أوقاته فى الصيد والقنص فى جنة من أورمان بالقرب من العاصمة وخدمه وحواشيه  
متوشكون باللباس الناعمة وأهلوا عوائدهم القديمة الحربية وصاروا ضغفاء جبناء مخنثين كما صار  
لأئمة قسطنطينس المجوس الصولة الكبرى والنفوذ الاعظم فى السلطنة الميديه فكانت هذه حالة الاعمال  
عندما ثار الفرس فى ثورتهم وسند كز الوقاتع والحوادث التى انتشبت من هذه الثورة فى تاريخ المملكة

الفارسية ولأن الميديين كانوا في مبدأ أمرهم على فوز ونجاح الأتة من تسلطن الضعف عليهم من اعتكافهم على الرفاهية ما كان لهم طاقة في آخر أمرهم على مقاومة أشداء الجبليين وانتهى الحرب بتمام سقوط المملكة الميدية في سنة ٥٥٨ قبل الميلاد وصارت ميديا أول الأيالات الفارسية أهمية وجلالة واستمرت على هذا الموقع مدة طويلة من الزمن

## (الكتاب التاسع)

تاريخ مملكة فارس

## (الباب الأول)

من ابتداء الأزمان القديمة إلى موت كيرش الأكبر كينسرو

وصف فارس - موقعها الجغرافي - الأقاليم الجبلي - الطقس أو المناخ - المحصولات - المعادن عوائد الأمة الفارسية - خضوعهم للو كهم - ديانة الفرس - تأسيس السلطنة الفارسية - صيرورة فارس خراجية للكلديا - إقامة كيرش في الديوان الميدي - هربه - أقامته بريق العصيان - سقوط المملكة الميدية - تشييد المملكة الفارسية - تغلباته وفتوحاته - فتحه بابل - اختيار التمدن الميدي - موت كيرش الأكبر

تطابق فارس الأصلية بوجه التقريب الكلّي الأقليم الفارسي الإيراني الأخير وهي واقعة على الخليج المسمى باسمها وتمتد من نهر التاب إلى النقطة التي يتصل فيها الخليج الفارسي بالبحر المحيط الهندي ومحدودة من الجهة الشمالية بميديا مغنه ومن الجهة الشرقية بميسيا ومن الجهة الجنوبية بالبحر ومن الجهة الغربية بالسوس وطولها نحو ٤٥٠ ميلا وعرضها المتوسط ٢٥٠ ميلا فتكون مساحتها تنوف عن ١٠٠٠٠٠ ميل مسطح

وكانت فارس مقسومة إلى كورتين متمازتين سماهما متأخروا الجغرافيين باسم الكورة الحارة والكورة الباردة فاما الكورة الحارة فانهتغل شغل نحو ثلث أرض المملكة وهي عبارة عن جهة سهل رملي مشحون بكثير من المواد المحمية تمتد بين الجبال والبحر في جميع طول المملكة وأرضه فقيرة ليس فيها ما يكتفي به من مياه الري وأما الباقي من المملكة فانه داخل في الكورة الباردة وهي كورة جبلية مرتفعة على التوالي من جبال وسهول وأودية ضيقة مختلطة ببعضها في صور أشكال غريبة حتى انه لا بد الآن لم تتم لها خريطة مضبوطة ومنظرها العام منظر كابة وقوله لكتنها تشتمل على بعض نواح ذات قيمة في الجبال والخصوبة والمياه الواردة للري قليلة جدا ويندر وصول أي نهر من الأنهار إلى البحر ويوجد في أرض فارس كثير من البرك والمستنقعات بعضها محمية نصب فيها مياه معظم الأنهار والهيئة المعتبرة في عموم المملكة محصورة في خلوق وخيران مهولة خارقة للسلسلة الجبلية الأصلية ومن وجود هذه الخلوق يستحيل إنشاء سكك أو طرق تعبر لهذه الحواجز المهولة الخفيفة ومياه الصخور المنحدرة الواقعة بالتوازي على كل من جهتي الأنهار الجبلية تسيل من هذه الصخور بحريز مرتفع



وشلالات ومهابط مزججة وفي طول هذه الصخور القليلة أو العديدة الانتظام موجود سكت ومدقات على هيئة تعاريج قاطعة لا ينهم من جهة إلى أخرى على قناطر كل قنطرة من كبة من قبو واحد أو عقد واحد منشأة على خروق عميقة جدا أسفل منها المياه وقت فيضانها بسات من الاقدام والسكك والمدقات مطوعة في معظم طولها بأرباب الصناعة ويمتدئ الطريق من النهر أحيانا ثم ياخذ في العلو حتى يصل إلى علو ٣٠٠٠ قدم من مبداء انخفاض النهر أو الطريق وفي أثناء العبور من الخليج الفارسي إلى أعلى الحصن الإيراني لا يوجد أقل من ثلاثة أو أربعة من هذه الكاوتلات أو معابر الخلق الغربية يلزم عبورها على التعاقب ومن ثم تكون المملكة محفوظة من جهة حرف الحصن من أنواع الهجوم عليها من هذه الجهة كما أنهم محفوظة من الجهة الشمالية والشرقية بصحار واسعة ومن الجهة الجنوبية بما جرنجلى في غاية من الرصانة والصعوبة

والطقس في بلاد فارس الأصلية على حالتين فأما في الجهات الواطئة فهو حار موهن للجسم وأما في الكورة الجبلية فهو بارد في الشتاء واطيف في المدة الباقية من السنة والمحصولات النباتية ليست كثيرة ولا مشهورة ويشتغل من الاراضي كميات ومقادير متوسطة من ثمر البطم ونوع حنطة في قليل من الجهات وينبت فيها كروم العنب وأجناس مختلفة من أشجار الأثمار ويوجد في الكورة الجبلية كثير من الكلاب والمراعي وينبت فيها سائر أصناف العنب وتكثر فيها جميع الأثمار ماعدا الزيتون والصمغ يلزم أن يكون الخوخ بذرة فارسية أصلية وكذلك الليمون ومن الغلال القمح والشعير والذرة والارز محصولاتها الأصلية وفي الأزمان الأخيرة زرع فيها القمح الهندي وكان يجلب إليها من أمر يكافئ جنت زراعته فيها جادا وكذا البسلة والخص والسهمس والفوم والحناء والقطن كانت تزرع فيها من الزمن القديم

وأما الحيوانات الوحشية للمملكة فهي السبع والدب والمار الوحشي والتيتل والغزال والوعسل أو التيس الجبلى والخنزير البرى والضب وابن آوى والذئب والثعلب والارنب والقنفذ وكاب البحر والبربوع والنمس والمرموث وأما الحيوانات الأهلية فهي عين حيوانات ميديا والارزوم هذا ذكرها ومعادن فارس الأصلية عديدة وثمينة وهي محصورة في الذهب والفضة والتماس والحديد والرصاص الاحمر والرهج الاصفر والقار والمخ والنفط والكبريت والرصاص المعتاد ويكثر في أرضها الكبريت والمخ بوفرة ويوجد فيها بنية ظريفة ضمنية من الاحجار

والفرس جنس إراني متولد من الفرع الذي تولد منه جيرانهم الميديون وفي الحقيقة فإن الميتين ملة واحدة والفرس حركة خفيفة سريعة وادرالك حاد وتطر زائدا أكثر من غالب الامم الشرقية وهم أهل شجاعة وبأس مستحذون على كثير من خصال الفضائل وكانوا مشهورين في الأزمان القديمة بقولهم الحق ومراعاتهم له وكانوا يقبون بالامة ذات العقل الحاد وحازوا الجراءة والجرأة والصدام والضرب والطعن حتى صاروا أمة لا تطاق في أثناء الوقائع وما كان لامة من طاقة على الثبات أمامهم حتى قابلوا الجريقوا كتسبوا منهم عاود درجة الطغم الحربي والدخول في نظام العساكر الهلنيقية وقال هردوط ان معلى شبان الفرس كان يطلب منهم تعليم الشبان ثلاثة أشياء أصلية وهي طريقة ركوب الخيل وضرب الشباب وقول الحق وكان الفرس مشهورين في جميع العصور بالنشاط وعنقوان الجنسية وبهاتين الصفتين صاروا فوق الامم البطيئة الحركة من الممالك المجاورة لهم وكانوا أمة حربية ومن بجلة

صفاتهم الغريبة خضوعهم للملكهم الذي يقودهم الى الخضوع الاستبدادي حسب رغبته ويقضون  
المهالك والمخاوف من أجل خاطره وتولد من هذا الخضوع الزائد الحاصل من جهة هذه الامة تحجير طرق  
المنظالم الشديدة لسير الملك والملك وفي آخر الامر انعصر حب احترام الامة وفسدت جميعها وكانت  
الجيش الفارسية مركبة من مشاة وخيالة وكانت العربات الحربية غير مرمية عندهم وقليلة  
الاستعمال وكان القوس والمزراق آلتهم الحربية الاصلية وكانت القوس بسعات مختلفة تستعملها  
عساكر الفرس بأعظم تأثير وكان المشاة يحملون التروس والطوارق والخيالة من غيرها وما كان الفرس  
مثل الميدين فانهم كانوا يعطون الراحة وقت سواها ويعاملون أسراهم في الحرب بالشفقة والرحمة  
محبين للرفاهية والظهور والتعالي وكان الديوان الفارسي في مدة بناعة المملكة أحد الدواوين الخليفة  
المعروفة عند التاريخ

وأما ديانة الفرس فان أصل عقائدهم كانت محصورة في عقيدة وجود الله واحد قوي طيب جواد رحيم  
عدل نوابه الكواكب مغدق بالحمية على النوع البشري رحن وعطوف على المخلوقات البهيمية وكانت  
عقائدهم عين العقائد الملية أي أنهم يعتقدون في الثنئي المحصور في عبادة أهور ومزدان (الملك  
الكبير) والاعتراف بعقيدة الشر المحصورة في أنجرومينوس وأهريمان والاعتقاد لما فالزرداشت  
فان هذا وقت ظهوره نفع الدين القديم وضم اليه فرائض وسنناذ كرائها أنزلت عليه من عند أهورمزد  
وصنف كتابا مقدسة كانت أصل الشريعة الدينية أو قانونه الديني

ومن هذه الكتب زندوست فانه يشتمل على جميع العقائد الصحيحة الخفة عند الفرس وعلى جميع ما وصف  
به نفسه وهذا التأليف على بوحى من السماء على حسب ادعاء الفرس ومركب من احدى وعشرين  
نسخة لم يبق منها الا واحدة وهي العشرون واندثر باقي الكتب الاخر وما بقي منها الا قطعة صغيرة  
وكان زندوست مؤلفا ومكتوبا بالسان لا يشابه لسان من جميع اللغات والالسنه الموجودة في فارس  
وقت ظهور زرداشت بهذا التأليف ولوانه كان مكتوبا بحروف ليست على مثال البهلوي الا أن  
تركيبه يقرب جدا من لسان السنسكريت وكانت حروفه مركبة من ثمانية وأربعين حرفا  
مطابقة في أصواتها وشدها للحروف الهندية بما فيها اثنا عشر حرفا ساكنا وأما البهلوي فهو مركب  
من تسعة عشر حرفا ليس فيها حروف ساكنة وكثير من ألفاظه سنسكريتية صرفا ومن المحتمل أن  
جميع ألفاظه كانت مأخوذة من اللسان السنسكريتي المشهور في الاقطار الهندية وهو اللسان الاصل  
هو واللسان البالي عند البوذية

ويتضح من ذلك أن زرداشت تم شغل تصنيف زندوست تحت نفوذ وسلطة حاكم هندي وحقيقة فان  
الخرافات التي تساعد على أفكاره في تصنيف هذا الكتاب جميعها مأخوذة من المملكة الهندية كما  
انه اختار عدة عقائد أخرى من ممالك مجاورة لها

وترفع الفرس أن زندوست يشتمل على القواعد الاساسية لجميع الننون والعلوم ولوانهم امكنونة تحت  
اشارات وأسرار ومن ضمن الكتب المقدسة كتاب الدابستان وكتاب الدساتير فاما الدابستان فانه  
يشتمل على تاريخ اثني عشرة خرافة ابتدأها هوشنج الذي كان سديا في ايجاد عبادة النار وأما كتاب  
الدساتير فيشتمل على رسائل تختص بديانة مهنا بادبخترة من خمسة عشر نبيا وكان آخر هؤلاء الانبياء  
ساسان ظهر في مدة كينسر وأبرويز وكانت عقائدهم زرداشت معروفة عند قدماء الفرس لاهوتية كانت



أو فلسفية إلا أنه حصل اختلاف كبير في مسألة تاريخ ظهوره فقال البعض أنه كان يوجد زيادة عن واحد من اسمه زرداشت تنلدوا زمام التشريع على التعاقب وقالوا أن زرداشت الأول كان من مدينة الرها من أعمال ميديا وأسس ديانته في بلخ تحت سلطنة كيكاش الأول وبني هيكلًا كبيرًا للنار في بلخ وسماه ازركشتاشب ثم قتل في غارة خضلت من الصيبيان هو وجميع من كان معه من القسس وكانت هذه الحادثة في سنة ٦٣٠ قبل الميلاد وأما زرداشت الثاني فيحتمل أنه كان في مدة سلطنة دارا والظاهر أنه كان تلميذًا للنبي دانيال أول النبي آخر من أنبياء اليهود وكان المنظور فيه أن يكون من جلة الاربعة والعشرين رسول الذين رأهم حزقيال في رؤيا منامية ولما صار له ملكة عظيمة في عقله سوات له نفسه التوجه تحت مراعاة كيرش الأكبر واحساناته فجعله رئيس قسس الجوس وبجذاقته وتديره أعاد الديانة القديمة للملكة وصنف عدة كتب سماها ابراهيم زرداشت

وقال البعض أنه كان لا يوجد الا زرداشت واحد فقط وكان من أهل اصطخر وكان ظهوره في القرن السادس قبل الميلاد في مدة سلطنة دارا كشتاشب وأنه ولد في سنة ٥٨٩ قبل الميلاد وان أورمزد كله وقسم قانون ديانته بين السنة الثلاثين والسنة الاربعين من حياته ومن بعده عاش ثلاثين سنة ثم قتله الصيبيان في سنة ٥١٢ قبل الميلاد كما ذكره مؤرخو الفرس

وكانت الديانة الفارسية القديمة منقسمة الى مدتين الاولى بتدئ من زمن جشيد وذلك ان حم المشرع اللبيب قدم قانون الشرع الى الملأ الشاب جشيد فارتاع هذا الملك من فعل الاجراآت الشديدة والشعائر المألوبة فانذر من طرف أورمزد على أنه يأخذ منه القواعد والاصول الادبية ويجريها في حكومة مملكته على شرط أنه في مدة سلطنته ينقرض الذل والمسكنة والقتل من الدنيا جري الوعد بما حصل واستمر القانون جاريًا على قدم غير كامل حتى ظهر زرداشت الحقيقي وكان البعض من أهل المملكة عاكفاء على عبادة النار وآخرون على عبادة الكواكب والاصنام والشرطين

وكان احياء الشرع الاصلى الخالص واقام عقائده والالزام على التمسك بها هي المقاصد الاصلية التي من أجلها بعث هذا الحكيم فجمع العقائد ورتبها وكذا المذاهب المشتملة على القسم الاساسي من الدين وأضاف بعض سنن وفرائض حسب ما أنزلت عليه من عند أورمزد وحرض على قانون الوصايا مثل قانون الديانة

وذكر زرداشت في تأليفه زنده واستأن أول العقائد الكبرى هي عقيدة زروان ومعناها الزمن وان الزمن ليس له ابتداء ولا انتهاء وأن المكون الذي لا يدرك وجوده صنع قوتين كبيرتين مؤثرتين في المسكونة هما أورمزد أصل كل الخير والنجر ومينوس أو اهريمان أصل كل الشر وشرع زرداشت في تقوية ونشر الدين المجوسي حتى خيم بظلاله على الدين القديم الميدي حتى صار هودين الملك والامة الفارسية والصحيح المعقول عليه أن الديانة الفارسية في تلك المدة كانت مجمعة من العقائد المجوسية وعقائد زرداشت وقد ذكرنا مفصلاتها في تاريخ ميديا

وفي المدة التي شيد فيها كيرش المملكة كانت العقائد الدينية هي عقائد زرداشت ورأى هذا الملك أنه يوجد ارتباط قوي بين أسراء اليهود في بابل وبين قومه ورأهم يعبدون الها واحدًا هو في الحقيقة أورمزد عينه الهه فقبل الامر الالهى الذي أنبأ به اليه وشرع في كونهم يعبدون بناء معبدهم لانهم

أمة مثل قومه غير مسيوح لهم بوضع تمثال أشبه بالاله مفسد ومجنس لعبادتهم الطاهرة وكذا قوى دارا على اتمام شغل بناء معبد الاله وبعده أن كان صار توقيفه بواسطة ثورات أعقبت موت لهراسب (قبيز) ومن ثم وضع أساس المعبد على محبة صافية خصوصية بين الملتين وتولد من هذه المحبة الصادقة دوام صداقة اليهود لفارس مدة طويلة حتى رفضوا الخضوع والطاعة لفتح عصوص ولم يتركوا مواليهم الذين أظهر والهم المحبة والشفقة والميل

ثم ان الاقليم الذي ذكرناه فارس الاصلية صار التغلب عليه في نحو منتصف القرن السابع قبل التاريخ المسيحي بواسطة أمة بأسله أهل بأس وشجاعة حربية وصلت اليه من مرتفعات أراخي الكورة الواقعة في شرق بحر الخزر وهو لا هم أصل الامة الفارسية

وكانت هذه الامة مقسومة من أصل وجودها الى عشر قبائل أربعة منها ثلاثة وثلاثون قبائل معدون لحمل السلاح للحاقطة على الامة وكان ينحصر في القبائل الحربية شرف المملكة وأشهرها كانت قبيلة اسمها بذر كادي فأنحصرت فيها جميع الوظائف العالية ملكية أو عسكرية والعائلة التي تسلطت المسماة بالعائلة الاشكانيين كانت تنسب الى هذه القبيلة واشتهروا اسمهم من أشك أول رئيس قام في مدة سلطنته في هذه الجهة واعتبر أنه هو المؤسس للمملكة الفارسية

وفي المدة القديمة طلبت ملكة ميديا المجاورة لفارس سلطنة النفوذ على فارس فكان ملوك فارس يجلسون كخسر وأوكيرش الأكبر حاقطين وماسكين حكوماتهم تحت ظل ملوك ميديا وهم لهم أشبه بالتميزين وكان لهراسب (قبيز) أب كيرش ملك فارس لأنه كان عبدا لسيانوخس صاحب ميديا وكان يدفع له خراجا سنويا والتزم أيضا على أن يرسل ابنه وولي عهد كيرش ليقسم في الديوان الميدي رهنه دالة على خضوعه لملك ميديا فأقام ابن الملك في الديوان الميدي في صورة أسر محترم معاملة بالوقار والاحترام اللائق بمقامه الملوكي مع الشفقة الزائدة من طرف الملك لأنه ما كان يسامح له بالخروج من الديوان من دون رخصة أو اجازة من ملكه

ثم ان كيرش لاحظ في مدة قامة في الديوان الميدي ان شوكة الميديين وعنفوانهم صار على شرف الدمار والخراب من كثرة ما هم فيه من الرفاهية واللذات الدنيوية ورأهم أنهم أقل تطبعا وأقل عقلا وتصورا من رجال أهل بلاده ذوى الشجاعة والبأس الشديد فشد قلبه بهم هذه المعلومات وأضم في نفسه أن يجري رأيه الجسوري من قذفه الناف الميدي من على قفاه ويشيد استعلاية بلاده وزاده غضبا على غضبه ما رآه من التعدي والجور الشديد من الجوس على الديانة الطاهرة التي هي ديانة آبائه وأجداده فازدادت حسارة قلبه وحصل عنده هيجان وثورات ورأى أنه لا بد من أن يضع تصحيحه في موضع العمل في مدة سلطنته هذا الخنث سيانوخس فن ثم طلب رخصة ملك الميديين في عودته الى بلاده مدة قليلة من الزمن معتذرا بأن صحته أليه ليست جيدة ويحتاج للحفاظة عليه خفاف سيانوخس من ضياع صواته على فارس وأعاد على كيرش الجواب المملق فقال له ان زيادة شوقه له ومحبة اياه مجبر على كونه يراه ولو مرة واحدة في اليوم الواحد وانه لا يمكنه فراقه وعدم النظر اليه مدة ما فأظهر كيرش انه اقتنع بهذا الجواب ورضى بعدم التوجه وانتظر سنين فرصة موافقة له ثم من بعد مضي مدة طويلة من الزمن جدد كيرش طلب الاجازة بواسطة واحد من متقربي الملك فنجح في هذا السعي وأخذ اجازة بغياب مدة خمسة شهور وترك في الحال همدان العاصمة الميدي واستلم طريق فارس مع قليل من



خواصه وخدمه

وفي مساء اليوم التالي بينما كان سيباوخش مبتهجا بالسرور والخط في حريمه اذ قام في وجهه الغضب من ثوران فعل حصل من سحبات مغان غنتها احدى البنات اللاتي كن يرقصن امامه فطلب في الحال واحدا من ضباطه ساكره الخيالة للحضور عنده وامره بان يأخذ معه فرقة من الخيالة ويتبع أثر البرنس الفارسي ويأتي به ميتا أو حيا فصار الميدي في الحال في مأمره حتى لحق كيرش في الطريق فبلغه أمر الملك فأجاب باطاعته لأمر الملك في كل ما يطلبه ويرغبه الا أنه قال حيث ان الوقت فات فيلزمنا أن نخط رحالنا في الليل هنا ونعود الى الملك في صباح بكر فرضي الميديون بذلك وعمل لهم كيرش وأجمة سقاهم فيها الشراب حتى أسكرهم وصاروا على الارض مطروحين وركب حصانه وأخذ خدمه وحواشييه وسار مسرعا حتى وصل حدود مملكة أبيه وكان بينه وبين أبيه من الاصل اتفاق على تصميانه الخفية فوجد قوة عظيمة من خيالة الفرس في انتظاره ولما أفاق الميديون من سكرهم ركبوا خيولهم وأسرعوا في سيرهم وراء كيرش حتى لحقوه في رأس خيالاته على حدود مملكته فهجموا عليه فهزمهم بعد أن قتل منهم مئة عظماء وسار كيرش أو كينسر وسرعان إلى ديوان أبيه

وبهذا أقامت فارس رايات العصيان فجمع سيباوخش جيشا كثيفا وساقه لخضوع عبده العاصي الى طاعته فاشتعل حرب دموي انهمز الفرس فيه في أول وقعة وقتل ملكهم لهراسب وصار كيرش ملك فارس من بعد أبيه ثم اتصر سيباوخش نصرة ثانية كبيرة بالقرب من مدينة بذر كادي عاصمة فارس وفي الواقعة الثالثة أوقع كيرش على سيباوخش هزيمة قارصة وفي الواقعة الخامسة وكانت حصان في ضواحي بذر كادي تشتت الجيش الميدي بأكمله وتعال العساكر الفارسية بنصرتهما ورجعوا بكيرش وأهلأياه وحاربوا معه ونادوا بأبيهم ملك ميديا وفارس وأعقب كيرش نصرته هذه بكونه سار خلف الميديين مع الشدة حتى كسر جيشهم وأسرى سيباوخش ملكهم وبواسطة هذه النصرة صار كيرش ملك ميديا ودخلت تحت حكمه في سنة ٥٥٨ قبل الميلاد ومن ثم وضعت أساسات المملكة الميديّة الفارسية وأعقب تغلبه على ميديا تغلبه على ليديا وألحقت بالممالك الفارسية في سنة ٥٥٤ قبل الميلاد وكذا أخضع هر باجوس نائب كيرش المداثن الجريقية في آسيا الصغرى للخضوع والطاعة لمملكة فارس في سنة ٥٥٣ قبل الميلاد

ثم دخل كيرش في تغلبات وفتوحات عريضة في أقاصي الشرق وفي ظرف ثلاث عشرة سنة بين سنة ٥٥٣ و ٥٤٠ قبل الميلاد أخضع هر قانية وفارطيه وبقطريا وساسية وخوارزم والضعد وأريا ودرنيانة وأرقوسيا وسطفياوية وغندارية وهو الاقليم الشاسع الواقع بين بحور سيحون والخرز وبحر خوارزم وكان نهر السند هو الحد الشرقي لمملكته

ولما تم كيرش هذا المشروع الكبير وجه جيشه بعد ذلك على بابل فتغلب على هذه المدينة كما ذكر سابقا وأضاف مملكة بابل الى مملكته وما بقي أمامه الا دولة مصر القوية فانها هي التي ما وقعت في مخالب ملك فارس فعزم على التغلب على هذه المملكة الا أنه لم يضع عزمه هذا موضع العمل والفعل وكان السبب في ذلك مجهولا وبمجرد ما تغلب كيرش على بابل جعلها العاصمة الثانية لمملكته وصارت همدان العاصمة الاصلية للمملكة وأما بذر كادي العاصمة القديمة الفارسية فانها اجعلت مدينة مقدسة وعتدت لتتويج الملوك ودفعهم فيها من بعد موتهم واختار الفرس التمدن الميدي وصناعاتهم وعماراتهم

وملبوساتهم وعوائدهم وكذا عوائد الرفاهية ولم يلتفت كيرش الا قليلا في نحو تقرير مملكته أو تشييد طريقة حكومة لها وترك هذه الاشغال لخلفائه الذين يأتون من بعده

وكانت ديانة المملكة في مدته هذه السلطنة محصورة في عقائد مذهب زرداشت الا أن جميع مذاهب العقائد الاخر كانت مباحة العمل وكان كيرش موحد الله منجذب الطبع الى أسراء اليهود الموجودين في بابل لان ديانتهم كانت مطابقة بالكلية لديانته فنظر اليهم بعين الرضا والاحترام وأعادهم الى مملكتهم وفيها عاملهم فوابه بنفس الشفقة التي كان يعاملهم بها كيرش

وانه فلت سلطنته بحوادث مجهولة وقائع غير معلومة فالروايات المأخوذة عن هردوط هي ان آخر حرب أجراه كان مع المساغيطي وهم قوم كانوا مستوطنين في شمال مملكته الى شرق بحر أرال أو خوارزم وأنخضع في هذا الحرب هذه الامم المتبررة وأذهلهم بحروب مزعجة حتى صاروا لا يتجاسرون على الهجوم على المملكة الفارسية مدة حياته وذبح في واقعة مع هذه الامم وأرسلت جثته الى فارس ودفن في بذر كادي

وقد ذكر من وجه آخر في أصل تشييد المملكة الفارسية من ابتدائها الى موت كيرش أو كينسرو ان أحد الامراء أو البرنسات من أصل بيت ساسان يدعى نسبة الى بهرام جوين أحد الملوك الساسانية أول من رغب في جمع تاريخ مملكة فارس من بواقي النسخ وفضلات الكتب التي بقيت من دمار أيدي المسلمين الذين تغلبوا على فارس في صدر الاسلام وعهد هذا الشغل الى يد عالم اسمه الدقيق وأمره بنظم تاريخ ملوك فارس من ابتداء كيومرث الى يزجرد في أبيات شعرية ثقات الدقيق مقتولا بواسطة أحد صبيده بعد أن كتب نحو ألف بيت من الشعر ومن بعده مضى قرن من موت الدقيق في عهد محمود الغزنوي هذا الشغل الى الشاعر المشهور الفردوسي فتبع هذا الشاعر الطريق التي كان جاريا عليها سلفه وصنف الكتاب المسمى بالشاه نامه ومعناه تاريخ الملوك ومن بعده صار تصنيف كتب أخرى مثل روضة الصفا والخلاصة الكبرى وزينة الطريق بواسطة كتاب الفرس ومؤرخهم الا أنهم مشحونة بالخرافات والخرعبلات وقال هيردوط ان أول سلطنة مستقلة أقيمت في فارس الاخيرة كانت سنة ٧٤٧ قبل الميلاد وان أول من أقامها هو ديجوسيس أو كيةباد بن كينية أو فرعورطيس وكان انتهاز الفرصة بالنسبة لعدم وجود نظمات الاحكام الموجودة في إقليم فارس وتساعد بشهرة صيته وأقام نفسه في وظيفة ملك البلاد

والمدكور في الدابستان أن الزمن من الازل مقسوم الى أدوار متتالية في كل دور منها طوائف مخلوقات مختلفة تنتهي هذه المخلوقات مع غلاق الدور الواحد ولا يفضل من أهله الا رجل أو ذكرو أنثى يكونان والدين بلنس يأتى بعده وفي نهاية الدور الاكبر الذي كان قبل الدور الذي ظهر فيه كيومرث نجاسه شخص اسمه مهاباد ليكون جدا لانيا جديدة فكان هذا أول مشرع وملك وقسيس وكان يعرف الصنائع الاصلية للحياة الدنياوية ثم خلفه ثلاثة عشر من ذريته ساروا على منواله ونشروا العدل والامن والراحة بين النوع البشري وكان آخر هؤلاء الملوك البطارقة ازرباد وهذا ما خلع نفسه من الدنيا واعتزل الى معيشة زهد ونسك ارتبكت الدنيا وصارت في حكومة فوضوية وكثرت فيها الاقلاق وازداد الدل والمسكنة والقتل والسلب ثم خلعت الدنيا من هذه من بعد مدة طويلة بواسطة أخى قران وهو شخص مقدس نصح الملك جبرائيل على أن يتقلد زمام حكومة ويعيد العدل والسعادة في الدنيا



ومن ثم تأسست عائلة جديدة ثم دورها وكان آخر ملوكها جياباد ومن بعده حصل في الدنيا  
الاهانة والارتباك وبالمثل حصل الخير والشر على يد عاتيتين تسلطتا على التعاقب وراء بعضهما - ما ولما  
ازدادت الجرائم والاثام أرسل الاله أنواع العذاب والعقاب على أهل الدور فقتلوا ولم يبق الا منهم قليل  
هربوا في الغابات والكهوف وتركوا الارض خالية فقرا حتى جاء أمر الاله وخلق كيوم مريت  
أوجل شاه يعني ملك الارض فكان هو أول الجنس البشري الحالى لأجل خلاصهم مما وقعوا فيه من  
الاثام

وذكر العلماء من المسلمين ان كيوم مريت كان أول ملك في فارس وينسبون سلسله أصله الى نوح عليه السلام  
حسب ما هو مذكور في زينة الطريق وكان هو أصل الجنس الملوكي الملقب بالملوك الشيداديانية يعني  
موزعي العدل القديم وكانوا يسندون أعماله الى المعجزات والكرامات وخوارق العادات وكان أعداؤه  
السحرة والسياطين ومجالفوه أسد الغابة وغورها ومن بعده أن لبث في سلطنة باهرة مفتخرة اعتزل الى  
بلخ عاصمته ومات فيها أو تنازل عن السلطنة لابنه هوشنج بعده أن تسلطن مدة كبيرة مدة دارها ثلاثون  
سنة وكان هوشنج وهو الثاني من الشيداديانية ملكا فاضلا اخترع كثيرا من الصنائع النافعة من  
ضمنها استخراج النار من حجر الصوان وأنشأ الجارى لأجل رى الاراضى واستمر على التخت أربعين  
سنة وخلق وارثه طهمورث ولقب بالشیطان من كثرة نجاحه في مضارباته مع السحرة والكهان  
وتقلد زمام المملكة ثلاثين سنة وخلفه جشيد الملك الرابع من العائلة وكان أحد المشهورين من  
شجعان الخرافات الفارسية وكان صاحب شوكة وثروة واخترع عدة اختراعات نافعة منها صنعة  
تشغيل العرق والنبيد وأصلح بلاده ورفع منار أهلها ومن بعده مدة طويلة من التوفيق والنجاح دخلت  
فيه الغلظة والفظاظة والجبروت فعوقب بان أغار عليه الضحالك ملك سوريا وطرده من ممالكه  
وأخيرا قتله شرقتله وقال بعض المؤرخين ان أصل هذا الفاتح هو ملك سوريا وقال آخرون انه رجل  
عربي من ولد شداد وقال آخرون انه هو النمرود بن كوش واتفقوا جميعهم على انه كان رجلا ظالما  
سفاكا لادماء وتولد من كثرة ظلمه وسفكه الدماء أن قام كابي الحداد وخلص بلاده وأهلها من هذا الرجل  
السفاح وذلك أنه لأجل خلاص أولاده من أن يكونوا أضحية لهذا العنيف الجبار أسرع في حمل  
السلاح وجعل على رأس عكازه مخلاة وجعلها بيرة قاجع تحته شجعان أهل بلاده وخلع الغاصب وقتله  
وأجلس مكانه فريدون من ولد طهمورث على تخت المملكة فزخرف فريدون الملك عكاز الحداد  
باللآلى والجواهر تبركا بما حصل من النصر والظفر وجعله علما ملوكيا استمر باقيا في مملكة فارس دهرا  
طويلا تحت اسم درفش كايان ولما تغلب المسلمون على فارس أول مرة أخذوه من الفرس وأرسلوه  
الى الخليفة عمر بن الخطاب

وأطنب مؤرخوا الفرس في المدح والثناء على عدل فريدون ونباهته ومجده حتى ان فضائله وكرمه جعلوا  
له صنعة يتسمى بها وهي الفروخ ومعناه السعيد وذكر الفردوسي في الشاهنامه ان أقول سلطنته التي  
امتدت نحو ٥٠٠ سنة تكاثف الشعب عليها بمشاحنات ومحاربات حصلت في عائلته وفيها قتل ابنه  
ايرج بواسطة اخوته فقام منوچهر وعاقب المجرمين أشد العقاب وكان هو وارث ايرج خلفه على  
تخت جده وكانت سلطنة هذا الملك الفاضل مشهورة بظهور رسم الشجاع المشهور ووصف  
الفردوسي في الشاهنامه مولده هذا الشجاع الغريب وتهذيبه وما فعله في مدة حياته الطويلة وصفا

خارقا للعادة وخلف منو جهرا به توذر وكان ملكا ضعيفا عاجزا لرأى والتدبير ومن بعد أن تمتع بالحكومة العالية سبع سنوات خلفه افراسياب ملك التتار وتغلب على فارس مدة اثنتى عشرة سنة وطرده زال أبورستم هذا الغاصب من المملكة وأجلس بدله زو البرنس الوارث على تخت المملكة وخلف الملك زوايه كرشاسب ولما وجد زال أن لاطاقة لزو على الحكومة خلفه وبه انقضت العائلة البشيداد يانية وحكمت هذه العائلة المملكة نحو من ٢٤٥٠ سنة حسب ما ذكره مؤرخو الفرس

ومن العائلة الكيان يانية المتفق عليها قدماء المؤرخين ومتأخرون هم أنما هي العائلة الميديية يبتدى أول التاريخ المطابق مع التسجيلات الحقيقية السنوية الغربية وان كيقباد الذى ذكره الفردوسى فى الشاهنامه هو نفس ديجوسيس الذى ذكره هردوط وغيره من مؤرخي قدماء الجريق كان فى سنة ٧١٠ قبل الميلاد ولما رأى ما كانت عليه فارس من فوضوية الحكم والضرر اعانده على أهلها صار انتخابه ملكا بواسطة جمعية من أشرف المملكة وكانت مدة سلطنته على قول هيردوط ٥٣ سنة وعلى قول الفردوسى ١٢٠ سنة وابتدى سراية منتهجرة وأسس مدينة همدان وأول من تقلد درجة فخراهم خارقة للعادة من طرف قومه وقد تقدم ذكر كيقباد وخلفائه فى تاريخ ميديا والله الموفق للصواب

### (الباب الثانى)

من موت كيرش أو كينسر والا كبرى الى سقوط المملكة

جلوس لهراسب (قبيز) - صفته - تغلبه على مصر - معاملته تلك المملكة بالعنف والقساوة - عدم نجاحه وخيباته - سمرديس الكذاب - موت لهراسب - صيرورة دارالاول أودارا كشتاسب ملك فارس - اعادته النظام فى المملكة - طريقته الحكيمية - تغلبه على قسم من الهند - الحملة على الصيبيانيين - مبادئ الحرب مع الجريس - خيبة حملة مردونيوس - هزيمة الفرس فى نواحى مرثون - أردشير الاول ملك فارس - جلسته فى الجريس - وقائع طرفويلي وسلميس - خيبة الحملة وعدم نجاحها - عود أردشير الى فارس - اعتكافه على الذات والرفاهية - هزيمة مردونيوس فى بلاطيا - أردشير درازدشت الاول ملك فارس - عصيان مصر - صلح فالباس - أردشير الثانى - موته - دارا الثانى ملك فارس - ضعف سلطنته - سرعة هبوط فارس - أردشير درازدشت الثانى - عصيان قبرص - واقعة كانكسه - تقهقر العشرة آلاف - حروب مع الايلات الجريقية - سرعة انحلال المملكة - تصمييات أردشير فى تغلبه على الجريس - الارتباك الداخلى فى المملكة أو خوض سلطنته الشديدة - ذبحه - دارا الثالث - الحرب المقدونية - دخول اسكندر الاكبر فى آسيا - واقعة عصوص - القبض على العائلة الملوكية - فتح اسكندر الايلات الفارسية الموجودة على سواحل البحر الأبيض المتوسط - واقعة أربله - هروب دارا وموته - سقوط المملكة الفارسية

ومن بعد موت كيرش الاكبر خلفه ابنه الكبير لهراسب الملقب عند الجريق باسم قبيز فى نحو سنة



٥٢٩ قبل الميلاد وترلا ابنا آخر اسمه بارديوس أو كان يلقب باسم سمرديس وكان أبوه أوصى له بحكومة بعض الايلات الجليلة الكبيرة فتولد من هذه الوصية اشتعال نار الغيرة في قلب لهراسب فأمر في مبادى سلطنته بقتل سمرديس في البر وورث لهراسب شهرة أبيه وحب الحرب وليست له ذكوة وتديرانه وعظيم اجرا آتة وكانت درجة لهراسب في التاريخ مثل واحد من كبار المدمرين المخربين للدين القديمة والجديدة وأرغم فنيقية وقبرص الى الخضوع له وهما الدولتان العظيمتان البحر يتان في آسيا الغربية اللتان مادخلتا تحت خراج كيرش الاكبر وفي سنة ٥٢٥ قبل الميلاد شرع في تجهيزات حربية برا وبحرا للغارة على مصر فجهزه الفنيقيون والقبرصيون بالاراكب اللازمة وأما جيشه البري فانه أضاف الى عساكره جمعا غفيرا من الجربسين واليونانيين والعمويانيين وكان هؤلاء هم القسم الاعظم من جيشه الا أن ما حصل من جليل الخدمة وتقديم المعروف الى لهراسب من فانيس الهاليكارناسي وكان من ضمن القواد الجربقية الموجودين في خدمة أمريس ملك مصر كان لا ينكر ولا يمكن لاحد غيره اصطفاؤه وذلك أن فانيس المذكور حصل بينه وبين أمريس نفور فعزم الملك على البطش به فهرب الى لهراسب وأخبره بالاخبار المخصوصة بحالة المملكة وصفته وقوة عدوه وهيئة حالته وسهل له كثيرا غزوه ونجاحها وأرشدته على عقد محادثة مع ملك العربان القاطنين في الصحارى الكاثنة بين فلسطين ومصر لجلب لجيشه المياه اللازمة وقت سير العساكر من وسط الصحراء الموجودة بين المملكتين واتفقا على أن ملك العربان يرسل المياه على ظهور الجمال لانه من غيرها لا يمكن للملك فارس تشيعة عساكره من هذه الطريق

وبما جهز لهراسب جميع الاستعدادات سار مغيرا على مصر في السنة الرابعة من سلطنته فلما وصل الى حدودها آتته الاخبار بموت أمريس ملك مصر وخلافة ابنه بصاميطقوس من بعده وأنه مشغول بجمع جميع قواه لاجل صده عن الدخول في مملكته ومن قبل أن يتمكن لهراسب من فتح طريق يدخل منها هذه المملكة رأى أنه من الضروري أن يجعل نفسه ابتداء سيد مدينة بلوزة بما أنه مفتاح مصر على الجهة اللازم غزوها منها وبما أن بلوزة قلعة حصينة ولا بد أن تكون هذه القلعة سببا في توقيف حركته العسكرية مدة مائة من الزمن شرع في اجراء طريقة يسهل له بها أخذ المدينة والتغلب عليها وذلك أنه لما أخبر أن محافظ المدينة من المصريين رتب في مواجهة جيشه مقدار اوافرامن القبط والكلاب والغنم وحيوانات أخر كانت مرعية عند الامة المصرية بانها مقدسة ثم هجم عنوة على المدينة ولمالم تتجاسر العساكر المصرية على الضرب بالمقاليع أو السهام على جيش لهراسب خشية من حصول ضرر لا آهتهم استلم لهراسب المدينة من دون طعن ولا ضرب

ولما تغلب لهراسب على مدينة بلوزة تقدم بصاميطقوس بجيش جرار كثيف لاجل توقيف حركة سيره وحصل بين الملكين واقعة مهولة الا أنه قبل اشتعال نار الحرب فعل الجريق الذين في جيش بصاميطقوس فعلة قطيعة شنيعة قصدا وبها الانتقام من فانيس الهاليكارناسي تطير عصيانته وهربه فأخذوا أولاده الذين انجبر على تركهم في مصر وقت هربه وأحضروهم أمام الجيشين وقطعوا أزوارهم وشربوا دماءهم ومع ذلك فان هذه الفعلة القبيحة لم يحصل منها النصر ا لهم ولم تساعدهم على عدوهم فلما رأى الفرس هذا المنظر القبيح احتد فيهم الغضب وتمكن منهم الحق وسقطوا عليهم فشتتوا الجيش المصري وقتلوا معظم عساكره في ميدان الواقعة والذين أمكنهم الفرار التجؤا الى

## مدينة منف

وقد ذكر هردوط وكان نفسه من الشاهدين لهذه الواقعة أن عظام الفرس والمصريين لبنت مددا طويلة مرمية في ميدان الحرب الذي حصلت فيه هذه الواقعة وكان يعرف الفارسي من المصري بواسطة جاجم الرأس وهو أن جاجم المصريين كانت صابغة جلد لا يمكن كسرها إلا بقوة كبيرة بواسطة الاجار وأما جاجم الفرس فكانت طرية هشة يمكن كسرها بسهولة والسبب في هذا الاختلاف أن المصريين من وقت صغرهم معتدون على حلق رؤسهم ومشيهم مكشوف في الرأس وأما الفرس فكانوا على الدوام يشعورهم ورؤسهم مستورة بالعمائم والتيجان وكان ذلك من الزينة الأصلية لهم

ولما ساق لهراسب عساكره إلى نحو منف أرسل رسولا إلى أهل المدينة في مركب من طريق النيل يدعوهم إلى التسليم فلما وصل إليهم انقلبوا حولهم وداخلهم الغضب وسقطوا على الرسول وقطعوه أرباهو وجميع من كان معه ولما تغلب لهراسب على المدينة أمر بأخذ النار والانتقام من الذين قتلوا رسوله ومن معه وأن يأخذ في نارهم عشرة أمثالهم من المصريين وأرباب المناصب فأخذوهم وقتلواهم أمام العموم وكان من ضمن الذين قتلوا الابن الأكبر لبصاميطقوس وأما الملك نفسه فإن لهراسب ملك فارس أحسن معاملته ولا يعرف عن حياته فقط بل أعدله ما بقي بكرامه وأعزازه غير أن الملك ما اكتفى بهذا المعروف الزهيد واجتهد في قيام ثورات وارتباكات يصددها عود مما يمكنه فشرب كأس الخمر من بعد أن تسلطن ستة أشهر تمام وبعد ذلك صارت مصر جميعها خاضعة للملك الفاتح

وتولد من هذه النصر أن كل من الليبيين والصربيين (فواحى تونس الغرب) وأهل برقة أرسلوا رسالهم يهدايا إلى لهراسب يقدمون خضوعهم إليه ثم سار لهراسب من منف إلى مدينة صان وهي محل مدن الملوك المصرية وبجرد دخوله في سراية المدينة أمر بأخراج جثة امريس من القبر وضربه ألف سوط بحضوره ثم أمر برمي الجثة في النار وحرقها وكانت هذه الحالة من العادات المغيرة الغير المرصية عند الفرس وعند المصريين ومن هذا ظهر أن لهراسب كان يكره امريس ويبغضه وفي السنة التالية أي في السنة السادسة من سلطنته تفاخر كثيرانظفرو ونصره ودخل في مشروع فتوحات واسعة ما صار له طاقة على اجرائها وذلك أنه عزم على أن يجري الحرب على ثلاث جهات مختلفة وهي القرطاجيون والامونانيون والاتيويون فأما الاول من هذه التدبيرات فانه انجبر على صرف النظر عنه لأن الغنيمة من الذين من دون مساعدتهم لا يمكنه اجراء هذا الحرب رفضوا تعاضده على القرطاجيين بما أنهم ذرية منهم وان أصل قرطاجنة مستعمرة صورية

ولما عزم على غزو الاتيين أرسل رسلا إلى اتيوية بصفة جواسيس من عنده يعلموه بحالة البلاد وقوتهم وأورسلون له الاخبار عن الحالتين وأخذوا معهم هدايا من الاشياء الجارية عند الفرس مثل الارجواني والاساور والخواتم الذهب والروائح العطرية والنيذ وكان النيذ مكرها عند الاتيويين فلم يلتفتوا له ولا لرسله وما كان عندهم شيء يرد في نظير الهدية فأخذ ملك اتيوية في يده قوسا لطاقة لاحد من الفرس على جباهه فاضلا عن ضربها وشدها بيده بحضور الرسل وقال لهم هذه هدية الملك ونائبة عن ملك اتيوية أعطاه الملك فارس في وقت ما يكون للفرس طاقة على استعمال قوس بهذه الصفة والصلاية ويكنهم استعمالها بسهولة كما أني شددتها فقولوا لهم أتون للهجوم على اتيوية على



شرط أن يحضر لهراسب وما يمكنه جمعه من العساكر ثم تركهم ومضى وهم يثنون على الآلهة اذ لم يجعلوا في قلوب الايبوسيين رغبة في مد عمالكم خلف عمالكم

ولما عاد الرسل وأخبروا لهراسب اشتد في وجهه الغضب وأمر في الحال جيشه بالرحيل من دون أن يلاحظ هل كان عنده ذخائر كافية ومؤن لهذه الغزوة أم لا وترك عسكر الحافظين في مملكته التي تغلب عليها جديد الاجل حفظها من حصول ثورة تحصل فيما أو أن تكون خاضعة لسلطته مدة غيبته وبمجرد وصوله الى طيوه من صعيد مصر فصل فرقة مقدارها ٥٠٠٠ نفس وأرسلها لغزو الامونيانيين وأمر العساكر والقوادح بحراب المملكة ونهب معبد جوبنير آمون الموجود فيها فن بعد أن سافرت هذه الفرقة عدة أيام في الصحراء هبت عليهم ارياح عاصفة من جهة الجنوب مشحونة بالرمال المتطايرة وسفت الرمال على الجيش حتى غرق جميع العساكر فيها واندفنت تحتها وكان هذا عاقبة أمرهم

وفي هذا الوقت سار لهراسب مثل الجنون على الايبوسيين من دون أن يكون مستعدا لعهساكره بالمؤن والذخائر فلم يرض الا القليل حتى وقع القحط الشديد في جيشه وقال هردوط انه كان عنده الوقت الطيب في مداواته هذا الضرر الا أنه تفكر في نفسه أن جبادته عن مشروع شرع فيه ليس من الشرف والاهمة ولا يصح من مثله تركه فاستمر سائرا في غزوته وحملته فأنجبر جيشه من أول الامر على أكل الجذور والحشائش والنباتات وأوراق الاشجار لكنهم لما وصلوا الى الارض العقيمة القحلة أحوجتهم الضرورة الى أكلهم حيوانات الاجال ثم من فراغها وصلوا الى نياكل بعضهم بعضا فكان العشرة يأخذون واحدا منهم بالقرعة ويسوته طعاما ومع كل هذه القطائع والاحوال الشديعة ما زال الملك مضرا على تنفيذ أغراضه الا أنه أخيرا ابتدأ الخوف فيه وخشى على نفسه وأمر بعود ما بقي من عساكره بعد أن هلك معظمهم في هذه الغزوة وعاد الى طيوه غضبان على آلهته فنهب هياكلها وكسر صور وتماثيل آلهتها وأخذ من معابدها أموالا لا تحصى وسار منها متوجها الى منف وكان أخلى سبيل الجريق وأرسلهم الى بلادهم مكرمين وعند دخوله في مدينة منف وجدها ملاءة بالافراح والمسرات فأخذ الغضب والحلق الشديد وظن أن فعلهم هذا سرورا بحصوله من عدم الظفر والتجاح في غزوته فطالب بحكام المدينة أمامه ليعرف ما معنى وجود هذه الاعياد والافراح فقالوا له ان ذلك بسبب أنهم وجدوا الههم أيبس فلم يصدقهم لهراسب وأمر بقتلهم على الفور بصفة أنهم كاذبون وأرسل الى القسس وسألهم عن السبب الداعي لعمل هذه الاعياد والافراح فأجابوه بمثل جواب من قبلهم فقال لهم من حيث ان الههم رؤف على قدر هذه الحالة حتى انه يظهر لهم فيلزم أن أتعرف معه وأمر في الحال باحضاره عنده الا أنه بدل أن يتظر الهارأي بجلا فاستغرب لهراسب غاية الاستغراب وأخذ الغضب وسحب خنجره وضرب به نفذا الحيوان ورماه وأمر بضرب القسس بالسياط ضربا شديدا وأمر بان جميع المصريين في منف يلزم أن يعملوا عيدا وموكبا عظيما من أجل قتل الههم أيبس فأخذ المصريون العجل وتوجهوا به المعبد الا كبر ثم مات بعد وصرف عبيد أيبس في سفك الدماء ونش المقابر واستخرج منها الموميات ودخل المعبد الا كبر المقدس في منف ولعن جهارا تمثال فطه وأمر بتدمير وتكسير جميع تماثيل الآلهة وعم هذا الدمار والخراب كل جهة من الجهات المصرية واستمر الخراب الذي تركه لهراسب من بعده عدة قرون ولما وقع لهراسب الرعب والهول في قلوب المصريين ورأى أن ما أجراه

في المملكة كاف خلوص أهلها له سافر عائدا إلى عاصمته لأنه غاب عنها مدة طويلة ولمّا وصل إلى سوريا قابله الأخبار بان سمرديس اغتصب تخته وكان سمرديس هذا والكذاب ولقب بسمرديس الكذاب ولمّا قطع أهراسب اليأس من انتصاره وتغلبه على المعتدي عليه قتل نفسه بنفسه في سنة ٥٢٢ قبل الميلاد بعد أن تسلط ثمان سنوات وقيل سبع سنوات وخمسة أشهر

وتسلط سمرديس الكذاب أقل من سبعة شهور وعجز وجلوسه على التخت من بعد موت كى أهراسب قدّم له أهل سمارية عريضة يلتمسون فيها توقيف اليهود عما هو حاصل منهم من الارتباك والهباج في شأن بنائهم مدّنتهم وهيكلهم وبواسطة هذه العريضة استحوذوا من الملك على أمر يقضى بمنع اليهود من حصول أدنى مشروع في إعادة بناء مدّنتهم وهيكلهم ومن ثم صار توقيف شغل بناء المعبد إلى السنة الثانية من سلطنة دارا كشتاسب وهي مدة سنتين ثم إن سمرديس المجوسي بذل مجهوده فيما يجب من أمره حتى لا ينكشف كذبه وابتدأ في سلطنته بكونه لا يظهر لأحد من رعيته وأن يعتزل في سرايته وترفع إليه أشغال المملكة بواسطة طواشيه من حرمة من دون أن يراهم أحد إلا المتقربين إليه المعتمدين عليهم في شئبه وكان ضبطه تحت المملكة وجلوسه عليه بصفة أنه سمرديس بن كيرش أخو أهراسب المقتول واعتقد فيه رعيته ذلك إلا أنه من عدم ظهوره واعتزاله في سرايته حصل الشك فيه فلا جمل توطيد نفسه على التخت الذي اغتصبه واستحوذ عليه عزم من ابتداء جلوسه على جذب محبة قلوب رعيته إليه بكونه رفع عنهم العوائد والضرائب والخدمات العسكرية التي كانت مقررة عليهم من قبل مدة ثلاث سنوات ورتب لهم أشياء كثيرة تعود بالمنفعة عليهم حتى أنه وقت موته نعاها كثير من أمم آسيا ما عدا الفرس فانه بسبب الثورة التي قامت عليه والاحترارات التي أجراها لأجل حفظ نفسه وعدم ظهوره للامة أولادها فيها أوقع عليه الشبهة بان لم يكن هو سمرديس الحقيقي بن كيرش الأكبر وكان تزوج جميع نساء سلفه ومن ضمنهن أطوسه بنت كيرش الأكبر فيدعية بنت أوطانيس رجل من أشرف فارس من الطبقة الأولى فأرسل أوطانيس إلى بنته فيدعية رسالة وثيقة يسأل منها هل الملك هو حقيقة سمرديس بن كيرش أو رجل خلافة فأرسلت إلى أبيها تقول انها ما رأته قط سمرديس بن كيرش حتى تقول ان كان هو أولا فأرسل لها رسالة ثانية يقول لها السألي من أطوسه العارفة بأخيهما هل هو أخوها أولا فأجابته أن الملك الحالي الذي ربما يكون هو سمرديس أسكن نساءه من أول يوم جلوسه على التخت في مساكن منعزلة عن بعضها بحيث لا يمكن واحدة منهن القرب من الأخرى أو الحادثة معها وأنه لا يمكنها الوصول إلى أطوسه حتى يمكنها أن تسأل هذا السؤال منها فأرسل لها رسالة ثالثة وأمرها أنه عندما يأتي في حالة النوم عندها يمكنها أن تنتهز الفرصة وقت نومه وتظهر له آذان أولاد كيرش كان أمره بقطع آذان سمرديس المجوسي بسبب جريمة جناها وقال لها إذا كان الشخص الذي يرقده ملك هو سمرديس المجوسي فيكون هذا من أقبح العار والفضائح في استحوذه على تاج المملكة وعاليك ولما أخذت فيدعية هذه التعليمات من أبيها انتهزت الفرصة في اليوم الثاني واجتهدت في خفص ما أمرت به ووجدت أن الشخص الذي يضطجع معها ليس له آذان فأرسلت خبرا إلى أبيها بذلك ومن ثم انكشف خديعته وخيائته

ثم إن أوطانيس شكل ثورة مع خمسة من رؤساء الفرس وأشرفهم ومع دارا وهو رجل فارسي مشهور الاصل شريف النسب كان أبوه هستااسب أو كشتاسب حاكم فارس واشترى كواسويه وعزموا على



قتله وتآمر وافيما بينهم وأخذوا يدبرون أشغالهم في السر من دون أن يشعروا بها أحد خلا فهم السبعة وعينوا لهم يوما معلوما يتون فيه أشغالهم خشية كشف أعمالهم

وبينما كان هؤلاء السبعة مشغولين سرا بتدبير أعمالهم إذ حصل هيجان بين الجيوس ما كان يخطر لاحد منهم على بال فلا جمل ازالة هذا الشك من بينهم عرضوا الى بريكزاييس قائد خفر المالك واستحوذوا على عهد منه أن يعلن جهارا أمام الامة الذين سيجهت معون لهذا الغرض بأن المالك الموجود على التخت هو سمرديس الحقيقي بن كيرش ولما اجتمع الامة في اليوم المعلوم كلمهم بريكزاييس من فوق قبة برج عال بحسرة بحضور الجمهور وقال الحق أحق أن يقال أنا الذي قتلت بيدى سمرديس بن كيرش بأمر من كى لهراسب وأن الشخص المستحوذ الآن على التخت هو سمرديس الجيوسى وأنى أرجو من الآلهة ومن الناس غفران هذه الجريمة التى اكتسبتمارغما عن غرضى وجبرا عن نفسى ولما تم مقالته رمى نفسه من قمة البرج فسقط وانكسرت رقبته وتولد من هذه الاخبار حصول الارتباك في السراية وفي أثناء هذه الحادثة توجه النأثرون الى السراية وعانوا الدخول من دون أن يشعروا بهم أحد لان الخفر البراني يعرف جيداً أن هؤلاء أناس من الطبقة الاولى ومن أرباب الدولة فن لم يسألهم عن شئ ولما صاروا بالقرب من محل المالك ورأوا أن الضباط منهم ومن الوصول اليه ولم يسجدوا لهم بالتقرب منه سمعوا خناجرهم وسقطوا على الخفر وأفرجوا لانفسهم - ثم طريق الدخول وكان سمرديس الجيوسى مستغلام مع أخيه في شأن مسألة بريكزاييس فسمع الاثنان ضجة على حين غفلة فخطفا سلاحهما ودافعا عن أنفسهما بقدر طاقتهم ما أوجر جابعضا من النأثرين وأخيرا قتلوا سمرديس وأخاه وخرجوا من السراية مغموسين في الدماء وفي أيديهم - ثم رأس سمرديس الجيوسى وأخيه وأظهروهم - فالعوم الامة وأظهروا كذب سمرديس فتولد من ذلك حصول الغضب الشديد عند الامة الفارسية فقاموا بحد واحد على كل من ينتسب الى مذهب وعقائد سمرديس الجيوسى الغاصب وقتلوهم حيث وجدوهم وجعل الفرس لهذا اليوم عيداً سموه عيد ذبح الجيوسى لا يمكن فيه لاحد من الذين على عقيدة سمرديس الكذاب أن يظهر في يوم هذا العيد

ولما تمت هذه الحادثة اجتمع السبعة الامراء الفارسية في جمعية واحدة للمداولة فيما يجب اجراؤه بشأن الحكومة فقال بعضهم - ثم يلزم أن تكون الحكومة جمهورية شوروية وقال آخرون الاجود أن تكون سلطة ملوكية لها الحل والعقد وكذا قرر دارا فاتفاقا جميعا بعد المناقشات والمباحثات وما وقع بينهم من المناقشات في أن تكون حكومة فارس سلطنة ولم يبق عليهم الا مسألة من يكون المالك أو ماهى الطريقة في انتخابه فقرر بينهم - ثم أن يكون الامر في ذلك مفوضا للآلهة وعلى هذا اتفق السبعة أن يكون اجتماعهم في يوم معلوم في الصباح وقت طلوع الشمس على ظهور خيولهم في محل كذا من ضواحي المدينة والذي يصل حصانه في الاول يكون هو المالك لانه من حيث ان الشمس هى الاله الاعظم عند الفرس ظنوا أن الذى شرع هذا المشروع ربما يعطيه الاله حق شرف الانتخاب ولما سمع سائس دارا هذا الاتفاق استعمل الحيلة الآتية لتوطيد تاج المملكة لاستاذته وذلك انه في الليلة التى في صباحها يكون الاجتماع جلب الحصان استاذته في المحل المعين فرساً أنثى وشممه اياها وفي صباح اليوم اجتمع الاشرف في المحل المعهود ولم يمض قليل حتى أشرف دارا بك على حصانه ولما وصل الى المحل الذى شتم الحصان

فيه الفرس أخذ يصهل بصوت عال فسلم الآخرون على دارا بالملك وأجلسوه على التخت وكان ابن كشتاسب فارسي المولد من العائلة المالوكية فتسلطن ستا وثلاثين سنة

ولما جلس دارا الأول أودار كشتاسب على تخت المملكة في سنة ٥٢١ قبل الميلاد أعاد الديانة الفارسية على أصولها المقدسة كما كانت عليه في السابق وكان أجل ملوك فارس وأعظمهم ولما جلس كانت ممالكه في حالة عامة من العصيان وكان لأقل من إحدى عشرة أيلة من الأيالات الكبيرة من مملكته حاملين السلاح ضده ورأى أن مملكة كيرش الأكبر أو كيكسرو على شرف الدمار والخراب فاشتغل دارا مدة ست سنوات عاكف نفسه على فتوحه هذه الجهات حتى أخذ ما كان فيها من الثورات وبوئل من كثرة جنوده وحداقة أفكاره ومهارة أعماله حفظه وسلامته في جميع مساعيه وأعاد النظام والأمن واستتبأب الراحة في عموم ممالكه وقتل جميع رؤساء الثورات واعترف بحكمه كل قاص ودان من سائر أطراف ممالكه وعموم جهات سلطنته

ولقد كشفت هذه القلاقل والارتباكات وكثرة الثورات لدارا ضرورة وضع المملكة تحت أحكام ونظمات وقوانين ثابتة محكمة الأساس مؤيدة الأعمال فابتدأ في هذا الشغل بكونه عزل جميع الملوك الخراجية الموجودة في الأيالات التابعة لممالكه وقسم المملكة إلى عشرين مديرية أو مرزبانة وجعل على كل مرزبانة مرزباناً فارسياً أي حاكماً مدنياً مسؤولاً عن أعمال مرزبانته لدى الملك مباشرة وشكل جنداً ثابتاً وزعه على المرازبة بقصد إخماد الثورات إن حصلت أو مقاومة تعديات تقع من الخارج من جهة عدو وما وجعل قواد العسكر صوايد أيضاً على المرزبانات وضرب مقداراً ثابتاً من الخراج على كل إقليم أو أيلة يدفعه إلى الخزينة المالوكية في أوقات معلومة وأنشأ الطرق السلطانية من عاصمة المملكة إلى جميع المديريات المختلفة ورتب البريد والوسط لأجل إمكان سرعة المواصلات مع الديوان الملوكي وكذا سرعة مواصلات الديوان مع عموم الأيالات بحالة منظومة ووزع جماعة من كتاب الأسرار المالوكية أطلق عليهم اسم عيني الملك وأذنيه على المديريات فكان من واجبات هؤلاء المراقبة على المرازبة والمباشرة على أعمالهم وإعطاء الأخبار للملك أولاً بأول بحيث يكون عنده علم يومي بالحوادث والوقائع الجارية والمزمع على إجرائها في كل أيلة من ممالكه أو في كل إدارة من إداراته ورتب مفتشين مالوكية وأحياناً نفس الملك يتوجه فجأة إلى الأيالات لأجل مناصرة أحوال الجهات وما هو جارٍ فيها من الحركات وبهذه الوسائل صارت الأيالات وحكامها على صداقة وخالص نية وحماس طوية من مراعاتهم الواجبات المقررة عليهم لئلا يهملوا من مرور الزمن ويؤا إلى الأيام وانقطاع حركات التفتيش زال ما كان حاصله من الصدور والخروج على المناسد ووقوع المشاكل وانفق حكام المرزبانات مع قواد العساكر لمطامع ذاتية بينهم وزدادت شوكة الأيالات حتى جاء الوقت الذي أشرفوا فيه على العصيان فأعاد دارا ترتيب الجيش ثانياً وجعل القوة الحاكمة من أمراء الميدين والفرس وحشد العساكر وجند الجنود ورتب الخيالة وجعلهم هم الطبقة العالية في صنف العساكرية ورتب العساكر البحرية من الأمم التابعة لمملكته خصوصاً من فينيقية ومصر وقبرص وسيليبيا وآسيا الجربية

ولما أحكم دارا قواعد مملكته وأزال ما كان فيها من الفساد والعمالة شرع في جعله على الهند لأجل اتساع ممالكه في الجهة الشرقية وقرر لأجل تسهيل فتوحاته وأن يكون له دراية وخبرة بمملكة



الهندية بإنشاء أسطول موافق لهذا الغرض في نواحي كاسياتر وهو مدينة على شاطئ نهر السند وأمر بإنشاء مراكز أخرى في جهات متعددة من النهر لحدود صيطيانا الشرقية وعهد قيادة هذا الأسطول إلى سيلا كس من أهل مدينة كارية من أعمال الجريس وكان على دراية تامة وخبرة كاملة بالأعمال البحرية وأمره بأن يحذر مع أسطوله في النهر ويكشف على قدر إمكانه جهتي البر من شاطئ النهر حتى يصل إلى مصبه ثم يخرج منه إلى المحيط الجنوبي ويستمر في سيره نحو الغرب ثم يعود إلى فارس من تلك الطريق فعرف سيلا كس بجيدا كل ما أعطى له من التعليمات والأوامر وسار متحذرا في نهر السند ومنه سار في البحر المحيط الجنوبي حتى دخل البحر الأحمر من بونغاز باب المندب ومن بعد سباحة مكثت ثلاثين شهرا من ابتداء خروجه من كاسياتر ووصل مصر في المينة التي كان أرسل منها ينحدر ملك مصر في السابق الفنيقيين الذين كانوا تحت خدمته لأجل كشف دائر سواحل إفريقيا وهي المينة الواقعة عليها السويس الآن ورأس البحر الأحمر من الجهة الشمالية ثم عاد سيلا كس إلى السويس وأعرض لدارا جميع استكشافاته فدخل دارا في الهند مع جيش وتغلب على پنجاب يعني أرض الخمسة أنهر وأرض السند في مدة محصورة بين سنة ٥١٥ وسنة ٥٠٩ قبل الميلاد ولم يذكر هروط حالة الحرب التي وقعت بل ذكر أن الهند كانت هي الأيالة المتممة للعشرين من الممالك الفارسية وكان خراجها الجارى إرساله سنويا إلى خزينة دارا مقداره ٣٦٠ وزنة من الذهب يعني . . . . . أيره استرلينه وربط أيضا فيها علاقات تجارية فعالة بين الهند وفارس

وكانت الحملة الثانية لدارا على الصيطيانيين وهم قبائل من ياجوج وماجوج الغربيين قاطنين في السهول الواسعة الواقعة بين نهر الدون ونهر الدانوب أو الطونة في الاقليم المسمى في الحالة الراهنة بأقاليم ولاخيا وما كان في عزم دارا التغلب على هذه الأراضى بل كان مقصده الأصلي توقييع الخوف والرعب في قلوب الصيطيانيين وصددهم عن سعيهم في الاغارة على عمالكه ونهبهم فعبروا نهر الدانوب وسفروا إلى جسر صنع له من المراكب في سنة ٥٠٨ قبل الميلاد وسار من وسط تراسة حينما كان أسطوله سائرا إلى نهر الدانوب من البحر الأسود وأمر بعمل قنطرة على نهر الدانوب من مراكب وقادله تراسى السواحل من دون أن يحصل منهم مقاومة فاجتهد الزيطيون في توقيف سيره فغلبهم ثم عبر الدانوب إلى بلاد الصيطيانيين ومن بعد أن عبر النهر أمر بكسر القنطرة حتى لا يترك عند هافرقة تشتغل بحفاظتهم من عساكره فعرض له أحد ضباطه الآن وفق حفظ القنطرة وعدم كسر هالنفعة عند الحاجة في حالة ما إذا كان الحرب للصيطيانيين وليس لنا فعرى الملك ضرورة وجودها وبقيائها فأمر بالمحافظة عليها ورتب لها عساكر من اليونانيين الذين صنعوها وسمح لهم بأن يتوجهوا إلى بلادهم إن لم يرجع إليهم في مدة شهرين ثم استمر في طريقه إلى الصيطيانيين

وبعجرا بما باع الصيطيانيين أن دارا ماش إليهم شرعا في أخذ الاحتياطات اللازمة لاجراء هالمنفعة أنفسهم وعلموا في أنفسهم أن لا طاقة لهم على مقاومة جيش قوى مهول مثل جيش دارا فاستغاثوا بجميع الأمم المجاورة لهم في مساعدتهم والاتحاد معهم على تشكيل هذا الكرب العام وقالوا لهم إن القصود هو اشتراكنا في جامعة واحدة لدفع عدو قبيح التغلب على كابة بلادنا وأملنا كنا وليس قاصر اتديبره على محاربة واحدة فقط فأجاب طلبهم بعض الأمم ورفض البعض الآخر الدخول في حرب لم يكن لهم فيه دخل

فشرع الصيطيون في تدبير أضرهم منع الحزم واليكاسة وذلك أنهم أرسلوا نساءهم وأولادهم في عربات إلى أقاصى الجهات الشمالية من أرضهم وكذا أرسلوا جميع مواشيهم وأنعامهم ولم يبقوا لأنفسهم شيئا سوى ما سكنوا لازما لجيشهم وطعمسوا جميع الأبار والعيون وعطروا المنايع وعلقوها وحرقوا الحشائش وموار العلف الموجودة في الجهات التي يمر منها الجيش الفارسي ولما تموا ذلك جميعه ساروا في اتحادوا حدم مع محالقيهم لمقاابلة عدوهم وعزموا على عدم الدخول معه في أى محاربة أو مناوشة بل يجرونه إلى جهات مناسبة لهم حتى يكل ويضجروا وتعود الخسارة عليه فلما رأهم الفرس وأرادوا الهجوم عليهم تفقهقروا إلى الخلف في بلادهم فتبعهم الفرس وما زال الفرس يتقدمون والصيطيون يتفقهقرون من محل إلى آخر حتى أوصالوهم إلى داخل أراضى الام الذين رفضوا الدخول معهم في المحالفة وصارت أرضهم وبلادهم صيدا ونهب للجيشين الفارسي والصيطياني

ولما كل دارا وحصل له الضجر والتعب من سوءه خلف الصيطين أرسل إلى ملكهم رسولا وكان اسمه انداطيرسوس يبلاغ باسمه يقول فيه يا ملك الصيطين الى متى أنت مستمر على فرارك منى لماذا لم تقف في محل تحاربني فيه ان كنت تعرف من نفسك طاقة على حماي وان كنت معترفا في نفسك بالضعف والوهن فاعترف بسيادتي عليك وسلمنى الارض والماء وكان الصيطيون أمة على غاية من علو الانفة والكبرياء ولهم غيرة على حريتهم وهم العدو والادلكل رقا واستعباد فأرسل انداطيرسوس جوابا إلى دارا يقول له ان كنت أنا ذري بأن أملك يا ملك الفرس فلا تظن انى خائف منك أو على وجل من جيشك والحاصل عندي من الاعمال الآن هو كالحارى عندي في مدة السلم لائتأمة الصيطين ليس لنا مدائن نحفظها ولا أرض ندفع عدوانها فان كان لك رغبة في الزمان على دخولنا في محاربة معك فعمال اهجهم على قبور آبائنا حتى تعرف العادة التي نحن عليها وأما من جهة لقب السيد الذى أنت متقلده فاجعل هذا اللقب على أمة خلاف أمة الصيطيانيين لاني أنا لا أقبل احد بالسيادة خلاف جو بتيه الا كبرأ أحد أجدادى والمعبودة الزهرة الالهة النار وكان دارا كلما تقدم في داخل المملكة يصير جيشه عرضة للتعب والمشاق الكبيرة حتى وصل إلى آخر رمق وشدة من الكد والتعب ووصل رسول من عند ملك الصيطين ومعه هدايا لدارا هي طير وفار وفضة وخمس سهام فطلب الملك من الرسول معرفة معنى هذه الهدايا فأجاب بان الملك أمره بتسليم الهدايا بالزيادة على ذلك فخل دارا في الحال معنى الهدايا وقال ان ملك الصيطين رضى بتسليم الارض والماء لنا واستمدل على ذلك بالفار والفضة وكذا تسليم خيالاته وأناب عنهم الطير وكذا أنفسهم وأسلحتهم وأناب عن ذلك الخمس سهام فقال أحد قوادد غوبرياس وهو أحد السبعة أشرف الذين خلعوا هم رديس الكذاب المجوسى وقتلوه ان تفسير معنى هذه الهدايا هو اعلم يا ملك الفرس ان كنت تقدر على الطيران في الهواء مثل الطير أو تخفى نفسك في الارض مثل الفار أو تخفى نفسك تحت الماء مثل الضفدعة فلا يكون لك طاقة على امتناعك من سهام الصيطيانيين

وفي الحقيقة كان جميع الجيش الفارسي سائرا في أرض خالية لا نبات فيها ولا زرع - ودومة المياه خالية السكان حتى صار الجيش يتظر أمامه فلا يجد الا قفرا وبرارى خربة واستشعر دارا في نفسه بمحصول الخطر العام وما رأى خلفه الاجلا واحد اعليه المياه اللازمة لشربه وخاض هذا الجمل معه المعام والمصاعب الكبيرة في الصحارى المقفرة والهضاب الوعرة ففانسى دارا معروف هذا الجمل وكرمه



واخسائه وكاناه من بهد أن عاد الى آسياه على ما أداه من صنيع خدمته وخسن كرمه ومعرفة معه  
وما حصل له من مشاق الاسفار بكونه أقطعه ناحية باسمه يستريح فيها المدة الباقية من حياته وياً كل  
من محصولاتهم مع خدمه وحواشيه ولهذا سمى المحل الذي أقطعه له داراً باسم قوى بجلا يعني ضيعة  
المحل وكان موجوداً بالقرب من المحل الذي حصلت فيه الهزيمة لدار الثالث مع اسكندر الاكبر في  
الواقعة الثانية

ولما رأى داراً أن لا فائدة تعود عليه من هذه الحملة ترك هذا المشروع وتدبر في أمر الرجوع وعزم على  
عدم ضياع الوقت في الرجعة ولما جاء الليل أمر بوقود نيران كثيرة أمام العدو على صورة خديعة كما كانوا  
يفعلون حسب عوائدهم وتركوا الشيوخ والضعفاء في معسكرهم وانسحبوا من دون حصول أدنى  
غاية فاصدين الوصول الى نهر الطونة على جبل وأما الصيطيون فانهم لم يعلموا بسفرهم ورجعتهم الا في  
صباح اليوم الثاني فأسرع الصيطيون في الحال وأرسلوا فرقة الى نهر الطونة وبما أن هذه الفرقة  
كان لها معلوماتية بسكان بلادها وأرضها وصلت الى القنطرة قبل وصول داراً بجيشه اليها وكان  
اليونانيون تركوها حسب أمر داراً لهم وتوجهوا الى بلادهم فكسر الصيطيون القنطرة وانتظروا  
حضور داراً وجيشه واجتمع الصيطيون عند نقطة عبور داراً من النهر ولما وصل داراً مع جيشه وجد  
القنطرة مكسورة ولا وجود لليونانيين غضب كثيراً وراخه الصيطيون على العبور ووقع بينه وبينهم  
معاربات كانت نتيجة هزيمة الصيطين وتخريب بلادهم وأمر داراً بنصب قنطرة جديدة عبر عليها هو  
وجيشه الى ثراسه وعاد الى آسياه من الطريق التي جاء منها وكانت نتيجة هذه الحملة أن صار اثراسيون  
خارجين له داخل في الجهات الواقعة على بحر الارخبيل حتى مقدونيا خضعت له ومن ثم امتدت  
المملكة الفارسية من الصحارى الهندية الى حدود تساليا ومن جبال القوقاز الى اتيوبيه في سنة  
٥٠٦ قبل الميلاد

وفي السنة الثالثة من سلطنة داراً أوفى السنة الثانية على حساب اليهود حصل من أهل سامرية ارتباك  
بجديد وقلق بشأن اليهود لان السامريين كانوا استحصلوا من السلطنات السابقة على أوامر يمنعون  
بها اليهود من أن يجروا أي عمل يعملونه في بناء مدينة اورشليم الا أنه على موجب ما أنبأ به أنبياء بني  
اسرائيل من الاوامر المنزلة من عند الله شرع الاسرائيليون في الشغل من بعد أن كان خاصلاً بوقيفه  
من مدة سنين مضت وشمروا عن ساعدهم في الشغل مع الشدة والشهامة فاعتمد السامريون بما  
عندهم من الاوامر الملوكية القديمة ومنعوا اليهود عن الشغل واستغاثوا الى طاطناي وكان داراً قرره  
حكما على اياتي فلسطين وسوريا وشكواه من الوقاحة والجرأة الخاصة من اليهود في مخالفتهم  
الاورامر الملوكية وكذا صمم اليهود على الاستمرار في بناء معبدهم ومدنيتهم ووقع بين الاثنين مشاحنات  
حتى آل امر الحماكم أن يتوجه بنفسه الى اورشليم محل الواقعة للنظر في هذه المادة ولما رأى  
ما عليه حالة اليهود تفكر في نفسه أنه لا يمكنه استمرار العمل ولا بوقيفه الا اذا ارتكن على شيء في مثل  
هذه المادة فسأل من مشايخ بني اسرائيل هل عندكم رخصة دخاتم بواسطة في مثل هذا العمل  
الجسيم فأبرز له رؤساء اليهود الامر الصادر لهم من كيرش أو كيرش والاكبر فلما رأى صار لا طاقة  
له أن يفعل شيئاً يخالف الامر وأرسل بواقع الكيفية وشرح حقيقة حال الملك داراً وأعلمه بامر كيرش  
الاكبر المصرح فيه لليهود ببناء مدنيتهم ومعبدهم ورغب من الملك أن يأمر بالكشف من الدفاتر عن

حقيقة هذا الامر حتى يعرف أن كان ذلك أمر كيرش حقيقة أو لا والتمس أن ترسل اليه التعليمات اللازمة الاجراء على موجبها في هذه المسئلة فطلب دارا الكتاب وسألهم الكشف عن هذا الامر فوجدوا أن هذه الرخصة والتمجة أعطيت لهم في مدينة همدان من أعمال ميديا مقرر كيرش الاكبر في ذلك الوقت فأثبت دارا أمر الملك كيرش وأصدر آخر جديدا مؤكدا له وصدق عليه دارا وبواسطة هذا الامر الصادر من دارا لم يهتم اليهود في بناء معبد لهم ومدينتهم فقط بل كانت المصاريف تؤخذ من المقرر عليهم من الخراج والعوائد المضروبة على ايلة فلسطين وبهذا تم اليهود عود بناء معبد لهم ومدينتهم في مدة سلطنة دارا الاول هذا

ولقد توشحت السنين المتجمة للقرن السادس قبل التاريخ المسيحي بعصيان حصل من جريق اسيا من شدة ما حصل لهم من الجور والمظالم التي تساعد على اجرائها حكمهم بواسطة الاوامر الصادرة من دارا فقاموا في ثورة تحت قيادة ارسطو فراس طاغيتهم من ملطية وحملوا السلاح على فارس وانضم اليهم الاثينيون والارطريانيون من جريس أور وباو لفتة كروافي أنفسهم الجراعة والشجاعة وهجموا على سرديس عاصمة المروانية وضربوها وحرقوها ودمروها فغلبهم القوي الفارسية وهزموهم في واقعة بالقرب من أنسوس سنة ٥٠٠ قبل الميلاد فترك الاثينيون والارطريانيون محالفيتهم في الحال ومع هذا فانه ورد بالحم الغفير لمساعدة الجريق وثارت ثورة عامة ضد فارس انتشرت في طول كامل الساحل الآسيوي من بحر مرمر الى خليج عصوص وذلك أن اليونانيين والعيولانيين وجريق الهلسيون والكارينيين والقومانيون والقبرصيون كل هؤلاء انضموا في جامعة واحدة على فارس فأسرع دارا في اخضاع هذه الثورة الكبيرة وبذل جهده ومافي طاقته في انحطامها وهشيمها وحصل عتده وقائع كان الظفر فيها متبادلا بين الاثنين وأخيرا سادت القوي الفارسية وانهمزم الاسطول اليوناني هزيمة فاصلة في واقعة لادي وأخذت ملطية بالهجوم عنوة في سنة ٤٩٤ قبل الميلاد واستشعرت الايلات العاصية بثقل أحمال الانتقام الذي وقع عليهم من دارا وأعيدت الحكومة الفارسية مع الشدة والثبات في جميع الاقاليم التي كانت دخلت في هذا العصيان

ولما وطد دارا جميع ممالكه وأخذ ثوراتهم اشروع في أخذ الاحتياطات اللازمة للاتقاء من الايلات البحر يقيمة التي تجاسرت على مساعدة رعاياء في العصيان على سلطنته وكان مترددا في ذلك من مدة زمن طويل في التغلب على الجريس فنمدا خلة الاثينيين والارطريانيين في ثورة العصيان اليوناني انفتح لدارا باب عظيم في المحاربة معهم وفي فصل ربيع سنة ٤٩٣ قبل الميلاد صار استعداده جلة وأمر دارا بتسفيرها ضد الجريس تحت قيادة مردونيوس فسار في طول الساحل ولما صار على مسافة من جبل أثوس نزلت عليه تلاقيح الرياح وعواصف البحر فغرق القسم الاعظم من اسطول له وانهمزم جيشه البري وأشرف على الدمار من هجوم حصل عليه ليلا من قبائل البريجيانيين من دراسة ومع حصول هذه الاحوال والمصائب فاحصل لدارا الزعاج والاضعف في القوة ولا صرف نظرا عن الحلة الجريسية ومع ذلك فما كانت نتيجة هذه الغزوة جميعها على غير طائل بل أخذ مردونيوس طاسوس وصارت مقدونيا تابعة لفارس

ومن بعد مضي سنتين جمع دارا حلة ثانية في سنة ٤٩٠ قبل الميلاد وأرسلت هذه الحلة ضد الجريس تحت قيادة داطيس أحدا القواد الماهرة الفارسية ولما عبر داطيس جزائر السكلاديه سارا بتداه الى أرطريا



فتغلب عليهم بالحدادة والخيانة وحرق هياكلها وساق أهلها في الحديد إلى آسيا ولما تغلب الفرس على  
 ارطريا عبر الأوربيوس ونزلوا في نواحي مراثون عازمين على التقدم إلى أثينة فتقابل الجيش الفارسي  
 في مراثون مع الجيش الأثيني تحت قيادة ملطياريس وكان جيش الفرس الموجود تحت قيادة داطيس  
 مؤلفا من ١٠٠٠٠٠ من المشاة و ١٠٠٠٠ فارس وأما جيش الأثينيين فكان جميعه مؤلفا من  
 ١٠٠٠٠ نفس تحت رياسة عشرة من القواد كان أكبرهم ملطياريس وكل واحد من هؤلاء العشرة  
 قواد يدبر حركة الجيش يوما واحدا فحصل بين هؤلاء القواد مشاحنة في كونهم يقابلون العدو بحركة  
 تعرضية أو يحاربونه في داخل الأسوار فمن بعد مناقضات ومباحثات اتفق أمرهم على محاربة العدو  
 بحركة تعرضية وأن يكون الجيش وقواده تحت إدارة وقيادة ملطياريس لا غير فأخذ ملطياريس  
 احتياطاته اللازمة في تقوية جيشه وعسكره تحت سفح جبل مقابل العدو بحيث لا يكون للعدو طاقة  
 على التغلب على المعسكر أو على الهجوم عليه من الخلف وأمر بقطع أشجار وتثبيتها على كل من جنبي  
 المعسكر لاجل حفظ أجنابه من هجوم خيل العدو وأما داطيس فإنه ظهر له عدم موافقة هذا المحل  
 لحركته العسكرية لأنه ارتكن على كثرة عدد عساكره وكانوا زيادة عن عشرة أمثال الجيش الأثيني  
 وبينما كان على عدم الرغبة في البقاء في هذا الموقع إذ وردت تقويات الأسبارطيين فعزم على الحرب  
 واستعد لذلك وأما الأثينيون فأنهم لم ينتظروا هجوم العدو عليهم بل بمجرد ما أعطيت لهم إشارة الحرب  
 أسرعوا في حركة هجوم عنيفة ما كانت تتصور فيهم ونظر الفرس إلى هذه الحركة الأولية التي حصلت  
 من الأثينيين فرأوا أنها حركة جنون مراعين صغر جيشهم وقلة عدد عساكرهم فاضعفوا خيالهم  
 ونبالهم واشتعلت الواقعة وقوى ملطياريس أجنحة جيشه تقوية عظيمة الآن القلب كان ضعيفا  
 وكان قليل عاق بالنسبة لما كان عنده من العساكر القليلة وافتكر في نفسه أنه لا يمكنه اكتساب النصر  
 إلا أن كان جناحه قوين ومنهما يشتت أجنحة الجيش الفارسي ومن ثم هجم الفرس على قلب الجيش  
 الأثيني وجعلوا اجتهدهم بالخصوص على مواجهة الجيش الأصلي وفي هذا الوقت انتصر جناح  
 الجيش الجريسي على جناحي جيش الفرس وألزمهم الهرب والفرار ثم اتجه الجناحان المساعدة  
 القلب بينهما كان على شرف الهزيمة وساعداه وشتوا الجيش الفارسي ولم تأخذ عساكر الفرس في  
 الفرار فحومهم مسكرهم بل أسرعوا في فرارهم لاجل نجات أنفسهم فحوالراكب وتبعهم الأثينيون نحو  
 المراكب وحرقوا كثيرا من مراكبهم واستحوذوا على سبع مراكب وقتل من الجريسيين في هذه الواقعة  
 ٢٠٠ نفس وقتل في ميدان المعركة من الفرس نحو من ٦٠٠٠ قتيل خلافا للذين غرقوا في البحر  
 وقت نزولهم في المراكب وأقاعوا في مراكبهم وسافروا حول الرأس الأثيني بقصد الهجوم عنوة على  
 أثينة فأسرع ملطياريس في السير الشديد من مراثون فوصل أثينة في وقت ظهر فيه لقاتل الفرس  
 عيانا أن كل شغل يجريه على المدينة لا ثمرة فيه فن ثم أقاع داطيس إلى الساحل الآسيوي وأخذهم  
 أسرى ارطريا وتولد من النصر التي حازها الجريقي في مراثون أكبر ضد الفرس الآن دارالم يرتج من هذه  
 المعارك التي حصلت واستعد ثانية لحرب الجريسي بكامل ما عنده من العساكر والجيش وعزم  
 على قيادتهم بنفسه فحصل في مصرارتيما كات أوقفت سيره وكذا موته في سنة ٤٨٦ قبل الميلاد ثم  
 مشروعا ته وأنماها وجعل للجريقي فرصة في اتمام استعداداتهم للمقاومة ومن بعد موت دارالاول خلفه  
 ابنه اردشير الاول فابتدأت سلطنته بالكسبي الشديد على الثورة المصرية وجعل أخاه أخمينس عاملا

على مصر وفي نحو هذا الوقت اجتمع البابليون في العاصيات على فارس فأخذوا الفرس ثورتهم وعاقبهم  
أردشير الاول أشد العقاب بكونه سلب كنوزهم وأموالهم العريضة التي كانت موجودة في هياكلهم في  
سنة ٤٨٥ قبل الميلاد وسار أردشير الاول في مشروع أبيه في الحملة والغزوة على الجربس وأقام الحامية  
والحامية في رأس مرارزته وقوادعها كره ووضع لهم في مجلس عام ندبهم اليه وعقدده في جهة السوس  
فوائد ومن ايا التغلب على الجربس فشرعوا في الاستعدادات اللازمة للعملية وفي مدة أربع سنوات  
كانت المملكة الفارسية مشغولة بالاستعدادات والتجهيزات اللازمة للحرب القادمة عليهم وصار  
جمع الاسطول العريض في البحر الابيض المتوسط وكان أسطولاً لم يجمع في البحر الابيض قبله مثله من  
الممالك الساحلية لنارس وتألف جيش كثيف جمع من عموم أنحاء الاقاليم الفارسية وقيل ان  
الاسطول كان مؤلفاً من ١٢٠٠ سفينة من سنان الحرب الكبيرة ومن ٣٠٠٠ مركب أقل منها في  
الحجم ورتبت مخازن الذخائر والمؤن في جهات مختلفة من طول الطريق المزمع على سير الجيوش منها وكان  
أردشير استنبط من تجارب داتيس أن حملة قوية كبيرة مثل هذه كافية للتغلب على بلاد الجربس  
لا يمكن ارسالها من طريق البحر بل يقتضى عبور الهاسبون (الدردانيل) والسير من طريق الساحل  
الشمالي لبحر الارخبيل ولهذا الصدد كلف أردشير المصريين والنبيين بإنشاء جسر من المراكب  
فوق مياه بونغاز الهاسبون أو الدردانيل فأنشأ هذا الجسر على التوالي لأنه كان يتكسر من شدة  
العواصف والرياح فعلى ما قيل ان أردشير أمر بقطع رقاب المهندسين وأن يضرب البحر بالسياط  
ويوضع في السلاسل والاغلال دلاء على ما حصل منه من الوقاحة على أستاذة ملك فارس ثم مدوا  
جسرين في غاية من المتانة والصلاية وصارت تقويتهم ما وتوطيدهما واحد كما هما بواسطة الاخشاب  
والخنازير الحديد ولا ربطة القوية وجعلوا الواحد منهما طريقاً سائراً على الناس والعربات  
والخيول مع غاية الامن والسهولة كأنهم سائرة على أرض الساحل ولا جمل حفظ الاسطول من  
الخطار التي تسقط عليه من عواصف جبل أثوس استخدم الملك جماعة من الناس مدة ثلاث  
سنوات تحت مناظرة ومباشرة رجال من الفرس في خفر خليج خلف الجبل بين خليج سطرعيوني وخليج  
سمنغى وجبل أثوس هذا موجود في مقدونيا وهي اقليم من تركية أوروبا يمتد امتداداً طويلاً في البحر  
ويشكل بحيث جزيرة ويتصل مع البر الاصلية بواسطة برزخ طوله يزيد عن نصف فرسخ والبحر في هذا  
المحل ذو عواصف وتلاقح شديدة يتسبب منها غرق المراكب

ولما استعدت جميع هذه المهمات والادوات سار أردشير الاول الى سرديس في فصل شتاء سنة ٤٨١ قبل  
الميلاد لاجل مناظرة الترتيبات النهائية بنفسه وفي فصل ربيع سنة ٤٨٠ قبل الميلاد تجمع الجيش  
الفارسي في ايمديا فقال هر دوط انه كان يوجد تسع وأربعون أمة سائرة تحت بيرق الملك الاعظم وقد  
ذكر هر دوط أيضاً ان جيش أردشير كان مؤلفاً من ١٨٠٠٠٠٠ نفس من المشاة و ٨٠٠٠ فارس  
ولما عبر الهاسبون ساعدته الامم الخاضعة له بجيش مقداره ٣٠٠٠٠٠ نفس فهذا وصلت قوة جيشه  
البرى ٢١٠٠٠٠٠ نفس وكان أسطولاً لم يسافر من آسيا مؤلفاً من ١٢٠٧ سفينة حربية ذات ثلاث  
بنوك من المجاديف في كل سفينة ٢٠٠ نفس جميعها من أهل المملكة خلاف ٣٠ نفس من الفرس  
أو الميديين فيكون عدد جميع عساكر هذا الاسطول ٢٧٧٦١٠ وأعانه الامم الاور وباوية بأسطول  
مركب من ١٢٠ سفينة كل سفينة فيها ٢٠٠ نفس فيكون عدد نفوس هذه السفن ٢٤٠٠٠ نفس



يضاف الى مقدار نفوس البحرية المتقدم فيكون المجموع الكلى ٣٠١٦١٠ نفس وخلاف هذا الاسطول المواقف من السفائن الحربية الكبيرة كان يوجد مرآكب اقل منها في الجهم والسعة موجود في كل منها ٣٠ أو ٥٠ مجدافا ومرآكب النقل والجمال ومرآكب كانت مستعملة في أشغال مختلفة بلغ مقدارها نحو ٣٠٠٠ سفينة فاذا حسبنا لكل سفينة من هذه السفن ٨٠ نفسا كان مجموع الانفس ٢٤٠٠٠٠ نفس وعلى هذا لما وصل أردشير في قواحي طرمويلى كانت قوته البرية والبحرية ٢٦٤١٦١٠ نفس لا يدخل فيها الخدم والطواشية والنساء وبيعة الجيش وأمم أخرى من هذا الصنف تابعة لكل جيش في حركته كان عددهم في ذال الوقت يعادل عدد قوة الجيش فهذا يكون عدد الذين تبعوا أردشير الاقل في هذه الحملة نحو ٢٢٠٢٨٣٠ نفس وكان الغذاء الجارى صرفه يوميا حسب ما قرره هرودوط ١١٠٣٤٠٠ مئتين الدقيق والمتة باعتبار أن ٦ بوشل انكليزى أو ٦ كيلات مصرية

وسار الجيش من سرديس حتى وصل ابيدوس وفيما عرض الجيش والاسطول على الملك وكانت هذه أول مرة رأى فيها الملك اسطوله العريض الواسع وفي صباح اليوم الثانى ابتدأ العبور من فوق بونغازا الهلسبون واستمر مدة سبعة أيام وكان مرور العساكر من فوق جسر والجملة والتبع من فوق الجسر الآخر وكانت حركة الجميع في غاية من الشدة والسرعة واستمر السير من جهة أروبا في داخل تساليا فقطع تساليا واخيا وفسيوطيس الى أن دخل السهل الملباني ثم وقف الجيش لأجل راحة السفر بالقرب من مدينة طرخيس الصغيرة مقابل معبر أروبا وغاز طرمويلى وهو مدخل الجريس الوسطى وهو درب بدأ ودرب ضيق في جبل عوطة بين تساليا وفونية عرضه أربعة وعشرون قدما ومن ثم يمكن حمايته بقوة قليلة العدد وهذا الدرب هو الذى يمكن للجيش الفارسى الدخول منه في مملكة اخيا والتقدم لماصرة أثينة وورأى الجيش الاثينى أن المواقف له انتظار العدو في هذا الدرب وصده عن الدخول في بلادهم فكان قائد هذا الجيش الجريسى شخص اسمه ليونيداس أحد ملايكى اسبرطة وكان لما ابتدأ أردشير الاقل السير من بونغازا الهلسبون أمر أسطوله كذلك بالسير في طول الساحل مقابلة الجيش وأن ينظم حركة سيره في البحر مع حركة الجيش في البر حتى اذا نزل أى منزل يجسد الذخائر والمؤن تحت يده جاهزة ولما وصل مقابل درب طرمويلى كان مقدار الجيش الذى أرسلته أثينة للمحافظة على هذا الدرب ٤٠٠٠ نفس من أصل مجموع جيش مقداره ١١٢٠٠ نفس ولما وصل أردشير الى فم الدرب حصل له الاستغراب من استعداد الجريسين فيه لصده ومنازعته العبور منه لانه كان يعمل نفسه بان الجريسين متى بلغهم أول مرة حضوره الى بلادهم فرأوا هاربيين أمامه فأرسل من طرفه جاسوسا لينظر العدو وحركته وما هو عليه من الاستعداد فجاءه الجاسوس وأخبره بأن الاسيدومونيين يدو احدى في حركتهم العسكرية رابطين شعورهم ببعضهم البعض على النصر أو الموت وكانت هذه عادة الاسيدومونيين في الوقائع والحروب فانتظر أردشير مدة أربعة أيام مؤملا فيها أنه ربما تأتى ساعة يتقهقرون فيها من الدرب وبذل جهده وما في طاقته في ظرف هذه المدة في كونه يظفر بالملك ليونيداس وواعده المواعيد العالية وأككده أن يجعله ملكا على عزم الجريسين إن أتى اليه ودخل في حربه فرفض ليونيداس كل ما طلبه أردشير منه مع الخلق والغضب ثم كتب له أردشير بشأن تسليمه جيشه ونفسه فأجاب ليونيداس بثقة بلسان الاسيدومونيين بجوابا مكرما من لفظتين

تعال خدhem وغير هذا لا يكون الا الحرب فأمر اردشير القوي الميديه بالسير الى الجريسيين والقبض عليهم وجلبهم على قيد الحياة أمامه فهجم الميديون في الدرب على الجريسيين فأذاقهم الجريسيون كأس الهزيمة والفرار بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقال هردوط ان اردشير كان عند درجال كثيرة من دون أن يكون عنده عساكر محاربون فأرسل ثانية الى هؤلاء الاسبرطيين فرقة من الفرس يقال انها الفرقة الثابتة وكانت مركبة من ١٠٠٠٠ نفس فحصل لها من الجريسيين ما حصل لساقتها وبينما كان اردشير جائل الفكر قاطع اليأس من فتح طريق هذا الدرب وأخذ من عساكر عازمين على النصر أو الموت ولا يدري ماذا يفعل اذ حضر عنده واحد من أهل البلاد وأخبره في السر بوجود طريق يوصل الى أعلى جبل مطل على هذه القوى الاسبرطية وأن هذا الجبل يحكم على الموقع الموجودين فيه فأرسل معه على الفور فرقة عسكرية الى تلك الجهة وما زالت هذه الفرقة سائرة مع هذا الدليل طول الليل حتى وصلت الى أعلى الجبل في الفجر ووطنت نفسها في هذا المحل النافع ولم أرى الجريسيين ما حل بهم من هذه المصيبة ونظر ليونيداس أن لا طاقة له على مقاومة العدو وألزم الباقي من المتحالفين على القهقرة وبقي هو نفسه مع ٣٠٠ نفس من اللاسيديوميين عقدوا نيهم على الموت مع قائدهم وقطعوا اليأس من النصر والفرار ونظروا الى طرمويي لي ينظر أن هذا المحل هو محل مدفنهم وهجم الفرس عليهم فكان أول قتيل ليونيداس وقتلوا عن آخرهم ولم ينج منهم الا واحد هرب الى اسبرطة وأخبر بموتهم فعلمه أهل اسبرطة من الجبناء وعاملوه معاملة الخائن لبلاده وامتنعوا من النظر اليه حتى من المحادثة معه وخسر اردشير في هذه الواقعة زيادة عن ٢٠٠٠ نفس من ضمنهم اثنان من اخوته ورأى اردشير أن خسارة مثل هذه وقعت في عسكره تدل دلالة واضحة على شجاعة الجريسيين ووقوع الرعب والنشل في عساكره فأمر بدفن جميع الذين قتلوا في السر قبل انتشار معلومية ذلك في عسكره الا ١٠٠٠ نفس أمر بإبقائهم في ميدان المحاربة ثم أمر بدفنهم بعد ايام من بعد هذا عبر الفرس درب طرمويي وانصبوا مثل الجراد في داخل الجريسيين الوسطى وتقدموا على أثينة بعد أن نهبوا المدائن التي مروا عليها وحرقوها وجعلوها كاما من الرماد وفي هذا الوقت ألقع الاسطول الفارسي وسار حول رأس سينيوم حتى وصل ورسا في جون فاليرم وكان الجريسيون على غاية من ضعف الحال وأمر اردشير أن ينصب له تخت على سفح جبل اغاليوس حتى يمكنه أن يكشف جميع الاعمال الجريسية وأصدر أوامره الى قواد الاسطول بالهجوم على الاسطول الجريسي وكان مؤلفا من ٣٨٠ سفينة فاشتعلت نار الحرب بين الاسطولين في خليج صروني على مسافة من جزيرة سليس واستمر الحرب طول النهار والنجلي عن هزيمة الاسطول الفارسي جميعه مع ما كان عليه من كثرة القوة وجسامتها

ثم أعقب كسر أسطول اردشير فقدان ما كان مضمما عليه من التسديرات ولم أرى أن لا أمل عنده في انتصار أسطوله على الجريسيين كما تحقق أنهم رعا يسودوا عليه في البر كما سادوا عليه في البحر عزم على ترك الحملة والعود الى فارس ولم يحصل منه أدنى همة في مقاومة ما أصابه من المصائب وابتدأ في قهقرة سرية من الطريق التي جاء منها وأمر الاسطول بالعود مباشرة الى الهلسبون لاجل المحافظة على الجسرين وبجسر وصوله الى تساليا ترك فيها اردشيريوس مع قوة مقسداها ٣٠٠٠ نفس للمحافظة وصدا الجريسيين من تعقبهم اياه على أن يجتد العزم في السنة القابلة على التغلب على الجريسيين



وفتحها وجد الملك في سيره مع ما بقى من عساكره نحو الهاسبون وفرغت مخازن ذخائره ومؤناته وهلك  
الجحش الغفير من العساكر من الجوع والتعب والنصب من سفر الطريق ولما وصل الهاسبون وجد  
الجحش من مكسورين قطعاً من شدة الرياح والعواصف فأنجبر على تعدية البوغاز مع جيشه في مراكب  
من أييدوس وفيها تسرله الحصول على القوات اللازمة لعساكره ثم عقد عزم السير على سرديس ومات  
أغلب العساكر في الطريق من كثرة ما ناله من تخمة الأكل والافراط فيه وصار ما بقى معه إلا القليل  
من جيشه الزاخر وساق الملك إلى عاصمة ألبانيا ودخلها بهذه الحالة الخبيثة من بعد أن كان سافراً منها  
من مدة ثمانية أشهر في طنطنة من الجيوش والابهة والآمال الكبيرة

وسنة ٦٠٠ قبل الميلاد فصلت هذه الحرب وأعمال مردونيوس بابا مخصوصاً في تاريخ الجريس من الجزء الثاني  
من هذا الكتاب ونشرح ما حصل من أهل الجريس ومن رجالهم في شأن هذه الجروب بعون الله تعالى  
كاشف الغوم والكروب

وتولد من نتائج الأعمال في بلادها ودمار الاسطول في نواحي ميخالي ومن نواحي المصائب على الفرس سقوط  
الشوكة الفارسية في أوروبا وأعقب الجريق مظفراتهم بخلاص جزائر بحر الارخبيل من الفرس  
ونحو بواسوا حل آسيا وفي ظرف اثنتي عشرة سنة لم تتجاسر مركب من المراكب الفارسية على السير أو  
الظهور في البحر الأبيض المتوسط مطلقاً

ولما هنت وضعفت أحوال أردشير الأول بالكيفية مما حصل له من الخيبة في خضوع الجريس  
والتغلب عليهم أعكف نفسه على الرفاهية وأنواع الملاهي والانبساط وما حصل عنده أدنى همّة أو عزم  
في مدة ما كان باقياً من سلطنته في أي مشروع من المشروعات العسكرية ومن الواضح أن الخسارات  
الكبرى التي حلت على المملكة أعجزتها وكسحتها وأقعدتها حتى كانت أحوالها لا تسمح لها في فتح أو في  
عمل أي مهم كان مدة من الزمن واستمرت المملكة مدة في راحة من تعبها ونصبها الأول وعكف أردشير  
على ما جعلت عليه طبيعته من العار والخرى في اللذات وأنواع الملاهي في حريمه وقاد نفسه لحكومة  
النساء والطواشي وصرف النظر عن مداخلته واشترى في المواد اللازمة للمملكة ومن ثم كانت المدة  
الباقية من سلطنته مدة فساد وفور وفساد وكان ذلك من ملحقات نهاية سلطنته ثم قتل أرطبانوس قائد خفرو  
في سنة ٦٥ قبل الميلاد بمساعدة حاجبه داسميتريس الطواشي

وذكر بعض المؤرخين أن أردشير الأول هذا هو نفس اسفنديار وأجاس ارطبانوس الابن الأصغر  
لأردشير على التخت وهو من بن سفيديار وأقب بأقب أردشير درازدشت أي طويل اليد والأيدي  
لأن يديه كانتا طويلتين حتى إذا وقف وأرسلهما بجانبه وصل كفه إلى ركبته وقيل إن إحدى يديه  
كانت طويلة والآخرى قصيرة وكان ارطبانوس قتل الابن الأكبر لأردشير وأجلس أخاه هذا ووطن في  
نفسه أنه يقتل هذا أيضاً ويجلس هو على التخت ويجعل نفسه ملك فارس إلا أن الملك من بعد قاتل أمر  
بقتل ارطبانوس عند ما تحقق له أن هذا المرزبان هو قاتل أبيه

وفي سنة ٦٠ قبل الميلاد عصت ايبيا ومصر على فارس وطالباً بمساعدة أثينة وكانت أثينة أصل  
تحرير هاتين المملكتين على العصيان فأجبت طلبهما وأرسلت اسطولا من ٢٠٠ سفينة  
لأجل مساعدة المصريين إلا أن الجيش الفارسي نال التطفر والنجاح تحت قيادة المرزبان ميغاباطو  
وأخذ العصيان وأخذ نادوس ملك ايبيا أسيراً فسلم بأمر أردشير درازدشت وانهمزمت الاسطول

الجريقي وتدمرت مراكبته وهرب أمرطيس ملك مصر في الجهات المستنقعة من إقليم الدانا ولبث مقيما فيم انحوست سنوات وتكبدت أثينة آلام فقد هاء أسطولها ثم اجتهدت في تجديد علمهمتها وزيادة شوكتها في سنة ٤٩٩ قبل الميلاد حتى ان فارس رأت تقسم أأنها على خطر من ضياع مصر وقبرص منها فرضي أردشير درازدشت بعقد معاهدة عسكرية ذليلة تعرف بمعاهدة صلح كالياس تقر فيها اعتراف فارس باستقلالية جريقي آسيا وعهدت على نفسها عدم وقوع رعب أو ارتباك يخل باستتباب راحة الساحل الغربي من آسيا الصغرى سواء كان من جيشها أو من أسطولها واعترفت أثينة من جهتها بسيادة فارس على مصر وقبرص ومن ثم تنازلت فارس عن جميع المدائن الجريقية من باب بوغاز الدردانيل الى حدود فاسيائيس في ايتيالاتحاد الاثيني. وأما المدائن الموجودة على سواحل البحر الاسود فانها بقيت في حوزة المملكة الفارسية

ومن بعد مضي سنتين أي في سنة ٤٤٧ قبل الميلاد غضب ميغاباطوس مرزبان شوريا وأخذ الخلق الشديد بشأن ما حصل من قتل اناروس ملك ليديا وفتح عقد الامان الذي كان عقده مع ملك ليديا وخلق طاعته لفارس فرخصت له بالعود الى الطاعة تحت شروطه التي بعقدها وكانت هذه الشروط مشحونة بالاحطار والمصائب على فارس ثم مات أردشير درازدشت في سنة ٤٢٥ قبل الميلاد وخلفه ابنه الفرديا الشرعي أردشير الثاني فتسلطن خمسة وأربعين يوما وقتله أخوه صانديانوس أو صغديانوس وجلس هذا على التخت ليكون أضحمة لتخته من بعد مضي ستة أشهر وقتله أخوص وهو ولد غير شرعي لأردشير درازدشت فجلس على التخت وتلقب باسم دارا الثاني (أوداراب الاول عند الفرس) في سنة ٤٢٤ قبل الميلاد

وتزوج دارا الثاني أو أخوص بنت عمه أردشير الاول المسماة بارساطيس وانقضت مدة تسعة عشرة من سلطنته تحت أحكامها وتولد من فجورها وعنفوان أحكامها أن جعلت للهيجان بابا وفي هذه المدة حصل في المملكة زعازع وفلاقل أزيجت أهل المملكة وتكبدت آلامها من كثرة وجود الثورات المتتالية واحدة بعد الأخرى فشرع دارا في اخراج هذه الثورات بطرائق غير محمودة وشرع في الغش والخيانة بين المرازبة ويعددهم ويمنيهم لدخولهم تحت سلطنته بمواعيد عرقوب ثم يقتلهم ومن ثم تولد الغش والفساد في سائر فروع الوظائف والخدامات ومنع عدة امتيازات واهية لمن بقي من المرازبة تولد منها فساد شوكة المملكة وفي سنة ٤٠٨ قبل الميلاد قامت ميديا في ثورة سهولة فأطفئت على الفور لكنها اشتعلت في مصر في سنة ٤٠٥ قبل الميلاد فكانت هذه الثورة أكثر نجاحا من ثورة ميديا لان ملك مصر نفرطيس طرد الفرس من داخل مصر وأقام استقلالية بلاده

وكانت النتيجة الوحيدة من هذه الخسارات جميعها هو استرداد الادارة الفارسية على جريقي آسيا الصغرى مرة أخرى وذلك ان دارا انتهر الفرصة في مدة الحرب اليو يونيزي أي الموري عندما دخلت فيه أثينة واسبرطه وفاز في كونه استرد ملكته مرة أخرى المدائن الجريقية في آسيا الصغرى واشترط في الحروب الاوروباوية الجريقية وابتدأ في ايقاع الشقاق والفساد بين الايلات الجريقية وبعث بالقاصد بذلك للحصول الوهن والضعف فيها وجعل شوكته وقوته في صرف ذهبه واستعمله في جذب قلوب الجريقيين اليه حتى صار لا طاقة لهم على مقاومته ومن هذا العهد الى أن فقدت الجريقيس حريتها صار لفارس معظم النفوذ والسلطة في الداخل في الأعمال الجريقية



وفي هذا الوقت صار يوظف كيرش أصغر أولاد ملك فارس مرزباناً على فريجييا وايديا وفيدوثيا فوجه نفسه مع الحية الى التحالف أو الاتحاد الاسبرطي وأخبر ليصافورا الاميرال الاسبرطي بان له رغبة في بيع تحتة الحقيقي حتى يجمع نقودا يصرفها في الحرب ضد أثينة وكان كيرش في هذا الوقت صار فافكاره وحواسه في السعي والكد على اقامة نفسه على تحت فارس وكانت غيرته وحيته نحو الاسبرطيون رغبة في مساعدته على مشروعه هذا وكان محبوباً عند أمه باريصا طيس فطالما كانت تحت دارا على أن يجعله ولي عهداً إلا أن مساعيها كانت على غير طائل فقلده أبوه وظيفة ملك في ايلته وحاز به قلبه وتديره انتفات أرباب دولته له وكانت خصاله محبوبة لديهم وكان يرعى جانبهم ويحفظ واجباتهم بوقار لاشبهه فيه فارتاع دارا مما اشتهر به ابنه فدعاه اليه في فارس فوصل العاصمة في الوقت الذي مات فيه أبوه وجلس فيه أخوه الأكبر على تحت المملكة

ومن بعد موت دارا الثاني خافه ابنه الأكبر دشيردرازدشت الثاني وكان يلقب بجيد القرية في سنة ٤٠٠ قبل الميلاد فكان أول عمل عمله هذا الملك الجديد أن أمر بجبس كيرش وحكم عليه بالاعدام فقامت باريصا طيس واجتهدت ونجحت في خلاص ابنها بل في عوده الى مرزبانته أيضاً فجمع الى ايلته عازماً على عدم ضياع أدنى وقت بشأن وضع مقاصد الطمعية في موضع العمل والاجراء فجد جيشاً كانت زهرته قوة من مستأجري الجريق بعلة أنه سيجري حرباً على قطاع الطريق الموجودين في بسيديا وسار من سرديس عاصمة ليديا في فصل ربيع سنة ٤٠١ قبل الميلاد فلما بلغ أردشيردرازدشت الثاني حركته استعداداً للاقائه ومن ثم تقدم في رأس جيش كثيف وسار كيرش بسرعة من فريجييا وصياصيا وسوريا وعبد الفرات من فواح طاباقوس ومن حركة هذا العبور تيقن مستأجرو الجريق المقصد من هذه الحملة وعرفوا حقيقة أمرها إلا أن زمن انسحابهم منها انقضى فجبه ولما وصل كيرش الى سهل قونقصة على مسافة سبعة وخمسين ميلاً من بابل وجد طريق سيره مغلوقة بسد من الجيش الملوكي تحت قيادة نفس الملك فهجم الملك أربع هجمات متوالية على قدر طاقة عساكره فقاومه الجريق مقاومة شديدة وأوقع الجريق هزيمة حادة على العساكر الملوكية الموجودين في مواجهتهم وفي أثناء هذه النصره اقتحم كيرش قلب الفرس وصدمه وكان تحت قيادة الملك وهجم في اقتحامه بشدة وبسالة فخرج أخاه فضر به واحد من رجال الخفر الملوكي ورماه من فوق حصانه وأمر في الحال أردشيردرازدشت بقطع رأسه ويده اليمنى وبواسطة موته انتهت حركة الواقعة إلا أن حالة العساكر الجريقية الذين شسبكهم كيرش في هذه الحملة صارت على خطر جداً وفي حالة نهائية صعبة لان محالفهم من الفرس تركوهم وعقدوا صلحاً مع الملك الأكبر فوعدهم طيسافريس بارسا لهم الى محل مأمنهم وأخرجهم عن حركتهم وكان أردشيردرازدشت منحه حكومة كيرش واستمر ومنتظرين نحواً من شهر ثم سار معهم يداينهم حتى وصل معهم الى أعلى ميانهم الدجلة ثم عمل حيلة في أخذ ضباطهم وقتلهم وكان يوجدين هؤلاء العساكر واحد من أهل أثينة اسمه كصنفون كان مصاحباً للجيش في حملة كيرش فمع كونه لم يكن عسكرياً وماله دراية بالاعمال الحربية إلا أنه جمع كبار الجريق في منتصف الليل وأراهم ضرورة العمل الذي يلزم اتخاذه في مثل هذه الحالة وحشهم على أن ينتخبوا من بينهم قواداً مستجدين يسعون في عودتهم ثانياً الى بلادهم وكانت بلادهم بعيدة عنهم بنحو ألف ميل فانتخبوا خمسة قواد كان من جملتهم كصنفون وشرعوا في القهقرة في صباح اليوم الثاني وقت الفجر

وكان الزمن فصل شتاء قاصع وليس معهم أدلاء ولا يعرفون سكك الاراضي وكانت طريق سيرهم مارة من الصحن المرتفع الشديد الصقيع والبرد من بلاد أرمينية وصار كثير منهم عرضة للثلج وشدة الصقيع والجليد وسار خلفهم الجيش الفارسي تحت قيادة طيسافريس في مدة حركة قهقرتهم إلا أن جودة حركة القهقرة وحسن نظام السير جعل عدوهم لا يتمكن منهم ولا يوقف حركة سيرهم في وقت من الاوقات أو ينتهز فيهم فرصة يفوق عليهم بها زيادة عما هو حاصل لهم من المصائب والتعب والجوع وأخيرا نجح اجتهاد هذه الشريعة الباسلة فنجحوا تاما وشدوا حيلهم ورويدا في سيرهم حتى رأوا أخيرا من جبل في الجهة الجنوبية لطرايزون الوادي الرفيع العماد البحر الاسود على مسافة منهم ولما رأوا البحر انفجرت من قلوبهم أصوات السرور والفرح وزعقوا بصوت واحد البحر البحر فسرى هذا الصوت في باقي القول وشاهدوا بعين التلف والشوق الى ما شرب صدورهم وتحققوا من نجاحهم وخلاصهم من مشاق أسفارهم وهلاكهم

فتولد من مداخلة هؤلاء العشرة آلاف في ثورة كبرى واشتراكهم معه العداوة والبغضاء عند فارس لاسبرطة مع كونها لم يكن لها دخل في مثل هذه المسئلة وليست مسئولة عنها ومن ثم انفسخت المعاهدة التي كانت معقودة بين المملكتين وشرعت فارس مجاهرة في كونها تبطش لاسبرطة وتنتقم منها نظير الوقاحة وقلة الحياء الذي حصل منها فن ثم عزم الاسبرطيون على أن يكونوا هم الضارين أول ضربة قادر بحوا الموجودين على قيد الحياة من العشرة آلاف نفس في جيشهم وأشد ما حاربوا على مرزبانتي ليديا وفريجييا واستمر هذا الحرب ست سنين أي من سنة ٣٩٩ الى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد حصل لاسبرطة فيه الظفر التام حتى ان فارس رأت نفسها أثم على شفا جرف من ضياع جميع ممالكها في آسيا الصغرى وحقبة لوكان لاسبرطة طاقة على استمرار الحرب مدة قليلة من السنين كان هذا هو نتيجة الحرب ثم ازداد الانحلال والتقسيم في المملكة الفارسية حتى ان مرزبانتي ليديا وفريجييا هزمت أحدهما الاخرى بدل أن يتحداسوية ويضربا الجريق وأخيرا آل أمر أحدهما الى أن قدمت رشوة للاسبرطيين على خلاص أراضيها والهجوم على أراضي عدوتها وكذا من الخوصات والارتباكات التي حصلت لفارس أن المسميين والسيديانيين استعلا عن حكمها وكذا قرر البغلاغونيون مع شدة حسارتهم استقلالية أنفسهم وظهر على البشنيانيين دلائل العصيان فقامت فارس هذه القلائل مع التأمل والتبصر في أمور أحوالها زيادة عما أجراه حكمها من عهد دارا الاول واستعملت مع عدم المبالاة ذهاب اونه ودمبالغها وعقدت محالفة مع ارغوس وقورثمة وأثينة وطيبه ونقسم اضداد اسبرطة فتولد من هذا الاتحاد الكبير أن طلب الاسبرطيون قواهم وعساكرهم من آسيا الصغرى لاجل المحافظة على أرضهم وبلادهم واشترك الاسطول الفارسي في واقعة قندوس في الحرب وكانت نتيجة هذا الحرب ارغام اسبرطة على تسليم قيادة البحر وحكمه للنحالفين وفي سنة ٣٨٧ قبل الميلاد عقدت اسبرطة لاجل سلامة نفسها صلحا كان غير محمود العاقبة عليها يدعي صلح انطاليداس وبواسطة هذا الصلح أعادت فارس سيادتها على الاراضي البحرية في آسيا الصغرى وصار لها النفوذ الحكمي في أعمال الجريس الاور وباوية

وكان أردشير درازدشت الثاني متشوقا على التغلب على جريس أور وباومصمما على ما كان في خاطر دارا الاول وأردشير الاول فعاقبه عن ذلك عصيان جزيرة قبرص وكانت مصر مساعدا لها على هذا



العصيان اذ أنها كانت مستقلة في نفسها اعلام من عهد مبادى القرن فأخذت هذا العصيان القبرصي  
بمشقة كبيرة بعد حرب طويل كان مقطوع اليأس من نجاح فارس فيه لكنه ترخص لقائد الثورة  
ايذاغوراس طامعية سليس بالبقاء في سلطنته على دفع خراج زيادة عما كان مضروبا عليه من قبل  
وكان ذلك في سنة ٣٧٩ قبل الميلاد وفي نحو سنة ٣٨٤ قبل الميلاد انفجرت ثورة مهولة بين  
الكادوسيين الموجودين على سواحل بحر الخزر فعزم الملك على اطفائها بنفسه فخلص من الهزيمة  
بواسطة مهارة أحد قواده المدعو طيريباطوس كما أخضع هذا القائد الاقليم العاصي وفي سنة ٣٧٥  
احتلت القوى الفارسية جزيرة صاموس واقتكر اردشير درازدشت أن هذه الحالة صارت مبدءا لظهور  
عام في الجزائر البحرية الا أنه التزم على تأخير ما في ضميره من العزم بما حصل من استجداد القلاقل مع  
المصريين وأرسل عليهم جيشا كثيفا تحت قيادة افيقراطيس الاثيني وفرنا باطوس أحد القواد  
الفارسية فتولد من مشاحنات حصلت بين القائدين عدم نجاح في الحركة وكذا تولد من معلومية عدم  
نجاحها تشجيع المرزبانان التي كانت نافرة من فارس في الاقاليم الغربية فأزابت هذه الاخطار  
والقلاقل بواسطة صرف النقود والذهب وانفض المشكل بقتل الذين كانوا سببا في هذه الثورة

وفي سنة ٣٦١ قبل الميلاد صار تشجيع مصر وتقويتها بمعرفة اسبرطة وعزمت على التغلب على  
فينيقية وسوريا الا أن هذا العزم ما حصل فيه ثمرة ومن بعد ذلك بقليل مات اردشير درازدشت الثاني  
في سنة ٣٥٩ قبل الميلاد وفي مدة سلطنة هذا الملك كان الديوان الفارسي ميدان جور وطم  
مستمر لان الفاجرة باريصا طيس أم الملك كانت صاحبة النفوذ والكلمة في الديوان ففجورها  
وأفعالها الرديئة التي ما وازم اولادها أعمال في التاريخ الشرقي ك كانت سببا في انقسام أعضاء  
العائلة الملكية مع كراهة وعداوة تمكنت بينهم حتى آل أمرهم الى أن أوقعوا بأ أنفسهم قتلا وذبحا  
وقرب البيت المتسلطن من العدم والانقراض فقبض أوخوص الابن الاصغر لاردشير درازدشت  
الثاني على تحت المملكة وأمر بقتل أخيه الأكبر وقتل أخوه الثاني نفسه بنفسه وجلس على التخت  
باسم اردشير درازدشت الثالث واستحوذ على طبائع عنيفة وفظاظة شديدة زيادة عن كل ملك فارسي  
جلس على التخت من عهد ابدارا الاول وأمر لاجل تقوية نفسه على التخت بهلاك جميع فروع  
العائلة الملكية ما عدا الذين تراى له فيهم انه لا يحصل منهم تكدير ولا ارتباك وصمم في نفسه على عدة  
أعمال يجرى اوفاز في أن أعاد لفارس هيبة عظمتها الاولى وقوتها مدة حياته ثم تعطل ما كان مصمما عليه  
من أعماله بواسطة عصيان ارباطا بطوس في آسيا الصغرى وكان عصيان هذا بمساعدة من أثينة وطيبة  
له فأرسل عليه أوخوص قوة هشة وأرغمته على الهرب مدة حياته ملجئا الى ديوان فيليب ملك  
مقدونيا فخماه هذا الملك من غوائل فارس ومن ثم تولد ارتباك وقلق له بين مقدونيا وفارس انفتحت  
فيه طرق تغلبات اسكندر الأكبر

وأضر أوخوص في نفسه على عزم التغلب على مصر وكانت مستقلة في نفسها من مدة تزيد عن نصف  
قرن وفي سنة ٣٥١ قبل الميلاد غار على تلك المملكة فانهزم شرهزيمة والتزم على أن يتنازل عن عزمه  
ورأيه وعاد الى فارس ليجمع جيشا جديدا فقامت عليه الايالات الغربية في الحال في عصيان واحد  
واستقلت فينيقية تحت قيادة صيدا وقام تسع عمالك وطنية في قبرص وأما في آسيا الصغرى فإنه قام  
اثنا عشر رئيسا من الرؤساء الصغيرة واجتهدوا في أن يكونوا عمالك مستقلة وكان أوخوص لا يهين

ولا يضعف من هذه الاخطار وأصدر أمره مارزباناته في أن يشتغلوا بقمع هذه الثورة الصغيرة  
وأما هو فإنه سار في سنة ٣٤٦ قبل الميلاد في رأس جيش كثيف تحت قيادة قواد البحرية وفيه  
فرقة من مستأجري الجريق مقدارها ١٠٠٠ مقاتل لأجل قصاص قسيمة والتغلب على  
مصر فحاصر صيدا وأخذ جزأ منها بالقوة وجزأ بالخدعة وهرب من الجريق محافظوها نحو ٤٠٠٠  
نفس تحت قيادة منطور وانضموا الى الفرس ودخلوا في خدمتهم وخضع الباقى من قسيمة وعاد  
أو خوص على مصر وفكها وجعلها مرة ثانية تحت سلطة مرزبان فارسى ومن هذه الاعمال الجليلة  
التي كان النصر والظفر منسوباً فيها للمهارة القواد البحرية وشجاعة مستأجري الجريق الذين  
استخدمهم أو خوص في عساكره صارت فارس في موقع عظيم قوى ومجديهم ومع هذا فان جهور  
أو خوص الوحشى جعله ألد الاعداء في ديوانه حتى أنه في سنة ٣٣٨ قبل الميلاد قتله وزيره الاول  
الطواشى باغواس وقتل باغواس المذكور جميع أولاد أو خوص ما عدا ارضيص فإنه كان طفلاً  
صغيراً فاجلسه على تخت المملكة وضبط هو الحكومة في يديه وفي سنة ٣٣٦ قبل الميلاد ارتاع  
باغواس من تهديدات هددتهم ارضيص فقام عليه باغواس وقتله لكنه لم يتجاسر على أن يتقدم تاج  
المملكة لنفسه خوفاً من حصول قلقه تقوم عليه من عموم المملكة فقدم الى كودوماوس وهو على  
ما قبل أنه كان حفيد دارا الثانى تاج المملكة وجلس على التخت باسم دارا الثالث وكان أول شغل عمله  
هذا الملك الجديد أن أمر بقطع رقبة باغواس الطواشى في سنة ٣٣٤ قبل الميلاد وكان دارا الثالث  
أودار ابن دارا أجدل ملك جلس على تخت فارس الا انه ما كان مستحوذاً على المهارة وحزم الرأى في  
التدابير اللازمة لحفظ مملكته من الاخطار والقلال التي انفجرت فيها في مبادئ سلطنته وذلك انه  
من قبل جلوسه على التخت كان حصل الشروع في الحرب المفقوفة ومن عهد واقعة مرثون كان  
الحرب بين الجريس وفارس متطور الوقوع الا أن الذهب الفارسى كان له طاقة على توقيف هذا الحرب  
الى هذا الوقت الذى جلس فيه دارا الثالث على تخت فارس ولم يحصل لدارا أدنى تأثير مما كان حاصل  
من اسكندر ملك مقدونيا من التهديدات واستصغرى نفسه هذا الملك وقال انه ولد طائش العقل  
فرحان بشبابه وملكه فها حصل عنده من الاتفات والاعتناء في محاذرته من هذه المشاكلا فلا بد  
من أن اسكندر يقهره بواسطة مهارة وحذافة أعماله في آخر أمره الا انه ترك الامور تتجسسرى في  
محاربه افعهد دارا أشغال هذا الفاتح وسوى له طرائق التغلب على مملكته ولم أر أى ما هو حاصل من  
المقدونيين من العصيان والتهديدات الجارية من تغلبهم على آسيا الصغرى بجدوة كبيرة في نواحي  
نيصيا المقابلة المقدونيين وأرسل أسطولاً قوياً للمقابلة المقدونيين في الهلسبون (الدردانيل) ومنعهم  
من عبوره ومع هذا فكانت هذه الاعمال على غير طائل وعبر اسكندر بوزغار الدردانيل في فصل ربيع  
سنة ٣٣٤ قبل الميلاد وجند قوة مقدارها ٣٥٠٠٠ مقاتل على ساحل آسيا وأشار بمنون  
وهو قائد رديانى في خدمة دارا على دارا أن يتجنب الحرب في آسيا ويعبر ببحر الارخبيل بجميع جيشه  
ويعبر على مقدونيا ويرغم اسكندر بالعود والانسحاب من آسيا فرفض دارا هذا الرأى وكان ممنون  
من أمهر قواد الفرس وأحزمهم رأياً وتديراً فعد مجامع قواد الفرس ونواب الحكومة الفارسية في  
آسيا الصغرى وكان هو قائد جميع ساحل آسيا الصغرى وأشار عليهم بعدم المخاطرات في الحروب وقال  
انه يجب تغريب السهول حتى المدائن وتحريق كل ما يحصل منه فائدة تعود على جيش اسكندر في



المستقبل حتى يحيط الجيش ويلتزم اسكندر على العود الى أوروبا نانيا فرفض المجلس رأيه هذا ومن بعد  
هذين الرأيين لم يبدع من رأيا وعزم الفرس على مقاتلة المقدونيين والبحريين وصدهم عن التقدم والسير  
في آسيا الصغرى وما زال اسكندر سائر بجيوشه في آسيا الصغرى يفتح في ايلاتهم حتى تقابل مع جيش  
الفرس في نواحي غرانيقوس وهونم في ايلة قريشيا وكان المرزبانان ونواب الحكومة الفارسية  
منتظرين حضوره في الجهة الاخرى من النهر وعازمين مع الثبات وشدة البأس على صده ومنارعتهم  
عبور النهر وكان جيش الفرس مؤلفا من ١٠٠٠٠ مقاتل من المشاة وماينوف عن ١٠٠٠ فارس  
خيال وسار اسكندر في هذا الوقت في رأس جيشه الثقيل معبىا عساكر المشاة في صورة حذامين والخيالة  
في الاجنحة ولما وصل الى شواطئ النهر أشار برمنيو وهو أول قائد تحت يد اسكندر وعليه معتمده أن  
يعسكر في هيئة تعينته هذه حتى تجدد العساكر لانفسهم اراحة ولا يعبروا النهر الا في صباح اليوم الثاني  
لان العدو وربما يكون له طاقة على صدهم ومنعهم وكذا من الخطر الا كبر والضرر الاجر تعديته نهر  
على مرأى من العدو وخصوصا اذا كان النهر عميقا وواقف الجروف والشواطئ ومن هذاربعاهم  
عساكر خيالة الفرس المستعدين على الشاطئ المقابل في تعينتهم العساكر قبل وصولهم الى  
البر واستعدادهم لمقابلتهم فرفض اسكندر هذا الرأي وقال من العار والفضيحة علينا اننا بعد ان كابدنا  
عبورنا نوغازا الدردانيل وانتصرنا على عدونا ونلنا تعديتنا نخشى من تعديته مجرى ماء وكانت خيالة  
الفرس الكثيرة العدد من صوصة في طول الشاطئ ومشكلة مواجهة طويلة لمعارضة ومقابلة اسكندر  
في وقت كده وسعيه في التعدي وكذا كانت عساكر المشاة معسكرة خلف الخيالة وكان معظم المشاة  
من البحريين الموجودين في خدمة دارا

واستمر الجيشان على مرأى من بعضهما على شاطئ النهر منتظرين حصول حركة فأما الفرس فكانوا  
منتظرين دخول المقدونيين في النهر والهجوم عليهم حال وصولهم الى البر وأما المقدونيون فكانوا  
ينتخبون معبرا صالحا لتعديته النهر منه ومحاذرين من صد العدو وايامهم ولما تم لاسكندر ذلك الانتخاب أمر  
بجلب حصانه فركبه وأمر أرباب دولته باتباعه وكان هو نفسه قائدا لجنح اليمين وبرمنيو قائدا لجنح  
اليسر وأمر الملك بسير فرقة قوية الى النهر في الابتداء وتبعها هو مع الباقي من قواه وأمر برمنيو أن  
يتقدم بقوله شيئا فشيئا وساق العساكر الى النهر وضربت الطرمبسطه وزعقت البوقات والنفيرات  
وضرخ الجيش بصوت واحد

ولما شاهد الفرس الفرقة الاولى آخذة في التقدم في التعدي ابتدوا في رمي سهامهم وحراهم عليهم  
وتوجهوا الى محل قليل الانحدار من الشاطئ لاجل صد المقدونيين من العبور واستغل الخيالة بالخيالة  
في محاربة شديدة هؤلاء مجتهدون في الطلوع على البر وهؤلاء مجتهدون في صدهم من طلوعهم على البر  
فانجرح كثير من المقدونيين بما أنهم قليلوا العدد واديس لهم مجال يخوضون فيه معامع الحرب وأخذتهم  
الهزيمة في الابتداء بعد أن قتل منهم النصف الاول فوصل اليهم اسكندر وكان تابعاهم على قرب وقواهم  
بعسكره وجعل نفسه في رأسهم وأحيا أرواحهم بوجوده واقتحم اسكندر مع عسكره الفرس وشنت  
شملهم وتبعه سائر الجيش وعبروا النهر وهجموا من كل جهة على الفرس وهجم اسكندر على القسم  
الاعظم من خيالة العدو وكان فيه معظم القواد والحكام واشتبك القتال وعظم الولا والكانت الحملة  
مهولة من طرف اسكندر وتضارب الرجال كأنهم على الارض ولوانهم كانوا على ظهور الخيل واجتهد كل

واحد في صدع دوقه وكان سبيطروهاطيس نائب حكومة يونيا وزوج بنت دارا ممتازا فوق جميع القواد  
بملتهمته وشجاعته ومعه أربعون من كبار الفرس كلهم أقارب مشهورون بالحروب فكان هذا كلها  
توجه الى جهة زرعها وأوقع الفشل فيها وأزعجها فنظر اليه اسكندر ولم رأى من شجاعته ما يدعش  
العقل ضرب حصانه بهموزة وتقدم اليه واشتبك الاثنان في الحرب وكل منهما وجهه مزارقه على الآخر  
وجرح بعضهم مابعض الا أن الجراحات كانت خفيفة فأخذت سبيطروهاطيس الحسنة والغضب وكان  
السيف في يده فطوحه وأراد أن يضرب به اسكندر فصر به اسكندر بمرزاقه في وجهه فرماه تحت أقدامه  
وفي هذا الوقت جل روزاسيس أخوه هذا البطل على اسكندر وضربه ضربة شديدة على رأسه بإطلة  
فكسرت خودته وشجبت رأسه شجا خفيفا فأراد أن يضربه الثانية عند ما ظهرت رأسه من خودته  
فضرب كليطوس روزاسيس على يده بسيفه فقطعها ونجى حياة مليكه ومن وقوع هذا الخطر لا سكندر  
استحييت أرواح عساكره وانصب العساكر الخفيفة من كل جهة على خيالة الفرس ورموا عليهم  
مطرا من السهام والزماح ووجهوا عليهم جملة واحدة بالحرايب والمزاريق حتى صار لا طاقة للفرس  
على الثبات لحلة المقدونيين فشرعوا في الفرار ولم يعقبهم اسكندر بل عاد لاجل الهجوم والغارة  
على المشاة

وقال بعض المؤرخين ان عساكر المشاة كانوا على قدم ثابت حال هجوم مشاة المقدونيين عليهم الا أنهم  
لمسأوا أن خيالة المقدونيين أحاطتهم في هجومهم من كل جانب لم يحصل منهم طول في المقاومة بل  
فروا جميعا وأما البحرسيون الذين كانوا في خدمة دارا فانهم التجؤا الى جبل ينتظرون ماذا يفعل بهم  
اسكندر فاشعل فيهم نار الحرب وقتل منهم ٢٠٠٠ نفس وأسرا الباقي وكان الذي قتل في هذه المعركة  
من الفرس ٢٠٠٠٠ من المشاة و ٢٥٠٠ من الخيالة ومن المقدونيين قليل ولما حطت الحرب  
أوزارها وتشتت شمل الفرس أمر اسكندر بدفن القتولين جميعا من الجيشين على حد سواء وأصدر  
أمره بان كل من مات من المقدونيين ومن عساكره في هذه الواقعة يرفع عن أبائهم وأولادهم كل صنف  
من أصناف العوائد والضرائب والخدمات العسكرية وأمر بوضع الذين أسره من الجريقي في الحديد  
وأرسلهم الى مكدونيا يشتغلون فيها الاشغال الضرورية للمملكة تطير خدمتهم لدارا وبهذه النصرة  
أصبحت اسما الصغرى في يد اسكندر ثم جمع دارا جيشين جديدين وفي فصل ربيع سنة ٣٣٣ قبل الميلاد  
جسد العزم ثانيا على توقيف سير اسكندر وهجم على اسكندر وجيوشه بالقرب من مدينة عصوص  
فقوبل من اسكندر بجميعة حاطمة تشتت فيها جيشه وانجبر هو على الهرب وأسرت زوجته وأمه وأولاده  
وعاملهم اسكندر بالشفقة الزائدة ورتب لهم الرواتب الكافية وسأني بمفصلات هذه الواقعة في تاريخ  
اسكندر في الجزء الثاني ان شاء الله تعالى رب العالمين

ولما طرد اسكندر دارا من آسيا الصغرى تغلب في السنتين التاليتين على فينيقية ومصر وسوريا وأضاف  
هذه الممالك الى مملكته ثم سار متوجها الى القرات لاجل اتمام فتح المملكة الفارسية وكان دارا جمع  
قوة مملكته واستعد بكل ما يلزم له لوقوع واقعة نهائية فتقابل الجيشان في السهل الاشورياني الواسع  
الكائن في شرقي نهر الدجلة وكانت الواقعة بالقرب من اربل فانهم زعم الفرس وهربوا وهرب دارا أيضا  
الى مدينة اربل على مسافة عشرين ميلا من محل الواقعة فقبض عليه قواده زاعمين أنهم يخلصونه  
من اسكندر ويحصل لهم بوجودهم الفوز والنجاح وأوثقوه في الحديد وأرغموه صاحبهم في



التقهقر خلف اربل فأسرع المقدونيون في السوق خلفهم وسعواهم من الهرب فعادوا على الملك وأنخنوه جراحاً هلكة وتركوه ملقى على قارعة الطريق يموت فكشف أحد العساكر المدةونية الملك المصروع بدمائه فاستغاث بالعسكري في أن يسقيه شربة ماء فأتاه بقدر من الماء شربه فشكر داراً كرم عدوه وقال له ان عدم قدرته على مكافأته فيما فعل معه من صنيع العمل يضاف الى مرارة ساعة موته وأوصاه أن يعرض لاسكندر أن يصنع المعروف بقتل وابادة وتدمير من كان سبباً في انصباغ هذه الدماء ويأخذ بثأرهم ثم خرجت روحه ووصل اسكندر من بعد موته بقليل وأسف كثيراً على موته وغطى جسمه ببرنسه وأمر بدفنه في بذر كادي مع الاحتفال الملوكي وقرر جميع ما يلزم لتربية أولاد داراوسناني بمفصلات هذه الواقعة في تاريخ اسكندر وكانت واقعة اربل ختام عاقبة المملكة الفارسية وأخضع اسكندر جميع ممالكها وأضافها الى مملكته

## ( الكتاب العاشر )

### تاريخ المملكة الفارطية

## ( الباب الاول )

### من ابتداء تشييد المملكة الفارطية الى سقوطها

وصف مملكة فارطية - وصف الفارطيين - قيام المملكة الفارطية - الملوك القديمة - الحروب مع سوريا - حملة انطيوخوس الاكبر - المعاهدة بين فارطية ورومة - انتشاب حرب رومة على فارطية - هزيمة قراوص - عزم رومة على التغلب على فارطية - الحروب بين فارطية وجمهورية رومة - سلطنة أريص الخامس والعشرين - هزيمة بواسطة الامبراطور طراجان - الحرب بين ولوغيسيس الثالث وماركوس أوريليوس - حرب آخر مع رومة - أريصيس الثلاثون - عصيان الفريس - سقوط المملكة الفارطية بغتة

تعادل فارطية الاصلية على وجه التقريب في السعة والامتداد اقليم خورسان الفارسي الجديد وطولها من الشرق الى الغرب نحو من ٣٠٠ ميل وعرضها من ١٠٠ الى ١٢٠ ميلاً فتكون مساحتها ٣٦٠٠٠ ميل مسطح وهذا الاقليم عبارة عن اراض جبلية في الجهة الشمالية منه وارض سهلة في الجهة الجنوبية ولم يكن علو السلاسل الجبلية الموجودة فيه كبيراً جداً ومن النادر أن تزيد الارتفاعات فيها عن ٦٠٠٠ قدم ومعظم جبالها حلقه جدا شعنة المنظر الا أن الوديان الكبيرة بعضها مشهور بالغنية والخصوبة الجيدة وتروى بالاباء الجبلية بواسطة عدة أنهار خارجة من جبالها وارض المفازة والسهول الواقعة في الذيل الجنوبية لهذه الجبال هي التي كانت مرعى عند القدماء بفارطية الاصلية او الحقيقية وطولها نحو من ٣٠٠ ميل وخصوبتها تابعة لطرائق ريها وكانت المنطقة الخصبة في الزمن القديم أعرض مما هي عليه الآن وكانت أعمال الري حاصلة فيها بكثرة واعتناء تام الا أنه لا يمكن مسد السهل زيادة عن عشرة أميال خلف ذيل الجبال بما أنه من بعد هذه المسافة تبدى الصجر والمخية وتكون الزراعة غير ممكنة وبمقارنة ارض فارطية بالاراضي المحيطة بها

فوجد أنها بقعة جنة أو بستان وكانت مرعية عند ملوك الفرس بانهم احدى الاقسام والجهات العظيمة عندهم وفي ممالكهم وكانت ممدودة من جهة الشمال بخوارزم ومراغة ومن جهة الشرق بواسطة أرباب من جهة الجنوب بواسطة سرتغية ومن جهة الغرب بواسطة غريطية وهرقانية وموقع فارطية بهذه الحالة هو الذي جعلها دولة ذات شوكة قوية وكانت ذات محاصيل وافرة في داخل أرضها وكانت أرضها صالحة جدا للنتاج جنس قوى صلب من الناس والفارطيون هم قوم من الجنس الطور في مثل قبائل التركمان والنتار يقضون جميع عيشتهم على ظهور الخيل فيتحادون ويحجرون أشغالهم ويبيعون ويشترن حتى يأكلون وهم على ظهور خيلهم وعندهم تعدد الزوجات ويحبسون نساءهم من نظر الاجنبي ويعاقبون على الخيانة وعدم الذمة بأشد العقاب ولهم معاناة شاقة على الصيد وقل أن يأكلوا لحوم الا ما استحصلوا عليه من الصيد وهم على حالة متوسطة من الماء كوالا أنهم كثير والشرب وقليلو الكلام وقليلا الهسد والراحة أهل غارات وشرو في بلادهم وفي الخارج والفايل من هذه الملة حري نفسه وما بقي أرقاء لفايلين منهم ممتازين بامتيازات مخصوصة عندهم وعادتهم الطعن والتزول وهي عادة باقية عندهم في داخل بلادهم حتى في وقت حصول الفلاح الداخلي لهذه المملكة وعندهم السماحة والقطاظة وعواثد بربرية مرتبطة بهم دائما أبدا حتى على القسم الاعظم من كبار وجوه الامة والملوك وأرباب دولته والامراء على العموم وهي عادة تزيد بهجة القطن وصفاء حتى ان تلك الاوصاف بينهم في معاملتهم مع بعضهم ومع الامم الاجنبية وتلقب الفارطيون في الازمان القديمة بالترك لانهم متحدون معهم في الجنسية وكانوا يحكموا على نفس هذه البلاد وكان الفارطيون في عز علو درجتهم وشوكتهم أهل نوحش وبربرية مكروهين في الظاهر خائنين في الحروب كسالى وغير مهذبين الاخلاق في وقت السلم ومع ذلك كانوا أهل شجاعة واقدام ومحبة للحروب وحازوا كثيرا من الخصال والفضائل التي قررتهم لان يصيروا ملوكا وما خضعوا للرومانين في عز شوكتهم وعلو مجدهم واستمروا على استئلال أنفسهم الى حد سنة ٢٢٦ بعد الميلاد حتى سقطوا تحت أقدام مملكة فارس الجديدة وعجزت رومة عن طاقتها في تصرفها مع هذه الامة الحربية العنيفة عند ما سجد جميع الدنيا القديمة لطاعة الجمهورية والمملكة و بقيت فارطية مستقلة تحت حكم ملوك منها

وكانت فارطية قسمين أقسام المملكة الفارسية في الايام القديمة وكانت محكومة بمرزبان وعجود سقوط مملكة فارس صارت قسما من مملكة اسكندر على ما كانت عليه في سابق حالتها ولم مات اسكندر انتقلت تحت حكم سلقوس خليفة اسكندر على بلاد آسيا وصارت تحت حكم ملوك سوريا الى سنة ٢٥٥ قبل الميلاد وكانت السلطنة الساسانية الى هذا الوقت في هدو حال وراحة بال حتى سمي الفارطيون أول مساعينهم في خطف قضيب السلطنة من الساسانيين وتلقب ملوكهم بلقب الاشكانيين أو ملوك الطوائف وعلى ما قيل ان سلطنتهم كانت عبارة عن رؤساء صغيرة يلقبون بالملوك يرجعون في أحكامهم الى حكومة مركزية تحت ريش بلقب الملوك أو شاهنشاه واستمرت السلطنة الاشكانية نحو من خمس قرون أو ٤٨٠ سنة والمدة التي كانت فيها هذه السلطنة احدى المدد المهمة الغير معروفة عند مؤرخي الشرقين حتى ان الفردوسي صاحب الشاهنامه لم يذكر عنهم شيئا واذا راعينا هذه المدة عند مؤرخي الرومانين نجد انها مشحونة بحدوث هذه الامة التي كانت متعظمة في نفسها ومغرورة في ذاتها وأن الملوك الفارطية الذين ما أمكننا تسير الحصول على أسمائهم من تاريخ



نفس بلادهم كفواهم الملوك الذين ما قدرت الجيوش الرومانية وهم في أعلى درجات مجدهم أن يخضعوهم ويجابوهم تحت ناف مملكتهم

وقد وصف ميرخوند وكان أجل المشهورين من أهل بلاده هذه في تسجيلاته السنوية بأن أصل الملوك الفارطية الملقين بالارصيصانيين أو الاشكانيين منسوبين إلى أشك أو أشج من ذرية ملوكهم القديمة وكان رئيسا صغيرا نال مسعدة أهل بلاده بكونه أذاع أنه استحوذ على العلم الفارسي الملوكي وهو درفش كايان وكان عمه خلاصه من المقدونيين عندما انهمزم دارا وقتل ومن بعد أن قتل العامل أرتاحيش أو أبطحاحيش دعار وساء الاقليم لينضموا اليه ضد العائلة السلوسيدانية ويكونوا في جامعة واحدة لأجل خلاص بلادهم من الناف الاجنبي ومن هذا الاتحاد تسمت العائلة الاشكانية بالارصيصانية الملوك الطوائف

وقال آخرون ان أرميص قائد الثورة على المملكة السلوسيدانية كان قائدا من صيطيا كبير جماعة من صيطي دهاى أو ضاهاي منسوبة إلى الضاغستانيين من شواطئ نهر أوخوس هاجر إلى فرطيا ونال في أراضيها درجة الارتقاء ومن المحتمل أنه كان يوجد قرابة بين مهاجري ضاهاي والسكان القديمة لهذا الاقليم حتى امتزج الجنس ان بعضهم ما صار أمة واحدة وانما ظهر أن كلام الجنس كان طورينا في الأصل وانقرض الجنس الضاهاي بالكلية حتى صرنا لا نسمع عنه شيئا في حوادث التاريخ وان أرميص لما أخذه الغضب والحق الشديد من اساءة شديدة حصلت من حاكم الاقليم في حق أخيه الأصغر طريداطيس لم يملك نفسه أن جمع قتيلا من أحمابه وأصحابه وقتل الطاغية ولم أر أي حربه أخذ في الزيادة أضمر في نفسه على طرد المقدونيين وشرع في مشروعاته هذه وتعمها وجعل نفسه ملك فارطية وامتدت سلطنته سنتين صرفهما في تقرير سلطنته على أهل فارطية وكان البعض منهم معارضاه في سلطانه وخلفه أخوه طريداطيس أو أرميص الثاني في سنة ٢٥٣ قبل الميلاد وكان ساعده في ثورته وصعد الملك الجديد على التخت وتلقب بلقب أرميص الثاني وأهم حادثة حصلت في مدة سلطنته هزيمة ساقوس فالينقوس وألزمه الاقرار والاعتراف باستقلال فارطية وخلفه ابنه أرميص الثالث في سنة ٢١٦ قبل الميلاد ومن بعد مضي سنتين من سلطنته أغار على ميديا وهدد الحكومة السورانية في اغتصاب ميديا منها فسار اليه انطيوخوس الأكبر وطرده من ميديا وأغار على فارطية وأخذ عاصمتها وسار خلف أرميص في داخل هرقانية وهزمه في واقعة دموية وقعت بينهما ومع هذا فان انطيوخوس وجد من المستحيل عدم خضوع هذه البلاد فقرر مع حزم الرأي صلحا أثبت فيه لأرميص ملك فارطية وهرقانية والصحيح أن هذه السلطنة نشرت أعظم أحكامها إلى سنة ١٩٦ قبل الميلاد

ومات أرميص الثالث في سنة ١٩٦ قبل الميلاد وخلفه الملك الرابع الملقب بأرميص الرابع وكانت مدة سلطنته خالية الوقائع والحوادث وفي سنة ١٨١ قبل الميلاد جاس أرميص الخامس وهو فرعاطيس على التخت وفي سنة ١٧٤ قبل الميلاد ترك سلطنته لأخيه متريداطيس وتلقب بلقب أرميص السادس وكان ملكا جليلا مهيبا ذا شجاعة واقدام في الحروب تغلب على ميديا والسوس وفارس وبابل وبقطربا (أي بلخ) وأسس المملكة الفارطية وكان حدها الغربي نهر الفرات وكانت مدة سلطنة أرميص السابع من سنة ١٣٦ إلى سنة ١٢٧ قبل الميلاد وأرميص الثامن من سنة

١٢٧ الى سنة ١٢٤ قبل الميلاد خالية من الوقائع والحوادث وكان متريداطيس الثاني أو أرسبيص  
 التاسع الملقب بالاكبر ملكا قويا الشوكة على الهمة ذات شجاعة واقدام في معامع الحروب طرد القبائل  
 الطورنيانية من تغوره الشمالية وكسر شوكتهم وأذلهم ووسع المملكة الفارطية من جميع أطرافها  
 باجراء حروب عديدة طويلة ومن ثم صارت فارطية هي المملكة الثانية من بعد رومة التي هي أقوى  
 مملكة في الدنيا القديمة وتسلطن من سنة ١٢٤ الى سنة ٨٩ قبل الميلاد ومن ابتداء هذه المدة صار  
 تاريخ فارطية خالي الحوادث والوقائع وغير محقق الاحوال حتى جلس على التخت فرعاطيس الثالث  
 أو أرسبيص الثاني عشر بفلس على التخت في سنة ٦٩ قبل الميلاد في الوقت الذي طردت فيه رومة  
 متريداطيس الاكبر من مملكة بونطوس على سواحل البحر الاسود وشبكت أرمينية في الحرب وتحالف  
 مع فارطية المملكتان المتحاربتان الآن فارطية استمرت مدة من الزمن في حياد منهما ولما تقلد بومبي  
 زمام القيادة الرومانية في الشرق نجح في كونه أدخل فرعاطيس في محالفة معه وأغار فرعاطيس على  
 أرمينية واحتل طجرانيس ما تركه بومبي حال سيره للتغلب على مملكة بونطوس ولما تم مرغوب الرومانيين  
 من التغلب على بونطوس عقدوا شروطا مع طجرانيس حتى انهم ساعدوه على فارطية سنة ٦٥ قبل  
 الميلاد وأما إقليم غورديانة الذي كان احتله فرعاطيس فان الرومانيين اغتصبوه منه وأعطوه الى  
 أرمينية فاعترض فرعاطيس مع بومبي وعاتبه في نقض ونكث هذه الذمة فأصم الرومانيون اذانهم  
 بشأن هذا الاعتراض والعتاب ومن ثم عقد فرعاطيس شروطا مع طجرانيس وانتهى الحرب الذي كان  
 بينهم في نحو سنة ٦٣ قبل الميلاد وفي سنة ٦٠ قبل الميلاد مات ملأ الفارطيين مسموما والصحيح  
 أن الذي سمه ولداه وبواسطة الحرب الذي أجرت رومة مع بونطوس استحوذت على كل سوريا وامتدت  
 ممالكها الى الحد الغربي للمملكة الفارطية وهونهم الفرات ثم وقع التباين والخلاف بين هاتين المملكتين  
 الكبيرتين القاسمتين للدنيا القديمة واستمر هذا التباين عبارة عن مجرد مسائل الوقت  
 ثم ان متريداطيس الثالث أو أرسبيص الثالث عشر خلف أباه ولما مات طجرانيس الاول في أرمينية  
 خلفه على التخت ابنه الثاني فغار في الوقت متريداطيس على أرمينية لاجل إعادة الوارث الحقيقي على  
 تخته وكان صهره غير أن مساعيه صارت على غير طائل وأغضب الملك المتسلطن في أرمينية من جهته  
 ومن بعد مضى بضع سنين خلع أمراء الفارطيين متريداطيس عن التخت وجعلوا أخاه ملكا مكانه فسار  
 الى بابل وأقام فيها مدة من الزمن وأخيرا ضبط وقتل في سنة ٥٥ قبل الميلاد  
 ولما صار عوروديس أو أرسبيص الرابع عشر ملكا بدل أخيه فمجرد جلوسه على التخت انشبت في  
 حرب مع رومة وكان يظهر من حروب فارطية مع بونطوس وأرمينية للرومانيين أن المملكة الفارطية  
 أغنى وأقوى مملكة زيادة عن أي مملكة شرقية حتى انهم لغاية هذا الوقت ما قرئوها ولا مسوها  
 بسوء فأنهم في الحقيقة كانت هي الدولة الفريدة التي ما خضعت مطاقا لرومة حتى نار الحسد والغيرة  
 والحمية في رأس الجمهورية الرومانية من وجود مملكة قوية مهولة بهذه الحالة عدوة لها ومن ثم عقدت  
 النية على حرب معها وأعلنت رومة عليها الحرب من دون أدنى حجة تقيمها عليها في أي شيء من الأشياء  
 في سنة ٥٥ قبل الميلاد وفي سنة ٥٤ قبل الميلاد أغار قراصص على فارطية في رأس جيش كثيف  
 جرار فهزمه عوروديس شرهزيمة وقتله شرقا وفي سنة ٥٣ وكذا في سنة ٥٢ قبل الميلاد عبر جيش  
 فارطى قوى نهر الفرات تحت قيادة بنحوروس بن عوروديس وولى عهده وجاس خلال الاراضى الرومانية



وخر بها وتغلب مع المجلة على سوريا العليا واستشعرت صليبا وناطاكيا بالبطش والانتقام الفارطى ولما ارتاب عوروديس من اطاعة ابنه له دعاه اليه وحجب جيشه من خلف الفرات ومن بعد مضى احدى عشرة سنة أى فى سنة ٤٠ قبل الميلاد عبر الفارطى مرة أخرى نهر الفرات تحت قيادة بنجوروس وأغاروا على سوريا بمساعدة ليبانوس الرومانى وكان التجأ الى سلطنتهم وهزم جيشا رومانيا كان متعرضا له فى طريقه تحت قيادة سيد يوس ساقصه وتغلب على أنطاكية وأبى اوصيدا وفنيقية وأخذ أورشليم ونهب كل هذه المدن ووقعت سوريا وفلسطين وفنيقية فى أيدي الفارطيين ومن بعد هذا اتجهوا نحو آسيا الصغرى وأخضعوا جميع الساحل الجنوبى الى حد كاريا وفى هذه الجهة صدتهم الجيوش الرومانى تحت قيادة نوطيديوس وهزمهم وقتل ليبانوس فى سنة ٣٩ قبل الميلاد

ولم يعش عوروديس زمنا طويلا المشاهدة هذه المصائب بل مات فى سنة ٣٧ قبل الميلاد وخلفه ابنه الثانى فرعاطيس الرابع أو أريصيص الخامس عشر وفى سنة ٣٦ قبل الميلاد أغار الرومانيون على فارطية تحت قيادة مارك انطونى ومن بعد أن نال أنطونى بعض مظفرات قليلة ذاق وبال هزيمة عظيمة وقعت عليه من الفارطيين وارتدنا كصاعلى عقبه الى سوريا وما حصل من الفارطيين أدنى اجتهاد فى عبور النهر خلفه وكان لم يزل حذرا بينهم وبين المماليك الرومانية واكتفوا بحفظ ممالكهم وأما الرومانيون فانهم تحقروا جديدا من شوكة الفارطيين وقوتهم واقدامهم وصدقتهم فى الحروب

ومن ابتداء هذا الوقت الى مبادئ القسم الاول من القرن الاول من بعد تاريخ المسيح كان تاريخ الفارطيين خاليا من الحوادث والوقائع وقليل الاهمية وما كان فيه الا حكاية تعاقب ملوكه ودسائس فى العائلة المالكية ووقوع مشاحنات فى أهلها شوش سلطنتهم وأقلقت داخلية بلادهم ثم ان الرومانيين ما شرعوا فى اجراء أى حرب رسمية على فارطية فى أثناء هذه المدة الا أنهم قوا الارتباك والقلق الداخلى فى هذه المملكة وكثروا عليها عيشتها وفى هذه المدة عصت أرمينية أيضا على فارطية بمساعدة الرومانيين وصارت خراجية لرومة وفى سنة ١٠٧ بعد الميلاد جلس خسرو أو أريصيص الخامس والعشرون على تخت وكان أول عمل عمله هو عود سلطنته على أرمينية فتولد من هذا أن جلب على نفسه انتقام رومة وبطشها وأسرع الامبراطور طراجان فى التغلب على أرمينية وجعلها اية رومانية من دون حصول أدنى مقاومة ثم سار فى رأس جيش قوى جرار على ميزوپوتاميه أى العراق وأشوريا وتغلب على مدائن هذه الجهات وأضافها الى مملكته ثم انحرف الى نحو الجنوب وتغلب على سلوسيا وطسية قون وبابل ونزل منحدرافى نهر الدجلة حتى وصل البحر واستحوذ على طاعة ميسان وهو اقليم من فارطية على الخليج الفارسى ومد فتوحاته الى جهة الشرق الى حد السوس والى هنا التزم الوقوف بسبب ما حصل من الثورات العديدة التى اشتعلت فى الممالك التى تغلب عليها وتولد من هذه القلاقل والاضطرابات هجاء الى سوريا واستردت فارطية جميع اياتها ما عدا أرمينية وميزوپوتاميه وأشوريا لان طراجان كان وضع فيها قوى كافية لحفظها من الفارطيين ولما صار هرديان امبراطور رومة فى سنة ١١٧ بعد الميلاد تنازل عن جميع ما تغلب عليه طراجان وسحب جيوشه فى داخل خط الفرات ومن ثم استلمت فارطية حدودها الاولى وفضلت مع رومة فى ارتباطات وعلاقات ودية الى أن مات خسرو فى سنة ١٢١ بعد الميلاد

ولما مات خسرو وخلفه ابنه ولوغيصيص الثانى أو أريصيص السادس والعشرون فتسلطن من سنة

١٢١ بعد الميلاد الى سنة ١٤٩ واستمر في العلاقات الودية التي كان عقدها أبوه مع رومة ولم يحصل منه أدنى سعي في أخذ أرمينية من رومة ثم خلفه ولوغيسيص الثالث أو أرسبيص السابع والعشرون والصحيح أنه كان ابنه وتسلطن هذا الملك من سنة ١٤٩ الى سنة ١٩٢ بعد الميلاد واستمر في مبادئ أمره على صداقة رومة وفي سنة ١٦١ بعد الميلاد بعجرجسوس الامبراطور مرقوس أوريليوس عزم على اغتصاب أرمينية من الرومانيين ونجح في مبادئ أمره وتغلب على أرمينية وهزم جيشا رومانيا كان تحت قيادة سوريانوس نائب حكومة قيسدونيا وقتل قائده وعبر الجبل الغفير من الفارطيين نهر الفرات ونهبوا سوريا وخرّبوها فاستعد الرومانيون استعدادا كبيرا تحت قيادة ويريوس وطرّدوا الفارطيين من سوريا ومن أرمينية وساروا خافهم حتى دخلوا بلادهم وأخذوا سلوسيا وطسيقون عاصمة المملكة الفارطية وبابل وخرقوا السراية الملوكية في طسيقون سنة ١٦٥ بعد الميلاد فعقدت فارطية صلحا تنازلت فيه عن ميز بوتامية وأعادت أرمينية الى الرومانيين وجلس ولوغيسيص الرابع أو أرسبيص الثامن والعشرون على تخت أبيه في سنة ١٩٢ بعد الميلاد فاشتبك في حرب مع رومة من أجل مساعدته بصنيوس نجيرة في سنة ١٩٣ بعد الميلاد ودخل جيش روماني في مملكته وتغاب على سلوسيا وطسيقون وبابل ثم انسحب الجيش من دون حصول تلفيات كبيرة

ومات ولوغيسيص الرابع في سنة ٢١٣ بعد الميلاد تارك عدة أولاد وقع بينهم منازعة ومخاصمة بشأن وراثة التخت وأخير اجلس على التخت ولوغيسيص الخامس أو أرسبيص التاسع والعشرون فتسلطن ثلاث سنوات وخلفه أخوه ارطابانيس أو أرسبيص الثلاثون وهو آخر ملوك فارطية وامتدت سلطنته الى سنة ٢٢٩ بعد الميلاد ثم ان الامبراطور الروماني قرقالا كان حصل له منازعة شديدة مع سلفه فعزم على الزامه ارطابانيس في الدخول في حرب معه وطلب ابنة ملك فارطية أن تكون زوجة له فرفض ارطابانيس طلبه هذا فعبر قرقالا الفرات في سنة ٢١٦ بعد الميلاد وسار من وسط ميز بوتامية الى نهر الدجلة وتغلب على اربل وجبر الفارطيين على القهقرة الى نحو الجبال وفي السنة التالية قتل قرقالا والذي قتله مقرنيوس وخلفه على تخت الامبراطورية وشرع مقرنيوس في استمرار الحرب فهزمه ارطابانيس مرتين والتزم على اشتراء الصلح بكونه دفع مبالغ عظيمة من النقود وسلم جميع ما فتمسه الرومانيون في شرق نهر الفرات الى فارطية ومن ثم عادت الحدود القديمة للمملكة الفارطية حتى عادت أيضا أرمينية تحت حكم فارطية مرة أخرى

وفي هذا الوقت لما ظهر السعد على المملكة وأعيد اليها كامل سطوتها وشوكتها انماها ناعى الموت وانقضى نعيم امثل الذين خلوا من قبلها وذلك انه حصلت ثورة مهولة تحت قيادة اردشير بابكان بن ساسان قامت في الاقاليم الفارسية الموجودة في القسم الجنوبي من المملكة وهزم الفرس القوى الفارطية في ثلاث وقائع كبيرة وفي الثالثة قتل ارطابانيس وبهذه المظفرات استقبل الفرس اردشير بابكان باسم شاهنشاه أو ملك الملوك وصاروا أسيا د الممالك الفارطية وأقام اردشير بابكان على أطلال المملكة الفارطية مملكة فارس الجديدة الساسانية التي سبقت تاريخها بعد هذا



وقد وضعت جدولاً باسماء الملوك الاشكانيين أو ملوك الطوائف مأخوذاً من تاريخ العالم حسب ما ذكر مؤرخو أوروبا وأسماءهم

١	أرضيصل الأول	١١	عوروديس الأول	٢١	متريداطيس
٢	طريداطيس أخوه	١٢	متريداطيس الثاني	٢٢	دنونيس الثاني
٣	أرضيصل الثاني	١٣	فرعاطيس الرابع	٢٣	ولوغيصيصل الأول
٤	بريباطيس	١٤	فرعاطيسيس	٢٤	أرطابانييس الثالث
٥	فرعاطيس الأول	١٥	عوروديس الثاني	٢٥	بخوروس الثاني
٦	متريداطيس الأول	١٦	وانونيس الأول	٢٦	نخسرو
٧	فرعاطيس الثاني	١٧	أرطابانييس الثاني	٢٧	بارثوناسباطيس
٨	أرطابانييس الأول	١٨	طريداطيس	٢٨	ولوغيصيصل الثاني
٩	باوخودوس الأول	١٩	بردانييس	٢٩	ولوغيصيصل الثالث
١٠	فرعاطيس الثالث	٢٠	غوطارطيس	٣٠	أرطابانييس

وهذه أسماء ملوك الطوائف أو الملوك الاشكانيين حسب ما هو مذکور في كتاب زينة الطريق مسددة سلطنة كل واحد منهم فأولهم اردوان بن أشك تسلط ثلاثاً وعشرين سنة ثم خسرو بن أردوان تسع عشرة سنة ثم بلاش بن أشراثنتي عشرة سنة ثم جودرز ثلاثين سنة ثم نرسي بن جودرز ثلاثين سنة ثم نرسي بن نرسي ثماني عشرة سنة ثم اردوان أو أرطابانييس الذي قتله اردشير بابكان ولم يذکر سنی سلطنته والذي ذكره ابن الاثير في الكامل أن أشك بن أشكان من ولد دارا وكان مولده ومنشؤه بالراي فلما السواد وهي مملكة فارسية ثم ملك بعده ابنه سابور ثم جودرز ثم بلاش أو اردوان الذي قتله اردشير بابكان وذكّر في طبقات ملوك الفرس أن الطبقة الثالثة هي طبقة ملوك الاشكانيين وهم على ما سبق ذكره ملوك الطوائف الذين استولوا على العراق والجلال كان أولهم أشك بن أشكان ملك اثنتين وخمسين سنة ثم ابنه سابور أربعاً وعشرين سنة ثم ابنه جودرز خمسين سنة ثم ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ثم جودرز بن ويجن تسع عشرة سنة ثم نرسي ثلاثين سنة ثم هرمران تسع عشرة سنة ثم ابنه فيروز اثنتي عشرة سنة ثم ابنه خسرو أربعين سنة ثم أخوه بلاش أربعاً وعشرين سنة ثم ملك ابنه اردوان خمساً وخمسين سنة وهو الذي قتله اردشير بابكان واختلاف مؤرخو الشرق في تواريخ هؤلاء الملوك وأسمائهم اختلافاً يفوق الحصر والعدد وذلك لعدم معلومتهم عدة تاريخ هؤلاء الملوك الذين أحرزوا قصب السبق في ميادين الحروب أمام رومة في وقت ما كانت في أعلى درجات أوجها والله أعلم بالصواب. واليه المرجع والمآب

(والى هنا تم الجزء الاول ويابيه الجزء الثاني وأوله تاريخ مملكة فارس الاخيرة)

٢	خطبة الكتاب
٣	مقدمة الكتاب
	﴿ الكتاب الاول في التاريخ المقدس ﴾
١٠	الباب الاول - زمن النبوة
٣٠	» الثاني - خروج الاسرائيليين من مصر واضلالهم في وادي التيه
٤٣	» الثالث - فتح كنعان والقضاة
٥٦	» الرابع - تاريخ المملكة الواحدة
٦٣	» الخامس - » الشمالية
٦٧	» السادس - » مملكة يهوذا
٧٣	» السابع - من ابتداء الاسر الى ابي الى الوقت الحالي
	﴿ الكتاب الثاني تاريخ مصر ﴾
٨٤	الباب الاول - من ابتداء تأسيس الحكومة الى العائلة الثانية والعشرين
١٠١	» الثاني - من ابتداء العائلة الثانية والعشرين الى انقراض حكومة الفرس
١٠٨	» الثالث - المملكة الجرجسية
١٥٠	» الرابع - من ابتداء التغلب الروماني الى الوقت الحالي
	﴿ الكتاب الثالث تاريخ الكلدانيين ﴾
٢٥٨	الباب الاول - تشييد الحكومة الكلدانية وسقوطها
	﴿ الكتاب الرابع تاريخ مملكة الاشوريين ﴾
٢٦٩	الباب الاول - تشييد الحكومة وقدماء الملوك
٢٧٧	» الثاني - من ساطنة آشور الى سقوط المملكة الاشورية
	﴿ الكتاب الخامس تاريخ بابل ﴾
٢٨٩	الباب الاول - قيام المملكة البابلية وسقوطها
	﴿ الكتاب السادس تاريخ فينيقية ﴾
٢٩٤	الباب الاول - من ابتداء الازمان القديمة الى تغلب اسكندر الاكبر
	﴿ الكتاب السابع تاريخ ممالك آسيا الصغرى والاناطول ﴾
٣٠٣	الباب الاول - قيام فريجيا وصيدا وسقوطها
	﴿ الكتاب الثامن تاريخ مملكة ميديا ﴾
٣١٣	الباب الاول - من الازمان القديمة الى سقوط المملكة
	﴿ الكتاب التاسع تاريخ مملكة فارس ﴾
٣٢١	الباب الاول - من ابتداء الازمان القديمة الى موت كيرش الاكبر أي كخسرو
٣٢٩	» الثاني - من موت كيرش أو كخسرو الى سقوط المملكة
	﴿ الكتاب العاشر تاريخ المملكة الفارطية ﴾
٣٥٢	الباب الاول - من ابتداء تشييد المملكة الفارطية الى سقوطها



بيان الخطا الواقع في هذا الكتاب وصوابه

سـطـر	صحيفة	خطا	صواب
٣٢	٦٩	٩٣٩	٨٣٩
٩	٧٦	نوا	وان
٣	٧٣	اليهود	اليهود
٢٠	٨١	المعاملات	المعاملات
٢	١٢٥	حاكا	حاكا
١٣	١٢٧	مصرم	مصر
١٠	١٣١	المملكة	المملكة
٥	١٦١	الحناء	الحناء
١٦	١٩٣	القنابر	القنابل
٦	٢٤٥	ادان	اقلان
٣١	٣١٤	وقوة	قوة





ESEN-CPS-BK-0000000884-ESE

465151



